

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدراسات العليا

مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية

إعداد

محمد بن عبد الله بن صالح السحيم

رسالة دكتوراه

مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام

قسم - الدعوة

تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
زاهر بن عواض الألمعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا
آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)
سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

وقال تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا
نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا
مسلمون)
سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

وقال تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة
والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)
سورة الأعراف ، الآية ١٥٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل : -

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم أنبيائه وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه فصلوات ربي وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، أما بعد : -

فإن أعظم نعمة لله على العبد هي هدايته لهذا الدين القويم الذي ارتضاه لنفسه وللملائكة ورسله، وأشهدهم على ذلك فقال: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط^(١)) وبعث به أفضل رسله فقال: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون^(٢)) وقال عز من قائل: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين^(٣)) . وأنزل إليه أعظم منته وأفضل كتبه؛ إذ هو المصدق لها والمهيمن والشاهد عليها فقال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه^(٤)) وقال عز وجل : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها^(٥))، وبهذا الكتاب كمل الدين، وامت النعمة، وتحقق رضا ربنا لنا بهذا الدين

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨ .

(٢) سورة الصف ، الآية ٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ٩٢ .

فقال : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً^(١)) .
وهذه الأمة بعد أن دانت بالإسلام ورضيته قولاً واعتقاداً وعملاً؛ أصبحت خير أمة
أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وبهذا وذاك جعلها شاهدة على الأمم قال
تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهِيداً^(٢)) وجعل سبحانه رسولها شاهداً على البشرية يوم القيامة فقال : (فكيف إذا جئنا
من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً^(٣)) .

وإن أعظم ما يُلْتَمَسُ به رضا المنعمِ وتحقيق شكره — الدعوة إلى صراطه المستقيم
والتحذير من مخالفته، وفق المنهج الذي رسمه لنا في كتابه الكريم حيث قال: (وأن هذا
صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون^(٤)) . وقال سبحانه وتعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين
ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له
مسلمون^(٥)) وإني أسأل الله أن يكون هذا البحث وفق هذا المنهج، وأستغفر ربي من الزلل
والخطأ والتقصير فما أنا إلا طالب علم مبتدئ يبحث له عن موطئ قدم على هذا الطريق
الشريف الشاق؛ طمعاً في الفوز برضا الله ، ومحاولة متواضعة أأمل منها أن تكون لبنة
في بناء صرح هذه الأمة التي تعاني في هذا العصر من نوعين من البلاء : بلاء داخلي
متمثل في سلبية أبنائها إلا ما رحم ربي. وبلاء خارجي متمثل في هذا الصلف الكافر،
والهجوم الفكري الشرس، وهذا الاستحواذ الاقتصادي المريع...

وواجب الأمة في هذه المرحلة — وكل مرحلة — جهاد الأعداء ومجالدة الخصوم، وقد
أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه يحب أن يرى صف المجاهدين متراصاً متكاتفاً لا يجد
الشيطان فيه مدخلاً ولا العدو طريقاً فقال تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفاً كأنهم بنيان مرصوص^(٦)) فلو أن كل فرد من أفراد هذه الأمة استشعر حال أمته وما

(١) سورة المائدة ، الآية ٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٤١ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٦ .

(٦) سورة الصف ، الآية ٤ .

يجب عليه مجاهداً، وأيقن تمام اليقين أنه مجاهد في سبيل الله في أي موضع من مواضع العمل والعطاء والبناء، وأنه على ثغرة من ثغراتها — لاستعداد الأمة مكانتها، وتسلمت قيادتها، وأرغمت أعدائها على طلب ودها وكسب رضاها .

شكر وتقدير

قال صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله^(١)) فأشكر الله سبحانه وتعالى على ما يسر وأعان من مواصلة الخطى ومصاحبة الأخيار في هذا الطريق المشرف، ثم أشكر الوالد الكريم الذي كان له الفضل والسبق في مؤازرتي نحو تحقيق ما تطمح إليه النفس من طلب للعلم ومواصلة للبحث. وأثنى بالشكر على هذه الجامعة المباركة التي تعهدتني منذ نعومة أظفاري؛ فنهلت من مواردها العذبة، وتعلمت على مشايخها، وتأديت بآداب روادها. وأثلث بالشكر والامتنان والعرفان لمن غمرني فضله، وأطاف بي إحسانه فضيلة الأستاذ في كلية أصول الدين بالرياض الشيخ الدكتور: زاهر بن عواض الألمعي الذي أفاض عليّ بالنصح والتوجيه، وأحاطني بالرعاية، وشملني بالعناية رغم كثرة مشاغله، وتعدد مسؤولياته، فجزاه الله عني خير الجزاء، وضاعف له المثوبة، وأعظم له الأجر .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٢، ص ٢٥٨، والترمذي في سننه في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك وقال: هذا حديث صحيح، ورواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في شكر المعروف .

المحتويات:

- قسمت هذه الرسالة المتواضعة إلى مدخل ثم تمهيد فمقدمة ثم جعلت صلب الرسالة في أربعة أبواب وخاتمة وهذه الأبواب كالتالي : -
- الباب الأول : التعريف بالمهتدين من أهل الكتاب . وينقسم إلى فصلين هما:
- الفصل الأول: التعريف بالمهتدين من اليهود .
- الفصل الثاني : التعريف بالمهتدين من النصارى .
- الباب الثاني: القضايا القرآنية التي درسها هؤلاء المهتدون في كتبهم . وينقسم إلى ثلاثة فصول هي:
- الفصل الأول: التوحيد.
- الفصل الثاني : إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
- الفصل الثالث : تحريف التوراة والإنجيل .
- الباب الثالث: المقارنة بين مناهجهم التي سلكوها في كتبهم . وينقسم إلى ثلاثة فصول هي:
- الفصل الأول: المقارنة بين مناهج المتقدمين فيما بينهم .
- الفصل الثاني : المقارنة بين مناهج المعاصرين فيما بينهم .
- الفصل الثالث : المقارنة بين مناهج المتقدمين ومناهج المعاصرين .
- الباب الرابع : الأثر العلمي والدعوي لمسلمي أهل الكتاب . وينقسم إلى أربعة فصول هي:
- الفصل الأول: استفادة الدعاة منهم في إثراء الحجج والبراهين على قوة الإسلام .
- الفصل الثاني : أثرهم على العلماء المسلمين في مجال التأليف في مقارنة الأديان .
- الفصل الثالث: أثرهم في إزالة الشبهات .
- الفصل الرابع : أثرهم في دعوة غير المسلمين .
- الخاتمة : وفيها بيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

التمهيد : ويشتمل على : -

أولاً : التعريف بالدراسة :

هي بيان أثر مسلمي أهل الكتاب في الدفاع عن عدة قضايا وردت في القرآن الكريم وأنكرها أهل الكتاب أو جحدوا معظمها مثل إنكار اليهود والنصارى لتحريف كتبهم، وكذلك إنكارهم لكثير من الشرائع التي افترضها الله عليهم واستبدلوها بغيرها؛ تحقيقاً لنزواتهم، وإرضاء لشهواتهم، وكذلك ما افتراه اليهود والنصارى بحق الله سبحانه وتعالى من وصفه بصفات هو منزّه عنها مثل قولهم: إن الله فقير. وقولهم : يد الله مغلولة... وقولهم : ندم الله على فعله . وكذلك نسبة الولد والصاحبة إليه سبحانه وتعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وكذلك ما افتروه بحق أنبياء الله ورسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكما جحد الفريقان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أنه مذكور في كتبهم في أماكن متعددة ولكن جحدوها كفراً وعلواً. وسيكون بياني لأثر هؤلاء المسلمين المهتدين من حيث دراسة الأدلة التي استدلوها بها، والحجج التي أقاموها، والبراهين التي أثبتوها؛ تبيناً للحق، وإرغاماً للباطل، وإفحاماً لخصومهم، مقارنة بين هذه الأدلة ومبيناً الجديد فيها، وما هي الأدلة التي لم يسبقوا إليها، وموضحاً المناهج التي سلكوها في كتاباتهم الجدلية التي هي موضع الدراسة.

وسيكون تناول هذه القضية - إن شاء الله - من حيث : -

١ - استعراض مجموعة من المهتدين من أهل الكتاب ممن كان لهم دور بارز في حياتهم قبل الإسلام، وبعد إسلامهم لعبوا دور المناضل والمجادل عن هذا الدين القويم، معرفاً بحياتهم تعريفاً شاملاً يتطرق إلى الترجمة عن حياتهم وبيان آثارهم العلمية التي خلفوها.

٢ - دراسة هذه الآثار العلمية من ناحية استقصاء أدلتهم العلمية وبراهينهم المنطقية، وحججهم العقلية .

٣ - بيان مناهجهم في هذه المصنفات حتى تكون نبراساً لمن أراد أن يقتفي أثرهم في الرد على أهل الكتاب، مع بيان أن كل طائفة منهم قد استخدمت منهجاً مغايراً لمنهج الطائفة الأخرى.

٤ - بيان أثرهم في المصنفات الإسلامية في مجال مقارنة الأديان، وتأثير العلماء في النقل عنهم والاستفادة منهم .

ثانياً : التساؤلات التي يسعى البحث للإجابة عنها: -

يسعى الباحث من خلال هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية : -

أ - التساؤلات المطروحة عن هؤلاء المهتمين قبل دخولهم في الإسلام :

١ - هل كان لتربيتهم السابقة أثر في اعتناقهم الإسلام ؟

٢ - ما العقبات التي واجهتهم عند دخولهم في الإسلام ؟

٣ - ما الأمر الذي دعاهم للدخول في الإسلام ؟

هل هو غموض ديانتهم؟ أم أن نور الإسلام قد أضاء لعقولهم طريق الحق؟ أو أن

إسلامهم كان رد فعل لحدث معين ؟

ب - التساؤلات المطروحة عن هؤلاء المهتمين بعد إسلامهم :

١ - ما الدافع لهم لتأليف هذه الكتب ؟

٢ - ما البراهين والأدلة التي قدموها على فساد ديانتهم ولم تكن معروفة لدى المسلمين؟

٣ - ما القيمة العلمية لهذه المصنفات ؟

٤ - ما العقبات التي واجهتهم بعد إسلامهم ؟

ج - التساؤلات المطروحة عن مدى الاستفادة منهم .

١ - ما أثر هؤلاء في الدفاع عن القضايا القرآنية ؟

٢ - ما مدى الاستفادة الدعاة من آثارهم التي خلفوها ؟

٣ - ما النتائج المرجوة من عرض تجاربهم العلمية في هذا المجال؟

د - التساؤلات المطروحة عن القضايا التي ناقشوها والمناهج التي سلكوها .

١ - ما القضايا التي تناولوها بالدراسة والبحث ؟

٢ - ما القضايا التي درسوها ولم يتطرق لها علماء الإسلام من قبل ؟

٣ - ما المناهج التي سلكوها في دراسة هذه القضايا ؟

٤ - ما الأصول التي اعتمدوا عليها في دراستهم ؟

٥ - ما النتائج التي توصلوا إليها ؟

ثالثاً : أسباب اختيار الموضوع : -

١ - قال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم^(١)) وإن عرض هذا الموضوع بهذه الصورة من أفضل طرق مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن؛ إذ يستطيع الداعي المسلم من خلال مناقشته لأهل الكتاب أن يقدم بين يدي دعوته الأدلة القاطعة والبراهين الدامغة مدعّمة بالمثال القائم المشاهد المحسوس، وذلك من خلال كتب أولئك المهتمين مما يكون له أبلغ الأثر في إلزام الخصوم الحجة، وبيان الحق مما لا يدع مجالاً لمعارض .

٢ - إن هذا الموضوع متفرق في آثار العلماء العاملين والباحثين، ولم أجد من جمعه في سفر واحد يلم أطرافه، ويجمع متفرقه، ويربط بين أجزائه، ويبين العبرة من أوبتهم إلى الحق، ويوضح دورهم ودفاعهم عن القضايا القرآنية بأسلوب علمي، ولما أأمل لي من الفائدة إن شاء الله ولمن أطلع عليه من بعدي؛ إذ هو نتيجة لمجموعة تجارب إيمانية علمية، تصور لنا ذلك الواقع، وتتسم بالمنطق والموضوعية، وتهدف إلى إحقاق الحق وبيانه، وكشف الزيف وبطلانه - سعيت إلى دراسة هذا الموضوع وتقديمه للقارئ؛ رغبة في الفائدة، وطمعاً في الأجر .

٣ - إن دعاة الأمة الإسلامية بحاجة إلى كل ما يعينهم ويهيئ لهم السبل في انفاذ دعوتهم وشمولها للمدعورين بقسميهم، ولذلك يتعين عليهم استخدام كافة السبل المشروعة التي تبين الحق وتدعو إليه، وتفضح الزيف وتعريه، ومما لا شك فيه أن الاستعانة بآثار مسلمي أهل الكتاب في دفاعهم عن الإسلام ومواجهة قومهم بها لهو أكبر عامل مساعد في دعوة أهل الكتاب إلى الحق الذي بين أيدينا طالما أن الداعين إليه والمدافعين عنه هم من أهل الكتاب، هذا من جانب، ومن جانب آخر يستطيع الداعي من خلاله أن يبين للمدعورين من المسلمين أن هؤلاء الرجال كانوا يهوداً ونصارى ثم تحولوا إلى الإسلام لما تبين لهم أنه الحق فأولى بهذا الحق المسلمين الذين لم يبلغوا من الإسلام درجة الكمال .

٤ - كثيرون هم كتاب وعلماء الغرب الذي افتروا على الإسلام وأكثروا من ذلك محرفين الكلم عن مواضعه؛ يبتغون بذلك تشويه الإسلام، ووقف نموه، والحيلولة دون انتشاره،

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

وإيجاد حاجز يحول بين الإسلام وبين من يريد أن يدرس الإسلام دراسة علمية منطقية للاقتناع به ومن ثم اعتناقه، وكل بناء هذا الحاجز — الذي سلف ذكره — هو عبارة عن مفتريات وشبه ليس لها أساس من الصحة، وإن طرح هذا الموضوع وإثارته ولم أطرافه أكبر عون للداعي المسلم في تنقية صفحة الإسلام مما دنست به من قبل أعداء الله، كما أنه معول هدم بيده يهدم به هذا الحاجز الذي صنعه علماء الغرب للحيلولة دون وصول الإسلام صافياً نقياً إلى من يبحث عن الحق ويحاول الوصول إليه، كيف لا والداعي المسلم يقدم بين يديه شهادات مسلمي أهل الكتاب وردودهم على قومهم وإلزامهم بالصواب من خلال كتبهم المقدسة وأصولهم المتبعة .

٥ - إن في جمع هذا الموضوع في سفر واحد ما يهيئ للداعي المسلم أكبر قدر من الحجج والبراهين التي يستعين بها على المعاندين من أهل الكتاب فيلزمهم بها كما ألزمهم بها هؤلاء المسلمون من بيان للحق؛ فتلزمهم الحجة بعد بيان الحق لهم، أو أن الداعي المسلم يكون في حل من أمرهم بعد أن بين لهم فيعذر إلى الله منهم .

٦ - كل مهتد من أهل الكتاب إلى الدين الإسلامي يمثل تحوله وثيقة إدانة لدينه المحرف يستطيع الداعي المسلم أن يواجه بها أهل الكتاب فيرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصواب بإذن الله مقدماً بين يديه الحجة الدامغة المدعمة بالتجربة الناجحة؛ فتكون أدعى للقبول من أنفس تبحث عن الحق وتلتمس الطريق إليه .

٧ - ازدياد اليقين بهذا الدين بقراءة هذه التجارب الإيمانية العلمية التي يقدمها البحث، ولقد سجل القرآن الكريم في سورة الأحقاف هذا الدور حين شهد عبدالله بن سلام رضي الله عنه للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وآمن به فقال تعالى: (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين^(١)) .

٨ - إن البحث يناقش القضايا الرئيسية التي هي محل النزاع بين الإسلام وبين اليهودية والنصرانية مما يحتم بذل الجهد له واستفراغ الوسع فيه .

(١) سورة الأحقاف ، الآية ١٠ .

رابعاً : أهمية الدراسة والجديد فيها : -

أ - تأتي أهمية هذه الدراسة من عدة جوانب هي : -

أولاً : أن هذه الدراسة ستعمل إن شاء الله على استكمال الجوانب المهمة في الدراسات السابقة لهذا الموضوع .

ثانياً : أن السموأل بن يحيى المغربي مؤلف كتاب إفحام اليهود لما أثنى على جهود العلماء المسلمين في الرد على اليهود قال: (على أن الأئمة - ضوعف ثوابهم - قد انتدبوا قبلي لذلك، وسلوكوا في مناظرة اليهود أنواع المسالك؛ إلا أن أكثر ما نوظروا به [يعني اليهود] يكادون لا يفهمونه أو لا يلتزمونهم^(١)) .

ثالثاً : ذكر المهتدي الطبري أن من ألف في هذا الفن ممن سبقه لم يوفق للإحاطة بالأدلة الملزمة لكافة الخصوم وكافة الحجج وأنه ألف كتابه ذلك حتى يستكمل النقص ويسد الثغرات، ويخاطب كافة المعارضين والمعاندين^(٢) .

رابعاً : أن المهتدي عبد الله الترجمان مؤلف كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ذكر في سبب تأليفه لكتابه هذا أن أغلب من كتب في الرد على النصارى جادلهم في أمور ليست محل اتفاق^(٣) .

خامساً : أن الدكتور الفاضل محمد الشرقاوي ذكر في دراسته التي بعنوان : «المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود النصارى» أن هذه الدراسة تحتاج إلى إعادة بحث؛ لأنها لم تلق عناية الباحثين والدارسين، وأنها تستحق دراسة أكاديمية متخصصة تكشف بواطن هذه الكتابات ونتائجها وآثارها .

سادساً : أن الحاجة ماسة إلى بيان أثر هؤلاء في مجال دفاعهم عن الإسلام، وأثرهم على العلماء المسلمين في هذا المجال، وتأثيرهم على غيرهم في الدعوة إلى الإسلام .

(١) إفحام اليهود ، تحقيق د. محمد الشرقاوي نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٨٦ .

(٢) انظر الدين والدولة ، تحقيق عادل نويهض نشر دار الأفاق الجديدة بيروت، ط ٤ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٣٥ .

(٣) انظر تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، تحقيق عمر وفتيق الداعوق ، نشر دار البشائر الإسلامية، ط ١ ، ص

الجديد في هذه الدراسة : -

في الحقيقة أن هذه الدراسة جديدة في هذا المجال بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؛ ولا أدل على ذلك إلا أنني لم أجد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع سوى دراسة واحدة تقع في خمس صفحات.

وإن الجديد فيها هو طرح أثر هؤلاء الكتاب وتجربتهم في ميدان البحث والدراسة والتحليل والاستفادة منها في مجال مقارنة الأديان .

ومن الجديد فيها أيضاً أن هؤلاء الكتاب بالإضافة إلى تمكن أكثرهم من اللغة العربية فإن لديهم معرفة تامة باللغات التي كتبت فيها التوراة والإنجيل؛ فهم أقدر الناس على ترجمة نصوص هذه الكتب مما يعطينا أدلة دامغة وجديدة في هذا المجال .

ومن الجديد فيها أيضاً الاستفادة من الأدلة السمعية والبراهين العقلية والحجج المنطقية التي أوردوها في كتبهم والتي اتسمت بالوضوح والمباشرة .

خامساً : حدود البحث : -

سأتناول في هذه الدراسة أثر المهتمين إلى الإسلام من أهل الكتاب ومدى الفائدة من دفاعهم عن الإسلام والدعوة إليه، ولما كان عدد هؤلاء كبير جداً ولن أتمكن من الإحاطة بهم كلهم؛ رأيت أن أختار منهم عينة^(١) تمثل أغلب المشهورين منهم في الماضي والحاضر، والذي دفعني إلى هذا الاختيار هو أن المهتمين منهم في الماضي يمثلون نقطة البداية لهذه الفئة ومحور الانطلاق في هذا الميدان وبما أن المهتمين في الماضي لم يتطرق لهم باحث فيدرس آثارهم، ويوضح أدلتهم، ويبين القيمة العلمية لمؤلفاتهم؛ رأيتُ لزاماً عليّ أن أجعلهم ضمن هذه الدراسة، ولو أنني اقتصر على المعاصرين لكانت هذه الدراسة مبتورة الصلة عن ماضيها، بعيدة عن الشمول في بابها؛ لأنها تطرقت إلى نزر يسير معاصر .

وأمر آخر دعاني إلى الاقتصار على هذه الشخصيات لأنها في العموم الغالب استغرقت في كتاباتها أهم القضايا محل النزاع بين الإسلام واليهودية والنصرانية. ولهذا وذاك رأيت أن البحث سيقصر على الشخصيات التالية : -

- ١ - السموأل بن يحيى المغربي في كتابه «إفحام اليهود» .
- ٢ - سعيد بن الحسن الإسكندراني في كتابه «مسالك النظر في نبوة سيد البشر» .
- ٣ - على بن رين الطبري في كتابه «الدين والدولة» .
- ٤ - نصر بن يحيى المتطبب في كتابه «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» .
- ٥ - عبد الله بن عبد الله الترجمان في كتابه «تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب» .
- ٦ - زيادة النصب رأسي في كتابه «البحث الصريح في أي ماهو الدين الصحيح» .
- ٧ - عبد الأحد داود في كتابه «الإنجيل والصليب»، و«محمد في الكتاب المقدس» .
- ٨ - محمد زكي الدين النجار في كتابه «المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الخالكة» .
- ٩ - إبراهيم خليل أحمد في كتابه: «محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن»، و «الغفران بين الإسلام والمسيحية» .
- ١٠ - محمد مجدي مرجان في كتابه: «الله واحد أم ثلاث؟»، و «المسيح إنسان أم

(١) ومستندي فيما ذهبت إليه منهجياً ما ذكره د. أحمد بدر في كتابه «أصول البحث العلمي ومناهجه» ص ٣٣٦ حيث يقول: (لما كان من العسير بل من المستحيل في كثير من الأحيان القيام بالبحث على جميع مفردات المجتمع الأصلي [أي مجتمع الدراسة] لذا فإن اختيار العينات لتمثيل هذا المجتمع مع أقل قدر من التحيز أمر مرغوب فيه) أ.هـ .

إله؟».

- ١١ - محمد فؤاد الهاشمي في كتابيه: «الأديان في كفة الميزان»، و «سر إسلامي» .
- ١٢ - روجيه جارودي في كتابه «الإسلام دين المستقبل» .
- ١٣ - موريس بوكاي في كتابيه: «القرآن الكريم والتوراة والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة» ، و «ما أصل الإنسان» .
وهذا الاختيار لم يكن عبثاً أو عشوائياً؛ بل لعدة اعتبارات هي :
١ - أنني لم أختَر أحداً من مسلمي أهل الكتاب وأجعله ضمن هذه الدراسة إلا إذا توفر فيه شرطان
أ - أن يكون عالماً بدينه قبل إسلامه.
ب - أن يكون له كتاب أو أكثر في نقد دينه السابق أو في تأييد الإسلام .
٢ - أنه ليس بالإمكان دراسة كل من أسلم وألف في نقد اليهودية والنصرانية؛ لأنهم كثير والحمد لله، ورأيت أن في اختيار هؤلاء البارزين غنية إن شاء الله تعالى .

سادساً : قصور البحث : -

مهما أوتي الإنسان - أي إنسان - من قدرة على الإبداع، أو تفنن في التأليف فلا بد أن يقع منه التقصير، ويبدر منه الخطأ من حيث لا يشعر (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً^(١)) وهذا البحث عمل بشري مطبوع بطابع البشر من الضعف والاختلاف الناجم عن محدودية البشر، والتسرع والعجلة (خلق الإنسان من عجل^(٢)) وقال تعالى: (وكان الإنسان عجولاً^(٣)) هذا جانب من القصور الطبيعي، بالإضافة إلى قصور لم يكن في وسعي استدراكه أو تفاديه من مثل عدم الإحاطة بكل من أسلم من أهل الكتاب، أو دراسة مصنف كل من صنف في هذا الفن؛ نظراً لكثرتهم وتعدد مؤلفاتهم، وضياع الكثير منها قبل أن تصل إلى يد المتلقي، وكذلك لا أدعي أنني أحطت بهذه المصنفات - موضع الدراسة - لكنني بذلت جهدي، واستفرغت وسعي في استخراج ما اشتملت عليه من درر وفوائد، وقد يخونني الفهم، أو تتجاوز عبارة لم أر الاستشهاد بها وتكون هي الدليل في نظر المؤلف

(١) سورة النساء ، الآية ٨٢ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٣٧ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ١١ .

سادساً : المناهج المستخدمة في هذا البحث :-

طلباً لمزيد من المعلومات المهمة والتحقيقات الدقيقة إن شاء الله رأيت أن أنسب المناهج التي سأسير عليها في هذا البحث هي :-

١ - المنهج التاريخي : وأقصد به جمع المادة العلمية عن هؤلاء الكتاب وآثارهم العلمية ومناقشتها وإعادة تصنيفها حسب الموضوع الخاص بها، وسأتولى إن شاء الله شرح ما يحتاج إلى شرح، أو تفسير ما أراه غامضاً على القارئ، ومن ثم الجمع بين هذه المعلومات والتنسيق بينها، ومحاولة الوصول من خلالها إلى النتائج المرجوة، مراعيّاً في كل ذلك الأمانة العلمية والدقة المنهجية .

وحيث أن الخطوة الأولى من خطوات هذا المنهج هي نقد الوثيقة خارجياً وداخلياً فإنني لن أتعرض لنقد هذه الوثائق خارجياً؛ لأنها تنقسم إلى قسمين هما :-

القسم الأول: مخطوطات حققها أساتذة فضلاء وأثبتوا صحة نسبتها إلى أصحابها وزمان كتابتها، وقارنوا بين نسخها وشرحوا غامضها .

القسم الثاني : مؤلفات كتبها أصحابها في العصر الحاضر وما زالوا أحياء واشتهرت عنهم هذه الكتب فلا داعي لنقد هذه الوثائق نقداً خارجياً .

أما نقد هذه الوثائق داخلياً فإنني سأكتفي بدراستها وتحليلها، وإن عرض لي خلال هذه الدراسة خطأ كاتبها في أمر فإنني سأنوه عن هذا الخطأ في المآخذ على الكتاب، وفي حين الاقتباس منه إذا تضمن هذا الاقتباس مجانية الصواب .

٢ - المنهج المقارن : سأتولى من خلال هذه المنهج المقارنة بين الأدلة للقضية الواحدة وبيان من انفرد منهم ومن اتفق .

٣ - المنهج التحليلي : سأتولى إن شاء الله من خلال هذا المنهج تحليل النصوص المستشهد بها والمضامين العلمية لهذه الكتب للخروج منها بالنتائج المتوقعة .

وقد حرصت خلال تدوين هذه الرسالة على اتباع ما يلي :

١ - اعتمدت في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة على الإحالة إلى الصحيحين أو أحدهما إذا ورد الحديث فيهما، وأكتفي بذلك عن تتبع الحديث في كتب المسانيد والسنن، وليس ذلك عجزاً عن تتبعه وإيراد موقعه، وإنما اتبعت هذا المنهج - بعد موافقة فضيلة المشرف عليه - لعدة أسباب هي : -

أ - أن الهدف توثيق الحديث وكفى بالصحيحين توثيقاً، كما أنني عندما أشير إليه في البخاري أو مسلم فإنني لا أستقصي جميع أماكن وروده فيهما؛ بل أحيل القارئ على الكتاب والباب أو رقم الحديث الذي ورد فيه اللفظ المستشهد به .

ب - إن في تتبع الحديث في كتب السنة النبوية - عدا ما ذكر - إثقال لهامش الرسالة .

ج - إن أغلب الأحاديث المستشهد بها وردت للاستئناس بها لا لتقرير قضايا عقدية أو شرعية محل خلاف .

أما إذا لم يرد الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإنني استفرغ وسعي في تتبعه عبر مصادره والإحالة عليها .

٢ - عندما أستشهد بنص من نصوص كتب العهدين فإنني أورد النص بالصيغة التي وردت عند الأقدم من هؤلاء المهتمين وإن خالفت الطبعة الحديثة لهذين العهدين؛ لأن الحاجة فيما نقلوه لا فيما حرفه أولئك القوم، مع الإحالة في الهامش إلى مكان وجوده أو وجود ما يقاربه في الطبعة الحديثة - إن رأيت أن الحاجة تقتضي ذلك - موضحاً اسم السفر ورقم الإصحاح وأحياناً رقم الفقرة. ولم أخالف هذا المنهج إلا مرة واحدة كان النص المستشهد به المتأخر من المهتمين أقوى دلالة وأوضح عبارة من النص الذي استشهد به المتقدم؛ فاعتمدت النص المتأخر، وبينت ذلك في الهامش .

٣ - قد ترد بعض العبارات مثل «الأبوة» و «البنوة» و «خلق الله على صورة الإنسان» سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً . فهذه العبارات وأمثالها وردت من باب الإلزام، أو سوق الدليل الملزم؛ لا أن القائل لها يعتقد ما تدل عليه .

٤ - اضطررت عند صياغة هذا البحث المتواضع إلى عدم التقييد بالكم على حساب الكيف خاصة فيما يتعلق بحجم الأبواب وعدد الفصول والمباحث والمطالب؛ بل إنني اطلقت للقلم العنان فيما رأيت أن المادة العلمية التي توفرت لديّ تستدعي هذا الاطلاق، واقتضيت عن الادلاج والاستطراد حينما تنضب المادة العلمية في فصل ما أو باب ما .

ولست الأول في هذا المضمار؛ إذ أن المنهجية الإسلامية تراعي الكيف قبل الكم، وخير قدوة لنا في هذا كتاب الله ففيه السور الطوال وفيه قصار السور ، وكذلك مدونات كتب السنة النبوية تجد أن المؤلف يجعل الكتاب الواحد يشتمل على عدد وفير من الأبواب، في حين تجد كتاباً آخر لا يحتوي إلا على بضعة أبواب وقارن مثلاً كتاب التوحيد وكتاب أخبار الأحاد من صحيح البخاري، وانظر كذلك كتب العقائد والفقهاء والتاريخ تجد ما ذكرته واضحاً لا لبس فيه .

ثامناً : الدراسات السابقة لهذا الموضوع : -

من خلال تتبع هذا الموضوع عبر الدراسات التي تناولته أو تناولت أحد جوانبه؛ تبين لي أن المؤلفات أو الدراسات التي تطرقت إليه هي ما يأتي : -

القسم الأول: المؤلفات التي تناولت قصص الذين أسلموا وهي : كتاب لماذا أسلم هؤلاء، ترجمة مصطفى جبر، وكتاب رجال ونساء أسلموا، تأليف عرفات كامل العشي، في عشرة أجزاء من الحجم المتوسط، وكتاب لماذا أسلم هؤلاء، تأليف أحمد حامد، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام، تأليف د. محمد بن إبراهيم الحسن ، ود. إبراهيم بن صالح المعتاز، ومجموعة مقالات بعنوان اخترت الإسلام نشرت في مجلة حضارة الإسلام للأستاذ أنور الجندي .

وهذه الدراسات أو المؤلفات رغم أنها قدمت للقارئ والباحث والداعي المسلم مادة علمية جيدة، ورسداً لبعض الصور المعاصرة للتحويل نحو الإسلام؛ إلا أنه يلاحظ عليها مايلي: -

١ - أنها أساساً لم تكن موجهة لعلماء أهل الكتاب؛ بل إن هذه المؤلفات تروي قصة أيّ داخل في الإسلام سواء كان عالماً أم عامياً أم رجل سياسة أم رجل دين .

٢ - أن هذه المؤلفات لم تقتصر على أهل الكتاب؛ بل جمعت بين دفتيها اليهودي والنصراني والوثني والمجوسي والبوذي .

٣ - أن هؤلاء الذين رويت قصص إسلامهم لم يكن لهم نتاج فكري أو جهد علمي كما لهؤلاء الذين ستتناولهم هذه الدراسة إن شاء الله .

٤ - أن هذه المؤلفات خلت من تحليل هذه القصص ودراسة أسباب دخولهم في الإسلام، والخروج منها بنتائج هامة يمكن الاستفادة منها في دعوة غير المسلمين، وبيان العبرة من هذه التجارب الإيمانية .

القسم الثاني : دراسات قُصرت على شخصيات : ويندرج تحت هذا القسم : -

١ - دراسة عثمان الخشت عن روجيه جارودي التي بعنوان «لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة». وهذه الدراسة لم تكن دراسة عن آثاره وجهوده العلمية والعملية؛ وإنما هي دراسة عن تطور فكره خلال سنوات عمره، وانتقاله من المسيحية إلى الماركسية، ثم إلى

الإسلام .

٢ - دراسة د. محمد يحيى عن المهتدية مريم جميلة التي بعنوان (رحلتي من الكفر إلى الإيمان قصة إسلام الكاتبة الامريكية) فهي في الحقيقة لم تكن دراسة بل عرض عن كتابها «الإسلام في مواجهة أهل الكتاب... الماضي والحاضر» الذي كتبتة المؤلفة باللغة الإنجليزية، ويلاحظ على هذه الدراسة أنها استعراض للكتاب المذكور فقط. وهذه الدراسة افتقرت إلى مقارنتها بدراسات مماثلة وحالات مشابهة بغية الخروج منها بنتائج متوقعة . وهذا القسم وقر على طلبة العلم هذه المعلومات المهمة عن هذه الشخصيات إلا أنها لم تتجاوز هذه العينات إلى مساوها من مهتدي أهل الكتاب .

والدراسة الوحيدة التي وجدتها مباشرة في هذا الموضوع هي للدكتور محمد الشرقاوي تحت عنوان «المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى وكتاباتهم الجدلية» وقد أدرجها ضمن تقديمه للكتاب الذي حققه بعنوان « النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» وقد انتهت هذه الدراسة - رغم أنها وجيزة جداً إذ تقع في خمس صفحات - إلى النتائج التالية : -

١- إن أظهر ما يميز هؤلاء : سعة ثقافتهم، وامتلاؤهم العلمي إذ كانوا راسخين في ديانتهم السابقة، وعلى دراية بالعلوم الرياضية والطبية والمنطقية .

٢ - حرصهم على البرهان، واحتفاؤهم بالدليل، وبعدهم عن التقليد للأسلاف والمشايخ، ودأبهم على النظر والتمحيص .

٣ - إنهم درسوا الإسلام دراسة واعية متثبتة ودراسة لغته والتضلع فيها وامتلاك ناصية البيان منها .

٤ - ظهر في كتاباتهم قوة الجدل، وبراعة الاحتجاج، مما يرفع قيمة هذه الرسائل في علم مقارنة الأديان .

٥ - تميزت هذه الكتابات بعدم تجاهل المنقول، فقد أفاض أصحابها في نقل الأدلة السمعية والنصوص النقلية من الكتب القديمة ومجادلة القوم بها .

٦ - إنهم من خلال مؤلفاتهم فتحوا أعين الدارسن واسترعوا انتباههم إلى هذه النصوص ومقارنتها بالكتاب والسنة، فهم أرباب هذا المنهج .

٧ - إن مما يميز كتاباتهم أيضاً أن كثيراً من نقولهم لنصوص الكتاب المقدس كانت ترجمة ذاتية مباشرة منهم؛ فإنهم كانوا إلى جانب تفوقهم في لغة الضاد أصحاب معرفة واسعة باللغات التي دونت فيها هذه الأسفار، وهذا التمكن اللغوي جعل ترجماتهم مشرقة وبعيدة عن الركاكة والغموض .

٨ - إنهم كانوا حريصين على نقل الهداية والنور الذي غمرهم إلى الناس جميعاً .

بالإضافة إلى هذه النتائج فإن هذه الدراسة طرحت بعض الفروض التالية :

١ - إن الدارسين لم ينتبهوا إلى هذه الظاهرة، ولم يقفوا على أهمية كتبها، وأثرها على ما كتبه علماء كبار مثل الغزالي وابن تيمية وابن القيم وعبد الجبار الهمذاني، وإن الحكم على ما كتبه المسلمون في هذا الحقل لا يكون صحيحاً إلا بعد كشف هذه النصوص التي كتبها المهتمون وتحقيقها ومقابلتها .

٢ - إن هذا التحقيق المشار إليه آنفاً سيعدل أو سيغير أحكاماً كثيرة سابقة في بعض المؤلفات ولدى بعض المؤلفين .

ويلاحظ على هذه الدراسة ما يأتي : -

١ - إنها اقتصرت على العلماء المهتمين في العصور الماضية ولم تتطرق إلى العلماء المهتمين من المعاصرين .

٢ - إنها نظرت إلى آثارهم من الناحية العلمية وما تميزت به، ولم تستكمل في بيان أثرهم في الدفاع عن الإسلام .

٣ - إنها دراسة وجيزة جداً إذ تقع في خمس صفحات فقط. وإلى جانب هذه الملاحظات فهناك أمور تميزت بها وهي : -

أ - إنها أول دراسة تناولت هذا الموضوع حسب ما تيسر لي الوقوف عليه من المصادر.

ب - إنها رغم قصرها فقد توصلت إلى كثير من النتائج والفروض .

ج - إنها دعت إلى إعادة بحث هذا الموضوع لاستكمال السير في هذا المجال .

خلاصة استعراض الدراسات السابقة : -

تبين لي أن هذه الدراسات رغم تفاوت تأليفها أهملت الجوانب التالية : -

الجانب الأول: إن هذه الفئة تعد ظاهرة في تأريخ علم مقارنة الأديان، فقد اشتهرت

مؤلفاتها وتناقلا طلبا العلم من رواد هذا المجال لما اشتملت عليه من نقد لليهودية والنصرانية اعتمد على الدليل الواضح، والبرهان الساطع، والحجة القوية، ولما احتوت عليه من استنطاق للكتاب المقدس وجمع مروياته المؤيدة للحق الذي يدعون إليه، ومقارنة نصوصه المحرفة ليظهر من هذه المقارنة العبث البشري بهذه النصوص... ورغم هذه الأهمية التي تبوأها والمكانة العالية التي تسنمتها فلم يكن لها النصيب الذي تستحقه من الدراسات الأكاديمية التي تؤلف بينها وتجمع متفرقا، وتستخلص من أدلتها ما يكون عوناً للباحث وزاداً لطالب العلم .

الجانب الثاني : اشتملت مؤلفات هذه الفئة على مناهج علمية متعددة ومتنوعة في نقد التوراة والإنجيل ورغم أهمية هذه المناهج التي أسسوها في هذا الفن وشرعوها لغيرهم ممن أتى بعدهم؛ فإنها لا تزال بحاجة إلى من يبرزها إلى ساحة البحث، ويبين أصولها التي اعتمدت عليها، وغاياتها التي توصلت إليها .

الجانب الثالث : رغم أن الجهود التنصيرية قائمة على أشدها في العالم الإسلامي، وتطبع وتوزع سنوياً مئات الآلاف من نسخ العهدين بكل اللغات الممكنة، ورغم أن مؤلفات هؤلاء المهتمين في هذا المجال تعتبر من أمضى الوسائل في صد هذه الجهود التنصيرية، وكشف زيفها؛ إذ هي أساساً موجهة لنقد الكتاب المقدس، ورغم حاجة الأمة الإسلامية إلى كل ما يعينها في هذا المجال ، وإن مما يعينها دراسة هذه المؤلفات عبر دراسات متعددة تجعل من هذه الظاهرة وآثارهم محور دراسات ومحل التحليل والاستنتاج .

ورغم كل هذه المبررات السابقة فإن هذا الموضوع لم يلق عناية تتناسب مع حجمه وأهميته، وأسأل الله أن تكون هذه الدراسة نواة لدراسات مماثلة تستكمل النقص، وتسد الثغرة، وتقوي الضعف .

المقدمة

وتشتمل على :

أولاً - وحدة المصدر بين هذه الكتب الإلهية: التوراة، والإنجيل، والقرآن، وأنها كلها منزلة من الله تعالى .

خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، ثم استخرج ذريته من ظهره على أمثال الذر، وأخذ عليهم العهد والميثاق على الإقرار بربوبيته كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى فقال: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين^(١)) ولعظيم حكمته، وواسع رحمته، وحتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل؛ أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب فقال سبحانه وتعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً. ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً. رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً^(٢)) .

وهذه الرسائل الإلهية تشتمل على التوحيد الخالص، والتصديق للرسول المبلغ، والإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر، والعمل بالشرع المنزل. وتتفق كل هذه الرسائل في أمور منها: الدعوة إلى الله، والإيمان بالرسول المرسل، والإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب^(٣)) وتختلف هذه الشرائع فيما بينها فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات حسبما يرتضيه لها رب البرية وفق ما يصلح أحوالها ويقوم أودها

(١) سورة الأعراف . الآية ١٧٢ .

(٢) سورة النساء . الآيات ١٦٣ - ١٦٥ .

(٣) سورة الشورى . الآية ١٣ .

قال تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً^(١)) .

وهؤلاء الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم منهم من ذكره الله في كتابه كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ومنهم من لم يذكره كما دلت على ذلك آية النساء السابقة، وكذلك الكتب الإلهية المنزلة عليهم منها ما ذكره الله في كتابه كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل والزيور، وهذه الكتب المنزلة هي كتب إلهية أوحى الله بها إلى أنبيائه ورسله، وهي وحي الله وكلامه وشرعه وخبره، لا يجوز أن يقال هي : معنى كلام الله أو عبارة عن كلام الله ولا غير ذلك من الألفاظ المخالفة .

وينبغي تجاه هذه الكتب التي أنزلها الله: الإيمان بها والتصديق لها، فما ذكره الله في كتابه نؤمن به كما ذكره، ونعتقد أنه كتاب من كتب الله أنزله على رسول من رسله، وأنه في زمنه هو الشرع المتبع الذي لا يجوز لمن نزل إليهم مخالفته أو الخروج عليه أو المروق منه، قال تعالى: (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون^(٢)) وقال تعالى: (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام^(٣)) . كما نعتقد أن هناك كتباً أخرى أنزلت على رسل آخرين ولم تذكر لنا هذه الكتب؛ فنؤمن بها على وجه الإجمال قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً^(٤)) .

واستمرت هذه الرسائل والكتب تنزل على البشرية: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير^(٥)) حتى إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يأذن بانتهاء هذه الرسائل جعل الله الرسالة الخاتمة شاهدة على ما سبقها من رسائل، وجعل القرآن الكريم شاهداً ومهيماً على الكتب الإلهية السابقة قال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٤ .

(٣) سورة آل عمران ، الآيتان ٣ ، ٤ .

(٤) سورة النساء ، الآية ١٣٦ .

(٥) سورة فاطر ، الآية ٢٤ .

عليه^(١)) وضمنه كل ما محتاج إليه البشرية في دينها ودنياها وفي عاجل أمرها وأجله قال تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء^(٢)) وقال تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء^(٣)) .

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٨٩ .

ثانياً : سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وإثبات تحريف التوراة والإنجيل : -

تحدثتُ في الفقرة السابقة عن أن الله سبحانه وتعالى جعل الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات والمهيمنة عليها، والشاهد لها، وأنه سبحانه جمع فيها كل ما تحتاج إليه البشرية في الدين والدنيا والآخرة، وجعل ميثاق هذه الرسالة القرآن الكريم، وكتب له ولها الاستمرار والدوام إلى ما شاء الله حتى يأذن الله برفعه في آخر الزمان، فمن المسلم به عقلاً ونقلاً أن يُحفظ ويحرس هذا الكتاب ويسلم من التغيير والتبديل إذا كان بهذه المنزلة العالية؛ لأنه لم يكن كتاباً إلهياً أنزل ليعمل به لفترة محدودة ثم ينتهي أمره بانتهائها، ولذلك لم يكل الله سبحانه وتعالى أمر حفظه إلى البشر بل تولى حفظه بنفسه فقال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون^(١)) وحماه وحرسه من كل تبديل أو تغيير أو تحريف فقال: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد^(٢)) في حين أن الكتب الإلهية السابقة التي لم يشأ الله لها الدوام والاستمرار لم يتكفل بحفظها؛ بل استحفظها أهلها كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى في قوله: (بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء^(٣)) فلذلك حدث فيها التغيير والتحريف والتبديل قال تعالى: (أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) إلى أن قال: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً^(٤)) وقال تعالى: (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به^(٥)) هذا كتابنا ينطق عليهم بالحق، ويشهد عليهم بالتحريف. ليس هذا فحسب؛ بل إن علماءهم الذين هداهم الله للإسلام شهدوا على كتبهم أنها لم تبق على هيئتها الأولى التي أنزلها الله عليها؛ بل تدخلت فيها اليد البشرية وعبثت بها فإنتج ذلك العبث تحريفاً وتناقضاً، ولا يزال هذا العبث مستمراً إلى يوم الناس هذا تلمسه في كل طبعة جديدة لهذه الأسفار .

(١) سورة الحجر ، الآية ٩ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٤٢ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآيات ٧٥ - ٧٩ .

(٥) سورة المائدة، الآية ١٣ .

ثالثاً: نبذة موجزة عن الأسباب التي تدعو أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام
مقدمة :

إن المتتبع لقصص أولئك المهتدين الذين دخلوا في دين الإسلام ليقف من خلالها على
الأسباب الدافعة لهم لاعتناق الإسلام - سيلاحظ عدة أمور : -

١ - أن كل واحد من هؤلاء حين وجد في الإسلام ما كان يفتقده في دينه السابق جعله
الدافع له لاعتناق الإسلام؛ فمن كان يفتقد الموضوعية في دينه السابق ووجدها هنا فإنه
يراها هي السبب الذي دعاه إلى الانضواء تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك
من وجد فيه وضوح المعتقد وقربه فيه من الله، وبعده عن الوسائط، وخلوه من الطقوس
الجامدة؛ فقد جعل ذلك داعيه إلى الإسلام .

٢ - كثيراً ما يصادف الباحث صعوبة استنتاج السبب المباشر الذي دعا هذا المهتدي أو
ذاك إلى الإسلام؛ ومرجع ذلك: إما لعجزه عن التعبير عما في نفسه، أو لورود السؤال
عليه عن سبب إسلامه بعد مضي مدة طويلة على ذلك؛ فيكون قد نسي السبب المباشر
ورأى هذا الدين كلاً متكاملًا فلا يميز السبب .

٣ - أنني عولت في اختيار السبب وتدوينه ضمن هذه الأسباب إلى اللفتة الأولى التي
حركت في هذا المهتدي أساس فطرته ورفعت عن عينيه غشاوة الظلام فدفعته إلى البحث
عن الإسلام .

٤ - المنهجية العلمية تضطر الباحث إلى عدم تتبع كل سبب يدعو أهل الكتاب إلى
الدخول في الإسلام من خلال البحث في ذات هذا الدين ومنهجه القويم، وأن يقتصر على
الأسباب التي أوردها أولئك المهتدون، ورأوها هي الدافع لهم. وهذه الأسباب هي مايلي:-

١ - الهداية والعناية الإلهية : -

إن من أدركته هداية الله بلطفها فقادته إلى نور الإسلام فقد أفلح وفاز في الدنيا
والآخرة، ومن حرمها فقد حرم الخير كله، وارتكس في دركات الكفر فهو يتخبط فيها،

يلحظ ذلك كل من له أدنى اطلاع على سير أولئك المهتدين إلى الإسلام - منذ بزوغ فجره - كيف كان يعيش الفرد منهم شطراً من عمره أو أكثر يتخبط في دياجير الظلام، ثم تحيط به الرحمة الإلهية، ويغشاه نور اليقين، فلا يملك إلا أن يأنس لهذه الرحمة، وينقاد لهذا النور قال تعالى: (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء^(١)). وقال تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام^(٢)). ولما سئل القس دافيد بنجامين «عبد الأحد داود» كيف صرت مسلماً؟ قال: (إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يعزى لأي سبب سوى عناية الله عز وجل، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية^(٣)). وإلى ما ذهب إليه هذا الباحث من الإشارة إلى هذا السبب يقول أحد المهتدين: (إن الله تعالى هو الذي هياً له هذه الصدفة التي يعتبرها بادرة من بوادر عناية الله به^(٤)).

٢ - قراءة القرآن الكريم أو قراءة ترجمة معانيه: -

لقد أخبرنا الله في محكم تنزيله أن هذا القرآن لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله^(٥)، فكيف إذا صادف قلباً خالياً من تعنت الجهل وصلف الكبر، باحثاً عن الحق، منقاداً إلى دليله؛ فإنه حقاً سيدعن لهذا القرآن ولما تضمنه من منهج متكامل، ولا أدل على ذلك إلا هذه الملايين المصدقة به من يوم نزوله إلى الآن وإلى أن يشاء الله . وبعض هؤلاء المهتدين الذين اطلعوا على القرآن الكريم أو على ترجمة معانيه^(٦) قادم ذلك إلى الإيمان بما تضمنه مما يجب على العبد معرفته والإقرار به نحو ربه وخالقه، ونحو

(١) سورة فاطر ، الآية ٨ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس، تأليف عبد الأحد داود ، ترجمة فهمي شما ، نشر رئاسة المحاكم الشرعية في قطر، ط ١ ، ص ١ .

(٤) جريدة المسلمون عدد ٢٨ ، عام ١٤٠٢ هـ ص ٣٨ ، وانظر أيضاً لشهادات مماثلة: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تأليف نصر بن يحيى المتطيب ، تحقيق د. محمد الشرقاوي ، نشر دار الصحوة ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٩ .

(٥) إشارة إلى ماورد في سورة الحشر الآية ٢١ .

(٦) ومعلوم أن الترجمة مهما أوتي صاحبها من علم بكل اللغتين فلن يستطيع أن ينقل من خلالها روح النص المترجم، كيف والمترجم هو كلام الله الذي تحدى الله البشر أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله أو بآية، وقد شكوا كثيرون من المهتدين من فساد الترجمات. انظر رجال ونساء أسلموا ، تأليف عرفات كامل العشي، نشر دار القلم في الكويت ، ط ٣ ، ص ٢ ، ص ١٦ ففيها إشارة إلى هنا .

نفسه ومجتمعه، وما ينتظره في يوم القيامة من نعيم أبدي إذا أحسن، أو عذاب سرمدي إذا هو تنكب الصراط السوي .

ونستطيع أن نلاحظ ماذكر آنفاً من قول أحد المهتمين بعد أن وصلت حالته إلى أسوأ حال إذ يقول: (عشرت على كتاب فيه بعض الآيات القرآنية المترجمة فقرأتها فكانت هذه نقطة تحولي، وبدأت أبحث عن كل كتاب يتحدث عن الدين ودرست كل الأديان عن عمق وعقل وفهم ومقارنة.. وبعد دراسة عشر سنوات اقتنعت عقلياً وروحياً بالدين الإسلامي ... والحقيقة أنني وجدت في الدين الإسلامي أشياء عظيمة كثيرة، وإن كنت وجدت في الأديان الأخرى بعض الحق؛ فلقد وجدت في الإسلام كل الحق^(١)). ويتعبير أدق يتضح من خلاله مدى التأثير الذي يحدثه القرآن لدى المتأمل فيه، وما يترك في نفسه من انجذاب نحو الإسلام تتحدث إحدى المهتميات بعد أن وقعت في يدها نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية فتقول: (فقرأتها باهتمام وأحسست بانجذاب غير عادي تجاه الإسلام^(٢)).

ويؤيد ما ذهبت إليه من أن القرآن كان ولا يزال دافعاً قوياً لإيمان الكثير الكثير من الناس في القديم والحديث؛ لما احتوى عليه من وضوح في المعتقد، وشمول في التشريع، واستمرارية في مطابقة كثير من الاكتشافات العلمية لما تضمنه من إشارات ودلالات على ما في الكون من سنن ونواميس، وما في الأرض والأنفس من آيات - قول أحد المهتمين موضحاً هذا الجانب: (أما مركز الثقل والعامل الرئيسي في اعتناقي للإسلام - فهو القرآن، بدأت قبل أن أسلم في دراسته بالعقلية الغربية المفكرة الناقدة ... ثم قال : إن من بين آيات هذا القرآن الذي أوحى به الله منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية^(٣)). وهذه شهادة أخرى من مهتم آخر يبين من خلالها مدى إعجابه بأسلوب القرآن وطريقة عرضه للتعاليم الإسلامية، ويصف في شهادته هذه الروح العظيمة التي يثيرها القرآن في نفوس معتنقيه فيقول في وصفه القرآن

(١) لماذا أسلم هؤلاء، تأليف أحمد حامد، نشر مطبوعات الشعب بمصر عام ١٩٧٦ م، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) جريدة المسلمون عدد ٤٢، عام ١٤٠٢، ص ٧٠ - ٧١ .

(٣) لماذا أسلمنا مجموعة مقالات، ترجمة مصطفى جبر، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤ هـ، ص ٨١ .

ومدى تأثيره به: (أخذ مني الإعجاب كل مأخذ؛ لما رأيته في هذا القرآن من أسلوب عقلي رائع في نفس الوقت الذي يفرض فيه التعاليم الإسلامية، كما أدهشتني تلك الروح الثائرة الوثابة العظيمة التي أثارته وأذكتها هذه التعاليم في قلوب المسلمين الأوائل^(١)).

٣ - الإيمان بوجود إله واحد : -

قال تعالى: (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا..^(٢)) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً حلالاً. وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً..^(٣)) يتبين مما سبق أن الأصل في الاعتقاد التوحيد، والأصل في البشر أن يكونوا حنفاء لله؛ لكن لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى انقسم الناس إلى موحدين في اعتقادهم ، وإلى عباد أصنام وأوثان على اختلاف أشكالها. ومهمة الرسل التي بعثوا بها، وشرفوا بأدائها هي دعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، فما من رسول بعث إلى قوم إلا قال لهم: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره^(٤)) وحذرهم من الشرك والكفر بالله. ومهمة الشيطان التي يسعى لتحقيقها في هذه الدنيا هي ما عبر عنها الله في محكم تنزيله مخبراً عنه أنه قال: (لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً. ولأضلنهم^(٥)). بل جميع الكتب الإلهية أكدت على هذا الجانب، ودعت إليه، وبينت أن الله واحد في ذاته، وواحد في أسمائه وصفاته، وواحد في أمره ونهيه وخلقه، وهذا الأمر كما تقرره هذه الكتب يقرره المنطق العقلي الوارد في قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون^(٦)) ،

(١) المصدر السابق ، ص ٩٤ . وانظر لمزيد من هذه الشهادات المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، رجال ونساء أسلموا ج ١ ص ١٧١ ، و ج ٢ ص ١٢٨ ، و ج ٣ ص ٩٨ ، و ج ٤ ص ٤٥ ، ٨٠ ، و ج ٥ ص ٣٥ ، ١٢١ ، و ج ٦ ص ٩ ، و ج ٧ ص ٤٨ . ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ٣٠ ، ١٤٥ ، وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، تأليف د. محمد إبراهيم الحسن، ود. إبراهيم المعتاز، نشر دار المريخ الرياض، ط ١٤٠٩ هـ، ص ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٢٦ ، وجريدة المسلمون عدد ١٦ عام ١٤٠٢ هـ ص ٥٧ ، وعدد ٢ عام ١٤٠٢ هـ ص ٥٧ .

(٢) سورة يونس ، الآية ١٩ .

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنة، حديث ٦٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٥٩ .

(٥) سورة النساء ، الآية ١١٨ - ١١٩ .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

وترغب إليه النفس الإنسانية السوية؛ لأنها مفطورة عليه: (فطرت الله التي فطر الناس عليها^(١)) .

فلا ريب أن تجمد كثيراً من المهتمين إلى هذا الدين قادم نور التوحيد في الإسلام إلى اعتناقه، والإشارة بأن هذا الجانب المضيء هو الذي انتشلهم من ظلمات الشرك والكفر، يؤكد ذلك المهتمدي يعقوب ريموند إذ يقول: (لقد وجدت في الإسلام ثلاثة فروق جوهرية بين الإسلام والمسيحية :-

أ - أن المسيحية في الوقت الذي تعترف فيه بكافة الأنبياء مجرد عيسى من النبوة وترفعه إلى مرتبة الألوهية، كما تنكر نبوة محمد «صلى الله عليه وسلم» .

ب - أنها تنادي بأن عيسى ابن الله، وأنه طرف في التشليث المقدس، وبذلك يكون عيسى إله، وابن إله في وقت واحد مما يتعذر فهمه .

ج - أن المسيحية تجعل الكنيسة وسيطاً بين الناس وبين ربهم ولقد وجدت - لحسن الحظ - تصويماً لهذه الفكرة المضحكة وتصحيحاً لها في الإسلام^(٢) .

وهذا مهتمد آخر من هولندا اسمه «ملما» وهو عالم في تاريخ الأجناس البشرية لما سئل عما هو أجمل ما وجدته في الإسلام ؟ أجاب إجابة تؤكد ما ذهبت إليه من أن نور الوحدانية في الإسلام له بريق خاص لا يملك من أشرق له هذا النور أن يتركه إلى سواء - فقال: (الإيمان بوجود إله واحد له السلطان المطلق فكرة تقتنع بها كل العقول المفكرة، وأنه الله الذي يحتاج إليه الخلق جميعاً، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأنه متصف بأكمل الكمال في الحكمة والقوة والجمال؛ ليس لبره ورحمته حدود^(٣)) .

٤ - الصلة المباشرة بين الخالق والمخلوق :-

من أوضح الأمور وأجلاها في الإسلام علاقة الإنسان بربه قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان^(٤)) . فهي علاقة مباشرة بين العبد وربه، فلا

(١) سورة الروم ، الآية ٣٠ .

(٢) رجال ونساء أسلموا ، ج ١ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٣) لماذا أسلمنا ، ص ١١٠ ، وانظر لمزيد من هذه الشهادات كتاب «رجال ونساء أسلموا» ج ٤ ص ٧٣ ، ج ٦ ص ٢٠ .

٤٦ ، ١٢١ ، ج ٨ ص ٣٩ ، ٧٠ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

واسطة ولا شفيع بينهما، فلا يحتاج الإنسان إذا أراد أن يعبد ربه وفق المنهج الإسلامي أن يبحث له عن شفيع له لدى ربه لقبول عبادته، أو أن يبحث كذلك عن يتقبل قرايبه منه ويتكفل له بمحو سيئاته لدى ربه .

في هذا المنهج الرحب المتكامل يكفي الإنسان أن يتجه إلى ربه مباشرة فيعبده مخلصاً له من قلبه، أو يدعو له ليغفر له أو ليهبه مايشاء من رحمته .

ولقد اشتمل القرآن الكريم على أمثال عدة ضربها سبحانه وتعالى ليبين من خلالها - لرواد هذا المنهل العذب - شناعة من يعبد معه آلهة متعددة، وإليك بعضاً منها :-

أ - قال تعالى : (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلكاً لرجل هل يستويان مثلاً^(١)) فشبه الله في هذه الآية من يعبد آلهة متعددة بعبد فيه شركاء متشاكسون، ومن يعبد الله وحده بعبد مملوك لرجل واحد، فهذا غايته واحدة، وطريقته واحدة، وأوامره المطالب بتنفيذها لا تتعدد ولا تتبدل؛ فهو يعيش في أمن واستقرار نفسي؛ لأنه قادر على تحقيق رضى سيده، وبلوغ غايته فهو على منهج واحد مستقيم مستقر.

أما الآخر فغايات المتشاركين فيه متباينة، وتكاليفهم له مختلفة، ومطالبهم متفاوتة، إن أرضى هذا أغضب ذاك؛ فمن العسير عليه تحقيق أطماعهم وأداء تكاليفهم فضلاً عن أن ينال رضاهم وكذلك من شئت نفسه بين آلهة متعددة .

ب - قال تعالى : (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم^(٢)) . فالمعبود من دون الله سواء كان صنماً أو غيره فهو كالعبد الأبكم الذي لا يقدر على شئ - أي شئ - وبالإضافة إلى هذا العيب المانع من الاستفادة منه فهو كَلٌّ على مولاه مهما بذل معه من وجوه المحاولة للاستفادة منه فإنه لا يأتي بخير؛ ومن لا يأت بخير يأت بالشر .

هذا مايتعلق بالمنهج الإسلامي فيما يختص بعلاقة العبد بربه، أما علاقة العبد بربه من خلال العقيدة النصرانية الصحيحة فقد كانت هي نفس العلاقة في الإسلام. وغير خاف على المطلع على الدين النصراني وماشابهة من تحريف وتغيير أثقله ماأضيف إليه من عقائد

(١) سورة الزمر ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٧٦ .

وثنية، وأفكار إلحادية، وأساطير يونانية؛ جعلت العبد في هذا المنهج أبعد ما يكون عن ربه، ومنحت الكنيسة من خلاله سلطات ومزايا هي في الأصل لله وحده مثل غفران الذنوب، وتحليل الحرام، وتحليل الحلال، قال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون^(١)) .

وفي الإنجيل مما افتراه الكاذبون ما يؤيد الذي ذهبت إليه فقد ورد في إنجيل متى الإصحاح الثامن عشر أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: (كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء. وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء^(٢)) وبالتأكيد هم ليسوا بأنبياء حتى تمنح لهم هذه المزية بوحى من الله بعد إذنه لهم بهذا الأمر؛ إذاً فهذا النص يتبين من خلاله مدى إسراف رهبان النصارى في منح أنفسهم حق التحليل والتحرير، وهذا المضمون وماشابهه تجده ميثوثاً في التوراة والإنجيل هنا وهناك .

ولقد أخبرنا الله في كتابه الكريم عن تطاول اليهود والنصارى على مقام الألوهية فحدثنا أن اليهود جعلت عزيراً ابن الله، والنصارى جعلت الله ثالث ثلاثة، ومنحت المسيح عليه السلام كل صفات الألوهية والربوبية فجعلت كل العبادات متجهة إليه، كما فوضت إليه الإحياء والإماتة والخلق والتدبير، وخولت له الحساب يوم الحساب .

وهذه التجاوزات والتعديت على مقام الألوهية في دين أهل الكتاب – سلبت من أتباعه القناعة بهذا الدين ؛ فتركوه إلى غيره باحثين عن دين يجدون فيه العلاقة المباشرة بين العبد وربّه، ويهربون من كهنوت فرض عليهم عبادة العباد بدلاً من عبادة رب العباد. يقول أحد المهتدين مبيناً السبب الذي دعاه إلى الإسلام وأنه الصلة المباشرة بين العبد وربّه: (الصلة بين خالق الكون ومخلوقاته التي ميز الله الإنسان عليها صلة مباشرة؛ فلا يحتاج المؤمن إلى وساطة، كما لا يحتاج الإسلام إلى كهنوت، ومن تعاليم الإسلام أن الصلة بالله ترجع إلى الإنسان نفسه، وأن على الإنسان أن يعمل في حياته الدنيا لحياته الأخرى، وأنه مسئول

(١) سورة التوبة ، الآية ٣١ .

(٢) متى ١٨ : ١٨ .

عن عمله، ولن تكفر ذنوبه تضحية نفس أخرى بريئة^(١) .

٥ - الاستدلال على أسماء الله الحسنى : -

قال تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون^(٢)) لكن الصورة التي رسمتها اليهودية المبدلة، والنصرانية المحرفة لله سبحانه وتعالى صورة مزرية مشينة مشابهة تماماً للعقلية التي تفتقت عنها، فقد وصفته اليهودية بأن يده مغلولة... غلت أيديهم - وأنه فقير وهم أكمل منه إذ هم أغنياء كما ورد ذلك حكاية عنهم في القرآن، وأنه غير حكيم إذ يندم على تصرفاته ... إلى آخر ما وصفته به اليهود - عليهم لعائن الله - مما أتعفف عن الاستطراد في ذكره وأكتفي بحل الشاهد منه .

ووصفته النصرانية بأنه ثالث ثلاثة، وبأنه ذو ولد، وأنه ضحى بابنه لتكفير ذنوب خلقه، وأن هذا الابن خلق السموات والأرض ، وأمامه يتم حساب الخلائق يوم القيامة... فكل صفات الله سبحانه وتعالى خلعتها النصرانية على المسيح عليه السلام. وهذه الصورة التي رسمتها اليهودية والنصرانية والتي سبق بيان بعض ملامحها تأنف منها النفوس السوية الزكية والفطر السليمة؛ ذلك لأن النفس البشرية تطلب الكمال وتأنف من النقص في مثيلاتها وتراه عيباً مشيناً ونقصاً مخللاً. فكيف ترضى بإله هذه صورته؟ إنها حقاً لن ترضى وستبحث عما يتناسب مع فطرتها ويليق بعبوديتها للإله الحق سبحانه .

فلا غرو إن وجدت نماذج من المهتدين دخلت في الإسلام بعد معرفتها لبعض أسماء الله الحسنى؛ ذلك لأن الاطلاع على أسماء الله من أعظم نعمه على خلقه، فإن الإنسان عندما يعرف أن من أسمائه المؤمن الذي آمن أولياءه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وأنه العفو الغفور الذي يعفو ويغفر لخلقهم مهما أذنبوا إذا سلموا من الشرك وتابوا إليه وأصلحوا، وأنه الحكيم فلا يأمر أو ينهى أو يخلق إلا لحكمة، وأنه الرقيب المطلع على كل ما يجري في هذا الكون، وأنه المنتقم شديد العقاب لأعدائه - يزداد معرفة بالله سبحانه وتعالى، ويزداد قرباً منه؛ لأن كل اسم من أسمائه تعالى يدل على صفة من صفاته، ومعرفة أي

(١) لماذا أسلمنا ، ص ١١٠ . ولزيد من الشهادات حول هذا الجانب انظر رجال ونساء أسلموا ج ١ ، ص ٦٧ - ٦٨ ، وج

٥ ، ص ١٨ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٨٠ .

صفة من صفاته تفيد العبد ما ينبغي عليه عمله تجاهها، وهذا الكم الهائل من المعرفة المتاحة من خلال الاستدلال على هذه الأسماء وماتدل عليه من صفات قد لا يقدر قيمته ولا يعرف قدره إلا من حرم منه شطر عمره .

وفي نفحة من نفحات رحمة الله يقع على مايدله على هذا النبع الثر المتدفق من العلم الرياني فيشرح له صدره ويقوده إلى الإسلام. تقول المهتدية الإنجليزية عائشة عبد الله: (لا أذكر أنني سمعت في أي يوم من أيام طفولتي أي ذكر لاسم الله، ولم أكن مقتنعة ببعض المبادئ الرئيسية في الديانة المسيحية) وعندما سئلت عن الذي شد انتباهها وهي تسمع إلى حديث زوجها المسلم وبعض رفاقه أجابت: (أن الله واحد ليس له ثان، وأن له أسماء عديدة، وكان هذا فاتحة الدراسة والاهتمام، واحسست أنني وجدت ماكنت أبحث عنه، وماكانت نفسي تتوق إليه، ليلة أن عرفت أن الله سبحانه وتعالى له تسعة وتسعين اسماً لم أنم حتى الصباح، وصرت أقرأ وأتمعن في هذه الأسماء التي هي صفات له عز وجل^(١) .

٦ - الإيمان بالغيب :-

هو أحد الفوارق الأساسية بين الإنسان والحيوان، وهو أحد الفوارق الرئيسية بين المؤمن والمنافق، فالؤمن يؤمن في الغيبة والشهود، في السراء والضراء، والمنافق يؤمن حال المشاهدة والمعينة، ويكفر إذا خلا إلى شيطانه ويلج في طغيانه، يؤمن في اليسر، ويعتصم في نفاقه إذا حلت الضراء واقترب البأس .

هو الأمل الذي يحدو المؤمنين إلى سلوك المنهج الرياني وتطبيقه بحذافيره، فلا يغادرون أمراً إلا أطاعوه ولا نهياً إلا اجتنبوه، وهو الدافع لهم على بذل الأنفس رخيصة في سبيل الله رجاء ماوعِدُوا به في عالم الغيب من لقاء ربهم والأنس برويته والتنعم بجنته .

هو الموعد المنتظر الذي جعل الأنبياء والصالحين يتحملون مشاق الجهاد ومواجهة المناوئين مهما تكبدوا في سبيله من تضحيات، وهو الذي دفع إبراهيم عليه السلام إلى أن يسلم لأمر ربه ويقدم ابنه قرباناً لوجهه تعالى، وسببه أقدم موسى عليه السلام على البحر الخضم وضربه بعصاه فإذا هو طريقاً يبساً، وهو الذي منح محمداً صلى الله عليه وسلم الجرأة والشجاعة ليقول - وهو في قلة قليلة من الناس - لعشر قریش وفيهم القوة والمنعة الحسية: (يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك

(١) جريدة المسلمون عدد ٤٣ ، ذر القعدة عام ١٤٠٢هـ، ص ٧٠ - ٧١ .

هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته^(١) وعنه تلقى أصحابه رضوان الله عليهم هذا المبدأ العظيم فتسابقوا على الموت شهادة في سبيل الله تسابق الجبناء على استبقاء الحياة^(٢).

والإيمان بالغيب يثمر في حياة صاحبه أموراً عديدة لا يمكن أن أحصياها في هذه التقدمة اليسيرة لهذا السبب ولكن أذكر منها :-

١ - إنه يحدو صاحبه إلى الإيمان بالله ابتغاء مرضاته .

٢ - إنه يهون عليه مصائب الدنيا فيقبلها بنفس راضية؛ لأنه يعلم أنها مكفرة لذنوبه قبل لقاء ربه .

٣ - يمنح صاحبه في هذه الدنيا ميزاناً وسطاً يزن به أفراح الدنيا وأتراحها انطلاقاً من قوله تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم^(٣)) .

٤ - أن المؤمن به يستثمر عقله فيما خلق له أصلاً، فلا يحمله مالا قبيل له به من تخيل وتحليل ومقايسة لما وراء المحسوس .

إذاً فلا غرو أن يكون هذا الأمر معلماً يستقطب الناس إلى الإسلام وشاهد هذه المسألة قول أحد المهتمين: (أعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وما وراء المادة هو الذي جعلني أدين بالإسلام^(٤)) .

(١) السيرة النبوية للإمام الذهبي، تحقيق حسام الدين المقدسي، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ، ص ٨٥ .

(٢) يؤيد ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه قال: (.. عن أنس رضي الله عنه أن عمه غاب عن بدر، فقال: غبت عن أول قتال النبي صلى الله عليه وسلم لئن أشهدني الله مع النبي صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أجد، فلقي يوم أحد فهزم الناس، فقال: اللهم إني اعتذر إليك بما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ، فقال: يا سعد! إني أجد ريح الجنة دون أحد. فمضى فقتل. فمأعرف، حتى عرفته أخته بشامة أو بيناته وبه بضع وثمانون: من طعنة، وضربة، ورمية بسهم) كتاب المغازي، باب ١٧ .

(٣) سورة الحديد، الآيتان ٢٢، ٢٣ .

(٤) لماذا أسلمنا، ص ٨٠ .

٧ - الفطرة : -

خلق الله الخلق وجعل لهم في هذه الدنيا غاية كبرى - وهي عبادة الله عز وجل - توصلهم إلى نتيجة عظمى إن هم حققوا تلك الغاية وهي الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .
ومن رحمته تعالى بعباده، وعظيم حكمته، أنه لما خلق آدم عليه السلام مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد والميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً قال تعالى:
(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين^(١)) . وتتميماً لهذه الرحمة وامتداداً لهذه الحكمة فطر خلقه كلهم على هذا الدين - أي الإسلام - فمن سلم من مؤثرات الإرث والبيئة والتنشئة، وأدركته رحمة الله وبلغته دعوة الحق.. انقاد لها استجابة لنداء الفطرة المفطور عليه يقول تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(٢)) . وفي الحديث المتفق على صحته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فطرة الله التي فطر الناس عليها^(٣)) . وفي رواية أخرى للإمام مسلم تؤكد أن الفطرة الواردة في هذا الحديث هي الإسلام حيث قال: (وفي رواية أبي بكر عن أبي معاوية: (إلا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه^(٤)) .

إذاً فلا عجب إن وجدت من يستجيب لفطرته ويعلن أن سبب إسلامه هو الوثام بين الإسلام وفطرته، يقول أحد المهتمين في هذا الصدد: (وكم كانت سعادتني عظيمة حين اكتشفت أنه الدين الوحيد الذي يستطيع تحقيق الوثام بين الإنسان وبين فطرته، وبينه وبين بيئته وثقافته ونشأته^(٥)) وهذا مهتد آخر ذكر أن سبب إسلامه هو تناقض عقيدته السابقة

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٣٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز ، باب ٨٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب القدر ، حديث ٢٢ .

(٤) صحيح مسلم كتاب القدر ، حديث ٢٣ . وقد بحث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مسألة - أن كل مولود يولد على الفطرة - وأكد أن هذه الفطرة هي الإسلام وذلك في كتابه الرائع «درء تعارض العقل والنقل» تحقيق د. محمد رشاد سالم . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج ٨ ، ص ٣٥٩ - ٤٦٨ .

(٥) رجال ونساء أسلموا ج ٦ ، ص ٦٥ .

مع فطرته، وأنه بفطرته يؤمن بإله واحد فيقول: (فلم يعد في مقدوري أن أؤمن أن المسيح عليه السلام هو ابن الله، إذ أنني كنت بفطرتي أؤمن بإله واحد لا شريك له^(١)) .

٨ - رؤية شعيرة من شعائر الإسلام : -

جعل الله سبحانه وتعالى شعائر هذا الدين على قسمين :-

القسم الأول : شعائر باطنة يؤديها العبد دون أن يشعر به أحد .

القسم الثاني : شعائر ظاهرة لا يمكن أداؤها إلا ظاهرة كالأذان والصلاة والحج والجهاد؛

حتى تتحقق بعض الحكم التي أرادها الله من إقرار هذه العبادات بهذا المظهر قال تعالى: (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد^(٢)). وقال تعالى: (واركعوا مع الراكعين^(٣)) وقال عز من قائل: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع^(٤)) وقال سبحانه وتعالى: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً^(٥)). فهذه العبادات الظاهرة تمثل الإسلام في حياة الأمة والفرد على حد سواء تمثيلاً ظاهراً ، وتدعو إليه من خلال إقامة هذه الشعائر .

ويتبين من خلال تأملك لهذه العبادات أنها تصوير للإسلام في بعض مظاهره في كل زمان ومكان وبيئة؛ ولهذا لا يبيح الشارع الحكيم للمسلم الذي لا يستطيع أن يظهر دينه بين الكفار أن يبقى بينهم فلا بد له أن يهاجر عنهم إلى بلد يمكنه أن يظهر دينه فيه، وهنا نلمس جانباً من جوانب الحكمة الإلهية في مطالبة المسلم بأداء هذه الشعائر أداءً ظاهراً حتى يكون داعٍ لدينه مظهراً له على سائر الأديان قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون^(٦)). ذكر سبحانه أن غاية النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي إظهار دينه على الدين كله .

(١) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣ - ٤٤ ولزيد من الشهادات التي تؤكد ما ذهبت إليه انظر المرجع السابق ج ٢ ، ص ٨٠ ، ٨٤ ، ٩٨ ، وج ٤ ، ص ١٤٥ ، وج ٥ ، ص ١٣ ، ٤٢ ، ١٢٢ ، ومجلة حضارة الإسلام عدد ١-٢ لعام ١٣٩١ هـ ، ص ٣٢ ، ٣٥ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٢٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٤٣ .

(٤) سورة الجمعة ، الآية ٩ .

(٥) سورة الحج ، الآية ٢٧ .

(٦) سورة الصف ، الآية ٩ .

وهذا القسم - أعني الشعائر الظاهرة - هو الذي تبين لي من خلال دراستي أنه محل اهتمام المهتدين وأحد الأسباب المؤثرة فيهم والداعية لهم إلى الدخول في الإسلام، تقول إحدى المهتديات: (ولو أن أحداً سألتني عن أهم جانب في الإسلام اجتذبتني؟ لأجبت إنها الصلاة^(١)). وهذا آخر يقول: (ورأيت المسلمين مصطفين للصلاة وقوفاً كالملائكة، سمعت في نفسي صوتاً يناديني بقوله: هذه هي الجماعة التي أنبأ بها الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين... ثم قال: واقتنعت في نفسي بأني خلقت لأكون مسلماً^(٢)). هذه الصلاة هي شعار المؤمنين والفارقة بينهم وبين المنافقين، يقول أحد المهتدين: (وكانت رؤيتي لعبادتهم أول ما كانت للصلاة التي لفتت نظري فهي بكل ما فيها لون من العبادات غير موجودة في الديانات الأخرى، ولفت نظري الطريقة الواحدة في أداء الصلاة^(٣)).

وهناك مهتدون آخرون أسرهم صوت المؤذن يردد كلمات التكبير والتوحيد داعياً للصلاة، ومنادياً للفلاح، معلناً على الملأ «الله أكبر» الله أكبر من كل شيء، من كل ملك ومُلك، وأكبر من كل منصب، وأكبر من كل شغل يؤخر صاحبه عن إجابة هذا النداء الرباني، فهذا مهتد يبرهن على ماسبق بقوله: (إنني لأول مرة سمعت فيها صوت المؤذن الرخيم الناصع خامرني شعور من الشجن لا يوصف^(٤)).

٩ - قبول العقل للإسلام ونفوره من غيره : -

خلق الله الإنسان وزوده بالعقل، وأرسل إليه الرسالات، وأنزل عليه الكتب، وشرع له الدين؛ فمادام أن الخالق واحد وهو الله وهو المنعم بالعقل والمتفضل بالرسالات، وهو أعلم بما اشتملت عليه النفس الإنسانية: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير^(٥)). فكان لزاماً أن يتفق المنهج ووسيلة إدراكه، وأن يتفقا ولا يختلفا، وغاية هذا المنهج - الدين - أن يهدي

(١) لماذا أسلمنا ، ص ١٣٦ .

(٢) رجال ونساء أسلموا ، ج ٥ ، ص ٧٢ .

(٣) لماذا أسلم هؤلاء ، ص ٨١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ١٠٧ ، وذكر مجموعة من المهتدين كان سماع الأذان سبباً في دخولهم في الإسلام، وانظر لمزيد من شهادات مماثلة لهذا السبب المصدر السابق ، ص ١٤٣ - ١٤٤ ، وكتاب رجال ونساء أسلموا ، ج ١ ، ص ٢٤ ، و ج ٣ ، ص ٤٥ - ٤٧ ، وكتاب لماذا أسلمنا ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١١٣ ، وجريدة المسلمون عدد ٣٨ ، ص ٣٨ ، ومجلة حضارة الإسلام عدد ٢٠١ ، ص ٣٤ ، والمجلة العربية عدد ٦ ، ص ٦٠ - ٦٢ .

(٥) سورة الملك ، الآية ١٤ .

الإنسان إلى سواء السبيل الموصل إلى جنة ربه ورضوانه، وأن يبعده عن مهاري الردى والضياع، وينقذه من كيد الشيطان ويحذره من خطواته، فإذا عاشت الأجيال في فترة من الرسل واندثرت تعاليمها وحرفت كتبها وتدخلت يد البشر قلى عليها من رغبات الشهوة والشبهة ماتراه مناسباً لها؛ عندئذ ينشأ في الناس اعتقادات وعبادات لامت إلى الوحي بصِلّة، فتتفر منها الفطر السليمة، وتأنف منها العقول الصحيحة، وتأخذ تبحث يمنة ويسرة عن الحق، وتلتمس الهدى، وأنى لها أن تجده وقد اندثر الأثر أو كاد...

بعد ذلك أنعم الله سبحانه وتعالى على البشر فأكرمهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه القرآن وتكفل بحفظه إلى حين رفعه في آخر الزمان، وضمنه منهجاً متكاملأ يصل العبد بربه، ويلبي حاجات الروح والجسد في وقت واحد، متفقاً مع العقل لأنه هو الفطرة السوية بعينها، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى آيات كثيرة في القرآن الكريم الهدف منها بعث العقل من رقدته، وفكاكه من أسره، وعبوديته لغير خالقه، ودعوته إلى التفكير فيما يعرض عليه من أمر النبوة، قال تعالى: (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم^(١)). قال سيد قطب معلقاً على هذه الآية: (إنها دعوة إلى القيام لله بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب فتبعد به عن الله، بعيداً عن التأثير بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة، ودعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة^(٢)).

وبعد أن أثر القرآن أثره وتحرر العقل من لوثة الوثنية رفض زيف التشريع البشري في جميع جوانبه، واستجاب لهذا النداء الخالد في داخله: أن لا استكانة ولا استسلام في ظل هذه الديانات المحرفة، بحث عن منهج يجد فيه استسلام النفس لخالقها فوجده في الإسلام، وما يؤيد ذلك قول أحد المهتمدين: (لا أعرف ديناً آخر يقبله العقل ويجذب الناس إليه، وله من المؤمنين به مثل هذه الجموع الضخمة، ويبدو لي أنه مامن طريق أقرب منه - أي الإسلام - إلى الاقتناع العقلي والرضى بالحياة، ولا أعظم منه أملاً للنجاة في الحياة الآخرة

(١) سورة سبأ، الآية ٤٦ .

(٢) في ظلال القرآن ، تأليف سيد قطب، نشر دار الشروق، ط ٧ ، ١٣٩٨ هـ ، ج ٥ ، ص ٢٩١٤ .

بعد الموت^(١) .

وهذه مهتدية أخرى تحكي أن سبب نفورها من النصرانية: الغموض وعدم المعقولية والألغاز المحيرة فتقول: (فقد كان الغموض يكتنف الديانة النصرانية، وكانت فكرة قتل المسيح عليه السلام بالقوة لإنقاذ الآخرين غير معقولة في نظري، وأقل ما يمكن قوله: هو أن الديانة النصرانية كانت لغزاً محيراً بالنسبة لي؛ فهجرت الكنيسة^(٢) .

ومما يؤيد مذهبتي إليه – من أن التدخل البشري في صياغة النصرانية كان سبباً في تخلي أتباعها عنها واتجاههم نحو الإسلام – قول أحد المهتدين: (بدأت أرتاب في حقيقة كثير من معتقدات الكنيسة، كعقيدة التثليث، وربوبية عيسى، والخطيئة الأولى، ومبدأ الغفران؛ لأنها بدت لي غير معقولة بل ضارة في الآثار التي تحدثها أحياناً، ولا تبرهن على صحتها حتى الأناجيل والكتب المقدسة ذاتها^(٣) .

هذا المهتدي لم يكن حالة شاذة بين هؤلاء المهتدين الذين شملتهم الدراسة^(٤)، وإليك نموذجاً منهم فقد قالت إحدى المهتديات: (الواقع أن هناك عدداً كثيراً من الأفكار التي لم يظمن إليها عقلي، ولم يقبلها فكري^(٥) . وقريباً من قولها قال مهتد آخر: (لم أكن أبداً مقتنعاً في قرارة نفسي بأن عيسى هو ابن الله؛ إن دراستي وقراءاتي يؤكدان كذب هذا الإدعاء^(٦) . وأكتفي بهذه النماذج خوف الإطالة؛ لأن الهدف الاستشهاد لا الاستطراد .

١٠ - الشمول : -

لما أراد الله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة أن يكون الإسلام هو خاتم الرسالات، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء؛ جعل الله الإسلام منهجاً شاملاً، ونظاماً متكاملًا؛

(١) لماذا أسلمنا ، ص ١٢٠ .

(٢) رجال ونساء أسلموا ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٩ .

(٤) انظر مزيداً من الشهادات الماثلة واعترافات هؤلاء بما يؤيد مذهبتي إليه المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، ١٠٥ -

١٠٧ ، ج ٤ ، ص ٦٢ - ٦٣ ، ١١٩ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ج ٥ ، ص ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ج ٦ ، ص ٦ ، ٤١ ، ج ٧ ،

ص ٣٦ ، ٣٧ ، ١١٥ ، ج ٨ ، ص ١٢ ، ٧١ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ص ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ،

١٥٧ ، وكتاب لماذا أسلمنا ، ص ٨٠ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ، وجريدة

المسلمون عدد ٤٣ ، ص ٧٠ ، وعدد ٦ ، ص ٥٢ ، وعدد ١٢ ، ص ٣٧ ، ومجلة حضارة الإسلام ، عدد ١ ، ص ٢ ، ص ٣٧ .

(٥) رجال ونساء أسلموا ، ج ٥ ، ص ١٦ .

(٦) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٢٦ .

حتى يتمكن أتباعه من عمارة الأرض، وإقامة الحق والعدل فيها .
فهذا المنهج بشموله أحاط السموات والأرض، والدنيا والآخرة، والدين والدنيا، والجنة والنار، والجن والإنس والدواب والطيور... فأخبر سبحانه عن خلق السموات وما فيها من أفلاك ومجرات، وما فوق السماء من ملائكة وجنة وكروسي وعرش، وأخبر أن الله فوق ذلك كله سبحانه وتعالى، كما ذكر خلق الأرض ومراحل تكوينها وما تحتها، وأنبا عن هذا الإنسان ومراحل خلقه ورحلته من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء بعد ذلك، ثم بين المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الإنسان في هذا الكون، وكيفية تعامله مع غيره على ضوء هذا المنهج الرباني، ثم المصير الذي هو صائر إليه من جنة أو نار .

هذا المنهج كما تضمن قضايا الاعتقاد والتشريع والتعامل احتوى - أيضاً - على التربية والتزكية للفرد والمجتمع وعلى آداب الطعام والسلام والكلام وقضاء الحاجة... يقول تعالى مؤكداً الشمولية لهذا الدين: (ما فرطنا في الكتاب من شيء^(١)). وأيضاً يقول عز شأنه: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين^(٢)) وقوله: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم^(٣)) .

ويقول أبو ذر رضي الله عنه حاكياً هذا الشمول في هذا الدين: (لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً^(٤)). إذا كان هذا في الطير يقلب جناحيه في السماء فما ظنك بما دونه أو فوقه مما يس حياة الفرد والمجتمع؟؟ .

إذاً فلا غرو أن رأينا نفوساً تهفو إلى هذا البناء الشامخ المتكامل تنفياً ظلالة، وترتضيه مستقراً وملاذاً يعصمها بإذن الله من ريبة الشبهة ونار الشهوة .

ويؤكد ذلك قول أحد المهتمدين عن سبب دخوله في الإسلام وأنه الشمول: (إنه المجموع المتكامل المتناسب والمتماسك من هذه التعاليم الروحية من جانب، والتي ترسم برنامجاً علمياً للحياة من جانب آخر^(٥)). وهذا مهتمد آخر يذكر أن سبب اعتناقه للإسلام هو شموله

(١) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ . قصدت من الاستدلال بهذه الآية الرأي القائل بأن «الكتاب» هو القرآن الكريم .

(٢) سورة النحل ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٤٤ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ، نشر دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ ج ٥ ، ص ١٥٣ ، ١٦٢ .

(٥) لماذا أسلمنا ، ص ٥٩ .

فيقول: (يجب أن اعترف بأنني لا أعرف جواباً شافياً. لم يكن الذي جذبني تعليماً خاصاً من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لانستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية إلى منهاج الحياة العملية، ولا أستطيع أن أقول أي النواحي قد استهواني أكثر من غيرها، فإن الإسلام - على ما يبدو لي - بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً^(١)) إن هذه الشمولية في الإسلام لا تقف عند حد الإعجاب بها ممن اطلع عليها بل تشده إلى الإسلام شداً يؤكد ذلك قول أحد المهتمين: (لو أن أحداً سألني عن أهم شيء أعجبني وشدني إلى الإسلام؟ فلا بد أن أجيب قائلاً: إنني معجب بتعاليم الإسلام الكاملة، فيالها من تعاليم واضحة ومنطقية! فالإسلام يمنحنا منهج حياة كامل يشمل كافة الجوانب الروحية والمادية جميعاً^(٢)) .

١١ - سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم :-

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي، تربى في مكة، وترعرع في قريش صاحبة السادة والقيادة والزعامة. نشأ يتيماً لم يسجد لصنم قط، وكرماً أميناً حتى غدا هذا الوصف منطبقاً عليه قبل تلقيه الوحي وتشريفه بالرسالة، وهو بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاتم الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، أشاد الله بذكره فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم^(٣)) وأكرمه الله فقرن ذكره بذكره فلا تذكر شهادة أن لا إله إلا الله إلا مقرونة بشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ الله العهد والميثاق على كل نبي لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به .

هذا الرسول صلى الله عليه وسلم هو دعوة إبراهيم عليه السلام كما أخبر الله عنه في كتابه أنه قال: (ربنا وأبعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم^(٤))، ونبوة الأنبياء السابقين عليه بنص كتبهم^(٥)، وأكد

(١) مجلة حضارة الإسلام ، عدد ١ ، ٢ ، عام ١٣٩١ هـ ، ص ٢٥ .

(٢) رجال ونساء أسلموا ، ج ٤ ، ص ٦٥ ، وإن أردت استقصاء مزيد من الشهادات حول هذا الأمر فانظر المصدر السابق

ج ٢ ، ص ٩٣ ، ٩٥ ، ج ٤ ، ص ٣١ ، ج ٥ ، ص ٧٣ ، ج ٦ ، ص ٢٠ ، وكتاب لماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٥٢ -

١٥٤ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٢٩ .

(٥) انظر بشارات الأنبياء السابقين على محمد صلى الله عليه وسلم في الفصل الخاص بها من هذا البحث ، ص ٣٣٢ .

ذلك في القرآن فقال تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام أنه قال: (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين^(١)) .

هذا الرسول صلى الله عليه وسلم جمع الله له من الفضائل والمكارم والشمائل ما لم يجتمع مثله لغيره من الأنبياء، فأكرمه الله بالرسالة الخاتمة، واتخذة خليلاً، وعرج به إليه فوق السموات السبع، وكلمه ربه، وفرض عليه الصلوات الخمس، واتحفه بالمعجزة الخالدة والحجة البالغة القائمة إلى أن يشاء الله - وهي القرآن الكريم - وتكفل الله بحفظه إلى أن يرفعه الله في آخر الزمان. وجعله سيد ولد آدم، وحامل لواء الحمد بيده في الآخرة، آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو الشافع المشفع يوم المحشر، وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود، وهو أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له

أكرم الله هذه الأمة بمبعثه؛ فأعزها بعد الذل، وجمعها بعد الفرقة، ودعاها إلى النور بعد الظلمة... فاستجابت ولبت فكانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، دكت على يدها عروش الظلم والاستبداد، وأبيدت أمامها إمبراطوريات الكفر، وأقامت مكانها خلافة راشدة سعدت البشرية بها حيناً من الدهر، ولا تزال طائفة من أمته على الحق منصوره إلى قيام الساعة لا يضرها من خالفها .

هذا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن محط إعجاب أصحابه وتلامذته فقط؛ بل كان محط إعجاب واهتمام محبيه وأعداءه في القديم والحديث^(٢)، وما هذه الشهادات التالية - التي تؤكد أن اطلاع أصحابها على سيرته صلى الله عليه وسلم هو السبب في دخولهم الإسلام - إلا غيبض من فيض في هذا المجال، يقول أحد هؤلاء المهتمين: (كنت مولعاً بقراءة سير الشخصيات العالمية التي أثرت في التاريخ، وعند شخصية محمد صلى الله عليه وسلم كان إعجابي الشديد بهذه الشخصية العظيمة .. أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه شخصية فريدة من نوعها في هذا الوجود؛ لأنها أقامت الدنيا وأعدتها بثورة^(٣)

(١) سورة الصف، الآية ٦ .

(٢) لم أشأ أن أتقل حاشية هذه المقدمة البسيرة بذكر المصدر لكل جزئية وردت هنا، لكن لمزيد من الإحاطة انظر الصحيحين والسنن وكتب السيرة وكتب دلائل النبوة وأعلامها. هذا فضلاً عن أن مذكرته هنا هو ما استفاض واشتهر ولعل في شهرته ما يغني عن الإحالة إليه .

(٣) لا أتفق مع هذا المهتم في وصف الإسلام بالثورة؛ فالإسلام دعوة وليس ثورة .

ما زالت حتى اليوم بدليل من يدخلون في الإسلام... وكذلك شدي من صفاته أنه كان أمياً وعلم أمته كل شيء، وكذلك صبره على المكاره في سبيل نشره الدين الإسلامي الحنيف، كما أنه جاء بأعظم رسالة سماوية^(١). وهذه مهتدية أخرى تنضم إلى هذا الركب المبارك فتعرب عن سبب دخولها الإسلام فتقول: (كنت شديدة الإعجاب بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي كان بعيداً عن الشهوات والنزوات ... ولهذا كان الإسلام طريقه إلى قلبي وعقلي سريعاً؛ فأقبلت عليه غير هيابة^(٢)) .

١٢ - يسر الإسلام : -

إن اليسر في الإسلام هو من أوضح خصائصه وأجلى سماته (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر^(٣)) ويتضح من عدة جوانب هي : -

يسر في المنهج، ويسر في الدخول فيه، ويسر في التطبيق، ويسر في العقوبة، ويسر عند الموت، ويسر في المحاسبة - إن شاء الله - وإليك تفصيل ذلك : -

اليسر في المنهج : هذا الدين ما هو إلا استمرار لدين الله الذي ارتضاه لنفسه وشرف أنبياءه بحمله، فكان الامتداد في جانب العقيدة، وهو تخفيف الإصر الذي كان مفروضاً على من قبلنا (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم^(٤)) ومن جانب آخر فإن هذا اليسر يتأتي من كون الإسلام متفق مع الفطرة، متسق مع العقل، متناغم مع الروح .

اليسر عند الدخول فيه : الدخول في هذا الدين لا يتطلب من صاحبه سوى النطق بالشهادتين ويعدها يكون مسلماً له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، فلا يتوقف دخوله في الإسلام على تقديم قرابين أو إدلاء باعترافات عن ماضيه السابق؛ فالإسلام يجب ما قبله، الداخل فيه يفتح صفحة جديدة بيضاء مع الله .

اليسر في التطبيق : لو لم يكن في هذا إلا قوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم^(٥))

(١) لماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٠٩ - ١١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٩ ، وانظر أيضاً لمزيد من هذه الاعترافات المصدر السابق ، ص ١٥٠ - ١٥١ ، وكتاب لماذا أسلمنا ، ص ١٥٤ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٦٥ ، وكتاب رجال ونساء أسلموا جاء ، ص ٩٠ ، وجريدة المسلمون عدد ١٢ ، عام ١٤٠٢ هـ ، ص ٣٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

(٥) سورة التغابن ، الآية ١٦ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم^(١)) - لكان ذلك كافياً؛ وذلك لأنه لم يرد نهى إلا والمصلحة متحققة في اجتنابه لصالح العبد نفسه، أما الأمر فمتفاوت الدرجات، منه ما كان ركناً، ومنه ما كان سنة، فعلى قدر الاستطاعة تكون الاستجابة. فهذه الصلاة الركن الثاني في الإسلام تؤدي في أي مكان أدركت المسلم فيه الصلاة، ويؤديها المريض على أي وضع يستطيعه، قائماً أو قاعداً أو على جنب، والمسافر له قصرها وجمعها على الكيفيات المذكورة في كتب الفقه، والنائم والناسي يقضيها إذا ذكرها ليس له كفارة إلا ذلك .

اليسر في العقوبة الدنيوية : ذلك أن العقوبة التي فرضها الله في الدنيا على المذنب مكفرة لذنبه الذي ارتكبه، وهي إما أن تكون حقاً لله أو لعباده؛ فإن كانت لله فتقام على صاحبها حماية لنفسه من عذاب الآخرة، وحماية له من الاستمرار في هذا المسلك والاستزادة من عقابه، وردعاً له قبل ذلك عن الوقوع فيها، وحماية لمجتمع من تفشي الفساد والانحلال .

ولا تتحقق هذه العقوبة إلا في أضيق نطاق بسبب القيود التي فرضها الشارع الحكيم على إقامة الحدود من الاعتراف أو البيعة، أما إذا لم تتيسر هذه ولا تلك فأمامه التوبة ترفع زلته، وتكفر سيئته، وتعيده عضواً سوياً إلى أفراد الجماعة المؤمنة .

أما إن كانت هذه العقوبة بسبب جنابة في حقوق المخلوقين فهي متروكة لهم للمطالبة بها أو العفو عنها، وقد رغب الشارع المعتدى عليه بصنوف الترغيبات التي تعينه على العفو رجاء الثواب المضاعف من الله (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله^(٢)) وقوله تعالى : (فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف^(٣)) .

اليسر عند الموت : الموت هو قدر كل مخلوق، فهو في حياة المسلم نقلة من دار العمل إلى دار النعيم، وتحول عن دار النصب والكبد إلى دار الراحة والسرور، وهو خروج من سجن الدنيا إلى جنة الخلد. وهو في حياة الكافر أمر آخر مغاير تمام المغايرة، فهو خروج

(١) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الاعتصام بالسنة . باب ٢ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحج ، حديث ،

٤١٢ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٨ .

من جنة الدنيا إلى سجن سرمدي أبدي يلقي فيه صنوف العذاب وألوان العقاب، قال تعالى: (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون^(١)) وقال تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون^(٢)) وقال سبحانه في وصف حال موت الكفار والفجار: (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق^(٣)). وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حال الموت لكلا الفريقين وفصله تفصيلاً طويلاً^(٤). فانظر تمام اليسر هنا ، وتمام العسر هناك .

يسر المحاسبة في الآخرة : لو لم يذكر في هذه الجزئية إلا هذا الحديث القدسي الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله: (يقول الله عز وجل: من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة^(٥)) لكان ذلك كافياً، فأبي يسر أعظم من هذا؟؟.

هذا الدين هو اليسر بعينه، وهو الرفق كله، كيف لا وهو شرع أرحم الراحمين الذي قال: (إن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً^(٦)). هذا هو - والله - اليسر وماعده هو العسر؛ عسر يؤدي بصاحبه إلى التشمت والضياع، ويدفعه إلى القلق والحيرة والتعاسة في الدنيا والآخرة، فمن استغنى عن الإسلام كله فله العسر كله، ومن ترك جزئية منه لقي من العسر بقدر ماترك من يسر الإسلام .

إذاً فلا تستبعد إذا رأيت أفواجاً تدخل في دين الله راغبة في يسره، لاثذة به من عسر الكفر والضلال، يقول أحد المهتمين: (هذه أهم الجوانب في الإسلام التي أثرت في نفسي: أولاً بساطة تعاليمه وطريقة الحياة البسيطة المستقيمة التي يحيها المسلمون المتمسكون

(١) سورة النحل . الآية ٣٢ .

(٢) سورة فصلت . الآية ٣٠ .

(٣) سورة الأنفال . الآية ٥٠ .

(٤) انظر هذا الحديث بطوله في مسند الإمام أحمد ، ج ٤ ، ص ٢٨٧ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٥) المصدر السابق، ج ٥ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، وسنن الترمذي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ،

نشر دار الفكر بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، في أبواب الدعوات . ج ٥ ، ص ٢٠٨ .

(٦) سورة الشرح ، الآية ٦٠٥ .

بتعاليم الإسلام^(١). ونشفع ذلك بشهادة مهتد آخر رأى في الإسلام بساطته وسهولته ويسره إذ يقول: (لقد لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها؛ فليست هناك أسرار ولا أُلغاز^(٢)).

١٣ - التوفيق بين المادة والروح :-

خلق الله الإنسان من سلالة من طين^(٣)، ونفخ فيه من روحه، فتكوّن من طبيعتين، وخلق من عنصرين، فالجانب المادي فيه يميل إلى ثقله الأرض وما فيها من متعة وشهوة، والجانب الروحي يسمو إلى السماء طلباً للطائف العلوية، ثم أرسل الله إليه الرسل وأنزل إليه الكتب، فكانت هذه الرسالات من لدن نوح إلى محمد صلى الله عليهما وسلم الصادرة من الحكيم الخبير الذي أحسن كل شيء خلقه فقدّر له ما يناسبه من تشريع وتنظيم، فكانت هذه الشرائع تلبي متطلبات الجسد المنتسب إلى سلالة الطين، كما أنها تروي الجانب الروحي المنبعث أصلاً من الله؛ فهي تبيح له ما يقوم به أود هذا الجسد من مطعم ومشرب وملبس وشهوة مما فيه استمراره وتناسله، وحفظه وقماسكه، وتحرم عليه كل ما فيه ضرره وعطبه مما يلحق بالفرد والنوع الإنساني بصفة عامة الضرر والنقص والانحطاط .

كما تبين له المنهج القويم والصراط المستقيم الذي يضمن للروح أن ترفرف بين جنبات البدن في فرح وحبور؛ ذلك لأنها عرفت طريقها إلى بارئها ومنشئها، فتجد في لذة القرب ومناجاة الرب الغذاء الكامل الذي يضمن لها الاستمرار على هذا المنهج والاستزادة منه رغبة في اشباع الجانب الروحي في الإنسان .

لكن يوم أن ابتعدت البشرية عن منهج الله، سواء كان هذا الابتعاد قبل الرسالة الخاتمة حين اعتمدت في عباداتها ونظام حياتها على منهج محرف تدخلت فيه اليد البشرية فصرفته عن وجهته - تكبدت البشرية الشقاء، وحصدت التعاسة، وجنت الخذلان، أو كان هذا الابتعاد في وقتنا الحاضر حين عبد الإنسان نفسه واتبع هواه فشرع البشر للبشر، وتسلط البشر على البشر - ولأن الإنسان خلق ضعيفاً عاجزاً - فكان تشريعه هو العجز

(١) رجال ونساء أسلموا، ج ٤، ص ١٤٢، وانظر بقية هذه الجوانب في هذه الصفحة المشار إليها .

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٤، وانظر أيضاً المصدر السابق ج ٤، ص ١٢١، ١٢٧، ١٤٤، وكتاب لماذا أسلمنا، ص ٦٢، ١٠٢ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) سورة المؤمنون، الآية ١٢ .

والضعف والقصور بعينه؛ فأنتج إلحاداً وقلقاً، وأثر إجراماً بدد سكون الأمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى تغلب الجانب المادي في حياة البشر - إلا من عصم الله - على الجانب الروحي؛ فعطلت الشرائع الربانية، وعمت الأواصر الإنسانية، وطفت المحسوسات على الأمور الغيبية، فشقيت الإنسانية شقاءً لا يرفعه عنها إلا الانضواء تحت لواء الإسلام والاهتداء بهديه والعمل بمنهجه .

وأحياناً أخرى يطغى الجانب الروحي - على غير هدى - على الجانب المادي؛ فيحدث رهبانية مقبته، وتصوفاً مذموماً يعطل الجسد ويقتله، وانعزالاً عن المجتمع، واعتصاماً بالأديرة ورؤوس الجبال؛ رغبة في إرواء الروح وتعذيب الجسد ظناً منهم أن في ذلك خلاصاً للروح وارتقاء بها وتهذيباً لها، وهو في الحقيقة انتكاس وارتكاس وانحطاط .

لقد جاء الإسلام ومن قبله الرسالات السابقة بالاعتدال في هذا المسلك، واعتبر الروح والمادة أو الغيب والشهادة كجناحي طائر لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولقد أخبر كثيرون من فقدوا هذا التوازن في حياتهم - أنهم وجدوا في الإسلام بغبتهم، يقول أحدهم معبراً عن ذلك: (لقد وجدت في الإسلام الإجابات الشافية عن هذه الأسئلة، فعلمت أن للجسد حقاً علينا كالروح تماماً، وأن الحاجات الجسدية هي في نظر الإسلام غرائز طبيعية تستحق الإشباع، وليست أموراً شريرة مستقذرة، بل لا بد من إشباعها من أجل أن يعيش الإنسان قوياً منتجاً فعالاً، إلا أن الإسلام قد وضع قواعد أساسية لإشباع هذه الحاجات على أسس سليمة تحقق الرضى للنفس بأوامر الله^(١) . وهذا مهتد آخر ذكر عدة أمور أعجبتني في الإسلام أذكر منها مايتعلق بهذا السبب، إذ يقول: (ثالثاً: ماحققه - أي الإسلام - من تآلف بين الناحيتين المادية والروحية في الحياة البشرية^(٢)) .

١٤ - الأخوة في الإسلام : -

هذا المظهر من أبرز المظاهر التي تميز الجماعة المسلمة عن سائر الجماعات؛ ذلك لأنه مؤصل في أفرادها، مؤثر في كيانها، يظهر من خلاله بعض عناية الله بهذه الأمة: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف

(١) رجال ونساء أسلموا ، ج ٨ ، ص ١٩ .

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ١٩٥ .

بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً^(١) . إذ جعل الرابط بينهم ديناً مستمراً يتقربون إلى الله باستمراره، ويجنون ثماره في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة .

هذه الأخوة بين المسلمين لا تجمد لها مثيلاً في أي أمة من الأمم السابقة أو اللاحقة؛ ذلك لأن الطريق إليها هو الإسلام، والموثق بينها هو السلام: (أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم^(٢)) ، ولأنها أخوة بين المتعاصرين، وأخوة بين السابقين واللاحقين تتميز بعض مظاهرها بينهم باستبشار السابقين باللاحقين: (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون^(٣)) ويدعاء اللاحق للسابق: (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان^(٤)) ذلك لأن العلاقة بينهم ليست علاقة نسب أو دم محدودة بإطار الرحم أو القبيلة، ولا علاقة مصلحة أو منفعة تنفصم عراها بانتهاها وزوالها؛ بل هي علاقة إيمانية بين بعضهم البعض، وعلاقة إلهية بينهم وبين الله: (حقت محبتي للمتحابين في^(٥)) .

هذه الأخوة لا تنتهي بانتهااء الدنيا بل هي مستمرة - أيضاً - في الآخرة قال تعالى مخبراً عن هذه الأخوة في الآخرة: (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين^(٦)) وليست كالأخوة بين المجرمين والكفار التي يكون الرابط فيها المصلحة والمنفعة، ونتيجتها في الآخرة بوضوحها قوله تعالى: (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً^(٧)) .

ولقد تمثلت هذه الأخوة في حياة الصحابة أصدق تمثيل، ولعل أجلى مظاهرها المؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار. وما زالت هذه الأخوة تتوارثها الأجيال المسلمة إلى يومنا هذا وستستمر - إن شاء الله - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذه الأخوة الظاهرة بين المسلمين استهوت الكثيرين من غيرهم لما لمسوا نتائجها فتتبعوا مصدرها فوجدوه الإسلام

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، حديث ٩٣ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٧٠ .

(٤) سورة الحشر ، الآية ١٠ .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ .

(٦) سورة الحجر ، الآية ٤٧ .

(٧) سورة العنكبوت ، الآية ٢٥ .

الذي يؤلف بينهم؛ فأعلنوا إسلامهم رغبة في الاستقلال بظله الوارف، والتمتع بهذه المزية التي لا توجد في غيره، يقول أحد المهتمين موضحاً هذا الجانب: (كان الترابط الذي كان عليه هؤلاء فريداً من نوعه، عجبياً غريباً لم أراه في حياتي من قبل ... ورحت أتعرف على الدين الذي ينادي بهذا الترابط والتعاون ... فعرفت أنه من شيم المسلمين، وبدأت أتعرف على الإسلام حتى اقتربت منه... وأصبحت مسلماً^(١)) ويؤكد مهتم آخر أثرت الأخوة في إسلامه فيقول: (لقد تركت روح الأخوة التي غمرت هذا الجمع من الناس على اختلافهم أثراً لا يمكن أن يزول من نفوسنا^(٢)). ولما سئل أحد المهتمين عن الشيء الذي اجتذبه للإسلام؟ ذكر ست نقاط اجتذبت للإسلام، وكان من بينها الأخوة إذ يقول: (مبدأ الأخوة في الإسلام يمتد ليشمل البشرية عامة بغير اعتبار للون أو الجنس... وينفرد الإسلام بين كل الأديان في أنه الوحيد الذي طبق هذا المبدأ عملياً^(٣)) .

١٥ - المساواة في الإسلام : —

خلق الله هذه البشرية من سلالة رجل واحد وامرأة واحدة، فتكاثر ذرياتهم، وتناسلت أجيالهم فكانت شعوباً وقبائل، فجاءتهم الشياطين فأوحى إلى أمة منهم أن فيكم آلهة وفيكم عبيد، وإلى أمة ثانية أنكم أبناء الله ، وإلى أمة ثالثة أنكم وسائر بني قومكم تتكونون من خمس طبقات أعلاها مخلوق من رأس الإله وأدناها طبقة المنبوذين، وإلى أمة رابعة بأنهم يجري في عروقهم دم خاص، وأنهم الشعب المختار.. وآخرين أوحى لهم شياطينهم بأن للون مزية وللقبيلة والطائفة تميز ومكانة بذاتها؛ فاضطهدت هذه الأمم والطوائف من دونها - في نظرهم - واستعبدتهم، وسنت القوانين ونظمت الأنظمة التي تعطي هذه الفئة أو الطبقة كل الحقوق، وتبيح لها أن تسلب وتعاقب وتهلك من تشاء من غيرها، وتوارثت هذه الطبقة الأمم، وتعاقبت الأجيال كأنها سنة من سنن الله في الكون، أو كأنها مسلمة من مسلمات التاريخ لاتقبل النقاش، بل تجاوز الأمر ذلك وأصبحت هذه الطبقة مدعاة فخر واعتزاز تفاخر بها القبيلة، وتذم من لم يلحق بها عن دونها - كأن هذا

(١) لماذا أسلم هؤلاء ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ٢٠٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١١ . وانظر أيضاً لماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٢٥ ، ١٢٩ ، وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١١٣ ، ورجال ونساء أسلموا ج ٢ ، ص ١١١ ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .

الانتساب من صنعها وإرادتها - ولقد صور رسول الله صلى اله عليه وسلم هذه الحال التي كانت في الجاهلية فقال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأ حساب، والطعن في الأنساب...^(١)) .

ولقد غاب عن هؤلاء جميعاً أن مقياس التفاضل والاعتبار ليس بالانتساب إلى أمة أو قبيلة؛ إنما هو بالتقوى والصلاح، كما غاب عنهم أمر آخر وهو أن هذه البشرية كلها ذرية رجل واحد فلا تميز ولا تفاضل من حيث الانتساب، كما غاب عنهم أيضاً أن الولادة في هذه الأمة أو القبيلة ليس من صنع الإنسان واختياره حتى يفخر به؛ إنما هي إرادة الله .

ولما جاء الإسلام كان من مبادئه العظام المساواة الكاملة، فلا اعتبار للون أو جنس أو نسب أو مكان ، ولا فرق بين أبيض و أسود، ولا بين عربي وأعجمي، ولا فضل لقرشي على غيره، كما أنه لا فرق بين غني وفقير أو أمير وحقير؛ لأن جميع أفراد هذه البشرية التي تدعي الطبقية هم أبناء رجل واحد هو آدم، وآدم من تراب، فالكل أمام شرع الله سواء، وفي الحديث الشريف: (إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها^(٢)) وكذلك هم سواء أمام عدل الله في اعتبار الجزاء الأخروي قال تعالى: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة^(٣)) إذا فالاعتبار بالعمل الصالح بعد الإيمان، وقال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم^(٤)) .

هذه المساواة في الإسلام عندما تلوح إلى فرد أو أفراد من غير المسلمين يرونها شيئاً غريباً، وبناء فريداً، وتنظيماً بديعاً؛ فتسترعى انتباههم لأول وهلة، ثم تستقطبهم إلى مصدرها وهو الإسلام فيدخلون فيه أفواجا، يعبر عن هذا أحد المهتمين قائلاً: (ولم أعرف كيف يصلي المسلمون، ولكن عندما رأيتهم معاً في صف واحد، شاهدت المساواة في أجلى معانيها فالأبيض والأسود واقفان معاً كتفاً بكتف، والجميع يسجدون ويركعون في وقت واحد، ليس هناك سادة ولا عبيد؛ كانت تلك اللحظات التي أمضيتها في المسجد نقطة

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، حديث ٢٩ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الأنبياء ، باب ٥٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود ، حديث ٨ ، ٩ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٢٤ .

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

تحول خطير في حياتي^(١)). وهذا مهتد آخر يؤيد ما ذهبت إليه فيقول: (أعظم ما عرفت في الإسلام دعوته للمساواة وحب الناس، فلا فرق بين أبيض وأسود، وغني وفقير، الكل سواسية عند الله^(٢)). .

١٦ - تقدير الإسلام للعقل : -

العقل في كل الشرائع الإلهية هو مناط التكليف وموضع التقدير، وإذا سلب من صاحبه رفعت عنه الأمانة، وسقطت عنه المحاسبة، وتساوى مع سائر العجماءات، وهو أحد الوسائل الثلاث^(٣) الهامة التي امتن الله بها على عباده؛ ليتمكنوا من خلالها من السعي في هذه الأرض على نور من ربهم، وكثيراً ما يذكرهم بها سبحانه ويدعوهم إلى شكره عليها قال تعالى: (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون^(٤)). .

لكن يوم أن تخلى الإنسان عن وحي ربه ومصدر هدايته وسعادته، واكتفى بما توارثه عن آبائه من عبادة خرافية، وعقيدة إسطورية، أو اعتمد في عبادته على كتب دونتها يد الإنسان بعد أن تلاعب بها الشيطان - ولما رام هذا الإنسان التعبد على ضوئها والاهتداء بهديها؛ قاده في حين إلى دياجير الظلمة ودركات الهلاك، وفي حين آخر إلى تناقض وقلق وحيرة، يطلب منها الهداية وتمنحه الضلال، ويبتغي منها السعادة فتورثه الشقاوة .

هنا حصل الشقاق والافتراق بين أصحاب العقول وأولي الأبواب وبين أتباع هذه الأديان المحرفة والوضعية؛ فبهيم الفرد منهم على وجهه يلتمس ما يتوافق مع عقله، وتقبله فطرته، فينتقل من دين إلى آخر ومن نحلة إلى أخرى حتى يدركه أجله أو يجد ضالته، وأيم الله لن يجدها إلا في الإسلام الذي قدر العقل حق قدره، واعتبره موضع التكليف، ومحل التكريم، فلم يكن الإسلام كاليهودية التي ادعت أن البشر أغنى من الله^(٥) - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ولا كالنصرانية التي ادعت أن الله دخل في رحم مريم ومكث تسعة أشهر وخرج كما يخرج الأطفال وعاش صغيراً ونشأ وترعرع... إلخ تعالى الله عن

(١) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣١ . ولزيد من الاعترافات انظر لماذا أسلمنا ، ص ١١١ .

(٣) هذه الوسائل الثلاث هي : السمع والبصر والفؤاد (العقل) .

(٤) سورة الملك ، الآية ٢٣ .

(٥) قال تعالى مخبراً عن افتراء اليهود على مقام الأكوهية : (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياه) .

سورة آل عمران ، الآية ١٨١ .

هذا الإفك .

وتقدير الإسلام للعقل تجده في كتاب ربنا مبثوثاً في ثناياه إذ تكررت لفظة «يعقلون» و «تعقلون» في القرآن في ست وأربعين موضعاً، كما تكررت لفظة «يتفكرون» و «تفكرون» و«يفقهون» عدة مرات، وكل هذه الأفعال مكانها العقل ومردّها إليه، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنك لا تجد في هذا الشرع المطهر أمراً أو نهياً إلا والعقل يؤيده ويدعو إليه، فضلاً عن أن يعارضه أو ينفر منه .

إذاً فلا غرو أن وجدنا من هجر دينه ونحلته إلى غير رجعة وظل يبحث عن منهج يجده متفقاً مع عقله، مستجيباً لفظرته، وحين اهتدى إلى الإسلام أعلن بكل صراحة وتجرد أن هذا الدين هو ما كان يبحث عنه، ويأمل أن يأوي إليه، يقول أحد المهتمين عن هذا الجانب في الإسلام: (من روائع الإسلام أنه يقوم على العقل، وأنه لا يطالب أتباعه أبداً بإلغاء هذه الملكة الربانية الحسنة، فهو على النقيض من الأديان الأخرى التي تصر على أتباعها أن يتقبلوا مبادئ معينة دون تفكير ولا تساؤل حر^(١)). ومهتدية أخرى اجتذبتها نحو الإسلام احترامه للعقل تقول: (وكننت قد بدأت قراءة ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، وكانت هذه القراءة الأولى سبباً كافياً لاعتناقي الإسلام؛ فهو دين يحترم العقل، وليس به أي فرض أو أية نقطة غير واضحة، أو تؤخذ على علاتها كما في الديانات الأخرى^(٢)) .

١٧ - تحريم الإسلام شرب الخمر وأكل لحم الخنزير : -

في هذا العصر الذي سادت فيه صناعة الآلة، وشملت كثيراً من مناحي الحياة، ودخلت كل بيت، وحلقت في كل سماء، وغاصت في كل بحر - صاحب ذلك عرف تجاري وهو ضرورة وجود «دليل التشغيل» مع كل جهاز له شأن - وهذا الدليل صنفه مخترع هذا الجهاز الخبير بما يصلحه وما يضره - يتضمن كيفية التشغيل وعوامل بقاء هذا الجهاز، وتحذيرات الاستخدام، وطريقة الصيانة... فإذا امتلك الفرد جهازاً من هذه الأجهزة سارع لتفحص هذا الدليل المشار إليه وحاول تطبيقه بغاية العناية، وأن يضع هذه التحذيرات الواردة فيه موضع الاهتمام؛ حرصاً منه على بقاء هذا الجهاز، وطلباً لاستمراره واستدامته،

(١) رجال ونساء أسلموا ، ج ٧ ، ص ٦ .

(٢) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٦١ ، وانظر أيضاً لماذا أسلمنا ، ص ١١١ .

وبعداً عن عطبه وخرابه، وقد يكون ثمن هذا الجهاز دراهم معدودة إذا تعرض للتلف^(١) .
ضربت هذا المثل للتقريب - ولله المثل الأعلى - فالله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان
وزوده عبر الرسائل والكتب بمنهج حياة متكامل تضمن دلالة العبد إلى خالقه، وكيفية
تعبده له، وبين له من خلاله طريق الخير ليسلكه وطريق الشر ليجتنبه، ووضح له مواطن
العطب ليبتعد عنها، ومواطن السلامة ليطلبها، كما حذر من مغبة الوقوع في المحظورات،
ورغبه في طلب الأمور التي قال تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون^(٢))؛ وذلك حماية لروحه وجسده
من العطب والهلاك في الدنيا والآخرة .

ولكن الإنسان كثيراً ما يحرص أشد الحرص على اتباع التعليمات المتعلقة بجهاز تافه لا
يساوي مثقال ذرة أمام جسده نفسه، ويهمل - بل أحياناً يتعمد - أوامر ربه ونواهيته
المتعلقة بجسده وروحه الذي إذا عطب فقد عطب وتلف، ولا يمكن استبداله بغيره وإكمال
المسيرة بدونه؛ وعند ذلك يجني ثمره ذلك التصرف الأهوج والتهاون الأرعن - أمراضاً
فتاكة في هذه الحياة، وقلقاً وحيرة وصراعاً نفسياً قد يؤدي به إلى الجنون والانتحار، وفي
الآخرة عذاب شديد وسخط من الله .

والأدهى من ذلك أن تستعيب الإنسانية عن كتاب ربها ومنهج حياتها بمنهج بشري
وكتاب دنيوي لا تفتأ من حين لآخر تعيد صياغته واستبداله بمائل له؛ لأنها لم تجد فيه
السلامة من العطب، ولا الراحة من النصب .

وحينما يواجه بعض أفراد هذه الإنسانية المعذبة رجالاً لديهم من الأوامر والزواجر مالم
يألفوه في سالف أيامهم؛ فينشأ لديهم تساؤل عن مصدر هذه الأوامر فتأتيهم الإجابة: بأن
لدينا المنهج الرباني المتكامل الذي بعض أحكامه هي: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر
والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون^(٣)) و (حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير^(٤)) . فلا يسعهم حينئذ إلا الإذعان له والتسليم بموجبه،

(١) قريب من هذا المثل ذكره العلامة سيد قطب في ظلاله ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٩٠ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٣ .

والدخول تحت لوائه .

يتحدث أحد المهتدين عن الرجل الذي كان سبباً في هدايته - بعد الله - فيقول: (لفت انتباهي حين امتنع عن قبول كأس من الخمر...غلب عليّ حب الاستطلاع؛ فلم أر قبله إنساناً يمتنع عن شرب الخمر... ولكنها هداية الله سبحانه التي ثبتت في نفسي هذه الرغبة العارمة في الذهاب إليه والتعرف عليه، أخبرني أنه لا يشرب الخمر لأن دينه يحرمها... سألته عن دينه وماذا يأمر به؟ وماذا يحرم؟ فأجاب عن كل أسئلتني في سعادة بالغة...حتى شرح الله قلبي للإسلام^(١) . ومهتدية أخرى كانت تعمل موظفة لدى رجل مسلم فتقول: (دعي إلى حفل وكنت مرافقته، وعرض عليه الخمر فرفض^(٢) وسألته؟ فقال: إن ديني الإسلام يحرم الخمر، ثم عرض عليه أكلة فيها لحم خنزير فرفضه؛ لأن دينه يحرم عليه لحم الخنزير.. ثم تكاثرت أسئلتها حول الإسلام وتعلقها به ووجدت فيه ضالتها ثم أسلمت^(٣) .

١٨ - الطهارة والنظافة : -

إذا انقطع الإنسان عن الوحي ارتكس في حيوانيته وساوى البهائم والأنعام، بل قد يكون أضل؛ فيتصرف حسبما توحى إليه غرائزه وشهوته، ويأنف من كل تصرف يخالف ذلك أو يفارقه، سواء كان هذا التصرف اعتقاداً أو سلوكاً؛ يؤيد ذلك أن الجاهلية السابقة والمعاصرة ترفض الجانب الاعتقادي الناصع الذي دعت إليه الرسالات الإلهية، وتنزلت به الكتب قال تعالى عن المشركين: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون^(٤)). ومما وقف الشرق والغرب اليوم عن هذا ببعيد .

أو كان هذا التصرف سلوكياً كالبعد عن المحرمات والتطهر من النجاسات؛ فإن الجاهلية في كل عصورها ترفضه، ويدل لذلك موقف قوم لوط منه إذ قالوا كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم

(١) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٥٥ .

(٢) هذه التصرفات كمرافقة النساء الأجنبية ، وحضور موائد الخمر لا تليق بمسلم .

(٣) لماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٣١ ، ١٣٤ ، وانظر ، ص ٤٣ منه ، وانظر لمزيد من الشهادات: كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ،

ص ١٢٦ ، ١٥٤ ، ورجال ونساء أسلموا ، ج ٦ ، ص ١٢٥ ، ولماذا أسلمنا ، ص ١٣١ ، ١٣٤ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية ٥٢ .

أناس يتطهرون^(١)). وهذا الموقف تفقه الجاهلية في كل أطوارها من المتطهرين .
لكن الرسائل الإلهية والإسلام على وجه الخصوص قد عنيا عناية فائقة بالطهارة
الحسية و المعنوية، وبعبارة أدق طهارة الروح وطهارة الجسد، وتكون طهارة الروح بتنقيتها
من أحوال الشرك، وأوضاع المعصية، والتحليق بها في أجواء إيمانية ريبانية؛ ولا أدل على
هذا المعنى من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في ثاني سورة أنزلت عليه - بل هي
السورة التي أرسل بها - وهي سورة المدثر: (وثيابك فطهر^(٢)). وقوله تعالى: (إنما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً^(٣)). وطهارة الجسد بتنقية ما يلامسه
من الملابس والفرش، وتطهيره عن النجاسة عموماً والغسل من الجنابة والوضوء من وجبه؛
وقد رتب الشارع على هاتين الطهارتين الحسية والمعنوية أموراً نذكر بعضاً منها
١ - الطهارة من الشرك تورث مغفرة الله ورضوانه، والدليل قوله تعالى: (إن الله لا
يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(٤)). وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه
عن ربه: (ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة^(٥))
٢ - الطهارة من النجاسة الحسية رتب عليها الشارع مغفرة الذنوب والخطايا والدليل قوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه أنه قال:
فقلت يا نبي الله! فالوضوء حدثني عنه؟ قال: ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض
ويستنشق فينتثر؛ إلا خرّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه^(٦)) .
٣ - التمييز يوم القيامة بين الأمم؛ وذلك بظهور الغرة والتحجيل، قال عليه الصلاة
والسلام: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء^(٧)) .
إذاً فلا عجب إذا تبين أن هذا الجانب العظيم في الإسلام - الذي يعتبر تصرفاً مغايراً لما
اعتاده أهل الكتاب - كان سبباً في دخول بعض المهتدين في الإسلام يقول أحد المهتدين:

(١) سورة الأعراف ، الآية ٨٢ .

(٢) الآية ٤ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

(٥) انظر تخريج هذا الحديث في السبب الثاني عشر من هذه الأسباب ص ٤٨ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، حديث ٢٩٤ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، باب ٣ .

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يبدأ بالطهارة قبل الصلاة، وهي شرط أساسي قبل الوقوف بين يدي الله^(١) ومهتد آخر يذكر أن سبب إسلامه هو سكوت دينه السابق سكوتاً تاماً عن الطهارة قبل أداء الشعائر الدينية — الأمر الذي دفعه إلى ترك دينه واعتناق الإسلام^(٢).

١٩ - العفو :-

رغب الله سبحانه وتعالى في العفو وحث عليه ووعد بالأجر الجزيل عليه في الآخرة فقال تعالى: (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم^(٣)) وقال تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله^(٤))؛ وذلك لعظيم أثره في تأليف القلوب، وتراص الصفوف، ورفع الإحن والأحقاد بين أفراد الأمة المسلمة، بل جعله الله من صفات المؤمنين المحسنين فقال تعالى: (الذين ينفقون أموالهم في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين^(٥)) .

هذا العفو الذي رتب له سبحانه هذا الأجر العظيم، وجعله من صفات المحسنين ليس مقصوراً على أفراد الأمة المسلمة؛ بل يتعدى ذلك حتى يكون براً بغير المسلم قال تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم^(٦)). وفي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها (قالت: قدمت عليّ أُمِّي وهي مشرّكة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: إن أُمِّي قدمت وهي راغبة أفأصل أُمِّي؟ قال: نعم صلي أُمك^(٧)) .

هذه الآيات والأحاديث التي تقدمت لا بد أن يكون لها أثر ظاهر في حياة الأمة المسلمة يلحظه كل من يتعامل معها على وجه العموم، أو يتعامل مع فرد من أفرادها؛ فيؤثر فيه

(١) رجال ونساء أسلموا ، ج ٨ ، ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٧ ، ٦ .. وانظر لمزيد من هذه الاعترافات كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٦٥ .

(٣) سورة التغابن ، الآية ١٤ .

(٤) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٣٤ .

(٦) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٧) كتاب الهبة ، باب ٢٩ ، واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة حديث ٥٠ .

هذا التعامل فيدخل في الإسلام طائعا مختاراً، يعبر أحد المهتمين الذي لمس هذا الجانب في الإسلام في أكثر من صعيد إذ يقول: (لقد راعني حقاً تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه: سماحة في السلم، سماحة في الحرب، ولين مع أهل الكتاب^(١)).

٢٠ - احترام المرأة في الإسلام :-

رفع الإسلام شأن المرأة وقدرها حيث قرر أن النساء شقائق الرجال فقال صلى الله عليه وسلم: (إنما النساء شقائق الرجال^(٢))، وراعى الشارع فطرة المرأة وطبيعتها تكوينها فأوصى بها الرجال، فقال صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء^(٣)) وقال أيضاً: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر أو قال غيره^(٤)). وألزم الشارع الزوج بالنفقة على زوجته وإن كان فقيراً قال تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله^(٥)).

وساوى بين الرجل والمرأة في الوصف الدنيوي والجزاء الأخروي فقال تعالى: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات... إلى قوله تعالى: (أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا^(٦))، واعتبرها الإسلام درة مصونة وجوهرة مكنونة، وأمرها بالقرار في البيت^(٧) فلا تخرج منه إلا لحاجة؛ فإذا احتاجت الخروج أمرها أن تستتر وتحتجب^(٨)، وأبعدها عن مواطن التهم ومزائق الأقدام فقال تعالى: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن^(٩)).

هذه بعض جوانب احترام الإسلام للمرأة، فلننظر كيف اعتبرت الأديان الأخرى: لقد

(١) رجال ونساء أسلموا، ج ٧، ص ١٠.. وانظر لمزيد من ذلك لماذا أسلمنا، ص ٧٤، ١١٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٦، ص ٢٥٦، ٣٧٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ١ واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب الرضاع، حديث ٦٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، حديث ٦١.

(٥) سورة الطلاق، الآية ٧.

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

(٧) قال تعالى: (وقرن في بيوتكن ولا تهرجن تهرج الجاهلية الأولى) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٨) قال تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) سورة الأحزاب، الآية ٥٩.

(٩) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

سلبتها الديانة البرهمية حرمتها ولم تجعل لها من أمرها شيئاً، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أمّاً، ومن تشريعاتهم بهذا الخصوص: (تعيش المرأة وليس لها خيار، سواء كانت بنتاً صغيرة أو شابة أو عجوزاً؛ البنت في خيار أبيها، والزوجة في خيار بعلها، والأرملة في خيار أبنائها، وليس لها أن تستقل أبداً^(١)). أما الديانة اليهودية فنظرت إليها نظرة ازدراء واحتقار^(٢). واعتبرتها الديانة النصرانية شيطاناً رجيماً، وروحاً نجساً، واختلفوا حولها هل لها روح أم لا؟. وبعد ذلك ترى الغرب اليوم ينتهك المرأة انتهاكاً تاماً، ويعتبرها متاعاً يتمتع به حال نضرت ثم يتخلص منه بعد ذلك، وسلبها عفافها وحرمتها؛ فليس لها أن تمتلك التملك التام، مع أن اسمها يلحق اسم زوجها بعد الزواج، وفي نهاية أمرها لا تجد من يحفل بها من ولد أو زوج؛ فتكون رهينة الملاجئ وأسيرة المصحات. فإذا تربي الفرد في بيئة تنظر للمرأة هذه النظرة وتحكم عليها هذا الحكم، ثم صادف ديناً يحمل بين طياته هذا الاحترام للمرأة؛ فإنه يأوي إليه فرحاً مسروراً، يعبر عن ذلك أحد المهتمين فيقول: (اكتشفت أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أجد فيه حلاً جذرياً لمشكلتي؛ إنه هو الدين الذي يرد للمرأة إنسانيتها، ويعترف لها بكرامتها التامة، ويحترمها ويمنحها كافة الحقوق^(٣)) وهذه مهتدية تشفع رأي هذا المهتم فيقول: (على أنني بعد أن قررت أن أنضم إلى ركب المسلمين وجدت أن هناك أسباباً أخرى كثيرة ... ثم ذكرت منها: هذا الإقرار الرائد بتقرير حق الملكية للمرأة^(٤)) .

٢١ - رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام :-

الرؤيا حق، وأصدقها رؤيا الأنبياء؛ لأنها من الوحي، ومصداق ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: (أول ما بُدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح^(٥)) . والرؤيا على ثلاثة أضرب :-

(١) مقارنة الأديان ، تأليف د. أحمد شلبي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، ط ٦ ، ١٩٨١م ج ٤ ، ص ٧٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٨ - ٣١٠ .

(٣) رجال ونساء أسلموا ، ج ٧ ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) لماذا أسلمنا ، ص ١٠٢ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ١ .

١ - رؤيا صالحة فهذه بشرى من الله .

٢ - رؤيا تخزين من الشيطان .

٣ - رؤيا مما يحدث المرء نفسه^(١) .

وإذا أراد الله بعبد خيراً وفقه للصدق فلا تكون رؤياه إلا حقاً قال صلى الله عليه وسلم:
(أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً^(٢)) ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة^(٣) .
ورؤيا غير الأنبياء ليست وسيلة من وسائل تلقي العلم الشرعي كما جعلها الصوفية
والمبتدعة؛ لكن إن رؤيت في أمر خير من رجل صالح أو لرجل صالح فيستأنس بها؛ لأنها
حينئذ تكون من المبشرات فقط، ومن هذه المبشرات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام، فإن من رآه في المنام فقد رآه حقاً إذا علم من هذه الرؤيا أنها تتماثل مع ما عرف
عنه صلى الله عليه وسلم من الصفات الظاهرة، إذ الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه
وسلم حيث يقول: (من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي^(٤)) .
فمن أراد الله به خيراً وفقه لرؤيته مناماً؛ حتى تكون سبباً في اقتفاء سنته، والاهتداء
بهديه، والسير في ركابه^(٥) .

٢٢ - مخالطة المسلمين : -

كانت إحدى غايات هذه الرسالة الخاتمة إتمام مكارم الأخلاق قال صلى الله عليه وسلم:

(١) انظر صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ، حديث ٦ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ، حديث ٦ .

(٣) انظر نفس الحديث السابق .

(٤) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب العلم ، باب ٢٨ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الرؤيا حديث ١٠ ،

١١ .

(٥) انظر المراجع التالية التي ذكرت خبر من كانت رؤيته صلى الله عليه وسلم سبباً في إسلامهم، وهي: إفتحام اليهود،
تأليف السموأل بن يحيى المغربي، تحقيق د. محمد الشرقاوي، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد، الرياض ، ١٤٠٧هـ ، ص ٦٠ - ٦٩ . ولماذا أسلمنا ، ص ٨٧ - ٨٩ ، وكتاب كيف ولماذا اعتنقوا
الإسلام ، ص ١٤٠ ، ورجال ونساء أسلموا، ج ٢، ص ٦٤ ، ج ٤ ، ص ٢٥ ، ج ٨ ، ص ٨٥ - ٨٦ ، ومجلة حضارة
الإسلام عدد ٢٠١ عام ١٣٩١هـ ، ص ٣٠ - ٣١ ، والمجلة العربية عدد ٥٤، عام ١٤٠٢هـ ، ص ١٥ . وقد آثرت الإحالة
إليها رغبة في الإيجاز؛ لأن أغلب هذه الرؤى طويلة جداً .

(بعثت لأتم حسن الخلق^(١)) والارتقاء بالنفس البشرية والمجتمعات الإنسانية التي تنضوي تحت لوائها إلى مصاف الأولياء والصالحين: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً^(٢)) تلقى ذلك الرقي الروحي والسمو النفسي الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأورثوه أبناءهم وأحفادهم اتباعاً لأمره صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (مانحل والد ولده أفضل من أدب حسن^(٣)). فكان علو الخلق سجيتهم، ومكارم الأخلاق غايتهم، وأصبحت نفوسهم خيرة لا تفرز إلا خيراً؛ فمادخلوا بلداً إلا وأثروا في نفوس أهله فأحبوهم وأحبوا مامعهم من الخير، وانتشر الإسلام بهذا السبب أكثر من انتشاره بالجهاد، بل لقد أسلمت أمم بفعل تأثرها بالمسلمين النازحين إليها لغرض الدعوة والتجارة أو لغيرهما من الأغراض .

واستمر هذا التأثير الإيجابي من قبل المسلمين في غيرهم إلى يوم الناس هذا؛ فمياحل فرد أو مجموعة من المسلمين في بلد إلا وترى أثر ذلك في أهل تلك البلد من إقبال الناس على الإسلام؛ وذلك لما يرون من المسلمين من سلامة دينهم، واتفاقه مع الفطرة وما يأمر به أتباعه من مكارم الأخلاق كالبر والإحسان والصدق...

ولقد تبين أن هناك أعداداً كثيرة دخلت في الإسلام بسبب تعاملهم مع فرد أو أفراد من المسلمين، يعبر عن هذا أحد المهتمين قائلاً (عن صديقه الفرنسي عندما عاد من تركيا مسلماً: قارنت بين حاله الجديد وحاله قبل أن يعتنق الإسلام؛ ورأيت بوناً شاسعاً، وأحسست في قلبي ارتياحاً واطمئناناً بعد أن شاهدت تغير أحواله خلقياً وعملياً، فقد صار يحتذي السنة، وتبدو عليه السكينة... ثم سافرت إلى تركيا واجتمعت مع بعض المسلمين وتأثرت بإكرامهم ورأيت آثار الإيمان بادية على وجوههم وتأثرت بحالهم؛ وخرجت من عندهم وقد تغير قلبي^(٤)) ولقد صرح أحد المهتمين بأن هدايته ترجع - بعد الله - في المقام الأول

(١) راوه مالك في الموطأ ، نشر دار النفائس ببيروت، عام ١٤٠٠ هـ، ص ٦٥١ ، وأورده العجلوني وقال: (قال ابن

عبدالبر هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره انظر كشف الخفاء، نشر مؤسسة الرسالة ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر مكتبة الرياض الحديثة ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ ، والإمام

أحمد في مسنده ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ، ص ٤١٢ ، ج ٤ ص ٧٧ ، ٧٨ ، والترمذي في سننه، ج ٣ ، ص ٢٢٧ .

(٤) المجلة العربية ، عدد ٥٤ ، عام ١٤٠٢ هـ ، ص ١٥ - ١٦ .

إلى سلوك المسلمين الذي أثار إعجابه الشديد^(١). وهذا مهتم آخر كانت زيارته لإحدى الدول الإسلامية سبباً في إسلامه إذ يقول: (قمت بزيارة لماليزيا؛ فرأيت عالماً آخر مختلفاً تماماً عن العالم الغربي الذي أتيت منه، فالناس - رغم فقرهم - كانوا سعداء، وكانت المودة سائدة بينهم، وكانوا يقدمون العون دون مقابل، رائدهم القناعة ورضى النفس.. كان لتلك الزيارة أثر كبير في نفسي؛ فقد تغيرت كل مفاهيمي عن الحياة والدين^(٢) . وخوفاً من الإطالة في سرد هذه الشواهد - وهي كثيرة جداً - رأيت أن أعزوها إلى مصادرها إذ فيه الغنية والكفاية^(٣) .

٢٣ - المناظرة والمجادلة :-

أرشد الله المسلمين في كتابه الكريم إلى كيفية الدعوة إلى الإسلام، وبين لهم أساليبها، كما أوضح لهم أصناف المدعويين، وبين لهم أن من بينهم «أهل الكتاب»؛ وأرشد سبحانه إلى أن من الأساليب التي تتبع معهم لدعوتهم إلى الإسلام - المجادلة بالتي هي أحسن قال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن^(٤))؛ وذلك لأن في المجادلة عرضاً للحق، وبياناً لأدلته، ودفعاً للشبهة عنه، ودعوة للمعارض إلى الحق، ونقضاً لأدلته، وفضحاً لزيغهم، وبياناً لخطأ اعتقادهم، وزلله في مساره، وكشفاً لعواره .

ولقد جادل النبي صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران وخبر هذه المجادلة مشهور^(٥). واستمرت المناظرات تقع بين المسلمين وأهل الكتاب، ولعل من أشهرها في العصر الحديث تلك التي وقعت في الهند بين رحمة الله الهندي والقسيس فنذر عام ١٢٠٧هـ^(٦)، وكذلك المناظرة التي تمت في السودان بين جماعة من العلماء المسلمين ، وجماعة من القساوسة

(١) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٣) انظر رجال ونساء أسلموا ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ١٠٩ ، ج ٣ ، ص ٨٣ ، ٩ ، ٢٢ ، ٧٠ ، ١٠٦ ، ج ٤ ، ص ١٢١ ، ج ٥ ، ص ٥٥ ، ج ٦ ، ص ٧٠ ، ج ٧ ، ص ٢٥ ، ١٠٦ ، ج ٨ ، ص ٢٠ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٠١ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ٦٨ ، ٧٣ ، ١٣٦ ، ولماذا أسلمنا ، ص ٩٤ ، ١٢٢ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ٢٢٤ ، وجريدة المسلمون عدد ٢٠ ، ص ٥٧ ، ومجلة النور، عدد ٤٩ ، عام ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٣ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٥) انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب ٧٢ .

(٦) انظر وقائع هذه المناظرة في كتاب المناظرة الكبرى، تأليف رحمة الله الهندي ، وتحقيق د. محمد عبد القادر خليل .

النصارى، في عام ١٤٠١ هـ^(١)، وقد انتهت مداوات هذه المناظرة بإسلام هؤلاء القساوسة، وما يؤيد ما ذهبت إليه أن المهتدي عبد الأحد داود ذكر أن سبب إسلامه بعد عناية الله يرجع إلى مواجهات عديدة مع بعض علماء الإسلام انتهت باعتماقه الإسلام^(٢).

٢٤ - البحث العلمي والاستقصاء : -

يفد الإنسان إلى هذه الدنيا طفلاً ضعيفاً لا يميز بين حق وباطل، ويتلقى عن أبويه دينهما سواء كان هذا الدين هو الصحيح المرضي عند الله أو كان غير ذلك... حتى إذا شب عن الطوق بدأ يعيد النظر في حياته ويقيّم ما ورثه؛ فإما أن يجده هو الهدى فيحمد الله ويشني عليه، وإما أن يجده أمراً مألوفاً فلا يتعداه قيد أنملة، ولا يعرضه على عقله ليتبين له الحق؛ خوفاً من انتقاد المجتمع وذهاب الريح والمكانة، وإما إن يتبين له أن ما هو عليه ليس له أساس من الحق؛ فعند ذلك يركب كل سهل وعسير للبحث عن الحق في مظانه، فينتقل من ملة إلى أخرى، ويجرب هذه التحلة ويتعداها إلى غيرها حتى يدركه أجله دون إدراك مناه، أو تدركه عناية الله فيتخذ من الأسباب ما يوصله إليه، ولعل من أبرز هذه الأسباب البحث العلمي والاستقصاء .

ولقد تبين لي أن كثيرين ممن شملتهم هذه الدراسة المتواضعة دفعهم إلى اعتناق الإسلام : إما كتاب اطلعوا عليه يتحدث عن الإسلام أو يتطرق إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو محاضرة استمعوا إليها ترشد الناس إلى الحق وتبين لهم سبيله، يذكر أحد المهتدين تجربته في تعرفه على الإسلام قائلاً: (إن اعتناقي للإسلام لم يكن عن ضلالة أو نزوة خاطئة أو انقياد أعمى أو اندفاع عاطفي؛ لكنه كان وليد دراسة دقيقة فاحصة أمينة غير متأثرة برأي أو ميل سابق^(٣)). وقد قارن أحد المتخصصين الآيات المرتبطة بتخصه بما تعلمه فوجد الاتفاق والتطابق؛ فقاده ذلك إلى إعلان إسلامه، إذ يقول: (تتبع كل الآيات التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها في صفري وأعلمها

(١) نشرت مداوات هذه المناظرة من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في كتاب «مناظرة بين الإسلام والنصرانية» عام ١٤٠٧ هـ.

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس، تأليف عبد الأحد داود، ترجمة فهمي شما، نشر رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر، ص ٢٨، وانظر لمزيد من الشهادات رجال ونساء أسلموا، ج ٥، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) لماذا أسلم هؤلاء، ص ٩٢ .

جيداً؛ فوجدت هذه الايات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت؛ لأنني أيقنت أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصراح من قبل أن يكون معلماً أو مدرساً، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً كما قارنت لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خالياً من الأعراض والأمراض^(١). ويشهد لما تقدم مهتد آخر إذ أكد أن الدراسة كانت سبب هدايته فيقول: (إنني اتخذت هذا الدين سبيلاً لحياتي ، لأنني - بعد دراسات طويلة - وجدته خير الأديان، وأنه الدين الوحيد بينها الذي يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري^(٢)).

٢٥ - القلق :-

لم يخلق الله هذا الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، بل خلقه لحكمة، وشرفه بخلافة، وبلغه رسالة، وحمله أمانة؛ فإذا انقاد العبد لأمر ربه تكفل له بالأمن والطمأنينة والتسديد والهداية قال تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون^(٣)) وقال تعالى: (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون^(٤)) - وجعل له من كل ضيق مخرجاً: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً^(٥)) .

وإذا عصى العبد ربه وتنكب صراطه، واستغنى عن هدايته؛ أبدله بالأمن خوفاً، وبالطمأنينة فزعاً وقلقاً، وبالهداية غواية وضلالاً، وبالتسديد تشتتاً وضياعاً، وبسعة الرزق معيشة ضنكاً، قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً^(٦)) يعيش في حيرة وقلق، قلق على النفس، وقلق على المستقبل، وقلق على الذرية ، وقلق على المصير، وخوف من المجهول، وتشتتت روحه في أودية الدنيا فلا يقر له قرار، ولا يهنأ له بال،

(١) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٢) لماذا أسلمنا ، ص ٦٦ ، ولزيد من أقوال هؤلاء المهتدين تعبيراً عن هذا الجانب، انظر المصدر السابق ، ص ٥١ ، ٧٠ .

١٥٠ ، ١٧٠ ، وكيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ٩٢ ، ١٢٣ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ، رجال ونساء أسلموا ، ج ٤ ، ص ١٨ ، ج ٨ ،

ص ٨ ، ٦٦ ، ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ٣٠ ، ٤٩ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٢٠ - ١٢٢ ، ١٤٦ ، ومجلة النور ، عدد ٥١ ، عام ١٤٠٨

هـ ، ص ١٣ - ٢٠ ، ومجلة حضارة الإسلام ، عدد ٢٠١ ، ص ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، وجريدة عكاظ ، عدد ٨٨٤٦ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٤٨ .

(٥) سورة الطلاق ، الآية ٢ .

(٦) سورة طه ، الآية ١٢٤ .

تطارده همومه، ويفزع من هم إلى هم - كالمستجير من الرمضاء بالنار - كما عبر أحد المهتمين بقوله: (كنت أحس دائماً بأنني على وشك الاختناق، ولم تفلح المرات النادرة التي ذهبت فيها إلى الكنيسة في انقاذي من هذا الشعور^(١)) .

وهل يطمح من جهل غايته من هذا الوجود، ولم يعلم بالمنهج الذي ينبغي له السير عليه أن تفلح مساعيه، وأن يجني السعادة والطمأنينة. لا يمكن أن يتحقق له ذلك؛ لأنه كمن يسير في ليل مظلم حالك الظلمة وهو لا يدري أين يتجه، ولا ماذا سيصادفه من عقبات الطريق وأهواله، قال تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ... إلى أن قال: أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور^(٢)) .

ثم من يشأ الله أن يخرج من هذه الظلمات إلى النور فإنه ييسر له أسبابه، يؤيد ذلك مجموعة من أقوال هؤلاء المهتمين أذكر بعضاً منها للاستشهاد وأحيل القارئ على بقيتها في مصادرها، يقول أحد هؤلاء المهتمين: (كنت أعيش في دوامة نفسية قاسية وفراغ روحي محل يكاد يعصف بكياني كله^(٣)) ويقول آخر: (ظللت ضائعاً أحيا بجسدي فقط، أما روحي ونفسي فقد كانتا في واد آخر^(٤)) .

٢٦ - التناقض في النصرانية :-

يشكو كثير من المهتمين من أهل الكتاب من التناقض في العقيدة النصرانية، وهذا لا يحتاج إلى تأكيد؛ لأن من تربوا على هذه العقيدة شهدوا بذلك، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن تعليماتها المبثوثة في كتب هذه الديانة تنطق بالتناقض والتضارب، فهي تعترف بثلاثة أقانيم، كل أقنوم له صفاته الخاصة به، وله أعماله المنوطة به - على حد زعمهم - ثم تدعي أنه إله واحد خالق الكل. وكذلك التناقض والاختلاف بين فرقها في أمور عديدة منها: الاختلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام هل هي لاهوتية أم ناسوتية أم مكونة

(١) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٣٧ .

(٢) سورة النور ، الآية ٣٩ - ٤٠ .

(٣) رجال ونساء أسلموا ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

(٤) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٦٤ ، ولزيد من هذه الاعترافات انظر المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٩٥ ، ١١٣ .

١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، رجال ونساء أسلموا ، ج ٥ ، ص ٧٨ ، ج ٧ ، ص ١٩ ، ١١٦ ، ولماذا أسلمنا ، ص ٦٩ .

ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٢٠ ، ومجلة حضارة الإسلام ، عدد ٢٠١ ، ص ٢٩ .

منهما معاً؟ وهل خلق قبل العالم أو خلق في زمنه الذي خرج فيه؟ وكذلك اختلافهم في زمن حلول الروح القدس عليه هل كان ذلك وهو في بطن أمه أو عند بلوغه الثلاثين، وكذلك اختلافهم حول الكتب المعتمدة وعدد إصحاحاتها ...

وهذا أمر طبيعي؛ لأنه نتيجة للتدخل البشري في صياغة هذه العقيدة وتدوين مصادرها قال تعالى: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً^(١)). وهذا التناقض والتضاد لن يكون مقبولاً لدى النفس السوية، فلا بد أن تفر منه، وتستعيب به بدلاً عنه إذا عثرت على ما هو خير منه .

ولقد تبين لي أن هذا التناقض في الديانة النصرانية دفع الكثير من النصارى إلى الفرار منها واعتناق الإسلام، يقول أحد المهتمين: (كان يشور في نفسي شك يصحبه قلق شديد طيلة الأعوام السابقة على إسلامي، وهذا الشك كان يدور دائماً حول إدعاء المسيحيين « أن المسيح ابن الله » فكيف يكون لله ولد؟ وكيف يكون المسيح ابن الله^(٢)) وهذا مهتد آخر يزيد الأمر وضوحاً إذ يقول: (استرعى انتباهي وأنا في المدرسة الابتدائية أن هناك فرقاً كبيراً بين ما نتعلمه في دروس الدين، وما يقال لنا في دروس العلوم الدنيوية الأخرى كالحساب. مثلاً في حصة الدين تعلمنا أن $3 = 1$. ولا يقال هذا في درس الحساب، وتنبهت إلى هذا الخطأ^(٣)) .

(١) سورة النساء ، الآية ٨٢ .

(٢) كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٥ . وانظر لمزيد من أقوال هؤلاء في هذا الجانب، المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، ورجال ونساء أسلموا ج ٦ ، ص ٧١ ، ج ٧ ، ص ١١٦ ، ولماذا أسلم هؤلاء ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، ولماذا أسلمنا ، ص ٧٠ .

الباب الأول

التعريف بالمهتدين من أهل الكتاب

الفصل الأول

التعريف بالمهتدين من اليهود

ويشتمل على : -

١ - السموأل .

٢ - الإسكندراني

مقدمة :

شهدت الساحة الإسلامية منذ فجر الرسالة الإسلامية تحولاً مباركاً نحو الإسلام من أبناء الأمم الأخرى، وكان لأهل الكتاب من ذلك النصيب الأوفر؛ إذ يمثلون غالبية سكان المناطق المجاورة للمدينة المنورة البلدة التي انطلق منها نور الإسلام نحو الآفاق .
وحيث أن اليهود والنصارى هم الأمة التي لا تزال تحتفظ بكتب دينية منسوبة للأنبياء عليهم السلام؛ فكان إسلام العالم منهم في فجر الرسالة يعد تحولاً إيجابياً يحسب في صالح الإسلام .

ولما لهذا التحول من ثمار ملموسة في مجال الدعوة والمقارنة والمجادلة فقد خصصت هذه الدراسة المتواضعة لدراسة ثلثة من هؤلاء المهتدين في الماضي والحاضر، ولم يكن هذا الاختيار عشوائياً بل عمدت إلى وضع بعض الضوابط التي تحدّد من ينبغي أن تشملهم هذه الدراسة، وهذه الضوابط هي : -

١ - أن يكون المهتدي عالماً بدينه قبل إسلامه .

٢ - أن يؤلف بعد إسلامه كتاباً في نقد دينه أو في نصرة الإسلام وتأييده .

ثم وجدت أنه يندرج تحت هذه الضوابط جم غفير من هؤلاء المهتدين، وليس في الإمكان الإحاطة بهم؛ فرأيتُ أن اقتصر منهم على مجموعة مشتهرة تمثل هذه الطائفة المهتدية في الماضي والحاضر، ولعل أسباب اقتصاري على هؤلاء تكمن في : -

١ - إن هؤلاء الأشخاص الذين تم اختيارهم كانوا هم الراود في هذا المنهج، بل هم طلائع التصنيف والتأليف في هذا الباب أعني الرد على أهل الكتاب من قبل مسلمي أهل الكتاب .

٢ - إن مؤلفات هؤلاء الرواد استغرقت قضايا النزاع بين المسلمين وأهل الكتاب .

٣ - إن مؤلفات هؤلاء كان لها أكبر الأثر وأعظم النصيب في الإشادة بها والتأثر فيها والاستفادة منها .

٤ - ليس في الإمكان الإحاطة بكل من ألف في هذا الباب، كما أن الهدف من هذه الدراسة يتحقق في دراسة هذه العينات التي تم اختيارها .

٥ - كثيرون منهم أسلموا وألفوا في هذا المضمار، ولم تصلنا مؤلفاتهم؛ فليس من حق أي دارس لهذه الظاهرة أن يزعم الاستقصاء أو الإحاطة .

المبحث الأول : السموأل

المطلب الأول ، نسبه ومولده ونشأته ،

اسمه : أبو نصر السموأل^(١) بن أبي البقاء يحيى بن عباس المغربي ، هذا اسمه بعد إسلامه باللغة العربية ، أما اسمه قبل إسلامه باللغة العبرية فهو: شمواثيل بن يهوذا بن أبون^(٢)

ولد لأبوين يهوديين تجمعهما صفة التمكن من التوراة، والاطلاع على علومها، والتفقه فيها، والتمكن من الكتابة بالقلم العبري، ويختلفان من حيث بلد النشأة؛ إذ أبوه من يهود فاس^(٣) بالمغرب، وهو من أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة، وأقدرهم على التوسع في الإنشاء، والارتجال لمنظوم العبراني ومنثوره.^(٤)

(١) انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تأليف: ابن أبي أصيبعة، نشر دار الثقافة، ط٢، سنة ١٩٨١م ج٣، ص٤٧٤٦. وإخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي، طبع مطبعة السعادة بمصر، ص١٤٢. وتاريخ الحكماء للزوزني، نشر مكتبة المثنى، ص٢٠٩. والوافي بالوفيات، تأليف صلاح الدين الصفدي، اعتناء بيرند راتكه، نشر دار النشر فرانز شتاينير ١٣٩٩ هـ، ج١٥، ص٤٥٣. وكشف الظنون، طبع وكالة المعارف عام ١٣٦٠، ص١٣٢. وموجز تاريخ الرياضيات، تأليف هاشم الطيار، ويحيى عبد سعيد، طبع جامعة الموصل، ص١٨٢، ١٨٧. وتراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، تأليف قدرى طوقان، نشر دار الشروق، بيروت، ص٣٧١، ٣٧٢. وانظر دراسة الدكتور محمد الشرقاوي عنه في أول كتاب إقحام اليهود، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٧، ومقال الأستاذ رشدي راشد عن تاريخ الجبر من أبحاث الندوة العالمية لتاريخ العلم عند العرب، المنعقد في جامعة حلب ١٣٩٦/٣/١٢، هـ، نشر معهد التراث العلمي، جامعة حلب، ط١، ١٩٧٧. والمجلة العربية، عدد ٥٥، شهر شعبان، ١٤٠٢، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) مستندي في هذا ما كتبه عن نفسه في سيرته الذاتية الملحقه بكتاب «إقحام اليهود» وقد غلط في اسمه بعض من ترجم له، فالقفطي في «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» قد خلط بين اسمه العبري واسمه العربي، فقال: السموأل بن يهوذا. أما الصفدي في كتابه «الوافي» فقد أبدل بعض الأحرف في اسم جده فقال: ابن عياش. وسلم ابن أبي أصيبعة من التحريف فأورده صحيحاً.

(٣) خلافاً للقفطي إذ يقول: أظنه من بلاد الأندلس. إخبار العلماء، ص١٤٢.

(٤) السيرة الذاتية للمؤلف المطبوعة مع إقحام اليهود، ص٤٦.

وأمه من يهود البصرة، واسمها أم شموايل، إحدى بنات إسحاق بن إبراهيم البصري اللبوي، ويصفها ابنها بأنها إحدى الأخوات الثلاث المنجيات في علوم التوراة، اتصل بها أبوه ببغداد، وبقيت معه مدة لاترترك ولدأ، حتى استشعرت العقم، ثم رأت في منامها رؤيا^(١) فاستبشرت بها خيراً وحملت به بعد ذلك^(٢).

تاريخ مولده : رغم أنه كتب سيرته الذاتية بيده، وأورد فيها كثيراً مما يهم الباحث، لكنه أغفل فيها تاريخ مقدم والده من المغرب إلى المشرق، كما أغفل أيضاً تاريخ مولده، ولم أر من أرخ لمولده فيما بين يدي من المصادر، لكن يتضح من خلال التراجم التي تحدثت عنه أنه ولد في أوائل القرن السادس الهجري .

نشأته : نشأ في بيت علم وديانة يهودية^(٣)، تعهده أبوه منذ نعومة أظفاره بطلب العلم والعناية به ، فشغله أولاً بالكتابة بالقلم العبري، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها، حتى أحكم علم ذلك عند إكمال السنة الثالثة عشرة من مولده، كما يقول ذلك عن نفسه^(٤).

طلبه للعلم ونبوغه فيه : كان مشغولاً في صباه بالقراءة وطلب العلم ؛ إذ إطلع في سن مبكرة على كثير من كتب التاريخ والسير والأساطير والأخبار؛ وأورثه ذلك بلاغة وفصاحة، ولما ظهرت لأبيه علامات نبوغه . إذ أحكم الكتابة بالقلم العبري ودرس التوراة وتفسيرها في سن الثالثة عشرة . أراد أن يوسع اهتماماته العلمية ؛ فشغله بتعلم الحساب والفلك والطب والهندسة والجبر ممارسة وتعلماً، وذلك على أيدي العلماء المشهورين في بلده؛ يحدوه إلى ذلك الشغف بهذا العلوم ، والتأله في سبيلها مما شغله عن المطعم والمشرب إذا فكر في بعضها .^(٥)

وقد ظهرت علامات نبوغه وتفوقه في شبابه ، إذ يقول عنه أحد معاصريه وهو موفق الدين عبد اللطيف البغدادي : (هذا السموأل شاب بغدادي كان يهودياً ثم أسلم ومات بمراغة، وبلغ في العدييات مبلغاً لم يصله أحد في زمانه ، وكان حاد الذهن جداً ، وبلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى...) ^(٦) وما يؤكد ذلك أنه لما استوعب ما عند النقاش والدسكري في

(١) انظر تفاصيل هذه الرؤيا في المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢) خلال مذكره القنطي في إخبار العلماء، ص ١٤٢، من أنه قدم هو وأبوه من الأندلس .

(٣) كما سبق في صدر ترجمته من هذا البحث.

(٤) إنعام اليهود، ص ٤٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٥١-٥٠.

(٦) عيون الأنباء، ج ٣، ص ٤٦.

الهندسة والجبر، بقي عليه بعض كتاب «أقليدس»، وكتاب «الواسطي»، وكتاب «البديع» في الجبر والمقابلة ولم يجد من يعرف منها شيئاً، عند ذلك قرر الخلوة بنفسه في أحد البيوت مدة من الزمان حتى يتمكن من دراستها وتحليلها، حيث يقول عن نفسه: (فخلوت بنفسي في بيت مدة، وحللت جميع تلك الكتب وشرحتها، ورددت على من أخطأ من واضعيها، وأظهرت أغلاط مصنفيها، وعزمت على ما عجزوا عن تصحيحه وتحقيقه، وأزريت على «أقليدس» في ترتيب أشكال كتابه، بحيث امكنتني إذا غيرت بعض أشكاله، أن استغني عن عدة منها لا يبقى إليها حاجة)^(١)

ومما يؤكد ذلك أيضاً أنه ابتداءً في التأليف في سن الثامنة عشر، واشتغل بالطب وأوجد أدوية لأمراض كثيرة لا علاج لها.^(٢)

وقد ارتحل في طلب العلم إلى الشام وأذربيجان وكوهستان، وأثمرت رحلاته أن استخراج علوماً كثيرة، واختراع أدوية كثيرة. كما يقول ذلك عن نفسه^(٣) ولكنه لم يذكر مشايخه في تلك البلاد.

ولقد أسهب بعض العلماء في مدحه والثناء عليه، إذ يقول القفطي عنه: (قرأ فنون الحكمة، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها، وكان عددياً هندسياً حقيقياً...) (٤). وقال عنه الصفي: (كان يتوقد ذكاء، وكان حاد الذهن جداً، بلغ في صناعة الجبر الغاية)^(٥)

مصنفاته: قال الصفي في كتابه الوافي: (ورأيت بعضهم قد كتب في هامش الترجمة في تاريخ ابن النجار قال: رأيت بخطه وقد ضبط اسم جده... وفي آخر رسالة بخطه - أي السموأل - في ذكر مصنفاته وعدتها خمسة وثمانون مصنفاً في الحساب والمساحة والجبر والهندسة والنجوم والطب والأدب وغير ذلك...) (٦).

وهذه الكتب على كثرتها، وعلى تنوع الفنون التي دونت فيها؛ لم نجد منها بين أيدينا

(١) سيرته الذاتية، ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٥١، ٥٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٥١.

(٤) إخبار العلماء، ص ١٤٢.

(٥) الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

(٦) المصدر السابق ج ١٥، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

وفي ثنايا التراجم إلا النزر اليسير منها ، وهي^(١) :-

١- المفيد الأوسط في الطب ، صنفه سنة ٥٦٤ هـ في بغداد للوزير مؤيد الدين إسماعيل ابن الحسن .

٢ - القوامي في الحساب الهندي ، ألفه سنة ٥٦٨ هـ .

٣ - إعجاز المهندسين ، صنفه لنجم الدين أبي الفتح شاه غازي ملك شاه بن طغرل بك ، وفرغ من تصنيفه سنة ٥٧٠ هـ .

٤ - المثلث القائم الزاوية ، صنفه لرجل من أهل حلب يدعى: الشريف .

٥ - المنبر في مساحة أجسام الجواهر المختلفة لاستخراج مجهولها .

٦ - الباهر في الجبر .

٧ - الزاهر في الجبر .

٨ - شرح كتاب « ديو فانتس » .

٩ - رسالة إلى ابن خدود في مسائل حسابية .

١٠ - رسائل في الجبر والمقابلة يرد فيها على ابن الخشاب .

١١ - كتاب في المياه .

١٢ - الرد على اليهود وهو المسمى « إفحام اليهود » . وهو الذي سيكون موضع البحث والدراسة من بينها .

وباللقاء نظرة على المواضيع التي تناولها المؤلف في هذه المؤلفات، تعطي الدلالة على موسوعية علمه وشموليته، وأنه ليس مقلداً؛ لأن هذه العلوم تعتمد على التجربة والاختبار والملاحظة، وتستند على المقابلة والمقارنة، كما تستدعي كدح الذهن، واستدامة النظر، والاعتناء بالدليل والبرهان .

الطلب الثاني، البيئة التي نشأ بها .

ولد وترعرع في حواضر الخلافة العباسية ، وتفيأ ظلها ، وتلقى العلم في رحابها ، فقد

(١) تم استقصاء أسماء هذه الكتب من الكتب التي ترجمت له ، ولم أرد أن أذكر المرجع الذي ذكر فيه كل كتاب مخافة الإطالة .

عاصر العهد العباسي الثاني الذي يعتبر من الناحية السياسية بداية الضعف الذي أصاب المسلمين واستمر مدة طويلة؛^(١) وذلك لضعف سلطة الخلافة ، وظهور الدويلات في العالم الإسلامي ، وأصبح فيه ميزان القوى السياسية متذبذباً ؛ إذ أفل نجم سلاطين بني بويه، وشرق في الجانبين الشمالي والشرقي من أقاليم الخلافة سلطان السلاجقة،^(٢) وكانت الخلافة العباسية تخبو تارة وترتفع أخرى، حسب من يتولى قيادتها، وخطب الخليفة ود السلاجقة؛ لضمان السلامة، واقتصرت سيطرته على العراق تقريباً، (وكانت العلاقة بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة مغايرة للتي كانت بينهم وبين البويهيين، ويذكر المؤرخون أن أهم سبب لذلك هو الإتفاق المذهبي، فهولاً وأولئك يدينون بالمذهب السني، مما يسر التعاون بين الجانبين، ومادفع السلاجقة إلى اجلال الخلفاء واحترامهم احتراماً عميقاً، ومن هنا كان تصرفهم تجاه الخلفاء؛ فكانوا يظهرون لهم الولاء، ويدينون لهم بالطاعة والاحترام)^(٣) هذا الود والاحترام المتبادل لم يدم طويلاً، ولم يكن هو الصبغة الرسمية للعلاقة بينهما ، بل كانت تحدث بينهما المصادمات ، وتشتعل الحروب ، بل تجاوز الأمر إلى محاصرة الخليفة وأسرهِ وعزله؛ ففي عام ٥٢١ هـ حدث خلاف بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه، انتصر فيها السلطان على الخليفة ودخل بغداد ونهبت عساكره دار الخلافة ، كما حدث خلاف آخر بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود السلجوقي اثمر عن دخول جيش السلطان إلى بغداد ، وأسر الخليفة عام ٥٢٩ هـ . وبعد تولى الخليفة الراشد بالله حدث خلاف آخر بين السلطان مسعود، إذ طالبه بما تعهد له به الخليفة السابق إبان الأسر من دفع مبلغ ٤٠٠.٠٠٠ دينار التزم دفعها حين أسره، ولكن الخليفة رفض ذلك ، فداهمه السلطان بجيش كثيف وخلعه عام ٥٣٠ هـ .^(٤) وهذا التفوق والنفوذ الذي أحرزه السلاجقة في بداية القرن السادس الهجري، لم يكتب له الاستمرار والنجاح ؛ إذ استعادت الخلافة مكانتها نسبياً في ظل حكم كل من المستنجد بالله ٥٥٥ هـ - ٥٦٦ هـ والمستضيء بأمر الله ٥٦٦ هـ - ٥٧٥ هـ ، وبدأ يضعف سلطان

(١) انظر التاريخ الإسلامي ، تأليف محمود شaker ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤٠٥ ، ج ٦ ص ٥ .

(٢) انظر تاريخ العراق ، تأليف فاروق عمر فوزي ، نشر مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٨ م ص ٣١٩ - ٣٤٠ .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ، تأليف: د . أحمد شلبي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، ط ٧ ، ١٩٨٢ م ، ج ٣ ص ٤٣١ .

(٤) انظر التاريخ الإسلامي ، ج ٦ ص ٢٧٣ . وتاريخ العراق ، ص ٣٣١ . والعراق في التاريخ ، تأليف جماعة من المؤلفين ١٩٨١ م ، ط دار الحرية ، ص ٤٤٣ - ٤٦٤ . ولزيد من التوسع انظر البداية والنهاية ، لأبي الفداء ابن كثير ، نشر دار الفكر بيروت ، ج ١٢ ، ص ١٨٠ وما بعدها .

السلاجقة حتى إذا (بويغ الخليفة الناصر لدين الله عام ٥٧٥ هـ أحيأ هيبة الخلافة، واعاد لها مجدها من النفوذ والقوة، ودام حكمه ٤٦ عاماً^(١) وتصدى لإنهاء تسلط السلاجقة في إيران ، ووضع حداً لطلباتهم ...وفي عام ٥٨٢ هـ سير الخليفة جيشاً عظيماً للقضاء على السلاجقة، ولكن سلطانهم لجأ إلى أذربيجان، وفي عام ٥٩٠ هـ تحالف الخليفة مع ملك الدولة الخوارزمية وأمدته بجيش قوي للقضاء على زعيم السلاجقة ؛ فتم له ذلك وقتل عام ٥٩٠ هـ ،وبهذا انتهت سلطتهم نهائياً .^(٢)

ومع هذا التذبذب في مركز الخلافة ، وفي مكانة السلاطين ، وهذا الصراع بينهما، فقد شهد القرن السادس حركة علمية ونهضة فكرية(وضع أساسها نظام الملك، فقد اشاد هذا الوزير العالم شبكة من المدارس التي أخذت اسمها من اسمه فسميت النظامية، وكانت في البلاد التالية : بغداد، بلخ، نيسابور، هراة، أصفهان، البصرة، مرو...وكان له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة)^(٣) .

ولعل وجود السموأل في هذه البيئة التي تغير وجهها بقدوم الإسلام عليها ، من رسوخ في التقليد ، وتبعية للماضي ، وارتكاس في الجمود ، إلى تجرد عن التبعية والعبودية إلا لله ، وإلى اعتماد على الدليل ، واحتفاء بالبرهان ، وتقدير للعقل ، وتجديد من خلال الاجتهاد - مع النظر إلى خلفيته السابقة التي كانت تسلم لتراث القرون الماضية على علاته، من غير تمحيص وتدقيق - كل ذلك أدى به إلى إعادة النظر فيما توارثه عن آبائه وأسلافه ، وعرضه على العقل ، ورفض ما لم يستنده الدليل ، وطلب الحق فيما وراء ذلك، حتى إذا تيقن منه واستمسك به، راودته نفسه حيناً من الدهر هل يعلنه ويتحمل ما يواجهه من عقبات وتبعات ؟ أو يظل حبيس صدره ودفين فكره ؟ ولكن اراد الله له الهداية وسر له أسبابها فأسلم .

المطلب الثالث ، الدوافع التي دفعت إلى الإسلام :-

لقد تيقن المؤلف قبل إعلان إسلامه في سنة ٥٥٨ هـ بزمن طويل أن الإسلام هو الحق ،

(١) انظر التاريخ الإسلامي، ج٦ ص٣١٣. والعراق في التاريخ، ص٤٥٧-٤٥٩ .

(٢) العراق في التاريخ، ص٤٥٧-٤٥٩ .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٤٤٣. وانظر أيضاً العراق في التاريخ، ص٣٥٦-٣٥٨ .

وأن رسوله صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين ، وهو المبشر عنه في التوراة ، إذ يقول: (إن انتقالي من مذهب اليهود إنما كان بدليل وبرهان وحجج قطعية عرفتها، وإني كنت أخفي ذلك ولا أبوح به مدة ؛ مراقبة لأبي وبرا به)^(١)

ولسائل أن يسأل ما الذي دعاه إلى تأخير إعلان إسلامه ؟

والجواب على هذا السؤال كالتالي :-

أولاً : إن الانتقال من دين ورثه عن آبائه وأسلافه ، وترى عليه بين قومه وعلى أنظار مجتمعه، إلى دين آخر - ليس بالأمر السهل، بل هو الأمر الصعب والاختيار العسير؛ نظراً لما يترتب عليه من عواقب وعقبات اجتماعية وسياسية .

ثانياً : إن الأدلة والبراهين على صحة أمر أو زيفه قد لا تظهر للمرء دفعة واحدة ، وإنما تكون مثل ولوج النهار في الليل شيئاً فشيئاً؛ يظهر النور ويتوارى الظلام، وهكذا البراهين والأدلة قد تبدو في أول الأمر ضعيفة متوارية، تعوقها الشبهة ، ويدفعها الإلف والعادة، حتى إذا تكاثرت وتعاضدت أزهدت الباطل وجلت ظلمات الكفر عن قلب صاحبه .

ثالثاً : إنه كان باراً بأبيه ، وكان يراقبه وكره أن يفجعه في نفسه تذكماً من الله تعالى إذ يقول : (وذلك أمر أوقعه الله في نفسي بالإلهام والفكر ودليله العقلي وبرهانه ، قد كنت قديماً اعرفه ودليله في التوراة ؛ إلا أنني كنت أراقب أبي وأكره أن افجعه في نفسي تذكماً من الله تعالى^(٢)) لهذا السبب مكث مدة طويلة لاتنحل عنه هذه الشبهة ولايُفتح له وجه الهداية ، حتى إذا حالت الأسفار بينه وبين أبيه، وبعدت داره عن داره، وادرك أن إعلان إسلامه ليس فيه عقوق لأبيه ، ولاخفر لذمته - رأى لزاماً عليه أن يعلن إسلامه (فحينئذ أظهرت قصة المنامين وأوضح أنهما كانا موعظة من الله ، وتبنيهاً على مايجب تقديمه، ولايحل تأخيريه بسبب والد أو غيره .)^(٣)

ولكن ماهي الدوافع التي دفعته للإسلام وقادته إليه ؟

هناك عدة عوامل استنبطتها من خلال سيرته الذاتية التي كتبها بنفسه ، وهي كالآتي :

١- العناية الإلهية والهداية الربانية : قال تعالى (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)^(٤) ويقول السموأل معبراً عن هداية الله له وعنايته به وتوفيقه إياه : (إن

(١) السيرة الذاتية للمؤلف ، ص ٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٣، وانظر أيضاً ص ٥٩ .

(٤) سورة القصص ، الآية ٥٦ .

العناية الإلهية لتسوق من تسبق - في علم الله - هدايته حتى يوجد منه الإهتداء في الوقت الذي سبق في علم الله تعالى وجوده منه فيه... وليعلم متأمله أن اللطف الإلهي أخفى من أن يحاط بكنهه ؛ فإن الله يختص بفضله من يشاء ، ويؤتي الحكمة من يشاء ، ويهديه صراطاً مستقيماً. (١)

٢- الاطلاع على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين : هذا المهتمدي شُغف كغيره في سني شبابه بمطالعة الأخبار والحكايات ، وأخبار الأمم الماضية والملوك السابقين ، وبعد طول مدارسها لها تبين له أن أكثرها من تأليف المؤرخين ، فطلب الأخبار الصحيحة ، ومالت همته إلى التواريخ ، فقرأ كتاب «تجارب الأمم» ، و «تاريخ الطبري» وغيرهما من كتب التواريخ: (فكانت تمرى - في هذه التواريخ - أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته، وما أظهر الله له من المعجزات، وما خصه به من الكرامات، وحباه به من النصر والتأييد في غزوة بدر وغزوة خيبر وغيرهما، وقصة منشئه في اليتيم والضعف ... ثم سياسة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعدلها وزهدهما)

٣ - قراءة القرآن : هذا القرآن الذي قال الله فيه : (ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (٢) وقال أيضاً : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (٣) وقال عز من قائل : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) (٤) - هو كلام الله عز وجل ضمَّنه هداية البشرية، وسبيل إسعادها، فيه خير دنياها ومآلها، استمع إليه الجن فتعجبوا منه وآمنوا به ، وذهبوا إلى قومهم منذرين ، فلا غرو أن يؤمن به البشر ويزعنوا له ، وقد كان المشركون - رغم عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم - يستمعون له ويتعجبون منه، وشهدوا بعلو بيانه، وأنه يعلو ولا يعلى عليه ، كما هو مشهور في كتب السيرة ، وهذا العالم اليهودي الذي هداه الله إلى الإسلام، اعترف أن أحد عوامل هدايته للإسلام تتمثل في قوله : (فشاهدت المعجزة التي لا تباريها الفصاحة الآدمية في

(١) السيرة الذاتية للسمرأل ، ص ٤٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠١ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٨٢ .

(٤) سورة الحشر ، الآية ٢١ .

القرآن ؛ فعلمت صحة إعجازه (١) .

٤ - تحكيم العقل : أنعم الله على بني آدم بالعقل، وجعله مناط التكليف، ومحل التكريم ، فينبغي على العبد أن يعرض عليه ما توارثه عن آبائه وأجداده، فإن وجدته متفقاً مع تعاليم الله ، وآياته المبثوثة في كتابه وفي الكون من حوله ، أخذه وحمد الله على ذلك، وإن وجدته مخالفاً لذلك ؛ وجب عليه رفضه والبحث عن الصواب في مظانه .

وقد اكتسب هذا المهتمدي من خلال دراسته للعلوم الرياضية ولاسيما الهندسة وبراهينها، تهذيباً للعقل، واحتفاءً بالدليل، فراجع نفسه في اختلاف الناس في الأديان والمذاهب، وكان أكبر المحركات والدوافع له في البحث عن ذلك، أنه طالع كتاب « كليلة ودمنة » فعلم أن العقل حاكم يجب تحكيمه في كليات أمور عالمنا هذا (ونحن إذا حكمنا العقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد ؛ علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقلُ قبوله من غير امتحان لصحته) (٢) .

٥ - قيام الدليل القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم : لما استعرض هذا المهتمدي رحمه الله استناد اعتقاده في إثبات نبوة موسى عليه السلام؛ وجد أنه التواتر، ثم وجد أن التواتر أيضاً موجود لعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، كوجوده لموسى، فخرج من ذلك بنتيجة يقينية وهي : أنه إذا كان التواتر يفيد تصديقاً، فالثلاثة صادقون ، ونبوتهم صحيحة... .

ثم استعرض دليلاً آخر، وهو النقل وتقليد الناقلين، وأنه لم ير موسى عليه السلام بعينه، ولم يشاهد معجزاته والمعجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام، ولولا النقل وتقليد الناقلين؛ لما عرفنا شيئاً من ذلك، فعلم أنه لا يجوز لعاقل أن يصدق بواحد ويكذب بواحد، بل الواجب عقلاً إما تصديق الكل، وإما تكذيب الكل . (فصح عندي بالدليل القاطع، نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم وآمنت بهما) (٣)

٦ - رؤية النبي صلى الله عليه وسلم مناماً : رؤيا الأنبياء حق ؛ لأن الشيطان لا يتمثل بهم ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (... من رأني في المنام فقد رأني ؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) (٤) ولكنها ليست من مصادر الوحي ، ولكن يستأنس بها على

(١) سيرة المؤلف الذاتية، ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق، ص ٥٤-٥٥ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥٩ . وانظر أيضاً ص ٥٨، ٧٠، ١٨٨ منه .

(٤) سبق تخريجه انظر ص ٦٢ من هذا البحث .

صلاح من وقعت له ، ولقد حصل لهذا المهتدي أنه رأى النبي شمواً في ليلة الجمعة،
تاسع ذي الحجة، سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة، في مراغة وبعد محادثة تمت بينهما
في المنام، استيقظ واستغفر الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقام وتوضأ
وصلى عدة ركعات، وهو في غاية الفرح والسرور، ثم جلس متفكراً ، فغلبته عينه فنام، ثم
رأى النبي صلى الله عليه وسلم مناماً ، وامت بينهما محادثة وشهد بأنه رسول الله حقاً، ثم
استيقظ وهو فرح مسرور، وقام وتوضأ وصلى الفجر وهو شديد على إظهار إسلامه، ثم
حضر صلاة الجمعة وارتفع التكبير من جماعة المسجد حين أشرف عليهم .^(١)

ولكن هل كان هذا المنام باعثاً له على ترك دينه ؟ يجيب السؤال على هذا السؤال
بقوله: (فليعلم الآن من يقرأ هذه الأوراق ، أن المنام لم يكن باعثاً على ترك المذهب الأول،
فإن العاقل لا يجوز أن ينخدع عن أحواله بالمنامات والأحلام ، من غير برهان ولا دليل؛
لكنني كنت قد عرفت قبل ذلك بزمان طويل الحجج والبراهين والأدلة على نبوة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم .)^(٢)

ولم يقص خبر هذا المنام إلا بعد إسلامه واشتهار كتابه « الإفحام » بأربع سنين ، وقد
ذكر أن سبب تأخير اقتصاصه هو :

- ١ - كراهيته أن يذكر أمراً لا يقوم عليه برهان .
- ٢ - كراهيته أن يصل خبر المنامين إلى من يحسده .

العوائق التي واجهته بعد إسلامه : -

رغم كتابته سيرته بنفسه، وتضمينها جلماً ما يتطلبه الباحث - رغم أنه كتبها بعد
إسلامه - إلا أنه غفل عن أمور مهمة تستدعي الوقوف عندها، لأخذ العبرة منها، ولعل
من أهمها العقبات التي واجهته بعد إسلامه .

إلا أن الباحث يستطيع أن يتلمس بعضها من خلال ما كتبه، أو من خلال الكتابات التي
كتبت ضده ، ومن تلك العقبات :-

- ١ - عنايته بأبيه : وذلك لأن أباه كان شديد الحذب عليه، والاهتمام به والرعاية له، وكره
أن يفجعه في نفسه، وأن يخفر ذمته، فأجل إعلان إسلامه حيناً من الدهر : مراعاة لأبيه،

(١) انظر خبر هذه الرؤيا واقتصاص السؤال لها في سيرته الذاتية، ص ٦٠-٧٤ .

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣ .

حتى إذا نأت به عنه الأسفار ، وتباعدت بينهما الديار ، أعلن إسلامه ، وكتب كتاباً لأبيه أوضح له فيه عدداً من الحجج والبراهين مما يعلم أنه لا ينكره ولا يقدر على إبطاله ، وأخبره بخبر المنامين^(١) .

٢ - موت أبيه : أعقب هذا الكتاب الذي دفعه إلى أبيه ، أن أباه اتجه إلى الموصل ليلقى ابنه ، فمرض هناك وتوفي ،^(٢) ولو كان دخوله في الإسلام عبثاً أو طمعاً في مصلحة ، أو أنه لم يستيقن تمام اليقين ، لكان هذا الحادث أكبر باب يلج منه الشيطان إليه ، ليصرفه عما عزم عليه ، لكنه الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب صعب التخلي عنه .

٣ - تلقي اليهود خبر إسلامه : لم يكن من السهل عليهم أن يعلن أحد أحبارهم هجره لدينهم ، وإعلان إسلامه ، وتأليفه كتاباً يفضح فيه زيفهم ، ويعري باطلهم ، ويبين تناقضهم ، فبالتأكيد أنهم سلكوا كل مسلك ليصرفوه عما عزم عليه وأعلنه ، ولكن السؤال لم يذكر ذلك ، وقد حفظ لنا التاريخ ضمن كتابه خطاباً وجه إليه من أحد اليهود ، قصد كاتبه أن يحيطه بالشكوك ، وأن يوقعه في الحيرة ، في محاولة يائسة لصدّه عن الإسلام ، وقد تلقى هذا الكتاب بوعي العالم ، وعلم الراسخ ، وكتب له جواباً ضمّنه إجابة لكل سؤال ، وحلاً لكل إشكال^(٣) .

٤ - تحريض السلطان عليه: من شيم اليهود الغدر، ومن طبعهم الدسائس، ومن وسائلهم الكيد والوقية ، وجرياً وراء هذا الطبع، وقشياً على هذه الرذائل، فقد حاولوا الوقية بين السؤال بعد إعلان إسلامه وبين السلطان ، ولكن الله سلم، وأوضح في كتابه أن (الملوك والسلاطين جرت عادتهم أن يخصوصوا كل واحد بما يرونه له أهلاً ؛ حراسة للمراتب من تطاول غير الأكفاء)^(٤) .

وفاته : كل من ترجم له لم يذكر سنة وفاته ، وإن اتفقوا على أنه توفي بمراغة قريباً من سنة ٥٧٠ هـ ، لكن صاحب كتاب « عيون الأنبياء » ذكر أنه فرغ من تأليف كتابه « إعجاز المهندسين » في صفر سنة ٥٧٠ هـ^(٥) .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٣) انظر الخطاب الموجه إليه وجوابه عنه في آخر كتاب الإنعام ، ص ١٨٥ - ١٨٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٥) عيون الأنبياء ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

المطلب الرابع ، القيمة العلمية لكتابه ، إفحام اليهود ،:.

ابتدأ المؤلف تأليف كتابه باللغة العربية في عشية اليوم الذي أعلن إسلامه فيه ، وهو يوم الجمعة ليلة عيد النحر لسنة ثمان وخمسين وخمسمائة من الهجرة ، وسماه «إفحام اليهود» ، وبعد أن اشتهر وطار خبره ، ونسخ منه عدة نسخ ، أضاف إليه فصولاً كثيرة من الاحتجاج على اليهود من التوراة ، حتى صار كتاباً بديعاً لم يعمل في الإسلام مثله في مناظرة اليهود ، كما وصفه مؤلفه .^(١)

المحتوى : ويقع هذا الكتاب في ٢١٦ صفحة من الحجم المتوسط^(٢) بما في ذلك الفهارس والمقدمة ، ابتداءً بحمد الله على هدايته للإسلام ، وعصمته له من الغواية ، ثم ذكر سبب تأليفه وهو الرد على أهل الاحتجاج والعتاد ، وأن يظهر ما يعتور كلمتهم من الفساد ، كما بين أن الأئمة الذين تولوا الرد على اليهود من قبله سلكوا في مناظرتهم أنواع المسالك ، إلا أن أكثر ماناظروهم به يكادون لا يفهمونه ، أو لا يلتزمونه ، (وقد جعل إلى إفحامهم طريقاً ، مما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم ، وأعمالهم الله عنه عند تبديلهم ؛ ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم) .^(٣)

وأعقب هذا السبب بثلاث عشرة صفحة ألزمهم من خلالها بالنسخ على ضوء كتبهم وأصولهم وعباداتهم ، تخللها ثلاث صفحات تحدث فيها عن إلزامهم بالإسلام ، وتلى ذلك إثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام ، والأدلة والآيات الدالة على ذلك من خلال التوراة ، وقد استغرق هذا البحث من ص ١٠٢ - ١٢٠ ، ثم فند دعوى اليهود محبة الله لهم ، في ثلاث صفحات ، وذلك من خلال أنساب بني إسرائيل ، وكان اعتماده على نصوص التوراة التي بأيديهم .

وتطرق بعد ذلك إلى تبديلهم للتوراة ، والسبب الداعي إليه ، واستنتج التبديل بعد استقراره للتوراة ، وعرضها على ما فطر عليه ، من توحيد الله وقيوميته وتنزهه عن صفات

(١) السيرة الذاتية للمؤلف ، ص ٧١-٧٢ .

(٢) الطبعة التي تم على ضوئها دراسة هذا الكتاب ، هي من نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، عام ١٤٠٧ هـ ، بتحقيق د . محمد الشرقاوي .

(٣) إفحام اليهود ، ص ٨٦ .

النقص التي وصفه بها اليهود - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - من خلال عرض مضامينها على العقل الصحيح الذي يرفض الزيف، وينفر من التناقض، ويأنف من الخطل، وبين أسباب تبديل التوراة ، وأن بعض هذه الأسباب أسباب تاريخية، وبعضها للتهرب من أداء العبادات على الوجه الذي شرعت عليه ، أو لمصانعة الأمم التي تستحوذ عليهم وتستعبدهم ...

إلى غير ذلك من المواضيع التي تطرق إليها في كتابه، وهي في الغالب تتردد بين هذه القضايا الرئيسية السابق ذكرها . وباستعراض محتوى الكتاب نجد أن القضايا الرئيسية التي ناقشها المؤلف في هذا الكتاب هي :

- ١ - الزامهم النسخ في ١٣ صفحة .
- ٢ - الزامهم نبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم ، وكذلك الأدلة والآيات الدالة على نبوتها من التوراة في ١٩ صفحة .
- ٣ - تبديل التوراة وأسباب ذلك في ٢٤ صفحة .

طبعت الكتاب : نشره للمرة الأولى المجمع الأمريكي للبحوث اليهودية في نيويورك عام ١٩٦٤ م ، وأشرف على تحقيقه وترجمته إلى اللغة الإنجليزية المستشرق موسى برلمان، ثم نشر للمرة الثانية من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض عام ١٤٠٧ هـ ، بتحقيق الأستاذ الدكتور : محمد الشرقاوي .

منهج المؤلف في كتابه «إفحام اليهود» :

يتضح من خلال دراسة هذا الكتاب أن المؤلف اعتمد على القواعد التالية :

- ١- الجد في البحث، المبني على التأمل والامتحان، والانتقاد لما توارثه عن آباءه وأسلافه، فإن رآه فضيلة سما لإدراكها ، وإن ألفاه رذيلة نجا من شراكها .^(١)
- ٢ - مناظرة اليهود بما يفهمونه ويلتزمون به مما يتداولونه من نص كتبهم .^(٢)
- ٣ - محاكمتهم إلى نصوصهم وأصولهم واعتقاداتهم وعباداتهم ، والاستشهاد عليهم بها، والزامهم بما تدل عليه ، وما يلزمهم عنها .
- ٤ - الاحتفاء بالدليل القاطع ، والحجة الناصعة ، والبعد عن التعصب والجمود .
- ٥ - الاستفادة مما تعلمه من براهين العلوم الرياضية والهندسية، في تطبيقها على ما

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨٦ .

سيقره في هذا الكتاب .^(١)

٦ . تحكيم العقل ، وعرض ما توارثه عن آبائه عليه .^(٢)

٧ . الأمانة العلمية، وتتضح من كثرة إيراده للنصوص العبرية، ثم يفسر هذه النصوص باللغة العربية، ويوضح وجه الدلالة منها ويبين أنه لازم لهم، وهذا ميثوث في سائر الكتاب
٨ . النزاهة والموضوعية، والتجرد عن الهوى، وهذا يتجلى من خلال القضايا التي ناقشها، معتمداً في هذه المناقشة على الدليل والحجة والبرهان ، سواء كان هذا الدليل من المنقول أم من المعقول .

ولقد حاول المؤلف الاختصار، وعدم الإطالة، إذ يكتفي بنماذج قليلة من الأدلة ، إذ الغالب أنه يورد دليلين أو ثلاثة على القضية موضع المناقشة ، ولكن تراه قد استطرد في بحث تطاول اليهود على الذات الإلهية وتحريف التوراة ؛ وذلك لأهمية الموضوع ، ومع هذا الاستطراد فقد اعتذر عن الإيجاز، مع أهمية الموضوع في هذا المبحث خوفاً من تطويل الكتاب ، إذا عدد ما عندهم من الكفريات والتجسيم .^(٣)

القيمة العلمية لهذا الكتاب : -

تتأتى القيمة العلمية لهذا الكتاب من الجوانب التالية : -

أولاً : إن المؤلف كان عالماً يهودياً متربياً في بيت علم وديانة يهودية ، وكتب هذا الكتاب بعد إسلامه، ليبين من خلاله فساد مقالة اليهود وتهافتها وتناقضها، وأنهم حرقوا وبدلوا كلام الله، فنتج عن ذلك فساد عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم، وقد استدل على كل ذلك بالمعقول والمنقول مما بأيديهم وأعمامهم الله عن تحريفه؛ ليكون حجة عليهم .

ثانياً : إن المؤلف خلال رحلته الفكرية بين اليهودية والإسلام ، قد أطاف بنفسه على عدد من الكتب والدراسات حول الديانتين ؛ رغبة في الوقوف على الدين الحق ، الذي يعضده الدليل ، ويسنده البرهان ، ومن موقع العالم بالديانة اليهودية ومواطن الضعف فيها ، اطلع على الكتب التي ألفها علماء الإسلام للرد على اليهود ، فتبين له أنها - رغم الجهد الذي بُذل فيها - لم تعتمد على قضايا يلتزمونها أو أدلة يفهمونها ، فأراد بكتابه هذا أن

(١) انظر السيرة الذاتية للمؤلف ، ص ٥٤ ، ٥٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٣) انظر إفحام اليهود ، ص ١٣٢ .

يستكمل هذا النقص ، ويسد هذه الثغرة، ويأتيهم من خلال ما يفهمونه، ويلزمهم - بحكم سابق علمه وتجربته - بما يلتزمونه .

ثالثاً : تظهر أهمية الكتاب بجلاء من خلال القضايا التي تطرق لها، وأهمها إلزامهم بالنسخ ، والزمامهم بنبوة المسيح والمصطفى صلى الله عليهما وسلم ، وإثبات تحريف التوراة وتبديلها ، وتناولهم على الذات الإلهية ، وما قدمه في هذه القضايا من أدلة وبراهين .

رابعاً : إيراده لعدد من النصوص العبرية التي لم تصل إلينا إلا عبر كتابه، وكان اعتماد كثير من علماء المسلمين - في هذا الشأن - عليها فيما بعد .

خامساً : الحماس في فضح أكاذيب اليهود وألعايبهم وتحريفهم وتناولهم على الذات الإلهية ، والحرص على رفع راية لا إله إلا الله، ونشر الإسلام، ودفع كيد الكائدين، ونفي الشبه عنه وبيان تهافتها وزيفها .

سادساً : اهتمام علماء الإسلام به يدل على علو قيمته ووفرة أدلته ، ونصاعة براهينه، وتمكنه من إفحام خصومه بالتحاكم إلى كتبهم وأصولهم التي يعتمدون عليها .

ومن هؤلاء : شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله ، إذ نقل عنه كثيراً من الأحكام والأدلة وضمنها كتبه التالية :-

١ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .^(١)

٢ - إغاثة اللهفان في مصاد الشيطان .^(٢)

٣ - أحكام أهل الذمة .^(٣)

فقد ضمن كتابه «هداية الحيارى» فصلاً كاملاً بعنوان «دين اليهود» وقد شغل هذا الفصل من ص ٢٥٧ - ٢٦٦ ، نقله من الإفحام ص ١٤٣- ١٧٧^(٤) عدا تعليقات يسيرة ، وإشارات لطيفة . كما نقل عنه أيضاً في هذا الكتاب سبب تبديل التوراة في ثلاث صفحات ، وهي في الإفحام تقع بين ص ١٣٥ - ١٤١ .

(١) تحقيق د . أحمد السقا ، نشر دار الريان للتراث .

(٢) تحقيق محمد عفيفي ، نشر المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

(٣) تحقيق د . صبحي الصالح ، رحمه الله ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ .

(٤) سبقني بالإشارة إلى ذلك د . الشرقاوي عند تحقيقه لهذا الكتاب ، وقد سبقه إلى ذلك د . أحمد السقا عند تحقيقه

لكتاب هداية الحيارى ص ٢١١ ، إلا أن السقا لم يلحظ هذا الاعتماد من ابن القيم على كتاب السؤال إلا في مبحث «الطريفا» أي علم الذبابة ، إذ قال : أقوال المؤلف عن الطريفا نقلها عن كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود . انظر هداية الحيارى ، ص ٢٦٢ .

كما أورد في كتابه القيم « إغاثة اللهفان » صفحات عديدة من هذا الكتاب المشار إليه، وهي كالتالي :-

١ - فصل « ومن تلاعب الشيطان بهذه الأمة » - أي اليهود - ج ٢ ص ٤٤٢ - ٤٤٧ ويقابلها من الإفحام ص ٨٦ وما بعدها

٢ - فصل « ومن تلاعب الشيطان بهم » ، ج ٢ ص ٤٤٩ - ٤٥٤ ويقابلها من الإفحام ص ١٦٥ - ١٧٧ .

٣ - فصل « ومن تلاعب الشيطان بهذه الأمة الغضبية » ، ج ٢ ص ٤٥٥ - ٤٥٦ ويقابلها من الإفحام ص ١٥٨ - ١٦٠ .

٤ - فصل « ومن تلاعب الشيطان بهم » ، ج ٢ ص ٤٧١ - ٤٧٩ ويقابلها من الإفحام الصفحات ١٠٨ - ١٠٩ و ٥٤ - ٥٩ و ١٥٢ - ١٥٤ .

٥ - فصل « اختلاف أقوال الناس في التوراة » ، ج ٢ ص ٤٨٨ - ٤٩٦ ويقابلها من الإفحام ص ١٣٥ - ١٣٨ و ١١١ - ١١٤ و ١١٨ - ١٢٠ و ١٤١ - ١٤٥ .

كما أفاد منه أيضاً في كتابه « أحكام أهل الذمة » فصل « إذا ذبحوا ما يعتقدون حله » ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٩ ، وهذا النقل في الإفحام ص ١٦٤ - ١٦٩ .^(١)

وكذلك أفاد منه القرافي في كتابه « الأجوبة الفاخرة »^(٢) للتدليل على تحريف التوراة في ص ٧٨ - ٨٣ .

ولئن كان قد لقي عناية المتقدمين واعتمادهم عليه ، فقد أهتم به المتأخرون كذلك نقلاً منه ، واستشهاداً به، وإحالة عليه، ومنهم د. أحمد السقا في كتابه « المسيا المنتظر »^(٣) إذ أفاد منه في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الصفحات : ٥١ - ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٦٦ . كما نقل عنه خير المدعي أنه هو المسيح المنتظر، ص ٢٦٥ .

وكذلك د. محمد الشرقاوي في كتابه « في مقارنة الأديان »^(٤) نقل عنه نقده لسند التوراة، وتطاولهم على أنبياء الله في ص ١١٦ - ١١٩ و ١٩٨ - ١٩٩ و ٢٢٦ . وكذا أفاد منه المستشار محمد الطهطاوي في كتابه « محمد نبي الإسلام »^(٥) في إثبات نبوة نبينا محمد

(١) وقد سبقني بالإشارة إلى ذلك د. الشرقاوي عند تحقيقه للإفحام لكنه ذكره مجملاً .

(٢) نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

(٣) نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ .

(٤) نشر دار الهداية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

(٥) نشر مكتبة النور ، القاهرة ، ص ١٩ - ٢٠ .

صلى الله عليه وسلم من خلال التوراة ، ص ١٩ - ٢٠ .

ومما يوضح قيمته العلمية أيضاً أن سعيد بن منصور بن كمونة قد ألف كتابه «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث»^(١) وكانت جلّ الاعتراضات التي حاول تفنيدها - دفاعاً عن الدين اليهودي - هي التي أثارها السموأل في كتابه هذا؛ ويؤكد ذلك أنه أوردها بألفاظها كما هي لدى السموأل ، ورد عليها رداً بارداً؛ إذ لم يرد الدليل بالدليل، ويقارع الحجّة بالحجة، بل يكتفي بالعبارات العامة الموهمة ، وللتدليل على ذلك أنه لما أراد أن يعترض على استدلال السموأل بأن التوراة دالة وناطقة بنبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لم يستطع أن يرد هذه الأدلة بل قال : (إنه أرك من أن يتكلم فيه)^(٢)

ومما أتوج به جلاء قيمته العلمية ثناء العلماء عليه، إذ قال في هذا الشأن ابن أبي أصيبعة : (وصنف كتاباً في إظهار معاييب اليهود ، وكذب دعاويهم في التوراة ، ومواضع الدليل على تبديلها ، وأحكم ما جمعه) .^(٣) وقال عنه الشرقاوي (يعد هذا المؤلف - على صغر حجمه النسبي - ذا أهمية علمية وتاريخية عظيمة ... وهو وثيقة هامة ؛ لأنه أطلع علماء المسلمين على أسرار يهودية يحرض اليهود على كتمانها وعدم إذاعتها)^(٤)

المأخذ عليه : لم تكن هذه المآخذ الواردة مأخذاً علمية ؛ لأنه قد أحكم ما جمعه، ولكنني لحظت بعض المآخذ التي لا يحسن إغفالها، وهذه المآخذ هي : -

١ - لم يقسم الكتاب إلى أبواب ، وإنما باشر الدخول في القضايا التي يزعم مناقشتها .
٢ - التداخل في الموضوعات ؛ لأنه ابتداءً في النسخ ثم ألزمهم بالإسلام ، ثم أورد فصلاً عن النسخ .

٣ - أورد بعض اعتقادات اليهود في الإسلام وفند بعضها وأعرض عن بعض . ولعل عذره في ذلك أنه ألف الكتاب ثم زاد عليه فصولاً كما بينه في سيرته الذاتية .

(١) نشره موسى برلمان ، طبع جامعة كاليفورنيا ، عام ١٩٦٧ م .

(٢) انظر تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، ص ٩٤ - ٩٧ .

(٣) عيون الأنباء ، ج ٣ ص ٤٦ - ٤٧ .

(٤) مقدمة كتاب الإنعام ، ص ٢٩ - ٣٠ .

المبحث الثاني : الإسكندراني

المطلب الأول ، اسمه ونشأته : -

هذا المهتدي عُني به قبلي باحثان، الأول : المستشرق « وستون » الذي حقق كتابه باللغة العربية وترجمه إلى اللغة الإنجليزية، ليحصل بذلك على شهادة الدكتوراة عام ١٩٠٣ م من جامعة « يل » في الولايات المتحدة الأمريكية.

والثاني : د. محمد الشرقاوي، الذي أعاد تحقيق الكتاب ، وترجم مقدمة المستشرق إلى اللغة العربية . وكل المعلومات التي تضمنتها دراستهما عن هذا المهتدي هي ما أورده في كتابه ، سوى بعض فروض هي تخمينات وخزعبلات ذكرها المستشرق عن أسباب إسلامه . ولقد بحثت في كتب الأعلام والتراجم ؛ فلم أعثر له على ذكر فيما بين يدي من المصادر، وكل ما أورده عن نفسه أنه من علماء بني إسرائيل، وأنه أسلم في مستهل شهر شعبان سنة ٦٩٧ هـ ، وكان ذلك في الإسكندرية، وبعد أكثر من عشرين سنة صنّف كتابه في جامع الأمويين بدمشق عام ٧٢٠ هـ. ولا نعرف تأريخ ميلاده أو وفاته. ولم يذكر عن نفسه أين كان يعيش قبل دخوله الإسلام ، ولا متى ارتحل إلى الشام .

وكل الذي استطيع أن استشفه من رسالته أنه من علماء بني إسرائيل، وأنه عارف باللسانين العبراني والسرياني ، وهذا يؤكد أن أمته أولته عنايتها ورعايتها، ممثلة في والديه أو في الأخبار من حوله . وأنه عاش في مصر، معاصراً للملك المنصور قلاوون .

المطلب الثاني ، البيئته التي نشأ بها : -

هو من مواليد القرن السابع ولا شك . وعلى افتراض أنه كان منذ نشأته حتى أعلن إسلامه بالإسكندرية ، ثم انتقل إلى الشام فيما بعد ، لذا فإنني سأتحدث عن هذه البيئته في ذلك الوقت :-

كانت مصر والشام تعيشان تحت رعاية دولة المماليك البحرية ، التي قامت على أنقاض الدولة الأيوبية ، وتمكن المماليك من تكوين دولة قوية ؛ إذ استمر حكم هؤلاء المماليك ١٤٤ سنة ، ابتداء من عام ٦٤٨ - ٧٩٢ هـ ، وقد تمثل هذا الحكم في أسرتين هما : أسرة الظاهر بيبرس البنداءقداري . وأسرة الملك المنصور قلاوون ٦٧٨ - ٧٩٢ هـ وامتد سلطانهم إلى مصر والحجاز والشام^(١) وكان لهذه الدولة أبلغ الأثر في الوقوف أمام التتار، والتغلب عليهم في معركة « عين جالوت » وتابعوا فلولهم حتى أخرجوهم من الشام ، كما تمكنوا من تحرير بقية الإمارات الشامية من السيطرة الصليبية ، وأخرجوا بقاياهم من الشام عام ٦٩٠ هـ . هذا في الجانب السياسي ، أما في الجانب الديني: فقد كانت الروح الدينية عالية لدى القادة والعامّة^(٢) ؛ ولا شك أن الجهاد ومجالدّة الأعداء يذكى في الأمة روح الحماس ، وشعلة الإيمان ؛ إذ هو ذروة سنام الإسلام .

أما من الناحية العلمية : فتعتبر هذه الفترة من أخصب صفحات تاريخ هذه الأمة عطاء علمياً ، وتدفقاً فكرياً ، ولقد كانت الشام ومصر عواصم علمية ، ومراكز ثقافية ؛ إذ حظيت هذه الفترة بعلماء أفذاذ كانت لهم آثارهم على من أتى بعدهم كابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن حجر وابن دقيق العيد والعز ابن عبد السلام والنووي وابن جماعة والمقرئزي ، وغيرهم كثير... فلا ريب إن أثرت هذه البيئة في هذا المهتدي ، حتى زهد في دينه وملته ، وآثر هذه الأمة التي أورثها دينها هذا العلم والسلطان السياسي .

المطلب الثالث : دوافع إسلامه . -

كما ذكرت سابقاً لم أجد عن هذا المهتدي إلا ما حوته رسالته ، وهي معلومات لا تروى ظمّاً الباحث ، ولا تسعفه في أن يستقرىء ويستنتج منه ما يكون عبرة وعظة ، وأن يرسم الصورة الحقيقية له ، وأن يذكر الدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم ، والعقبات التي واجهته بعد ذلك .

أما الدوافع التي تم استنباطها فهي ::

(١) انظر التاريخ الإسلامي ، تأليف محمود شاكر ، ج ٧ . ص ٣٦ . ٣٧ .

(٢) انظر التاريخ الإسلامي ، ج ٧ ، ص ١٨ - ١٩ . البدية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٧٨ وما بعدها . وموسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٦ . ومصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ، تأليف سعيد عبد الفتاح عاشور ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ م ، ص ١٥١ - ٢٢٣ .

منة الله عليه حيث يقول : (إعلم - وفقك الله تعالى لطاعته - أنني كنت من علماء بني إسرائيل، ومن الله سبحانه وتعالى عليّ بالإسلام ؛ وكان سببه أن حصل لي ضعف، فدخل عليّ طبيب، فجهز لي كفن الموت، فرأيت في منامي قائلاً يقول: اقرأ سورة الحمد؛ تخلص من الموت، فلما استيقظت طلبت من ساعتني عدلاً من عدول المسلمين، وكان جاري ، فمسكت بيده قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله^(١)). هذا هو السبب المباشر الذي ذكره في كتابه . ولكن هل من الممكن أن تكون هذه الرؤيا هي السبب الوحيد في إسلامه ؟ والجواب: يترجح لدي أنه لا يمكن أن تكون هذه الرؤيا هي السبب الوحيد؛ لأنه من خلال دراسته في تأريخ الرسالات السابقة وجد أن هناك أمة بشرت بظهورها الأنبياء عليهم السلام ، وأن من صفات هذه الأمة أنها تصف في صلاتها كما تصف الملائكة .. ولم يستطع أن يميز - في السابق - هذه الأمة التي ارتسمت صورتها في مخيلته ، فكانت هذه الرؤيا كالنور الذي يبدد الغشاوة عن عينيه، ورفع الحجب عن بصيرته ، وقرّبت من الحقيقة التي كان يبحث عنها ، وسارعت في خطاه نحو الأمة التي كان يأمل في الانضمام إليها حيث يقول: (فلما دخلت إلى الجامع ورأيت المسلمين مصطفىين كصفوف الملائكة، وقائلاً يقول لي في سري : هذه هي الأمة التي بشرت بظهورها الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ... فلما قامت الصلاة حصل لي حال عظيم، بحيث كنت أرى صفوف المسلمين كصفوف الملائكة، يتجلى الله سبحانه وتعالى لركوعهم وسجودهم، وقائلاً يقول في سري: إن كانت بنو إسرائيل حصل لهم خطاب الله في الدهر مرتين، فقد حصل لهذه الأمة خطاب الله في كل صلاة، وتقرر عندي أنني لم أخلق إلا مسلماً)^(٢).

وهناك دوافع أكدت هذا التوجه لديه ، وضاعفت من يقينه وهي :-

- ١ - لما سمع القرآن رأى فيه الفصاحة والبلاغة العظيمة والإعجاز، ولما قارنه بالتوراة ؛ وجد أن القصة التي تذكر في التوراة في كراسين ، تذكر في القرآن في آيتين^(٣).
- ٢ - تحققت في عهده بعض الأخبار التي أخبرت عنها الأنبياء السابقون عليهم السلام بشأن هذه الأمة المحمدية^(٤).

(١) مسالك النظر في نبوة سيد البشر ، تأليف سعيد بن الحسن الإسكندراني ، تحقيق د . محمد الشراوي ، نشر مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ ، ص ٧٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٤) انظر المصدر السابق، ص ٧٩ - ٨٠ .

وقد أرجع المستشرق أسباب إسلامه إلى ثلاثة احتمالات وهي :-
١ - الرغبة في تجديد الدين الإسلامي طمعاً في نيل شرف ذلك مع بداية القرن السابع الهجري .

٢ - الهرب من دفع الجزية .

٣ - أنه شهد موجة من دخول غير المسلمين في الإسلام كالتتار فأثر فيه ذلك^(١).
وهذه تخرصات تدفعها دوافع إسلام هذا المهتدي ، وتأليفه لهذا الكتاب الذي هتك فيه أستارهم ، وفضح كثيراً مما يكتُمون من خبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو كان إسلامه للهرب من دفع الجزية ، أو ركوب الموجة التي عاصرها ؛ لكان إسلامه إسلاماً سلبياً مدخولاً ، إسلام المتدثر بإسلامه ، لا إسلام المنفعل به المتأثر الذي يستفرغ طاقته وجهده في تأليفه لهذا الكتاب المملوء بالأدلة والبراهين على تحريفهم وفساد دينهم ، والشهادة لتبيننا بالرسالة .

المطلب الرابع ، القية العلمية لكتابه ، مسالك النظر ، :-

هذا اسم الكتاب كما ورد على طرة الغلاف، أما في آخر الكتاب فقال : ربما سميته «المحيط» كتبه مؤلفه في جامع بني أمية بدمشق شهر ربيع الأول سنة عشرين وسبع مائة من الهجرة النبوية^(٢) ، ويقع هذا الكتاب في ١١٥ صفحة من الحجم المتوسط وهي كالتالي: مقدمة المحقق ٧٠٥ ، ثم ترجمة المحقق لمقدمة المستشرق من ١٠ - ٢٤ ، وبعد ذلك دراسة وجيزة عن المؤلف والرسالة من عمل المحقق من ٢٥ - ٤٠ ، ثم نص الرسالة من ٤١ - ٨١ ، ثم ترجمة الرسالة إلى اللغة الإنجليزية ، وهي ترجمة المستشرق من ٨٧ - ١١٢ .

المحتوى : قسم المؤلف كتابه إلى فصول ، وفي كل فصل يتحدث عن بشارة من بشارات التوراة وصحف الأنبياء بنبوة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، استخرجها من اللغات العبرية والسريانية وترجمها إلى اللسان العربي، كما أنه أدخل بعض الفصول التي لا تعلق لها بهذا الموضوع بين هذه الفصول السابقة، كإدخاله فصل عن انشقاق البحر لموسى، وفصل

(١) انظر المصدر السابق ، ٣٧ - ٣٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ٨١ .

عن تحريف التوراة والإنجيل ، وفصل عن كتابة التوراة ، وفصل عن الألوهية .

طباعات الكتاب :-

١ - الطبعة الأولى: قام بها المستشرق « وستون » عام ١٩٠٣ م ، بالإضافة إلى ترجمته إلى اللغة الإنجليزية .

٢ - الطبعة الثانية : بتحقيق د. الشرفاوي، ونشر مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ .

هدفه من التأليف :-

كما يتبين من عنوانه أنه قصد من ورائه إظهار نبوة سيد الأنام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي بشرت بظهوره الأنبياء ، كما أن من أهدافه إقامة الحجج ، وإظهار الحق ، ودمغ الباطل .

منهجه : سلك في تأليفه لهذا الكتاب منهجاً واحداً - تقريباً - يعتمد على نصوص التوراة وصحف الأنبياء عليهم السلام، وذلك بأن يورد نص البشارة كما وردت في الترجمات التي على عهده ثم يوضح الدليل منها ، ومكان الاستشهاد، وإن وجد البشارة في النسخ العبرية أو السريانية ، ولم يجدها في النسخ العربية المتداولة في عهده ؛ فإنه يورد النص بألفاظه العبرية أو السريانية ، ثم يترجمه إلى اللغة العربية ، ويستخرج منه الدليل والبرهان . وقد التزم في كتابه هذا الاختصار ، وعدم الإطالة حيث يقول : (إعلم أن جميع ما وضعته في هذا المختصر هو ما جاء في التوراة وصحف الأنبياء ، لكنني جمعته ورتبته ، واستخرجته من اللغات العبرانية والسريانية إلى اللسان العربي المبين)^(١) . وتتضح الأمانة العلمية في النقل والترجمة ، والغيرة لله ، والغيرة على المسلمين من أن تحل بهم العقوبة بسبب ما يرتكبه اليهود والنصارى بين ظهرانيتهم من الكفر والشرك .

القيمة العلمية :-

لم يبق المحقق لمن يأتي بعده مقالاً في ذكر جوانب القيمة العلمية لهذا الكتاب وهذه الجوانب التي ذكرها هي :

١- أن المؤلف من علماء بني إسرائيل ، مجيد للغات العبرية والسريانية ، ونقل نصوصه نقلاً مباشراً من نسخ العهد القديم العبرانية والسريانية ، وليس من النسخ السبعينية واللاتينية أو الترجمات العربية المتداولة . ولكن المستشرق « وستون » أنكر عليه بعض هذه

(١) المصدر السابق ، ٨١ .

النصوص، وأتهمه بتحريفها، فقال المحقق: (فأنا نرى إن المستشرق «سيدني وستون» قد جازف فأنكر على سعيد أنه حرّف بعض النصوص دون أن يبين لنا أنه قارنها - أي رسالة هذا المهتدي - بالنسختين العبرانية والسريانية التين نقل منها سعيد نقلاً مباشراً - كما ذكر آنفاً - والحكم بالتحريف لا يكون إلا بعد إجراء هذه المقارنة^(١)). قلت: إن دعوة هذا المهتدي لعقد مجلس يضم عشرة أحبار من اليهود، وعشرة من قسيسي النصارى، في حضرة علماء المسلمين ليثبت في هذا المجلس تحريف التوراة والإنجيل والزيور وصحف الأنبياء، وأن يبين ما حرفوا وبدلوا وغيروا - دليل على معرفته بهذه اللغات، ودقته في الترجمة التي تضمنها كتابه، ولو كانت فيها مغزاً، أو عليها مدخلاً؛ لكانت أول حجة تقام في وجهه لرفض ذلك المجلس.

٢ - ذكر بشارات من العهد القديم لم يذكرها من سبقه.

٣ - إن المؤلف يطلعنا على جانب من جوانب تسامح الدولة الإسلامية مع اليهود والنصارى.

٤ - إنه لم يكتب هذا الكتاب إلا بعد عشرين سنة من إسلامه، أي بعد استقراره عقلياً ونفسياً.

٥ - إن الرسالة تشير إلى حوادث تاريخية مهمة.

٦ - إن الرسالة تقدم معلومات عن فرقة القرائين اليهودية، وأنهم هم الذين قالوا: عزير ابن الله.

٧ - تظهر الرسالة غيرة سعيد التي دفعته إلى الحركة والنشاط في سبيل الدعوة إلى عقد مجلس يحضره اليهود والنصارى والمسلمين يثبت فيه تحريف التوراة والإنجيل، وتقدم بطلب عقد هذا المجلس، ورسم السلطان بعقده ست مرات بمصر والشام، ولم يعقد هذا المجلس، وقال المحقق: ولم نعلم على وجه القطع لمّ لم يعقد هذا المجلس^(٢). قلت: لعل علماء اليهود والنصارى اعتذروا عن حضوره؛ مخافة كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وإظهار ما يكتُمون، وبيان ما يحرفون، لما يعرفون عنه من ثاقب علمه باللغات التي دونت بها أسفارهم.

٨ - تبرز الرسالة كراهية سعيد ونفوره من الوثنية.

(١) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٣٠، ٨٠.

٩ . مناقشته لأخطر أفكار الفلاسفة المتعلقة بقدوم العالم .

المآخذ :- لعل أبرز المآخذ على الكتاب هي عدم ترتيبه ، فقد أدخل عدداً من الفصول بين الفصول المتعلقة بالبشارات كإدخال فصل عن إنشقاق البحر لموسى ص ٥٥- ٥٦ ، ثم فصل آخر عن تحريف التوراة والإنجيل ص ٦١- ٦٢ ، وفصل عن كتابة التوراة ص ٦٣ ، وفصل عن الألوهية ص ٦٥ ، ولو رتب هذه الفصول حسب موقعها من الكتاب ؛ لأخرج كتاباً متناسقاً .

الفصل الثاني

التعريف بالمهتدين من النصارى

وهم كالتالي :-

- ١ - الطبري .
- ٢ - المتطبب .
- ٣ - الترجمان .
- ٤ - زيادة .
- ٥ - عبد الأحد داود .
- ٦ - النجار .
- ٧ - إبراهيم خليل .
- ٨ - الهاشمي .
- ٩ - مرجان .
- ١٠ - روجيه جارودي .
- ١١ - موريس بوكاي

المبحث الأول: علي بن ربن الطبري

المطلب الأول، نسبه ومولده ونشأته. -

أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري^(١)، هذا المهتدي رغم إسلامه وتأليفه ثلاثة كتب، يثبت في أحدها نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ويرد على النصارى في الكتاب الثاني، ويصنف الثالث في الطب وعلل الأجسام، ورغم علاقته ببعض الخلفاء العباسيين كالمعتصم والمتوكل... إلا أننا نجد أن المؤرخين والمترجمين لم يولوه العناية الكافية، فلم يذكروا من ترجمته إلا أقل القليل، الذي لا يوصل إلى الحقيقة، ولا يروي ظمأ الباحث، بل هذا القليل الذي حفظوه لم يسلم من الاختلاف والتضارب؛ فاختلّفوا في اسمه واسم أبيه، كما اختلفوا في دينه وعقيدته، كما اختلفوا في تأريخ ميلاده ووفاته وعلى يد من أسلم؟ وهو لم يدون لنا سيرته الذاتية وتنقلاته وهجرته من النصرانية إلى الإسلام، ولو كتبها لنقلها المؤرخون والمترجمون إلينا، ولعلنا نحاول في هذه الترجمة له، أن ندون ما أوصلنا إليه

البحث :

(١) انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٣٤٢. وأخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي، ص ١٢٨ و ١٥٥. وتاريخ الحكماء للزوزني، ص ١٨٧. والفهرست، تأليف محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق المعروف بابن النديم، تحقيق رضا مجدّد، ط طهران ١٣٩١ هـ، ص ٣٥٤. وتاريخ الأدب العربي، تأليف كارل بروكلمان، نقله إلى العربية د. يعقوب بكر، د. رمضان عبد التواب، ط ٣، نشر دار المعارف بالقاهرة، ج ٤ ص ٢٦١-٢٦٣. وكنوز الأجداد تأليف محمد كرد علي، نشر دار الفكر للطباعة والتوزيع، بدمشق، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، ص ٧٠-٧١. وأعلام العرب والمسلمين في الطب، تأليف د. علي عبد الله الدفاع، نشر مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٢. وانظر الدراسة التي أعدها عنه محمد زبير صديقي في بداية تحقيقه لكتابه «فردوس الحكمة» وطبع هذا التحقيق في مطبعة «آفتاب» ببرلين عام ١٩٢٨ م. وكذلك الدراسة التي أعدها عنه عادل نويهض ونشرها مع كتاب المؤلف «الدين والدولة» الذي حققه ونشرته دار الآفاق الجديدة في بيروت عام ١٤٠٢ هـ، ط ٤، ص ١٩٠-٥. ومعجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة، نشر دار إحياء التراث العربي، ج ٧، ص ١٠٦. وهدية العارفين، تأليف إسماعيل باشا البغدادي، نشر مكتبة المنشي ببغداد، ج ١، ص ٦٦٩.

اسمه: حصل الاختلاف في اسمه كما سبق، فقد ذكره الطبري بـ (علي بن رين النصراني)^(١) وعند ابن خلكان (علي بن رين الطبري)^(٢). وعند ابن أبي أصيبعة (علي بن سهل بن رين الطبري)^(٣). وعند المسعودي (علي بن زيد الطبيب الطبري)^(٤). وعند ابن النديم (أبو الحسن علي بن سهل الطبري)^(٥). وعند القفطي (علي بن رين الطبري ، ورين هذا كان له تقدم في شريعة اليهود ، والرین والرین أسماء لمقدمي شريعة اليهود)^(٦). وعند ياقوت الحموي (علي بن رين الطبري)^(٧). وعند بروكلمان (أبو الحسن علي بن سهل رين الطبري)^(٨). وعند محمد كرد علي (علي بن رين، والرین والرین والرأب أسماء لمقدمي شريعة اليهود)^(٩).

مولده : ولد بمرو من أعمال طبرستان ، ولم يذكر الذين أوردوا ترجمته من المؤرخين والمترجمين السابقين تأريخ مولده ، مما ألبأ الدارسين المعاصرين إلى الافتراض والتخمين، وربط بعض الحوادث التي عاصرها أو ذكرها في أحد كتبه ببعض، والخروج منها بنتائج قد تكون مطمئنة إلى حد ما . فهذا د. محمد زبير الصديقي محقق كتاب المؤلف « فردوس الحكمة » قد ربط بعض الوقائع ببعض ؛ واستشف منها أن مولده ما بين سنتي ٧٧٠ م - ٧٨٠ م^(١٠) . ويقارنتها بالتأريخ الهجري يكون تأريخ مولده ١٥٣ هـ - ١٦٤ هـ ، واعتمد^(١١)

(١) انظر تأريخ الطبري المسمى تأريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، ط ٤، ج ٩، ص ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٦.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أبي العباس أحمد بن خلكان ، تحقيق د . إحسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت ، ج ٥ ، ص ١٥٩ .

(٣) عيون الأنبياء ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تأليف أبي الحسن بن علي المسعودي ، نشر دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

(٥) انظر الفهرست ، ص ٣٥٤ . وقد كتب في الهامش في إحدى النسخ علي بن ريل .

(٦) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ١٢٨ ، ١٥٥ . وانظر المنتخبات الملتقطات ، وهو مختصر الزوزوني ، ص ١٨٧ . فقد سلك المسلك نفسه .

(٧) معجم البلدان ، نشر دار بيروت ، ١٤٠٠ ، ج ٤ ، ص ١٦ .

(٨) تأريخ الأدب العربي ، ج ٤ ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٩) كنوز الأجداد ، ص ٧٠ .

(١٠) انظر مقدمة كتاب فردوس الحكمة ، ص : و .

(١١) قلت: إنه اعتمد على الفرض الذي فرضه الصديقي ؛ لأن الحوادث التي ربط بينها الصديقي هي نفسها التي ربط بينها نويهض ، هذا فضلاً عن أن تحقيق الصديقي سابق لتحقيق نويهض .

على هذا الافتراض عادل نويهض عن تحقيقه لكتاب المؤلف « الدين والدولة » إلا أنه خالفه بعض المخالفة في التقدير الزمني لتأريخ ميلاده ؛ إذ افترض أنه ولد بين عامي ١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ^(١)، كما افترض عبد المجيد الشرفي تأريخ مولده ما بين عامي ١٥٧ - ١٦٩ هـ^(٢). وأبعد النجعة كارل بروكلمان ؛ إذ افترض أنه ولد في حدود ١٩٢ هـ^(٣)، وتبعه على هذا الافتراض د. الدفاع^(٤). ويلاحظ القاريء هذا الاختلاف الحاصل بين هؤلاء الدارسين ، وهو اختلاف واسع ؛ فما بين ١٥٨ هـ وهي أول مدة الافتراض الأول، و ١٩٢ هـ وهي نهاية الافتراض الثاني ٣٤ سنة، وهي ليست بالمدة القليلة. والذي يترجح لدي - والله أعلم - الافتراض الأول؛ لأنه تم الربط بينه وبين حادثة وقعت في حياة المؤلف وأشار إليها .

نشأته وطلبه العلم :- نشأ في مدينة « مرو » من أعمال طبرستان ، في بيت علم وأدب؛ فأبوه من أبناء كتابها، وهو عالم رباني سرياني الأصل واللغة^(٥)، بل هو من معلميهم وعظمائهم^(٦) وعمه مشهور بالجدل في آفاق العراق وخراسان^(٧)؛ ولذلك أسندت إليهم الكتابة في دواوين أمراء طبرستان ، وكانت الكتابة متوارثة فيهم ، فأبوه من أبناء الكتاب ، ثم تولى ابنه الكتابة من بعده لهم أيضاً .

ولقد تعهد أبوه منذ نعومة أظفاره بطلب العلم والتأله في سبيله والاحتساب في تحصيله وبذله ؛ لأن هذا مذهب أبيه ، وقد حاول الأب أن يسلك ابنه هذا المسلك^(٨)؛ وتم له ما أراد فهو يقول في أحد كتبه: (واعلموا أنني لم أرد بما كتبت تفاخراً ولا تكاثراً ؛ بل ما عند الله الذي لا يخيب راجيه)^(٩). كما حاول أن يبذل لابنه ما تعلمه من الطب وأن يوجد عليه بما علمه من اللغات، يوضح ذلك بقوله: (وكان أفهمني، منه - أي الطب - في صغري

(١) انظر مقدمة كتاب الدين والدولة ، ص ٩ .

(٢) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، تأليف عبد المجيد الشرفي ، نشر الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦ م ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) انظر تأريخ الأدب العربي ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٤) انظر أعلام العرب والمسلمين، ص ٢٢ .

(٥) انظر تأريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٢٦١ .

(٦) انظر فردوس الحكمة ، ص ١ .

(٧) انظر الدين والدولة ، ص ٩٨ و ١٨٩ .

(٨) انظر كتاب فردوس الحكمة ، ص ١ .

(٩) الدين والدولة ، ص ٢٠٩ .

ما لم أَدع التزید إلیه بقدرما قسم الله لی منه، وعلى حسب ما أعان علیه الزمان والطبع). كما تلقى عن عمه فن الجدُل ، وعلم مقارنة الأديان ، واستيعاب الحجج التي يحتج بها على المخالفين،^(١) وجمع إلى ذلك علم الحكمة ودراسة الطبيعيات. ولم يقتصر في طلبه على هذه المجالات المختلفة على الرجال، بل راح ينقب في بطون الكتب ويجمع ويستكمل ويستخلص منها الفوائد^(٢) . كما أن شغفه بالعلم لم يجعله يقتصر على لغة دون أخرى ؛ فإلى جانب إتقانه اللغة العربية ودراسته لما ألف فيها في الفنون التي هي مجال اختصاصه، اطلع على كتب أخرى بلغاتها الأصلية ، ونقل بعضها إلى اللغة العربية^(٣) واستفاد منها ، وأقام الحججة من خلال ما اشتملت عليه هذه الكتب مما يريد تقريره باللغة العربية . وإن المطلع على كتابيه « الدين والدولة » و« فردوس الحكمة » لواجِد من ذلك كثيراً ، فلا غرو أن تعددت اللغات التي يجيدها ؛ فأبوه سرياني اللغة وقد اشتغل بنقل بعض الكتب من لغة إلى أخرى^(٤) ، وهو قد عاش في بيئة عربية اليد واللسان .

وبعد أن بلغ في التحصيل درجة ، وفي العلم منزلة ؛ دخل كاتباً في ديوان المازيار بن قارن حاكم طبرستان ، واستمر على هذه العلاقة معه حتى عام ٢٢٤هـ حيث حصلت علاقات سياسية بين الخلافة العباسية وبين ولاية طبرستان انتقل على إثرها إلى عاصمة الخلافة^(٥) بغداد وسامراء ولأزم أبواب الخلفاء ؛ فكان من جملة أطباء المعتصم، ومن جلساء المتوكل .

المطلب الثاني : البيئة التي نشأ بها ، -

نشأ في بيئة إسلامية تحت ظل دولة من أعز الدول الإسلامية، حيث نشأ في حواضر الخلافة العباسية، وترعرع في ظلها، وعاصر الغلبة والسؤدد، والتفوق وبسط النفوذ، وحماية الثغور ... وغير خاف أن الازدهار العلمي للأمة الإسلامية سواء كان تأسيساً أو

(١) الدين والدولة ، ص ١٩٠ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ ، ٤١ . وفردوس الحكمة، ص ١ - ٢ .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ١٣١ . وفردوس الحكمة ، ص ١ .

(٤) انظر إخبار العلماء ، ص ١٢٨ .

(٥) انظر تفاصيل هذه الحادثة في تأريخ الطبري ، ج ٩ ، ص ٨٥ - ٩٦ .

تدويناً أو ترجمة . كان على أوجه في هذا العصر الزاهر ، يقول ابن طباطبا عن هذه الدولة : (كثيرة المحاسن ، جمّة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافقة ، وشعائر الدين فيها معظمة، والخيرات فيها دائرة ، والدنيا عامرة ، والحرمات مرعية ، والثغور محصنة...) (١)

وقد ساعد على هذا الازدهار الفكري والهيمنة السياسية ؛ أن الأمة لا تزال موصولة بكتاب ربها وسنة نبيها ، مقتفية لأثار أصحابه وتلاميذهم من التابعين وتابعيهم ، تهتدي بهديهم ، وتأخذ بأرائهم . ولهذه الأسباب وغيرها أقبل كثير من أبناء البلاد التي احتواها الإسلام تحت جناحه على الدخول في الإسلام ، وأداء فرائضه ، وتفهم تعاليمه ، وأسهم كثير منهم في دراسته وتوضيحه وتصنيف المصنفات (٢).

ودخول هذه الأجناس جلب على الأمة الإسلامية خيراً كثيراً ، وتضمن بعض السلبيات التي أضرت بالأمة ؛ فكثير من أبناء هذه الأمم دخلوا في دين الله ولم يتجردوا له مما توارثوه عن آبائهم وأسلافهم من أفكار وفلسفات ؛ فأورثوا هذه الأفكار أبناء الأمة الإسلامية ، حتى أصبحت شيعاً وأحزاباً من خوارج وشيعة ومعطلة ومعتزلة... كانت - أي هذه الفرق - ترفع بنودها وراياتها حيناً ، وتضعها أحياناً حسب ما يتاح لها من فرص، وماتواجهه من قمع من قبل الولاة ، ولا أدل على ذلك من فتنة القول بخلق القرآن التي أحدثها المعتزلة ، وكانت متوارية في زواياها، حتى إذا اسندتها الدولة وأيدتها ظهرت واشمخرت وفرضت آراءها على العلماء والدهماء... ولما جاء المتوكل حد من غلوائها ، وأفسح المجال أمام أهل السنة ليصدعوا بكلمة الحق (٣) ، وفي هذه الفترة التي راجت فيها الفتن ، وتعددت المدارس والأحزاب كانت الساحة الإسلامية تعج بأئمة الدنيا علماء وعملاً ، وصلاً وزهداً ، وورعاً وتقوى من أمثال الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري والمزني وغيرهم كثير ...

إذاً لقد عاش هذا المهتدي في هذه البيئة ، وعاصر أوج الخلافة العباسية الذي أعقب اندياح دائرة الفتوحات الإسلامية ، وزوال امبراطوريتي فارس والروم - حتى بدأت تلوح

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص ١٢٨ . نقلاً عن موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ٣، ص ١٧ .

(٢) انظر العراق في التاريخ ، ص ٣٨٧ .

(٣) انظر الهداية والنهاية ، لأبي الفداء ابن كثير ، نشر دار الفكر ، مجلد ٥ ، ج ١٠ ، ص ٦١ وما بعدها . وتاريخ التراث العربي ، تأليف فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية د . محمود فهمي حجازي . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، المجلد الأول، ج ٤ ، ص ٦٠ . وتاريخ العراق ٥٩ وما بعدها .

في الأفق علامات التراجع والتقهقر في نهاية عهد المتوكل .
 إذاً فلا غرو أن تنتج هذه البيئة رجلاً كهذا المهتم في علمه واحاطته ومنهجيته وتدقيقه
 وتحقيقه ، مما كان محل ثناء المؤرخين والدارسين، حتى سلكه أبو حيان التوحيدي في سلك
 نوايغ المؤلفين ، وضرب به المثل في الإجابة^(١) . ووصفه الصديقي بقوله : (ومن أمعن في
 تأليفه الثلاثة المار ذكرها^(٢) علم أنه كان من المهرة المتضلعين بالعلوم العربية المتداولة في
 عصره الزاهر، متحنكاً في الطب والفلسفة والهيئة، غزيراً في ديانات اليهود والنصارى
 والإسلام، حاوياً على اللغات العلمية المتداولة في تلك الأيام... ثم قال: إذا شمر للتأليف
 فإنه رحمه الله فارس ميدانه ؛ حيث يشبع تأليفه بسعة علمه وغزارة مادته)^(٣) .

المطلب الثالث : دوافع إسلامه .-

سبقت الإشارة إلى خلاف من ترجم له حول الدين الذي كان يدين به وينتسب إليه قبل
 إسلامه، ومنشأ ذلك أن القفطي لما ترجم لأبيه قال : (ورين هذا له تقدم في علم اليهود ،
 والرين والريرين أسماء لمقدمي شريعة اليهود)^(٤) . ولواطع على تفسير هذا اللقب الذي
 فسره به ابنه في «فردوس الحكمة» وهو قوله : (فلُقب لذلك برين. وتفسيره عظيمنا
 ومعلمنا)^(٥) لما زعم هذا الزعم . ولقد سار خلفه بعض من أتى بعده ؛ فنسبوه إلى اليهودية،
 ومن سار على ذلك محمد كرد علي في كتابه «كنوز الأجداد» ، وكذلك د. الدفاع. والذي
 تنتصب له الشواهد، وتقوم عليه الأدلة أنه كان نصرانياً قبل انتسابه إلى الإسلام ، يؤيد
 ذلك هو بقوله : (مازلت وأنا نصراني...)^(٦) . وكذلك وصفه الإمام الطبري في تأريخه
 بأنه علي بن رين النصراني^(٧) . وكذلك نسبه ابن خلكان إلى المسيحية^(٨) .

(١) كنوز الأجداد ، ص ٧٠ .

(٢) وهي الدين والدولة ، وفردوس الحكمة ، وحفظ الصحة .

(٣) مقدمة كتاب فردوس الحكمة ، ص: ي ، يب .

(٤) إخبار العلماء ، ص ١٢٨ .

(٥) ص ١٠ .

(٦) الدين والدولة ، ص ٩٨ ، ١٠٨ .

(٧) ج ٩ ، ص ٨٥ - ٩٦ .

(٨) انظر وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٩ .

إذا ثبت انتسابه إلى النصرانية فماذا كانت عليه حاله قبل إسلامه ؟ حاله قبل إسلامه حال كل من يتخبط في دياجير الظلمة ، وعمى الضلالة، وأمواج الشك والشبهة ، ولست اعتسف هذا التصور اعتسافاً ؛ إنما مقاله بنبيء عن حاله ، إذ يقول : (وكننت من قبل أن أسلم غافلاً عنه . أي الإسلام . هائماً لا أبصر رشداً، ولا أهتدي لشيء مما انكشف لي من بعد، ولله المن والحمد، فلقد رفع الحجب عن الأبصار، وفتح الأقفال، وأخرج من ظلمات الضلال... ثم يزيد الأمر وضوحاً بقوله : (حتى إذا أفقت من سكرة التيه ، وهببت من سنة الحيرة ، وانجابت عني فتنة التقليد ...) ^(١)

لكن ما الذي دفعه إلى الخروج من دينه والانضواء تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ نستخلص ذلك من خلال عباراته المتناثرة في ثنايا كتابه «الدين والدولة» والتي ألمحت إلى شيء منها، وإن لم تصرح به تمام التصريح ، وهذه الدوافع هي :-

١ - مئة الله عليه وهدايته لهذا الدين القويم ، برفع الغشاوة عن بصره ، والران عن بصيرته، وهتك الحجب وكشف الأستار التي كانت تحول بينه وبين معرفة الحق ، وتهافت الحجج التي كان يتذرع بها ويستند إليها في منافحته عن دينه والمجادلة عنه والدعوة إليه ^(٢).

٢ - شهادة الأنبياء السابقين بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ^(٣) : هذا الأمر صرح به القرآن في قوله تعالى عن المسيح أنه قال لقومه : (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ..) ^(٤) وهو محل إجماع من قبل الذين اهتموا من أهل الكتاب ، وكان لهم سابق معرفة ودراسة لكتيبهم المقدسة ، وهذا المهتدي الذي نتحدث عنه كانت أحد الدوافع لإسلامه هو وجوده أن كتب الأنبياء السابقين تشهد لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتتنياً عن دينه ودولته . ^(٥)

٣ - القرآن الكريم : هذا المهتدي لم يكن إسلامه جموحاً عاطفياً في سني شبابه ، أو مغامرة في سبيل الطموح ومخالفة المعهود والمألوف ؛ بل كان إسلامه نتيجة بحث ومقارنة

(١) الدين والدولة ، ص ٥٣ ، ١٠٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣) سألتحدث عن هذا الجانب بالتفصيل في الباب الثاني من هذا البحث ، ص ٣٢٨ إن شاء الله .

(٤) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٥) انظر الدين والدولة ، ص ٢٠٥ .

ومقابلة، اتجهت بالدرجة الأولى إلى هذا القرآن الكريم ومقابلته بما عهدته البشرية من الكتب الخالدة، التي تتناقلها الأجيال، ويحتفي بها المحترفون؛ فخرج منها بنتيجة أن غرضها ومغزاها غير هذا الغرض - أي غرض القرآن - ولن تذكر مع كتب التنزيل، ثم كرر المقابلة بما يتحد معه في المصدر ويختلف معه في المادة والمضمون، وهي الكتب السماوية السابقة، فاستعرضها واحداً واحداً واستخلص النتيجة وهي: (فأما القرآن فلن يوجد فيه حرف مما يشبه ذلك [أي ما اشتملت عليه الكتب السابقة] بل هو منسوج بالتوحيد والتهاويل والتحاميد والسنن والشرائع والخبر والأثر والوعد والوعيد، والرغبة والرغبة، والنبوات والبشارات بالأمر الجميلة التي تليق بجلال الله وحكمته وطوؤه، ويسط الأمل في الغفران والرافة، وقبول التوبة، والمعاني التي ترتاح لها الأنفس وتستريح إليها الآمال فلا تقنط) (١).

ولكن ما الذي دفعه إلى هذه المقابلة والمقارنة والكبح الذهني والعناء الفكري؟ يجب على هذا التساؤل المؤلف بعد تدبره القرآن بقوله: (إني لم أجد لأحد عربي ولا عجمي ولا هندي ولا رومي كتاباً جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله عز وجل، والتصديق بالرسول والأنبياء، والحث على الصالحات الباقيات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب في الجنة، والتزهيد في النار مثل هذا القرآن منذ كانت الدنيا) (٢).

٤ - ما بذله له الخلفاء العباسيون: أسلفت القول أنه ارتحل إلى عاصمة الخلافة العباسية، وأنه دخل في سلك أطباء المعتصم، وأصبح من جلساء المتوكل.

والخلق الإسلامي الأصيل يوجب على صاحبه الإحسان إلى الناس والبر بهم، وبذل الخير لهم؛ ترغيباً في الإسلام، وانطلاقاً من قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (٣)، وانطلاقاً من هذه المبادئ السامية، والمثل العالية؛ لقي هذا المهتدي في كنف الخلفاء العباسيين الرعاية والعناية؛ فكانت سبباً في إسلامه، يحدثنا عن هذا الأثر على نفسه بقوله: (ولله الشكر على ما هداني، ثم لعبده وخليفته جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - على ما ندبني له، واجترني وغيري من أهل الذمة إليه ترغيباً

(١) المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٨.

(٣) سورة المتحنة، الآية ٨.

وترهيباً، واحتساباً وحباً منه للناس كافة^(١).

هذه دوافع إسلامه ، فمتى أسلم ؟ وعلى يد من ؟

أسلم بعد السبعين من عمره^(٢). لكن اختلف النقلة في تحديد الخليفة العباسي الذي أسلم على يديه ، فمن القدماء من ذهب إلى أنه أسلم على يد المعتصم ، وأنه قربه وظهر بالحضرة فضله^(٣). أما المعاصرون مثل بروكلمان وعادل نويهض ود. الدفاع^(٤) فذكروا أنه أسلم على يد المتوكل .

والذي يترجح لدي الرأي الأخير لأنه أوماً إلى ذلك في آخر كتابه حيث قال: (واجترني [أي المتوكل] وغيري من أهل الذمة إليه)^(٥). ونلمس في هذه العبارة ما يرجح ذلك؛ فقوله: (اجترني وغيري من أهل الذمة) ما يفيد اعتبار نفسه في أول علاقته بالمتوكل من أهل الذمة .

مصنفاته:- كما دخل الخلاف سائر أطوار حياته ، دخل الخلاف في مصنفاته ، وبعضها

وصل إلينا وبعضها لم نعرفه إلا من خلال كتب التراجم ، فالكتب التي وصلت إلينا هي:

١ - الدين والدولة ، وهو الذي سنتناوله بالبحث والدراسة والتقييم .

٢ - الرد على النصارى^(٦) .

٣ - فردوس الحكمة .

أما الكتب التي ذكرت في كتب التراجم ولم تصل إلينا ، ووقع الخلاف في بعضها

فهي:-

(١) الدين والدولة، ص ٢١٠ .

(٢) الرد على النصارى ، لهذا المهدي ، ص ٧ نقلاً عن كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى .

(٣) انظر الفهرست ، ص ٣٥٤ . وإخبار العلماء ، ص ١٥٥ .

(٤) انظر تاريخ الأدب العربي، ج ٤ ، ص ٢٦١ - ٣٦٣ . مقدمة كتاب الدين والدولة ، ص ١٥ - ١٦ . وأعلام العرب والمسلمين في الطب ، ص ٢٢ . وأود التنبيه على عبارة وردت لدى بروكلمان في ترجمته للطبري وهي قوله : (وعاد إلى الإسلام بأمر من الخليفة المتوكل) . فهذه عبارة قلقة يشم منها رائحة ضجره من إسلامه ، وتصوير إسلامه على أنه صادر بأمر من الخليفة ، لا نتيجة فتاعة شخصية . ولكن هذا دأب هؤلاء ، والشيء من معدنه لا يستغرب .

(٥) الدين والدولة ، ص ٢١٠ .

(٦) أشار إليه المصنف في ثنايا كتابه السابق ، ص ١٥٤ ، ١٥٩ بالرد على أصناف النصارى ، وبالرد على النصارى ، ثم ذكر عبد المجيد الشرفي في كتابه الفكر الإسلامي ، ص ١٣٠ أن هذا الكتاب نشر في بيروت سنة ١٩٥٩ م عن نسخة وحيدة مبتورة الآخر في مكتبة شهيد علي باستنبول .

- ١ - كناش الحضرة^(١) .
- ٢ - تحفة الملوك .
- ٣ - منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير .
- ٤ - حفظ الصحة .
- ٥ - كتاب في الرقى .
- ٦ - كتاب في الحجامة .
- ٧ - كتاب في ترتيب الأغذية .
- ٨ - بحر الفوائد^(٢) .
- ٩ - إرفاق الحياة .
- ١٠ - الإيضاح من السمن والهزال وتهيبج الباه وإبطاله .
- ١١ - الترجمة السريانية لكتابه فردوس الحكمة .

وفاته :- لم أجد من ذكرها من المتقدمين - حسب ما اطلعت عليه - وذكر صاحب هدية العارفين ، أنه توفي بعد سنة ٢٦٠ هـ^(٣) . وجزم محقق كتاب الدين والدولة^(٤) أنه كان حياً قبل سنة ٢٤٧ هـ ، واستبعد أن يكون ما ذكره البغدادي في هديته صحيحاً ؛ وذلك لأنه افتراض تأريخ مولده بين عامي ١٥٨ - ١٦٩ هـ ، واستنتج من ذلك أن عمر الطبري على افتراض البغدادي سيكون نيفاً واثنتي عشرة سنة ، ولو كان كذلك لذكره المؤرخون الذين يهتمون بوفيات المعمرين .

وهذا الاستنتاج خاطيء ؛ وذلك أنه لو توفي بعد خمس سنوات من التأريخ الذي ذهب إليه البغدادي - بالنظر إلى أدنى افتراض افترضه نوبهض لمولده وهو ١٥٨ هـ - لكان عمره ١٠٧ سنوات .

لكن الذي يترجح لي أنه توفي بعد سنة ٢٥٣ هـ ؛ وذلك أنه قال في كتابه الدين

(١) والذي يترجح أنه هو فردوس الحكمة ؛ لأنه قال في وصفه له : (فتهبأ لي منها بعون الله سر من أسرار الحكمة ، وكنز من كنوز الصناعة ، وكناش يحيط بأكثر ما يتمناه التمني) . ص ٢ .

(٢) ذكره في فردوس الحكمة ص ٨ بأنه بحر المنافع .

(٣) انظر هدية العارفين، ج ١، ص ٦٦٩ .

(٤) انظر ص ١٧ ١٨ .

والدولة: (ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمان مائة وسبع وستون سنة)^(١). وبمقابلة هذا التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري ينتج عن ذلك أنه كتب هذه العبارة عام ٢٥٣ هـ ، إذاً تكون وفاته بعد هذا التاريخ ، والله الموفق للصواب .

المطلب الرابع ، القيمة العلمية لكتابه الدين والدولة . -

هذا الكتاب ألفه مؤلفه بعد دخوله في الإسلام ، وبعد تأليفه لكتابه «الرد على النصارى» لأنه أشار إليه في ثنايا هذا الكتاب ، ويظهر أن هذا الكتاب ما هو إلا استكمال لما شرع فيه في الكتاب الأول، وذلك لأنه أراد أن يرد على أهل ملته - النصارى - في الكتاب الأول ، ثم ينثني في هذا الكتاب على بني عمه اليهود ويبين فساد دينهم وبطلانه، ومخازي الثنوية والذهرية وضلالها؛ ليتبين للناظر انكسارها وانحسارها، وأن الحق والإيمان وأن النور هو في الإسلام وحده،^(٢) كما أنه استفاد من مخالطته للخليفة العباسي المتوكل في تأليفه لهذا الكتاب، فقد أشار إلى أنه استفاد من حكمة أمير المؤمنين ، وأنه أعانه على أن لا يترك مسألة صعبة إلا يسرها له^(٣).

وقد نجح تأليفه لهذا الكتاب في خلافة المتوكل^(٤)، إذ شكره في نهايته ، ودعا له بطول البقاء، ولكن يعترض الباحث عبارة أوردها المؤلف في ثنايا كتابه ، وهي ذكره تاريخاً عاصره بعد وفاة المتوكل بست سنين وهي قوله : (ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمان مائة وسبع وستون سنة)^(٥) . وباستخراج ما يقابل هذا التاريخ من التاريخ الهجري نجد أنه يوافق عام ٢٥٣ هـ ، فكيف التوفيق ؟ إن كل ما استطيع أن أقوله : لعل المؤلف أعاد كتابة وصياغة بعض العبارات مما أدى إلى ذلك ، وترك بعضها وهو ما يوحى بكتابته في حياة المتوكل . ويشفع لهذا اللبس أن هناك لبساً أو نقصاً آخر سنبينه إن شاء الله في المآخذ على الكتاب .

المحتوى : يقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة من الحجم الكبير بما فيها الترجمة للمؤلف

(١) ص ١٨٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٩٢ ، ١٩٥ .

(٤) توفي المتوكل عام ٢٤٧ هـ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

والفهارس ، وقد ابتدأه بمقدمة بين فيها سبب تأليفه، وذكر الموانع التي من أجلها خالف من خالف الإسلام ، وهي أربع علل هي:

١ - الشك في خبره صلى الله عليه وسلم .

٢ - الأتفة والعزة .

٣ - التقليد والإلف .

٤ - البلادة والغباوة .

ثم بين - فيها أيضاً - وجوه الأخبار والإجماع ، ودلائل تصحيحها ، وأقام بعد ذلك عشر شهادات جعلها مقاييس معتبرة وجدها متوفرة للنبي صلى الله عليه وسلم، يعتبر بها على صدقه صلى الله عليه وسلم، وعليها مدار الكتاب وهي:

١ - دعاؤه إلى التوحيد ، وموافقته في ذلك لجميع الأنبياء .

٢ - ما كان عليه في نسكه وعفته وصدقه ومحمود سننه وشرائعه.

٣ - إظهاره لآيات بينات لا يأتي بها إلا الأنبياء .

٤ - أنه تنبأ على أشياء غائبة فصحت في زمانه .

٥ - أنه تنبأ على حوادث جمة من حوادث الدنيا ودولها صحت بعده .

٦ - أن الكتاب الذي جاء به آية من آيات النبوة بالضرورة والحجج التي لا تدفع .

٧ - أن غلبته الأمم آية بينة بالضرورة والحجج التي لا تدفع .

٨ - أن دعواته الذين نقلوا أخباره خيار الناس وأبرارهم ومن لا يظن بأمثالهم الكذب والإفك.

٩ - أنه خاتم الأنبياء ولو لم يبعث لبطلت نبوات الأنبياء فيه وفي إسماعيل عليهما السلام .

١٠ - أن الأنبياء عليهم السلام قد تنبأوا عليه قبل ظهوره بدهر طويل ووصفوا مبعثه وبلده وخضوع الأمم له والملوك لأمته .

ترجمة الكتاب وطبعاته :-

نشره المستشرق منغانا باللغة العربية ، ونقله إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٢٢م^(١) ،

وطبعه في مطبعة المقتطف بمصر في مجلد يحتوي على ١٤٤ صفحة عام ١٣٤٢هـ

(١) انظر تاريخ الأدب العربي ج ٤ ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ . والفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص ١٣١ .

١٩٢٣م^(١). ثم أعيد نشره من قبل المكتبة العتيقة بتونس - بدون تاريخ - وكذلك نشرته دار الآفاق الجديدة في بيروت عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م بتحقيق عادل نويهض^(٢) ، ثم توالفت طبعات هذا الكتاب من نفس هذه الدار ، وبين أيدينا الآن الطبعة الرابعة التي صدرت عام ١٤٠٢هـ .

سبب تأليفه : - من عبارات المؤلف المتناثرة بين دفتي هذا الكتاب القيم نستطيع أن نتلمس الأسباب التي دعت إلى تأليف هذا السفر وهي :-

١ - أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد آمن بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه، وصدق بما أنزل معهم من كتب ، ودعا إلى التوحيد الذي دعت إليه سائر الأنبياء؛ فكفرت به العرب ، وجحد أهل الكتاب خبره ، وكتموا اسمه ، وحرفوا رسمه ، بل شهدوا أن الكفار خير من محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه ؛ فأراد بهذا الكتاب أن يقيم الدلائل على الكفار والمعاندين ، وأن يظهر الحق الذي ستره أهل الكتاب ، ويكشف عنه الأستار؛ حتى يزداد المسلم بالإسلام قوة وسروراً^(٣) .

٢ - تكفل الله لهذا الدين بالغلبة والظهور على سائر الأديان إلى قيام الساعة ، ولهذا لا تزال أسنة المجاهدين مرفوعة في كل زمان ، وإذا سقطت رايته في بقعة تلقفها آخرون في مواقع أخرى ، كما أنها لا تزال أسنة وأقلام المدافعين عن هذا الدين والمنافحين عنه تدافع وتنافع عنه على مر الزمان ، وقد سبق المؤلف إلى تحقيق هذه الغاية رجال دافعوا عن دينهم ، وهتكوا ستار الباطل، ونصبوا الحجج ، وأقاموا البراهين ... ولكن المؤلف - بعد دراسته للمؤلفات في هذا الفن - وجد أنها لا تخلو من ضعف في الأسلوب ، ونقص في

(١) انظر مقدمة فردوس الحكمة ، ص: بي . والفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص ١٣١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٣١ - ١٣٢ . ولا يفوتني أن أشيد بنقطة جديرة بالأهمية لمستها خلال تحقيق عادل نويهض، وهي إيقاظه نصوص الكتاب المقدس بالصيغة التي وردت عن المؤلف ، ولم يتدخل فيها بالتعديل أو التغيير ، مما سلم للقارىء هذه النصوص برواية المؤلف وترجمته ، وإن كان هذا هو الواجب المتحتم ، فإن الذي دفعني إلى ذلك ما لمست من قيام بعض المحققين بتعديل نصوص الكتاب المقدس التي ترد في الكتاب موضع التحقيق ، أو الإيحاء للقارىء في الهامش بأن المؤلف خالفه الصواب ، والصواب هو ما نقله عن الطبعة الجديدة للكتاب المقدس ، ولم يعلم أن طبعاته يتم عليها التعديل سنويا - تقريباً - فلو اتبعنا هذا المنهج لما سلم لنا نص من نصوص الأقدمين في هذا المجال . كما أن هناك مأخذاً على تحقيقه وهو عدم إشارته إلى النسخ الخطية التي اعتمد عليها .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ٣٥ .

الاستدلال^(١)، فأراد أن يستكمل هذا النقص ، ويسند هذا الضعف ، وأن يجمع فيه مالم يحيطوا به من نصوص الكتاب المقدس ، حيث يقول : (وأسلك في ذلك سبيلاً أسدّ وأجدي مما سلك غيري من مؤلفي الكتب في هذا الفن ، فإن منهم من قصر وبترو وأدغم حجته ولم يفسر، ومنهم من احتج على أهل الكتاب بالشعر وبما لم يعرفوه من كتبهم ، ومنهم من حشى دفتي كتابه بمخاطبة المسلمين دون المشركين ، ثم ترجم حججه بأوعر كلام وأبعده من الأفهام .)^(٢)

٣ - أن أحد الأسباب المانعة لأهل الكتاب من الإنضواء تحت راية الإسلام هو الشك في خبره صلى الله عليه وسلم . وقصد المؤلف رحمه الله أن يبين لهم في هذا الكتاب تثبيت خبره صلى الله عليه وسلم عندهم ، ونفي الشك عنهم ، وأن يبين لهم أصول الأخبار وفروعها وعللها ومجاريها ، وكيف يميز حقها من باطلها ، وأن الأسباب التي قبلت بها الأمم أنبياءها مماثلة لأسبابه صلى الله عليه وسلم ، وأن حجته مماثلة لحججهم ، وأن أخباره مماثلة لأخبارهم صلوات الله عليهم وسلامه .^(٣)

٤ - لما جعله المتوكل من جملة جلسائه وخاصته؛ اطلع على واسع معرفته وشمول إحاطته ، ولعله أيضاً اطلع على كتابه « الرد على النصارى » فنذبه إلى تأليف هذا الكتاب وساعده في ذلك .^(٤)

٥ - ابتغاء وجه الله : كان مذهب أبيه الذي لقنه لهذا المهتدي في صباه هو التآله والاحتساب في طلب العلم ،^(٥) واستمر على ملازمته لهذا المبدأ في طلبه للعلم ، حتى إذا أسلم وأدرك حقائق اليوم الآخر وما وعد الله به المؤمنين ؛ تأصل لديه هذا الجانب ؛ فدفعه إلى تأليف هذا الكتاب ، طلباً لمرضاة الله لا فخراً ولا تكاثراً .

منهجه :- من خلال دراسة الكتاب اتضحت معالم منهجه، فبعضها حددها المؤلف ، وبعضها الآخر تم استنباطها من واقع دراسته للقضايا التي عالجها في كتابه ، والأدلة التي

(١) هذه الردود لم تصل إلينا فنستطيع دراستها والنظر فيما أشار إليه ، لذا سنكتفي بشهادته عليها ، إذ ليس في الإمكان أكثر من ذلك .

(٢) الدين والدولة ، ص ٣٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٣٥ ، ٥٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٥) انظر فردوس الحكمة ، ص ١ .

استدل بها ، والبراهين التي قدمها ، أما المعالم التي رسمها لمنهج فهي :

- ١ - أن يجعل هذا الكتاب مفهوماً سهلاً .
 - ٢ - أن يخاصم ويساجل خصمه ، وأن لا يعلو عليه ولا يربي ، بل يفهم ولا يُبهم ، وينصف ولا يظلم .
 - ٣ - أن يستعمل الرفق ويحسن سياقه .
 - ٤ - أن يأتي بالبراهين والمعارضات التي تلزم الخصم، وإن جحدها خرج من ملته ودينه^(١) .
- هذه أهم المعالم التي ألزم المؤلف بها نفسه، أما المعالم الأخرى التي تم استنباطها من واقع الكتاب فهي :-

- ١ - استقراء الكتاب والسنة والسيرة للاستدلال من خلالها على أنها تضمنت من الآيات ما يوجب ضرورة قبول نبوة صلى الله عليه وسلم ، وأنها احتوت من ذلك الشيء الكثير الذي لا يجحده إلا معاند أو مكابر^(٢) .
 - ٢ - استحضار حقائق التأريخ ومسلماته ؛ لتوظيفها لصالح ما يريد تقريره أو نفيه .
 - ٣ - إلزام أهل الكتاب بما يقبلونه في دينهم ، وأخبار سلفهم ، وما دون في كتبهم ، ومقابلة ذلك بما عند المسلمين وإثبات أنها متماثلة في المصدر والوسيلة ، وإمكانية الحدوث .
 - ٤ - الاستدلال بل حشد نصوص الكتاب المقدس للأمر الذي يريد تقريره أو نفيه .
 - ٥ - الرجوع إلى كتب الخصم في لغاتها الأصلية والمقارنة بين التراجم ، وإلزامهم بما توصل إليه .
- وقد صاغ المؤلف كتابه هذا في أسلوب أدبي رائع الجمال ، فائق الحسن ، يدل على تمكن صاحبه من اللغة العربية ، إذ اعتمد على سلاسة العبارة ، وتقريب معانيها للقارىء؛ حتى تكون أيسر للفهم ، وأسهل في الاستيعاب، والذي ساعده على ذلك أن مهنة الكتابة كانت متوارثة في أسرته . ويتتبع الكتاب وتطبيق ما ألزم به نفسه من ناحية الأسلوب والمنهج نجد أنه قد وفى بما التزمه على أتم وجه وأكمله .

(١) انظر الدين والدولة ، ص ٣٥ .

(٢) انظر مثلاً الأبواب ١٠ ، ٢ ، ٣ .

القيمة العلمية لهذا الكتاب :-

تظهر القيمة العلمية لهذا الكتاب في الجوانب التالية :-

- ١ - أن هذا الكتاب يعد أول كتاب يصل إلينا كتبه نصراني هجر دينه وأعلن إسلامه.
- ٢ - أن هذا الكتاب سبقه مؤلفات عدة في هذا المجال ، ولكنها لا تخلو من نقص في الاستدلال، وضعف في الأسلوب، فهذا الكتاب استكمال لذلك النقص وتسديد لذلك الضعف .
- ٣ - المقاييس التي نصبها، والشهادات التي أقامها ووجدتها متوفرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتوجب ضرورة نبوته، لم أجد من أحصاها وجمعها قبله في كتاب .
- ٤ - المقارنة بين ترجمات التوراة والإنجيل، وبيان الألفاظ الصحيحة لها قبل أن تحرفها الترجمة ، ويفسدها العبث .
- ٥ - إيراد نصوص العهد القديم والجديد بعبارات يرجع أصلها إلى الأصل العبري أو اليوناني ، وبعضها إلى نسخ لم تصل إلينا ، بل أكاد أجزم أن كثيراً من البشارات التي أوردتها تضمنت ألفاظاً لا توجد في الطبعات المتداولة ، فتبرز قيمة هذه النصوص أنها نُقلت إلينا وسلمت من تحريف أهل الكتاب لهذه الشواهد والبيئات الدامغة .
- ٦ - الحماس والرغبة في هداية اليهود والنصارى إلى هذا الدين القويم ، ويظهر ذلك من تودده لهم ومخاطبتهم بالعبارات التي تألفها النفوس ، وتأنس لها الأسماع ، كقوله : (يا بني عمي ، يهديكم الله، يرشدكم الله،) ثم دلالتهم على الطريق الذي يبسر لهم الوصول إلى الحق ، وهو قوله : (فليسمع مقالتي ونصحي من كان ذا أذنين ، وليتدبر هذه الشهادات والمقاييس ، وليخل بكتابي هذا ويكتاب الرد على النصارى ، ويسترشد الله ويعمل لنفسه في فكاكها قبل أن يحل به هلاكها)^(١).

المأخذ:- وردت بعض العبارات التي قد تعتبر من المآخذ على الكتاب ، وهذ العبارات

هي :-

- ١ - لما تكلم عن شمول الرسالة المحمدية ، وإحاطتها بما يرضي الله ، وعمومها لسائر الخلق، ذكر أن هذا من خصائص الرسالة المحمدية (أما الباكون - أي الأنبياء - فإنهم كانوا

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

يخبطون من حولهم بالسيف خطأً، وينتسفون أموالهم انتسافاً من غير دعاء ولا إبقاء ولا إغذار ولا إنذار كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم).^(١)

وفي هذا تطاول على هؤلاء الأنبياء الكرام وقدم في منتهجهم ، وهل نسي أن نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ويذكرهم ، ثم يأتي إبراهيم من بعده فيقيم الحجج ، ويكسر الأصنام ، ويكيدون له كيداً ، وهذا موسى بعد أن أقام الآيات وأظهر المعجزات، يخرج بقومه من مصر... وكثير من الأنبياء قالت لهم أقوامهم : لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا . فلم يحصل منهم قتلاً ولا سلباً لأموالهم . بل إن الجهاد لم يفرض على الأنبياء السابقين كما فُرض في التوراة والقرآن والسنة. فمن أين تأتي للمؤلف هذا الظن ؟ لكن لعل الذي دفعه لذلك حماسه الشديد ، ورغبته في أن يجعل الإسلام ورسول الإسلام في موقع لا يشاكل ، ومكان لا يماثل .

٢ - قال عن المسيح عليه السلام: (ولقد أتى المسيح عليه السلام قوم يسألونه آية ، فليس أنه لم يظهرها لهم ، لكنه قذفهم قذفاً ، وافترى عليهم وعلى قبائلهم افتراءً)^(٢). وهذا وصف أجلُّ عنه نبي الله ، لكن قد يكون من باب الإلزام .

٣ - قال عن داود عليه السلام: (وذكر كتاب شموئيل أن داود جاع يوماً فوجه عبيده إلى رجل في طلب طعام فلم تحمل إليه شيئاً، فسار إليه في جمعه للإيقاع بذلك الرجل وأهل قريته، فإذا هو بامرأته قد استقبلته ومعها طعام وشراب قد حملته إليه، وخافت زوجها فيه ، فقبل ذلك منها، وطابت نفسه وسكن غيظه وانصرف عنه . فهذا وما أشبهه من الأنبياء غير منكر ولا مطعون فيه)^(٣). والذي تطمئن إليه النفس وتشهد له الفطر السليمة ، أن هذا الأمر لا يمكن أن يقع من سائر الملوك فضلاً عن الأولياء الصالحين ، فضلاً عن أن يقع من نبي؛ فلم يبعث الله الأنبياء ليسترقوا عباد الله، وينتهكوا حرمتهم ، وينتهبوا أموالهم . بل بعثوا للهداية والإرشاد، وهم أكمل أممهم، وأزكاهم أنفسهم، وأعلاهم أخلاقاً ، وأكرمهم بديلاً ، وأسماهم يداً .

٤ - وصف «متى» كاتب الإنجيل بأنه من حواربي المسيح عليه السلام .^(٤) وسيأتي الكلام على حقيقة هذا الشخص الذي ينسب إليه هذا الإنجيل في الفصل الثالث من الباب

(١) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

الثاني من هذا البحث ، والله المستعان .

٤ . قال عن المقاييس التي نصبها للدلالة على النبي الصادق ، ووجدها متوفرة للنبي صلى الله عليه وسلم : لم يجتمع مثلها لأحد قط إلا للمسيح عليه السلام ...

وقد تضمنت هذه المقاييس بعض المقاييس التي لا تنطبق على المسيح عليه السلام وهما : الكتاب الذي جاء به ، وهو القرآن . وغلبته للأمم باسم الله ؛ وذلك أنه قال عن الإنجيل في مقارنته بالقرآن : (أما الإنجيل الذي في أيدي النصارى فإن جله خبر المسيح ومولده وتصرفه ، وآداب مع ذلك حسنة ، ومواعظ كريمة ، وحكم جسيمة وأمثال رائعة وليس فيها من السنن والشرائع والأخبار إلا اليسير القليل .)^(١) .

أما غلبة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه للأمم باسم الله فهذه لم تحدث في التاريخ لأحد إلا لمحمد وأصحابه رضوان الله عليهم ، وشهد بذلك المؤلف بقوله : (فمن إدعى غلبة كانت باسم الله منذ خلق الله الدنيا لها من الشرائط والمحاسن والدعاء إلى خالق السماء والأرض ... علمنا علماً يقينياً أن تلك الغلبة تقوم مقام آيات النبوات لا محالة)^(٢) .

وقفه مع الكتاب :-

أول طبعة لهذا الكتاب باللغة العربية تمت عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م ، بمطبعة المقتطف بمصر ، من قبل المستشرق منغانا^(٣) ، والطبعة التي بين يدي الآن هي الطبعة الرابعة لدار الآفاق الجديدة ، بتحقيق عادل نويهض ، وقد أشار عبد المجيد الشرفي في كتابه الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلا أن عادل نويهض اعتمد في تحقيقه لهذا الكتاب على نسخة منغانا ؛ لأنه أثبت ٣٨ هامشاً من هوامش منغانا ، وأورد قراءة منغانا ، وقد يثبت قراءة غيرها .

وبعد دراسة الكتاب مرة بعد أخرى استوقفتني عبارات في ثنايا هذا الكتاب للمؤلف تجعلني أجزم بأن الكتاب لم يصل إلينا كاملاً ، وهذه العبارات هي :-

١ . قال المؤلف في ص ٤٥ : (وقد بينت ذلك . أي تناقض النصارى في شريعة دينهم - في الجزء الذي يتلو هذا الجزء ، وشرحت فيه ما يلزم أصناف النصارى كلهم ، واحتججت

(١) المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) انظر تاريخ الأدب العربي ج٤ ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ . والفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص ١٣١ .

عليهم بمائة وثلاثين حجة من كتب الأنبياء ، سوى الحجج البرهانية والأمثال المضروبة والمقاييس الباهرة ، وتوخيت بذلك تبصّرهم رشدهم....)

٢ - قال في نفس الصفحة : (فأما ما يلزم اليهود وغيرهم فقد بينت في الجزء الرابع، وأوجزت القول فيه ولم أقصر.)

٣ - قال في ص ٢١٠ : (ولذلك - أي ما لقيه هو وأهل ملته من الخليفة المتوكل من إحسانه إليهم - صيرت الباب الأول من كتابي هذا في وصف ما شعرت أمتي من مكارمه، وآثار نعمته ، ورفق سياسته، ويمين دولته ، وكثرة فتوحه، وما يجب على أهل الملة والذمة من حبه وطاعته وشكره .) أ. هـ.

وسأضطر إلى استعراض سريع لمحتوى الكتاب - هنا بشكل سريع - حتى يكون القارىء على صلة بمحتواه :

الذي بين يدينا من الكتاب نستطيع أن نقسمه إلى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول: يتعلق بالأخبار والإجماع ووسائل معرفة وجوهها وصحيحها من سقيمها. من ص ٣٣. ٤٦.

القسم الثاني : مقاييس العبر وشهادات الحق التي وجدها متوافرة ومجموعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، في عشرة معان لم يجتمع مثلها لأحد قط إلا للمسيح. من ص ٤٦ - ١٨٩.

القسم الثالث : الرد على بعض اعتراضات وشبه النصارى وغيرهم. من ص ١٨٩ - ٢١٠.

وبالبحث عما وعد به المؤلف من خلال العبارات السابقة فلا نجد لذلك ذكراً ، وسأقف مع هذه العبارات بشيء من التفصيل ، وسيكون التناول لها حسب موقعها :-

١ - قوله : ولذلك صيرت الباب الأول من كتابي هذا في وصف ما شعرت أمتي من مكارمه... هذا الباب بهذا التوسع، والتدوين التاريخي لفترة خلافة المتوكل التي بلغت « ١٥ » عاماً^١ لا يمكن أن تجد له أي أثر في هذا الكتاب ، بل الباب الأول منه حسب النسخة التي بين أيدينا هو « الباب الأول في توحيدده عليه السلام ودعائه إلى ما دعا إليه إبراهيم وجميع الأنبياء » ص ٥٤ - ٥٦ . ولعل إضافة كلمة الباب الأول إلى العنوان السابق من إضافات النساخ أو من أتى بعدهم ، لأن هذا العنوان الذي أقحم تحت عبارة

(١) انظر تاريخ الطبري ، ج ٩ ، ص ١٥٤ - ٢٢٢ .

الباب الأول ماهو إلا المقياس الأول من مقاييس العبر والشهادة الأولى من شهادات الحق التي نصبها المؤلف للتدليل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وإن المتأمل لعبارة المؤلف في قوله :«صيرت» في خاتمة الكتاب ، لتدل دلالة قاطعة على أن هذا الباب قد ورد فعلاً وحرره مؤلفه ، وإلا لم يتحدث عنه بصيغة الماضي، ولو كانت عبارته هذه بصيغة المستقبل أو الأمل الذي يرجو تحقيقه لقلنا لعل مزعجات الدهر حالت دون بلوغه ما أراد. كما أن المتأمل في عنوان الكتاب يدرك ذلك؛ فالمؤلف سمي كتابه « الدين والدولة » فجعل العنوان شاملاً لمحتوى الكتاب، فهو يريد أن يدافع عن الإسلام ، ويبين تناقض النصرانية، وفساد اليهودية، وأن يتحدث عن دولة الإسلام القائمة في عصره وكثرة فتوحاتها ، ويؤمن دولتها ورفق سياستها ، ونعمتها على أهل الكتاب ، وما يجب على اليهود والنصارى من حب هذه الدولة وطاعتها وشكرها .

ويؤكد ما ذهبت إليه أنه في آخر الكتاب قال وقد تم كتابي هذا الذي سميته الدين والدولة ، ولذلك صيرت الباب الأول من كتابي هذا

٢ - قوله : وقد بينت ذلك في الجزء الذي يتلو هذا الجزء ... وبالبحث عن هذا الجزء الذي وعد به ، والذي أجلب من خلاله على النصارى بسبيل من الحجج والأدلة والأمثال والبراهين والمقاييس التي تبين تناقض شريعة دينهم - في كتابه الدين والدولة فإنك لا تجد له أي ذكر .

وقد يقول قائل : إن ما أشار إليه آنفاً قصد به كتابه الأول « الرد على أصناف النصارى». قلت هذا كلام لا يمكن قبوله لعدة اعتبارات :-

١ - أن كتاب الرد على النصارى سابق على كتابه هذا ، فقد أشار إليه فيه أكثر من مرة كما سبق بيانه .

٢ - عبارة المؤلف توحى بأن هذا الرد الذي ألمح إليه في كتاب الدين والدولة غير كتاب الرد على النصارى ؛لأنه يقول عنه : في الجزء الذي يتلو هذا الجزء . وقد سبق بيان أن الرد على النصارى قد ألفه قبل كتاب الدين والدولة .

بمراجعة محتوى كتاب « الرد على النصارى» من خلال ما كتبه عنه صاحب كتاب الفكر الإسلامي في الرد على النصارى - نجد أنه ناقش هذا التناقض في شريعة النصارى، وحصره في سبعة أوجه ، استغرقت ٦ صفحات من ص ٣١ - ٣٦^(١) ، ولا يمكن من الناحية

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص ١٣١ .

العلمية والعقلية أيضاً أن تتضمن هذه الصفحات الست كل ما ذكر ، ف ١٣٠ حجة من كتب الأنبياء ، مضافاً إليها الأدلة والبراهين والمقاييس والأمثال التي أشار إليها المؤلف ؛ من المستحيل أن تحتويها ست صفحات، إذا عرفنا أسلوب المؤلف من حشده للنصوص وشرحه لها، والمقابلة بين التراجم - إذا تطلب الأمر ذلك - وتعليقه عليها والزامهم بها .

٣ - إذا كان المؤلف لم يبين تناقض النصارى في كتابه السابق إلا في ست صفحات ، وهنا وعد هذه الورد وأجلب هذا الإجلاب ، فكأنه أراد أن يستدرك ما فاته من الحجج والبراهين في كتابه الأول ويضمنها كتابه هذا .

وقد يحتج محتج بأن هذا وعد من المؤلف لم ينجزه ولم يتحقق. قلت : عبارات المؤلف موحية بصد ذلك ؛ إذ وردت بصيغة الماضي فقله : (بينت ، وشرحت ، وتوخيت .) تفيد أن هذا أمر قد سلف وكان . وكل الذي استطيع أن أجزم به أن هذا الجزء الذي أشار إليه المؤلف لم يصل إلينا بعد ، ولم يشتمل عليه هذا الكتاب المطبوع .

٣ - قوله: فأما ما يلزم اليهود وغيرهم فقد بينت في الجزء الرابع ... فلا نجد لهذا الجزء المشار إليه أثراً في الكتاب إلا ما يؤيد ما ذهبت إليه ؛ فإنه قال في ص ٢١٠ وقد تم في كتابي هذا الذي سميته الدين والدولة فساد اليهودية وطلاتها ومخازي الثنوية والدهرية وضلالها .

لكن الذي يشير التساؤل هو : هذا الكتاب لقي عناية من كثير من الباحثين والمستشرقين^(١) ومع ذلك لم أجد من أشار إلى هذا النقص من قريب أو بعيد؟

الخلاصة:- استطيع أن أؤكد وكلي ثقة أن كتاب الدين والدولة لعلي بن

زين الطبري لم يصل إلينا كاملاً ، فقد افتقد منه :

١ - الباب الأول الذي تحدث فيه عن خلافة المتوكل ...

٢ - الجزء الثالث من الكتاب الذي تحدث فيه عن تناقض شريعة النصارى، ومن المحتمل أن يكون هذا هو الجزء الثاني من الكتاب ؛ لأن المؤلف قال : وقد بينت ذلك في الجزء الذي يتلو هذا الجزء .

٣ - الجزء الرابع الخاص بالرد على اليهود وغيرهم من الثنوية والدهرية .

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص ١٣١ - ١٣٢ . وقد أشار إلى مجموعة من المستشرقين عُنيت بهذا الكتاب دراسة وبحثاً .

فيترض على هذا أن المؤلف قد قسم كتابه إلى أربعة أجزاء وهي :-

١ - الجزء الأول عن الخلافة العباسية .

٢ - الجزء الثاني عن مقاييس العبر ، وإشارات الأنبياء بنبيينا محمد صلى

الله عليه وسلم

٣ - الجزء الثالث في الرد على النصارى .

٤ - الجزء الرابع في الرد على اليهود وغيرهم من الثنوية والدهرية .

المبحث الثاني : المتطبيب

المطلب الأول ، اسمه ومولده ونشأته . -

هذا المهتمدي لم يلق العناية التي تحفظ لمن خلفه سيرته وأثره، فلم تذكره كتب التراجم القديمة . أما المتأخرون فقد ذكره كل من صاحب كشف الظنون^(١) وصاحب هدية العارفين^(٢) وأوردا اسمه صريحاً ، مضافاً إلى كتابه، وذكرنا هدايته وإسلامه، فقالا: نصر بن يحيى بن عيسى ، كان نصرانياً ، ثم أسلم ، واشتهر بالمهتمدي ، له كتاب «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» .

أما هو فقد ذكر عن نفسه في كتابه أن اسمه : نصر بن يحيى بن سعيد المتطبيب، وذلك في إحدى النسخ الخطية لكتابه، وفي نسخة أخرى ذكر أن اسمه : نصر بن عيسى المتطبيب المهتمدي، وفي نسخة ثالثة: نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبيب، كما ذكر أنه كان نصرانياً متطبباً^(٣) . فهذا كل ما وصل إلينا عن هذا الرجل على سبيل اليقين .

أما القدماء فقد أوردوا اسماً مقارباً له وهو: يحيى بن سعيد المعروف بابن ماري ، من أهل البصرة .^(٤) واختلفوا في اسمه واسم أبيه ؛ فهو عند ابن أبي أصيبعة : أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى المسيحي^(٥) . وعند القفطي : يحيى بن سعيد بن ماري أبو العباس الطبيب النصراني المعروف بالمسيحي^(٦) . وعند ابن العماد الحنبلي في شذراته :

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف حاجي خليفة ، طبع وكالة المعارف الحلبية ، ج ٢ ، ص ١٩٥٧ - ١٩٥٨ .

(٢) هدية العارفين ، تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، نشر مكتبة الإسلامية ، طهران ، ط ٣ ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، تحقيق د . محمد الشرقاوي ، نشر دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٦ ، ٤٨ .

(٤) انظر معجم الأدياء لياقوت الحموي ، ج ٢٠ ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٥) انظر عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٦) انظر إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٣٦ . وانظر مختصر الزوزني ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

يحيى بن سعيد النصراني^(١). كما ذكر هذا الاسم من المحدثين صاحب معجم الأطباء فقال:
يحيى بن يحيى المعروف بابن ماري المسيحي^(٢). وكارل بروكلمان فقال: الطبيب المسيحي
يحيى بن يحيى بن سعيد المعروف بابن ماري النصراني البصري. ^(٣) فاختلّفوا في اسمه
واسم أبيه وكنيته، واتفقوا على أنه نصراني من أهل البصرة، وأنه كان طبيباً وأديباً،
وعرفه بعضهم بابن ماري، كما ذكر بعضهم أنه توفي بالبصرة عام ٥٨٩ هـ.

إذاً نخلص من هذا أن هذا المهتدي لم تذكره كتب التراجم قديماً، ولعل المصدر الذي
اعتمد عليه كل من صاحب كشف الظنون وصاحب هدية العارفين هو النسخ الخطية
للكتاب، أو مصدر لم يصل إلينا.

وقد افترض محقق الكتاب (أن هذا المتطبب الذي ترجم له الأقدمون هو صاحبنا: نصر بن
يحيى نفسه، وقد وقع تصحيف في كتابة الاسم الأول نصر فتصحفت إلى يحيى، وهو غير
بعيد الوقوع، ونفترض أن هذا قد وقع عند أقدم من ترجم له، وقد نقل المترجمون الباقيون
عنه دون تمحيص، وما يساند هذا الافتراض أن صاحبنا قد عاش بعد سنة ٤٤٩ هـ يقيناً؛
لأنه قد نقل مقطوعة شعرية من لزوميات أبي العلاء المعري، وما يسانده كذلك أن كلا
الرجلين طبيب، وأن كتب التراجم قد وصفته بأنه كاتب وأديب وشاعر... وهذا قد تجلّى
في كتابه من حيث الجزالة والفخامة وحسن السبك^(٤).

وعلى كلا الاحتمالين سواء كان نصر هذا هو الذي ترجم له الأقدمون، أم هو غيره؛
فالذي يعني الباحث، وطالب الحقيقة أن هذا الرجل مؤلف هذا الكتاب كان نصرانياً
متقدماً في صناعة الطب، وأديباً بارعاً، وعالمًا في ديانة قومه.. وبعد دراسته لأصول
دينه خرج مقتنعاً أن دينه لا يقوم على أصل؛ فقرر هجره والهجرة منه، والانتقال من
الكفر إلى الإسلام، ويصف حاله قبل إسلامه أنه نشأ على ملة أبويه، متبعاً لدينهما،
مقتفياً لطريقهما، سائراً على آثارهما، وأنه تاه في بحار الضلالة، وركض في ميدان
الجهالة، وشارك الجاحدين في أفعالهم، والمشركين في أقوالهم، والكافرين في ضلالهم،
ووافق الملحدين في إلحادهم، والمجرمين في كفرهم وعنادهم، وأنه لبس ما يلبسون، وأشرك

(١) شذرات الذهب، تأليف عبد المحي بن العماد الحنبلي، نشر دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩ هـ، ج ٤، ص ١٨٥.

(٢) انظر معجم الأطباء، تأليف د. أحمد عيسى، نشر دار الرشد العربي، بيروت، ط ٢، عام ١٤٠٢ هـ، ص ٥١٧.

(٣) تاريخ الأدب العربي، ج ٥، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٤) مقدمة الكتاب، ص ١٧ - ١٨.

كما يشركون ، وقرب كما يقربون ، ووقف أمام الصور والصلبان ...^(١) .
ولم يذكر متى كان عمره عند إسلامه ؟ ولكن الذي يظهر من قوة أدلته ، وبراعة أسلوبه ،
وتسديد حجته ؛ أنه أسلم بعدما تقدم به العمر ، ولعله لم يعيش بعد ذلك طويلاً مما تسبب
في إغفال ذكره وعدم الاحتفاء به .
تأريخ وفاته : على افتراض أن نصر هذا هو من ترجم له الأقدمون ، فقد توفي في
البصرة عام ٥٨٩ هـ^(٢) .

المطلب الثاني : دوافع إسلامه . -

أما وقد أغفل ذكره المتقدمون، واقتضب في خبره المتأخرون، فليس أمامي في استقصاء
دوافع إسلامه سوى كتابه الذي سلمه الله لنا ، وحفظه برهانا على تحريف المحرفين ،
وانتحال المنتحلين ، وكفر النصارى الضالين - استخرج منه أسباب إسلامه، وإن خلا من ذكر
العقبات التي واجهته بعد هدايته ، ولكن يبدو أنه لقي عنتاً من بني ملته ، وتسفيهاً من
بني جلدته، تشهد لذلك عباراته الغليظة التي وجهها لهم عبر كتابه، وانتقاد عقيدتهم،
وسخريته من علمائهم وعبادهم وزهادهم ، وتنقّصه لعباداتهم وطقوسهم^(٣) .

أما أسباب إسلامه كما وردت في كتابه فهي : -

١ - هداية الله له وإرشاده إلى طريق الخلاص، والصراط المستقيم حيث يقول: (شملتني
ألطف الله تعالى ورحمته، وعمتني أياديه ورأفته؛ فوفقني الله للإخلاص في توحيده،
والخلاص من غضبه ووعيده، وأرشدني إلى ما ينجي من هول يوم الميعاد، وصرفني عن
طريق الشك والإلحاد، ودلني على الهدى فقصدته، وهداني إلى الصواب فاتبعته)^(٤) .

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، ص ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) لم أتمكن من معرفة العصر الذي نشأ فيه ، ولأنه من المحتمل أنه في القرن السادس ، ومن أهل البصرة ، فقد تكلمت
عن هذه البيئة في المبحث الأول من هذا الباب .

(٣) انظر كتابه الصفحات التالية : ٥١ - ٥٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٩ .

٢ - لم يكن إسلامه رد فعل لحدث ما ، تسيّره العاطفة ، ويؤججه الثأر ، وتستهو به الإثارة ؛ إنما صدر بعد بحث وتنقيب في أسس دينه وأصوله خرج بعده متيقناً أن هذا الدين لا يعول على أصل ، ولا يستند إلى برهان ، ولا تؤيده حجة ، إنما قوم جهال اقتدوا بقوم لا يعقلون ، واتبعوا قوماً كاذبين ؛ فضلوا وأضلوا وضلوا عن سواء السبيل ؛ فعند ذلك رآ بنفسه عن اتباعهم ، والسير في ركابهم ، وابتغى لنفسه طريقاً ، لا يضل فيه ولا يشقى ، فبحث في سير النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، فوقف على اليقين أن الدين عند الله الإسلام^(١) .

٣ - آيات رسولنا صلى الله عليه وسلم : لما تفحص الآيات التي أظهرها الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ عرف أنه هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن شريعته هي الشريعة الواضحة ، فلما بان له الحق اتبعه وصدق ، وشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الطلب الثالث ، القيمة العلمية لكتابه النصيحة الإيمانية . -

يقع هذا الكتاب في ١٦٠ صفحة من الحجم الكبير ، متضمنة ٤٧ صفحة كمقدمة ودراسة عن الكتاب قدمها المحقق الفاضل د . محمد الشرقاوي .

المحتوى : قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول : ذكر في الفصل الأول مذاهب النصارى واعتقاداتهم . ورد على دعاوى النصارى ، وبيان تناقضهم في كلامهم في الفصل الثاني ، أما الفصل الثالث فقد ضمنه معجزات المسيح عليه السلام التي دُعى من أجلها إليها ، وذكر نماذج من معجزات الأنبياء التي تماثلها وتفوقها ، وخصص الفصل الرابع للدلائل على نبوة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه من التوراة والإنجيل .

طبعت الكتاب :-

طبع المرة الأولى عام ١٣١٢هـ بمطبعة العاصمة بالقاهرة ، وطبع للمرة الثانية عام ١٤٠٦هـ بتحقيق د . محمد الشرقاوي ، نشر دار الصحوة في القاهرة .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٥١ - ٥٢ ، ١٤٧ .

هدفه من التأليف :-

لما من الله عليه بالخروج من الظلمات إلى النور؛ عزم على تأليف كتاب يذكر فيه نبذاً من أحوال النصارى واختلاف مذاهبهم ، وآرائهم واعتقاداتهم ، وعدد أناجيلهم في السابق وكم وصلت في عهده ، ويبين فيه كيف عبدوا الصليب وعظموه ؛ لعلهم يرجعون، ويبين لهم أن اعتقادهم لا يعول على أصل ولا برهان ولا حجة . ووجه الكتاب ابتداءً إلى علمائهم ومشايخهم

منهجه :

اعتمد في منهجه سرد أقوال الخصم كل فرقة على حدة في القضايا محل النزاع، ثم مناقشتها وتفنيدها، مجلباً عليهم بخيل النصوص ، ورجل الحجج العقلية، ولأنه وجهها بالمقام الأول إلى علماء قومه فقد قدر هذا التوجيه، وأخذ لهذا الأمر عدته، فجمع عليهم بين صحيح المنقول ، وصريح المعقول ، وقد صاغها المؤلف بأسلوب أدبي رائع، تظهر عليه جزالة الألفاظ وفخامته، وسلاسة العبارات، تبدو كأنها العقد في تناسقه وتآلفه .

القيمة العلمية لكتابه : النصيحة الإيمانية :-

من العسير على المرء أن يُقِيم كتاباً ما - فيعطي حكماً، ويذكر تقييماً، ويعدد الإيجابيات، ويسرد السلبيات ؛ لأنه مهما أوتي من بلاغة القول، وقوة الفهم، والإحاطة بهذا العلم؛ فلن يستطيع أن يوفي الكتاب حقه ، ويعطي القارىء الصورة الحقيقية ، فربما ذكر شيئاً وغابت عنه أشياء ، وربما تحفظ على عبارة حملها على غير محلها ، أو فهمها على غير وجهها، فلذلك لن يكون منصفاً في حكمه وتقييمه...

وعلى هذا فأقول : إن المميزات التي ترفع قيمة هذا الكتاب هي :-

١ - أن هذا الأثر لعالم من علماء النصارى جمع بالإضافة إلى فقهه في دينهم ، التفوق في اللغة العربية ، والمعرفة بصناعة الطب ، والدراسة لسير الأولين من الأمم والرسول؛ فجاء كتابه هذا ليحتوي على أغلب الخصائص التي اشتملت عليها هذه الفنون ، ليصبها في قالب هذا الكتاب ؛ ليخرج في حلة قشبية ، دثارها البلاغة ، ولحمتها الدليل والبرهان، وسياجها الحجج العقلية الملزمة .

٢ - اتحاف الأمة الإسلامية بنصوص من نصوص التوراة والإنجيل باللغة العربية من ترجمته ، أو من التراجم العربية المتوافرة في عهده لم تنلها يد العبث بالتحريف والتبديل منذ القرن الخامس الهجري - تقريباً . وهذه النصوص لا تكاد توجد بألفاظها في النسخ المتداولة اليوم ، وهذا في حد ذاته يرفع من قيمة الكتاب ويجعله في مصاف وثائق إدانة اليهودية والنصرانية^(١) .

٣ - أنه صوّب سهامه إلى شريعة إيمانهم، وهو ما يسمى اصطلاحاً بـ « الأمانة » أو « قانون الإيمان » وبيان مخالفتهم لهذا القانون، ومناقضتهم له، بل وضّح تناقض هذا القانون في نفسه، وتناقضه مع المسلّمات العقلية، والحقائق العلمية^(٢) .

٤ - بالإضافة إلى الفقرة السابقة فقد أدانهم وألزمهم بنصوص كتبهم التي بين أيديهم ، وأقامها شاهدة ضد مقالاتهم واعتقاداتهم .

٥ - الأمانة العلمية والموضوعية في عرضه ونقله واستشهاده .

٦ - الحماس المنقطع النظير في الدفاع عن الإسلام، والهجوم على النصرانية ؛ كتاباً وعقيدة وشريعة وزهاداً وعباداً وعلماء، وإثبات ضلالهم، وبعدهم عن الصواب، ومخالفتهم لهدي المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهذا الحماس لم يخرج عن الموضوعية والتجرد في تدوينه .

المآخذ :-

رغم هذه القيمة العلمية للكتاب ؛ إلا أنه لم يخل من بعض المآخذ التي لا تنقص من قدر الكتاب ، ولا تحط من شأنه ، وهذه المآخذ هي :-

١ - قال في ص ١٣١ : (وليس الأكل والشرب من طباع إله ولا رب يعبد) وفي التعبير تجاوز ، ولو استبدل « الطبع » بالوصف لكان أسلم .

٢ - ذكر في ص ١٣٤ أن المسلمين اختلفوا في القَدَر ، فمنهم من قال به ، ومنهم من دفعه ، وأن هذا الاختلاف لا يقع معه كفر . وقد خالفه الصواب في ذلك ؛ لأن الإيمان

(١) أورد أن أشيد بالمحقق الذي سلم لنا هذه النصوص كما كتبها المؤلف ، ولم يحاول كمادة كثير من العابثين المحققين لمصنفات الأقدمين الذين يظنون أن المؤلف جانبه الصواب لما أورد نصوصاً لم يجدوا لها مائلاً في النسخ المتداولة اليوم ، فاستبدلوا النص القديم بالنص الجديد ، أو يذكرون النص الجديد بالهامش مضيفين إليه بعض العبارات التي تدل على أن المؤلف جانبه الصواب.

(٢) وقد سبقني إلى الإشارة إلى هذا الجانب د . الشرقاوي عند تحقيقه لهذا الكتاب .

بِالْقَدَرِ أَحَدَ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ دَفَعَهُ فَقَدْ كَفَرَ ، وَلَعَلَّ تَرَاثَهُ النَّصْرَانِي أَوْقَعَهُ فِي ذَلِكَ .

المبحث الثالث : الترجمان

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته : -

اسمه قبل إسلامه أنسلم تورميذا، وبعد إسلامه تسمى ب : عبد الله بن عبد الله، وتلقب بالترجمان؛^(١) لتكليفه بهذه الوظيفة^(٢) من قبل السلطان الحفصي أبي العباس^(٣) أحمد المستنصر. وتكنى بأبي محمد بعد أن رزقه الله ولداً. ونُسب إلى ميورقة ، فيكون اسمه أبا محمد عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي .

هذا المهتدي لم يرو لنا المترجمون له عن حياته إلا النزر اليسير، إذ ذكروا قدومه في حياة أبي العباس، وإسلامه على يديه، وتأليفه لكتابه «تحفة الأريب»، ولكنه ضمن كتابه هذا فصلاً كاملاً عن ابتداء حياته، وطلبه للعلم، وسبب إسلامه، وخروجه من النصرانية إلى الملة الحنيفية، وسيكون جلّ اعتمادنا في التعريف به على ما كتبه عن نفسه؛ لأنه أساس كل من كتب عنه من قبل. كما أنه جعل الفصل الثاني من كتابه فيما اتفق له أيام أبي

(١) انظر ترجمته في كل من : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تأليف عبد الله الترجمان، وتحقيق عمر الداعوق، نشر دار البشائر الإسلامية ، ط ١٤٠٨ هـ ، ص ٦١-٩١، حيث ترجم لنفسه . وإتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، لأحمد بن أبي الضياف، تحقيق لجنة من كتاب الدولة، نشر كتاب الدولة للشؤون الثقافية، الجمهورية التونسية، ج ١، ص ١٨٠. وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١، ص ٣٦٢. وهدية العارفين - ج ١، ص ٤٦٨. ومعجم المؤلفين ، ج ٦، ص ٧٨. والحلل السندي في الأخبار التونسية، تأليف محمد بن محمد الأندلسي، تحقيق محمد الهيلة، نشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط ١٩٨٤ م ، ج ٢، ص ١٨٥ - ١٨٧. وتراجم المؤلفين التونسيين، تأليف محمد حافظ، نشر دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٨٢ م، ج ١، ص ٢٢٥-٢٣١. وتاريخ الدولتين الموحدة والحفصية، تأليف أبي عبد الله بن إبراهيم الزركشي، تحقيق محمد ماضور، نشر المكتبة العتيقة، تونس، ط ١٩٦٦ م ، ص ١٥٢. وشجرة النور الزكية «التتمة» تأليف محمد مخلوف، نشر دار الكتاب الإسلامي بيروت ص ١٤٨. ومجلة البحوث الإسلامية، عدد ٢٣، ص ٣٦٩ - ٣٨٨. وانظر هامش ص ٣٦٠ من : صفحات من تاريخ تونس، تأليف محمد الخوجة، تحقيق حمادي الساحلي، نشر دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٨٦ م .

(٢) انظر تحفة الأريب، ص ٧٧ .

(٣) انظر ترجمته في الأدلة البيئية النورانية على مفاخر الدولة الحفصية، تأليف أحمد الشماخ ، طبع في مطبعة تونس ١٣٥٥ هـ ، ص ١٢٨. والحلل السندي، ص ١٧٩ - ١٨٥ . وشجرة النور الزكية «التتمة»، ص ١٤٨ .

العباس وأبي فارس^(١)، وطرفاً من سيرته ، فكانت هذه النبذة عن تونس وماجاورها، وعن هذه الفترة الزمنية - هي التي اعتمدها المؤرخون فيما بعد^(٢) .

مولده : ولد ببلدة ميورقة^(٣) سنة ٧٥٦هـ تقريباً؛ لأنه ذكر أن عمره خمسة وثلاثون عاماً لما مثل بين يدي السلطان الحفصي لإعلان إسلامه، وأنه بعد خمسة أشهر من إسلامه كلفه بالترجمة، فأتقن اللسان العربي في ظرف سنة واحدة ، وحضر غارة الفرنسيين الصليبيين على المهديّة، وهذه الغارة قد وقعت في عام ٧٩٢ هـ^(٤) .

نشأته وطلبه للعلم: نشأ في مدينة «ميورقة»، ذات الحصون المنيعة، والأسوار العامرة، والعيون المتدفقة، والأشجار المثمرة، والظلال الوارفة،^(٥) وكان أبوه محسوباً من أهل حضرتهما، فأولاه ما استطاع من عناية ورعاية، فأسلمه لما بلغ ست سنين إلى قسيس فقرأ عليه الإنجيل ، حتى حفظ شطره في مدة سنتين، ثم أخذ في تعلم لغة الإنجيل، وعلم المنطق في ست سنين، وشغف بطلب العلم، والسعي إلى تحصيله ، والرحلة في سبيله، ولو كلفه ذلك فراق الأهل والبلد؛ فارتحل من بلده ميورقة إلى بلدة «لاردة» وهي مدينة العلم عند النصارى في تلك النواحي - وبها تجتمع طلبة العلم منهم - فتعلم فيها علم الطبيعيات وعلم النجوم في مدة ست سنين، وبعد ذلك أحس من نفسه القدرة على التعليم ؛ فتبوأ مكان التعليم فيها، لتدريس لغة الإنجيل لمدة أربع سنين .

ثم ارتحل مرة أخرى لنفس الغرض إلى مدينة «بلونية» وهي مدينة علم عند النصارى ، يفد إليها آلاف الطلاب في كل عام؛ لتلقي العلم في رحابها، وشغل - في هذه الفترة -

(١) انظر ترجمته في الأدلة البينة النورانية، ص ١٤٤ وما بعدها. والمؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تأليف محمد بن أبي القاسم الرعيضي القيرواني، تحقيق محمد شمام ، نشر المكتبة العتيقة، ط ١٩٦٦، م ١٥٢، ص ١٤٩ .

(٢) اعتمد عليه كل من صاحب المؤنس، وصاحب تاريخ الدولتين، وأفاد منه صاحب الحلل السنديسية بإسلوب غير مباشر؛ إذ نقل عن المؤنس .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ٦١ .

(٤) انظر تاريخ الدولتين، ص ١١٢ - ١١٣ . والأدلة البينة، ص ١٤١ . و تحفة الأريب، ص ٧٧ .

(٥) انظر المصدر السابق، ص ٦١ - ٦٢ .

يطلب العلم عن طلب الدنيا ، وانقطع إليه معرضاً عنها ، باذلاً كل وقته في تحصيله ، ممتهاً نفسه في خدمة علماء ملته؛ حتى ينال منهم ماظنوا به على عموم طلبه العلم، ويجودون به على خواصهم، فسكن لأجل تحقيق هذه الغاية في كنيسة لتأسيس كبير القدر عندهم، رفيع المنزلة بينهم، مضطلع بالعلم، مشهور بالزهد ، معروف بالتدين، بلغ منزلة انفرد بها بين أهل زمانه، فكانت تأتيه الأسئلة مشفوعة بالهدايا؛ لطلب إجابته ونوال بركته، فما يزال يتقرب إليه ويخدمه، ويعتني بشأنه، ويقوم بكثير من وظائفه؛ حتى أصبح من خواصه، فقرأ عليه أصول النصرانية وأحكامه، واستمر ملازماً له - على هذه الحال من الخدمة والتلمذ - قرابة عشر سنين؛ حتى حدث موقف صراحة وصدق بين الرجلين^(١)؛ أدى بهذا المهتدي إلى الخروج من النصرانية .والهجرة إلى ديار المسلمين ، وإعلان إسلامه .

المطلب الثاني البيئة التي نشأ بها :-

نشأ في بيئتين مختلفتين تمام الاختلاف، متباينتين أشد التباين؛ فالأولى بيئة نصرانية صرفة، في مدارسها تلقى علوم النصرانية، وحفظ شطر كتابها، ودرس بعض المعارف العامة المشاعة، وعلى أجارها جدد دراسة النصرانية، وأحكم أصولها، وتنقل بين مدننا المشهورة بالعلم، ونهل منها وأمضى السنوات الطوال فيها، ولازم أعلم أهل زمانه بالنصرانية، وترى على يديه، فنشأة في هذه البيئة لن تنتج مسلماً، بل سترى نصرانياً جلدأ، يعمد بالتغطيس، ويتقرب إلى الله بالتثليث، ويطلب المغفرة من التأسيس...ولكن إذا أراد الله شيئاً يسر أسبابه، فكما جعل الله النار برداً وسلاماً؛ جعل هداية هذا المهتدي وخروجه من النصرانية إلى الحنيفية على يد أحد هؤلاء القساوسة.

أما البيئة الثانية التي انتقل إليها بعد إسلامه فهي: بيئة إسلامية، وهذه البيئة هي تونس ما بين عامي ٧٩١هـ - ٨٣٠هـ ، وسندرس هذه البيئة من خلال الجوانب السياسية والعلمية :-

الجانب السياسي: في هذه الفترة كان الوالي على تونس أبا العباس أحمد المستنصر الحفصي الذي وصل إلى سدة الحكم فيها عام ٧٧٢هـ امتداداً لسلسلة السلطة الحفصية

(١) تفاصيل هذا الموقف تأتي إن شاء الله في المطلب الثالث، من هذا البحث ، ص ١٣١ .

هناك، ودامت ولايته ٢٤ سنة، إذ توفي عام ٧٩٦هـ^(١). وخلال فترة حكمه وحكم ابنه من بعده الذي استمر ٤١ سنة حتى عام ٨٣٧هـ. كانت هناك غارات صليبية على شواطئ تونس وما جاورها، وكانت هناك بعض الحملات الجهادية الإسلامية على بعض مواقع الصليبيين، وتختلف نتائج هذه الغارات وخسائرها باختلافها قوة وضعفاً، فمن هذه الغارات: غارة الفرنسيين على المهديّة عام ٧٩٢هـ^(٢). وعلى قرقنة عام ٨٢٧هـ^(٣)، وعلى جربة عام ٨٣٥هـ^(٤). كما أن أسطول أبي فارس الحفصي في أول أيامه هاجم مدينة طرقونة في جزيرة صقلية واستولى عليها، وفتحها عنوة، وهدم أسوارها، وأتى منها بالغنائم^(٥).

يتضح من ذلك أن سواحل هذه الدولة غير آمنة؛ بل معرضة لغزوات النصارى، وانتهاكاتهم لمحدودها الساحلية، أما الحدود الأخرى فلم تسلم من هجمات الأمراء المجاورين، فخلال فترة حكم أبي عبد العزيز وحكم ابنه من بعده كانت هناك مناقشات وحروب مع جيرانهم الذين يستغلون انشغال الأمراء الحفصيين بتصريف أمورهم الداخلية، أو مواجهة الصليبيين، فيغيرون على ماوالاهم من المدن والقرى، فيحتلون ما يضطره إلى إرسال الجيوش لاستردادها وضمها تحت لوائه^(٦).

وقد ورث الأمير أبو عبد العزيز المستنصر السلطة وكانت بعض المنكرات متفشية في بلده، وتتسلم الدولة منها الضرائب لإقرارها. ولما تولى بعده ابنه أبو فارس قام بإلغاء هذه المنكرات وقطع ما كان يجبي منها، وأزالها من مكانها واستبدلها بدور للعبادة والعلم^(٧). كما استطاع أن يقضي على كثير من المناوئين له من الأمراء المجاورين، وأن يوسع سلطته ويضم كثيراً من المدن والقرى إلى أعماله، ورغم كل ذلك فيعتبر حكم هذين الأميرين من أزهى عصور بني حفص، وأكثرها رخاء كما ذكر ذلك صاحب «تأريخ الدولتين» حيث قال: (فاستقامت الأمور بتونس في أيامه كلها [أي أبي فارس] أحسن استقامة، وأحدث في

(١) انظر الأدلة البينة النورانية، ص ١٣٨.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ١٤١. والحلل السندية، ج ٢، ص ١٨٣ - ١٨٤. وتأريخ الدولتين، ص ١١٢ - ١١٣.

(٣) انظر المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٤) انظر المصدر السابق، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٥) انظر تحفة الأريب، ص ٨٩.

(٦) انظر لأخبار هذه الحروب تأريخ الدولتين، ص ١٠٧ - ١٠٩. و ص ١١٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤.

(٧) انظر تحفة الأريب، ص ٨٥.

أيامه بتونس حسنات دائمة^(١). ويوضح هذه الصورة الأستاذ أحمد شلبي على وجه الإجمال فيقول: (أزهى عصور بني حفص عصر أبي زكريا، وعصر ابنه المستنصر، ثم عصر أبي العباس أحمد وعصر ابنه أبي فارس عبد العزيز، الذي استراح الناس إلى حكمه الطويل إذ بلغت مدة حكمه إحدى وأربعين سنة، ولعل في طول المدة التي قضاها أبو العباس أحمد وابنه أبو فارس والتي بلغت حوالي ستة وستين سنة ما يكشف عن هدوء الدولة في ذلك الوقت)^(٢).

الجانب العلمي: رغم هذا الاضطراب الحدودي لهذه الدولة، فقد كان روادها ممن حباهم الله توكير العلماء، والاهتمام بالعلم، وإقامة المدارس ووقف الوقوف عليها، وإنشاء المكتبات العامة، ولم يقتصر هذا الاهتمام على العلوم الشرعية فحسب، بل تعدى ذلك إلى علوم العربية والطب والحساب والأدب والتاريخ... وقد فاق هؤلاء السلاطين أبو فارس الحفصي؛ إذ كان موقراً للعلماء، حريصاً على ملازمة قراءة العلم في مجلسه سافراً وحضراً، ومن حسناته خزانة الكتب المشتملة على أمهات الدواوين التي أخرجها من قصره، وجعلها تابعة لجامع الزيتونة، وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بها بالنظر والنسخ وجعل لها قومة يقومون بها، وهذا الإهتمام لم يقتصر على مدينة واحدة بل شمل كثيراً من المدن^(٣).

المطلب الثالث : دوافع إسلامه :-

يقول الحق تبارك وتعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)^(٤). ويقول أيضاً: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه)^(٥). وهذا المهتدي أرجع سبب إسلامه إلى أسباب ذكرها في كتابه وهي :-

(١) تاريخ الدولتين. ص ١١٥ .

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ٤ ، ص ٣٠٤. وانظر المؤنس فقد مدح وأطنب في هذا الصدد، ص ١٥٥ .

(٣) انظر الأدلة البينة النورانية، ص ١٤٤ . والمؤنس، ص ١٥٣. ومحفة الأريب، ص ٨٧ . وتاريخ الدولتين، ص ١١٦ . وشجرة النور الزكية « التتمة »، ص ١٤٩ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥ .

(٥) سورة الزمر ، الآية ٢٢ .

١ . منة الله عليه إذ يقول : (من الله عليّ بالهداية إلى الصراط المستقيم والدخول في دين الله القويم، الناسخ به كل دين، الذي بعث به حبيبه وصفيه محمد المجتبي المختار المصطفى من بين النبيين والمرسلين، صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين)^(١) .

٢ . صراحة معلم في موقف صدق: خلال إقامته في كنيسة ذلك القسيس^(٢) ، وملازمته وخدمته له، كان من عادة هذا القسيس حضور مجلس أقرانه من الأحرار، وبعد ما تقدمت به السن، ووهنت قواه؛ تخلف يوماً عن حضور مجلسهم ، فانتظروه وهم يتذاكرون مسائل من العلوم ؛ حتى أفضى بهم الكلام إلى بشارة موجودة في الإنجيل بنبي قادم بعد المسيح، وهذه النبي سُمي بلغة الإنجيل « بارقليط »^(٣) . ولنترك هذا المهتدي يروي لنا هذا الموقف : (فبحثوا في تعيين هذا النبي، من هو من الأنبياء ؟ وقال كل منهم بحسب علمه وفهمه، فعظم بينهم في ذلك مقالهم وكثر جدالهم، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة في تلك المسألة، فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور، فقال لي: ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم؟

قال : فأخبرته باختلاف القوم في اسم « البارقليط » ، وأن فلاناً قد أجاب بكذا ، وأجاب فلان بكذا... وسردت له أجوبتهم.

فقال لي : وبماذا أجبت أنت؟

فقلت : بجواب القاضي فلان في تفسيره الإنجيل.

فقال لي: ما قصرت، وقررت ، وفلان أخطأ وكاد فلان أن يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله؛ لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل ، فبادرت إلى قدميه أقبلهما.

وقلت له : ياسيدي! قد علمت أنني ارتحلت إليك من بلد بعيد، ولي في خدمتك عشر سنين، حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تمنوا عليّ بمعرفة هذا الاسم ، فبكى الشيخ .

وقال لي : يا ولدي والله أنت لتعز عليّ كثيراً من أجل خدمتك لي وانقطاعك إليّ، في

(١) تحفة الأريب ، ص ٥٤ .

(٢) الذي سبق ذكره تحت عنوان : نشأته وطلبه للعلم .

(٣) انظر تفاصيل هذه البشارة في الباب الثاني من هذا البحث ص ٤١١ .

معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة ؛ لكنني أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك
عامّة النصارى في الحين .

فقلت له :ياسيدي! والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسره إليّ إلا
عن أمرك.

فقال لي: ياولدي، إني سألتك في أول قدومك عليّ عن بلدك، وهل هو قريب من المسلمين؟
وهل يغزونكم أو تغزونهم؟ لأختبر ما عندك من المناصرة للإسلام؛ فاعلم ياولدي أن
«البارقليط» هو اسم من أسماء نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، وعليه نزل الكتاب
الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام، وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه وأن دينه
هو الحق ، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل .

قلت له :ياسيدي، وما تقول في دين هؤلاء النصارى ؟

فقال لي: ياولدي، لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله؛
لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله، ولكن بدلوا وكفروا.

فقلت له : ياسيدي ، وكيف الخلاص من هذا الأمر؟

فقال: ياولدي بالدخول في دين الإسلام.

قلت له : وهل ينجو الداخل منه؟

قال لي : نعم ينجو في الدنيا والآخرة.....إلى أن قال : -

فقلت له : ياسيدي أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم ؟

فقال لي : إن كنت عاقلاً طالباً للنجاة ، فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة ، ولكن
ياولدي ، هذا أمر لم يحضره أحد معنا فاكتمه بغاية جهدك؛ وإن ظهر عليك شيء منه
قتلتك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك....ثم أخذت في أسباب الرحلة ، وودعته فدعا
لي عند الوداع بخير، وزودني بخمسين دينار ذهباً.^(١)

٣ - دلائل الإسلام القاطعة وبراهينه الساطعة :يقول الحق : (يا أيها الناس قد جاءكم

برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً)^(٢) . ويقول أيضاً (وكذلك أوحينا إليك روحاً من

(١) تحفة الأريب ، ص٦٦ - ٧١ . وقد حرصت على إيرادها بقلم صاحب الشأن حتى تكون صدق تعبيراً ، وأكمل وصفاً .

(٢) سورة النساء، الآية ١٧٤ .

أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم^(١). فهذا الكتاب أقامه الله نوراً يهدي إليه من يشاء، ويصرف عنه من طغى وآثر الحياة الدنيا، وضمّنه من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ما يؤمن على مثلها البشر الباحث عن الحق، وهذا المهتدي لما أرشده ذلك القسيس إلى أن نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة في الإنجيل، ارتحل إلى بلاد المسلمين؛ ليبحث بنفسه عن هذا الدين، وليتأمل أدلته وبراهينه، وليخالط أهله، ولا أدل على ذلك من أنه أمضى أربعة أشهر في تونس بعد وصولها لم يعلن إسلامه^(٢)، ولم يتأخر هذه المدة في ذلك وهو قد ارتحل لهذا الغرض؛ إلا أنه - بالتأكيد - شغل نفسه هذه المدة بدراسة هذا الدين، ولما اتضحت له أدلته؛ أذعن للحق واستسلم للباري، وأعلن إسلامه.

الهجرة إلى الإسلام :-

بعدما حصلت تلك المصارحة من أستاذه ومعلمه، ودعه وانصرف راجعاً إلى بلده «مبورقة» وأقام بها ستة أشهر مع والده، كأنه الوداع الأخير؛ لأنه يعلم أنه إن اتضحت له الأدلة وألزمته البراهين، فلن يرجع إلى أبيه. ثم سافر من بلده إلى جزيرة «صقلية» وأقام بها ينتظر مركباً يتوجه إلى بلاد المسلمين. فحضر مركب يسافر إلى تونس، فسافر فيه، فلما نزل بشواطئ تونس، وسمع به أحبار النصارى هناك، أتوا إليه بمركب وحملوه إلى ديارهم، فأقام بينهم وفي ضيافتهم أربعة أشهر على أرغد عيش... وبعد ذلك سأل: هل يدار السلطان أحد يحفظ اللسان النصراني؟ فأرشدوه إلى طبيب نصراني يعمل لدى السلطان أبي العباس وهو طبيبه ومن خواصه، ففرح هذا المهتدي فرحاً شديداً، ثم سأل عن مسكنه واجتمع به وذكر له سبب قدومه، فحمله الطبيب إلى السلطان.

فلما مثل بين يديه سأل عن عمره؟ فأخبره أنه خمسة وثلاثون عاماً، ثم سأل عن العلوم التي درسها؟ فأخبره، فرحب به السلطان ودعاه إلى الإسلام فقال هذا المهتدي: (إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه والظعن فيه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم، وتسالوهم عني وتسمعوا ما يقولون في

(١) سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٢) انظر تحفة الأريب، ص ٧٢.

جنابى، وحينئذ أسلم إن شاء الله. فقال لي : أنت طلبت ما طلب عبد الله بن سلام من النبي صلى الله عليه وسلم^(١) ، ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم ، وأدخلني في بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه قال لهم : ماتقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟ قالوا له: يامولانا هذا عالم كبير في ديننا، وقالت شيوخنا: إنهم ما رأوا أعلى درجته في العلم والدين في ديننا. فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟ قالوا نعوذ بالله من ذلك، هو ما يفعل هذا أبداً. فلما سمع ما عند النصارى بعث إليّ، فحضرت بين يديه وشهدت شهادتي الحق بمحضر من النصارى، فصلبوا على وجوههم، وقالوا : ما حمله على هذا إلا حب التزويج ؛ فإن القسيس عندنا لا يتزوج، وخرجوا مكرولين.^(٢) وقد تم إعلان إسلامه عام ٧٩١ هـ؛ لأنه حضر غارة النصارى على المهديّة عام ٧٩٢ هـ وهو يقول عن نفسه: (وبعد خمسة أشهر من إسلامي قدمني السلطان لقيادة البحر بالديوان... وحفظت اللسان العربي في مقدار عام واحد، وحضرت غارة الجنويين والفرنسيين على مدينة المهديّة)^(٣). إذاً فقد أمضى في ظل حكم السلطان الحفصي أبي العباس خمس سنوات، إذ توفي هذا السلطان عام ٧٩٦ هـ^(٤).

العقبات التي واجهته :

ذكر في أول كتابه قصة خروجه من النصرانية، وهجرته من بلده إلى ديار المسلمين ، وإعلان إسلامه، وقد استنبطت منها بعض العقبات التي واجهته وهي كالتالي :-

١ - الخوف من القتل : حذره ذلك القسيس الذي دله على الحق وأرشده إليه وطلب منه أن يكتنم هذا الأمر ولا يظهره، كما حذره من أن العامة إن ظهرت على شيء من خبره قتلته، وأرشده إلى أن السبيل الوحيد لنجاته هو الهجرة إلى ديار المسلمين ، فهاجر لهذا الغرض وفارق أهله وبلده؛ رغبة في تحصيل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة^(٥).

(١) انظر قصة إسلام عبد الله بن سلام في صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ١ .

(٢) تحفة الأريب ، ص ٧٣-٧٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٧ . وانظر تاريخ الدولتين ، ص ١١٢-١١٣ .

(٤) وهذا خلاف ما ذكره عبد القيوم البستوي في تعريفه له في مجلة البحوث الإسلامية عدد ٢٣ ، ص ٣٧٠ - من أنه أمضى في ظل حكمه سنتين .

(٥) تحفة الأريب ، ص ٧١ .

٢ - بعد مضي مدة تزيد على خمس سنوات من إسلامه ، ورد مركب من صقلية^(١) ، وقد ورد في هذا المركب قسيس كبير كانت تربطه بهذا المهتدي صداقة كبيرة كأنها أخوة من أيام الطلب، ولما سمع هذا القسيس بإسلامه صعب عليه ذلك ، وقدم لأجل دعوته للرجوع إلى دين النصرى، وأرسل له خطاباً مع أحد المترجمين، ووصل هذا الخطاب إلى السلطان أبي فارس فأمر بترجمته فترجم له ، ثم سلمه لهذا المهتدي وطلب منه أن يترجمه دون أن يخبره أنه ترجم له من قبل - وهذا من قبيل الاحتياط - وترجمه هذا المهتدي وقرأه على السلطان فقال له : لم تتحرك حرفاً واحداً . فقال: وبأي شيء عرفت ذلك؟. قال : بنسخة أخرى تمت ترجمتها . ثم قال له السلطان: وما جوابك عنه ؟ قال: ما علمته مني، من كوني أسلمت باختياري رغبة في دين الإسلام ، ولست أجيبه إلى شيء مما أشار إليه. فقال لي: قد علمنا صحة إسلامك ولا عندنا فيك شك^(٢) .

مصنفاته :- لم يذكر خلال تعريفه بنفسه في الفصل الأول من كتابه أنه ألف أي كتاب له سوى كتابه هذا « تحفة الأريب » وقد ألفه عام ٨٢٣ هـ أي بعد مضي ٣٢ سنة على إسلامه؛ لأنه أسلم في عام ٧٩١ هـ فيكون عمره عند تأليفه ٦٧ سنة، ويبدو أنه كتبه وهو في سعة من الصحة والنشاط والقوة والطموح، والاستعداد والرغبة في بذل الفائدة لطلابها، وإقامة الحجة على معانديها، وإظهار الحق ودمغ الباطل وقمعه؛ يشهد لذلك أنه كان يهتم بتأليف كتاب يجمع فيه بشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار إلى هذا الكتاب - أو سمه هذا الأمل - في آخر كتابه التحفة^(٣) ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا، ولم أجد من أشار إليه أو نقل منه ، فلعله كتبه ولم يصل إلينا وافتقد كما افتقد غيره ، أو أن يد المنون اخترمته قبل تدوينه .

ويقول د . ميكال ابيالزا الأستاذ في جامعة اليكانتي الإسبانية عن الترجمان : (وكتب

(١) لم أجد تاريخ قدوم هذا المركب، ولكنه بعد مضي أكثر من خمس سنوات على إسلامه ؛ لأن هذا المركب لم يرد إلا في

حكم أبي فارس ، وكما ذكرت سابقاً أنه أمضى في ظل حكم أبي العباس خمس سنوات .

(٢) تحفة الأريب ، ص ٨٠ . يتصرف يسير .

(٣) انظر المصدر السابق، ص ٢٨٣ .

مؤلفات عديدة باللغة الكتلتانية، اللغة التي تستعمل حتى الآن في جزر البليار)^(١).

الأعمال التي زاولها :

اكتسب خلال تعامله مع سلاطين الأسرة الحفصية ثقة كبيرة؛ بسبب ما لمسوه منه من أمانة ونزاهة فاستندوا إليه بعض الأعمال التالية :-

- ١ - قيادة البحر بالديوان ؛ لغرض حفظ اللسان العربي ، ومن ثم قيامه بالترجمة .^(٢)
- ٢ - قيامه على خزانة السلطان أبي العباس حتى وفاته .^(٣)
- ٣ - بعد أن توفي السلطان أبو العباس، جدد له السلطان أبو فارس ما كان ولاه أبوه من قبل، وزاد له ولاية دار المختص .^(٤)

وفاته :-

لم تذكر كتب التراجم التي ترجمت له تأريخ وفاته، غير أنه من المؤكد أنه توفي بعد عام ٨٢٣ هـ وهذا التأريخ هو تأريخ تأليفه لكتابه، وقد ذكر صاحب كتاب تراجم المؤلفين التونسيين أنه توفي بتونس^(٥).

(١) مجلة الحوادث عدد ١٢٧٤ ، عام ١٩٨١ م ، ص ٦٢ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ٧٧ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٥) انظر تراجم المؤلفين التونسيين ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

المطلب الرابع ، القيمة العلمية لكتابه «تحفة الأريب» -

ألف المؤلف هذا الكتاب كما تقدم عام ٨٢٣هـ^(١) ، ويقع هذا الكتاب في ٤٧ ورقة خطية ، وبعد تحقيقه وإخراجه ظهر في ٣٢٠ صفحة ، بما في ذلك الفهارس والمقدمة . وقد قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة فصول هي :-

الفصل :الأول في ابتداء إسلامه وخروجه من النصرانية إلى الملة الحنيفية ، وفيما غمره من إحسان السلطان الحفصي أبي العباس ، وما اتفق له في أيامه .

الفصل الثاني : فيما اتفق له في أيام السلطان أبي فارس ، وذكر طرف من سيرته .

الفصل الثالث : وهو مقصود الكتاب من الرد على النصارى في دينهم ، وثبوت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بنص التوراة والإنجيل ، وسائر كتب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وقد قسم هذا الفصل إلى تسعة أبواب : استعرض في الباب الأول منها: الأربعة الذين كتبوا الأناجيل ، وفي الباب الثاني: ذكر افتراق النصارى وتعدد مذاهبهم، وبين في الباب الثالث : فساد قواعد دين النصارى ، وخصص الباب الرابع: للحديث عن شريعتهم والرد عليها، ونفى في الباب الخامس: ألوهية المسيح عليه السلام، وأكد على تناقض أناجيلهم في هذه الدعوى ، وأوضح في الباب السادس اختلاف كُتَّاب الأناجيل الأربعة فيما بينهم ، وتناقضهم في نقل النصوص ، وفند في الباب السابع : مانسبه النصارى إلى المسيح من الكذب وردّ عليهم في ذلك ، وخصص الباب الثامن : للرد على الشبهات التي يثيرها النصارى على المسلمين ، وأثبت في الباب التاسع : نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال التوراة والإنجيل .

هذا الكتاب أمضى مؤلفه ثلاثين سنة في دراسة النصرانية والتعمق في معرفة أصولها وأحكامها ، ثم هداه الله إلى الإسلام ، وبعد مضي ٣٢ سنة على إسلامه ، وبالتأكيد أنه أمضى جلّ هذه السنوات في دراسة كتب النصرانية التي تعود دراستها ومراجعتها منذ نعومة أظفاره ، ولكن هذه الدراسة كانت بغير العقل والبصيرة والمنهج الذي تعود دراستها

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٦٠ ، ٨٧ .

من خلاله، ففي هذه الدراسة كان غرضه البحث عن الحق، ونشدان الحقيقة، واستنطاق النصوص حتى تنطق بما تضمنته قبل تحريفها وتبديلها. كما رافق هذه الدراسة وهذا التتبع والتمحيص والتدقيق دراسة مؤلفات علماء المسلمين، ومقارنتها ومقابلتها، وتبين مواضع النقص فيها، وبيان الشغرات عليها، يؤكد ذلك ما ذكره المؤلف في بيان منهجه^(١)، وما سطره في الباب التاسع من هذا الكتاب، وما وعد به في آخر كتابه من عزمه على تأليف كتاب يجمع فيه بشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فكان هذا الكتاب ثمرة هذه السنوات الطويلة من البحث والدراسة والتأمل .

طباعات الكتاب : طبع هذا الكتاب مرات عديدة ، فأول طبعة هي - حسب علمي - كانت في تونس عام ١٢٩٠ هـ، ثم أعيد طبعه في مصر عام ١٨٩٥ م^(٢)، وبعد ذلك حققه د. محمود حماية، ونشرته دار المعارف في القاهرة، وكذلك حققه الطاهر المعمودي، ونشرته دار بو سلامة للطبع والنشر في تونس، عام ١٩٨٣ م. ثم حققه عمر وفيق الداعوق ونال على هذا التحقيق درجة الماجستير من جامعة أم القرى، كلية الشريعة، فرع العقيدة عام ١٤٠٢ هـ، ونشر هذا التحقيق من قبل دار البشائر الإسلامية ، بيروت. ثم أعيد هذا الجهد العلمي في كلية أصول الدين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من قبل الطالب محمد بن عبد الله البريدي عام ١٤٠٥ هـ .

سبب تأليفه لهذا الكتاب ومنهجه فيه :- أشار المؤلف في عرض كتابه إلى الأسباب التي دعت به إلى تأليف هذا الكتاب وهي بيان العز لنفسه بانتسابه لدين الإسلام ، وبيان أن سبب تركه لدين النصرانية هو فساد شريعتهم ، وبطلان عقيدتهم. ثم إنه لما من الله عليه بالهداية إلى الصراط المستقيم ، ونظر في دلائله القاطعة وبراهينه الساطعة ، وبعد دراسته لتصانيف علماء المسلمين ؛ وجد أنها محتوية على مالا مزيد عليه ، إلا أنهم رحمهم الله تعالى سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب مسلك مقتضيات العقول، وأعرضوا عن الإحتجاج عليهم بمقتضى المنقول إلا النادر من المسائل^(٣)، فدعاه ذلك إلى تأليف كتاب

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٥٤ - ٥٩ .

(٢) انظر تراجم المؤلفين التونسيين ، ج١ ، ص ٢٣١ .

(٣) هذا في ظنه ؛ لأن إقامته كانت بالمغرب الإسلامي ، ولا أظنه اطلع على مؤلفات علماء المشرق الإسلامي ، ولو اطلع على تلك المؤلفات لتغيرت وجهة نظره ، ولما خالفه الصواب في تقييمه .

يستكمل فيه - ماظنه - ناقصاً في مؤلفات العلماء المسلمين ، ويسد الثغرة التي تبينت في مصنفاتهم، وأن يجعله مشتملاً على الأدلة النقلية والعقلية والحسية، وأن يبين فيه إبطال نواميسهم ، ويهدم فيه تثليثهم، ويفند ما اشتملت عليه كتبهم من فساد في العقائد، وكذب في النقل، وافتراء على الله وعلى رسله الكرام^(١).

وقد التزم فيه الاختصار وعدم الإطالة^(٢)، كما حرص على الأمانة العلمية في الإحالة إلى مصادر النصوص التي يستدل بها ، أو يبين كذبها وتناقضها، كما راعى الموضوعية والتجرد التام في عرض معتقداتهم وضلالهم ومناقشتها وفق العدل الذي قرره الله في كتابه بقوله: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى)^(٣).

ويظهر تأثر المؤلف في الإمام العلامة ابن حزم رحمه الله في كتابه « الفِصَل في الملل والأهواء والنحل » يتضح ذلك من ثنائه عليه في أول كتابه، واتفاقه معه في النقل أو النقد أو الاستشهاد أو الاعتراض^(٤)، كما أنه متأثر فيه أيضاً من ناحية الأساليب اللفظية .

القيمة العلمية :-

نستخلص أهم الجوانب التي اتضحت لنا خلال دراسة هذا الكتاب وهي :-

١- تتجلى قيمته من كون المؤلف كان نصرانياً متفرغاً لتعلم النصرانية ، إذ أمضى في تحصيلها والاحاطة بها ، والوقوف على أسرارها ما يقارب من ثلاثين سنة، متنقلاً بين قلاع العلم ومعاقله لدى النصارى، ثم تفرغه وملازمته لأعلم أهل زمانه لمدة عشر سنين ، يعيد عليه مدارس أصولها وأحكامها... وبعد خروجه من دينه، وهجرته إلى الملة الحنيفية وإعلانه إسلامه أمضى اثنتين وثلاثين سنة في الاطلاع على كثير من تصانيف علماء المسلمين؛ وباحاطة العالم بالنصرانية ، والمطلع على أسرارها، خرج - بعد كل ذلك - بهذا الكتاب ليقيم به حجة ، ويدفع به شبهة، ويدمغ به باطلاً، ويوضح به تناقضاً، ويكشف به زيفاً، ويستكمل به نقصاً ، ويسد به ثغرة ، ويجمع به بين الأدلة .

٢ - حشده في هذا الكتاب للأدلة النقلية والعقلية والحسية، وإحاطته بالقضايا موضع

(١) انظر بيانه لتهجه في تحفة الأريب ، ص ٥٤ . ٥٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٨ .

(٤) انظر الصفحات التالية من كتاب تحفة الأريب ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١١ ، ٢١٤ .

٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ . وقارنها مع ما يائئها في الموضوعات من كتاب « الفصل » .

التزاع بين الإسلام والنصرانية .

٣ - في الوقت الذي طردت فيه النصرانية الإسلام من الأندلس ومحت آثاره المعنوية من على وجه الأرض؛ يأتي إسلام هذا المهتدي وتأليفه لهذا الكتاب صفة في وجه النصرانية، ودفعة معنوية قوية للمسلمين، ونلمس في هذا جانباً من مكر الله بأعدائه وكيدهم لهم؛ فبعد كل هذه الجرائم والانتهاكات في حق الإسلام والمسلمين من قبل النصرانية، يبعث الله من بين ظهرائهم رجلاً يهجر دينهم، ويسفه أحلامهم وآراءهم، وينضوي إلى دين الأمة المغلوبة، لا يكتفى بذلك بل يؤلف الكتب، ويقوم الحجج على فساد دينهم ، وضلال مسلكهم، ويدعوهم إلى الدخول في دين الإسلام... ومع ذلك لم يسلم من تشكيك المتشككين ؛ فقد ظلمه صاحب كتاب «تراجم المؤلفين التونسيين» - إذ قال عنه : (وقيل إنه تظاهر بالإسلام ، وبقي على عقيدته)^(١). فهل بعد هذا الجهد يأتي من يقول عنه هذا؟ إنني متأكد أنه لو اطلع على أساليبه اللفظية - فقط - التي تضمنها الكتاب لما قال عنه ما قال .

٤ - الاستفادة من هذا الكتاب : أسلفنا القول في اعتماد بعض المؤرخين عليه في نقل حوادث ووقائع سلاطين الحفصيين الذين عاصروهم ودون أخبارهم ، بالإضافة إلى ذلك فقد أحال عليه محقق كتاب « النصيحة الإيمانية »^(٢) للاستفادة من البشارات الواردة فيه .^(٣)

المآخذ:- سمة البشر النقص، وطابعهم الضعف - إلا من عصم الله - فتخرج أعمالهم على شاكلتهم تحمل سماتهم، وتُطبع بطابعهم، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا تبين لي بعد دراسته بعض المآخذ التي لا تنقص من قدر الكتاب أو تغض من مكانته العلمية ، وهذه المآخذ هي:-

١ - تضمينه الكتاب فصلاً كاملاً^(٤) عن سيرة السلاطين الحفصيين الذين عاصروهم، وذكر ما حدث له معهم، وهذا الفصل لا يتفق مع عنوان الكتاب في الرد على أهل الكتاب؛

(١) ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٢) انظر ص ١٤٠ .

(٣) وانظر لمزيد من تأثر به مقدمة محققه ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٤) انظر ص ٧٧ - ٩١ .

ولكن عذر المؤلف أن هذا الفصل يعتبر تابعاً ومكملاً للفصل الذي سبقه المتعلق بذكر تفاصيل حياته ورحلاته وخروجه من دينه...

٢ - أورد في صفحة ١٥٢ خمسة أوجه إلزامية ألزم بها النصارى في ادعائهم ألوهية المسيح، وفند أربعة منها ، وغفل عن الأول، ولعل عذره أنه استطرده في تفنيدها مبتدأ بالأخير منها فغفل عن الأول.

٣ - في عرض ذكره لصفات الباري عز وجل والرد على النصارى الذين وصفوا المسيح بأنه إله . نفى بعض الصفات على سبيل التفصيل ، ومن القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أن يكون النفي مجملاً والإثبات مفصلاً ، وبهذا ورد القرآن الكريم فقال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^(١) . وقد أوقعه في ذلك شيوع كتب علماء الكلام الذين خلطوا فيها الغث بالسمين .

(١) سورة الشورى ، الآية ١١ .

المبحث الرابع : زيادة النصب رأسي

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته . -

اسمه : زيادة بن يحيى النصب رأسي^(١) . وأغفلت اسمه وحياته كتب التراجم ، ولم يكتب هو ترجمة ذاتية لنفسه ، ولم يضمن كتابه أي معلومات عن حياته أو مولده ، أو العقبات التي واجهته قبل وبعد إسلامه ، وكل ما ذكره هو سبب إسلامه ، والدوافع التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب ، كما أنني لم أعثر على من ذكره سوى الحبر اليهودي إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي الذي هداه الله إلى الإسلام ، وألف كتاباً سماه « الرسالة السبعينية بإبطال الديانة اليهودية » فقد نصح اليهود بالاطلاع على كتاب هذا المهتدي ؛ لعل الله أن يهديهم ويرشدهم إلى الحق ، ولم يذكر عنه سوى ذلك^(٢) . وكذلك ذكره محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبي الدمشقي الذي اختصر كتابي الشيخ زيادة « البحث الصريح » و « الأجوبة الجليلة لدحض الدعوات النصرانية » ، وسمى الأول « خلاصة الترجيح » والثاني « مختصر الأجوبة الجليلة لدحض الدعوات النصرانية^(٣) » ، وقد ذكر الطيبي عنه أنه تشرف بدين الإسلام في القرن الحادي عشر الهجري . كما ذكره د . الشرقاوي ، وجعله من ضمن المهتدين الذين كتبوا في البشارات بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم^(٤) .

إذاً كل ما لدينا من معلومات عنه أن اسمه كذا ، وأنه ولد في القرن الحادي عشر الهجري . لكن يبدو . والله أعلم . أنه من أعلام الشام ، وأن له تأثيراً في الساحة العلمية هناك ؛ لأن الطيبي الدمشقي قد اختصر كتابيه ، ويظهر أن الداعي لذلك هو الطلب المتزايد عليهما من طلاب العلم هناك ، وحرصاً من الدمشقي على إشاعتها عمد إلى

(١) انظر مخطوطة كتاب البحث الصريح في أي ما هو الدين الصحيح ، ورقة ١ ، ٥٧ .

(٢) انظر الرسالة السبعينية ، تحقيق عبد الروهاب طويلة ، نشر دار القلم دمشق ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ص ٦٤ .

(٣) وقد قام باختصارهما عامي ١٢٧٧ - ١٢٧٩ هـ ، ونُشرا في هوامش إظهار الحق ، طبعة المطبعة العلمية عام ١٣١٥ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٥ - ٢٤٦ .

(٤) انظر مقدمة كتاب مسالك النظر في نبوة سيد البشر ، ص ٣٦ .

اختصارهما ؛ حتى يقربهما إلى طلاب العلم . ويبدو أن هذا المهتدي له صلّات علمية ودعوية خارج بلده ، ولعلها كانت ثمرة رحلات قام بها ووثق هذه الصلّات ، أو أنه كان من الشهرة بمكان حتى تعرف عليه القاصي والداني، وذلك أنه لما ألف كتابه «البحث الصريح» أرسله إلى رجل من محبيه النصارى بمصر، وبعد مدة وردت عليه أسئلة تتضمن بعض الشبهات التي تحول بين صاحبه النصراني وبين الدخول في الإسلام، فكتب عليها جواباً موسعاً هو كتابه «الأجوبة الجليلة»^(١). ولعل مما يعزز ما ذهبت إليه - أنه من أعلام الشام - أن كتابه قد وجد في دمشق بتاريخ ١٢٦٥هـ بمكتبة محمد باشا.^(٢)

ونلاحظ في كتابه البحث الصريح أنه متفرغ للبحث والمطالعة، شغوفاً بالتحقيق والتدقيق، وله اطلاع عميق على الديانة النصرانية ، يتضح ذلك من ردوده، ومن إحاطته بها، ومن استدراكه على كثير من المفسرين النصارى وبيان عثراتهم وسقطاتهم وزللهم وخطلهم.^(٣) وله أيضاً اطلاع على اللغة العبرية واليونانية^(٤)، ولا يتيسر هذا التفرغ للبحث والمطالعة، وهذا الاطلاع على هذه اللغات إلا لمن أولي عناية بالغة من أبويه، أو من المحيطين به من الأحرار الذين يعدونه إعداداً حسناً؛ لتولي المناصب العلمية والدينية في مجتمعه^(٥).

المطلب الثاني : دوافع إسلامه . -

لن أستطيع أن أوفي هذا المهتدي حقه، ولن أعطي القارىء الصورة الحقيقية له، والدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم ؛ لعدم عناية المراجع بهذه الشخصية ، ولعل كونه من أبناء القرن الحادي عشر الهجري ما يعلل عدم العناية به ؛ إذ تعتبر هذه الحقبة الزمنية من أضعف الفترات في تأريخ الأمة من ناحية التدوين التاريخي والرصد العلمي . كما أنه لم يذكر في كتابه «البحث الصريح» إلى أي دين كان ينتسب ، لكن ذكر الطيبي أنه كان

(١) انظر مختصر الأجوبة الجليلة ، في هوامش إظهار الحق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ - ٢٤١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

(٣) انظر مخطوطة البحث الصريح ، ورقة ٥٤ \ ب .

(٤) انظر المصدر السابق ، ورقة ١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ...

(٥) حيث لم أستطع تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها ولا البلاد التي نشأ بها ؛ فلا يمكن أن أتحدث عن البيئة التي

نشأ فيها

منتسباً إلى النصرانية ، ثم تنبه وتشرف بالدين المحمدي ؛ بعد أن ظهر له نوره ، وكشف عن الحق ستوره^(١) .

أما دوافع إسلامه فهي :-

١ - المقابلة بين كتاب وقواعد دينه الذي ورثه عن آبائه، وبين كتاب وقواعد الأديان الأخرى ، من غير تعصب ولا هوى . وبعد استمرار المقابلة والتمحيص ؛ تبين له أن الدين الإسلامي هو الدين الذي ترجحت عليه البيّنات والبراهين ، وأنه هو الدين الصحيح ، حيث يقول : (إن أصحاب الملل من دأبها أن تفتخر على بعضها بسمو اعتقادها ، وكل منهم يتصور أن ما ذهبت إليه آل ملته هو الدين الصحيح، وسواه على كلٍ فهو قبيح . وقد رأيت - أيضاً - أن بعضهم راض بدينه دون فحص ولا معرفة، والبعض مباشر الفحص في قواعد ديانته فقط ، من دون أن يقابلها على غيرها ، والتادر منهم من يقابلها على غيرها... ففي الوجهين الأولين رأيت أن فيهما يدخل التعصب والفوضى المذهبي ، بحيث لا يعود يمكن للإنسان أن يميز فيما بين الحق والباطل - أعني أنه لا يعود يميز إلا أن دينه الموجود فيه هو الحق الحقيقي ، وإن كان بالخلاف - فحمدت أنا الرأي الأخير وحددته حالاً من دون تأخير ، وبدأت أن أقابل كتابي ومعتقدي على كتابي المعتقدين الشهيرين، وأراجعهما على أولياء العلم من دون تعصب مذهبي ، بكل مكنتي ، من دون مین ..) وبعد ذلك تبين له : (أن الدين المحمدي هو الدين الذي ترجحت عليه البيّنات ، وأنه هو الدين الصحيح)^(٢) .

٢ - ذكرت سابقاً شغفه بالبحث والتحقيق والتدقيق ، وحرصاً منه على استيفاء معلوماته من مصادرها الأصلية ، ظل يبحث زمناً طويلاً عن كتب قواعد اللغة العبرانية الأصلية التي يندر وجودها بين النصارى ، وبعد أن عثر عليها ، وجد أنها جاءت بكلمة الفصل في مواضع النزاع التي استوقفته ؛ وذلك أن بعض البشارات بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت مترجمة عن النص العبري على غير الوجه الحقيقي لها ، وبعد أن عثر على كتب قواعد اللغة العبرية اكتشف خلل الترجمة وخطئها ، وتبين أن ما كان يفهمه عن بعض هذه البشارات ، وما يفهمه عنها سائر النصارى هو فهم مخالف للحقيقة ، مجاف للصواب، فلما تكشفت له هذه الحقائق من خلال توثيق الترجمة تبين له الحق ؛ فسلم له ، وآمن به،

(١) انظر خلاصة الترجيح ، المطبوع بهامش إظهار الحق ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

(٢) مخطوط البحث الصريح ، ورقة ١ .

المطلب الثالث ، القيمة العلمية لكتابه ، البحث الصريح ، -

هذا الكتاب لا يزال مخطوطاً، وقد يسر الله لي منه نسختين ، الأولى : نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وفيها نقص في الباب الخامس . والثانية : نسخة دار الكتب الوطنية بمصر .

وصف المخطوطة : تقع هذه المخطوطة في ٥٧ ورقة ، وفي كل ورقة ٢٥ سطراً ، وفي كل سطر ١١ كلمة ، ولم يذكر تأريخ نسخهما .

المحتوى :- قسم المؤلف كتابه هذا إلى خمسة أبواب وخاتمة ، ففي الباب الأول : نفى أن يكون المسيح إلهاً حقيقياً ، أو مساوياً لله في جوهره . ورد في الباب الثاني : على افتخار النصارى بسمو آيات عيسى عليه السلام ، وأكد أنها مماثلة لآيات الأنبياء الذين سبقوه ، بل قد عملوا مثلها وما يعلوها ويفوقها . كما رد في الباب الثالث : الشبه التي يثيرها النصارى حول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن ما قالوه عنه وُجد ما يماثلها لدى كثير من الأنبياء السابقين . وأثبت في الباب الرابع : أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي بشرت به الأنبياء ، وأقام على ذلك الأدلة الصحيحة والبراهين الواضحة ، وأورد في الباب الخامس : عدداً من الشكوك والتناقضات في كتب العهدين القديم والجديد؛ ليثبت بعد ذلك أن هذه الكتب دخلها التحريف والتزوير ، وجمع في الخاتمة نتائج ما توصل إليه في هذه الأبواب الخمسة .

هدفه من تأليف هذا الكتاب :-

١ - أنه أمضى مدة في البحث والمقابلة والمقارنة ؛ ولتلا تضييع النتائج التي توصل إليها ، حرر هذا الكتاب ؛ ليبين لذوي البصائر أن ما توصل إليه من نتائج ، وما سلكه من سبيل -

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٣٣ .

وهو سبيل الإسلام - هو الحق الذي تشهد له البيئات ، وتؤيده الحجج .^(١)
٢ - محبته لأصحاب الكتابين من كونهم مشاركين له في الطبيعة البشرية ، ورغبته في هدايتهم إلى الدين القويم .^(٢)

٣ - أن الشكوك والتناقضات الموجودة في كتب العهدين ، والمتناثرة هنا وهناك قد لا يكثر بها من يمر على بعض منها أثناء المراجعة ؛ فرغب في جمعها في ديوان واحد يحيط بها ويربط بين مواقعها من هذه الكتب .^(٣)

٤ - أن كثيرين من النصارى واقفين عند هذه الشكوك والتناقضات ، مبهوتين منها ومتحيرين ، لا يستطيعون الدخول ولا الخروج منها ، فحركه ذلك لإخراجهم من الظلمات إلى نور الإيمان .^(٤)

٥ - أن المانع الأعظم لدخول النصارى في الإسلام أنهم لا يعرفون الإسلام حق معرفته ، بل لا يعرفونه إلا من خلال القذف والشتم من علماء دينهم ، فأراد بهذا الكتاب أن يضع الحق في نصابه ، وأن يبين أن محمداً صلى الله عليه وسلم الذي أتى بهذا الدين قد بشرت به الأنبياء ، وأن كتابه الشريف قد تضمن كل خير وير .^(٥)

منهجه :- هذا الكتاب هو نتيجة مقابلة ومقارنة بين القرآن وبين التوراة والإنجيل ، وبين العقائد الناتجة عنها ، ويتطلب هذا البحث الاطلاع على أصول الترجمات القديمة : العبرية واليونانية والسريانية واللاتينية التي دونت فيها التوراة والإنجيل ، والمقابلة بينها ، ثم بعد ذلك المقابلة بين ما احتوته من الدلائل والعقائد والشرائع والأحكام ، واستخلاص الحق من بينها معزراً بالدليل ، منصوراً بالبرهان . وقد سلك لتحقيق ذلك ما يأتي :-

١ - المقابلة بين التوراة اليونانية والعبرية .^(٦)

٢ - الرجوع إلى قواميس اللغتين العبرية واليونانية ؛ للتأكد من أصل كلمة ما أو اشتقاقها ، وما يمكن أن تترجم به ، وتؤدي إليه .

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٤ \ أ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٤ \ أ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٤ \ أ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٥ \ أ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٥ \ أ .

(٦) انظر المصدر السابق ، ورقة ٣٨ \ ب .

٣ - الاطلاع على النسخ اليونانية القديمة للتوراة والإنجيل ومقابلتها بالنسخ العربية .
٤ - الاطلاع على النسخ العبرية للتوراة ، ومقابلتها بالنسخ العربية .^(١)
٥ - حل بعض رموز الكتاب المقدس بعضها ببعض ، ويظهر ذلك في البشارات ، فما غمض هنا ، فسر هناك .

٦ - الانتصار للحق بالاستشهاد بأقوال النصارى القدماء لدحض افتراءات وشبهات النصارى المحدثين ...

وقد التزم في كل ذلك النزاهة والموضوعية ، والتجرد من التعصب والهوى ، والأمانة العلمية في النقل والترجمة ؛ إذ يورد النصوص العبرية واليونانية بألفاظها ، ثم يورد ترجمتها العربية ، وأحياناً يترجم هو بنفسه ، ويحيل القارىء على اللغة التي ترجم منها ، ويردف ذلك بقوله : (هي [أي الشهادة] مترجمة من اللغة العبرية ، خالية من الزغل ، وعليك بمقابلتها)^(٢) . وقد راعى في تأليفه الاختصار ؛ حذراً من ملل القارىء ، وعلل ذلك بأن الرجل العاقل يقتنع بالقليل^(٣) .

ويظهر للمتأمل لهذا الكتاب الحماس والرغبة الصادقة في هداية بني قومه إلى هذا الدين القويم الذي تشرف به ، ومن الله به عليه ، ويظهر ذلك من الدوافع التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب ، وقد سبق بيانها . كما أنه لما فرغ من تأليفه دفعه إلى بعض محبيه من النصارى في مصر ، فطالعه وسلم له ما فيه ... ثم أشكل على ذلك المصري بعض آيات من القرآن الكريم تدل بظاهرها - إذا بترت عن سياقها وسباقها - على أن الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل إلى العرب خاصة ، وصاغ هذه الإشكالات في هيئة أسئلة وبعثها إلى هذا المهتمدي ، فسارع وأعد عليها الإجابة اللازمة ، وحررها في هيئة كتاب سماه « الأجوبة الجليلة » وبعثها إلى ذلك المصري^(٤) .

القيمة العلمية :- تبرز قيمة هذا الكتاب من خلال الجوانب التالية :-

١ - أن هذا الكتاب ثمرة بحث وتمحيص ومقارنة أدت به إلى اعتناق الإسلام ، وبيان أن الدين الإسلامي هو الدين الصحيح الذي تؤيده البراهين والأدلة ، وأن الله سبحانه وتعالى

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ورقة ٤٢ \ ب .

(٣) انظر المصدر السابق ، ورقة ٥٤ \ أ .

(٤) انظر خلاصة الترجيح المطبوعة على هوامش إظهار الحق ، ج ٢ ، ص ٦٧ - ٦٨ .

منزه عما افتراه عليه النصارى من نسبة الشريك إليه والمساوي، وأن رسوله صلى الله عليه وسلم منزّه مما تُسب إليه ، ثم الانتصار لهذا الحق والذب عنه .

٢ - أنه أُلّف هذا الكتاب بعد سنين طويلة من إسلامه، أي بعد فترة من الاستقرار النفسي والعقلي، يوضح ذلك بقوله عن البشارات : (بأنّي قد جمعتها بسنين طويلة ، وبأعراق غزيرة)^(١).

٣ - أنه احتوى في هذا الكتاب كثيراً من التناقضات والشكوك التي تضمنتها التوراة والإنجيل، واطلع بعد ذلك على كلام شارحي التوراة والإنجيل ، وما فسروا به هذه الشكوك والتناقضات، وما أغفلوا منها، وما أوكوه بالمجاز وتابع كل ذلك فقرة فقرة، فنقضه وذكر الشكوك التي أولوها بالمجاز وبين حقيقتها ، والشكوك التي تناسوها فرفع عنها ستار النسيان وجلى الحق فيها، واستدرك عليهم من الشكوك والتناقضات ما تركوه عمداً أو سهواً .

٤ - ذكر هذا المهتدي الألفاظ محل النزاع - سواء كانت تتعلق بألوهية المسيح عليه السلام أو بالبشارات بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - ذكرها بألفاظها العبرية أو اليونانية، وترجمها الترجمة الصحيحة، ولم يعتمد على نسخ تراجم كتب العهدين القديمة؛ لاحتمال التلاعب فيها، بل استعان على ذلك بالقواميس القديمة لتلك اللغات، وأرجع الكلمات محل النزاع إلى أصولها وبين وجوه الاشتقاق منها، وألّم الباطل حجراً .

٥ - الشمول والإحاطة في كتابه ؛ إذ كثير من المهتمين من أهل الكتاب يؤلفون في جانب واحد من القضايا محل النزاع بين الإسلام والنصرانية، وذلك مثل كتاب « مسالك النظر في نبوة سيد البشر » و« محمد في الكتاب المقدس » و« محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن » و« المسيح إنسان أم إله ؟ »...ولكن هذا المؤلف أراد أن يحيط بكل مواضع النزاع ، مع مراعاة الاختصار.

المآخذ :-

١ - سؤاله الله سبحانه وتعالى بجاه النبي صلى الله عليه وسلم .^(٢)

(١) البحث الصريح ، ورقة ٥٤ \ ١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢ \ ١ . وانظر لهذه المسألة شرح العقيدة الطحاوية ، نشر المكتب الإسلامي ، ط ٨ ،

١٤٠٤ هـ ، ص ٢٣٦ .

- ٢ - ظن أن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها هي التي طلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها بعد طلاقها من زيد رضي الله عنه^(١).
- ٣ - استدلاله ببعض الأحاديث الموضوعة كقوله: (وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه لأجله خلق الوجود) . وقوله: (قد ورد عنه بأنه مخلوق قبل الكون)^(٢) ولعل الذي أوقعه في ذلك أنه اعتمد على كتاب « دلائل الخيرات » حيث ذكره وأشار إليه أكثر من مرة .^(٣)

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٨ \ ب . وسأتوسع - بإذن الله - في الحديث عن هذه الفقرة في الباب الرابع من هذا البحث انظر ص ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٧ \ ب ، ١٠ \ أ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ورقة ٣٥ \ ب ، ٤٠ \ أ .

المبحث الخامس : عبد الأحد داود

المطلب الأول ، اسمه ومولده ونشأته . -

اسمه : دافيد بنجامين كلداني^(١)، قسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان الموحدة ، وتسمى بعد إسلامه بعبد الأحد داود .

مولده : ولد عام ١٨٦٧ م ، في أروميا من بلاد فارس ، وتلقى تعليمه الابتدائي في تلك المدينة ، وقد كان بين عامي ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م أحد موظفي التعليم في إرسالية أساقفة « كانتر بوري » المبعوثة إلى النصارى النسطوريين في بلده ، وفي عام ١٨٩٢ م أرسل إلى روما حيث تلقى تدريباً منتظماً في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية « برووغاندافيد » . وفي عام ١٨٩٥ م تم ترسيمه كاهناً . وفي هذه الفترة شارك في كتابة سلسلة من المقالات التي تم نشرها في بعض الصحف المتخصصة، وبعد عودته من روما توقف في إستانبول عام ١٨٩٥ م وأسهم في كتابة ونشر بعض المقالات عن الكنائس الشرقية في الصحف اليومية الإنجليزية والفرنسية .

ولم يمكث طويلاً في إستانبول بل عاد في نفس العام إلى بلده ، وأنضم إلى إرسالية « لازارست » الأفرنسية ، ونشر لأول مرة في تأريخ الإرسالية منشورات فصلية دورية

(١) لم أعر على من ترجم له سوى النبهة التي وردت في أول كتابه «محمد في الكتاب المقدس» ، وبعد مكاتبة المترجم - الذي ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية - وسؤاله عما إذا كان يعرف من ترجم له ؟ فذكر أنه لا يعرف من ترجم له ، وإنما النبهة التي أوردها في بداية النص العربي كانت مرفقة بالنص الإنجليزي ، ولعل الذي كتبها هو المؤلف نفسه ؛ لأنه ذكر فيها أموراً قد لا يحيط بها إلا صاحبها . كما أنني اتصلت بالهيئة التي تولت نشر النص العربي لهذا الكتاب ؛ فأفادت بعدم معرفة أية معلومات عنه ، سوى ما نشر مع الكتاب .

كما أن مترجم كتاب « الإنجيل والصليب » ، قد أورد له ترجمة ظنية ؛ وذلك أنه سمع بأخبار رجل نصراني من أهل الموصل أسلم في تلك الفترة ، وزار إستانبول ... فقرر أنه هو ، ولم يقدم ما يثبت ذلك .

كما ذكره محمد الشراوي في مقدمة كتاب «مسالك النظر» . ذكره مجرداً . وكذلك ذكره الطهطاوي في كتابه «بشائر الرسالة المحمدية» وعرك به تعريفاً يسيراً . ص ٣٥ .

باللغة السريانية ، وبعد ذلك بعامين انتدب من قبل اثنين من رؤساء أساقفة الطائفة الكلدانية الموحدة في بلده لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر «القران المقدس» الذي عقد في مدينة «باري لو مونيال» في فرنسا، وفي عام ١٨٩٨م عاد إلى قريته «ديجالا» وافتتح مدرسة بالمجان .

وفي عام ١٨٩٩م أرسلته السلطات الكنسية إلى سالماس، لتحمل المسؤولية ، حيث يوجد نزاعات بين بعض القياديين النصارى هناك، وفي عام ١٩٠٠م ألقى موعظة بليغة شهيرة، حضرها جمع غفير من طائفته ومن غيرها، وكان موضوعها «عصر جديد ورجال جدد» انتقد فيها تواني بني قومه عن واجبه الدعوي، وانتقد الإرساليات الأمريكية والإنجليزية التي لم تقدم لأمته ما كان يأمل منها. وطلب من بني قومه عدم انتظار المساعدة، وتقديم التضحيات، وأن يعتمدوا على أنفسهم ...

والآن وبعد أن وصل إلى القمة، يبقى السؤال في ذهن هذا الكاهن عن هذه الديانة التي يناضل من أجلها هل هي ديانة الله الصحيحة ؟ مع هذا الاختلاف الذي يراه بعينه في عقائدها وفرقها وعباداتها وطقوسها، وهذا التناقض الذي يلمسه من واقع كتبها ؟ وبعد تلك الموعظة الشهيرة ، وبعد قيامه بتلك المسؤولية التي حملها لحل الخلافات في تلك البلدة «سالماس» عزل الكاهن نفسه عن الدنيا في صيف عام ١٩٠٠م ، واستقر في بيته في مسقط رأسه «ديجالا»، ومكث شهراً كاملاً يقضي وقته بين الصلاة والتأمل والتضرع إلى الله أن يخرج من هذه الحيرة، وأن يدلّه على الصواب، وأعاد قراءة الكتب المقدسة بنصوصها الأصلية مرة بعد أخرى. وانتهت هذه الأزمة على صورة استقالة بعث بها إلى رئيس أساقفة أورميا، وقد شرح فيها الأسباب التي حدثت به إلى التخلي عن وظائفه الكنسية ، وقامت السلطات الكنسية بعدة محاولات لكي يتراجع عن قراره، ولم تفلح .

ثم عمل بعد ذلك في تبريز مفتشاً في البريد والجمارك متعاوناً مع البلجيكين ، وفي عام ١٩٠٣م زار بريطانيا حيث انضم إلى «الجماعة الموحدة بالله» هناك، وأرسلته هذه الجماعة عام ١٩٠٤م إلى فارس كي يقوم بمهمة الوعظ والتعليم بين أهله وذويه. وفي طريق عودته زار مرة أخرى إستانبول، والتقى خلالها بجمال الدين الأفغاني وعلماء آخرين.

واعتنق الإسلام^(١)

وإن الدارس لكتابه يجد أنه لقي عناية بالغة من قبل الهيئات التعليمية التي أولته عنايتها ورعايتها؛ ونتيجة لذلك تعلم كثيراً من اللغات القديمة كالعبرية والآرامية واللاتينية والسريانية القديمة والحديثة واليونانية ، كما أنه تعلم اللغة الإنجليزية والتركية، وله إلمام بالفلسفة وعلم المنطق .

المطلب الثاني، البيئة التي نشأ فيها . -

نشأ كما نشأت طائفته في فارس تحت حكم الأسرة القاجارية ، وقد استغرق حكم هذه الأسرة القرن التاسع عشر وجزءاً من القرن العشرين ، وكانت تعيش في ظل هذا الحكم الجهل والبؤس والتأخر في كل مناحي الحياة ، بل إن إيران خلال هذه الفترة كانت مسرحاً للمنافسة السياسية بين كل من انكلترا وروسيا وكثير من الدول الأوربية . ويعتبر ناصر الدين شاه ١٨٤٨ - ١٨٩٦م أول حاكم فارسي يزور الغرب، وينبهر بحضارتهم، ويسعى لاقتباسها إلى بلاده ، ولكنه لقي اعتراض العلماء على هذا الاقتباس، وتعددت زيارته للغرب، وأسرف في إنفاق الأموال في هذه الرحلات، الأمر الذي أوقعه في تقديم سلسلة من التنازلات والامتيازات لبريطانيا. كما حصلت أمريكا أيضاً على بعض الامتيازات عام ١٨٦٦م . كما حصل البلجيكيون على امتياز لإقامة ثلاث شركات بتروول، وفي عام ١٩١٠م حاولت ألمانيا الحصول على بعض الامتيازات من روسيا في إيران؛ إذاً فقد كانت مسرحاً للتنافس الدولي على نهب خيراتها، وسلب ثرواتها، والتدخل في شئونها .

وبعد مقتل ناصر الدين عام ١٨٩٦م تولى بعده مظهر الدين، واتفقت في عهده وبالتحديد عام ١٩٠٧م كل من روسيا وبريطانيا على اقتسام مناطق النفوذ بينهما ، كما أن أمريكا لم تكن غائبة عن هذا البلد ، فقد تغلغلت فيه منذ زمن مبكر عبر نشاط المبشرين الذين توجهوا إلى إيران منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكان أنشط الهيئات

(١) اعتمدت في كتابة هذه الترجمة على النبذة الواردة في بداية النص العربي لكتابه «محمد في الكتاب المقدس».

وأضفت إليها بعض المعلومات التي ذكرها عن نفسه في كتابه .

الأمريكية التبشيرية هناك المجلس التبشيري الأمريكي، وجمعية الكتاب المقدس ، وقد ركز المبشرون الأمريكيان نشاطهم على الأقلية الآشورية في منطقة أورميا حيث أسسوا المدارس والمستشفيات، وجلبوا أول مطبعة عام ١٨٤٠ م ، وارتفع عدد الإرساليات الأمريكية حتى بلغ مجموعها ٢٣ إرسالية عام ١٨٨٤م . وازداد هذا التغلغل والنفوذ حتى بلغ ذروته عام ١٩١١م عندما أرسلت أمريكا بعثة خماسية برئاسة مورغان الذي منح حق الإشراف على جميع الشؤون المالية للبلاد بما في ذلك وضع ميزانية الدولة وقروضها. وهذا يؤكد ما ورد في ترجمة هذا المهتمي من أن طائفته لقيت عنتاً من المبشرين الأمريكيين وغيرهم ، وأنهم يسعون لتحويل ما يقارب من مائة ألف كلداني؛ ليتبعوا واحداً أو أكثر من المنشقين عن العقيدة الأصلية ، وأن الإرساليات الروسية أجبرت الآشوريين عام ١٩١٥م وكذلك القبائل الجبلية الكردستانية على حمل السلاح ضد حكوماتهم ، وقد هلك نصف هؤلاء الناس في الحرب، أما الباقون فقد طردوا من أراضيهم ...

ثم ما لبثت أن قامت الحرب العالمية الأولى ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ؛ نتج عن ذلك انهيار الجبهة الداخلية - بسبب الهزائم العسكرية والسياسية - فانعدمت الأخلاق ، وسيطرت الأنانية والانتهازية ، حتى بين قياديين الدولة ، أما المستعمرون فقد استغلوا الظروف السيئة للبلاد؛ وحصلوا على جملة امتيازات تضاف إلى الامتيازات السابقة^(١) ... والدارس لأحوال إيران في تلك الفترة - مع أخذه بعين الاعتبار تأريخ الأمة الإسلامية في تلك الفترة - يخرج بنتيجة أنها تعيش - كباقي دول العالم الإسلامي - التخلف والفقر والمرض والجهل ، وضياح السيادة السياسية للخلافة العثمانية ، واستبداد كل أسرة بإقليم أو أكثر ، وتغلغل الدول الأجنبية في شئونها ، ونهب خيراتها ، والتسابق على توسعة مناطق نفوذها، على حساب تضييق نفوذ الخلافة العثمانية التي بدأ نجمها يأفل من أفق العالم الإسلامي .

(١) انظر تأريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، تأليف د . أحمد محمود الساداتي ، نشر مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٧م ، ص ١٥٦ . ١٥٧ . وإيران في سنوات الحرب العالمية الأولى ، تأليف فوزي شويل ، نشر مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٥م ، ص ٧ - ٤٦ . وإيران تأليف محمود شاکر ، نشر مؤسسة الرسالة ، ص ٥٥ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٧ .

الطلب الثالث ، دوافع إسلامه -

من خلال عبارات المؤلف المبتوثة في ثنايا كتابيه يستطيع الباحث أن يستخرج بعضاً من الدوافع التي دفعته إلى الإسلام ، وهذه الدوافع هي:-

١ - عناية الله به، إذ يقول لما سئل: كيف صرت مسلماً ؟ كتب: (إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يعزى لأي سبب سوى عناية الله عز وجل ، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث ، ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية... واللمحة التي آمنت بها بوحداية الله ، ونبية الكرم صلوات الله عليه، أصبحت نقطة تحوكي نحو السلوك النموذجي المؤمن)^(١).

٢ - ذكر في كتابه « الإنجيل والصليب » أن أول الأسباب التي جعلته يعلن عصيانه على الكنيسة؛ أنها تطلب منه أن يؤمن بالشفاعة بين الله وبين خلقه في عدد من الأمور، كالشفاعة للخلاص من الجحيم ، وكافتقار البشر إلى الشفيح المطلق بصورة مطلقة، وأن هذا الشفيح إله تام وإنسان تام، وأن رهبان الكنيسة - أيضاً - شفعاء مطلقون، كما تأمره الكنيسة بالتوسل إلى شفعاء لا يمكن حصرهم .

ويعد تأمله لهذا الاعتقاد ودراسته دراسة دقيقة خرج من هذا أن العدل الإلهي لا يمكن أن يقر ذلك الكفر ؛ فكفر بالكنيسة وبما تدعو إليه^(٢) .

٣ - من واقع دراسته لعقيدة «الصلب» وأن القرآن ينكرها، والإنجيل يشبثها، وكلاهما في الأصل من مصدر واحد، فمن الطبيعي أن لا يكون بينهما اختلاف؛ ولكن وقع بينهما الاختلاف والتضاد، فلا بد من الحكم على أحدهما بالتحريف، فاستمر في بحثه وتحقيقه لهذه المسألة حتى توصل إلى الحقيقة ، حيث يقول: (ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية، وأن الأناجيل الأربعة مع كونها ليست من تأليف المسيح ذاته لم توجد في زمانه؛

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٣ .

(٢) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٢٤ - ١٣١ .

بل وجدت بعد وفاة الحواريين بزمن طويل ، وأنها وصلت إلينا بحالة محرفة، وقد لعبت بها الأقلام ، وبعد هذا كله اضطرت إلى الإيمان والاعتراف من كل عقلي وضميري بأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي حق، ولم أستطع التخلف عن ذلك (١١).

٤ - اعتقاد النصارى بالتثليث ، وادعاؤهم أن الصفة تسبق الموصوف؛ كان أحد الأسباب التي دعت للخروج من المسيحية . (١٢)

٥ - بعد أن انضم إلى جماعة الموحدين البريطانية، وفي طريق عودته إلى فارس، زار مدينة إستانبول، والتقى فيها بعدد من العلماء المسلمين، وبعد مواجهات عديدة معهم اعتنق الإسلام . (١٣)

العقبات التي واجهته بعد إسلامه :-

لقلة المعلومات التي توصلت إليها عن هذا المهتدي، لن أستطيع أن أوفيه حقه، أو أن أذكر للقارىء العقبات التي واجهته . لكن ذكر بعضاً منها في بداية كتابه « الإنجيل والصليب » فذكر أنه اضطر إلى ترك أمواله ودياره في سبيل هذا الدين الذي اعتنقه لما اعتقد أنه هو الحق وسافر إلى القسطنطينية وأقام فيها ما بين ثمان إلى تسع سنوات ، وواجهته في هذه البلدة عدد من العقبات التي اعترضت سبيله ، ولم يوضح هذه العقبات ، ولكنه وصفها بـ « بالشدائد » ولم تشنه عن عزيمته، ومواصلة مهمته (١٤).

مصنفاته : بعضها وصل إلينا مترجماً من اللغة التي ألف فيها وهي :

١ - الإنجيل والصليب .

٢ - محمد في الكتاب المقدس .

أما البعض الآخر الذي وعد به ولم يصل إلينا فهو :

١ - إنجيل حقن دمه إفشاءت عظمة . ولعله باللغة التركبية .

٢ - يزعم أن يكتب كتاباً عن إنجيل برنابا .

(١) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٨ .

(٤) انظر ، ص ٤ .

٣ - عزم على ترجمة معانى القرآن إلى اللغة الإنجليزية وبلغ نهاية سورة البقرة . فرأى أنه شاق وأن غيره أقدر منه فتوقف .^(١)

المطلب الرابع ، القيمة العلمية لكتابه ، -

أ . الإنجيل والصليب .

ب . محمد في الكتاب المقدس .

أ . الإنجيل والصليب :-

ألفه مؤلفه باللغة التركية ، قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، وصدر المجلد الأول منه فقط ، وهو الذي ترجم إلى اللغة العربية ، وكان يزعم إتمامه ؛ حيث ذكر في كتابه محمد في الكتاب المقدس أنه سيضيف إليه حلقة أخرى حول رفض كثير من النصارى المؤمنين بعبسى مسألة صلب المسيح^(٢) . وتقع ترجمته العربية في مجلد متوسط يتكون من ٢٢٢ صفحة من القطع الكبير ، وقد أخفى مترجمه اسمه ؛ لظروف لا نعلمها ، وكتب : ترجمه إلى العربية مسلم عراقي . وطبع عام ١٣٥١هـ في القاهرة .

المحتوى: قسم المؤلف كتابه هذا إلى أحد عشر باباً ، عرّف في الباب الأول: بالإنجيل وبين حقيقتها ، وأكد في الباب الثاني: أن غرض الإنجيل وموضوعه هو البشارة بالإسلام وبنبيه صلى الله عليه وسلم ، وخصص الباب الثالث: لبعض البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيها واشتقاقها ، وأوضح في الباب الرابع المعنى الحقيقي للإنجيل ، وعنون الباب الخامس بـ « المسيح لم يحرز التوفيق » وقصد بهذا العنوان أن المسيح عليه السلام لم يقصر في مهمته التي أرسل من أجلها ، ولكن النصارى لم تقدره حق قدره ، وهو لم يحقق الآمال التي علقت عليه من قبل اليهود ، وفي الباب السادس : بين أن غاية

(١) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٢١٥ ، ٢١٨ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

الإنجيل هو التبشير بملكوت الله وهو الإسلام ، وأكد في الباب السابع : أن ملكوت الله - الإسلام - يكمل اليهودية - أي رسالة موسى عليه السلام - ونفى في الباب الثامن : أن تكون النصرانية هي ملكوت الله الموعود به في الأناجيل ، وأوضح في الباب التاسع : أن ملكوت الله هو دين الإسلام ، وأورد الأدلة القاطعة في الباب العاشر : على أن النصرانية ليست ضمن ملكوت الله ، وختم الكتاب بالباب الحادي عشر وسماه : غرائب وعجائب أورد فيه نماذج من غرائب وتناقضات النصارى ، وختم هذا الباب بنماذج من تعاليم الإسلام السامية .

الهدف من تأليفه :-

قصد من تأليفه لهذا الكتاب أن يثبت بالأدلة القطعية أن القضية الأساسية في اعتقاد النصارى - الصلب - ما هي إلا خرافة سطرها في ثنايا أناجيلهم من رمى إلى مسخ تعاليم المسيح، واستبدالها بتعاليم وثنية ، وقد أوضح دوافعه إلى تأليف هذا الكتاب وهي كما يلي :-

١ - أنه كان معرضاً عن الدخول في المسائل الخلافية الدينية والسياسية ، ولكن لما رأى ما أوقعه الصليبيون بإخوانه المسلمين في حروب البلقان، من هتك أعراضهم وسفك دمائهم؛ وأدرك أن المغزى من هذه الحروب هو محو أمة الإسلام، وتقديم ضحايا للصليب، وكانت قد رسخت عقيدته بأن قضية قتل المسيح وصلبه عبارة عن أسطورة منتحلة - قرر أن يكشف الستار عن هذه الفكرة بالأدلة القاطعة^(١).

٢ - أن هذه القضية - رغم أهميتها ، ورغم ادعاء الإنجيل لوقوعها ، ونفي القرآن وتكذيبه لها - لم تلق من يفردها بالتأليف والكتابة من علماء المسلمين ، أو من علماء النصارى ، وإن اختلف هذين الكتابين حول رواية هذه القضية يدعوه للحيرة ، ويوجب الأسف ، وبما أن الكتابين مصدرهما واحد فلا يمكن أن يكذب أحدهما الآخر، وما دام التضاد ظاهراً بينهما فلا بد من الحكم على أحدهما بالتحريف والكذب، ويتتبع التحقيق والدراسة أيقن أن قصة قتل المسيح ليست من تأليف المسيح، ولم توجد في زمانه ؛ بل وجدت بعد وفاته بزمان طويل^(٢).

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١١ - ١٢ .

٣ - بما أن هذه القضية تشكل أحد الأركان الرئيسية في عقيدة النصارى، وبما أنه أتى على قواعدها كشفاً ونسفاً ؛ فإنه يأمل من النصارى أن يسوقهم هذا الكتاب إلى مطالعة القرآن الكريم، وتدبره من صميم قلوبهم؛ ليطالعوا على آياته وأحكامه القطعية الصريحة^(١) .
٤ - إيضاح حقيقة الإنجيل وغاياته وموضوعه .

ب - محمد في الكتاب المقدس :-

كتبه مؤلفه باللغة الإنجليزية في حلقات مسلسلة، وقامت رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر بإصدارها في كتاب مستقل ، وبعد صدوره باللغة الإنجليزية قام المترجم فهمي شما بنقله إلى اللغة العربية ، ونشرته كذلك رئاسة المحاكم باللغة العربية ، وتقع الترجمة العربية في ٢٦٦ صفحة من الحجم الكبير ، وقد تضمنت هذه الصفحات بعض المقدمات من الناشر والمترجم وكذلك نبذة يسيرة عن حياة المؤلف ، وقد شغلت هذه المقدمات من أول الكتاب إلى صفحة ٢٤ .

المحتوى :- لم يقسم المؤلف كتابه كالعادة إلى أبواب وفصول ؛ ولعل السبب في ذلك أنه كتب على هيئة حلقات - ثم ضمّ الناشر هذه الحلقات بعضها إلى بعض - تحدث في كل حلقة عن بشارة أو دلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الخالدة .

الهدف من تأليفه :- من عنوان الكتاب يتضح المغزى الذي من أجله ألف هذا الكتاب، فهو عبارة عن رصد وتتبع لبشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إذ ذكر في أول كتابه أنه قصد من تأليفه لهذا الكتاب أن يبين : (بأن العقيدة الإسلامية والمتعلقة بالذات الإلهية، وبخاتم رسل الله ؛ إن هي إلا العقيدة الصحيحة تماماً، وأنها تتفق وتعاليم الكتاب المقدس) ، كما أنه - أي الكتاب - دعوة موجهة إلى النصارى للبحث والاستقصاء حتى يصلوا إلى ما وصل إليه من الاعتراف بوحداية الله والشهادة لنبيه بالرسالة .^(٢)

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٣٦-٣٧ .

منهجه في كتابيه :-

يلحظ القاريء لهذين الكتابين أن هناك سمات مشتركة في المنهج الذي اتبعه في تأليفه

لهما ، وهذه السمات هي :-

١ - بيّن الأصل الذي ينبغي أن يلتزمه من يتصدى لنشر أحد الأديان بين الناس وهو: (أن يكون قد أتقن حسب الأصول دراسة عقائد وأحكام الدين الذي يرد عليه ويتتقده ... ، وأن يبين ما يشتمل عليه الدين الذي يدعو إليه من القدسيات الأخروية والمحسنات الدنيوية ... وأن يكون متصفاً بالأخلاق والآداب التي يلتزم نشرها وتعليمها)^(١).

٢ - أن ما دونه فيهما نتيجة بحث وتتبع استمر عدة سنوات لهذه القضايا التي تطرق إليها بالدراسة ، ولم يدون ذلك مباشرة بعد التوصل إلى النتائج ؛ فتكون عرضة للتراجع والزيادة والنقص ، بل لم يصنف هذه النتائج إلا بعد سنوات من قناعته وإيمانه بها^(٢).

٣ - إرجاع الكلمات - موضع الشاهد - إلى أصولها ، وذلك بالرجوع إلى أصل الكلمة في اللغة التي وردت فيها أول مرة ، ثم يبين تدرج هذه الكلمة في اللغات ، وكيف حرفت في اللغة الثانية والثالثة ... واستمر التحريف وكل ترجمة تزيدها تحريفاً وبعداً عن مصدرها الأصلي ، حتى وصلت إلينا ، ثم يبين أصل الكلمة في اللغة الأولى ووجوه اشتقاقها ، وصحة ترجمتها في اللغات التي نقلت إليها ، ثم كيف ينبغي أن تكون ترجمتها في اللغة العربية . والحقيقة أنه بذل جهداً مضنياً وجباراً في استقصاء التحولات اللغوية للمفردة الواحدة من لغة إلى أخرى ، وسار عبر رحلة طويلة بين العبرية والآرامية واليونانية واللاتينية . والهدف الذي رمى إليه أن يخرج من ضيق المعنى بعد تحريفه ، إلى سعة الدليل المستفاد من النص قبل تحريفه ، ويبين خطأ المترجمين وهل كان قصداً أم خطأ . وقد أعانه على ذلك معرفته لكثير من اللغات القديمة التي قل من يجيدها في العصر الحاضر ، بالإضافة إلى توفر نسخ التوراة والإنجيل لديه بعدة لغات قديمة .

٤ - المقارنة والاستقصاء والاستنطاق : وذلك بأن يجمع الألفاظ التي تتحدث عن القضية محل النزاع ، ويقارنها بغيرها ، ثم يستنتقها لتكون شاهدة لحجته ، مؤيدة لنظريته ، دالة دلالة يقين على أن ما يقوله هو الحق الذي يسنده البرهان ، لا ما قاله أئمة الكفر من

(١) الإنجيل والصليب ، ص ٣ - ٤ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٣ .

الأخبار والرهبان.

٥ - أحياناً يربط الكلمة - محل النزاع - بما يتفق معها ، ويختلف عنها ، ويتعارض معها من سائر نصوص الكتاب المقدس ، وبين التناقض ، ويذكر التعارض ، ويوضح تدخل الكنيسة ، ثم يطرح عدة تساؤلات ملزمة ، وبعد ذلك يدلي برأيه ، مؤيداً بالنصوص وبمضامينها ودلالاتها .

٦ - سلك في تقرير البشارات التدرج التالي ، يورد تفسير مفسرى التوراة والإنجيل ، ثم يورد التفسير من واقع الكلمة ومدلولها اللغوي والمنطقي ، ثم يورد الافتراضات التي استدل عليها من خلال إرجاع الكلمة إلى أصلها ، وبين كيف تصرف النساخ فيها ، مع ذكر معانيها على كل تصرف ، متبعاً ذلك بالحجج التي تؤيد ما ذهب إليه .

٧ - يأتي إلى قضية مسلمة لدى الخصم ، فيعيد لها الحياة من واقع الترجمة ، ويجعلها شاهدة لما يقول ، مستعيناً بعد ذلك بمقدمات عقلية موجبة .

٨ - يعرض لما يمكن أن يكون شبهة فيوضحه أشد الإيضاح ، حتى يبرز للعيان ، ثم يعرّبه ، ويسلبه كل مقوماته ، فيدعه خاوياً .

٩ - اعتمد العرض المتدرج للقضية - موضع المناقشة - فيذكر أولاً أصولها ، وكيف استقرت في ذهن الخصم عن طريق التصور الخاطيء لها ، موضحاً الصورة الحقيقية لها والمكان اللائق بها ، وينفي انتساب الخصم لها ، من خلال النصوص المسلمة لديهم ، كما فعل في مفهوم « ملكوت الله » لدى النصارى .

١٠ - الأمانة العلمية ، والموضوعية التامة في عرضه ونقله وترجمته .

١١ - مع هذا الإنجاز العلمي الرائع ، وهذا التحقيق الدقيق، وهذه النتائج المذهلة ؛ إلا أنه يبدو متواضعاً يهون من شأن نفسه ، ويقلل أهمية ما توصل إليه ، ومما يؤيد ذلك أنه همّ بترجمة معانى القرآن إلى اللغة الإنجليزية ، وبعد الانتهاء من سورة البقرة يقول : (أدركت أن من كان مثلي عاجزاً فارغ اليد ، قليل النصيب من العلوم القرآنية لا يتمكن وحده من الاجتراء على إيجاد أثر مفيد ؛ فانثيت عن عزمي)^(١١) .

١٢ - لم يكن هذا الإقبال على الإسلام إقبالاً شكلياً ، ولا عاطفياً ، بل كان إقبالاً صادقاً يدفعه الحماس لخدمة هذا الدين ، وتؤكد الرغبة في ذلك ، فألف الكتب ، واقترح تأليف

(١١) المصدر السابق ، ص ٢١٥

جماعة لنشر الإسلام ، ودعوة الأمم المسلمة إلى معرفة لغة القرآن ؛ حتى يتمكنوا من فهمه ، وبين كيد الأعداء في محاولة إشاعة العامية بدلاً من اللغة العربية^(١) .
القيمة العلمية لكتابه :-

تتجلى القيمة العلمية لهذين الكتابين في الجوانب التالية :- مع اعتبار أن القارىء لا يمكن أن يحيط بقيمتها العلمية - أما الجوانب التي توصلت إليها فهي :-

١ - الانفراد بالمنهج الذي رسمه وسار عليه ، ولم يسبق إليه .
٢ - الإحاطة بهذه اللغات القديمة إحاطة قل من يدركها في العصر الحاضر ، وتوظيف هذه المعرفة لصالح الهدف الذي سعى إليه .

٣ - تقديم أدلة من واقع التوراة والإنجيل لم تكن معروفة لدى علماء المسلمين في هذا الشأن، ولم تكن كذلك معروفة لدى إخوانه الذين هداهم الله للإسلام في القديم والحديث ، بل إن هناك نصوصاً من نصوص الإنجيل يحاجون بها النصارى ، كما استدل بعضهم بقول المسيح «ابن الإنسان» على بشريته . فأكد أن هذه اللفظة لا تدل على ذلك ؛ ولكنها بشارة برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم^(٢) .

٤ - إفراده كتابه الأول عن قضية هامة ، وهي مسألة صلب المسيح ، ويذكر هو أن هذه المسألة لم تفرد بالتأليف من قبل .

٥ - إضافة بشارات بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن معروفة في السابق .
٦ - إثبات تحريف التوراة والإنجيل عبر منهج يعتمد على تتبع الترجمات ، وإظهار التحريف المتعمد في القضايا التي تناولها بالبحث والدراسة .

٧ - بيان الغاية الحقيقية للإنجيل الشريف ، وأن موضوعه هو البشارة بالإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم .

٨ - خلو الكتاب من الاستطراد والعرض الانشائي المجرد ، والاعتماد على الحقائق اليقينية المستندة إلى الدليل القاطع، والحجة الناصعة، والبرهان الساطع .

٩ - وما يرفع قيمته العلمية نقل كثير من المعاصرين لكثير من أدلته واستنباطاته ، فقد أفاد منه د. أحمد شلبي في كتابه « مقارنة الأديان » الجزء الخاص بالمسيحية وضمن

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) سيأتي مزيد تفصيل لهذه البشارة في الفصل الثاني من الباب الثاني ، ص ٣٧٨ .

الصفحات التالية بعضاً من أدلته وبراهينه ، وهذه الصفحات هي : ٦٩ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٣٣ ، ٢٦٧ . كما اعتمد عليه فاضل السامرائي في كتابه « نبوة محمد من الشك إلى اليقين » في إثبات بعض البشارات الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم ، في الصفحات التالية ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ . وكذلك نقل عنه د. أحمد السقا في كتابه « المسيا المنتظر » صفحة ٦٩ . ومحمد عزت الطهطاوي في كتابه « في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام » في الصفحات ٢٥ ، ٥٣ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٢٥٦ ، وفي كتابه الآخر « بشائر الرسالة المحمدية » في الصفحات التالية ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ .

المآخذ على الكتابين^(١) .:

لإرثه النصراني ، ولعدم تعمقه في المعارف الإسلامية الأصيلة ، ولوجوده في بيئة يغلب عليها طابع الفكر الاعتزالي والصوفي ؛ فقد وقع في هفوات متعددة في كتابيه ، وهذه الهفوات أو المآخذ هي :

- ١ - سلك في التحدث عن صفات الله سبحانه وتعالى مسلك المعتزلة ، فنفى بعض الصفات، وقال بخلق القرآن، ووصفه بما لم يرد النص بوصفه به^(٢) .
- ٢ - وصف بعض الأنبياء بما ينبغي تنزيههم عنه ، كظنه أن زوجة يعقوب اتخذت أوثاناً تعبدها، وأن الأنبياء غير معصومين من الصغائر^(٣) .
- ٣ - وصف المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم بأنهما خلقا قبل الوجود ، وهذا من ادعاء النصارى والمتصوفة^(٤) .

٤ - ذكر أن المسيح روح الله ، وأن العقيدة والكلام الإنجيلي الذي علم به شفهيّاً لم يفهمه الحواريون، بل بقي من قبيل المعميات والألغاز، وأن المسيح لم يدع أن معه رحمة^(٥) .

(١) رأيت أن من المناسب أن أجمع المآخذ على الكتابين ، ثم أرتبهما حسب الأهمية ، وحنراً من تكرار أسماء الكتب في الهامش ، فإنني سأشير إلى كتاب الإنجيل والصليب بالرقم ١ ، وكتاب محمد في الكتاب المقدس بالرقم ٢ .

(٢) انظر ص ٤٣ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ / ١ . و ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٢١٠ ، ٢٤٩ / ٢ .

(٣) انظر ص ١٢٧ ، ١٣٥ / ٢ .

(٤) انظر ص ١٦٤ ، ١٨١ ، ٢٢٥ / ١ و ٢ / ٢١٥ .

(٥) انظر ص ٢٨ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٣٨ ، ١٩٣ / ١ و ٢ / ٢١١ .

والحقيقة أن المسيح هو روح من الله ، وليس هو روح الله ، أما أن الحواريين لم يفهموا رسالته، وانصرف المسيح ورسالته ألباز. فهذا تطاول على مقام النبوة ، بل تطاول على مقام المرسل، والحواريون آمنوا به ونصروه وأزروه وعززوه بنص القرآن إذ يقول الله: (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله)^(١). ولو كانت رسالة المسيح إليهم ألبازاً لما آمنوا به ، ولما نصروه .

٥ - لم تتضح له حقيقة الوحي والإلهام ، فتراه يصف الحواريين بأنهم ملهمون ، وكذلك بطرس ، والإمام علي رضي الله عنه ، وأن نعمة النبوة يمكن أن يتمتع بها الرجال الصالحون .^(٢)

٦ - ذكر أن كلمة « دين » لم ترد في الديانات السابقة بهذا الاصطلاح ، وأن هذه اللفظة من خصائص الرسالة المحمدية ، وهذا مردود بظاهر القرآن حيث يخبر الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم أنه وصى بنيه فقال: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)^(٣). وسمى الله سبحانه وتعالى ما عليه الكفار من اعتقاد فاسد دين فقال: (ليظهره على الدين كله)^(٤). وقال أيضاً: (لكم دينكم ولي دين)^(٥) كما نفى أن يكون في الأدوار التاريخية السابقة على بني إسرائيل دين كدين بني إسرائيل^(٦). وهذا تعميم ينقصه الدليل والبرهان ، فقد سبقت عليهم رسالات إلهية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، إلا إذا كان يقصد ديناً كدين بني إسرائيل مماثل له من كل وجه في شرائعه وعباداته .

٧ - وصف الدين قبل محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لا يزال في عهد الطفولة .^(٧) وهذا تطاول على هذا المقام لا يقره شرع ولا عقل .

٨ - يخلط بين مسمى النبي والصوفي ، كما يخلط بين التنبؤ والذكر^(٨). وهذان أمران

(١) سورة الصف ، الآية ، ١٤ .

(٢) انظر ص ١٧٠ / ١ و ١٠٤ ، ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ / ٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٢ .

(٤) سورة الصف ، الآية ٩ .

(٥) سورة الكافرون ، الآية ٦ .

(٦) انظر ص ١٤٠ - ١٤١ ، ١٨٠ ، ١٨١ / ١ .

(٧) انظر ص ١٣٧ / ٢ .

(٨) انظر ص ٧٣ / ٢ .

مختلفان؛ فالنبوة شيء ، والصوفية شيء آخر . كما أن التنبؤ وهو الكلام بكلام النبوة معتمد على الوحي ، أما الذكر فهو ترديد أذكار وأدعية في أوقات مخصوصة وأماكن مخصوصة .

٩ - قال عن اليهود : (إن تاريخ ذلك الشعب ... يحفل بسلسلة من الانتكاسات المخزية نحو الوثنية ، ولم ينقطع اليهود عن عبادة الأصنام إلا بعد انتهاء الوحي وشرعة كتابهم المقدس^(١)) وأقول : لقد أحسن الظن بهم ، فإنهم ادعى أن يرتكسوا في الوثنية بعد انقطاع الوحي ، لا أن ينقطعوا عنها . فقد طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة ، ولما غاب عنهم للقاء ربه ؛ عبدوا العجل ، وبين ظهرانهم هارون عليه السلام ، فمن أين أتى له هذا الزعم الذي تعارضه طبيعة النفس اليهودية ؟؟

١٠ - يرى أن اليهودي والنصراني إذا تدفقت منه المعاني النابعة من الروح الزكية المعبرة عن حب الله ؛ فهو مسلم في هذه الحالة مع أنه لا يدرك ذلك^(٢) . ولا يعتبر اليهودي والنصراني مسلماً بهذا الحب ، وإنما بتحقيق الإسلام قولاً وعملاً واعتقاداً .

١١ - الإشادة ببعض الكفار كأرسطو ، وكورش ، وبولس ، ومصطفى كمال ، وإعطائهم بعض الأوصاف التي لا ينبغي إطلاقها إلا على مسلم موحد^(٣) .

١٢ - يرى أن السبت أكثر قداسة من الجمعة^(٤) . وهذا خطأ ؛ لأن يوم الجمعة أفضل بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه ؛ فهدانا الله له . فالتناس لنا فيه تبع ؛ اليهود غداً ، والنصارى بعد غد^(٥)) .

١٣ يرى أن الشرع يجعل من المستحيل على المسلم أن يكون فاحش الغنى^(٦) . وهذا محكم لا يسنده دليل شرعي .

وهنا يتبادر للذهن سؤال فحواه : لماذا أعرض عن ذكر بعض البشارات الظاهرة التي هي

(١) ص ١٣٦ / ٢ .

(٢) انظر ص ٢٠٤ / ٢ .

(٣) انظر ص ١١٨ / ١ . و ٤٩ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١٥٥ ، ١٨٥ / ٢ .

(٤) انظر ص ٩٤ / ٢ .

(٥) رواه البخاري واللفظ له ، في كتاب الجمعة ، باب ١ ، ومسلم في كتاب الجمعة ، حديث ٢١ .

(٦) انظر ص ١٤١ / ٢ .

محل إجماع كبشارة موسى : أقيم لهم نبياً من إخوتهم ... وغيرها مما اشتهر على السنة المهتدين وغيرهم ؟ ولعله تركها نظراً لاشتهارها وذيوعتها فأراد أن يثبت ما خفي وانطمست معالمه ، ولم يعد له ذكر بين الباحثين والمهتمين بهذا الأمر .

وليست هذه هي كل المآخذ على الكتابين ، فلم أسجل إلا المآخذ التي لا أجد لها مخرجاً وتأويلاً ، أما الألفاظ المحتملة ، وما يمكن أن يجد الباحث لها تفسيراً فقد تجاوزت عنها ؛ من باب إحسان الظن بالمؤلف ، ولا يفوتني أن أذكر أن بعض هذه المآخذ قد علق عليها المترجمون لهذه الكتب .

المبحث السادس: النجار

الطلب الأول نسبه ومولده ونشأته :-

اسمه : محمد زكي الدين النجار^(١)

قبطي معاصر، عاش في طهطا من صعيد مصر، وكعادة آلاف المغمورين الذين يفدون إلى هذه الحياة ويغادرونها، ولم يدون عنهم حرف، ولم تشملهم كتب التراجم، ولم يكن لهم نصيب من الرصد والتتبع، وكل ما حصلت عليه عن حياة هذا الرجل معلومات يسيرة، لاتروي ظمأ الباحث، ورغبته في الإحاطة بسيرته : للاستفادة منها وعرضها أمام القارىء، وفق ماتم رسمه واعتماده من منهج لهذا البحث .

ومن هذه المعلومات التي تيسرت لي، أنه ولد في أوائل القرن العشرين، في بلدة طهطا من صعيد مصر، وأنه نشأ في هذه البلدة وترعرع بها، وتلقى التعليم في مدارسها، حتى التحق بالكنيسة، وتدرج في وظائفها الكنسية، حتى أصبح قساً، وكان يحب أهل العلم والمعرفة من متعلمي بلده، وله علاقات متعددة بكل مايمت للعلم بصلة، مشتغلاً بالنجارة:

(١) المراجع التي تم الاعتماد عليها عند كتابة هذه الترجمة هي :-

١ - ماتضمنه كتابه المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة ، نشر المؤلف نفسه عام ١٣٦٩ هـ . وكذلك تقييداً للكتاب بقلم الشيخ محمد أحمد العروسي ، كتبه في ١٥/١/١٣٦٩ هـ .

٢ - ذكره الأستاذ محمد الطهطاوي في ثلاثة من كتبه هي :

أ- في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام .

ب- بشارت الرسالة المحمدية .

ج- في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين . وكل المعلومات الواردة في هذه الكتب متماثلة ، ومختصرة جداً .

٣ - مقابلة تمت بيني وبين أحد المشايخ الفضلاء ، وهو عبد الرحيم عبد الجابر محمود ، من بلدة طهطا ، وقد درس فضيلته هو وهذا المهتدي في معهد طهطا الديني ما بين عامي ١٩٤٩م - ١٩٥٢ م . ثم واصل دراسته حتى تخرج في كلية أصول الدين في الجامع الأزهر، وقد تمت هذه المقابلة في إدارة مكتبة الجامع الأزهر صباح ٢٨ / ١٠ / ١٤١١ هـ ، ويعمل فضيلته الآن إماماً لمسجد السباعي ببولاق في أحد أحياء القاهرة .

وغالب المعلومات التي وردت خلال هذه الترجمة فمصدرها هذه المقابلة .

ليستغني بكسبه عما في أيدي الناس، شغوفاً بالبحث في الكتب السماوية، مكثراً من تلاوة القرآن وتدبر آياته التي تنفي أو تثبت ما جاء في هذه الكتب السابقة، وأخذت ملكة البحث هذه تزداد عنده وتنمو حتى استولت منه على كل تفكيره، وكادت تقطعه عن عمله الصناعي، لولا أن الله تداركه بلطفه ؛ فنفذت بصيرته، وهداه الله إلى اعتناق الإسلام، فكان إسلامه نتيجة قناعة تامة، أداها إليها البحث والمقارنة والتمحيص.

وقد أزعج إسلامه الكنيسة، فحاولت إغراءه بمختلف الوسائل والطرق، إذ حاولوا أن يزوجه من امرأة من أكبر العائلات النصرانية، أو أن يعطوه من المال ما يريد، أو أن ينصبوه في أعلى المناصب الكنسية ... ورفض كل هذه العروض، واعتصم بإيمانه، والتحق عام ١٩٤٩ م بمعهد طهطا الديني. حتى تخرج منه، وكان له نشاط دعوي في بلده، ولكن لكثرة العلماء فيها وطلبة العلم؛ لم يبرز نشاطه كثيراً، ولبس العمامة والجبّة ليتزيا بزي العلماء، وكان لباسه لباس الفقراء لا يتغالي فيه، هيناً ليناً صالحاً محباً لدرّوس العلماء .

ثم التحق بجماعة الإخوان^(١) فترة، وكان يحضر جلسة الثلاثاء من كل أسبوع، ولما حصلت للإخوان النكبة^(٢) في أيام الثورة، نزعت نفسه إلى التصوف، فكان يميل إلى مجالسهم. ورغب في الزواج من إحدى كبار العائلات المصرية المسلمة ؛ ولكن العادات والتقاليد حالت دون تحقيق ذلك، وظل أعزباً إلى أن توفي ولم يتزوج. وكان يقرض الشعر، وقد وظفه في الدفاع عن الإسلام، ومهاجمة خصومه،

مصنفاته : وصل إلينا منها كتاب « المنارت الساطعة في ظلمات الدنيا الخالكة » وذكر في آخره أسماء بعض مؤلفاته التي وعد أنها ستظهر قريباً وهي :-

١ - منقذ الإنسانية من نير العبودية .

٢ - قانون الحياة ودستور الخلود .

٣ - فوهة المسدس في قلب الكتاب المحرف .

٤ - الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الأتانييم .

(١) لمزيد من العلم بهذه الجماعة « الإخوان » انظر « الطريق إلى جماعة المسلمين » رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية، من إعداد حسين بن محسن جابر ، نشر دارالدعوة الكويت ، ط ٢٠ ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٣٣٧ - ٤١٦ .

(٢) انظرتفاصيل هذه الحادثة في كتاب « الإخوان المسلمون بين عهد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢ م -

١٩٨١ م ، تأليف د . زكريا سليمان بيومي ، نشر مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

٥ - رد فرية المبشرين في حديث الغرائيق وزواج السيدة زينب بسيد المرسلين .

٦ - هداية الناشئين في تعلم مبادئ الدين .

٧ - معجزات محمد صلى الله عليه وسلم في القرن العشرين .

وفاته: لم أجد من أشار إليها، ولما سألت فضيلة الشيخ عبد الرحيم عبد الجابر عن تأريخ وفاته؟ قال: إنني ارتحلت عن طهطا، وانقطعت الصلة بيني وبينه، ولم أعلم متى توفي . وذكر بأن الناس يثنون عليه خيراً بعد وفاته . ولعل لقائي بفضيلة هذا الشيخ مما يدل على صلاحه، وأن الله أراد أن ينتشر ذكره بعد وفاته .

المطلب الثاني البيئة التي نشأ فيها :-

نشأ في أسرة قبطية في ظل المجتمع المصري، الذي يسود الدين الإسلامي غالبية، وتكون الطائفة القبطية أقلية محدودة، مبعثرة بين أفرادها، وهذه الطائفة بحكم معاشتها لهذه الأجواء الإسلامية؛ نجد أنها متأثرة بها من حيث اللسان والمعارف والثقافة والأخلاق والانتماء، وهذا التعايش والتقارب بينهما في المدرسة والسوق والمتجر ... سهل التأثير والتأثير بينهما؛ فنجد أن عدداً من المسلمين هناك - مع الأسف - يشاركون أو يحتفلون بعدد من أعياد النصراري، كما نجد أن كثيرين من أبناء هذه الطائفة يدخلون في الإسلام، بعد ترويق وقناعة ويقين؛ الأمر الذي حدا بالكنيسة إلى أن تمارس نوعاً من الحيل الغرض منها الحماية والحصانة، إذ يقوم في بعض الكنائس رجل نصراني، ويتزيا بزي بعض المسلمين، ويخطب في المحاضرين برطانة لاهي عربية ولا أعجمية، ويفيد المحاضرين بأنه كان من خيار المسلمين، ثم هداه الله إلى النصرانية^(١). ولم تلجأ الكنيسة إلى هذا التصرف؛ إلا بسبب انزعاجها من هذا التسرب في صفوف أبنائها إلى الجانب الآخر .

ولقد عاشت هذه الفئة القليلة مع الأكثرية المسلمة في سلام ووثام، ولا يوجد في مصر تفرقة طائفية ضد الأقباط ... إذ الكتائب مفتوحة لهم، وكذلك الأقاليم التي تزيد فيها نسبة السكان من الأقباط تعين الحكومة للمدارس القبطية إعانات لها أثرها، وإن تأريخ

(١) مجلة الإسلام المصرية ، عدد ٣٢ ، عام ١٣٥٨ هـ ، ص ٢٣ .

الأقباط يكشف عن أنهم عانوا ضيقاً من أهل ديانتهم النصارى الأرثوذكس أو الكاثوليك، أكثر مما عانوا من أهل وطنهم المسلمين^(١). حتى إذا جاء الاستعمار البريطاني أيقظ الفتنة بينهما، وحاول استثمارها لصالحه، فأشعل فتيل الخلاف بين الفرق النصرانية في مصر، كما حاول القضاء على الوجود القبطي في مصر (ففي السبعينيات من القرن التاسع عشر حاولت الإرساليات الأمريكية والفرنسية القضاء على الكنيسة القبطية، وإن لم يتيسر ذلك، الإبقاء عليها والتغلغل فيها ووسط السيطرة عليها، ونشر المذهب الكاثوليكي وأالبروتستانتى في مصر، ونشر المدارس الدينية لهذا الغرض؛ إلا أن الكنيسة القبطية وقفت صامدة أمامه، ومنعت القبط من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس^(٢)) ولعل مرد هذا التدخل الغربي في شئون الأقباط في مصر إلى ما يأتي :-

١ - الخلاف المذهبي بينهما .

٢ - توسعة دائرة الخلاف والشقاق بينهم حتى يغفل المستعمر عن المستعمر .

٣ - الرغبة في إجبارهم على الارتقاء في أحضانهم .

كما أنه - أي الاحتلال البريطاني - (كرس الشقاق الطائفي الديني في مصر)^(٣) . وهذه إحدى قواعد السياسة البريطانية في أي موقع تحمل فيه وهي (فرق تسد)؛ حتى تتحقق له أهدافه من خلال انشغال الطائفتين عنه، وقد سلكوا عدة أساليب في إذكاء هذا الخلاف فمنها :

١- إرجاع بعض مظاهر تخلف الأقباط إلى اضطهاد المسلمين لهم .

٢ - أي مطالبة وطنية الهدف منها طرد المستعمر توصف بأنها حركة تعصب إسلامي ؛ حتى يخفف حدتها، ويكسر سورتها، ويزيد الفجوة بينهما .

٣ - أي حادث اغتيال سياسي داخل أرض مصر، ويكون الضحية فيه قبطي ؛ يوصف بأن

(١) انظر المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، تأليف طارق البشري، نشر الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠ م، ص ٤٢.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٣٣-٤٠ و ص ١١٠-١١١.

(٣) سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية، تأليف مصطفى النحاس وجبر يوسف، نشر الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥ م، ص ٩٩.

الدوافع له والبواعث عليه هي الدوافع الدينية^(١).

وكان من وسائله - لتحقيق هذه الغاية - المنابر الإعلامية المتاحة في ذلك الوقت من إذاعة وصحافة (وظهر نوع من اصطناع الخلاف بين الأقباط والمسلمين كان ميدانه بعض الصحف من الجانبين)^(٢)؛ ولفصل هذه الأثرية المسلمة عن الأمة الإسلامية، وعن الارتباط بالخلافة العثمانية - حاول المستعمر إخماد الشعور القومي، وذلك بتشجيع الأحزاب والهيئات والمؤلفات التي تنادي بتعميق هذا الولاء والانتماء، وباحتواء بعض الأقباط الذين ساهموا في إشاعته ونشره.^(٣)

التنصير في مصر: ^(٤)

أسلفت القول - من قبل - أن هذا المجتمع قبل دخول الاحتلال عاش في سلام بين طائفتيه، ومع وصول الاحتلال كرس الشقاق الطائفي بينهما، هذا من جانب، ومن جانب آخر حاول فرض مذهبه ودينه على هؤلاء المستعمرين سواء كانوا مسلمين أو أقباط من خلال الإرساليات التنصيرية التي استغلت نفوذ المستعمر وسط هيمنته؛ فوسعت نشاطاتها بين السكان، (فمنذ أن فرضت عليها الحماية البريطانية في أواخر عام ١٩١٤ م وهذه الحماية تراعي نشاط الإرساليات التنصيرية العالمية، بل وكانت حامية لها مما أتيح لهذه الإرساليات أن تضاعف من نفوذها، ولقد ساعد هذا التزايد في النفوذ التنصيري؛ سلطة الامتيازات الأجنبية في إطلاق الحرية لها في العمل دون أن يكون في مقدور الحكومات

(١) انظر المصدر السابق ، ص٩٧-١٢١ .

(٢) المسلمون والأقباط ، ص ٥٩ .

(٣) انظر مصر الحديثة بين الانتماء العقائدي .. والقومي ، تأليف د . زكريا سليمان بيومي ، نشر مكتبة وهبة ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٣٦-٤٢ .

(٤) لمزيد من العلم بالتنصير في مصر انظر المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي للمهدي : إبراهيم خليل أحمد ، نشر مكتبة الوعي العربي ، وملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، تأليف إبراهيم عكاشة علي ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ ، والإرساليات التبشيرية ، تأليف د . عبد الجليل شلبي ، نشر منشأة المعارف ، الأسكندرية ، والتبشير والاستعمار في البلاد العربية ، تأليف مصطفى خالدي وعمر فروخ ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦ م

المصرية المتعاقبة وحتى عام ١٩٣٥م إلزامها بشيء، أوحى الإشراف عليها^(١). وقد شارك في هذا النشاط التنصيري الكنيسة المصرية، عن طريق الممارسة غير المباشرة، وحصل رئيسها على جائزة عالمية ؛ تقديراً لجهوده التنصيرية بين المسلمين، كما عقدت مؤتمرات سرية وعلنية، واستحدثت مراكز اجتماعية مشبوهة للعمل في الأحياء الفقيرة، كما ساهمت في دفع بعض أفراد النصارى الأقباط إلى القيام بأعمال تنصيرية فجة، فقد استطاع المنصر «زويمر» أن يحصل على تصريح بدخول المساجد بصفته مستشرقاً... فدخل الجامع الأزهر، ووزع بعض الرسائل التنصيرية على طلابه، وذلك في عام ١٩٢٦م. كما شارك الكنيسة القبطية في التنصير الجامعة الأمريكية ؛ وأخذت على عاتقها مهمة العمل التنصيري في مصر.^(٢)

الاستقلال : وفي منتصف القرن العشرين، أحس الجميع بثقل يد المستعمر وشدة وطأته، ورجبوا في دفعه ورفعته، واشتد ساعد الحركة المعادية للاحتلال، وغا النشاط السياسي، واضطر الإنجليز إلى الاعتراف باستقلال مصر، بعد ثورة عام ١٩٥٢م، وقد شارك بهذه الثورة كلا القطبين المسلمون والأقباط ... ولكن ماهو الوضع الديني لهذا البلد بعد الاستقلال ؟

الجواب : لم يكن الدين هدفاً يسعى إليه، وغاية سامية يرتقى إليها - في نظر القادة - بل كان كقدح الراكب، إن احتيج إليه أخذ، وإن استغني عنه وضع،^(٣) فعندما وصل عبدالناصر إلى سدة الحكم، كان محتاجاً إلى من يدعم موقفه ويسانده، إتكا على الاتجاه الإسلامي حتى حقق ما يصبو إليه، ثم قلب لهم ظهر المجن، وخيب آمالهم فيه، وأودع كثيراً منهم السجن والمعتقلات^(٤)، وأظهر جلياً الاتجاه إلى الماركسية، والدعوة إلى القومية، إذ هو أحد روادها في العالم العربي، هذا على المستوى الرسمي، أما على مستوى الأمة؛ فلقد بقيت عابدة لربها، مقتفية سنة نبيها صلى الله عليه وسلم - في العموم الغالب - كل يوم

(١) الجنود التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، دراسة وثائقية، تأليف د. خالد محمد نعيم، نشر كتاب المختار، القاهرة، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠١.

(٣) انظر رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، للأستاذ محمود محمد شاكر، نشر مكتبة المنني، جدة، ص ١٤٧ - ١٥٠.

(٤) انظر الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى النصرة، ص ٦٢ - ٦٤.

يمر عليها تظهر فيها بشائر الصحوة، ويمارس الأزهر فيها دوراً ريادياً في محاولة إعادة الحياة إلى ما كانت عليه قبل الاستعمار .

ولما رحل عبد الناصر خلفه السادات وحاول توظيف التيار الإسلامي؛ ليكون له حليفاً في وجه اليساريين والناصرين، (وجعل منهم ركيزة هامة له في بحسه عن مؤسسات في الأوساط الاجتماعية ؛ فأفرج عن المسجونين منهم وسمح لهم بمزاولة نشاطهم ...)^(١). إذاً أتاح لهم المجال عندما احتاج إليهم .

ومما يؤكد ما ذكر سابقاً - من أن الدولة اتخذت الدين ككدرح الراكب - أنه جرت في السبعينات من هذا القرن محاولة تصفية الوجود السياسي والفكري للاتجاه اليساري، وقرت هذه التصفية عبر لجوء الدولة إلى استخدام الدين كسلاح لوصم اليسار بكل اتجاهاته بالإلحاد.^(٢) وبعد أن أدى هذا السلاح الدور المطلوب منه، حصلت مصادمات بين الدولة وبعض الجماعات والتنظيمات الإسلامية عام ١٩٧٧ م.^(٣)

هذا هو حال الأكثرية المسلمة بعد الاستقلال، ولكن ما هو دور الأقلية القبطية بعد رحيل الاحتلال؟ لقد ظلت هذه الأقلية بعيدة عن السياسة والحكم، تمارس عباداتها وطقوسها تحت رعاية الكنيسة، حتى إذا أشرفت الستينيات الميلادية من هذا القرن، وأشرفت معها تباشير الصحوة الإسلامية، ومطالبتها بحقوقها الدينية والسياسية؛ صاحب ذلك تحرك سياسي قبطي لمشاكلة التحرك الإسلامي ومشاركته، ورفض المحافظون منهم هذا التحرك، حتى ألجأهم الشباب القبطي إلى ضرورة العمل السياسي ؛ فأنشأوا جمعية الأمة القبطية عام ١٩٥٢ م، وظل هذا التيار ينمو ويتدرج حتى كان عام ١٩٧٠ م (فحدثت فتنة طائفية أدت إلى تدخل الدولة، واللجوء إلى المواجهة العلنية مع الزعامة القبطية، واتهامها بمحاولة جعل الكنيسة سلطة داخل الدولة، واستعداد القوي الأجنبية ؛ للتأثير على التوازن بين الأقباط والمسلمين ... إنها المرة الأولى التي يكشف فيها النقاب بشكل رسمي عن مخطط لإقامة دولة مستقلة للأقباط .)^(٤)

(١) المصدر السابق ، ص ٩١ - ١٠٠ .

(٢) انظر المسلمون والأقباط ، ص ٦٧٧ .

(٣) انظر الإخوان المسلمون ، ص ٩١ - ١٠٠ .

(٤) الفتنة الطائفية في مصر جندوها وأسبابها، تأليف جمال بدوي، نشر المركز العربي للصحافة ، القاهرة ، ص ٩ - ١٠ .

المطلب الثالث الدوافع التي أشرت فيه حتى أسلم . -

الدوافع التي تدفع أهل الكتاب للدخول في الإسلام كثيرة ومتعددة، إذ هو الفطرة التي فطر الناس عليها، هذا فضلاً عن وجود خبره وخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم، إما تصريحاً أو تلميحاً أو إلزاماً. ومنها أيضاً : وضوح أدلته وقوة براهينه، وشمول أحكامه ويسرها، وحفظ كتابه - المعجز في كل جوانبه - أن تناله أيدي العابثين بالتحريف أو الزيادة أو النقص. ولقد ذكر هذا المهتمدي سبب إسلامه، ولكنه لم يؤرخ هذا الحدث، كما ضمن هذا السبب بعض الدوافع التي دفعته إلى الإسلام، كما استطعت أن استنبط بعضاً منها أيضاً من خلال ما وصل إلي من معلومات، وهي كالتالي :

١ - البحث والمقارنة والدراسة، كل ذلك قاده إلى الحقيقة، وهداه - بعد توفيق الله - إلى الصراط المستقيم، إذ يقول : (إن إسلامي لم يأت طفرة واحدة، ولم يكن ابن يوم وليلة، بل كان نتيجة بحث وتنقيب ؛ بغية الوصول إلى الحقيقة، فاطلعت على القرآن الكريم بعد دراستي للتوراة والإنجيل، وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم .^(١) وبين أن وسيلته إلى ذلك هو التخلي عن التحزب المقوت، والعصبية العنصرية، وامتحان ماتوارثه عن آبائه وأسلافه، وأنه يجب عليه البحث عن الحق، والمسارة إليه واتباعه والعمل به .^(٢)

٢ - وضوح الحق في الإسلام ، وتظافر الأدلة عليه: (فإذا تصفحت عجالتني هذه بروية وإمعان؛ وضح الحق لديك بالبرهان، وظهر جلياً للعيان، وجدت نفسك منساقاً إلى اليقين)^(٣). هذا بالإضافة إلى أنه سمي كتابه « المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة » وجعل كل منارة تؤدي إلى أختها، مما يدل على قوة الأدلة التي أرشدته إلى الهداية، وترك دينه ودين آبائه وأجداده .

(١) المنارات الساطعة ، ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧ .

٣ - تلاوة القرآن : قبل أن يسلم كان كثيراً ما يطلع على القرآن الكريم، ويتدبر معانيه، ويتأمل ماتضمنه من عقائد وأحكام وأخبار . وبالتأكيد أن هذا الاطلاع والتلاوة للقرآن، أمكنه بفضل من الله أن يقابل بينه وبين ماعهده من كتب دينه، فيقابل بين عقائده وعقائدها، وأحكامه وأحكامها، وأخباره وأخبارها ؛ ليخرج بنتيجة أن ما تضمنه القرآن تنساق إليه الفطرة، وترغب إليه النفس، وتأنس به الروح، وبه تستقيم الحياة، وعليه يصلح أمر الدنيا والآخرة .

٤ - مخالطة العلماء : كانت بلدته « طهطا » محل إقامة كثير من العلماء، ومقصد كثير من المرشدين الذين يعلمون الناس الخير، ويهدونهم إلى الصراط السوي، وأنعم الله على هذا المهتدي بأن جعله محباً لمخالطتهم ومجالستهم - حتى قبل إسلامه - فدفعه ذلك إلى البحث والتحقيق بنفسه عما يسمعه منهم ويجده لديهم، فقاده ذلك إلى الإسلام .

٥ - التخلي عن التعصب الممقوت : يفوت الإنسان من الخير بقدر ما يتمسك بما معه من الباطل، ويتعسر عليه الوصول إلى الحقيقة ؛ إذا جمد على ماتوارثه عن آبائه وأسلابه من غير تمحيص وعرض على العقل والنقل الصحيح، يقول هذا المهتدي موضعاً هذا الجانب: (الإنسان مكلف أن يبحث عن أقرب طريق موصل للخير؛ ولنيل ذلك يجب أن يتخلى عن التحزب الأعمى الممقوت، و العصبية العنصرية، ويضع ما كان عليه آباؤه وأجداده على بساط البحث والتنقيب، فإذا من الله عليه بمعرفة الحق قام فسارع مبادراً إلى اتباعه)^(١)

العوائق التي واجهته بعد إسلامه :

١ - لم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدي إزاء إسلامه، بل حاولت جاهدة أن تصده عن الإسلام، وأن تثنيه عما عزم عليه ؛ فعرضت عليه أصناف متاع الدنيا، إذ عرضت أن توليه ما يشاء من المناصب الكنسية، أو أن تعطيه من المال ما يريد، إذا وافق على أن يتخلى عن إسلامه ويعلن أوبته إلى ظلمات النصرانية . لكنه أثر الحق على الباطل، وأثر الآخرة على الدنيا، وأثر النور على الظلمات .

٢ - لم يرض بإغراءات الكنيسة، وجاهد لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وسعى عاجلاً لإخراج

(١) المصدر السابق ، ص ٨ .

أول كتبه بصورة مختصرة^(١)؛ ليبين الحق فيه، ويفضح الزيف ويعريه، ودفع هذا الكتاب إلى صاحب المطبعة لطباعته . وكان صاحب المطبعة رجلاً نصرانياً^(٢) . فلما علمت الكنيسة أوفدت إليه وفداً لمنعه، ولكنه رفض ثم عرضوا عليه من المال أكثر مما سيربح من وراء طبع هذا الكتاب فرفض وطبع الكتاب وانتشر بين الناس .

٣ . بعد مضي مدة على إعلان إسلامه، رغب أن يكمل شطر دينه من امرأة مسلمة، تشاطره أفراحه، وتحمل معه أتراحه، ولكن العادات والأعراف المتبعة في بلده حالت دون تحقيق ذلك . فلو كان عابداً لله على حرف، أو كان إسلامه مدخولاً فيه ؛ لوجد الشيطان إليه من هذه العقبة طريقاً ينفذ إليه منه، ولكنه صبر واحتسب، وتوفي ولم يتزوج .

المطلب الرابع ، القيمة العلمية لكتابه، المنارات ، ، -

من خلال بحثه ومقارنته ومقابلته النصوص بعضها مع بعض ؛ توصل إلى عدد من النتائج والحقائق التي أرشدته إلى الصراط المستقيم، وقد اجتمع لديه - نتيجة لذلك - كتاب كبير يحتوي على أكثر من اثنين وعشرين باباً^(٣)، ثم استخلص منها هذه الرسالة التي بين أيدينا، وهي تقع في مائة صفحة من الحجم المتوسط، أتم المؤلف كتابتها في ١٣٦٩/١/٢٧ هـ، وطبعت للمرة الأولى في نفس العام .

هدف تأليف الكتاب : قد أوضحه في بداية كتابه فقال : (وأردت أن أدون ما وصلت إليه أبحاثي في هذه الكتب من الحقائق التي هدتني إلى الصراط المستقيم ؛ أرجو بها الرضوان من رب العالمين) .^(٤)

محتوى الكتاب : قسم المؤلف كتابه تقسيماً بديعاً سمي كل قسم منه «منارة» وهذه المنارات كل واحدة منها مرتبطة بما بعدها ارتباط الفرع بأصله، متناسقة فيما بينها، كل واحدة تؤدي إلى الأخرى، قد استطاع أن يضمها ما أراد إبلاغه لغير المسلمين من الدلالة

(١) المصدر السابق ، ص ٧ .

(٢) هوليب رفة صاحب مطبعة الفنون الجميلة في طهطا .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧ .

على الحق والإرشاد إليه. وابتدأ هذه المنارات بحكمة بدء الخلق وتكوينه، وثنى بحكمة خلق آدم وحواء من تراب، ثم ثلث بحكمة خلق حواء من ضلع آدم، وفي المنارة الرابعة والخامسة تحدث عن نشأة عيسى عليه السلام . أما المنارة السادسة فقد خصصها للأنبياء المسلمين أمام سيد الأنبياء، وقارن في المنارة السابعة بين خلق يحيى وعيسى عليهما السلام، وأورد الشواهد الظاهرة لزوال النبوة من بني إسرائيل في المنارة الثامنة، وخصص المنارة التاسعة لنماذج من البشارات الواردة بمحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل. وفي المنارة العاشرة والحادية عشرة أثبت من خلالهما تصريح الأنجيل بحفظ عيسى عليه السلام من الصلب، ووقوع الشبه على غيره، كما أشار إلى حكمة رفعه إلى السماء.

وكان ختام هذه المنارات مسكاً؛ إذ أورد فيها أدلة حفظ القرآن من أقوال الجن والكهان. فأنت خلال استعراضك لهذه المنارات واجد مدى التلازم بينها والتعاقد؛ لإقامة الدليل ونصب الحجمة والدلالة على الطريق السوي، الذي هُدي إليه وحرص على إرشاد غيره إليه . منهجه : التزم المؤلف خلال تدوينه لكتابه الموضوعية التامة؛ وذلك بأن يدع التحزب الأعمى، والعصبية والعنصرية جانباً، وأن يضع ما كان عليه آباؤه وأجداده على بساط البحث والتنقيب، والتزم أنه إذا تبين له الحق أن يسارع إلى اتباعه والعمل به، ولو كان في ذلك مفارقة النفس والوالدين والمال، بل الدنيا كلها^(١).

كما التزم الأمانة العلمية في نقله للنصوص محل الاستشهاد والإشارة إلى مصادرها، وعدم اعتساف الأدلة أو تأويلها لصالح ما يطرح من قضايا أو آراء . وجعل لحمه هذا الكتاب وسداه خلاصة ماتوصل إليه من حقائق خلال اطلاعه على القرآن الكريم ودراسته للتوراة والإنجيل .

القيمة العلمية : يستطيع طالب العلم أن يكتشف القيمة العلمية لهذا الكتاب بعد اطلاعه عليه، وسيجد أنها متعددة الجوانب فمنها :

١- كون المؤلف قسيساً نصرانياً ثم أسلم وألف هذا الكتاب ؛ ليدلل على أن ما اختاره لنفسه هو الحق، وأن ما عداه هو الباطل، وقيم الأدلة، ويبسط الحجج، ويسوق البراهين

(١) المصدر السابق، ص ٨ .

على ذلك ؛ حرصاً منه على هداية غيره من أبناء ملته النصارى إلى الإسلام، هذا من جانب، ومن جانب آخر قوة الأدلة التي استدلت بها وبراعته في توظيفها لما يريد نفيه أو إثباته.

٢. هذا الكتاب موجه بالدرجة الأولى لهداية النصارى إلى الإسلام^(١)، ولو لم يكن أصاب المحز وقطع المفصل؛ لما انزعجت الكنيسة منه، وحاولت منعه وإغراء صاحب المطبعة بعدم طبعه .

٣. بخبرة العالم بنصوص التوراة والإنجيل ومدلولاتها، حاول الموافقة والمطابقة بينها وبين القرآن فيما يريد نفيه أو إثباته^(٢)؛ ليبين للقارىء مدى التطابق بين هذه الكتب في القضايا محل النزاع، وقد كان بارعاً وموفقاً في ذلك .

كما حاول الربط بين ما تضمنته النصوص القرآنية من حقائق ودلالات عن الكون من حولنا، مع ما ورد في الكتب العلمية من حقائق؛ ليكون ذلك أدعى للقبول والتلقي، في عصر غلبت فيه الفتنة بما أنجزه العلم .

٤ . حاول البحث والتعليل واستقصاء الأسباب حسب اجتهاده، ويتضح ذلك من خلال محاولته التعرف على الحكمة من خلق آدم وحواء وعيسى عليهم السلام على غير مثال سابق، ومن خلال ذكره لأسباب إخبار الملك لمريم عن هذا الحمل، وأسباب الحمل بيحيى عليه السلام، وغير ذلك كثير^(٣) .

٥ . لعل من أهم الجوانب التي تعطي لهذا الكتاب قيمته، أن اهتمام المؤلف للإسلام، وكتابته لهذا الكتاب جاءت في وقت بلغت فيه الأمة الإسلامية غاية الضعف والهوان، فبالنظر إلى تأريخ تأليفه نجد أنه عام ١٣٦٩ هـ، أي بعد سقوط الخلافة العثمانية بـ ٢٨ سنة فقط، وفي هذا الوقت بالذات كان الاستعمار الغربي النصراني محتلاً لأكثر الدول الإسلامية، بما فيها الدولة التي ينتسب إليها المؤلف، فكأن اهتمام المؤلف في هذا الوقت بالذات، وتأليفه لهذا الكتاب صفة في وجه النصرانية المستأسدة في العالم الإسلامي ليقول لها بلسان الحال والمقال : اربعي على نفسك فإن الحق ههنا، وإن الباطل بين يديك

(١) المصدر السابق، ص ٧ .

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٥٣، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٥، ٦٧ .

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩، ٤٣، ٥٣، ٨١، ...

ومن خلفك.

٦ - أن هذا الكتاب رغم طبعه منذ زمن ليس بالقريب، ورغم عدم توفر نسخه^(١) إلا أن ذلك لم يمنع الاستفادة منه، فقد أفاد منه المستشار محمد عزت الطهطاوي في ثلاثة من كتبه: حيث اختصر جل الفوائد العلمية التي وردت في المنارات التي نصبها النجار في كتابه، وضمنها كتاب « في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين »^(٢)، كما نقل عنه دور بولس في هدم النصرانية^(٣)، واستشهد بقوله في إثبات إحدى البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم من الإنجيل .^(٤)

المأخذ :

١ - قال في ص ٢٥: (ويحمل إلينا الأثير الأنبياء العلمية التي تنير عقولنا، قال تعالى (فالملقيات ذكراً) ، وكذلك الأخبار السياسية والتجارية وغيرها، وتحمل إلينا الألحان المطربة التي تشفي الأمراض العصبية وتزيل الأحزان)^(٥).
يؤخذ عليه في هذا النص أنه فهم من الآية المذكورة آنفاً : أن : (الملقيات) هي الوسائل الحديثة التي تستخدم موجات الأثير، والمعنى الصحيح للآية أنها الملائكة، كما يؤخذ عليه ظنه بأن الألحان تشفي الأمراض وتزيل الأحزان .

٢ - يؤخذ عليه اجتهاده في استقصاء الأسباب المادية في حمل مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام بدون ملاقاته زوج، فذكر أن ذلك بسبب الطعام الذي أطعمها الله إياه ؛ لأن المرأة البالغة القوية الكاملة - إذا توفرت فيها الغدد المؤدية لكمال الرتبة الإنسانية - في ظنه - يجوز أن تحمل بدون ملاقاته الزوج. وفي هذا تحمل وتكلف لا طائل من ورائه ؛ لأن الآيات الخارقة للسنن المعهودة، التي يقيمها الله للدلالة على أمر ما؛ ينبغى حيالها

(١) لم أستطع الحصول على نسخة منه إلا بعد بحث شاق وطويل عن طريق الاستعارة من أحد الاساتذة الفضلاء في مصر ، فله مني أوفر الشكر .

(٢) انظر ص ١٥٣ ١٥٨ .

(٣) انظر مقارنة الأديان النصرانية والإسلام ، ص ٢٧٧ .

(٤) بشارت الرسالة المحمدية ، ص ٥٣ .

(٥) المنارات الساطعة ، ص ٢٥ .

التسليم الكامل، وعدم التكلف والتمهل في إرجاع هذه الخوارق إلى أسباب مادية أرضية.
٣ - ويؤخذ عليه أيضاً تشبيهه المسيح عليه السلام بالملائكة : نظراً لنشأته ورفعته إلى
السماء المخالف للمألوف . وفي هذا غلو في المسيح : لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (إن
مثل عيسى عند الله كمثل آدم ..)^(١) . فشبهه بأصله .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٨٥ ، والآية ٥٩ من سورة آل عمران .

المبحث السابع : إبراهيم خليل

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته . -

هو إبراهيم خليل فيلبس^(١) ، وبعد إسلامه تسمى بإبراهيم خليل أحمد . ولد في مصر، بمدينة الإسكندرية في ٣ / ١ / ١٩١٩م، لأبوين قبطيين حباهم الله بسطة من العيش، كما ألفا التدين والالتزام بالنصرانية، ونشأ هذا الابن في حجرهما نشأة دينية. وقد كان هذا الابن محل عنايتهما ورعايتهما؛ إذ ألحق بالمدارس الخاصة منذ نعومة أظفاره، وتكلفت الأسرة لأجل ذلك المصروفات الكثيرة، ولم تذهب هذه المصروفات سدى - في نظر والديه - إذ تفوق على أقرانه في المرحلتين الابتدائية والثانوية واضطرت الأسرة - كغيرها من سكان الإسكندرية - إلى الهجرة عنها فراراً من أهوال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠ م^(٢).

وفي سني شبابه التحق بنشاط الفرق الكشفية؛ مما أتاح له فرصة التعرف على البيئات المختلفة، والعقائد الأخرى كالإسلام واليهودية، وقد أثرت في حياته المباديء الكشفية من الدعوة إلى التقارب الأخوي بين الناس، وأن رسالتهم هي السلام ... واستقرت الأسرة بعد هجرتها في أسيوط ، فواصل دراسته الثانوية في كلية أسيوط الأمريكية ، وتخرج فيها عام ١٩٤٢م، وبعد ذلك التحق بالجيش الأمريكي في مصر من

(١) اعتمدت في تدوين ترجمته على ما ذكره عن نفسه، كترجمة ذاتية له، في مقدمة كتابه «المستشرقون والمبشرون»، نشر مكتبة الوعي العربي، وكتابه «محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل» نشر دار المنار ، ط ٥ ، ١٤٠٥ ، وما ورد متفرقاً في كتبه الأخرى، وما ورد من التعريف به في كتاب «المناظرة بين الإسلام والنصرانية» وهو خلاصة المداولات التي دارت في الحوار الإسلامي النصراني في الخرطوم، وكان فضيلته أحد المشاركين، وقد نشر هذا الكتاب من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد ، الرياض ١٤٠٧ هـ ، بالإضافة إلى مقابلي له .

(٢) انظر المستشرقون والمبشرون . ص ١٢ .

عام ١٩٤٢ - ١٩٤٥ م في سلاح الصيانة ، حيث عمل بالمعامل الكيمياوية ، ولقد كان للدماء وأهوال الحرب أثر نفسي عليه ؛ إذ دفعه ذلك إلى الدعوة إلى السلام؛ فاتجه إلى الدين النصراني والسلك الديني يستجديه لعل فيه المخرج من هذه المآسي والأهوال، وقرر الالتحاق بإحدى الكليات اللاهوتية عام ١٩٤٥م ؛ حتى يكون على بصيرة في دينه ، وتخرج فيها عام ١٩٤٨م . ومما تجدر الإشارة إليه هو العناية القصوى التي توليها الإرساليات التبشيرية والكليات اللاهوتية لطلابها في هذه المرحلة ، ويكفي أن نذكر أن الجوانب التي تلفت الإنتباه في برنامج الدراسة الذي تلقاه هذا المهتمدي في الكلية التي تخرج فيها بدرجة ليسانس هي :

- ١ - أن عدد الأساتذة ١١ أستاذاً يدرسون ١٦ طالباً .
- ٢ - أن هذه الكلية رغم وجودها في مصر فهي لاتخضع لإشراف وزارة التربية والتعليم، بل تخضع في برامجها إلى جامعة برنتسون في الولايات المتحدة الأمريكية .
- ٣ - إيفاد الطالب إلى إحدى الكنائس على فترتين في الإجازات الصيفية للوعظ فيها والتعليم .
- ٤ - الإشراف العملي من قبل المجمع الذي تتبعه الكنيسة على الطالب في فترة التدريب .
- ٥ - تشترط هذه الكلية الانتظام الداخلي لطلابها ؛ والقصد من ذلك التعرف على كافة أخلاقه وسلوكه ، والاطمئنان على سلامة تأهيله علمياً وأخلاقياً وسلوكياً .
- ٦ - كثافة المواد المنهجية التي يدرسها الطالب في هذه المرحلة ، والعناية في اختيارها وهي:

أ - أربع لغات وهي : العربية والإنجليزية واليونانية والعبرية .

ب - أربع مواد عن الكتاب المقدس ومقارنة الأديان .

ج - ستة فنون لتعلم القيادة والرعاية الكنسية والوعظ والتأثير على المدعوين .^(١)

بداية العمل الكنسي :

في عام ١٩٥٢م تم الاحتفال بتنصيبه راعياً وقسيساً للكنيسة الإنجيلية بباقور من محافظة أسيوط ، بعد أن اختارته الكنيسة لثقتها بأهليته لهذا المنصب ، وبعد تقديمه بحثاً دينياً تحت إشراف المجمع الذي تتبعه هذه الكنيسة، وهذا البحث يعادل درجة الماجستير.

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٣ - ١٥ .

وكان له نشاط ذائع في التبشير بين المسلمين؛ من أجل ذلك تهافتت الإرساليات التبشيرية عليه للعمل معها، وقد اعتمد في نشاطه هذا على نفوذ الاستعمار الإنجليزي لمصر في تلك الفترة .

وقد زاول الأعمال التالية بالإضافة إلى عمله في الكنيسة بمنصب قسيس :

١ - سكرتير عام للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان عام ١٩٥٤ م .

٢ - تم انتدابه للعمل التبشيري في الجنوب .

٣ - رقي إلى قسيس مبشر بالإرسالية الألمانية السويسرية في أسوان .

٤ - عضو مجمع مشيخة أسبوط .

٥ - عضو سنودس^(١) النيل .

٦ - زميل للمرسلين الأمريكيين .

٧ - أستاذ العقائد واللاهوت لكلية اللاهوت في أسبوط .

٨ - زميل لعدة إرساليات بمصر .^(٢)

المطلب الثاني : الدوافع التي أثمرت فيه حتى أسلم :-

عاش هذا المهتدي في تلك البيئة التي سبق الحديث عنها^(٣)، وعندما سألته هل كان لهذه البيئة دور في دخولكم الإسلام ؟ أجاب : في الواقع المسلمين مالهم أي أثر في حياتي، أقولها وأنا متأسف، لكن الله إذا يريد يهديني للإسلام شرح قلبي لقراءة القرآن الكريم، فلما قرأته وجدت فيه أدلة قوية جداً، أن التوراة والإنجيل قد تحرفتا، وأن المسيح نبي الله لم يقتل ولم يصلب على الإطلاق .أ.هـ

وبإعادة النظر في بداية حياته، نجد أنه ولد لأبوين متدينين، وقد حرص أبوه على إدخاله مدرسة خاصة؛ إمعاناً في الحرص عليه والعناية به، ثم في المرحلة الثانوية يذكر - كما سبق - أن المرسلين كانوا له كأولياء الأمر، وفي المرحلة الجامعية كان منتظماً انتظاماً كلياً داخلياً

(١) كلمة لاتينية تعني مؤتمر ديني

(٢) انظر المصدر السابق، ص ١٠٧، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص ١٧ - ١٨ .

(٣) اكتفيت فيما يتعلق بالبيئة التي نشأ بها، بما ورد في المبحث السادس : إذ البيئة واحدة . والبلد واحد . والزمان متقارب جداً .

فيها، وفي الإجازات الصيفية ينتقل إلى الممارسة العملية في الدعوة والوعظ والتنصير۔ نجد شخصاً لقي من العناية ما لقي، ولم يتيسر له معايشة المسلمين والاختلاط بهم الاختلاط الكافي للتأثير عليه؛ فلا نستغرب في إجابته عدم تأثير الجماعة الإسلامية عليه.

وقد روى هذا المهتدي سبب إسلامه في كتابه « المستشرقون والمبشرون » فصل لماذا أسلمت، كما أنحف القاريء بأسرار إسلامه في فصل بهذا العنوان من كتابه « محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل »، ويمكن تلخيصها كالتالي :

الأول : في ذروة نشاطه التنصيري، ونشوة انتصاراته ، وخلال فترة إعداد نفسه لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، من جامعة برنتسون - كان موضوع الرسالة يتضمن الهجوم على الإسلام وإثبات تناقض القرآن، وشرع في المضي قدماً فيها، وبدأ يتصفح القرآن لإثبات ما هم به ؛ ولكن أعجزه القرآن، وقهره الحق، حيث يقول (أردت الهجوم على الإسلام بمهاجمة القرآن الكريم ، ويشاء الله أن يقهرني بالقرآن الكريم ، ليسمعني صوته بقوله : (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجياً. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً)^(١). كان لهذه الآية وقع في نفسي، إذ جعلتني أفكر تفكيراً حراً نزيهاً، وأحسست بأن الله الذي علمني ما لم أعلم يستطيع أن يجردني من العلم والمعرفة، ويتركني للذل والهوان، لكن إرادته لهدايتي جعلته يفيض عليّ من أنوار هذه الآية ، مما أيقظ ذهني وقلبي ووجهي إلى إرادته ومشيبته)^(٢). ويقول : (لقد أراد الله لي الخير، فهداني إلى الإسلام بينما أنا في جهالتي وحمائتي أردت للإسلام تقويضاً وللمسلمين أن يدخلوا في رحاب النصرانية)^(٣) .

٢. خلال دراسته للقرآن استوقفه قوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل)^(٤) فكان ذلك دافعاً له ومشجعاً على عمل دراسات مقارنة، بدأها في صمت خلال خمس سنين؛ حتى أتاه اليقين، وأشرق له الحق^(٥) .

(١) سورة الجن ، الآية ١ - ٢ .

(٢) المستشرقون والمبشرون ، ص ١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١ ، وانظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٢٩ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

(٥) انظر كتاب محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٢٩ .

٣ - عبر عنه بـ « دور الكتابة في الهداية »^(١) ويقصد أن التوراة والإنجيل مهما أصابهما من تحريف وتبديل، فهي لا تزال تحمل بين طياتها بعض الشواهد والأدلة التي أعمى الله عيونهم عن تبديلها وتحريفها؛ حتى تقوم بها الحجة عليهم، ولقد عثر على بعض هذه الشواهد - وهي كثيرة ليس بالإمكان حصرها - وكلها تدور على أن هذا الكتاب المقدس بعهديه قد تضمن إثبات أن في نسل إسماعيل عليه السلام نبياً هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن عيسى عبد الله ورسوله^(٢). وبعد المقارنة والدراسة والاستقصاء؛ تبين له الحق، واستبان له اليقين، بعد أن استغرق أربع سنوات من التمحيص والتدقيق والبحث ما بين عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٩ م .

٤ - الجوانب المشرقة في الإسلام كثيرة وعظيمة، وكل من استبان له جانباً، أو كان يفتقد هذا الجانب طيلة حياته ثم وجده في الإسلام وضاءً ولافتاً للنظر؛ فإنه يجعله محل عنايته، ومحط اهتمامه. وهذا المهتدي الذي أخرجه الله من ظلمات النصرانية إلى نور الإسلام ، فوجد فيه الوجدانية والغفران على صورة مغايرة لما عهده في دينه السابق؛ فهام فيهما، واستروح ظلالهما، وأخذ يقارن بين ما عهده من دينه وما اكتشفه في الإسلام؛ فوجد الفرق واسعاً والبون شاسعاً، يقول عن جانب الوجدانية في الإسلام : (فإن القرآن الكريم قد بسط عقيدة الوجدانية تبسيطاً يفهمه العالم والأمي)^(٣). ويقارن هذه الصورة الواضحة النقية بصورة الوجدانية في النصرانية فيقول: (أما الوجدانية في المسيحية - كما تمخض عنها مجمع نيقية في القرن الرابع الميلادي - فتعتمد على ما جاء في إنجيل متى ... (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) ... لقد كان الاختلاف في مفهوم الوجدانية مثار الجدل المرير)^(٤). أما مقارنته بين الغفران في الإسلام والنصرانية ، فقد اكتفى بإشراق هذا الجانب ووضوحه في الإسلام؛ إذ لا يحتاج إلى شفيح أو وسيط، فيقول موضحاً هذا الجانب : (ويطول بي الحديث إذا تحدثت عن نظرية الغفران والفداء في المسيحية، ويكفي الإسلام فخراً أن مغفرة الله للإنسان لا تتوقف على وسيلة من الوسائل

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٢) انظر تفاصيل هذه الأدلة في المصدر السابق، ص ٢٩ - ٧٦ .

(٣) المستشرقون والمبشرون ، ص ١٧-١٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨-١٩ .

مهما عظمت أو قلت)^(١). فكانت هذه الجوانب مما دفعه إلى الإسلام .

٥ - في الفترة التي انقطع فيها هذا المهتدي عن الخدمة الدينية للكنيسة، واشتغل فيها بعمل تجاري يكسبه لقمة عيش كريمة هو وأولاده ، وتفرغ للبحث والمقارنة، أراد الله أن يهيء له من الأسباب ما يأخذ بيده ويعينه على الوصول إلى الحق، فبأتي أحد الأساتذة المسلمين^(٢) إلى الشركة التي يعمل بها هذا المهتدي، لتتولى له هذه الشركة طبع الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، مفسراً باللغة الإنجليزية، فكلفت هذه الشركة هذا المهتدي بالإشراف على الطباعة؛ فكان هذا الإشراف سبباً في توضيح بعض المفاهيم، وتقوية إرادته لحسم الموقف من خلال الاطلاع على هذا التفسير، والالتقاء بهذا المؤلف (ووسعني بمنزله منزلة وكرامة في دراسة وتفسير للقرآن الكريم، وآليت على نفسي أن أعلنها صراحة بقبول الإسلام ديناً، وبراءتي من كل دين يغير ويخالف دين الإسلام)^(٣).

ورغبة منه في أن يكون مسلماً لا يرتبط بلقمة؛ أنشأ لنفسه مكتباً تجارياً لتجارة الأدوات الكتابية والمكتبية، وذلك في عام ١٩٥٨م، وهو في هذه الفترة معتقاً للإسلام، لكنه لم يعلنه، ولم يرض من نفسه هذا التصرف، إذ يقول: (وفي هذا كله لم يطرأ علي تغيير علني... الأمر الذي لم أقتنع به إطلاقاً)^(٤) وتحقيقاً لرضى ربه، وراحة ضميره، وبعد أن استبان له اليقين أعلن اعتناقه للإسلام هو وأبناؤه وزوجته، وكان ذلك في عام ١٩٥٩م. ويوضح لنا هذه النقطة الدينية بقوله: (تدارست الأمور كلها من كل جوانبها : من الناحية الزوجية، ومن ناحية أبنائي، ومن ناحية العمل الذي هو مصدر رزقي؛ ووجدت أنه لا بد من مواجهة الحقائق دون تردد)^(٥). وبالفعل أعلن إسلامه، فما هي العقبات التي واجهته بعد ذلك؟

العقبات التي واجهته:

على قدر أهمية الرجل ودوره في مجتمعه، وقوة إيمانه، ورسوخ عقيدته، يتعرض للابتلاء والعقبات، والابتلاء يكون للأتبياء والمرسلين والصديقين والأولياء والصالحين ولسائر

(١) المصدر السابق، ص ٢٠ .

(٢) هود . محمد عبد المنعم الجمال .

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤ .

(٤) المستشرقون والمبشرون، ص ٢٢

(٥) المصدر السابق، ص ٢٣ .

المؤمنين؛ لرفع الدرجات، وتمحيص الذنوب، وتحقيق اليقين، قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)^(١) ولقد واجه هذا المهتدي صنوفاً من الابتلاء بعد إعلان إسلامه، وهي كالتالي:

١ - أسلفنا القول أنه رغب في تأمين لقمة عيش كريمة؛ حتى لا تتأثر حياته المعيشية بإعلان إسلامه... ولكن الشركات الكافرة أوقفت التعامل معه^(٢)، وأرادت أن تدخل عليه من هذا الباب، وأن محاصره في لقمة عيشه، وفعلاً وجد نفسه في عزلة عن النشاط التجاري، وأثر ذلك تأثيراً قوياً عليه، ولكنه لم يثنه عما عزم عليه^(٣).

٢ - لئن أحدث إسلامه تكتلاً عالمياً ضده من قبل الشركات العالمية المختلفة التي كان يتعامل معها؛ فقد أحدث إسلامه فزعاً لدى القساوسة ورجال الكنيسة، إذ جاؤا إلى منزله بدون سابق موعد؛ حتى يحقق عنصر المفاجئة والمبادة نوعاً من التزعزع في الموقف، والحيرة في الأمر، ويضيق البحث عن المخرج؛ ولكن الله سلم، وخرج من هذا اللقاء كما دخله.

٣ - هجر زوجته له وهجر أهله له؛ لما تبينت زوجته بأنه ترك دينه وأعلن إسلامه؛ هجرته وتركت بيته وأبناءه؛ لإجباره على التراجع (ولما أيقنت الزوجة أن الأمر صار مقضياً به، استأذنت في ترك المنزل، وأذنت لها وأنا عالم بطرق التبشير المرير لإصرار زوجتي على موقفها كمتسيحية)^(٤). ولقد حجّم النصارى هذا الموقف؛ حتى يؤتي أفضل النتائج - في نظرهم - وذلك لأمرين:

أ - حتى يتراجع عن قراره .

ب - حتى يكون عبرة لغيره .

أما سبيلهم في تحجيم هذا الموقف فهو تلاوة الآيات والنصوص التي تحذر من الردة عن النصرانية. كما اتخذوا هذا السبيل في عزل أهله وأصدقائه عنه إذ يقول: (وبهذه السموم - أي النصوص - أوغروا قلوب الأهل والأصدقاء بكراهية بلغت حداً مريراً من العداوة،

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٤ .

(٢) تأمل مدى تأزر وتكاتف أعداء الله في هجر هذا المهتدي، الذي ترك دينهم، وأعلن إسلامه .

(٣) المستشرقون والمبشرون، ص ٢٣ .

(٤) المصدر السابق، ص ٢٤ .

وانتزعوا مني زوجتي الآمنة المطمئنة، وأحالوا أهلي وعشيرتي إلى خصوم أشداء^(١).
ولكن هل أثرت هذه العقبات في موقفه، أو فتت في عضده، أو أضعفت عزيمته ؟ نقرأ
الجواب من خلال وصفه لهذا الموقف إذ يقول عن كيفية مواجهته لمشكلة هجر زوجته: (وقد
تغلّبت على هذه المحنة بالإيمان والصبر)^(٢). وعن الطريقة التي واجه بها متاعب عداء أهله
له وأصدقائه يقول: (وهكذا واجهت هذه المتاعب في صبر وإيمان، وشققت طريقي إلى تنفيذ
الإجراءات الرسمية؛ حتى تم كل شيء على خير ما يرام)^(٣). وبالصبر واليقين تنال الإمامة
في الدين، ومن الله عليه بهداية زوجه للإسلام^(٤).

الفرج بعد الشدة : وبعد هذا التكتل من جميع الأطراف، وهذه العقبات التي يرقق
بعضها بعضاً، يأتي الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، فبمجرد معرفة وزير الأوقاف
المصري - في ذلك الوقت -^(٥) بإعلان إسلامه حتى استدعاه إلى مكتبه، وبعد التعرف عليه
تم تعيينه في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بوظيفة خبير في الشؤون الدينية، وذلك
في تاريخ ١٠/٢/١٩٦٢م .

الأعمال التي مارسها بعد إسلامه :

مارس عدداً من الأعمال في مجال خدمة الإسلام، وهي كالتالي :

- ١ - خبيراً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- ٢ - ممارسة الدعوة إلى الله.
- ٣ - تدريس مادة مقارنة الأديان في معهد تدريب الأئمة والدعاة التابع للأزهر.^(٦)
- ٤ - شارك في المؤتمر الذي عقد في عاصمة السودان «الخرطوم» - خلال الفترة
٢٣/١/١٤٠١هـ - ٢٩/١/١٤٠١هـ - بين مجموعة من القساوسة والعلماء المسلمين،

(١) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٤) محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٢٩.

(٥) هو الوزير أحمد عبد الله طعيمة.

(٦) انظر محاضرات في مقارنة الأديان، تأليف إبراهيم خليل أحمد، نشر دار المنار، ط ١، عام ١٤٠٩هـ ص ٦.

وقد انتهى هذا المؤتمر - ولله الحمد - بإسلام هؤلاء القساوسة.^(١)

٥ - ساهم في تأليف عددهن الكتب في موضوع نقد التوراة والإنجيل، والبشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم من خلالهما، ومقارنة الأديان... كما ساهم في نقل بعض المؤلفات من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، في هذه المجالات السابقة، وإليك قائمة باسماء هذه الكتب المؤلفة:-

أولاً: المؤلفات:-

- ١ - المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي .
- ٢ - محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن .
- ٣ - محاضرات في مقارنة الأديان .
- ٤ - الغفران بين الإسلام والنصرانية .
- ٥ - إسرائيل فتنة الأجيال القديمة.
- ٦ - إسرائيل فتنة الأجيال الحديثة .
- ٧ - الاستشراق.
- ٨ - يسوع
- ٩ - مواجهة الإسلام للتحديات .
- ١٠ - آيات الله.
- ١١ - حدود الله.
- ١٢ - المسيح.
- ١٣ - الروح القدس بين النصرانية والإسلام .
- ١٤ - القرآن الكريم وموقفه من الأنبياء.
- ١٥ - إسرائيل والتلمود .

ثانياً: الكتب التي قام بترجمتها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية:-

- ١ - من دحرج الحجر.
- ٢ - ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) وقد طبعت مداورات هذا المؤتمر من قبل الرئاسة العامة لأدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، في عام ١٤٠٧ هـ تحت اسم مناظرة بين الإسلام والنصرانية .

٣ - الصلب وهم أم حقيقة؟!

٤- هل الكتاب المقدس كلام الله؟ وهذه الكتب الأربعة المترجمة من مؤلفات أحمد ديدات. كما أنه وعد القراء إن أحسن من نفسه القدرة العلمية؛ أن يؤلف رداً على ثلاثة كتب متداولة بين النصارى، وكلها تهاجم الإسلام^(١)، ولكنني لم أطلع على هذا الرد في هيئة كتاب مستقل.

وقد سألت فضيلته عن هدفه من تأليف هذه الكتب، فأجاب: (كانت الرغبة الأولى أن أبين للكنيسة أنني بالإسلام بدأت حياة الإيمان المبني على العقل والتدبر والتفكير، وأردت أن أبين للكنيسة أنني لست بكافر، بل مؤمن أفضل منهم إيماناً.) ثم قال: (هناك ملاحظة وهي أن ابن كثير قال: لو كان اليهود والنصارى يؤمنون بالتوراة والإنجيل؛ لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. أما الرغبة الثانية فهي أن أبين للمسلمين أن دخولي في الإسلام كان دخولاً طبيعياً، مبنياً على إيماني بموسى وعيسى، وإيماني بالتوراة والإنجيل. وأنا بكل فخر أقول دخلت الإسلام، وكان الإسلام في تلك الآونة مُحَارِباً، فكل من يقول ربي الله يقتل أو يعذب أو يعدم.)

وقد يسر الله لي مقابلة هذا المهتمي^(٢)، وطرحت عليه بعض الأسئلة التي ضمنتها هذه الترجمة له، وهو الآن يرقد على سرير المستشفى، من مرض عضال ألم به وأقعده عن الحركة، وشل يديه ورجليه، وكان يراوده أمل كبير بمعاودة صحته، وخروجه من المستشفى، وطلب مني تكرار الزيارة كلما تيسرت، ولقد رأيت رجلاً في الثمانين من عمره، انهزمت في جسده العافية، وأقعده المرض، تكسو وجهه لحية قد اشتعل فيها الشيب، ولم يسلم منها إلا شعيرات قليلة.

ولقد لحظت فيه خصلتين كريمتين هما:

- ١ - الرضى بما قدر الله عليه؛ فهو يلهج بالحمد والثناء على الله في كل أحواله.
- ٢ - حرصه الشديد على الاستفادة منه؛ إذ لما أخبرته بالفرض من زيارتي له، وأعربت له عن أسفي لما آلت إليه حاله، ودعوت الله له وواسيته، واعتذرت له عن تقديم أسئلتني -

(١) انظر المستشرقون والبشرون، ص ٥٩.

(٢) تمت هذه المقابلة صباح يوم السبت الموافق ٢٧/١٠/١٤١١هـ، في مستشفى الوفاء والأمل، منزل رقم ١٠٨، الواقعة

في حي مدينة نصر من القاهرة

نظراً لمرضه وضعفه - أصرَّ علىَّ بأن أقدم كل الأسئلة التي لدي؛ وأمام إلحاحه اخترت أهم الأسئلة - في نظري - وطرحتها عليه لأمرين :-

- ١ - لإفادة القارىء إذ أخذت له هذه الإجابات مباشرة من صاحب الشأن .
- ٢ - رفعاً لمعنويته؛ لئلا يرى أنني احجمت عن طرح أسئلتى شفقة عليه. وفي الختام ودعته وسألت الله له العافية .

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابه .

١- محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن^(١) .
ألف هذا الكتاب بعد خمس سنوات من إسلامه، في ١٩٦٣م^(٢) ، ويقع في ١٤٦ صفحة تقريباً من الحجم الكبير، وفي الطبعة الخامسة أضاف إليه ٣٣ صفحة ، وهي استعراض ورواية لأسرار إسلامه.
قسم الكتاب إلى عشرة أبواب ابتدأها بالتوراة والإنجيل يتنبأان ببعثة الرسول الكريم، ثم أورد ذلك ببيان الأمور التي اختلف عليها أهل الكتاب، وجاء في الباب الثالث بتطور النصرانية وتأثيرها بغيرها، وجعل الباب الرابع عن النصرارى والتعاليم الكتابية، وبين في الباب الخامس أن القرآن يهدي أهل الكتاب إلى الصراط المستقيم، أما الباب السادس فتحدث فيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإيمانه بالمسيح، وفي الباب السابع تطرق إلى الكتاب المقدس والعقيدة النصرانية، وفي الباب الثامن والتاسع تحدث عن تاريخ العالم قبل وبعد الإسلام، وختم الكتاب بلمحة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض التشريعات الإسلامية .
وقد دفعه إلى البحث وإعداد هذا السُفر؛ ما تنبأ به المسيح عليه السلام عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم^(٣) ، بالإضافة إلى رغبته في تقديم زاد ينفع الدعاة ويرشدهم

(١) الطبعة التي تمت الدراسة على ضوئها هي الطبعة الخامسة لدار المنار عام ١٤٠٩هـ ..

(٢) انظر هذا الكتاب ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٠ .

إلى أقوم طريق^(١) وقد استرعى عند تأليفه لهذا الكتاب أن يثبت فيه للكنيسة أنه مؤمن وليس بكافر، بل مؤمن بالمسيح خير من إيمانهم ، وأن يثبت للمسلمين أن دخوله في الإسلام مبني على اليقين والبرهان .

منهجه : من خلال دراسة هذا الكتاب تتضح النزاهة والموضوعية في دراسته للقضايا، وعدم الإفراط أو التفريط، كما تتضح الأمانة العلمية في إشارته إلى صفحات الكتب التي يستفيد منها أو يرجع إليها أو يعتمد عليها. وعند سؤال فضيلته عن المنهج الذي اتبعه؟ أجاب: (الأمانة العلمية دون تحيز ولا محاباة ولا مجاملة ولا تعصب، ثم أترك المقال للدارس ليحكم بعقله) . أ . ه .

وعند سؤاله عن مصادره التي يعتمد عليها؟ أجاب: (الكتب الأجنبية بالذات؛ وقصدي إقامة الحجة من مصادر أصلية لأهل الكتاب). أ.هـ. وأكد على اعتماده على كتاب «الرسالة» لسبنيوزا؛ لأنه - في نظره - رجل يهودي يستطيع أن ينقد التوراة والإنجيل، ويبين ما دخل فيها من تصنيف بشري .

القيمة العلمية : يمكن استخلاص القيمة العلمية لهذا الكتاب من جوانب متعددة، نذكر منها ما يأتي

أولاً : أن المؤلف كان قسيساً مبشراً، أطلع على خفايا العهدين، كما أطلع على أسرار العمل التنصيري ضد الإسلام وأهله، وكانت تعده الكنيسة ليكون مطراناً أو أسقفاً؛ بسبب نجاحه العلمي وتفوقه العملي، في ميدان التنصير والمناظرات والندوات... فعندما ينتقد النصرانية، يعتمد في ذلك على النصوص المسلمة والشواهد التاريخية، مستنداً في ذلك على خبرة كافية ودراية وافية تؤهله لكي يصدع بالحق، ويدفع به الباطل.

ثانياً: أن هذا المؤلف على صغر حجمه هو أول إنتاجه الفكري في مجال نقده لدينه السابق، وبيان أن هذا الدين الذي اعتنقه هو الإيمان، بل هو مقتضى الإيمان بموسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم، كما أنه أراد أن يبين من خلال هذا الكتاب وسائر مؤلفاته الأخرى للكنيسة ولغيرها أن ما توصل إليه هو الحق الذي لا مرية فيه .

وباختصار أستطيع القول: إن المؤلف أودع في هذا الكتاب كل ما يريد أن يقوله لمن اعترض على إسلامه ؛ إذ أقام الحجة من كتبهم المعتمدة على نبوة نبينا محمد صلى الله

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢٩ .

عليه وسلم، كما أثبت تحول النصرانية عن مسارها الصحيح، وتأثرها بالديانات التي جاورتها، وتدخل اليد البشرية في صياغة كتبها وتعاليمها.

ثالثاً : تتجلى قيمة هذا الكتاب في القضايا التي تطرق لها بالدراسة من خلال استشهاده على ما يطرحه فيها من أدلة عقلية أو نقلية من كتب خصومه القديمة والمحدثة .

رابعاً : قيمة كل كتاب تبرز من خلال الفئة التي اهتمت به، وباستعراض بداية هذا الكتاب، نجد أن هناك علماء أجلاء اهتموا به وأولوه عنايتهم واهتمامهم، فهذا شيخ الأزهر السابق عبد الحلیم محمود علي رحمه الله يكتب تقریظاً لهذا الكتاب، ومما جاء فيه (وإننا أمام هذه الرسالة القيمة، لنشكر الأستاذ إبراهيم خليل أحمد، فلقد وفق كل التوفيق في إخراجها للناس؛ إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، في حيدة تامة، لم يكن مدفوعاً بدوافع عاطفية أو مادية، وإنما كان من عشاق الحق لذاته، غير مبال بما يصيبه في سبيله)^(١). كما أن الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمود حمدي زقزوق عميد كلية أصول الدين بالقاهرة كتباً تقریظاً لهذا الكتاب وأثنى عليه، وكذلك قدم له وقرظه الأستاذ علي حسب الله رحمه الله المدرس في دار العلوم بجامعة القاهرة - مقدمة وتقریظاً على هيئة استعراض لأهم محتويات الكتاب^(٢).

وقد أفاد من هذا الكتاب د. فاضل صالح السامرائي عند تأليفه لكتابه « نبوة محمد من الشك إلى اليقين »^(٣) في إثبات تحريف الأناجيل^(٤)، وبيان دور المجامع النصرانية في قبول أو رفض الكتب المقدسة لدى النصارى^(٥)، وعرف القاريء بالمجيب برنابا وتأريخ ظهوره^(٦)، استناداً على ما نقله عن الكتاب موضع الدراسة .

كما أحال عليه واستفاد منه د. محمد الشرقاوي في تحقيقه لكتاب « النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية »^(٧). وكذلك نقل منه الطهطاوي في كتابه « في مقارنة

(١) ص ٢٤ .

(٢) ص ١٥- ٢٢ .

(٣) نشر مكتبة القدس ، بغداد ، ط ١ ، عام ١٣٩٨ هـ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ .

(٦) انظر المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٧) انظر ص ٧٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ .

الأديان»^(١) تأثر النصرانية في عقيدة الصلب بالديانات الوثنية .

المآخذ على الكتاب :-

رغم هذه القيمة العلمية لهذا الكتاب، إلا أنه تضمن بعض الملاحظات أو المآخذ التي قلما يخلو منها مؤلف بشري؛ لأن النقص من طبيعة البشر، وهذه الملاحظات هي :-

١ - لم يلتزم التنزيه الكامل لمقام الألوهية ، من وصفه له سبحانه بما لا يليق به، أو وصفه بما لم يثبت في الكتاب والسنة أو نفيه عنه، ومن ذلك أنه حينما أراد أن يؤكد التسلسل التاريخي لعقيدة الصلب قال: (أمره الله - أي موسى - أن يصنع حية نحاسية يعلقها على طرف خشبة، ويأمر التائب من بني إسرائيل بأن يرفع وجهه لينظر إليها...) ^(٢). فهل أمر ربي بهذا؟؟ إن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، ولا يرضى أن يشرك معه غيره فضلاً عن أن يأمر به. وموسى لم يفعله ، فهو رسول التوحيد ، ولكنه من عمل اليهود الذين ألقوا الشرك، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة كما للوثنيين آلهة، فقال لهم نبي التوحيد كما ورد بذلك القرآن: (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) ^(٣) ووصف الله : بأن إرادته في صراع مع إرادة بني إسرائيل فقال: (وهكذا كان صراع بين إرادة بني إسرائيل وإرادة الله القدير العزيز) ^(٤) فتعالى الله العلي الكبير . وقال في ص ١١٨ (لقد غضب الله على إسرائيل وتحول قلبه عن بيت المقدس) وهذا من وصفه سبحانه بما لا يليق به .

٢ - لم تتمحض له منزلة النبوة في أجلى صورها ؛ لذلك حصل منه بعض الزلل في مقام بعض الأنبياء، و ذلك بأن يورد نصاً أو حادثة تاريخية ماضية - معتمداً على نقل الكتاب المقدس لها - وقد تضمنت هذه الرواية أو النص نوعاً من التطاول أو التعريض بهذا النبي أو ذاك، ومن هذا الزلل ما ورد في حق النبي سليمان عليه السلام إذ استشهد بنصوص تفيد بأنه أحب نساءه فمال قلبه وراء آلهتهن ^(٥). وكان غرضه من هذا النص إثبات تعدد الزوجات في الشرائع السابقة، ولكنه لم ينف ما يحتمله هذا النص من تطاول على هذا

(١) انظر ص ٨٢ - ٨٤ .

(٢) ص ١٦٣ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٣٨، ١٣٩ .

(٤) ص ٦٨ .

(٥) ص ٢١٢ .

النبي الكريم .

ومنه ما أورده من محاولة إبليس تجرية المسيح عليه السلام ليطيعه ويتبعه ويعبده^(١). وهذا مردود بشهادة الله للمسيح ولسائر إخوانه بقوله: (وذكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين)^(٢). ويقوله تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان).^(٣) وباستثناء إبليس لهذه الصفوة من أن يتعرض لهم بسوء أو غواية: (إلا عبادك منهم المخلصين)^(٤).

ومن ذلك ما قاله عن ساره عليها السلام: (فتغار من هاجر التي ولدت لإبراهيم ابنه البكر إسماعيل، وأن هذه الأثرة الموغلة في القدم تدل على الولع بالانتماء إلى الجنس السامي العبراني، هذه الأثرة مليئة بعناصر متناقضة)^(٥) وقوله: (فأذلتها سيدتها السيدة سارة، وخضعت هي لها، وازدادت السيدة سارة إذلالاً لها وتعتناً)^(٦) وقال: (إن العداوة القائمة بين العرب وإسرائيل عداوة قديمة ... وجذورها تتأصل في قلب السيدة الأولى في تأريخ الإيمان، وهي السيدة سارة، وسهام هذه العداوة موجهة إلى السيدة الوديعه ...)^(٧) وليس صحيحاً ما ذكرته التوراة المحرفة، أو فهمه المؤلف أن الدوافع كانت عنصرية وعرقية؛ وإنما فعل إبراهيم ما فعل تنفيذاً لأمر الله الذي أمره بهذا ، ويدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما من خبر إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر (أنها قالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له:آله أمرك بهذا؟. قال : نعم. قالت: إذن لا يضيعنا)^(٨) فيستفاد من هذا النص أن هذا التصرف من إبراهيم كان تنفيذاً لأمر الله؛ لحكم أرادها الله. ولكن المؤلف أوقعه في هذا كثرة النصوص التوراتية التي صاغت هذه الحادثة بشيء من التحامل والعنصرية ضد هاجر.

ولما أراد أن يبين للقارىء تأثير النصرانية بما سبقها من الديانات الوثنية، وذكر نماذج من

(١) ص ٥٧ ، ١١٦ ، ١٢٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٥ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٦٥ .

(٤) سورة الحجر، الآية ٤٠ .

(٥) ص ٣٥ .

(٦) ص ٦٧ .

(٧) ص ٧٧ .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ٩ .

القصص التي قيلت عن الآلهة الوثنيين ، وقابلها بما نسجه النصارى حول عيسى عليه السلام، عدّ من ذلك ولادة عيسى من عذراء^(١).

وفي كلامه عن الشئون الأسرية في الإسلام ، وخلال حديثه عن الزواج في الإسلام قال عن التعدد: (ولذا كان التعدد بهذا الشرط - أي العدل - مستحيل التنفيذ). وقال أيضاً: (فالذي صنعه الإسلام هو تقييد تعدد الزوجات و عدم التشجيع عليه)^(٢). وليس التعدد وفق الشروط التي أحكمها الله بمستحيل؛ إذ لو كان مستحيلاً لكان إقراره عبثاً ينتزه الله عنه. بل رغب الله فيه وجعله الأصل في النكاح فقال: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)^(٣).

٢ - كتاب : « الغفران بين الإسلام والمسيحية » :

يقع هذا الكتاب في ١٢٦ صفحة من الحجم الكبير ، وقد فرغ من تأليفه في منتصف شهر جماد الثاني لعام ١٤٠٨هـ، وطبع عام ١٤٠٩هـ من قبل دار المنار في مصر .

المحتوى : قسّم المؤلف كتابه إلى أربعة أبواب ، درس في الباب الأول الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ، واستنتج أنه لا يمكن أن يعول عليها ، وأجرى في الباب الثاني دراسات مقارنة عن الكتاب المقدس من حيث سنده و متنه ، ونسخه الخطية، وفي الباب الثالث تحدث عن توافق الرسائل الثلاث، ثم أتبع ذلك بالحديث عن المصادر الأصلية للنصرانية ، وخصص الباب الرابع لتفنيد الدعائم الخمس التي تقوم عليها النصرانية .

الهدف من التأليف : بالإضافة إلى هدفه من اتخاذ التأليف كوسيلة يحقق بها الأهداف التي أشرت إليها عند الحديث عن مؤلفاته - فقد دفعه إلى تأليف هذا الكتاب أنه لما رأى أن النصرانية تركز على خمس دعائم أساسية هي: ألوهية المسيح، وبنوته ، وأنه الأقنوم الثاني في الثالوث ، والخطيئة الموروثة ، والتضحية بالمسيح فداءً للخطيئة الموروثة ، وبعد أن منّ الله على هذا المهتدي بالإسلام ؛ اكتشف أن الإسلام يرفض هذه العقائد كلها ، بل إن المسيح عليه السلام فيما نقل عنه لا يقرأها أيضاً ، ولم يجد لها مصدراً تركز عليه ، أو ركناً تأوي إليه؛ اضطر إلى دراسة عميقة في ديانات الهند والفرس والرومان واليونان؛

(١) ص ١٠٢ .

(٢) ص ٢١٠، ٢١٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٣.

فوجد أن المسيحية في لباسها الجديد - كما صاغها بولس - ؛ إنما هي إحياء لتلك الديانات، فكان هذا الكتاب خلاصة لهذه الدراسة ، وبياناً للنتائج التي توصل إليها ، وتفصيلاً لتلك المسائل بالإسلوب العلمي، وبالأدلة النقلية والعقلية^(١).

كما أن المنهج الإسلامي نحو كافة الأنبياء والرسل - وهو التوقير والإيمان والاحترام - قد حفزه على هذا البحث والمقارنة بين الإسلام والمسيحية^(٢).

منهجه : سلف القول في بيان منهجه في كتابه السابق اعتماداً على اللقاء الذي تم بيني وبينه عبر الأسئلة المطروحة عليه ، وأن ذلك المنهج قد سلكه في كل كتبه ، واعتماداً أيضاً على استقراء منهجه من كتابه ؛ فقد اعتمد في كتابه هذا العرض المقارن ، وبيان المصادر، واستخلاص النتائج ، وطرحها على القارئ ، وقد أفاد في هذا الكتاب من كتاب « في مقارنة الأديان بحوث ودراسات » تأليف د . محمد الشرقاوي ، ونقل عنه نقلاً مباشراً، وخاصة ما يتعلق بالدراسة التحليلية عن الكتاب المقدس ، ونقد سنده ومتمنه ، وترجمته من لغة إلى أخرى ، ويقع هذا النقل في كتابه ما بين ص ٢٧ - ٤٦^(٣).

القيمة العلمية : يمكن تلخيص القيمة العلمية للكتاب في الجوانب التالية :-

١ - أن هذا الكتاب يأتي بعد صدور كتابه « محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن » بست سنوات ، فكأنه لما أثبت في ذلك الكتاب نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل ، انثنى بعد ذلك على النصرانية لينسف أصولها، ويهدم أركانها ، ويقتلع جذورها ، ويعري باطلها .

٢ - تخللت هذه الرسالة عدد من المقارنات القيمة فيما يتعلق بمصادر النصرانية وأصولها.

٣ - أن هذا الكتاب من الكتب النادرة والفريدة التي تناولت الغفران لدى النصرانية ، وفند فيه المؤلف هذه الدعوى وحشد عليها الأدلة العقلية والنقلية والمنطقية .

٤ - أنه ألف هذه الرسالة بعد مضي تسع وعشرون سنة على إسلامه ، أي بعد أن استقرت نفسه، واشتدت حجته ، وكملت أدلته .

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٧٠٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨ .

(٣) انظر كتاب في مقارنة الأديان ، نشر دار الهداية ، ص ٢٤ - ٤٨ ، ٦٦ - ٧٤ .

٥ - أوضح المؤلف في كتابه أن كثيراً من ركائز النصرانية الحالية إنما ترجع إلى ديانات وثنية قديمة كالهندوكية والبوذية والكنفشيوسية... وأورد نماذجاً من أصول هذه الديانات وبين مطابقتها ومماثلتها للنصرانية اليوم .

٦ - يكشف هذا الكتاب كراهيته للنصرانية ، ونفوره منها ، ومقته لما أفضت إليه من وثنية وشرك .

المآخذ: تضمن هذا الكتاب بعض المآخذ التي لا تنقص من قيمته العلمية ، وهذه المآخذ هي :

١ - لما ذكر في ص ٩٣ العقائد الجوهريّة في الإسلام لم يذكر منها الإيمان بالملائكة ، ولا الإيمان بالقضاء والقدر . وقد أضاف إليها الأخوة العالمية بين جميع الجنس البشري. والإيمان بالملائكة وبالقضاء والقدر من أركان الإيمان التي لا يستقيم إيمان المرء بدونها ، كما أن المسلم لا يعتقد بوجود أخوة تربطه بسائر البشر ؛ بل يرى أنه مرتبط بأخوة إسلامية تشمل كافة المسلمين في كل المعمورة .

٢ - قال في ص ١١٠ : (وقد يسيء إلى حريته ويسقط فريسة للتجربة ؛ تلك هي الخطيئة التي ولدت فيه) . فليس هذا صحيحاً ؛ فلم يولد الإنسان بخطيئة كامنة في نفسه ، حينما يسقط يكون لهذه الخطيئة دور في انبعاثها ، وإرجاع السقوط إليها ؛ ففي المنهج الإسلامي قد هُدى الإنسان إلى النجدين ، فأيهما سلك فهو المسؤول عنه والمجازى عليه ، ولا خطيئة كامنة ولا موروثية .

٣ - قال في ص ١١١ : (فإذا وجد الله بعضاً من الحسنات الصادقة في إنسان ، أو يرى أنه تائب توبة نصوحاً... فحينئذ يغفر الله له كافة سقطاته وخطاياها معاً) والأولى أن لا يقطع هكذا ويجزم ؛ بل يقول هو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه .

٤ - شبه النار بالمستشفى في ص ١١٢ . وهذا تشبيه في غاية البعد ؛ فهي دار عذاب ونكال ، وليست دار عناية ورعاية وشفاء .

٥ - في ص ١١٧ وصف الله سبحانه وتعالى بأنه « الله محبة » وهذا وصف لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، وينبغي أن لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه .

٦ - قال في ص ١٢٣ عن الله : (لا بد أن يهيء .. الحق والبر) وهذا من التقدم بين يدي الله عز وجل ، والجرأة عليه سبحانه .

٧ - نقل في ص ١٢٤ عن مستشرقة إيطالية كلاماً تشني فيه على الإسلام وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد تضمن هذا الكلام إنكار المعجزات والوعيد .. ولم يعلق على ذلك بشيء ؛ ولعله راعه هذا الشناء على الرسالة والرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فغفل عما تضمن هذا الكلام من الخطل .

٨ - نقل كثيراً عن كتابي « في مقارنة الأديان » و« العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » ولم يشر إلى ذلك .
وقفة مع فكره :

في ختام هذا المبحث أستطيع أن أقطع أن هذا المهتدي لم يستوعب الأحكام الإسلامية التي تتعلق ببعض القضايا التي درسها في كتبه ، كما أنه لم يستطع أن يدرك خفايا هذا المنهج ؛ ولعل مرد ذلك إلى أن النفس البشرية من الصعوبة بمكان ومن العسير عليها أن تتخلص من رواسبها العقيدية بكل يسر وسهولة ، ويؤيد ذلك أن قوم موسى لما تجاوزوا البحر قالوا لموسى عليه السلام : (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة^(١)) . وقول الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (اجعل لنا ذات أنواط^(٢)) . ويتضح ذلك أيضاً من خلال إطلاقه بعض الصفات والأسماء التي لم يرد الوحي بإثباتها أو نفيها . على الله سبحانه وتعالى كقوله : (سيجدون الله متأهباً) . (الله محبة) . (ولا بد أن يهيء الله) . ولما ذكر العقائد الإسلامية لم يذكر منها الإيمان بالملائكة ، والإيمان بالقضاء والقدر . وقد أدرج من ضمنها الأخوة الإنسانية العالمية . وتشبيهه النار بالمستشفى ، وبأن السقوط في المعصية نتيجة للخطيئة الكامنة في النفس البشرية .

وهو متأثر بالدوي الإعلامي عن القومية العربية وبعض رموزها ، ويريق الدعوة للنزعة الإنسانية . وهنا تأتي أهمية الإعلام في التأثير على الأمة سلباً أو إيجاباً .

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٣٨ .

(٢) انظر الحديث بتمامه في مسند الإمام أحمد ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

المبحث الثامن: الهاشمي

المطلب الأول، اسمه ومولده ونشأته، -

اسمه : فؤاد الهاشمي، وبعد إسلامه تسمى بمحمد وأضافه على اسمه السابق،^(١) قبضي معاصر، ولد لأبوين^(٢) نصرانيين عريقتين في نصرانيتهما التي توارثاها عن أجدادهما، متعصبين لدينهما أشد التعصب، إذ لا يقبلان المناقشة في أبسط الأمور التي تمس العقيدة، يعيشان في قرية لا يفصل بين منزلهما وكنيسة القرية إلا ممراً صغيراً .
أولته والدته عناية دينية؛ إذ علمته الصلاة وحفظ بعض التراتيل والدعوات ، لكن الساعات التي كان يقضيها معها في هذا الشأن من أطول الساعات عليه، ورغبة في تعليمه القراءة والكتابة قبل بلوغه السن التي تؤهله لدخول المدارس الحكومية - ولم يكن في القرية من تفرغ لتعليم الصبية إلا فقيهاً مسلماً - فأرسل الصبي إليه، وبدأ يتعلم القراءة والكتابة على يديه وحفظ بعض قصار السور، ولما علم بذلك راهب القرية استشاط غضباً، وجمع النصارى هناك وحذرهم من مغبة تسليم أطفالهم إلى المعلمين المسلمين، واقترح عليهم . لتلافي ذلك . المشاركة في تحمل نفقات افتتاح فصل دراسي يلحق بالكنيسة ، وافتتح الفصل وبعد ستة أشهر أجري له امتحان أثبت من خلاله تفوقه ، وتبين لهم مدى حفظه لما درسه من تراتيل وأدعية ... فرسم شماساً للكنيسة ، ولكن كان يعاوده الحنين والأسف على تلك الفترة التي قضاها تحت رعاية ذلك الفقيه المسلم ، فبعوض ذلك بترديد السور القرآنية التي حفظها على يديه، فيحدث له ذلك صنفين من الشعور المتضاد،

(١) ذكره الطهطاوي في «بشائر الرسالة المحمدية» ، ص ٥٤. ٥٥. ود. الشرقاوي في مقدمة كتاب «مسالك النظر في نبوة سيد البشر» ، ص ٣٦ . ولم أجد من ذكره سواهما ، لكنه كتب سيرته الذاتية بنفسه وضمنها كتابه «سر إسلامي» ، نشر دار الحرية ، القاهرة .

(٢) لم يذكر تاريخ ميلاده .

شعور الانشراح والسرور بترديد السور القرآنية ، لما تحدثه تلك الآيات في نفسه، كما كان يُحدث شعوراً بالقلق عند والدته التي تحذره من ترك ترديد الألحان والتراتيل، وتخوفه من الحرمان من النعمة الإلهية، والمصير إلى الجحيم ، ولكن كانت تغلب عليه طلاوة القرآن، وينسى ما أخافته أمه به ...

ثم التحق بالمدارس الحكومية ، وكان يؤثر أن يحضر الدروس المخصصة لدراسة الدين الإسلامي ، فكان لها أبلغ الأثر في إعطائه المعلومات البسيطة عن الإسلام ، وكشف الشبهات التي يثيرها النصارى على الإسلام ، وذلك من خلال الأسئلة التي يطرحها على المدرسين ويجد الإجابة الصادقة ... وأنشأت في المدرسة جماعة دينية إسلامية ، وبدافع الغيرة أنشأ التلاميذ النصارى جماعة مماثلة ، وتم اختيار هذه الشخصية لقيادتها ، وتطلعت نفسه للقيادة وما يصاحبها من مشاعر، وما يرافقها من آمال. ثم واصل دراسته وبعد فترة توفي راعي كنيسة بلدته ، فتحررت في نفسه تلك المشاعر، وتطلعت نفسه لشغل منصبه، ولكنه لم يحالفه التوفيق؛ لأن تعليمه كان تعليماً مدنياً، ونتيجة لذلك زهد في التعليم المدني، وتولد لديه حب الدراسة اللاهوتية، وتفرغ لها بجد وعزيمة ؛ استعداداً للاتضمام في سلك الكهنة ورجال الدين ، وكل ما صادفه مشكلة عقلية، أو تناقض ديني طرحه جانباً، مؤملاً أن تتسع له مداركه في المستقبل فيتغلب عليها، وتكاثرت عليه هذه العقد والمشاكل والتناقضات ... واتهم عقله بالقصور وملكة فهمه بالضعف ، وحاول أن يجد المخرج لدى أساتذته ... ولكن كانت بداية النهاية ، وبداية عهد جديد تكشف فيه الران عن قلبه، ففتح الله بصيرته، ورفع الغشاوة عن عينيه ، وبدأ شكه فيما بين يديه، وفقد الثقة فيما ألفه وتربى عليه ، واستولى عليه عدم الإيمان فيما يدرس من عقائد هي أمشاج من وثنية اليونان ، وفلسفة الرومان ...

وبدأ البحث والتنقيب ، محكماً عقله فيما بين يديه، إذ يقول: (بدأت أبحث وأنقب مصمماً على أن لا ألغي عقلي؛ لأنه عسير على العاقل الواعي أن يأخذ الأمور على علاتها . ثم يبرر ذلك بقوله : لأنه من العبث ألا يبحث أي أنسان أمر دينه ، حتى يؤمن إيماناً صحيحاً^(١) . فأخضع النصرانية التي بين يديه من واقع كتبها إلى دراسة متأنية متعقلة ، اكتشف بواسطتها تأثير النصرانية بغيرها من الملل الوثنية ، حتى دخلها التعدد،

(١) سر إسلامي ، ص ٣٧ .

ورُفِعَ فيها المسيح فوق منزلته ، ودعي إلهاً وإبناً لله سبحانه وتعالى عما يفترون . ثم اطلع على ما جاء به موسى عليه السلام في التوراة فوجد أنه التوحيد الخالص ، وأن المسيح ما جاء إلا ليكمل ذلك التوحيد . فتبين له أن تلك المشاكل والتناقضات والعقد التي استوقفتها في بادئ الأمر هي من الأمور التي أدخلها أعداء الله في دين المسيح عليه السلام . وانتقل هذا البحث والاستقصاء والتنقيب إلى الدين الإسلامي ، وكان قصده من ذلك استخراج الأخطاء والتناقضات التي ألقيت في روعه منذ الصغر عن الإسلام ، ولكن ما كاد يطرق هذا الباب ، ويمسك بأول الخيط حتى دخل باب المقارنة بين الإسلام وما سبقه من أديان ؛ وخرج من تلك المقارنة وقد استولى عليه سحر الحقيقة ، والتعاليم التي لا اعوجاج فيها ولا التواء^(١) .

المطلب الثاني ، دوافع إسلامه :-

تنقسم الدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم إلى قسمين هما :-
القسم الأول : عوامل دفعته إلى الخروج من دينه وهي :-
١ - الشك فيما يعتقد ، وعدم الثقة فيما ألفه وترسى عليه ، وكان هذا ثمرة دراسته اللاهوتية^(٢) .

٢ - أن النصرانية الحالية غير النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام .^(٣)

٣ - عبر البحث اكتشف أن دينه لا يقوم على دليل صحيح^(٤) .

القسم الثاني : عوامل نقلته إلى آفاق الإسلام ورحابه :-

(١) تم استخلاص هذه الخلاصة عن حياته من كتابه سر إسلامي ، ص ١٩ وما بعدها . وانظر أيضاً كتابه الأديان في كفة الميزان، نشر دار الكتاب العربي ، مصر ، ص ١٧٨ وما بعدها .

أما ما يتعلق بالبيئة التي نشأ بها فهي نفس البيئة التي نشأ بها كل من المهدي النجار والمهدي إبراهيم خليل أحمد ، وقد سبق الحديث عنها في المبحث السادس من هذا الباب .

(٢) انظر سر إسلامي ، ص ١٣ - ١٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٨٨ .

١ - دراسته القرآن في صباه على يد ذلك الفقيه المسلم، فلا شك أنها كانت كالماء الذي سقى بذرة الإيمان ، وأحيا غرس الفطرة فيه .

٢ - شهادة كتب العهدين بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .^(١)

٣ - الدين القيم : اتجه لدراسة الإسلام مدفوعاً برغبة إثبات التناقض وتلمس العيوب فيه، ولكن وجد أن ما زعموه في الإسلام عيوباً وتناقضات مزايا ومحاسن^(٢)

٤ - وجد في الإسلام ما كان يفتقده في كل مناحي الحياة ، فقد وجد فيه كل ما تطمح إليه النفس وتحلم به، من التوحيد الخالص، والدين القيم، والكتاب المنزل، والمنهج الشامل الذي شمل الدين والدنيا ، والأولى والأخرى ، والعلم والإيمان^(٣) ...

٥ - لقاءه بشاب مسلم ، ضرب له المثل فيما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم ، وعبر تعامله معه أزاح عن مخيلته التصور الخاطيء عن الإسلام ، كما أن جهود الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله ساعدت على هدايته إلى طريق الإسلام^(٤) .

مصنفاته :

١ - الأديان في كفة الميزان .

٢ - سر إسلامي ، لماذا اخترت الإسلام ديناً .

٣ - اليهود في الكتب المقدسة .

كما ينوي إصدار الكتب التالية :

١ - أسباب اختلاف التوراة والإنجيل .

٢ - اعتراف أهل الكتاب بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ - كما أن في نيته إصدار كتاب يحتوي على ما وصل إليه الإنسان من رقي وحضارة

وإشارة القرآن إلى هذا التقدم والرقي قبل أن يعرفها الإنسان^(٥) .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) انظر الأديان في كفة الميزان ، ص ١٨٠ .

(٣) انظر سر إسلامي ، ص ١٤١ - ١٤٨ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٣ . والأديان في كفة الميزان ، ص ٤٠٣ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، وكتاب سر إسلامي ، ص ٤٥ ، ١١١ .

المطلب الثالث ، القيمة العلمية لكتابه ، الأديان في كفة الميزان ، -

حجمه: يقع الكتاب في ١٨٤ صفحة من الحجم الكبير^(١) . ولم يدون عليه تاريخ تأليفه، أو تاريخ طبعه ونشره، ولكنه ألفه قبل كتابه « سر إسلامي » لأنه أحال عليه في أواخره . المحتوى : قسم المؤلف كتابه إلى أربعة أبواب ، وقسم كل باب إلى عدة فصول ، قد تزيد وتقل حسب مقتضى الحال . قارن في الباب الأول « الأديان والعقيدة » بين سائر الأديان الوضعية والإلهية المحرفة والإسلام ، وخلص منها إلى ترجيح كفة الدين الإسلامي . وفي الباب الثاني قارن بين وضع الإنسان في الأديان الأخرى ووضعه في الإسلام ، وتحدث في الباب الثالث عن المجتمع في الأديان وفي الإسلام من ناحية الأسرة والمساواة الإنسانية والاقتصادية، وبين بالدليل القاطع أن لا مساواة بينهما . وفي الباب الرابع تحدث عن مكانة الحرية دينياً وسياسياً وفكرياً في الأديان وفي الإسلام .

الهدف من تأليفه : هو ما عبر عنه بقوله : (أردت بكتابي هذا أن أوضح طريقة المبادئ والأديان في علاج المشاكل المتعلقة بالإنسان من الناحية الروحية والمادية ، ووقوفها بجانبه من مولده إلى مماته، كل دين على حدة، وفي كل مشكلة، ثم يظهر أي دين من الأديان السماوية قد نظم حياة الفرد والمجتمع؛ حتى يلجم المفترقون على الأديان وتخرس ألسنتهم)^(٢) . كما أنه شكر لله واعتراف بنعمته عليه بالهداية إلى دين الإسلام، فأراد أن يوضح في هذا الكتاب عظمة هذا الدين، وما تضمنه من عقائد ومبادئ وأحكام وشرائع مقارنة لها بغيرها في الأديان الأخرى، ومقياً الأدلة على تميز الإسلام عن غيره .

منهجه : يستعرض جملة من الأديان الوضعية والأديان الإلهية، ثم يوضح طريقة كل دين على حدة في علاج المشاكل المتعلقة بالإنسان، ابتداء من القضية الكبرى «العقيدة»، وانتهاء بالحرية، وتتلخص طريقة دراسته لها أن يتناول فقرة من الفقرات كالعقيدة مثلاً فيعرض اعتقاد كل دين، ويشرح قواعده ، ويصور شعائره، ويذكر مصادره، ويوضح ما فيه من الباطل والإفك، ويجعل مسك الختام لكل باب: عرض رأي الإسلام في هذه القضية.

(١) الطبعة التي تم الاعتماد عليها ، طبعة دار الكتاب العربي ، ولم أعثر لهذا الكتاب على طبعة أخرى .

(٢) ص ١٠ .

القيمة العلمية : -

١ - أن هذا الكتاب هو ثمرة تجربة فكرية عصبية عاشها المؤلف، وأراد أن يدونها في هذا الكتاب؛ لأنه على يقين أن هناك الكثير الكثير من أبناء الأمم الأخرى يعيشون نفس التجربة ، فأراد أن يختصر لهم الطريق ، ويريحهم من العناء ، ويدون لهم الخلاصة ؛ لعل الله أن يجعل فيها دلالة لهم على الحق .

٢ - أنه من الكتب النادرة التي تناولت هذا الأمر - المقارنة بين الأديان - بالمقارنة والتحليل والاستنباط ، وبنفس التوسع والشمول لعدد من القضايا .

٣ - إبراز بعض الجوانب المضئية في الإسلام مع المقارنة بغيرها من الديانات الوضعية والإلهية المحرفة .

٤ - إثبات أن اليهودية والنصرانية لم تبق على المنهج الذي رسمه لها أنبياؤها إلا برهة من الزمن ثم تلاعبت بها أيدي الوثنيين والفلاسفة ، حتى خرجت من كونها رسالة إلهية إلى مسخ لا تربطه بمصدره أية رابطة .

المآخذ :- سأذكرها حسب ورودها وتسلسلها في الكتاب ، وهي :-

١ - قال في ص ٦ : (من التأمل عرف الإنسان كيف يميز الخير من الشر..) ولا يمكن أن يكون التأمل هو مقياس معرفة الخير والشر ؛ لاختلاف تصور الناس عن هذين الأمرين من زمن إلى زمن ، ومن بيئة إلى أخرى، فما كان مستقبلاً في أمة قد يستحسن في أخرى ، لكن المصدر الحقيقي للتمييز بين الخير والشر هو الوحي .

٢ - قوله في ص ٦ ، ٧ : (ولما كان الإنسان نزاعاً إلى التطور...ورغم هذا التطور الإدراكي لم يرض الإنسان به ..) ويقصد أن الإنسان تطورت لديه نظريته عن الآلهة التي يعبدها ، وأنها انتقلت من التعدد إلى الوجدانية ، وهذا نلمسه في كتابات كثيرين من المعاصرين ، وليس له أساس من الصحة ؛ بل هو على العكس تماماً؛ لأن أول بشر نزل إلى الأرض كان موحداً ، وهو آدم واستمر التوحيد في ذريته حتى حصل الشرك فبعث الله الأنبياء حيث يقول : (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا)^(١) .

٣ - قوله في ص ٧ : (فالوهم والخيال والواقع والتكامل صفات أصبحت من أهم الركائز

(١) سورة يونس ، الآية ١٩ . وانظر لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة كتاب «الإنسان في ظل الأديان» ، تأليف د. عمارة مجيب ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠٠ هـ .

التي يعيش عليها الإنسان، وقواعد لازمة له في حياته ... واجتهد الحكماء وفقهاء الأديان في تفسير الخير والشر على تلك الركائز) وليس هذا صحيحاً : فأهم صفات يعيش عليها الفرد هي إخلاص الوجدانية لله ، وإفراده بالعبادة . وليس على تلك الركائز اجتهد فقهاء الإسلام في تفسير الخير الشر ، بل اعتمدوا على الوحي في تفسير ومعرفة الخير والشر .

٤ - قوله في ص ٧ : (ومن الذين بلغوا مراتب في هذه الأبحاث {أي معرفة الخير والشر} الذين يؤمنون بالواقعية، وهم أقرب إلى الحقيقة من غيرهم) فأين الأنبياء والمرسلون، والعلماء الربانيون .

٥ - تكلم عن اتباع الأنبياء ووصفهم بأنهم يتدرجون في الانحطاط كلما ابتعدوا عن عصر الرسالة ، حيث يقول في ص ٩ : (وابتدأت عصور مقلديهم الذين انحطوا عن تسلموا منهم أمانة الدين والهدى والإيمان والحق انحطاطاً هائلاً في جميع نواحي الحياة الروحية) وهذا وإن صدق على اتباع الديانات السابقة فلا يصدق على المسلمين من هذه الأمة .

٦ - أثنى على الفلاسفة ومدح ما وضعوه من فلسفات أصبحت فيما بعد ديانات، حيث يقول في ص ٩ : (فقد ظهر حكماء وضعوا نواميس ، وإن كانت وضعية إلا أنها لا تبعد كثيراً من نواميس الأديان)!! ويكفي هذه الفلسفات أنها خلت من الوجدانية ، ومن أفراد الخالق بالخلق والأمر .

٧ - وصف المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام في ص ٤٠ (أنها لا تدعوا إلى التوحيد والتنزيه عن الشرك فحسب بل صورت الله سبحانه على أنه المعشوق الأسمى الذي يتجه إليه وجدان كل حي ..) والحقيقة ليس كما قال؛ بل قال المسيح عليه السلام كما أخبر الله بذلك في القرآن : (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ..)^(١).

٨ - قوله في ص ٥٨ : (ولهذا كانت الأركان الخمسة هي عقائد المسلمين التي بنيت على التوحيد الخالص مع الإخاء بين البشر) ولو وصف « البشر » هنا بالمسلمين لوافق الصواب .

٩ - قوله في ص ٧٠ : (وتُبْطِلُ [أي موهبة العلم من الله للإنسان] احتجاج الملائكة على خلق ذلك الإنسان عندما جاء على لسانهم في سورة البقرة آية ٣٠) قالوا أن تجعل فيها من

(١) سورة المائدة . الآية ١١٧ .

- يفسد فيها ويسفك الدماء ..) . والصحيح أن هذا ليس احتجاجاً. بل هو على وجه الاستفهام المحض ، وكيف يجتمع الاحتجاج مع وصف الله لهم بأنهم لا يسبقونه بالقول .
- ١٠ . في ص ٩٢ أول سورة العاديات بأنه ظاهر في الآلات والمخترعات الحديثة . وهذا تحريف للكلم عن مواضعه . وتفسير لا يؤيده قرآن ولا سنة ، ولا سياق ولا سياق .
- ١١ . قوله في ص ٩٤ : (ولعل الدرس الوحيد في حادثة الإسراء هو الدليل على أن هناك في علم الله سرعة تفوق سرعة النفاثة بل سرعة الصوت)؟؟؟.
- ١٢ . قوله في ص ١٠٤ : (إذا أخطأ الحظ) وفي هذا نسبة الأفعال إلى غير خالقها .
- ١٣ . أخطأ في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أجاب به ذلك السائل عن أحق الناس بحسن صحابته فقال المؤلف : (فأجاب الرسول أبوك وأمك) .
- ١٤ . قال عن الشباب في ص ١٠٩ : (ويعملون جنوداً في ميادين الوطنية) ويلاحظ أن الذين يسلمون في هذا العصر الحاضر لم يسلموا من التأثير بالدعوات السائدة كالقومية والوطنية. كما أن القدماء تأثروا بمذاهب الفرق الإسلامية كالصوفية والمعتزلة والأشعرية .
- ١٥ . قال في ص ١١٠ - ١١١ : (وكذلك أباح الإسلام للمرأة مساواة الرجل في القيام بأي وظيفة، وفي سبيل ذلك أباح الاختلاط في الحياة العامة على أن لا يخرج هذا الاختلاط عما قرره الكتاب والسنة ... وبذلك حتماً على المرأة أن تختلط بالرجال ... إن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الرجال والنساء في الحروب، وسأوى بينهما وبين الرجال في الغنائم) . وفي هذا تجافٍ عن الحقيقة، وانسياق وراء دعوات مشبوهة تنقص لباس الدين لتستر به كل شهوة وشبهة .
- ١٦ . قوله في ص ١٢١ ، ١٢٢ عن التعدد : (وتلك الشروط جعلت التعدد عند الضرورة القصوى ... والعدل بين النساء من أشق ما يمكن ... إن العدل بين النساء يكاد يكون أمراً مستحيلاً) وهذه النقطة عضلت على أكثر من شخصية من شخصيات هذا البحث^(١) ، وهذا تقدم بين يدي الله .
- ١٧ - اتهم كتاب الأناجيل في ص ١٢٨ بأنهم ضيقوا مجال المسيحية ، وجعلوها وقفاً على بني إسرائيل . وهذا هو الحق ؛ فإن المسيح عليه السلام لم يرسل إلا لبني إسرائيل، حيث يقول كما أخبر الله بذلك في القرآن: (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما

(١) انظر المبحث السابع والعاشر من هذا الباب .

بين يدي من التوراة^(١) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (.. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة)^(٢) .

١٨ - زعم في ص ١٤١ أن الإسلام يحول دون تضخم الثروات . وهذا زعم لا يسنده نص شرعي .

١٩ - قوله في ص ١٥٢ تعتبر الوصية من تراث الإسلام الاشتراكي . ولو استخدم غير هذا التعبير لسلم من الخلط .

٢٠ - وصف سقراط في ص ١٥٦ بأنه شهيد الحق . ويكفي أنه مات كافراً . فضلاً عن أن هذا المصطلح - الشهيد - له مكانته لدى المسلم ، فكان ينبغي صيانتة .

٢١ - ظن في ص ١٧١-١٧٢ أن الهجرة المقصودة في قوله تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فألثك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) سورة النساء ، الآية ٩٧ .. هي الهجرة لطلب الرزق، أو الفرار من جور الحكام . والهجرة المقصودة هي الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، وهي التي يحصل بسببها الثواب، وعلى تركها ورد التهديد بالعذاب .

٢٢ - قال في ص ١٧٢ : (وقد قرر الإسلام حرية الفرد في اعتناق ما شاء من المبادئ) ولو قيد هذه المبادئ بأن تتفق مع الإسلام ؛ لكان أسلم .

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٢) رواه البخاري واللفظ له في كتاب التيمم ، باب ١ . ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث ٣ .

المبحث التاسع : محمد مجدي مرجان

المطلب الأول، اسمه ومولده ونشأته. -

اسمه: مجدي مرجان، وبعد إسلامه تسمى بمحمد مجدي مرجان، قبطني معاصر، لم أجد من كتب عنه سوى الطهطاوي في كتابه «في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين»^(١) والأستاذ عبد الرحمن دمشقية عند إخراجها لكتاب هذا المهتدي «المسيح إنسان أم إله»^(٢). وقد استندا فيما كتباه على نبذة يسيرة كتبها هذا المهتدي عن رحلته الفكرية نحو الإسلام^(٣).

وأداء للأمانة، وإتماماً للواجب، ورغبة في إفادة القارىء؛ سعيت إلى لقائه وطرح بعض الأسئلة عليه، التي تفضل مشكوراً بالإجابة عنها بصورة مختصرة بسبب ضيق وقته، لأن الإجابة المفصلة عنها - كما يقول - تحتاج إلى أيام وصحائف كثيرة. وحيث أن هذه الأجوبة تنشر لأول مرة؛ لم أشأ أن أتدخل فيها بالحذف والتعليق، أو التقديم والتأخير؛ ولتلا تفقد روحها ورونقها، رأيت من الأجدى علمياً - ومراعاة لإيراد هذه الأجوبة في هيئتها التي سطرها هذا المهتدي - أن أوردها كما أرادها كاتبها، ثم اتبعها بمستخلص أبين فيه دوافعه للإسلام، والعقبات التي واجهته بعد إسلامه.

س ١: متى وأين كانت الولادة؟

ج: ولدت في مدينة الأسكندرية بتاريخ ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩ م.

س ٢: ماهي البيئة التي نشأت بها؟

ج: لقد كان ميلادي بالأسكندرية من قبيل الصدفة، وذلك أنني نشأت في عائلة من أقاصي الصعيد، إذ أن العائلة من سوهاج، مركز طهطا، وكانت والدتي بالأسكندرية للمصيف والإجازة مع والدها حينئذ، أما الإقامة فكانت بين مدن الصعيد، وخاصة المنيا؛

(١) انظر ص. ١٥١، ١٥٢.

(٢) نشر مكتبة الحرمين بالرياض، انظر ص. ١٥٠ - ١٩.

(٣) انظر كتابه الله واحد أم ثالث؟ نشر دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١، ص ٦ - ٨.

حيث كان والدي يملك مع إخوته شركة أوتوبيس المنيا والبحيرة» وكانت من كبرى شركات النقل والمواصلات في مصر، وكان الأهل كسائر عائلات الصعيد، وخاصة الأثرياء أمثالهم من أصحاب التقاليد الموروثة، والتزمّت الشديد، والاهتمام بالدين الذي ورثوه، وتربية أبنائهم على تعاليمه .

س ٣ : هل كان للبيئة التي تربيتم بها أثر في اعتناقكم الإسلام ؟

ج : نعم ، ولكن بصورة غير مباشرة... لقد كنت ميالاً للإسلام منذ الصغر؛ ولسبب لا أعرفه، كنت كلما سمعت القرآن الكريم - ولو من قبيل المصادفة - في المذيع مثلاً، أو عندما أمر بجوار أحد المساجد، أتوقف وأنصت بلذة وشغف، وكنت كثيراً ما يغلبني التأثر فتفيض الدموع من عيني، وفي المدرسة الأولية كنت أصمم على البقاء مع التلاميذ المسلمين في حصة الديانة الإسلامية وأرفض الخروج مع التلاميذ المسيحيين، أو الاستماع إلى تعاليمهم، ولما لاحظت عائلتي ذلك - وهي من العائلات الشديدة التدين ، والتي ساهمت في بناء الكنائس ودور العبادة النصرانية - حاولوا إدماجي في البيئة الكهنوتية، فقاموا بإدخالني في سلك رجال الكهنوت بدرجة شماس في الكنيسة، وكان عمري - وقتئذ - لم يتجاوز الثامنة، واختلطت بالقساوسة والمطارنة في إحدى الكاتدرائيات الكبيرة، وكان أمل عائلتي أن يؤدي ذلك إلى ابتعادي عن الميل إلى الإسلام، وقراءة الكتب الإسلامية، خاصة بعد أن اكتشفوا أنني أحتفظ بنسخة من القرآن الكريم، وأقتني بعض كتب الأحاديث النبوية الشريفة .

ولكن انخراطي بين رجال الدين المسيحي؛ أتى بنتيجة عكسية خلاف ما توقعوه تماماً. لقد اطلعت على أسرارهم، وأذهلتني مخازينهم، فقد حوكونا رسالة عيسى عليه السلام إلى وثنية مقبحة، من عبادة للصور والتماثيل التي قملأ الكنائس، إلى عبادة القسيس نفسه والانحناء على يديه لتقبيلها، وسر الاعتراف، وتمثيلية القربان المقدس، وأكل جسد المسيح عيسى وشرب دمه (بأكل القربان وشرب الخمر) من أجل غفران الخطايا، والتجارة بالدين في أبشع صورها، والتقاتل - بعد ذلك - بين القساوسة أنفسهم على حصيلة التبرعات والندور، ناهيك عن العلاقات الشائنة بين القساوسة والراهبات، وغيرهن من النساء المترددات على الكنيسة لغفران الخطايا ونوال البركات!!.

هذا فضلاً عن أن الصلاة تتم بلغة غير مفهومة (مزيج من اللغة السريانية واللغة

الهيروغليفية القديمة)؛ حتى لا يعرفها إلا أصحاب الكهنوت، وطقوس متعددة، وأسرار وألغاز اخترعها الكهنة ؛ لبلبلة العقول والاحتفاظ بمفاتيح الجنة والنار في أيديهم!! كل ذلك وغيره جعلني أزداد نفوراً واشمئزاً من هذه الوثنيات، في الوقت الذي كنت أقترّب فيه أكثر من تفهم تعاليم الإسلام، وبساطة أحكامها، واتسامها باليسر، وإلغاء الوساطة بين العبد وربه، ووضوح مبادئها، واتساقها مع طبيعة النفس البشرية، والفضرة السليمة .

س ٤ : ما هو الأمر الذي دعاكم للدخول في الإسلام ؟

ج : وحدانية الله سبحانه وتعالى، وعدم تجزئة ذاته إلى أقانيم ثلاثة تأتلف وتختلف ، وتتجاذب وتتنافر.

وعظمة الرسول عليه الصلاة والسلام، وتواضعه وحكمته، واحتواء القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على كل ما يحتاج إليه الإنسان في آخرته ودينه واتفاقها مع الفطرة السليمة، وتضمنها لأعظم المبادئ الإنسانية كالحرية والمساواة والإخاء والعدالة والمحبة والسلام وغير ذلك من المبادئ التي مازالت الإنسانية في أشد الحاجة إليها، والتي لم تصل إليها بعد أعظم الحضارات. فضلاً عن بشارات الأنجيل ذاتها بقدم رسولنا الكريم .

س ٥ : ما هي العقبات التي واجهتكم عندما أردتم الدخول في الإسلام ؟

ج : كانت العقبات كثيرة ، وخاصة في بلد توجد فيه نسبة كبيرة من النصارى، وتحرص الدولة – لاعتبارات كثيرة – على مجاملتهم ، ولو في أحيان ضد أبنائها المسلمين، ولقد كانت العقبات الأولى عائلية بالطبع، خاصة في عائلة تتمسك بالتقاليد، وباختصار فلقد تعرضت لمحاولات عديدة للاعتداء على حياتي، ولكن الله سبحانه وتعالى سلمني منها، كما أثار رجال الدين النصارى البلبلة والشائعات حولي، بالادعاء بأنني أوقع الفتنة بين طائفتي الأمة – المسلمين والمسيحيين – وجرت محاولات الإيقاع والتأثير عليّ في العمل، والوشاية ضديّ عند الرؤساء وغيرهم؛ مما أثر في عملي، وفي اختياري لبعض المواقع، ومازالت المؤامرات تلاحقني، مما تعجز هذه السطور عن احتوائه، ولكن الله سبحانه خير الماكرين، ولن يصيبنا إلا ما كتبه جلّ شأنه لنا .

س ٦ : ماهي الدوافع لتأليف الكتب الثلاثة ؟

ج : الدوافع هي الدعوة إلى الإسلام، الذي هداني الله سبحانه وتعالى إليه، ودعوة غيري من الناس، وخاصة من غير المسلمين إلى هذا الدين القويم، وتفنيده دعاوى النصارى

وأكاذيبهم حول طبيعة الله، وصلب عيسى وغير ذلك من الأباطيل، وكذلك تعريف غير المسلمين بحلاوة الإسلام وعظمة رسوله الأمين، وأدعو الله سبحانه أن يوفقني لكتابة المزيد من الكتب التي تدعو لأعظم رسالة عرفتها الإنسانية .

س ٧ : ماهي الأدلة التي قدمتموها على فساد الديانة النصرانية، ولم تكن معروفة من قبل ؟

ج : أعتقد أن هذه الأدلة مذكورة تفصيلاً في كتابي «الله واحد» و«المسيح إنسان» .

س ٨ : ماهي المناهج التي سلكتموها في إعداد هذه البحوث، والأصول التي أعتمدتم عليها في تأليف هذه الكتب ؟

ج : هذه الكتب هي محصلة تجارب طويلة، ودراسات استمرت لسنوات طويلة، منها تجارب شخصية في اختلاطي وانخراطي في سلك كهنة النصارى، واستقراي لكتبهم، وملاحظاتي لطقوسهم وأعمالهم، ومقارنة ذلك بالمنهج الإسلامي الصحيح، ودراسة المصادر الإسلامية من القرآن الكريم، وكتب الأحاديث والتفاسير، مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكذلك قراءة كتب الأئمة الكبار وغيرهم من الفقهاء والكتاب المعروفين .

س ٩ : ماهي الأعمال التي شغلتكموها ؟

ج : بعد تخرجي من كلية الحقوق بجامعة القاهرة في مايو ١٩٦٢ م، وكنت من أوائل الدفعة، عينت معاوناً للنيابة العامة، ثم تدرجت في وظائفها حتى درجة وكيل النائب العام، ثم قاض بالمحاكم المصرية، ثم رئيساً للنيابة ومستشاراً، وأعمل - حالياً - رئيس محكمة استئناف أسيوط .

س ١٠ : هل مارستم أعمالاً دعوية ونشاطات إرشادية بعد دخولكم الإسلام ؟

ج : لقد أعلنت الإسلام منذ شرح شبابي، وعندما كنت في العشرينات - وباندفاع الشباب وحماسة الإيمان - لم أكن أترك فرصة أو مناسبة إلا دعوت فيها إلى ديني الحنيف، سواء في اجتماعات فردية أو عامة^(١)، ولكن - كما ذكرت - فقد وشى أهل السوء بي وحاولوا الإيقاع بيني وبين السلطات في ذلك الوقت؛ مدعين أنني أقوم بزرع الفتنة بين طائفتي الأمة، وامتد التأثير إلى محيط عملي، مما أدى إلى منعي من الاستمرار في ذلك، بل وأدى إلى التأثير عليّ في أمور كثيرة؛ مما اضطررتني إلى الاكتفاء بكتابة الكتب والمقالات

(١) انظر كتاب «الله واحد أم ثالث؟» ص ٧٣ فقد ذكر فيه مزيداً على هذا النشاط، مثل مناقشة كثير من النصارى .

في الصحف والمجلات الإسلامية، والتي كان بعضها يتعرض للحذف أو المصادرة أحياناً .
س ١١ : ماهو أثركم على غيركم من غير المسلمين ؟
ج : أحمد الله سبحانه وتعالى أن دعوتي ونشاطي قد أثر في كثير من غير المسلمين؛ مما أدى إلى اعتناقهم الإسلام صراحة ومنهم بعض أفراد عائلتي، مثل أخي سمير، وابن عمي نصيف وكثير من غير الأقارب في بلاد كثيرة، وللأسف فإن واحداً منهم من «سوهاج» قتله أهله بعد اعتناقه الإسلام، وبعد أن بعث إليّ برسالة يقرر فيها اقتناعه بما كتبت، هذا فضلاً عن أن كتبي قد ترجمت إلى لغات عديدة، واستفاد منها كثيرون من غير المسلمين، في دول كثيرة، أرسلوا إليّ بخطابات تؤكد اقتناعهم، وإن كان كثيرون سواء من العرب أو غيرهم من غير المسلمين لا يعلنون صراحة الإسلام – رغم اقتناعهم بعظمته ومحاسنه – وهذا يحدث بسبب ظروف عديدة، قد تكون اجتماعية أو عائلية أو مالية أو غيرها، ولكنهم يُسرون لي بإيمانهم وتخوفهم، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يزيد في أعداد المؤمنين المسلمين، وأن يعم نور الإسلام كافة الدنيا.

المطلب الثاني ، الدوافع التي دفعت إلى الإسلام . -

نستطيع أن نستخلص مما تقدم الدوافع التي اجتذبتة للانتظاء تحت لواء الإسلام، وكذلك العوائق التي وقفت في طريقه بعد إسلامه، وهي كالتالي :-
أولاً : الدوافع ،
أ - ميله للإسلام منذ الصغر، وشغفه بسماع القرآن وقراءته الكتب الإسلامية .
ب - وحدانية الله في الإسلام .
ج - عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتواضعه وحكمته .
د - احتواء القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة على كل ما يحتاجه الإنسان، في آخرته ودنياه، واتفاقها مع الفطرة، وتضمنها لأعظم المبادئ .

(١) كان الأولى حسب الترتيب المنهجي لهذا البحث أن يكون المطلب الثاني عن البيئة التي نشأ بها ، وما أنني سبق أن تحدثت عن البيئة المصرية في ص ١٦٨ - ١٧٢ من هذا البحث، ولأنه ذكر في المقالة السابقة شيئاً عنها ؛ اكتفيت بما ذكرته منجهاً للإطالة .

- هـ - بشارات الأناجيل بقدوم رسولنا صلى الله عليه وسلم .
- و - انخراطه بين رجال الكنيسة؛ إذ أحدث ذلك نتيجة عكسية، وهي نفوره منها، بسبب اطلاعه على أحوال رجالها وأسرارهم .
- ثانيا : العقبات :
- أ - موقف أسرته منه .
- ب - محاولات الإعتداء على حياته^(١) .
- ج - ترويع الشائعات حوله من قبل رجال الكنيسة؛ بدعوى أنه يثير الفتنة الطائفية .
- د - منعه من القيام بواجب الدعوة .

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابه -

١ - الله واحد أم ثلوث ؟

يقع هذا الكتاب في ١٧٣ صفحة من الحجم المتوسط، وقد قسمه المؤلف إلى تسعة فصول تدور في مجملها على تفنيد الثلوث في الديانة النصرانية، ابتداءً بـ «الله الثلوث»، ثم تكلم في الفصل الثاني عن وظائف هذا الثلوث، أما الفصل الثالث فقد خصصه للكلام عن أصحاب الثلوث واختلافهم فيه وتفرقهم عليه، وفي الفصل الرابع «القرآن والثلوث» فند ادعاءهم بأن القرآن يؤيد التثليث، وأعقب ذلك في الفصل الخامس «العقل والثلوث» بالتأكيد على أن العقل يرفض هذا الثلوث النصراني، وخصص الفصل السادس «الوثنية والثلوث» للتأكيد على أن النصرانية متأثرة في هذه العقيدة بالديانات الوثنية القديمة، وفي الفصل السابع «حقيقة الثلوث» بين أجزاء هذا الثلوث على حسب اعتقاد النصارى، متبعاً لكل جزء منه الحق الصراح في هذا .

وختم الكتاب بالفصل الثامن والتاسع «الله الواحد» و«الدين الواحد» أكد فيهما وحدانية الله ووحدة دينه، وأن الدين عند الله الإسلام.

(١) يؤيد ذلك أنني بحثت عنه كثيراً في مصر فلم أهد إلى عنوانه، وسألت بعض المختصين بهذا الفن ، فلم أعثر له على ذكر، وقصدت الدار التي تولت نشر كتبه فلم تجدني بشيء؛ خوفاً عليه، وذكر لي أحد الشقات أنه لا يرغب في كثرة اللقاءات؛ حماية لنفسه من كيد الكنيسة، وبعد مواصلة البحث عنه عشرت عليه ، بتوفيق من الله .

منهجه :- نهج المؤلف في كتابه هذا منهجاً متميزاً؛ إذ التزم في كتابه بعرض القضية - موضع المناقشة - موثقة بنقول عن عدة كتاب نصارى متضلعين فيها، حتى يظن القاريء أنه يؤيدها لكثرة نقله ؛ وقصده من ذلك أن تكون الصورة واضحة بكل أبعادها لدى القاريء ، ثم بعد ذلك يبدأ في نقض هذه القضية بما يورده عليها من اعتراضات وتساؤلات ونقول تدفعها، سواء كانت هذه النقول من كتاب نصارى محايدين أو من غيرهم. وجل اعتماده في عرض القضية حسب التصور النصراني على الكتاب المقدس وعلى كتابات الكتاب النصارى، أما بالنسبة للنقد والاعتراض فيعتمد على الكتاب والسنة والعقل الصحيح، وكلام أهل العلم، وبعض كتابات النصارى التي تعارض أو تخالف فيستنتقها لصالحه.

كما أنه يستعرض التطور التاريخي والتدرج الزمني للفكرة - موضع المناقشة - إذا رأى أن المقام يتطلب ذلك^(١)؛ حتى يستخلص تدرجها هبوطاً أم علواً، ثم في الأخير يقرر الحق الصراح مشفوعاً بالبراهين، مؤيداً بالحجج، منوطاً بالدليل. وقد التزم في بحثه هذا التجرد التام في البحث عن الحقيقة، والموضوعية التامة في عرض المشكلة أو القضية عرضاً متأنياً معتمداً في ذلك على كتب أئمتهم وذوي الرأي فيهم، ثم يباشر مناقشتها وتفنيدها بأسلوب علمي رصين، متخلياً - في كل ذلك - عن ماورثه عن آبائه وأسلافه؛ لأنه لا يكفي للإيمان الحقيقي وراثته العقيدة، وتقليد الآباء والأسلاف والعمات والجذات، فلم يكن الدين في يوم من الأيام إقراراً بوضع قائم، ولا انسياقاً لطقس متبع، وإنما كان الدين دوماً دعوة إلى الحق، وثورة على الباطل^(٢). كما التزم الأمانة العلمية في تدوينه لهذا الكتاب، وتتجلى هذه الأمانة في تحديده النصوص التي نقلها وإحالتها إلى مصادرها، وقد صاغ المؤلف كتابه في صياغة بيانية بديعة تعتمد على وضوح العبارة، وسلاسة اللغة ، وتناسق الألفاظ، وقوة الحججة.

القيمة العلمية :-

١ - تبرز قيمته من كون مؤلفه كان قسيساً نصرانياً، نشأ في ظل الكنيسة، فقاداته عقائدها إلى الضلال، وعباداتها إلى النفور، وكتبها إلى الشك، واختلاف أهلها حولها إلى

(١) انظر الفصل السادس ، ص٧٦، والفصل التاسع ، ص١٥٤ .

(٢) انظر كتاب الله واحد أم ثالث ، ص٧ .

التذمر منها...فراح يبحث في العقائد الأخرى ، في حياذ وتجرد عن كل ظروف البيئة والولد، ثم استعرض الأديان والعقائد للبحث عن الحقيقة فيها^(١)؛ فوجدها في الإسلام؛ فاستخلص هذه التجربة القاسية، والرحلة الفكرية المضنية في هذا الكتاب .

٢ - تتجلى عظمة كل كتاب من عظمة مقصوده، وهذا الكتاب مقصود به - بالدرجة الأولى - هدم قاعدة الديانة النصرانية المحرفة، وعمود بنائها - وهو التثليث - وإذا هدمت القاعدة، وسقط عمودها فلا تسأل عن حال البناء بعد ذلك، كيف لا وهذا المؤلف اطلع على كثير من علومهم الدينية، وأسرارهم اللاهوتية، وعاش بين ظهرايهم متتلماً على أئمتهم .

٣ - تظهر قيمته إذا أدركنا أن المؤلف كان قسيساً ثم أدرك الحقيقة، واضحة وضوح الشمس، ساطعة سطوح النور، فدفعه الحماس والرغبة الصادقة إلى كشف هذا الزيف وتعريته، وفضحه وهدم أساسه، وتقويض أركانه، والدعوة إلى هذا الحق الذي تفيأ ظلاله ووجد فيه ضالته، محاولاً هداية أبناء قومه ممن لا زالوا في ضلالهم يتخبطون .

٤ - رغم حداثة إصدار هذا الكتاب فقد أفاد منه الأستاذ السقا في كتابه «المسيا المنتظر» في إثبات أن اليهود حرفوا النصوص الموجودة في كتبهم الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، واستبدلوا بنصوص دالة على أن الرسول المبشر به في التوراة والإنجيل هو المسيح عليه السلام.^(٢)

كما أفاد منه المستشار عزت الطهطاوي في كتابه « بين النصرانية والإسلام » دور بعض رجال الدين النصراني في محاولة رد النصرانية إلى أصولها النقية.^(٣) وفي نفس هذا الكتاب نقل عنه أيضاً النتيجة الحتمية لمن يعتقد التثليث^(٤) . ودور بولس في إفساد النصرانية.^(٥)

المآخذ على الكتاب :-

المآخذ التي استوقفتني في ثنايا هذا الكتاب مأخذ عفوية وهي :-

١ - وصف الله سبحانه وتعالى بما لم يصف به نفسه ، أو يصفه به رسوله صلى الله عليه

(١) انظر المصدر السابق، ص ٦ - ٧ .

(٢) انظرالمسيا المنتظر ، ص١٥٩ - ١٦٠ .

(٣) انظر في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام ، ص١٤٤ - ١٤٦ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٥) انظرالمصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

وسلم، فمن ذلك وصفه لله بأن له عقلاً وقلباً، وأنه فيض الزمان والمكان، وأنه روح الحياة^(١) وعند مكاتبتة عن هذا الاتجاه قال إن المقصود بذلك المعاني المجازية لا المعني الحرفي^(٢).

٢ - عدم فهمه حقيقة الصلة بين العبد وربه إذ يقول: (هذه هي الصلة الحقيقية بين الله والناس صلة الأب ببنيه ، لا عبودية ولا استرقاق . ثم أكد أن هذه البنوة هي بنوة روحية ليست بالنسب والتناسل ، وذكر أن هذه البنوة أشار إليها القرآن ، واستدل لذلك بقوله تعالى: (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً^(٣)). والعبودية هي أشرف مقامات العبد مع الله، قال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً^(٤)). وقال تعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله^(٥)) وهذه البنوة التي أخطأ فيها لا أصل لها، ولا دليل عليها، وإنما البشر هم من أشرف خلق الله ، منّ عليهم بالتكريم والتشريف بحمل الأمانة ، والقيام بالخلقة .

٣ - ظن أن في تطلع إبراهيم عليه السلام في الكواكب بحثاً عن الإله الحق^(٦). وقد غفل عن أن الله أفتتح هذه الآيات التي ذكر فيها خير إبراهيم عليه السلام مع الكواكب بقوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتخذ أصناماً آلهة إنني أراك وقومك في ضلال مبين) وختمت بقوله تعالى: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ..^(٧)).

٤ - أورد في ص ١٣٧ محاولة إبليس لعنه الله إغواء المسيح عليه السلام. ولعله لم يطلع على وعد الله لأوليائه بأن لا يجعل للشيطان عليهم طريقاً ، وباعتراف إبليس بعجزه عن ذلك^(٨). أو لعله أورد ذلك من باب الالتزام .

٥ - تعليله بأن البشرية ترتكس في الوثنية؛ لأنها قريبة لغرائز البشر^(٩). ولكن الذي غرس

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣٦ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ .

(٢) مكاتبات خاصة مع المؤلف .

(٣) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ١٠١ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٦٩ ، ورقم الآية ٢٠٠ من سورة البقرة .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ١ .

(٥) سورة النساء ، الآية ١٧٢ .

(٦) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٧) سورة الأنعام ، الآيات ٧٤ - ٨٣ . وانظر الله واحد أم ثالث ١٤٤ - ١٤٥ .

(٨) انظر سورة الإسراء ، الآية ٦٥ . وسورة الحجر الآيتين ، ٣٩ ، ٤٠ .

(٩) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٩٠ .

في فطرة البشرية هو التوحيد الخالص والعبودية لله (فطرت الله التي فطر الناس عليها) (١)
٦ - وصفه النصارى بأنهم الأخوة المسيحيون (٢). وليس بين المسلم والكافر أخوة، ولا ود
فهم أعداء الله ورسوله وأعداء المسلمين (لا تجرد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله (٣)) .

وهذه المآخذ لا تقلل من قيمة الكتاب العلمية؛ ففيه من الأدلة والبراهين والجوانب
العلمية الشئ الكثير، هذا فضلاً عن أن هذا الكتاب يعتبر وثيقة إيداعاً للكنيسة
وعقائدها.

٢ - كتاب المسيح إنسان أم إله ؟ :-

يقع هذا الكتاب في ٢١٤ صفحة من الحجم المتوسط ، وتدور فصول الكتاب السبعة حول
المسيح عليه السلام :ابتدأها بمولد المسيح المخلص ، وفي الفصل الثاني تحدث فيه عن حال
شباب المسيح، وكيف كانت نشأته، أما الفصل الثالث فتحدث من خلاله عن المعجزات التي
قامت على يديه، وأنها مماثلة لمعجزات الأنبياء، بل هناك معجزات أعظم منها، وخصص
الفصل الرابع للكلام على رسالة المسيح عليه السلام، وتحدث في الفصل الخامس عن
الكفارة والصلب والفداء وفند الأساس الذي قامت عليه هذه الفكرة، وجعل الفصل السادس
والسابع لتفنيد ألوهية المسيح، وأنه كبقية البشر يأكل ويشرب وينام ويحزن ويفرح ...

هدف الكتاب: يتضح المنحى العام للكتاب من عنوانه فهو تساؤل عن حقيقة المسيح هل
هو إنسان أم إله ؟ وقد ذكر المؤلف هدفه في مقدمته فقال : (هذا الكتاب محاولة للتنقيب
عن حقيقة المسيح عيسى في عرض لمختلف الآراء والنظريات التي اختلفت حوله ، علنا
نلقي قبساً من الضوء على هذه الشخصية التي حيرت الناس في مختلف الأزمان والبقاع،
والله يوفقنا إلى الهدى والحق (٤)) وبالفعل استطاع أن يجمع الآراء المتفاوتة والمتباينة حول
المسيح، ويعرض أدلتها على بساط البحث؛ حتى استبان له الحق، فاتبعه وأيده بالحجج

(١) سورة الروم . الآية ٣٠ .

(٢) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٢٥ ، ٢٩ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ١٠٤ .

(٣) سورة المجادلة . الآية ٢٢ .

(٤) المسيح إنسان أم إله ، ص ٢٤ .

ونافح عنه .

منهجه : سار المؤلف في تأليفه لهذا الكتاب على نفس المنهج الذي سار عليه في الكتاب السابق من حيث عرض القضية مدعومة بآراء أصحابها ثم تنفيذها بالنقل والعقل ، أو من حيث استقصاء التدرج التاريخي لفكرة ما .. وقد التزم في هذا الكتاب كما التزم في الكتاب السابق الأمانة العلمية والموضوعية والتجرد التام والحياد . إلا أنه اختلف عنه من حيث الصياغة والأسلوب؛ فقد صاغ هذا الكتاب في أسلوب ساخر لاذع، وحق له أن يسخر ويهزأ من عقول جنحت إلى هذه العقائد والخرافات .

القيمة العلمية : يكاد يشارك هذا الكتاب كتاب « الله واحد أم ثلاث » في القيمة العلمية ؛ فالمؤلف واحد ، والرغبة واحدة ، والقضية واحدة، وإذا كان المؤلف قد خصص الكتاب الأول لهدم أحد أركان العقيدة النصرانية ؛ فهذا الكتاب قد خصصه لهدم الركن الثاني وهو ألوهية المسيح عليه السلام ، وإثبات إنسانيته وبشريته ، ولقد وفقه الله لتحقيق ما عزم عليه من عرض الآراء ، وتنفيذ المخالف منها ، ونصرة الموافق للحق وبيانه . وما يوضح القيمة العلمية لهذا الكتاب أن المستشار الطهطاوي قد أفاد منه في خمسة مواضع في كتابه « في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام » وهذه المواضع هي :-

١ - انتقال المعمودية إلى النصرانية .

٢ - تأثير النصرانية بالرهبانية .

٣ - تقديس الزعمات الدينية .

٤ - حياة المسيح قبل بعثته .

٥ - أسطورة الإله المخلص في الديانات الوثنية ، وتأثير النصرانية بها^(١) .

كما أفاد منه في موضع واحد في كتابه « في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين »

للتدليل على نفي ألوهية المسيح^(٢) .

المأخذ على الكتاب : .

١ - خلال استعراضه للتدرج التاريخي لفكرة « المسيح » ذكر أن داود عاتب ربه على

(١) انظر في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام ، ص ٦٠ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٩٣ - ١٩٤ ، ٢٢٩ .

(٢) انظر ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

غضبه عليه^(١). ولا شك أنه قصد مدلول هذا اللفظ ومقتضاه، ولكنه أورد التسلسل التاريخي لهذه الفكرة حسب مصادرها، ولكن لو علق أو أضاف كلمة مناسبة لسلم من الملاحظة .

٢ . عندما تكلم عن معجزات المسيح عليه السلام قال: (فإنها ليست الوسيلة المثلى لإقناع الناس بصحة الرسالة، وليست الطريقة المستحبة لإرشاد البشر إلى طريق الله^(٢)) .
ويكفينا قول الله تعالى: (والله يحكم لا معقب لحكمه^(٣)) وقوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم^(٤)) .

٣ . إطلاق لفظة أبناء الله على المؤمنين^(٥) . وقد سبق الكلام عنها في الكتاب السابق .

٤ . للتأكيد على بشرية المسيح استشهد بما ورد في الإنجيل من محاولة الشيطان إغواء المسيح^(٦) . وقد سبق الكلام على هذا المآخذ في الكتاب السابق .

٥ . قال عن عيسى عليه السلام: (وعندما ذهب لإحياء إيعازر ، شقيق صديقتيه^(٧) ..) معاذ الله أن تكونا صديقتيه أو خليلتيه وهو من أولي العزم الذي قال الله عنه: (وعيسى وإلياس كل من الصالحين^(٨)) ولعله قصد أخته في الله، وأستبعد أنه يقصد المعنى الحرفي لهذا اللفظ .

٦ . عبر عن الذات الإلهية بالسماء^(٩) . وهذا إطلاق كثر في كتب المحدثين ولا ينبغي استعماله؛ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية ، ينبغي الوقوف عليها من خلال الوحي ، وعدم الزيادة أو التجاوز .

وقد أحببت أن أعرض هذه المآخذ على المؤلف لاستجلاء رأيه فيها ؛ رغبة في الوصول إلى الحق، ورعاية لحقه في أن لا أحمله مالا يعنيه من ألفاظه، فكاتبني موضعاً موقفه من

(١) انظر ص . ٣٣ .

(٢) ص ٨١ .

(٣) سورة الرعد ، الآية ٤١ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

(٥) ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٦) انظر ص . ١٩٣ .

(٧) ص . ٧٩ .

(٨) سورة الأنعام ، الآية ٨٥ .

(٩) انظر ص . ٧٤ ، ٥٥ .

هذه المآخذ بقوله : (قد يخطئنا التعبير أو تخوننا الكلمات ، ولكن في حدود الأدب
الرياني، مع التماس العذر لي . ثم يقول في آخر الرسالة : وكثيراً ما يكون في العاطفة
المشوبة بعض التجاوز، ولكن الله يعذر .)

المبحث العاشر: جارودي

المطلب الأول . اسمه ومولده ونشأته :-

اسمه قبل إسلامه روجيه جارودي ، وتسمى بعد إسلامه ب: رجاء جارودي^(١) .
مولده : ولد في مرسيليا عام ١٩١٣ م^(٢) ، لأبوين ملحدين، من الطبقات العاملة ، ودرس في مدرسة مرسيليا ، ولأنه نشأ في كنف أبوين ملحدين؛ أحس بأن ليس لحياته هدف ولا معنى؛ فقرر أن يعتنق النصرانية الكاثوليكية^(٣) ، وبعد بلوغه العشرين عام ١٩٣٣ م، وفي هذه الأثناء اندلعت الأزمة في أوروبا حتى ظن أنه يشهد نهاية العالم، فقرر الانضواء في صفوف الحزب الشيوعي دون أن يتخلى عن نصرانيته ، وواصل دراسته حتى حصل على إجازة الفلسفة من كلية الآداب عام ١٩٣٦ م ، وعين أستاذاً لتعليم الفلسفة .
وفي عام ١٩٣٧ انتخب عضواً في المكتب الفيدرالي الشيوعي في إقليم الطارون، وعند إعلان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م عين جندياً من الفئة الثالثة، وألحق بفصيلة المشاة

(١) انظر ترجمته في كتاب روجيه غارودي ، تأليف سيرج بروتينو، ترجمة منى النجار ، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة ١ ، ١٩٨١ م ص ٥ - ١٤ . ومجلة الأمة ، عدد ٢٩ عام ١٤٠٣ هـ ، ص ٦٥ - ٧٣ . ولماذا أسلمت نصف قرن من البحث عن الحقيقة ، تأليف محمد عثمان الخشت، نشر مكتبة القرآن ، القاهرة، ١٤٠٦ هـ . ومجلة الفيصل ، عدد ١٠٧ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، وعدد ١١١ ص ٣٥ - ٣٨ . وكتاب حوار مع الأستاذ رجاء جارودي ، أجرى الحوار عدنان سعد الدين ، عام ١٩٨٤ م ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ . ومحاضراته التي ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، بالرياض ، ضمن محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٤٠٦ هـ ، بعنوان كيف أسلمت ، مطبوعة على الآلة الكاتبة في ١٧ صفحة . و: كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، ص ٩٢ - ٩٣ . ومقدمة كتاب وعود الإسلام ، تأليف روجيه جارودي ، ترجمة د . ذوقان قرقوط، نشر مكتبة مدهولي القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٤ م ص ٥ - ١٢ . ومستقبل الإسلام في الغرب ، محاضرة لروجيه جارودي ، ترجمة د . رفيق المصري ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ . ومقدمة كتاب الإسلام دين المستقبل، تأليف روجيه جارودي ، ترجمة عبد المجيد بارودي ، نشر دار الإيمان ، بيروت ، ص ١٥ - ٢٠ .

(٢) لأنه ذكر في محاضرة كيف أسلمت ، ص ١ ، أنه بلغ العشرين من عمره عام ١٩٣٣ م . لكن مؤلف كتاب روجيه غارودي ذكر أنه ولد عام ١٩١٨ م ، ثم ذكر بعد ذلك بقليل أنه بلغ العشرين عام ١٩٣٣ م . ص ٥ .

(٣) ذكر مؤلف كتاب روجيه غارودي أنه اعتنق البروتستانتية ، ص ٥ . ولكن ما أملاه هو في وثيقة إسلامه عن دينه السابق يفيد أنه نصراني كاثوليكي . مجلة الأمة عدد ٢٩ ، ص ٦٨ .

الأفريقية في الجزائر ، وبعد هزيمة فرنسا أمام هتلر ، وبسبب موقفه من النازية وانتسابه للحزب الشيوعي ، ومقاومته للنازية أودع السجن لمدة ثلاث سنين في الجزائر، وحصل له موقف في المعتقل كان أحد الدوافع التي جعلته يفكر في الإسلام^(١) ، وبعد خروجه من المعتقل تم تسريحه من الخدمة العسكرية، فأقام في الجزائر عاماً زاول فيه بعض الأعمال منها إدارته لأكبر مجلة أسبوعية تصدر في الجزائر في ذلك الحين وهي «الحرية» ثم عاد إلى فرنسا عام ١٩٤٤م وأصبح عضواً في الحزب الشيوعي الفرنسي، وقد بقي فيه ١٨ عاماً حتى عام ١٩٦٢م ، وخلال هذه الفترة حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السربون حول النظرية المادية في المعرفة ، كما ناقش عام ١٩٥٤م رسالة دكتوراه أخرى أمام معهد الفلسفة في أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفيتي حول الحرية. كما انتخب خلال هذه الفترة نائباً لرئيس الجمعية الوطنية ، ثم انتخب عضواً في مجلس الشيوخ الفرنسي عام ١٩٥٩م لتسع سنوات إلا أنه استقال من منصبه عام ١٩٦٢م ؛ ليتفرغ أكثر لعمله كأستاذ الفلسفة في التعليم العالي في أكثر من جامعة فرنسية ، ثم تخصص في دراسة وتدريس علم الجمال ، كما قام بعدة زيارات إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتلبية دعوة بعض الجامعات لإلقاء الدروس والمحاضرات فيها .

ونظراً لطبيعته الفكرية وعدم قبوله الأفكار والنظريات في قوالبها الجامدة ؛ أثمر ذلك عن خلاقات بينه وبين قيادات الحزب الشيوعي الفرنسي، ابتداء من عام ١٩٦٨م حتى عام ١٩٧٠م الذي قرر فيه الحزب الاستغناء عن عضويته وإبعاده عن اللجنة المركزية له، وعن مركز الدراسات والبحوث الماركسية الذي أسسه وأداره لمدة عشر سنوات، وبعد تأسيسه لهذا المركز وإدارته له عشر سنوات وإبعاده عنه، قام بالتعاون مع منظمة اليونسكو بتأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات^(٢). كما قام بإنشاء مركز ملتقى الأديان في قرطبة^(٣)، وشارك في ملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر^(٤)، وحضر جلسات المؤتمر

(١) ستأتي تفاصيل هذا الموقف في المطلب الثالث من هذا المبحث .

(٢) تم الاعتماد في كتابة هذه السطور على كتاب روجيه غارودي ، ولقاء مجلة الأمة معه ، ومحاضراته التي بعنوان كيف أسلمت.

(٣) انظر مجلة منار الإسلام ، عدد ٦ ، لعام ١٤٠٨هـ ، ص ١٦ .

(٤) انظر حوار سعد الدين معه ، ص ٢٤ .

السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الذي تضمن ندوة الأقليات المسلمة^(١) .
رحلاته : زار عدداً من دول العالم في أزمنة مختلفة ، ففي عام ١٩٤٩م طوف على
أربع عشرة دولة في أمريكا اللاتينية ، كما زار الإتحاد السوفييتي ، وتجول في أنحاء آسيا
الوسطى ، وزار أمريكا وعدداً من دول العالم الإسلامي كالجزائر ومصر والمغرب وأندونيسيا
وبعض دول الخليج والعراق .

مصنفاته : تعددت وتنوعت نتيجة لتحوّله الفكري ، وصراعه مع نفسه ومع مجتمعه
ومع الأفكار و الفلسفات المحيطة به ، وصدرت أكثر من ثمانين ترجمة لمؤلفاته^(٢) ، وهذه
المؤلفات هي :-

- ١ - الإسلام دين المستقبل .
- ٢ - فلسطين أرض الرسالات الإلهية .
- ٣ - وعود الإسلام .
- ٤ - مبشرات الإسلام ، أو الإسلام يسكن حضارتنا .
- ٥ - الإسلام هو الحل الوحيد .
- ٦ - ميثاق إشبيلية .
- ٧ - المساجد مرآة الإسلام .
- ٨ - مستقبل الإسلام في الغرب .
- ٩ - إسرائيل القضية .
- ١٠ - ملف إسرائيل دراسة للصهيونية السياسية .
- ١١ - إسهام الحضارة العربية التاريخي في الحضارة العالمية .
- ١٢ - رقص الحياة .
- ١٣ - كلام رجل .
- ١٤ - مشروع أمل .
- ١٥ - بيوجرافيا القرن العشرين : وصيتي الفلسفية .

(١) انظر مجلة الفيصل عدد ١١ ، ص ٣٥ .

(٢) انظر مقدمة كتابه فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ترجمة وتعليق د . عبد الصبور شاهين ، نشر دار التراث ،
القاهرة .

- ١٦ - من اللعنة الكنسية إلى الحوار ، ماركسي يخاطب المجمع الكنسي .^(١)
- ١٧ - نظرات حول الإنسان .
- ١٨ - ماركسية القرن العشرين .
- ١٩ - منعطف الاشتراكية الكبير .
- ٢٠ - في سبيل حوار الحضارات .
- ٢١ - نداء إلى الأحياء .

المطلب الثاني ، البيئة التي نشأ فيها . -

نشأ هذا المهتم في أوروبا وبالتحديد في فرنسا التي تعتبر ثاني أكبر إمبراطورية استعمارية في العالم - آنذاك - بعد بريطانيا، وتعتبر إلى حد كبير من البلاد الغنية ؛ إذ تحتفظ باحتياطي كبير من الذهب، كما أنها متوازنة اقتصادياً، بمعنى أنها زراعية وصناعية. أما الحالة الدينية فقد كان رجال الدين يتمتعون بالجاه والثروة، ويحتكرون موارد الكنيسة التي تمتلك خمس أراضي فرنسا، وكلها معفاة من الضرائب^(٢). أما من الناحية الخلقية فقد شهدت أوروبا خلال هذه الفترة فوضى أخلاقية، وتمييزاً عنصرياً ، وتدهوراً أسرياً، وانتشاراً للجرائم، وانعداماً للقيم ؛ إذ كان الإتجاه السائد في أوروبا هو التخلي عن العقيدة والقيم - سوى القيم المادية - التي كانت تعبد الفرد للحزب أو للإنتاج والنماء. أما من الناحية الفكرية فهي بيئة جاهلية بكل تصوراتها، وسوق رائجة لكل نحلة ومذهب ، من كل ما يتصوره الإنسان وما لا يتصوره مما هو نتاج فكر آسن غلبت عليه العلمانية ، وأرهقت المادية، ينتقل بين الشك والوهم .

وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وبداية القرن التاسع عشر الميلادي ، وبعد انزواء الكنيسة عن التصرف في الحياة العامة، ظهرت إلى الوجود آثار الاتجاه الماركسي

(١) ترجم هذا الكتاب إلى ١٤ لغة . انظر محاضراته التي بعنوان كيف أسلمت ، ص ٣

(٢) انظر التاريخ المعاصر .. أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، تأليف د . عبد العزيز نوار، ود . عبد المجيد نعمي ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٤٠٩ - ٤١١ . ودراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، تأليف د . خليل مراد ، ود . جاسم حسن ، نشر جامعة الموصل ، ص ١٣٥ - ١٣٨ .

الشيوعي والرأسمالي، وبلغت الماركسية أوجها في فرنسا في عام ١٩٥٣م ؛ إذ كانت تعد كتابات ماركس (على أنها هدى يكاد يرقى إلى مرتبة القداسة)!!^(١) .

ثم شهدت أوروبا خلال هذا القرن حربين عالميتين ؛ إذ أعلنت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ووضعت أوزارها عام ١٩١٩م ، وخرجت منها فرنسا منتصرة ضمن دول الوفاق. ودقت طبول الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م ، وأعلنت فرنسا استسلامها لألمانيا بعد سنة من بدء الحرب ، ثم تحول الموقف لصالح الحلفاء عام ١٩٤٢م حتى انتهت الحرب عام ١٩٤٥م ، وبعد هذا التطاحن انقسم العالم إلى كتلتين تحاول كل منهما التفوق على الأخرى، ومنذ ذلك التاريخ سلمت أوروبا من الحروب فيما بينها، لكنها ظلت تعيش في ظل الأسلحة النووية التي يحتمل أن تحدث كارثة بشرية في أي لحظة ، ولكن هذه الفترة تعتبر فيها أوروبا مستقرة نسبياً وآمنة من شبح الحرب.^(٢)

هذا الاستقرار والأمن النسبي مكن لفرنسا أن تبني ما هدمته الحرب ، وأن تصبح من الدول العظمى باعتبار المقاييس المادية ، ولا تزال على ما هي عليه من تخل عن القيم ، وإعلان للعلمانية، وتهتك في الأخلاق ، وفساد في التصور .

الطلب الثالث : دوافع إسلامه :-

لعل من الأجدى أن نستعرض بعض التحول الفكري لدى هذا المهتدي قبل الحديث عن دوافع إسلامه .

سبق القول أنه ولد لأبوين ملحدين، وقرر اعتناق النصرانية، ثم الالتحاق بصفوف الحزب

(١) انظر لما سبق تاريخ الثورة الفرنسية ، تأليف البير سوبول ، ترجمة جورج كوسي ، من منشورات بحر المتوسط بيروت ٥٦٤ . وأوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، تأليف هاردلدم تمبرلي، وأ. ح . جرانت ، ترجمة محمد علي أبودره ، ولويس إسكندر، نشر مؤسسة سجل العرب ، ج ٢ ص ٣٠٤. وأزمة الحضارة الغربية ، تأليف د. عبد القادر طاش، نشر كتاب المختار، ص ٩. ومجلة الأمة عدد ٢٩، ص ٦٧ .

(٢) انظر التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، ص ١٣٥ - ١٣٨ . وتاريخ الثورة الفرنسية ، ص ٥٦٤ . والتاريخ المعاصر، ص ٥٨٣ . ومن الحرب والمجتمع في أوروبا ١٨٧٠ - ١٩٧٠ ، تأليف براين بوند ، ترجمة سمير عبد الرحيم الجليلي ، نشر دار المأمون للترجمة ، بغداد ، ١٩٨٨م ، ص ٢٢١ . والتيارات السياسية المعاصرة ، تأليف د . عبد الحميد البطريق، نشر دار النهضة العربية بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤م ، ص ٣٤٥ ٤٢٨ . والتاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، تأليف د. جلال يحيى ، نشر المكتب الجامعي ، الإسكندرية ، ١٩٨٣م ، ص ٣٥١ - ٤٣٧ .

الشيوعي وهو على نصرانيتها ، وظل على هذا الازدواج الفكري طيلة ثلث قرن، يعاني من التمزق النفسي، ويتحدث عن نفسه واصفاً هذه المرحلة الحرجة من عمره فيقول: (وطول ثلث قرن من الزمن، ومع ما في ذلك من خطر التمزق النفسي، حاولت أن أمسك بطرفي السلسلة: ماركسية لم تمثل بالنسبة لي اتجاه عقدياً أو نظرة في الكون، بل منهجية للمبادرة التاريخية، أي طريقة في الوقت ذاته فنية وعلمية في تحليل التناقضات الرئيسة لفترة ما أو مجتمع ما، ووضع المشروع القادر على تخطيها انطلاقاً من الوعي بها. وبين عقيدة تهب معنى لحياتي، وطريقة تمنح الفعالية لعملتي)^(١). وتدرج في مناصب الحزب الشيوعي حتى إذا انتقد السياسة الشيوعية، والاتجاه الشيوعي استبعد من الحزب عام ١٩٧٠م .

وخلال هذه الفترة حاول كغيره من قيادات الحزب الشيوعي الحوار بين النصارى والماركسيين لأجل الإثراء المتبادل بينهما ؛ رغبة في بناء مشترك للمستقبل ومدنية الإنسان، وللإنسان الكامل^(٢). بالإضافة إلى تطوافه على كثير من البلدان ، وتنقله من دين إلى آخر ، ومن منهج فلسفي إلى آخر كل ذلك جعله مغرماً بالبحث ، شغوفاً بالحوار عما يجمع بني الإنسان تحت مظلة واحدة .

فقد باشر الحوار مع كافة التيارات الفكرية المعاصرة كالنصرانية والبنوية والوجودية ، ودعا إلى حوار الحضارات وألف في ذلك أحد مؤلفاته، وتوج هذه الرغبة في الحوار بتأسيسه المعهد الدولي لحوار الحضارات بالتعاون مع منظمة اليونسكو^(٣).

فهل هذا - باختصار - هو شعور المدرك بأن كل منهج منها لوحده عاجزاً عن تقديم الحل الشامل لما يريد ويأمل ويطمح إليه ؟؟

ولكن بعد هذا التحليق في ميادين الفكر، والحوار فيما بينها، فما الذي انتشله منها إلى آفاق الإسلام الرحبة ؟

لقد كان شغله الشاغل منذ كان يافعاً - البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل ، أو الإبداع الفني والشعري بالعمل السياسي والعقدي^(٤). وخلال اعتقاله بالجزائر

(١) محاضرة كيف أسلمت ، ص ٢ .

(٢) روجيه غارودي ، ص ١١ .

(٣) سأقف مع هذا الاتجاه - حوار الحضارات - وقفة خاصة في آخر هذا البحث إن شاء الله .

(٤) مجلة الأمة ، عدد ٢٩ ، ص ٦٩ ، ومحاضراته كيف أسلمت ، ص ٩ .

قاد تمرداً في معسكر الاعتقال فأجرى قائد المعسكر محاكمة سريعة وأصدر حكماً بإعدامه رمياً بالرصاص، وأصدر أمره بتنفيذه إلى الجنود الجزائريين المسلمين ، وكانت المفاجأة بأن رفض هؤلاء الجنود تنفيذ الأمر، ولم يكن يعلم السبب في ذلك، وبعد فترة سأل عن السبب فأخبر أن شرف المحارب الجزائري يمنعه من إطلاق النار على رجل أعزل، فيقول عن هذا الموقف : (وكانت هذه أول مرة أتعرف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث الهام في حياتي، وقد علمني أكثر من دراسة عشر سنوات في السربون)^(١). وبعد إطلاق سراحه من المعتقل بقي عاماً في الجزائر لقي خلاله الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس رابطة العلماء الجزائريين، وفي مقر الشيخ الإبراهيمي لفتت نظره صورة كبيرة لرجل وسأله عن صاحبها؟ فأخبره أنها صورة عبد القادر الجزائري^(٢)، وشرح له بعض الجوانب من حياته ونسكه ، وبعضاً من تاريخه في حربه ضد الاستعمار الفرنسي ، ويعتبر روجيه هذا الدرس عن الجزائري هو اللقاء الثاني له بالإسلام ، وأنه تأثر به^(٣) واستفاد منه. هذه الأمور جعلته يفكر في دراسة الإسلام ، دراسة الباحث عن الهدف المتعطش للحقيقة.

(١) مجلة الأمة ، عدد ٢٩ ، ص ٦٧ . وانظر مقدمة كتابه في سبيل حوار الحضارات ، ترجمة د . عادل العوا ، من منشورات عويدات ، باريس ، ط ١ ، ١٩٧٨ م ، ص ٥ - ٦ .

(٢) رجل جزائري محارب ، أمضى فترة من عمره بالجهاد ضد المستعمر الفرنسي ، أما فكره فنستطيع أن نجزم أنه تلمذ ابن عربي الصوفي ومن سايره بالقول بوحدة الوجود .

(٣) أول لقاء لي مع فكر روجيه كان من خلال كتابه «الإسلام دين المستقبل» ، وبعد إطلاعي عليه ودراستي له افترضت أن أول لقاء تم بينه وبين الإسلام كان من خلال المتصوفة اتباع ابن عربي الصوفي ؛ لأنني وجدت إشادته بهذا الاتجاه ، وثناء على رواده ، واقتناء خطواتهم في النظر إلى الله والكون والحياة ... ثم بعد فترة من البحث والتنقيب عثرت على كتابه « في سبيل حوار الحضارات » ؛ فوجدت ما أكد لي ما افترضته حيث أشاد في هذا الكتاب إشادة منقطعة النظير بهذا الاتجاه وبيعض رموزه وتأثره بهم ، وإعجابهم بهم ، وبالأخص التصوف الفارسي والشعر الفارسي الصوفي ، ص ١٦٣ - ١٧٢ . ويزيد الأمر وضوحاً قوله في هذا الكتاب: (ولا مندوحة لي من أن أشهد بتجربتي الشخصية، ذلك أنني انطلاقاً من تأمل فنون الإسلام ومساجده إنفا شرعت أفهم عظمة العقيدة الإسلامية بتأكيد الجذري على التعالي ، وفي الوقت ذاته ومن خلال القرآن والشعر الصوفي المخارق ، وعلى انفتاح ، وعلى قبول لا يقتصر على سائر أسر الإيمان الإبراهيمي وحسب بل يمتد إلى إمكان حوار خصيب مع حكمة آسية والهند واليابان) . ص ٧ علماً أن هذا الكتاب كتبه قبل أن يسلم؛ إذ الترجمة العربية لهذا الكتاب طبعت عام ١٩٧٨ م ، أي قبل أن يسلم بأربع سنين.

ثم أكد لي ما ذهبت إليه ما إطلعت عليه في مجلة الأمة عدد ٢٩ من المقابلة معه وذكره أن ثاني لقاء له بالإسلام كان لقاءً صوفياً.

فما الذي دفعه إلى اعتناق الإسلام ؟

الدوافع التي دفعته إلى اعتناق الإسلام هي :-

١ - احترام الإسلام للديانات السابقة ، وتوقيره لأنبيائها ورسالتها .
٢ - أن الإسلام لا يفصل بين علم الحكمة وحكمة الوحي ، فلم يفصل البحث عن الأسباب عن البحث عن الغايات ، بمعنى أنه يجيب على السؤالين كيف ولماذا ، فهو لا يفصل بين الاستعمالين الرئيسيين للعقل .

٣ - شمول الإسلام لكافة الجوانب الحياتية العقدية والتشريعية والسياسية .

٤ - لأن الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وإلى هذا أشار في مقابلته مع مجلة الفيصل لما سئل عن الدوافع التي كونت لديه القناعة في اعتناق الإسلام حيث يقول : (دعني أقول لك: إن اعتناقي الإسلام لم يكن شيئاً كالإنجازات الكبرى في حياة الإنسان ، وعندما شرح الله صدري للإسلام تكونت لدي قناعة بأن الإسلام ليس مجرد دين يختلف عن بقية الأديان فحسب ، بل إنه دين الله...دين الفطرة التي خلق الله الناس عليها) (١).

٥ - اطلاعه على القرآن الكريم ، حيث وجد أنه تضمن ديناً عظيماً هو أساس الأديان (٢) .
وقد استخلص مؤلف كتاب « لماذا أسلمت ، نصف قرن من البحث عن الحقيقة » أسباب إسلامه في ما يأتي :

١ - أسباب عقائدية وتشريعية ؛ لأن الإسلام يقدم تصوراً للكون والإنسان، كما يقدم تشريعاً يتلاءم مع طبيعة الإنسان .
٢ - أسباب حضارية ثقافية ، وهي التي تتعلق بالإبداع والابتكار في الحضارة الإسلامية والمدنية الإسلامية بجوانبها المتعددة، وهذه الأسباب الحضارية نتاج للأسباب العقائدية والتشريعية (٣) .

هذه الأمور الإيجابية في الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة ومنهج حياة اجتذبت للإسلام فأعلن إسلامه في المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف بتاريخ ١١/٩/٢٠١٤ هـ الموافق

(١) عدد ١١١ ، ص ٣٨ .

(٢) انظر كيف ولماذا اعتنقوا أسلموا ، ص ٩٢ - ٩٣ . ومحاضرة مستقبل الإسلام في الغرب ، ص ٧ ، و حوار سعد الدين مع هذا المهدي ، ص ١٩ .

(٣) انظر ص ، أ - ب .

١٩٨٢/٧/٢ م^(١). وتفاوت الناس في تلقي خبر إسلامه ، فهناك من وصف إسلامه بأنه ثورة على الإلحاد والمادية^(٢). ومنهم من وصفه بأنه بدء تقليد جديد ستشهده العقود القادمة من الزمن، وهو انصواء العقول الكبيرة في الغرب تحت راية الإسلام؛ لأن المذاهب الوضعية عجزت أن تمنحها ما تريد^(٣). ومنهم من توجس منه خيفة، وأكد على الحذر عند التعامل والنظر في بعض أفكاره وطروحاته^(٤).

فيا ترى ما السبب لهذا الحذر ؟ الذي دعا هؤلاء إلى الحذر عند التعامل مع فكره وطروحاته ؟

إن السبب هو ما وجدوه مبثوثاً في بعض مصنغاته ومحاضراته من ألفاظ لها مدلولات لا تتفق مع المنهج الإسلامي السليم، بالإضافة إلى طرحه لعدة طروحات أو مشاريع سبق أن تبنتها بعض الجهات المشبوهة ، وثبت فشلها^(٥).

وأول هذه الطروحات أو المشاريع هو حوار الحضارات أو حوار الأديان، وقد سبقه إلى هذا الصابئة قبل الإسلام^(٦)، ثم حملت لواء الكنيسة بعد ذلك، وغير خاف على ذي بصيرة أهداف الكنيسة من وراء تبنيها لهذا الاتجاه .

ولأجل السير قدما نحو تحقيق هذا الحلم لديه قام بالتعاون مع منظمة اليونسكو بإنشاء

(١) انظر مجلة الأمة عدد ٢٩، ص ٦٨. ومجلة الفيصل عدد ١١١، ص ٢٨ .

(٢) انظر مجلة الفيصل عدد ٩٩، ص ٤٨ .

(٣) هنا ما ذهب إليه الأستاذ عماد الدين خليل في مجلة الأمة عدد ٤٠، ص ٤٧ .

(٤) انظر مجلة منار الإسلام عدد ٦ لعام ١٤٠٨ هـ، ص ١٢-١٦، وعدد ٤ لعام ١٤٠٩ هـ، ص ١٤-١٩. وعدد ٨ لعام ١٤٠٩ هـ، ص ١١٠-١١٦ .

(٥) سنتحدث عن هذه الطروحات والألفاظ التي استوقفت هؤلاء في الصفحات القادمة من هذا البحث ، إن شاء الله .

(٦) هذا المشروع -الحوار بين الأديان - لم يكن وليد أفكاره ، فقد ذهبت الصابئة إلى قريب منه قبل الإسلام ، وقد أوضح الإمام ابن القيم منهجهم حيث يقول : (وأصل دين هؤلاء - فيما زعموا - أنهم يأخذون بحاسن ديانات العالم ومذاهبهم ، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً ، ولهذا سموا صابئة - أي خارجين - فقد خرجوا عن تقيدهم بجملة كل دين وتفصيله ، إلا ما أراه فيه من الحق) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، تأليف الإمام ابن القيم ، تحقيق محمد

عفيفي، نشر المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٦١

المعهد الدولي لحوار الحضارات^(١). وقد أوضح أهداف هذا المعهد^(٢) بقوله: (قمت بالتعاون مع مسؤول منظمة اليونسكو بتأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات؛ بهدف إبراز دور البلاد غير العربية وإسهامها في الثقافة العالمية، حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب الذي يقوم على وهم عقدة التفوق عند الإنسان الغربي ..) ثم يوضح مهامه فيقول: (فإن المعهد قد رسم لنفسه مهمتين:

الأولى: إيجاد جواب مقنع للدعاية الصهيونية.

الثانية: إبراز صورة أمينة للإسلام في لغة تمكنا من تحقيق أكبر إشعاع ممكن في العالم الغربي)^(٣).

وبعد ذلك وجه الدعوة لندوة تقام في قرطبة عام ١٩٨٧م، وموضوع الندوة « تحديد نوع العمل الذي يؤدي إلى السلام العالمي » وفاجأ الجميع بتوجيه الدعوة إلى ممثلين عن اليهود والنصارى والمسلمين؛ فرفض الجامع الأزهر ورابطة العالم الإسلامي هذه الدعوة التي وصفت بأنها محاولة لخداع وتضليل المسلمين^(٤). ولنؤجل البحث عن الحكم على هذا الاتجاه لنستقصي أسبابه ودوافعه أولاً: .:

فبتتبع تطلعات جارودي وفكره منذ بداية تأثيره وتأثيره؛ نجد أنه مغرم بالحوار كلف به، فقد باشر الحوار وهو على ماركسيته مع التيارات الفكرية المعاصرة كالوجودية والنصرانية والبنوية، بل أمضى اثنتي عشرة سنة من حياته يعمل على حفز الحوار بين النصرانية والماركسية في أوروبا^(٥)، وأنه يميل إلى نظرة مثالية خيالية توصل إليها بعد تطوافه على كثير من البلاد، وارتياحه لكثير من الأفكار، وسبره لجم هائل من الحضارات، تبين له أن بعض الحضارات القديمة تأخذ من بعض وتتأثر بها^(٦)، وأنه متأثر أيضاً بفلسفة وحدة الوجود

(١) انظر مجلة الأمة عدد ٢٩، ص ٦٧، ٧٢. ومحاضراته كيف أسلمت، ص ١٥، ١٦.

(٢) لم استطع تحديد تاريخ إنشاء هذا المعهد، لكن من المحتمل أنه أسس ما بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٨٠م؛ لأنه خلال مقالته مع مجلة الأمة قال: إن إبعاده من عضوية الحزب الشيوعي عام ١٩٧٠م، وبعد ذلك قام بتأسيس المعهد، كما أن بداية عمل هذا المعهد تتمثل في إصدار الكتابين هما مبشرات الإسلام، وملف عن الصهيونية. الوارد ذكرهما آنفاً، وقد

ترجما إلى اللغة العربية خلال عامي ١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ ١٩٨٢ - ١٩٨٣م.

(٣) مجلة الأمة عدد ٢٩، ص ٦٧، ٧٢.

(٤) انظر مجلة منار الإسلام عدد ٨ لعام ١٤٠٩ هـ، ص ١١٣.

(٥) انظر في سبيل حوار الحضارات، ص ٢٧٦. ووجهه غارودي، ص ١١.

(٦) انظر في سبيل حوار الحضارات، ص ١٢٩، ١٨٣ - ١٨٤.

وما تدعو إليه^(١). فأثمر كل ذلك عنده رغبته في أن تتسق البشرية في منظومة واحدة الكافر منها والمسلم، والوثني والموحد، واليهودي والنصراني والمسلم، تحت راية واحدة، إذ يقول في حوار مع الحضارات: (وبهذا «الحوار بين الحضارات» وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل، وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع، إن التجارب الحالية في آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية... تتيح لنا أن نرسم منذ اليوم الخطوط الأولى لهذا المشروع الكوني في القرن الحادي والعشرين، مشروع الأمل؛ ذلك أن مشروع الأمل يستلزم كيما يخلق نسيجاً اجتماعياً جديداً، وكيما يخترع مفهوماً سياسياً جديداً، أن نمنحه بعداً جديداً، وأن لا نتكلم على منظور فردي المتزعم^(٢).

هذا الحوار الذي يطمح إليه في هذا القرن هو ما عبر عنه غاندي من قبل إذ يقول: (إذا جاءني مسيحي وقال لي بأنه تحمس عند قراءة «بغافاد جيتا» وأنه يريد أن يعتنق الهندوسية. أجبت إن التوراة تستطيع أن تمدك تماماً بما يمدك به «بغافاد جيتا»، ولكنك لم تحاول أن تكتشف ذلك حقاً، قم بهذا الجهد وكن مسيحياً حقاً)^(٣).

وفي آخر كتابه عبر تعبيراً يزيد الأمر وضوحاً حول أمله في حوار الحضارات، إذ وصف هذا الحوار بقوله: (حوار يعرف فيه كل طرف كيف يفتح على حقيقة الآخر دون أن ينحل إليها، إخصاب متبادل بين حكمة وكذلك ثورات آسيا والإسلام وإفريقية وأمريكا اللاتينية وبين ما يماثلها من الغرب)^(٤).

فهو يرى أن كل ثقافة بحاجة إلى الأخرى، وكل حضارة لا تستغني عن الأخرى، وكل ملة لا ينبغي لها أن تعتد بنفسها، بل على الكل السعي للإخصاب المتبادل!!

وبعد إسلامه دعا إلى ما دعا إليه من استمرار حوار الحضارات، وتوجيه الدعوة إلى الندوة التي سبقت الإشارة إليها بحضور ممثلين عن اليهود والنصارى والإسلام.

ولنرجع بالذاكرة إلى الوراء لاستخلاص تدرج الحوار لديه، وفق طموحاته وآماله المرحلية،

(١) انظر المصدر السابق، ص ١٦٣، ٧، ١٧٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٧٧. أكثر من النقل في هذه الفقرة؛ حتى يتجلى هذا الطموح لديه بنص كلامه، مع العلم أن هذا الكتاب قد كتبه قبل أن يسلم، فنحن لا نريد أن نحاكم فكره من خلال هذا الكتاب، وما فيه من شطحات وكفريات؛ بل لهدف تأصيل طموحاته وآماله وتطلعاته...

أو المرتبطة بالفترات الزمنية التي مر بها، أو الفلسفات والحضارات التي ارتادها وتأثر بها، وهذا التدرج كما استنبطته هو كما يلي:-

- ١ - لما وقع في الازدواج بين النصرانية والماركسية الشيوعية سعى جاهداً - كما سبق - لحفز الحوار بينهما حتى يحقق المزاوجة بينهما ، ويقضي على التنافر .
- ٢ - بعد ارتياده لكثير من الفلسفات والديانات الوضعية والحضارات؛ راوده «مشروع الأمل» في أن تتسق البشرية في وحدة واحدة، وأن تفتتح كل أمة على الأخرى لتكملها من غير أن تذوب فيها، وقد أغرق في هذه المرحلة في المثالية، وجمعت به أجنحة الخيال.
- ٣ - لما اقترب من الإسلام تبين له أنه رسالة إلهية سبقتها بعض الرسائل المماثلة لها من حيث المصدر والأساس الذي تعتمد عليه، ومن خلال خلفيته السابقة عن اليهودية والنصرانية ، رأى أن هذه الملل الثلاث تلتقي في إبراهيم عليه السلام ، إذ هو أبو الأنبياء، وأن الأنبياء من بعده دعوا إلى مثل ما دعا إليه من وحدانية الخالق، وإفراده بالعبودية

فتقلص عنده ذلك الطموح باحتواء البشرية تحت راية واحدة في ظل مشروع الأمل الذي تخيله وطمح إليه - إلى أن يجمع الملل الثلاث على أن تتعاون جميعاً فيما بينها لإحلال السلام العالمي فتتج عن ذلك حوار الأديان والدعوة إلى الإبراهيمية عام ١٩٨٧م^(١)، وأنشأ لذلك مركز ملتقى الأديان في قرطبة^(٢). وإن كان لا يزال يراوده بعض الطموح الذي تخيله

(١) عقدت في القاهرة في مايو عام ١٩٨٧م ندوات شارك فيها ثلة من العلماء وأجمعوا على رفض ما دعا إليه جارودي ووصفوا هذه الدعوة بأنها بديل عن الماسونية . أنظر مجلة منار الإسلام عدد ٦ عام ١٤٠٨-١٤٠٧هـ . وانظر التقرير المعنون «بتساؤل حول مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية» ضمن سلسلة تقارير المعلومات الصادر عن وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، مطبوعة بالآلة الكاتبة مجلد ١ ص ١٥ . ومجلة منار الإسلام عدد ٦ لعام ١٤٠٨هـ ص ١٢-١٦. ومجلة الأزهر عدد ٢ عام ١٤٠٨هـ ص ١٧٥-١٧٩ .

(٢) ورد ذكر هذا المركز بعدة أسماء خلال أحاديثه ومقابلاته وهي : معهد قرطبة لوحدة الأديان . المركز الثقافي الإسلامي . مركز قرطبة للأبحاث الإسلامية . ومهام هذا المعهد من خلال كتاباته العربية هي : تعريف الغرب بقدره الإيمان والثقافة الإسلامية على إعطاء رأيها في المجتمع المعاصر ، وكذلك دفع أوروبا للبحث في الإرث الإسلامي وتعريف الإسلام كدين ومجتمع . أما مهامه من خلال ما نشر باللغة الفرنسية فهي : توجهات عالمية لنشر تعاليم ونتائج الثقافات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلامية ، من خلال علاقة الإنسان بالإله والطبيعة والفرد . أنظر سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، بالكويت ، إدارة الشؤون الإسلامية ، المجلد الأول ، ص ١٥ .

في مشروع الأمل، يظهر متوارياً بين أسطر ميثاق أشبيلية^(١)، إذ يقول في آخره : (ندعو الناس كافة على مختلف نحلهم وعقائدهم، يهوداً أو نصارى، أو هندوكيين، أو إنسانيين من الذين يعون أن الإنسان لا يستغني بنفسه عما سواه ، ندعوهم إلى أن تتعاون جميعاً لانقاذ العالم من إفلاسه الأخلاقي ومن الهلاك الذي ينتظره .)^(٢)

والحقيقة التي ينبغي الإشارة إليها هي أنه خلط في حوارهِ بين الحضارات، والفلسفات، والثورات، والنبوت الكاذبة، والأديان الوضعية، والأديان الإلهية المحرفة، والإسلام... ولكن النقطة الجديرة بالأهمية هي وجوب الفصل بين الدين الصحيح ، وبين الأديان المحرفة. وبين العلم والحضارة وبين الدين الصحيح - فصلاً تاماً - في هذه الفقرة بالذات - حتى نستطيع أن نعطي الرأي الصحيح، ونتجنب الخلط المفضي إلى الكفر وذلك لما يأتي :

١ - أن الدين الحق - وهو الإسلام - الشامل لكل مناحي الحياة، ومنهج الإنسان الذي تكفل الله بحفظه ، وجعله خاتماً للأديان ومهيماً عليها (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه)^(٣) فلا يمكن بحال من الأحوال ، ولأي اعتبار من الاعتبارات ، أن يوضع على مائدة واحدة مع غيره من الأديان سواء كانت بشرية وضعية أو إلهية محرفة - بهدف الإخصاب المتبادل كما عبر بذلك لأن مجرد وضعه هذا الموضوع إزاء بحقه ، واعتقاد للنقص فيه ، وطلب استكمالهِ من غيره ؛ وفي ذلك الدلالة على عدم التسليم له بالهيمنة والتصديق والإيمان بكماله وقامه، والله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(٤).

٢ - أن الحكيم الخبير العليم بما يصلح عباده ضمن هذا المنج كل خير احتوى عليه دين سابق، أو ملة لاحقة، وحذرهم فيه من كل شر أو سوء أو عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة، (١) هو نص التقرير الذي قدمه روجيه جارودي بناء على طلب الجالية الإسلامية الأوروبية للمؤتمر الدولي للمسلمين الأوربيين الذي انعقد في أشبيلية في الفترة ١٨ - ٢١ من يوليو تموز لعام ١٩٨٥م وذلك برئاسة د . عبد الله نصيف رئيس رابطة العالم الإسلامي . وانظر الدراسة التي أعدها عن هذا المؤتمر ، د . سعد عبد المقصود ظلام عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بعنوان « لا لجارودي ووثيقة إشبيلية » ، نشر دار المنار ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ . وانظر مجلة منار الإسلام ، عدد ٤ لعام ١٤٠٩هـ ، ص ١٥ - ١٩ .

(٢) ميثاق أشبيلية ، ص ٣٦ ، المطبوع ضمن كتاب لا لجارودي ووثيقة إشبيلية .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٣ .

وكل تصرف من هذا التصرف - أي الحوار للإخصاب المتبادل - هو اتهام لحكيم في حكمته وللخبير في خبرته وللعلیم في علمه .

٣ - أن الأديان السماوية السابقة بطل اعتبارها، والانتساب إليها، والتأله في سبيلها، والتعبد من خلالها بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ودعوته لهذا الدين القويم .

٤ - أن الدين الحق وحي من الله ينبغي تجاهه التسليم والإذعان له؛ امتثالاً لقوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (١). وهو وصف مقصور على أهله لا يدخل تحته إلا من قبل به، أما العلم المادي والثقافة والحضارة فهي بوجه عام نتاج بشري مشاع لا يمكن أن تدعيه أمة دون سواها، ولا أن تحتكره دون غيرها، ولا أن تعلن الوصاية أو الهيمنة عليه، فهي - أي العلم والحضارة والثقافة - متاحة لكل أمة بقدر ما تبذله من الأسباب، ولها الحق كل الحق في الزيادة عليه والنقص منه والنقد له، والتشكيك فيه؛ وما ذاك إلا لأن العلم أو الثقافة أو الحضارة نتاج بشري خاضع للنقص، وقابل للضعف، ومحتمل للزيادة، وليست له العصمة والقداسة التي يتمتع بها الدين الصحيح .

هذا ما يتعلق بتدرج الحوار لديه، وبمشروع حوار الحضارات. أما ما يتعلق بما دعا إليه من حوار الأديان، أو الدعوة إلى الإبراهيمية فأقول: لم تكن الدعوة إلى حوار الأديان وإلى الإبراهيمية من نتاج عبقريته، ووليدة أفكاره؛ بل الدعوة إليها قائمة من قبل اليهود والنصارى منذ بداية القرن العشرين الميلادي^(٢). وأهداف هذه الدعوات المتتالية لا يمكن حصرها في هذه العجالة السريعة؛ إذ ليس المجال مجال بسطها، وإنما الغرض - هنا - استعراض ما دعا إليه هذا المهتمدي، وبيان دوافعه إلى ذلك ومناقشته فيها :-

لعل من باب إحسان الظن بالمسلم، أن لا نحمل هذه الدعوى من قبله ما ينبغي أن تحمله لو كانت من جهات أخرى . أما دوافعه حسب ما تم استنتاجه فهي :-

١ - أنه كلف بالحوار مغرم به - كما سبق بيانه - بالإضافة إلى أنه صاحب عقلية مثالية تحلق في آفاق الخيال، وتطلب المستحيل .

٢ - أنه متأثر بفلسفة وحدة الوجود، كما سبق بيانه .

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٢) انظر مجلة منار الإسلام عدد ٦، ص ١٢-١٦، والعدد ٨ لعام ١٤٠٨هـ، ص ١١٠-١١٦.

٣ - لا ننس أنه شيوعي سابق، وقد تبنت الاستراتيجية الشيوعية بعد عجزها عن التأثير على المسلمين بوسائلها السابقة - الصراع الفكري الثقافي؛ حتى تستطيع أن تحقق من خلال ما عجزت عن تحقيقه سابقاً، فلجأت إلى استقطاب جملة من المفكرين الماركسيين ممن اقتربوا من بعض الأديان، أو تربوا تربية كنسية؛ لتتخذ منهم أداة لبلوغ أهدافها ، ولا ننس أيضاً أن روجيه جارودي رجل علاقات دولية ، لا تزال تربطه بكثير من هؤلاء وشائج فكرية ، فمن المؤكد أن هؤلاء لهم دور في التأثير عليه ، بتهوين التبعات ، والمبالغة في تصوير النتائج ، ورسم التطلعات^(١) ، وقد أوضح سبحانه دور هؤلاء وحذرنا منهم فقال: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)^(٢) .

٤ - جهله بالمبادئ الأساسية في العقيدة الإسلامية، وتحديد مصادر التلقي التي يُعتمد عليها في دراسة المشكلات والقضايا التي تواجه الأمة الإسلامية، فقد أكمل الله لهذه الأمة دينها، وليست بحاجة أن تستجدي أمم الكفر والضلال من المغضوب عليهم والضالين.

٥ - دور بعض المنابر الإعلامية والهيئات الإسلامية تجاه هذا المهتمي وأمثاله ، في أن ترفعهم فوق منزلتهم، ثم تعرض عليهم آمال الأمة وتطلعاتها، وتطلب منهم المشورة في قضايا الأمة ومشكلاتها... كل ذلك يحملهم فوق طاقتهم، وينتج للأمة أمراضاً على أمراضها، وكان الأجدر بهذه المنابر وتلك الهيئات أن تلقي في روعهم أن عليهم أن يتعلموا الإسلام، وأن يتعلموا من البداية على علماء الإسلام الذين تشهد لهم الأمة بالإمامة والعلم والاجتهاد والجهاد والإخلاص .

(١) وقد دعا خمسة من هؤلاء الماركسيين إلى مؤتمر الحوار الإبراهيمي ، انظر تقرير انفتاح الشيوعية على الأديان ضمن سلسلة تقارير المعلومات الصادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت . المجلد الأول ، ص ١٨ - ٢١ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١١٢ ، ١١٣ .

المناقشة :-

إن المطلع على ما تبناه روجيه في مؤقره، والشخصيات التي وجه لها الدعوة^(١) يخرج منها بنتائج هي :-

١ - أنه غفل عن سنة من سنن الله في الكون، وهي أن الصراع بين الحق والباطل قائم منذ نزلت لا إله إلا الله إلي الأرض ، ومنذ (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)^(٢)

٢ - أنه في دعوته إلى الإبراهيمية اعتمد على علاقة هذه الأمم بإبراهيم عليه السلام من حيث النسب، ومن حيث أساس الدعوة، ولم يتفطن إلى أن الأساس الذي دعا إليه إبراهيم عليه السلام هو أساس دعوة كل نبي ورسول عليهم صلوات الله وسلامه من لدن آدم حتى محمد صلى الله عليه وسلم، وليس مقتصراً على إبراهيم والأنبياء من ذريته ، كما أن إبراهيم عليه السلام ومن قبله ومن بعده من الأنبياء والرسل وسائر البشر هم سلالة رجل واحد هو آدم ، فلا فضل لإسرائيلي على إسماعيلي، ولا لإبراهيمي على من سواه، الكل لآدم وآدم من تراب .

٣ - أن إبراهيم عليه السلام يرفض هذه الدعوى؛ لأنه هو الذي سمانا بالمسلمين ، ولم يسمنا بالإبراهيميين إذ قال كما أخبر الله بذلك في القرآن : (هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ..)^(٣) . ولما اختلفت حوله اليهود والنصارى أكد الله حقيقة منهجه فقال : (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)^(٤) .

٤ - أنه غفل عن مسلمة من مسلمات العقيدة الإسلامية في التعامل مع اليهود والنصارى، وهي أنهم لن يرضوا عنا حتى نقدم لهم التنازل تلو التنازل في ديننا ، فنبلغ الغاية في التنازل عن عقيدتنا، وأهم ما يميزنا، وقد جلى الحق سبحانه وتعالى هذه القاعدة، وبين المنهج الذي يجب السير عليه فقال : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع

(١) الشخصيات التي وجهت لها الدعوة لحضور المؤتمر الإبراهيمي هم : اثنان من اليهود ، وثمانية من النصارى ، وقادياني واحد ، وإسماعيلي واحد ، واثنان من المسلمين المغمورين علمياً ، وإن كانت لهم مناصب في منظمات عالمية .انظر سلسلة تقارير المعلومات ، المجلد الأول ، ص ١٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٦ .

(٣) سورة الحج ، الآية ٧٨ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ٦٧ .

ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير (١١).

٥ . قسم الله الخلق إلى طرائق قدا منهم المسلم ومنهم الكافر، وفيهم الموحد وفيهم الوثني، يقول الله تعالى : (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا.. (١٢) فاختلّفوا إلى ملل وأحزاب وشيع ونحل، وإن هؤلاء الذين فرقوا دينهم ؛ إنما تفرّقوا بسبب بغيهم وعنادهم وإصرارهم على الباطل (فما اختلّفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم) (١٣) . وسلّم أهل الحق من الاختلاف على رسلهم وأنبيائهم وكتبهم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه) (١٤) . والله سبحانه ذكّر نبيه صلى الله عليه وسلم وسلاه عن أن يأسف على عدم إيمان الكفار بهذا القرآن وقال له : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) (١٥) . وقال له أيضاً : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (١٦) . وبين له سبحانه سنة كونية وهي : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (١٧).

وإن روجيه بعمله هذا يريد أن يعتسف الحقائق ، ويقلب الموازين ، وأن يوسع دائرة الإسلام لتشمل كل ذي نحلة أو ملة تخالف هدي الإسلام وصراطه المستقيم ، وأن يجمع تحت راية التوحيد كل كفر على وجه الأرض يهوديها ونصرانيها وبوذيها وهندوكيها ... (١٨) فهل يجتمع إيمان وكفر ، وتوحيد وتثليث ، واستسلام لله واستسلام للوثن ؛ لأجل أن يتعاون الجميع لانقاذ العالم من إفلاسه الأخلاقي؟ . كما عبر بذلك . فهل من الممكن أن يتعاون اليهودي مع غيره وهو يعتقد أن جميع البشرية خلقت لخدمته ؟ فهو يريد تعبيدها له، وانصياعها لأوامره، واستسلامها لخدمته. وهل سيتعاون النصراني على ذلك وهو يتعبد في أن يقرب المسلم قرباناً على مذبح كنيسته ؟ وهل وهل .. ؟؟ .

لكن الخيال شيء والمخالفة شيء، وواقع هذا المنهج ومسلماته وقواعده

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

(٢) سورة يونس ، الآية ١٩ .

(٣) سورة الجاثية ، الآية ١٧ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢١٣ .

(٥) سورة الكهف ، الآية ٦ .

(٦) سورة فاطر ، الآية ٨ .

(٧) سورة يوسف ، الآية ١٠٣ .

(٨) راجع آخر كلمات ميشاق إشبيلية ، وقد تقدمت الإشارة إليه .

ومقتضياته شيء آخر يباين ذلك كله ويفارقه .

المطلب الرابع : القيمة العلمية لكتابه : الإسلام دين المستقبل . =

هذا الكتاب ألفه مؤلفه باللغة الفرنسية، وصدر قبل إشهار إسلامه ببضعة أشهر^(١)، ونقله إلى اللغة العربية عبد المجيد بارودي، وتقع هذه الترجمة العربية في ١٨٠ صفحة من الحجم الكبير .

هدف الكتاب : العمل على إظهار الإسلام كوجود ومستقبل، أي إسلام يكمن في المستقبل أكثر مما يكمن في الماضي^(٢)، وأن يبين حقيقة الإسلام، وأنه استطاع أن يقدم في الماضي حضارة عظيمة لا تزال آثارها إلى اليوم، في الوقت الذي استطاع أن يرقى بالنفس البشرية ويحميها من الدمار والهلاك، كما هدف المؤلف في كتابه هذا إلى أن يغير أو يساهم في تغيير صورة المسلم لدى الغرب، ويزيح عنها غبش التصور، ويقدمها ناصعة نصوص الشمس^(٣).

محتوى الكتاب : قسم المؤلف كتابه إلى ثمانية فصول هي : الفصل الأول بعنوان لقاء الإسلام، الثاني القلب والروح، والثالث الأمة الإسلامية، والرابع العلم والإيمان، والخامس من الفلسفة إلى التصوف، والسادس من الفن إلى الصلاة، والسابع الشعر والتنبيؤة، والثامن الإسلام مستقبلاً، ثم أحداث تاريخية .

القيمة العلمية : لا يخلو هذا الكتاب من قيمة علمية تبرز جوانبها في النقاط التالية:-
١ - أن المؤلف كان شيعياً نصرانياً، وبلغ من العلم فيهما مبلغاً عظيماً، وحاول جاهداً أن يوفق بينهما حتى يحقق التوازن في حياته بين نصرانية تمده بالعقيدة، وشيوعية يسير على ضوئها في أعماله الحياتية ، ولما لم تفلح مساعيه ... وأنى لها أن تفلح - واصل خطاه جاداً في بحثه عن الحقيقة التي تقضي على هذا النزاع النفسي والازدواج الفكري لديه،

(١) انظر مقدمة كتاب الإسلام دين المستقبل ، ص ١٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٢٣ .

فوجدتها في الإسلام فكتب هذا الكتاب ليثبت أن الإسلام قادر على عمارة المستقبل كما
عمر الماضي، وإن يسعد الإنسان في هذا العصر كما أسعده سابقاً .

٢ - أن المؤلف حاول في كتابه هذا تغيير صورة المسلم والإسلام لدى الغرب، التي رسمت
عنهما بيد المكر والكيد الصليبيين، على يد دهاقنة الاستشراق، وحاول أن يجعل الصورة
الحقيقية للإسلام ويعرضه - كما فهم - مستدلاً على ذلك بالآية القرآنية، والحقيقة العلمية،
والمسلمة التاريخية ، فهو وإن لم يستكمل هذا الجهد ويجلى هذا الجانب، فيكفيه أنه
طرقه وطرحه على ساحة البحث .

٣ - المقارنة بين المنهج الإسلامي في النظر إلى الله والكون والإنسان والحياة، وبين
المنهج الغربي الأوربي في النظر لها ، وأوضح الفروق والأساس الذي اعتمد عليه كل
منهما .

المآخذ :

تقدم الكلام على أن هذا المفكر تعرف على الإسلام من خلال غلاة الصوفية، وارتسمت
مبادي الإسلام لديه وفق الصورة التي رسمها أولئك الغلاة، وازداد إعجابه بهم ، وإشادته
فيهم في هذا الكتاب وفي غيره - كما سبق - وظن أن ما عبروا به عن الإسلام هو الإسلام
الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم . إذا فلا عجب إذا تكاثرت المآخذ على
هذا الكتاب؛ لأنه ورد على مرضى ونهل من مناهلهم، فلا تستغرب إذا مرض ، ولكن
الغريب لو خرج سالماً ، وكثير من ألفاظ هذا الكتاب كفر صريح لا مجال للشك فيها ،
ولولا أن حكاية الكفر ليست كفراً، ولولا واجب البحث العلمي، وما تقتضيه الأمانة
العلمية ما اوردت منها حرفاً واحداً، وهذه المآخذ هي:-

١ - تنزيه الله وتشبيهه ، ليس هذا التنزيه على منهج الإسلام ، وإنما على منهج ابن
عربي الصوفي، فهو يجمع بين التنزه والتشبيه في آن واحد، حيث يقول : (تنزيه الله دون
تشبيهه بأي كائن ما ، والمماثلة التي تشير إلى الله بواسطة الرموز والصور المأخوذة من
عالم الوجود الدائم، إنه لا يمكن أن تفصل بين هاتين الحالتين) ثم يريد أن يوضح هذا فيقول
: (إن النفي والرمز هما الطريقة الوحيدة التي تقرنا من الله في تنزيهه وتساميه

ووجدانيته وتجلي آياته)^(١) . إن هذا جمع بين المتناقضات ، فكيف يجتمع تنزيه وتشبيهه ؟ ألم يكن له في منهج القرآن مندوحة عن هذا التمثل؟ وهو التفصيل في الإثبات ، والإجمال في النفي (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)^(٢) . وقد أورد هذا الاتجاه في كتابه تحت عنوان «علاقتنا مع الله» ولكن مع هذا الجزم من قبله على هذا المذهب؛ نرى أنه في موضع آخر من كتابه يذكر أن (إحدى أدق المشكلات المطروحة على الفلسفة الإسلامية هي بالظبط مشكلة علاقة المطلق بالأبدي مع النسبي والتأريخ بشكل خاص)^(٣) .

٢ - هذا الخلط في صفات الله أوقعه في خلط آخر في كلام الله فهو يرى أن أحد المشكلات المطروحة على الفلسفة الإسلامية - هل القرآن كلام الله غير مخلوق ؟ وفي موضع آخر يرى أن كلام إمام الصلاة والمؤذن هو الكلام الإلهي وفي موضع آخر يرى أن هناك مصادر أخرى للوحي ، ولم يذكر هذه المصادر لكنه أوردتها تحت عنوان « الشعر الدنيوي »^(٤) .

٣ - أنه نحى في كتابه هذا منحى اتباع وحدة الوجود، حتى لكأن الكتاب قد تمت صياغته لتحقيق هذه الغاية، ولهذا المنحى عدة مظاهر فمنها: فهم العلاقة بالله من خلال هذه الفلسفة، ومنها النظر إلى كافة البشر على مختلف أديانهم، والتعامل معهم على ضوء ما تلميه هذه الفلسفة حيث يقول : (إذا خطر ببالك أن الله هو الذي تبشر به مختلف المدارس الإسلامية ، والمسيحية، واليهودية، والزرادشتية، أو أنه ما يبشر به المؤمنون بالتعدد، وكل الآخرين ؛ فاعلم بالفعل أنه كذلك ، لكنه في نفس الوقت هو غير ذلك) . ومنها النظر للكون والحياة وسائر الأحياء والجمادات على أنها رموز تظهر الواحد في المتعدد، ومنها الإشادة برواد هذا الاتجاه كالحلاج وابن عربي وابن الرومي وجامي وعبد القادر الجزائري... وغيرهم كثير وأنهم كانوا رواد الفلسفة الإسلامية، وأن الفلسفة الإسلامية قد شلت بسبب موقف الفقهاء المتزمتين الذين ضيقوا على ابن عربي وأمثاله، وأنه لم يحافظ على فلسفة العقل إلا بلاد فارس في عصر النهضة الصفوية . ومن مظاهرها الإشادة بالشعراء الصوفيين الغالين . ومنها اعتبار الموسيقى وتماوج قباب الجامع،

(١) المصدر السابق ، ص ٦٥ و ١٢٨ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ١١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٤) أنظر المصدر السابق ، ص ١١٤ و ١٣٧ و ١٤٦ .

وترتيل القرآن ، وترانيم الكاتدرائية - أنها توجد مشاركة تجربة عميقة واحدة^(١) .
وقد يظهر للمتأمل أنه لم يكتب هذا الكتاب إلا لغرض إعادة هذه الفلسفة إلى الواقع ،
وبعثها من قبور أصحابها؛ لتفسد علينا ديننا وحياتنا، وسأنقل بعض الأمثلة من أقواله
ومن نقوله وأحيل على البعض الآخر في الهامش؛ حتى يدرك القارىء أن ما ذكرته ليس
تجنيهاً ولا اعتسافاً، حيث يقول: (فما الكون إلا مشهد ديني يظهر فيه الواحد عبر المتعدد
بألف رمز). وينقل تفسير ابن عربي للصلاة وأنها طريقة وجود فهي (طريقة لربط الإنسان
بالله بحيث لا تكون صلاة الإنسان لله إلا صلاة الله في قلب العبد). ثم ينقل كلاماً لأحد
غلاة هذا الاتجاه وهو: (أنا الحقيقة خلصني الله من ذاتي الوهمية، وقريني من ذاتي
الحقيقية)^(٢) .

٤ - ظن أن منابع الصوفية الأساسية في القرآن . وقد وهم^(٣) .

٥ - يذكر أن إيمان إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا مسيحياً ولا مسلماً، وإنما
النموذج الأول لرجل الإيمان^(٤) . فماذا كان النموذج الأول، ثم إن هذا معارض لصريح
القرآن.

٦ - ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع أنه جاء بدين جديد^(٥) . وفي هذه العبارة
تعميم وتناول، فالدين يشمل العقيدة والشريعة، فتجديد الرسول صلى الله عليه وسلم
لمعالم عقيدة التوحيد التي اندرست واستبدلت بالوثنية يعتبر تجديداً، أما الشريعة وهي من
صميم الدين، فلا يمكن لأحد أن يدعى أن التشريعات الإسلامية هي نفسها التي فرضت
على الأمم السابقة، ولكن لتأكيد على الإبراهيمية - كما سلف - أراد أن يجرد الإسلام من
هذه الميزة ؛ حتى تتيسر له الدعوة إلى الإبراهيمية .

٧ - وصف الاعتماد على القرآن لاستخلاص تشريع يناسب كافة الشعوب، وكافة الأزمنة

(١) انظر لما سبق المصدر السابق ، ص ٦٠ و ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٠ و ١٢٦ و ١١٣ . وانظر الصفحات التالية حتى تكون على بينة من هذا الاتجاه ؛ ص ٤٧ .

٥٦ . ٦١ . ٦٢ . ٦٥ . ٩٠ . ٩٣ . ٩٧ . ١١١ . ١١٤ . ١٢٤ . ١٢٨ . ١٣٢ . ١٣٧ . ١٤٥ . ١٤٧ . ١٤٩ . ١٥٠ .
١٥٦ . ١٥٧ . ١٦٠ . ١٦٢ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٥٦ و ٦٣ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٣٠ .

بأنه ضيق في الأفق حيث يقول: (بل إننا ن فكر أن الطموح إلى استخلاص تشريع يناسب كافة الأزمنة، وكافة الشعوب من نص موحى منزل ينادي بالإيمان في لغة يفهمها شعب ما في عصر ما، لهو شيء يستند إلى تمامية ضيقة، ألم يأت في القرآن (ولكل أمة رسول). سورة يونس ، الآية ٤٧)^(١) وفي هذا تطاول وتجن على الإسلام وعلى الحقيقة وعلى التأريخ وعلى الواقع، ألم يقل الله في كتابه: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^(٢) و (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)^(٣) فهو يهدي للتي هي أقوم دينيا وسياسيا واجتماعياً واقتصاديا وعمرانيا ...

٨ - الجهل بالتأريخ: إذ وصف فتح الأندلس من قبل المجاهدين المسلمين على أنه عبور القائد العربي طارق بن زياد على رأس فئة من المنشقين المسيحيين. كما أعاد انتشار الإسلام في بداية عهد الفتوحات الإسلامية والقضاء على الأمبراطوريات، إلى وهن تلك الأمبراطوريات، وجعل هذا الوهن أحد العوامل المساعدة .^(٤)

٩ - يرى أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، وأن الجهاد للدفاع فقط ، ويرى أن الحرب لا تقبل إلا في حالة الدفاع عن الإيمان عندما يهدد، وليست الحرب من أجل نشر الإيمان بالسلاح ؛ فالقرآن لا يبرر الحرب إلا عندما نصبح ضحية غزو أو اعتداء، فمن المحرم على المسلمين قطعاً أن يكونوا غزاة أو معتدين : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)، سورة البقرة الآية ١٩٠) بل يرى أن انفتاح الإسلام على البيانات الأخرى - حسب تعبيره - وتسامحه مع أهل الكتاب (يسمح لنا بتجميد الجهاد في معناه وبعده الحقيقي)^(٥) "لمن فوضك بهذا ، لكنك غفلت عن قوله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)^(٦) . وعن قوله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)^(٧) . لكن إنها النظرة المسبوقة بحكم جاهز تشبث بأوهن الأسباب، ولا تكلف

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧ - ٣٨ وانظر ص ٧٧ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ٩ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٤٠ - ٤٣ و ٥٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٦) سورة التوبة ، الآية ٥ .

(٧) سورة البقرة ، الآية ١٩٣ .

النفس العناء والبحث والاستقصاء .

١٠ . وصف الخلافة الأموية بأنها اهتمت بالسلطة السياسية لذاتها، وليس من أجل معناها الديني، وأن عبر بلاطها المترف تصب كل ثروات البلاد المفتوحة من قماش وخمور وعبيد ..^(١) وفي هذا تعميم وتجاوز على فترة تعتبر من أنصح فترات التأريخ الإسلامي، هذا فضلاً عن أن هذه الخلافة قد انتظمت الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

١١ . عندما تكلم عن التعدد ذكر أن القرآن فرض المتطلبات التالية وهي : (العدالة التامة اقتصادية وعاطفية وجنسية بين مختلف النساء، وبهذه الشروط جعلت الأنظمة القرآنية تعدد الزوجات أمراً صعباً) ثم ذكر أن المعمول به فعلاً في الغرب هو تعدد الزوجات، وأن الزواج الأحادي موجود في القوانين فقط^(٢) .

ولي مع هذا اللفظ وقفات : الأولى : أنه جعل من ضمن العدالة ، العدالة العاطفية والجنسية، وهذه لا تدخل في العدالة؛ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل . قال عفان : ويقول هذه قسمتي . ثم يقول : (اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)^(٣) . الثانية : أنه يرى أن تعدد الزوجات وفق المتطلبات الإسلامية أمراً صعباً . وفي هذا سؤ أدب مع الشارع الحكيم الذي شرعه وجعله الأصل في الزواج حيث قال : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)^(٤) .

١٢ . نفى أن يكون القرآن نص على أن المرأة خلقت من ضلع آدم^(٥) . ولكن ماذا يعمل بقوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده واللفظ له ، ج ٦ ص ١٤٤ . والترمذي في سننه كتاب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ج ٢ ص ٣٠٤ . وأبو داود في سننه كتاب النكاح باب في القسم بين النساء ج ٢ ص ٢٤٢ . والدارمي في سننه كتاب النكاح باب في القسمة بين النساء ج ٢ ص ٦٧ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٣ .

(٥) انظر الإسلام دين المستقبل ، ص ٨١ .

ويث منها رجالاً كثيراً ونساء^(١). وقد أوضحت السنة ذلك فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (استوصوا بالنساء ؛ فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج^(٢)).

١٣ - بتأثير من فكره الشيوعي اعترض على جمع الأموال ، واستدل ببعض الآيات التي يدندن حولها من يريد إلغاء مشروعية الملكية في الإسلام، وتفلسف حول هذا المعنى ، وفلسف مفهوم السرقة فقال: (ليست السرقة أن نستولي على ما نحن بحاجة إليه ، بل أن نكس ما لنا بحاجة إليه)^(٣) .

ليست هذه هي كل الملاحظات على هذا الكتاب، وإنما سجلت المآخذ الصريحة، أما الألفاظ المحتملة، والألفاظ التي يجد لها الباحث تفسيراً، فقد آثرت عدم اثارتهما؛ لأن في هذه الألفاظ الصريحة غنية للحكم على المنحى العام للكتاب .

وقفه مع هذا المهتدي :

لا يسعنا إلا أن نرحب به في ظلال الإسلام الوارفة، وآفاقه الرحبة، فليس الإسلام جبة تمنع لمن نشاء، وتنزع عمن نشاء ، وإنما هو هبة ربانية يهدي الله إليه من يشاء ويصرف عنه من يشاء، وللأمة محاسبة الفرد منها على ما ظهر من تصرفاته وأقواله وأعماله، وما بطن من ذلك فإلى الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وهذا المهتدي قد أثار بعض الدعوات المشبوهة كالدعوة إلى الإبراهيمية، وأشاد ببعض رواد المسالك المنحرفة عن الطريق السوي كغلاة الصوفية^(٤). وله موقف غامض من السنة النبوية؛ إذ يقلل من أهميتها ويطلق العبارات التي تحط من قدرها، وأنها لا تعدوا أن

(١) سورة النساء ، الآية ١ .

(٢) رواد البخاري في صحيحه ، والفظ له في كتاب الأنبياء ، باب ١ . ومسلم في صحيحه في كتاب الرضاع ، حديث ٦١ .

(٣) الإسلام دين المستقبل ، ص ٧٤ .

(٤) بل إن الأستاذ د . أكرم ضياء العمري كتب له رسالة ضمنها النقد لبعض كتاباته ، ومنها الإشادة بأبن عربي وعبد القادر الجزائري وغيره ... فرد عليه الجارودي مدافعاً عن ابن عربي بقوله: (هناك العديد من الأمثلة للصيغ المنتهية باتهام ابن عربي بالحلولية ، فمجرد عدم إعطاء أي تعريف واضح لهذه الكلمة يمكن الإنسان من تشويه سمعة من يراد التشهير به) مجلة الأمة عدد ٦٧ ، ص ٣٥ ، والعدد ٦٤ ص ٢٢ - ٢٣ .

تتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان أو الخروج منه . إذ يقول: (ونشأ في نفسي انطباع من قراءتي للحديث الشريف، أنني أمام دين تقليدي فكل ما وجدته في كتب الأحاديث، وكل^(١) ما رأيت الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث عنه أو يشير إلى فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان والخروج منه، وأشياء أخرى من هذا القبيل، لا كما رأيت القرآن الكريم يتحدث عن الأساسيات التي تدلل على كمال هذا الدين الإسلامي^(٢) . وأقول كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. ألم يطلع على أحاديث العقائد والعبادات؟ وأحاديث حقوق الطفل وحقوق المرأة وحقوق الأجير وكافة الحقوق المتبادلة وكافة العلاقات البشرية وأحاديث السياسة والاجتماع والاقتصاد والمعاملات وأحاديث الأخلاق والفتن وأحاديث القيامة ووصف الجنة والنار؟ ...

كما أن له عبارات متناثرة هنا وهناك في محاضراته وكتبه التي ألفها بعد إسلامه، تدعو إلى الشك فيه، والريبة منه، والتوقف فيه، فمنها ما سبق إيراده في المآخذ على الكتاب السابق، ومنها قوله: (إن كلاً من الإسلام أو اليهودية أو المسيحية أو الماركسية عبارة عن مثل أعلى ينظم حياتنا اليومية. إنه أفق نتجه نحوه ويدعونا إليه لكننا غير قادرين أبداً على بلوغه^(٣)). عجباً أينتظم الكفر والتوحيد في درجة واحدة ؟ بل أتوازن بين الوثنية والإسلام ؟ بل أتساوٍ بين التعدد والوحدانية ؟ ايتفق ما قرره رب البرية، وما نتج عن شذاز البشرية ؟ فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ومنها أنه يخلط بين التوبة والكفارة والحد : حين سجل تحفظه على حد السرقة فقال: (عندما نقرأ (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) سورة المائدة ٣٨ . هل نقرأ هذه الآية على أنها مادة من مواد القانون الجزائي ... ثم يقول ففي الآية التي أعقبت قطع يد السارق جاء قوله تعالى : (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه) الآية ٣٩ . فكيف يتصور أن الله الرحيم الله الغفور يفرض هذه العقوبة التي لا يشفى منها صاحب اليد المقطوعة ؟ كيف يخزى إلى الأبد؟^(٤) . ولن أعلق هنا أو أناقش فالمسألة خلافٌ تجاه نص صريح من كتاب الله عز وجل، لا يحتمل التأويل، تلقته الأمة بالقبول

(١) لاحظ صيغ العموم في حديثه .

(٢) حوار مع الأستاذ روجيه جارودي ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) محاضرة كيف أسلمت ، ص ٨ .

(٤) مستقبل الإسلام في الغرب ، ص ٥١ - ٥٣ .

والتسليم وعملت به إتباعاً لقوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)^(٥) .
وأخيراً هذا الجارودي غامض غموض الهلال ليلة مولده . معجب بالإسلام أيما إعجاب ،
يشيد بحضارته وكتابه ، لكنه لا يفتأ يتحفظ هنا، ويحتج هناك، ويؤول هنا، ويشير هذه
الشبهة، ويحيي تلك البدعة والفلسفة ... ونقول له إما أن تقبل الإسلام بكل أبعاده،
وتخضع لكل أوامره، وتستسلم لكل أحكامه، وتسلم لحكمة أحكم الحاكمين، وطريقها
الكتاب والسنة كما وردا، لا أن تقراءهما بعيون حلولية، وتستوعبهما ببصيرة صوفية
غالبية ترى الأحكام رموزاً ينبغي تفسيرها، وكل يفسرها على حسب ما تلميه عليه أهواؤه
ورغباته وشهواته وشبهاته ..

(٥) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

المبحث الحادي عشر: موريس بوكاي

المطلب الأول ، اسمه ومولده ونشأته^(١) .

اسمه : موريس بوكاي قبل إسلامه ولم يحدث لهذا الاسم تغييراً بعد إسلامه .
مولده : ولد في فرنسا أوائل القرن العشرين الميلادي، لأنه ذكر أنه اطلع في عام ١٩٣٠م على كتاب يتحدث عن التعاليم الدينية^(٢) .

نشأته : ولد وترعرع في فرنسا^(٣) منتمياً إلى طائفة النصارى الكاثوليك، وتلقى في مدارسها الثانوية ما يتم اختياره بعناية فائقة من نصوص النصرانية التي لا تشير لدى الناشئة الحيرة والتساؤل حيث يقول : (إن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوي إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل، ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله^(٤)) كما ألقى في روعه في هذه الفترة أن هناك أمة تدعى المحمديين تنتسب إلى دين أسسه رجل يدعى محمداً، وليس لهذه الأمة أو لهذا الفرد أي اتصال بالله، أو ارتباط بدين حقيقي^(٥) .
وفي هذه الفترة كان شغوفاً بالقراءة والمطالعة مما ساهم في إثراء عقله، وتوسع مداركه، واطلاعه على بعض كتب ديانته التي لا تتاح لمن هم في مثل سنه؛ فعرف من خلال هذه الكتب أنها تحتوي على عدد من المشاكل، وهناك أدرك لم لم تكن كتب ملته مشاعة فيما بينهم^(٦) .

(١) سيلحظ القارئ أن المعلومات المتعلقة بهذا المهتمدي مقتضبة نوعاً ما، وهذا خلاف الأولى؛ إذ هو رجل معاصر له دوره ومكانته، ولكنني علمت أنه متحفظ على المعلومات المتعلقة به، فأثرت أن لا يكون هذا البحث إشاعة لما يريد أن يتحفظ عليه .

(٢) انظر ما أصل الإنسان، تأليف موريس بوكاي ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، عام ١٤٠٦هـ، ص ٢٠ .

(٣) تحدثت عن البيئة الأوروبية التي نشأ بها في المبحث السابق .

(٤) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، نشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٦٥ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٦) انظر المصدر السابق ، ص ٦٥ .

وأخبرني من أثق به أنه عاش فترة شبابه في المغرب إبان الاحتلال الفرنسي لها، ولعله في هذه المرحلة تعرف على مجتمع يختلف عما عهده من مجتمعه؛ مما هباً له مجالاً للمقارنة والمقابلة .

وبعد عودته إلى فرنسا أكمل دراسته متخصصاً في مجال الطب البشري، ولا يزال ممارساً لهذه المهنة إلى الآن، وما من شك أن العلوم الطبية لا يتجه لدراستها إلا من رزق قوة في الفهم، وقدرة على الحفظ، ودقة في الملاحظة، ودأباً على الاستمرار، وهذه العلوم تمنح صاحبها احتفاءً بالدليل، واعتماداً على البرهان، وتخلياً عن التقليد والتعصب، وتطلعه من جانب آخر على جليل صنع الله وعظيم تدبيره .

المطلب الثاني ، الدوافع التي أثرت فيه حتى أسلم . -

- تعددت الدوافع التي حركت همته نحو الإسلام ولعل من أبرزها : -
- ١ - أنه اكتشف في كتب ملته بعض المشاكل التي أثارته في نفسه بعض الأسئلة التي تنم عن حيرة وارتباب^(١) .
 - ٢ - تواجده أيام شبابه في بيئة إسلامية .
 - ٣ - اطلع على القرآن الكريم من خلال ترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية فعرف أنه يحتوي على كم هائل من الآيات المتعلقة بالخلق والفلك والإنسان والحيوان والنبات ... وبدراسة هذه الآيات ذهل واندesh من دقة المعلومات والتفاصيل التي احتوت عليها، وأنها تتفق تماماً مع كل مادرسه عن هذه المواضيع حيث يقول: (إن ماجاء به القرآن من بيان عن أصل الإنسان سوف يشير دهشة كثير من الناس لا ريب، تماماً كما أدهشني أنا أيضاً حين اكتشفته لأول مرة^(٢)) ويقول في موضع آخر: (لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر^(٣)) .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) ما أصل الإنسان ، ص ٢١ .

(٣) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٤٥ .

٤ - زيارة ملك المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت فيصل بن عبد العزيز واستماعه إليه في حديثه عن الإسلام حيث يقول: (وسأظل مديناً بالعرفان وبشكل لا حد له للمغفور له جلالة الملك فيصل^(١)) .

٥ - لقاءه مع رجل مسلم كان يتردد عليه قرابة سنة كاملة يقرأ عليه القرآن ويترجم له معانيه^(٢) .

ولما أراد الله له الهداية يسر له أسبابها؛ فأعلن إسلامه في الرياض عام ١٩٧٢م وزار المدينة المنورة ومكة المكرمة، ولم تكن هذه الزيارة هي الأولى للرياض فقد زارها في عامي ١٩٧٠م و١٩٧١م ، ثم تعلم اللغة العربية رغبة في إدراك المعاني الحقيقية لألفاظ القرآن الكريم^(٣) .

المطلب الثالث : القيمة العلمية لكتابه :-

١ - القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم

هذا الكتاب ألفه مؤلفه باللغة الفرنسية وطبع عام ١٩٧٨ م، ثم ترجم إلى اللغات الإنجليزية والأندونيسية والصربكرواتية ونشر بهذه اللغات في نفس العام، وفي عام ١٩٨٢م قامت دار المعارف المصرية بتعريبه ونشره، ولقد جاءت الترجمة العربية لهذا الكتاب في مائتين وتسعين صفحة من الحجم الكبير .

محتوى الكتاب : قسم المؤلف كتابه إلى خمسة أقسام: تحدث في القسم الأول عن العهد القديم وبين أصوله وتأريخ تدوينه، ثم قارن بين ما احتواه هذا العهد وبين ما توصل إليه العلم الحديث. وفي القسم الثاني بين علاقة النصرانية باليهودية وأفاض في الحديث عن الأناجيل موضعاً مصادرها وتأريخ تدوينها، ومقابلاً بينها وبين العلم الحديث، ثم ذكر عدداً من التناقضات التي اشتملت عليها هذه الأناجيل. وخصص القسم الثالث للحديث عن

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٢) هذا الرجل هو الذي حدثني بذلك مباشرة ، وهو ممن يوثق بحديثه، وهو الذي أخبرني ببعض التفاصيل عن حياته .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٤ ، وما أصل الإنسان ، ص ١٧٩ .

القرآن واتفاقه مع العلم الحديث. ثم قارن في القسم الرابع بين روايات القرآن والتوراة للأحداث والمواضيع المتشابهة واستنتج من هذه المقابلة أن كل روايات القرآن متفقة مع العلم، فيما حفلت روايات التوراة بمخالفات صارخة. وختم الكتاب بالقسم الخامس الذي قارن فيه بين القرآن والأحاديث النبوية والعلم .

هدفه : لم يفصح المؤلف عن هدفه من تأليف هذا الكتاب إفاصاحاً تاماً في مقدمة كتابه، ولعل مرد ذلك إلى وضوح الهدف من خلال عنوان الكتاب. ومن خلال استعراض هذا الكتاب أستطيع أن أقول : إنه حاول تحقيق الأهداف التالية : -

١ - المقارنة بين محتويات هذه الكتب الدينية فيما يتعلق بالخلق مع ما توصل إليه الإنسان من معارف حديثة، وبيان مدى الاتفاق والتعارض فيما بينها .

٢ - حاول المؤلف أن يرسم منهجاً سديداً لمن يأتي بعده، وهذا المنهج يعتمد على المقارنة والمقابلة الصحيحة بين كتب اليهودية والنصرانية والعلم؛ حتى يتبين أن هذه الكتب المتداولة اليوم تحتوي على مخالفات صريحة لا يقبلها العقل والمنطق، ولا يقرها العلم الصحيح، وأن القول بصحتها وهم لا يسنده دليل .

٣ - لمس من خلال حياته مدى العداوة والتعصب البغيض الشديد من قومه للإسلام والقرآن... وبعد دراسته للقرآن وجد أنه يحتوي على حقائق مذهلة ظل يجهلها سنين طويلة؛ فأراد بهذه الدراسة أن يرفع الغشاوة عن بني قومه، ويصحح التصور الخاطئ عن الإسلام والقرآن، ويؤمل أن يخفف هذا الكتاب من أوار هذه العداوة^(١).

منهجه : اعتمد في تدوينه لهذا الكتاب على محاور رئيسة هي :-

١ - درس هذه الكتب الدينية وقارن بينها وبين العلم الحديث من خلال نظرة عقلانية مجردة عن أي اعتقاد أو اقتناع مسبق .

٢ - الاستفادة من أبحاث من سبقه من ذوي الاختصاص في الكتب المقدسة، أو من المتضلعين بالعلوم التجريبية .

٣ - سلك سبيل المقارنة والمقابلة؛ لأن ذلك أقوى للحجة، وأوقع في النفس، وأدعى للقبول، ولأجل ذلك قابل بين كل من :-

أ - المقارنة بين مادحي وقادحي الكتاب المقدس ثم الإدلاء برأيه .

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩، ٣٨، ١٣٩ - ١٤٠ .

- ب - المقارنة بين روايات التوراة للحدث الواحد لتبيين تناقضها .
- ج - المقارنة بين روايات الأناجيل للحدث الواحد لتبيين تناقضها وتكاذبها .
- د - المقارنة بين رواية أحد الأناجيل لحادثة مهمة ومجاهلها لدى الآخرين .
- هـ - قارن بين أهداف تدوين الأناجيل وإثبت من خلال المقارنة أنها كتابات خصامية .
- و - المقارنة بين روايات التوراة للخلق واكتشافات العلم الحديث .
- ز - المقارنة بين روايات الأناجيل لأنساب المسيح عليه السلام وما توصل الإنسان إليه في هذا العصر .
- ح - المقارنة بين الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالخلق وما يؤيدها من نتائج العلم في هذا العصر .
- ط - المقارنة بين آيات القرآن الكريم وروايات التوراة للخلق ليظهر من ذلك اتفاق آيات القرآن مع العلم ومخالفة التوراة لذلك .
- ي - المقارنة بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .
- القيمة العلمية :
- ١ - إن هذا الكتاب من الكتب القلائل التي تعرف القارئ الغربي بالحقيقة المنصفة عن الإسلام، وتساهم بجهد مشكور في الذب عن حياضه بين قوم يحملون له الحقد والكراهية .
- ٢ - أن المؤلف من العلماء الرواد المختصين في هذا الفن - المقابلة والمقارنة - ومن المتمكنين في العلوم التطبيقية إذ هو طبيب على مستوى عال .
- ٣ - أن المؤلف عمل على المطابقة بين العلم وبين الكتب الدينية وخرج منها بنتيجة أن العلم الصحيح لا يختلف مع النقل الصريح .
- ٤ - أنه أثبت من خلال مقارنة التوراة والإنجيل مع ما أثبتته العلم الحديث أنها كتابات بشرية لا تمت إلى الوحي بصلة .
- ٥ - من خلال مقارنة القرآن الكريم بالعلم أثبت أن من المستحيل أن يكون هذا الكتاب كلام بشر .
- ٦ - أكد أن التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ليس لها وجود اليوم، وأن التوراة المتداولة كتبت بعد وفاته بعدة قرون .

٧ - أثبت أن الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام ليس له وجود اليوم، وأن الأناجيل المتداولة اليوم لم تكتب ممن شاهدوا الأحداث وعايينوها؛ وإنما كتبت بعد رفع المسيح عليه السلام بما يقارب مئة سنة .

المآخذ :

١ - أنه قدّم نتائج العلم والروايات التاريخية وما توصل إليه علماء الآثار فجعلها هي المقياس المعتمد وأخضع لها الكتب الدينية بما فيها القرآن الكريم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه جعل التوراة والإنجيل والقرآن في كفة واحدة ثم اتجه إليها بالنقد والتحليل والمقارنة والاستنتاج، متبعاً في ذلك منهج الشك، أي أنه لا يمكن أن يثبت أو يقبل أو ينفي منها شيئاً إلا إذا وجد ما يسانده ويؤيده من حقائق العلم وكشوفاته.

وهذا منهج لا ينبغي أن يُخضع له القرآن؛ لأنه كلام الله ووحيه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأن الله سبحانه وتعالى جعل الرد إليه عند التنازع والاختلاف، وهذا منهج يجعل الرد عند التنازع إلى العلم، وهذا تطاول على كتاب الله وتقدم عليه .
والمسلم يتفق مع المؤلف في كثير من الحقائق التي توصل إليها وأثبتها؛ لأن الحق ضالة المؤمن، لكننا ضد هذا المنهج، ولقد كان الأولى به أن يضع القرآن هو الأساس وهو الدليل ثم يقايس عليه فما وافقه قبله وأثبتته وما خالفه رده .

ولكن لعل له عذره في ذلك؛ لأن هذا المنهج كانت ولا تزال له السيادة في أوروبا إثر موقف الكنيسة من العلم الذي أحدث ردة فعل عنيفة في أوساط المشققين والمتعلمين وأجأهم - ببعدهم عن الحق - إلى اتباع منهج متحرر من أي اعتقاد أو فكرة مسبقة .

٢ - شبه مؤلفي كتب السنة بمؤلفي الأناجيل لأن كلا منهما دونت بعد انصراف صاحبها بعشرات السنين^(١). وتشبيهه خاطئ؛ لأن السنة نقلت بالسند الموثوق إلى الصحابي الجليل الذي شاهد الحدث وعايينه، وسمع اللفظ وحفظه .

٣ - ذكر المؤلف أن أولى الأحاديث كتبت بعد عشرات السنين من موت محمد صلى الله عليه وسلم^(٢). وهذا يخالف ما اشتهر من كتابة بعض الأحاديث في حياته صلى الله عليه وسلم كما في خبر الصحيفة التي كانت بيد علي رضي الله عنه، حيث ذكر البخاري خطبة

(١) انظر ص ١٠ .

(٢) انظر ، ص ١٠ ، ١٥٢ .

علي التي يذكر فيها هذه الصحيفة وهي قوله: (ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، وما في هذا الصحيفة فقال: فيها الجراحات وأسنان الإبل والمدينة حرم ما بين عبر إلى كذا^(١)).

٤ - يرى المؤلف أن السموات السبع تعني سموات متعددة وليست سموات محدودة بعدد؛ إذ يعتقد أن الإشارة إلى «سبع» دال على التعدد دلالة رمزية، وليس دالاً على تحديد عدد معين^(٢). وهذا الفهم يخالف صريح القرآن مخالفة واضحة، وتأمل قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم^(٣)).

٥ - قهَمَ من خطاب الله للسموات والأرض الوارد في قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين^(٤)) - أنه حوار رمزي مقصود به التعبير عن خضوع السموات والأرض للأوامر الإلهية بعد تشكلها. وهذا تأويل للفظ وصرف له عن ظاهره بغير دليل.

٦ - علق على قوله تعالى: (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) بقوله: (الواقع أن العسل مفيد في بعض الأمراض، ولا يشير القرآن في أي موضع آخر إلى أي فن تطبيب من أي نوع على العكس من كل ما قيل^(٥)) وهذا التضيق مصادم لآيات كثيرة منها - على سبيل الاستشهاد لا الحصر - قوله تعالى: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين^(٦)).

٧ - يرى أن المسيح عليه السلام يحتل المكانة الأولى بين كل الأنبياء^(٧). والصحيح أنه أحد أولي العزم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٨ - لما تحدث عن العذاب الذي أنزله الله على آل فرعون قال في ص ٢٥٧: (أما القرآن فهو يعد خمسة فقط من هذه الضربات، وليست في معظمها إلا مبالغة لظواهر طبيعية). وهذا تعد في الأسلوب، وتهوين لآيات الله.

(١) صحيح البخاري كتاب الجزية، باب ١٠.

(٢) انظر، ص ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٩.

(٤) انظر ص ١٦٠، والآية ١١ من سورة فصلت.

(٥) ص ٢١٩، والآية ٦٩ من سورة النحل.

(٦) سورة الإسراء، الآية ٨٢.

(٧) انظر ص ٢٤١.

٩ - قارن بين القرآن والحديث ليُظهر للقارئ أن القرآن وحي الله وكلامه ولا دخل للبشر فيه، وأن السنة النبوية - خاصة فيما يتعلق بالأمر الدنيوية - كلام بشري معرض للصواب والخطأ، ومن خلال هذه المقارنة درس عدداً من الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بالطب؛ وخرج منها بالنتيجة التالية : إن هذه الأحاديث لا تتفق مع المعارف العلمية الحديثة^(١). وهذا الكلام لا يستقيم لما يأتي : -

أولاً : أن هذه الأحاديث التي أخضعها لدراسته وردت في صحيح البخاري، وأباح لنفسه هذا الاستنتاج بحجة أنها ظنية الثبوت، إذ هي أخبار آحاد .

ثانياً : أن هذه الأحاديث مندرجة تحت قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى^(٢)) وقوله تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم^(٣))

٢ - ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة :-

هذا الكتاب ألفه مؤلفه باللغة الفرنسية، ونشرته مؤسسة سيغرز بباريس، وقام مكتب التربية العربي لدول الخليج بترجمته إلى اللغة العربية ونشره عام ١٤٠٦ هـ ، وجاءت هذه الترجمة في حدود ٢٤٠ صفحة من الحجم الكبير .

محتوى الكتاب : قسم المؤلف كتابه إلى خمسة فصول: تحدث في الفصل الأول عن التطور في مملكة الحيوان: المعطيات العلمية والفجوات الكائنة في معارفنا. وتناول في الفصل الثاني تطور الإنسان مقارناً بتطور كائنات حية أخرى. وتطرق في الفصل الثالث إلى أول إجابات الكتب المقدسة: التوراة والإنجيل فيما يتعلق بهذا الموضوع. وأورد في الفصل الرابع أصل الإنسان والتحويلات التي طرأت عليه وتناسله وفقاً للقرآن. وخصص الفصل الخامس للتوفيق بين الدين والعلم .

هدف الكتاب : حاول المؤلف عبر هذا الكتاب استجلاء أصل الإنسان من خلال الحقائق التي وردت عنه في القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والمعارف الحديثة بما فيها من اكتشافات علمية وأثرية، ومن ثم المقارنة فيما بينها؛ رغبة في إحقاق الحق وإظهار التوافق

(١) انظر ص ٢٧٥ - ٢٨٣ .

(٢) سورة النجم ، الآية ٣ - ٤ .

(٣) سورة النحل، الآية ٤٤ .

التام بين العلم الصحيح والنقل الصريح حيث يقول : (وقد نبئت فكرة هذا الكتاب من قناعتي بضرورة وجود مقارنة بين ماوصل إليه العلم وما جاء في الكتب المقدسة بشأن أمر بالغ الحساسية والأهمية ألا وهو أصل الإنسان؛ لأن ذلك سيجلي نقاطاً ظلت طويلاً قيد الغموض والإبهام. والأمل يحدوني في أن تظهر مناقشة الإجابات التي توصل إليها كلا المصدرين، إنه قد آن الأوان لزوال العدوات القديمة^(١) .

منهجه : إن الدارس لأي كتاب ما إما أن يجد المؤلف قد رسم منهجه وذكره فيستريح القارئ من عناء تتبع الكتاب لاستكشاف نهجه، وإما أن يترك المؤلف ذكر منهجه؛ فحينئذ يكون إحدى مهمات الدارس هي البحث عن المنهج الذي اتبعه، وقد تتبعته صفحات هذا الكتاب وحاولت جاهداً أن أبينه للقارئ، ويتلخص هذا المنهج في الخطوات التالية : —

١ — حاول المؤلف عبر هذا الكتاب التوصل إلى حقيقة « ما أصل الإنسان » من خلال إجابات الكتب الدينية والعلم الحديث، وقد تناول هذه القضية بعقل متجرد من أي اقتناع أو اعتقاد سابق .

٢ — النظرة العقلانية التي تتبنى الاستنباطات العلمية الحديثة حينما تصبح حقائق ثابتة بعد أن تتجاوز مجال الفرض والتخمين .

٣ — تعلم اللغة العربية؛ رغبة في التزود من المعلومات الهامة التي وردت في القرآن الكريم .

٤ — عدم التسرع عند التوصل إلى اكتشافات علمية لم يألفها، وافترض الخطأ فيما توصل إليه، ثم التشاور مع لبيب من المختصين في اللغة والتفسير من المسلمين وغير المسلمين؛ حتى يتبين له أن ما توصل إليه هو الحق .

٥ — المقارنة بين النصوص القرآنية التي تعالج موضوعاً واحداً؛ حتى يستطيع فهم المراد من هذه النصوص .

٦ — الاعتماد على الأدلة المحسوسة من نتائج الآثار والحفريات المتعلقة بالحيوانات والأشكال — التي يظنها قريبة من الإنسان — وعلى نتائج الأبحاث والمختبرات العملية .

٧ — الاعتماد على رأي من سبقه ممن يثق به من ذوي الاختصاص في العلوم التطبيقية .

٨ — الاهتمام بذوي الخبرات العلمية الواسعة، وتقدير نتاجهم العلمي وإفادته منه .

(١) ما أصل الإنسان ، ص ٢٣ .

- ٩ - عدم الاكتراث بالمعلومات المثيرة مالم يسندها البرهان الجلي .
١٠ - التأكد من دقة المعلومات التي ينوي مقارنتها، ثم المقارنة بينها من غير تحيز أو تعصب .

القيمة العلمية :

إن الموضوع الذي تناوله هذا المؤلف في كتابه على درجة من الخطورة، وعلى قدر عظيم من التعقيد والتشعب، ولا يستطيع متخصص في فن من الفنون البتّ فيه إلا من أوتي علماً شرعياً راسخاً، وعقيدة صافية لا تشوبها شائبة، واطلاعاً واسعاً على العلوم التجريبية. وقد اعترف المؤلف في كتابه أن الذين يمكنهم التحدث عن هذا الموضوع هم قلة قليلة جداً من المتخصصين حيث قال: (ولأن الموضوع الذي نحن بصدد مترامي الأطراف لدرجة أن الذين يمكنهم أن يمسكوا بمقاليد الأمور في كل مجال من مجالاته هم قلة قليلة جداً من المتخصصين؛ إذ يلزم لمن يعمل في هذا المجال أن تتوفر لهم الخبرة الواسعة والعلم الذي يستمد من دائرة واسعة من العلوم وأنظمة البحث^(١)) .

ولأجل ذلك فلست ممن لهم الحق في بيان القيمة العلمية لهذا الكتاب، أو تبيان المآخذ العلمية عليه؛ ولكن بما أن هذا المؤلف والكتاب ممن شملتهم هذه الدراسة المتواضعة فإنني سأجتهد في بيان ذلك على قدر الطاقة والوسع، وأستغفر ربي من التقصير والزلل فأقول:-

١ - إن هذا الكتاب تضمن أول بحث يقدم إلى الغرب عام ١٩٧٦م متناولاً فيه المؤلف الآيات القرآنية التي تحدثت عن وظائف الأعضاء وعلم الأجنة^(٢) .

٢ - تمكن المؤلف وببراعة من دحض كثير من النظريات والافتراضات الغربية الخاطئة التي لا تزال لها الهيمنة والاستمرار في مجال التربية والثقافة من أمثال نظرية التطور التي قال بها «داروين»، أو نظرية التحول التي قال بها «لامارك»، أو نظرية الصدفة والضرورة التي تولدت من فلسفات موغلة في القدم .

٣ - أثبت من خلال المقارنة بين العلم والقرآن - فيما يتعلق بأصل الإنسان - أن من المستحيل أن يكون هذا القرآن كلام بشر، وأن هناك اتفاقاً تاماً بين القرآن والاكتشافات

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢١ .

العلمية الحديثة .

٤ - المقارنة بين النسخ القديمة للتوراة وبين التفاوت العام بينها .

٥ - أثبت من خلال المقارنة بين التوراة ونتائج الاكتشافات العلمية الحديثة أن التوراة

المتداولة تحمل بين طياتها تناقضاً مع ما توصل إليه الإنسان في هذا العصر .

٦ - مما يرفع من قيمة هذا الكتاب أن المؤلف توصل من خلاله إلى نتائج هامة يصفها

بأنها مذهلة .

٧ - يعتبر هذا الكتاب محاولة جادة لرأب الصدع الناتج من الصراع بين العلم والدين في

الغرب، ولقد أكد على أنه لا تعارض بين العلم الصحيح والنقل الصحيح، كما أن المؤلف

أمل من خلاله أن يعيد العلماء والباحثون النظر في العقائد الصحيحة التي لا تتعارض مع

العلم .

المآخذ

اسلقت القول أنني لست متخصصاً في هذا الفن حتى استطيع نقد هذا الكتاب نقداً

تاماً، ولكن تبين لي بعض المآخذ التي أأمل أن أكون موفقاً فيها ولعل له عذره فيها بسبب

عدم تخصصه في هذا الفن؛ إذ الخوض في غماره يحتاج إلى توافر عدد غير يسير من

المختصين في علوم شتى كما صرح بذلك، ثم هو مجتهد فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ

فله أجر واحد .

أما المآخذ التي تؤخذ على هذا الكتاب فلعل من أبرزها : -

١ - القول بالتطور في المملكة الحيوانية، وهذا التطور يتمثل في إطارين هما : التقدم

إلى الأمام، والنكوص أو الارتداد إلى الوراء^(١). وهذا الزعم منه خلاف زعم «داروين»؛ إذ

يرى هذا المهتدي أن التطور يتم داخل السلالة الواحدة عبر الخلايا الوراثة، ولا يتعداها

إلى غيرها، وهذا التطور يتم وفق إرادة الله ومشيئته، وهذا الرأي يخالف صريح القرآن قال

تعالى: (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون^(٢)) وقوله تعالى: (وأنه خلق الزوجين

(١) انظر ص ٣٣ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٧١ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .

٢٢٣ - ٢٢٥ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٤٩ .

الذكر والأنثى^(١)) وقال تعالى موضحاً أصل الخلقة وأنواعها: (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير^(٢)) وقال تعالى: (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى^(٣)) وقال تعالى: (والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون^(٤)) .

٢ - يعتقد المؤلف أن أول الخليقة البشرية هو آدم عليه السلام، ولكنه يرى أن البشرية بعده مرت بثلاث أو أربع مراحل، وكل مرحلة تعتبر أكثر تطوراً من التي قبلها، واعتمد في ذلك على نتائج بعض الآثار التي اكتشفت فيها هياكل شبه بشرية، واعتقد الباحثون أن هذه الهياكل هي الأسلاف الأولى للبشرية، وبالمقارنة بينها وجد أن هذه الهياكل بعضها متفوق على بعض، ثم تمت المقارنة بينها وبين الإنسان فتبين أنه متفوق عليها^(٥) .

وهذا - كما تراه - زعم لا يسنده إلا هذا الدليل الواهي، هذا فضلاً عن أنه مبني على أن البشرية تتقدم إلى الأحسن، وهذا مخالف لما جاءت به الأحاديث الصحيحة الصريحة في هذا القضية؛ لأن البشرية منذ آدم وهي في نقص مستمر، وتأمل ما أخبرنا به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من صفة آدم ثم قارنه بما تعهد من حال البشرية اليوم؛ تجد البون شاسعاً والفرق واضحاً قال صلى الله عليه وسلم: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ... إلى أن قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن^(٦)) .

٣ - قدر المؤلف متوسط الجيل الإنساني بخمس وعشرين سنة ثم جعله ميزاناً يزن به جميع المعلومات الواردة في التوراة والإنجيل مما يتعلق بالأعمار البشرية^(٧). وهذا المقياس لا ينطبق على كل الأجيال البشرية؛ إذ هو تقدير خاطئ أوصله إلى نتائج خاطئة، وجره إلى استنتاجات غير موفقة .

(١) سورة النجم ، الآية ٤٥ .

(٢) سورة النور، الآية ٤٥ .

(٣) سورة طه ، الآية ٥٠ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية ١٢ .

(٥) انظر ص ١٠١ - ١١٦ .

(٦) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الأنبياء ، باب ١ ، ومسلم في صحيحه كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها

وأهلها ، حديث ٢٨ .

(٧) انظر ص ١٧٢ .

كما أنه لأجل هذا المقياس الذي نصبه لم يستسغ ما ذكرته التوراة من طول أعمار أوائل البشر ووصفه بأنه : بعيد عن التصديق... وغير معتاد^(١). وهذا الأمر متفق مع ما جاء في القرآن الكريم؛ فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن نوحاً لبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً^(٢).

٤ - تزعم كثير من الدراسات المعاصرة - بما فيها هذا الكتاب الذي بين أيدينا - أن الإنسان في بداية وجوده على هذه الأرض كان يعيش حياة بدائية لا يعلم فيها شيئاً، وإنما اكتسب خبراته ومعارفه من خلال البيئة التي عاش فيها، ومن خلال الممارسة والتجربة والحاجة^(٣).

وهذا الكلام لا يصح على الإطلاق؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم عليه السلام علمه كل الأسماء كما قال تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين^(٤)) وهذا التعليم ينفي عنه البدائية التي يوصف بها، ويمده بمعين لا ينضب من العلم والمعرفة .

٥ - تناول المؤلف في كتابه هذا قضية : ما أصل الإنسان إجابات العلم والكتب المقدسة ومن بين هذه الكتب القرآن الكريم - وقد درس الحقائق الواردة فيها بعقل متجرد من أي اعتقاد أو اقتناع سابق^(٥). وهذا منهج لا يجوز اتباعه إزاء القرآن الكريم؛ إذ هو وحي الله وكلامه الذي يجب على المسلم التسليم له، والاعتقاد به، والقبول لما جاء فيه، والتصديق بخبره، سواء وجد في عالم الماديات والمحسوسات ما يؤيده، أم عجز عن وجود ما يؤيده .

٦ - فهم من قوله تعالى: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً) أن المراد من كلمة « بشراً » آدم^(٦). والصحيح أن المراد من قوله « بشراً » سائر البشر سوى آدم عليه السلام؛ لأن آدم عليه السلام خلق من سلالة من طين، وخلق سائر البشر من ماء مهين.

٧ - يرى المؤلف أن البشرية تدرجت في أطوار أو مراحل قبل أن تصل إلى الإنسان في

(١) انظر ص ١٧٠ .

(٢) انظر سورة العنكبوت ، الآية ١٤ .

(٣) انظر ص ١١٠ وما بعدها .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣١ .

(٥) انظر ص ١٩ .

(٦) انظر ص ١٩٤ - ١٩٥ ، والآية ٥٤ من سورة الفرقان .

وضعه الحالي - كما عبر بذلك - ثم لما أراد أن يقارن بين محتويات القرآن فيما يتعلق بخلق الإنسان وما توصل إليه العلم الحديث - استدل بقوله تعالى: (وقد خلقكم أطواراً^(١)) و استشف من خلو السورة من ذكر المراحل الخاصة بنمو الجنين أن الآية دالة على الأطوار أو المراحل البشرية. وهذه الآية خطاب تقريرى إنكارى من نوح لقومه لتقرير ما يرونه ويعرفونه، ولا دلالة فيها على رأيه .

٨ - قال في ص ٢٠٤ : (وقد اعتقد المفسرون الأوائل أن كلمة « أمشاج » تعني سائل التذكير وسائل التأنيث، كما لو كانت الأنثى قد انتجت سائلاً أدى دوراً في التناسل. هذا التفسير يتعذر الدفاع عنه) .

وهذا الأمر الذي نفاه جاء مؤكداً في القرآن الكريم حيث قال تعالى : (فلينظر الإنسان مما خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب^(٢)) ووردت فيه أحاديث صحيحة صريحة تؤكد منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: (بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شئ ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شئ ينزع إلى أخواله؟؟ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ... وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقتها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها. قال: أشهد أنك رسول الله^(٣)) .

ومنها ما أخرجه البخاري عن أم سلمة أن أم سليم قالت: يارسول الله ! إن الله لا يستحي من الحق! فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت. قال: نعم إذا رأت الماء. فضحكت أم سلمة فقالت: تحتلم المرأة؟؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يشبه الولد^(٤)) .

٩ - لما ذكر العوامل التي ساعدت على حفظ كتاب الله من التحريف والتغيير لم يذكر منها حفظ الله له^(٥) . وحفظ الله له هو أعظم العوامل التي حفظت هذا الكتاب .

(١) سورة نوح ، الآية ١٤ ، وانظر ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) سورة الطارق ، الآية ٥-٧ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ، باب ١ ، وأخرج الإمام مسلم حديثاً مقارناً له في الدلالة في كتاب الحيض ، حديث ٣٤ .

(٤) كتاب الأنبياء ، باب ١ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحيض ، حديث ٣٠ .

(٥) انظر ص ١٨١ .

١٠ - كثيرة هي العبارات المخالفة أو المحتملة في هذا الكتاب التي لم أورد الإحاطة بها من مثل قوله : تحكمت في مجرى حياة الأحياء. وقوله عن أحد الكفار : المعصوم عن الخطأ^(١). ولعل مرد ذلك إلى حداثة عهده بالإسلام، ووجوده في بيئة جاهلية لا تقيم لمثل هذه الألفاظ وزناً .

(١) انظر ص ١١٧ .

الباب الثاني

القضايا التي درسها المهتمون في كتبهم
ويشتمل على الفصول التالية:-

- ١ - التوحيد .
- ٢ - إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٣ - تحريف التوراة والإنجيل .

مقدمة:-

يتضمن هذا الباب ثلاث قضايا هي :-

١ - التوحيد .

٢ - إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ - تحريف التوراة والإنجيل .

وهذه القضايا الثلاث هي محل النزاع بين الإسلام وأهل الكتاب ، وقد اخترت هذه

القضايا لعدة أسباب هي :

١ - أنني إذا أقمت الحجة ، وبينت أن الحق فيها في الكفة الإسلامية من خلال الأدلة التي أقامها هؤلاء المهتدون ، فقد هدم دين أهل الكتاب المحرف بكامله، إذ هي أساسه وقاعدته، فإذا أقيمت الحجة على وحدانية الله وألوهيته وربوبيته، وأنه له الخلق والأمر - بطل اتكاء أهل الكتاب على الآلهة التي ينصبونها لهم، ويوزعون عليها الوظائف والاختصاصات ، وسقطت هيمنة الأحرار والرهبان بسقوط هذه الآلهة المزعومة .

٢ - إذا ثبت بالحجج العقلية والنقلية القطعية ثبوت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه مثل موسى وعيسى من حيث كونها آية باقية ومعجزة خالدة إلى يوم القيامة، وأن الآيات التي برهن بها على نبوته أعظم من الآيات التي جاء بها موسى وعيسى ، وأن الوسائل التي من خلالها نقلت إلينا رسالته أعظم من الوسائل التي نقلت بها رسالة غيره ، فلم تبق أمام المنصف حجة ولا شبهة، فلا يسعه إلا اتباعه صلى الله عليه وسلم ، أما من تكبر وطفى فله نار تطفى .

٣ - أثبت هؤلاء المهتدون أن التوراة والإنجيل دخلهما التحريف والتبديل، بل إن أصولهما الأولى التي أنزلها الله على موسى وعيسى مفقودة ، وبهذا الإثبات تسقط وتتهافت عدة قواعد رئيسة في دين أهل الكتاب ؛ لأنه الأساس الذي بنيت عليه هذه العقيدة أو تلك . فإذا نصبت البراهين على تحريف كتابهم الذي تضمن تلك العقائد المخالفة للإسلام، وأوضحنا ثبوت وحدانية الله ، وإنكار ما سواه من الآلهة ، وتأكدت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق أمام مرید الحق إلا اتباعه ، واقتفاء أثره ، والسير في ركابه. وبعد هذه المقدمة فإلى القضية الأولى من هذه القضايا الثلاث .

الفصل الأول

التوحيد

ويشتمل على المباحث التالية: -

- ١ - التوحيد أساس الرسالات الإلهية.
- ٢ - نفي ألوهية المسيح .
- ٣ - نفي بنوة المسيح عليه السلام لله عز وجل .
- ٤ - نفي اتحاد اللاهوت بالناسوت .
- ٥ - نقض التثليث .
- ٦ - نفي صلب المسيح تكفيراً عن الخطيئة الموروثة .
- ٧ - انحراف أهل الكتاب عن دينهم .

المبحث الأول : التوحيد أساس الرسالات الإلهية

خلق الله الخلق لعبادته وتوحيده، قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون^(١)). وأرسل الرسل وأنزل الكتب ؛ لتحقيق هذه الغاية . فكانت دعوة كل نبي لقومه أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . قالها نوح لقومه : (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)^(٢) . ووصى بها إبراهيم بنيه فقال تعالى : (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)^(٣) . فالتوحيد هو دعوة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد دعا هود عليه السلام قومه إلى التوحيد فقال : (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)^(٤) . وقال صالح عليه السلام : (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)^(٥) . وقال شعيب عليه السلام : (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)^(٦) . وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)^(٧) .

وهذا المبدأ من أجله أخذ الله الميثاق على كافة البشر في عالم الذر، فقال تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)^(٨) . وإقراراً للعدل أشهد الله على هذا

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٢ .

(٤) سورة هود ، الآية ٥٠ .

(٥) سورة هود ، الآية ٦١ .

(٦) سورة هود ، الآية ٨٤ .

(٧) سورة الأنعام ، الآية ١٦٢ .

(٨) سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

الأمر نفسه وملاكتته وألوا العلم حيث قال : (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وألوا العلم قائماً بالقسط)^(١)

ولأجل هذا المبدأ أبيدت أمم ، ودمرت عروش ، وأزيلت امبراطوريات ، ومحيت عن وجه الأرض حضارات .

وهؤلاء المهتدون أكدوا في أبحاثهم ودراساتهم هذا الجانب ، وأنه أساس الرسالات السماوية السابقة ، وألقموا أقوامهم من الحجج أحجاراً تبطل ما زعموا من كفر ووثنية وشرك^(٢) .

فهذا المهتدي عبد الأحد داود يذكّر بني قومه النصرى بأنهم مالم يؤمنوا بوحداية الله المطلقة ، وينبذوا الإيمان بالأشخاص الثلاثة ؛ فإنهم يكفرون قطعاً بالإله الحقيقي^(٣) . ويؤكد المهتدي محمد مجدي مرجان أن (التوحيد هو لباب الدين وقاعدته ، وهو المضمون الحى لكل كتاب وكل دعوة ، وهو الهتاف الدائم لكل نبي وكل رسول ، منذ أول داع إلى الله حتى خاتم الأنبياء والمرسلين)^(٤) . ثم ينشئ على النصرى يقرّعهم بالحجج من كتابهم ، مبيناً أن رسالة المسيح الحقيقية هي وحداية الله ، وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته ، وعدم الإشراف به ، إذ يقول المسيح لربه : (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك)^(٥) . ولا يكتفي بالأدلة النقلية بل يقيم لهم الأدلة العقلية ، ومنها أنه لو كان لهذا الكون أكثر من إله لكان ذلك نذيراً بالقضاء عليه وعلى ما فيه (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)^(٦) ، وختم هذا المبحث المتعلق بالوحداية بأن التوحيد الخالص هو دين الإسلام

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨ .

(٢) لن استكثر من الإستشهاد في هذا المطلب ؛ رغبة في الإيجاز ، لأن كل دليل يقدم في المطالب والمباحث التالية فنتيجته إقرار الوحداية ، وأنها أساس الرسالات الإلهية.

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ .

(٤) الله واحد أم ثالث ؟ ، ص ١٤٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٨ . سألتزم في هذا البحث أن أورد نصوص التوراة والإنجيل حسب ما وردت في كتابات هؤلاء دون أن أتدخل فيها ، وإن رأيت أن الحاجة ماسة إلى إحالة أو ما شابه ذلك ، فسأكتفي بالإحالة إلى موقع النص في الطبقات الجديدة للتوراة والإنجيل ؛ وهدفي من ذلك أن من هذه النصوص التي استدلوها بها نصوصاً ترجع إلى مئات السنين ، وقد سلمت من التحريف المستجد بعد تدوينها ، فوجب أن يطلع عليها القارىء كما كتبها أصحابها .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

وشريعته^(١).

وبعد أن تبين أن أساس الرسائل الإلهية هو التوحيد ، فسأبين في المبحث التالي سبب ضلال النصارى في اتخاذهم المسيح إلهاً، مع ذكر الأدلة اللازمة لنفي هذه الدعوى وتفنيدها فإلى المبحث الثاني .

(١) انظر كتاب الله واحد أم ثلوث؟ ، ص ١٥٣ .

المبحث الثاني : نفي ألوهية المسيح عليه السلام

قبل أن أورد الأدلة النقلية والعقلية التي تدل على عدم ألوهية المسيح عليه السلام ، وقبل أن أنقض الأدلة التي استند عليها النصارى في هذه الدعوى ، يحسن أن أبين الأسباب التي أدت بهم إلى هذا الاعتقاد الفاسد والضلال المبين .

المطلب الأول ، سبب ضلال النصارى في ذلك . -

لا يعدم الباحث أن يتعرف على الأسباب التي أدت إلى هذا الضلال ، فمنها ما يرجع إلى غلظ قلوب بني إسرائيل ، ومنها ما يرجع إلى التحريف المدفوع بالهوى والشبهة لترجمات الأنجيل ، وهذه الأسباب هي :-

١ عرفنا من القرآن الكريم بعض الخصائص النفسية لبني إسرائيل كالتكذيب بالحق ، ونقض العهد والميثاق ، وقتل الأنبياء ، ورد المعجزات الباهرة، والإيمان بما يخالف العقل والفطرة كالإيمان بالعجل... ولحكم أرادها الله سبحانه وتعالى خلق المسيح على غير ما ألقته البشرية في التناسل البشري ، إذ ولد لأم بلا أب (فبدل أن تكون هذه المعجزة توجيهها حسياً إلى قدرة الله عز وجل ، ودليلاً على عظمة الخالق وقدرته ، كانت وبالاً عليهم ؛ بأن زين لهم الهوى إيجاد تفسيرات وتأويلات ، في بحرهما نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فألت عقائدهم إلى ما آلت إليه)^(١).

٢ . استحفظ الله بني إسرائيل التوراة والإنجيل فضيعوا، وحرفوا وبدلوا، وترجمت التوراة والإنجيل إلى لغات كثيرة ، فتعددت النقلة ، وتعددت المترجمون، ومع ضياع الدين والتشبع بالهوى ، والرغبة في نصر الباطل ، وستره بما يشبه لباس الحق . عبث المترجمون بهذه الكتب ؛ تحقيقاً للدوافع السابقة ، فأدى ذلك إلى ضلال كثير ، وسبب ضلالهم في هذا الأمر بالذات هي بعض عبارات سامية وآرامية نقلت إلى اللغة اليونانية وغيرها من اللغات ؛ فطمست معالم الحق وأبدلت التوحيد شركاً ، وإسلام المسيحية كفرة . ومن هذه

(١) سر إسلامي ، ص ٥٦ . وانظر المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

الألفاظ لفظة « أب » ومعناها الله ، فلما نقلت إلى اللغة العربية بلفظها أصبح معناها والد . واللفظة الأخرى هي « ربي » بكسر الراء ، ومعناها باللغة الآرامية المعلم ، ولما نقلت إلى العربية بفتح الراء أصبحت بمعنى « إلهي » ولكن التوراة والإنجيل تفندان هذا الزعم المغرق في الضلال ، فقد ورد فيها بعض ألفاظ مشتركة كـ« الرب » فإنها تقع على الله، وتقع على البشر ، وكذلك ورد في الإنجيل تفسير كلمة « ربي » وأنها بمعنى معلم، ففي إنجيل يوحنا الإصحاح الأول قوله : (فسمعه التلميذان يتكلم فتبعوا يسوع، فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان، فقال: ماذا تطلبان؟ فقالا: ربي. الذي تفسيره : يا معلم أين تمكث^(١)).

وقد جاء في القرآن الكريم أن بني إسرائيل كانت تطلق لفظة « الرب » على الملوك والسادة قال تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام أنه قال:(أرباب متفرقون خير أم الله^(٢)) وقال أيضاً : (أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك^(٣))

وبعد أن عرفنا سبب الضلال فيجدر أن نبين الأدلة التي نقضوا بها هذه الدعوى ، وهو ما سأورده في المطلب الثاني وما بعده .

المطلب الثاني ، الأدلة النقية التي استدل بها هؤلاء المهتدون من كلام المسيح عليه السلام على نفي ألوهيته . -

بثاقب خبرتهم بما انطوى عليه الكتاب المقدس من نصوص تفند دعاوى النصارى المتهافتة، شمروا عن سواعد الجد، يقدمون الدليل تلو الدليل، والبرهان يسنده البرهان ، والحجة تؤيدها الحجة، وحشدوا من النصوص ما فيه الكفاية لبيان الحق ، وإزهاق الباطل؛ يرجون ثواب الله ، ويأملون هداية بني قومهم إلى الحق ، ويؤكدون أن ما اهتموا إليه هو الصراط

(١) سر إسلامي ، ص ٥٨ - ٥٩ . وانظر الإنجيل والصليب ، ص ١١٤ - ١١٥ . والدين والدولة ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

والمسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٩ .

(٣) سورة يوسف . الآية ٤١ ، ٤٢ .

المستقيم ، وهذه الأدلة هي ^(١) .:

الدليل الأول : قول متى في إنجيله (هذا كتاب نسب المسيح هو ابن داود بن إبراهيم) بهذا النص استدل الترجمان على عدم ألوهيته ، وأن تضمين الإنجيل هذا النسب هو اعتراف ببشرية المسيح ، وأنه مولود تناسل من ذرية داود ، وكل من ثبت تناسله من الآدميين فهو بلا شك آدمي؛ لأن الله لم يلد ولم يولد ، وكل ما سواه محدث ^(٢) .

الدليل الثاني : قول الملك لريم في إنجيل لوقا : (ويعطيه الله كرسي أبيه داود ، ويكون ملكاً على آل يعقوب إلى الأبد) استدل بهذا النص المتطبيب واستخرج منه دلالات على بشريته منها: أننا لم نر الملك قال لها : إن الذي تلدين هو الخالق ، هو الرب. كما اسمته بذلك النصراني. ومنها أنه قال : ويكون ملكاً على آل يعقوب . ولم يقل ملكاً على السموات والأرض ^(٣) . كما يستفاد منه أيضاً أن غاية ما وعد به الملك أمه . بالإضافة للرسالة . أن يحظى بكرسي داود ، ولو كان إلهاً لما عدّ هذا الحصول على هذا العرش مما يبشر به .

الدليل الثالث : استشهد المتطبيب بقول المسيح : (إن الله تبارك وتعالى لم يلد ولم يولد ، ولم يأكل ، ولم يشرب ، ولم ينم ، ولم يره أحد من خلقه ، ولا رآه أحد إلا مات). ويمثل هذا النص أو قريب منه استشهد المهتدي محمد مرجان بقول بولس عن المسيح : (إن الله هو غير المنظور. إن الله لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه) - على الحقيقة التي تسلّم بها كل فطرة سليمة ، ويستسلم لها كل عقل صحيح، وهي أن الله لم يلد ولم يولد ، ولم يأكل ولم يشرب ، ولم يره أحد من خلقه . ^(٤)

الدليل الرابع : قول المسيح الذي حكاه يوحنا في إنجيله : (إنني لو كنت أنا أشهد لنفسي على صحة دعواي ؛ لكانت شهادتي باطلة ، لكن غيري يشهد لي، وأنا الشاهد

(١) ليست الأدلة المقدمة في هذه المباحث هي كل ما لديهم ، كما أنها ليست هي كل الأدلة التي يتطلبها المقام ؛ إذ كثيراً ما يكتفون ببعض الأدلة والشواهد معولين على الاختصار، وعلى أن طالب الحقيقة تكفيه أسير الأدلة ، أما المعاند والجاحد فلن تقنعه آلاف الحجج والبراهين .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٨٥ - ١٨٨ .

(٣) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، ص ٨٨ .

(٤) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ . و المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٧٦ - ١٧٨ .

لنفسى أيضاً، ويشهد لي أبى الذى أرسلنى)^(١). صدقت عليك السلام. لم تكن أنت الشاهد لنفسك ، بل الله يشهد لك بقوله فى محكم تنزيله : (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلت له فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)^(٢). ورسول الله يشهد لك بقوله: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة. قالوا كيف؟ يا رسول الله ! قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهاهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي)^(٣). ونحن نشهد لك بشهادة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

الدليل الخامس : ما جاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح السابع (فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلاً تعرفونى وتعرفون من أين أنا ، ومن نفسى لم آت . بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه) بهذا النص استدل الهاشمى على نفي ألوهية المسيح^(٤). ففى الدليل السابق اعترف أن الله هو الذى يشهد له ، وفى هذا اعترف أن الله هو الذى أرسله ، وأن اليهود تعرف هذا ، وتعرف من أين أتى ، وأنه بشر ابن بشر ، وأنه مرسل من ربه ؛ لكن اليهود لا يعرفون ربه ، ولا يريدون أن يعرفوه (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء)^(٥).

الدليل السادس : قول متى فى إنجيله فى الإصحاح السابع عشر : (أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى ، وأن يسوع المسيح الذى أرسلته) . استدل بهذا النص كل من النجار والهاشمى ومرجان^(٦) ففى هذا الشاهد ترجع الأمور إلى حقيقتها، فهو اعتراف لله بالألوهية ، وإقرار من المسيح بوظيفته الرسالية ، وماهيته البشرية، وأنه بشر مرسل من ربه ، فلم يدع لنفسه مرتبة أعلى من مرتبته .

(١) النصيحة الإيمانية ، ص ١١٠ . وانظر تحفة الأريب ، ص ١٢٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) رواه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل ، حديث ١٤٥ .

(٤) انظر سر إسلامي ، ص ٦١ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ٩١ .

(٦) انظر المنارات الساطعة ، ص ٤٢ . وسر إسلامي ، ص ٦١ . وكتاب الله واحد أم ثلوث ؟ ، ص ١٣٨ .

الدليل السابع : قول مرقس في إنجيله في الإصحاح الثاني عشر : (سأله) أي سأل أحد التلاميذ المسيح) أي وصية هي أول الكل ؟ فأجابه إن أول الوصايا هي : أسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب من كل قلبك ، ومن كل نفسك ...) استشهد بهذا النص النجار و الهاشمي ^(١) . وفيه تتجلى حقيقة دعوة المسيح عليه السلام إلى الوحدة واعترافه بها ، وجعلها أول الوصايا ، كما هي أول أولويات دعوات الرسل صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين .

الدليل الثامن : قول يوحنا في آخر إنجيله : (إن عيسى قال للحواريين إنني ذاهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم) استدل بهذا النص كل من المتطبيب والترجمان . وفسر المتطبيب معنى أبي وأبيكم : بالمالك لي ولكم ؛ لأنه اصطلاح ذلك الزمان، ورد على من زعم أنه أبوه من هذا الباب: بأنه يلزمكم أن يكون أباكم أيضا ؛ لأنه قال : وأبي وأبيكم . وما ينفي هذا الزعم أنه صرح بعده بما ينفي كل شبهة عن هذا النص وهو قوله: وإلهي وإلهكم . فلم يبق لنفسه في دعوى الألوهية شيئا ^(٢) .

الدليل التاسع : قول يوحنا في إنجيله الإصحاح السابع عشر : (كما بعثني أبي أبعثكم) استدل بهذا النص المتطبيب على أن المسيح قد اعترف بأنه عبد مألوه مريوب مبتعث من قبل الله ، لا يستطيع أن يفعل من قبل نفسه شيئا ، إلا ما أقدره الله عليه وأمره به ^(٣) .

الدليل العاشر : قول متى في إنجيله في الإصحاح السابع : (كل من قبلكم فقد قبلني وآواني ، وكل من قبلني فإنما قبل من أرسلني) استدل بهذا النص كل من المتطبيب والترجمان والهاشمي ^(٤) . وهذا النص يؤيد الاستنباط من الدليل السابق ؛ فهو يوضح حقيقة المسيح عليه السلام، وأنه عبد ورسول ، وأن سبيله مع ربه كسبيل سائر الأنبياء والمرسلين، وأن المتأمل لهذا النص يأخذه العجب كل مأخذ من قوم اعتقدوا فيه هذا الاعتقاد، مع ما في النص من الدلالة على بشريته وعدم ألوهيته ؛ فلو كان إلهاً لكان له الخلق والأمر والقهر ، وأيضاً لو كان إلهاً لما احتاج إلى من يؤبه .

الدليل الحادي عشر : قول يوحنا في إنجيله في الإصحاح الخامس : (إن عيسى هو قال

(١) انظر المنارات الساطعة ، ص ٤٣ . سر إسلامي ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٨٨ ، ١٢٩ . وتحفة الأريب ، ص ١٩٣ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٩ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٠٩ . وتحفة الأريب ، ص ١٩٤ . سر إسلامي ، ص ٦١ - ٦٢ .

لليهود من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني يدخل الجنة) استدل بهذا النص الترجمان^(١) ويتأمل ما دعا إليه المسيح نجد أنه نسب الكلام إلى نفسه ؛ لأنه مبلغه ، وطلب منهم الإيمان بالذي أرسله، فلو كان إلهاً لساوى بين الأمرين الكلام والإيمان. وطلب منهم سماع كلامه والإيمان به فقط دون الإيمان بمن أرسله .

الدليل الثاني عشر :قول يوحنا في إنجيله عن المسيح أنه قال : (إن كلامي الذي تسمعون هو كلام الذي أرسلني) استدل بهذا النص المتطبيب^(٢). ولا تعارض مع الدليل السابق؛ لأن السمع المقصود في الدليل السابق هو الطاعة . فكأنه يقول: من يسمع كلامي ويطع الله الذي أرسلني يدخل الجنة ، لأنني لا أتحدث بكلامي بل بكلام الذي أرسلني ، فأنا لا أتحدث من تلقاء نفسي بل أقرأ عليكم كلام الله وأدعوكم إليه .

الدليل الثالث عشر : قول يوحنا في إنجيله : (وقال المسيح لبني إسرائيل تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله) استدل بهذا النص المتطبيب^(٣). ففي هذا النص ما يعزز ما ذهب إليه في الدليل السابق . كما أن فيه دلالات على عدم ألوهيته فمنها: أنه يخاف اليهود الذين يريدون قتله ، ويتقدم لهم بالحجج التي تدفع عنه القتل ، وهي أنه لم يأت بشيء من عنده ، وأنه لم يقل إلا الحق. ومن هذه الدلالات أنه غير الله فهو يقول سمعت الله يقوله، ومنها أيضاً أنه لم يقل كيف تريدون قتلي وأنا إلهكم القادر على كذا وكذا؟؟ .

الدليل الرابع عشر : قول يوحنا في إنجيله الإصحاح الثالث : (المولود من جسد هو جسد) استدل بهذا النص الهاشمي على بشرية المسيح^(٤). وفي هذا النص دلالة قاطعة على ذلك ؛ فالمولود من امرأة لها جسد فهو جسد ، وهذا ينفي عنه الألوهية ، ويشبث له البشرية ؛ لأن الجسد من صفات البشر وسائر المخلوقات المحدثات . وهذا من باب الإلزام ؛ وإلا فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، كما لا ينفي عنه إلا ما نفاه عن نفسه، مع علمنا يقيناً أنه موصوف بصفات الكمال والجلال، وأنه منزّه عن جميع العيوب والنقائص، وأنه لا يشبه شيئاً من خلقه

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ١٢٥ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١١٠ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٤) انظر سر إسلامي ، ص ٦٤ .

الدليل الخامس عشر: قول لوقا في آخر إنجيله: (إن المسيح قام من قبره ودخل على الحواريين وهم مجتمعون في غرفة قد أغلقوا بابها ، فلما دخل عليهم ارتاعوا منه وظنوه من أرواح الملائكة أو الجن، فلما علم المسيح ذلك منهم قال : يا هؤلاء جسوني واعلموا أن الإرواح الروحانية ليس لهم لحم ولا عظم مثل ما تجدون في جسدي^(١)) استدل الترجمان بهذا النص على أن المسيح - باعترافه - مركب من لحم وعظم ومادة حيوانية، وتبرأ من الألوهية.^(٢)

الدليل السادس عشر: قول يوحنا في إنجيله: (إنكم متى دفعتم ابن البشر ، فحينئذ تعلمون أنني أنا هو ، وشيء من نفسي لا أفعل ، لكن كل شيء أعمله هو من الذي علمني أبي) استدل المتطبيب بهذا النص على بشرية المسيح ونفي ألوهيته^(٣) . وأستنتج من هذا النص الدلالات التالية فمنها : أنه قال متى دفعتم . فبيّن أن باستطاعتهم دفعه، وعدم الاستجابة له ، ومنها اعترافه أنه ابن البشر ، وليس كما زعموا إلهاً أو ابن إله. ومنها أنه بين أن كل ما يفعله ويأمر به فليس من قبل نفسه ، ولكن كل ما يعلمه ويعمله ويأمر به فالله هو الذي علمه إياه وأمره به . وهذا المعنى مؤكد في الأدلة السابقة .

الدليل السابع عشر: قول برنابا في إنجيله: (إنني أشهد أمام السماء، وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ما قال الناس عني من أنني أعظم من بشر؛ لأنني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر^(٤)) ففي هذا النص يعلن المسيح العبودية لله ويؤكدها بشهادته أمام الله، ثم يتبع ذلك بأن يُشهد كل ساكن على الأرض بأنه بريء من أي وصف يرفعه فوق منزلته، بل يتبرأ ممن وصفه بأنه أعظم من بشر، ويعلل هذا بأنه مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، وأنه يعيش كسائر البشر، صدقت فأنت عبد الله ورسوله كسائر إخوتك الأنبياء، قال تعالى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون

(١) علق المهتدي الترجمان بعد استشهاد بهذا النص بقوله: (وإن كان هذا النص باطل فإنا نكذبهم في كون عيسى قتل ودفن وقام من قبره بعد الدفن . وإنا هو من اختلاق أوائل النصاري) . وهدفه من إيراد هذا النص إبطال حججهم بنص كتابهم . تحفة الأريب ، ص ١٩٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، ص ١٠٩ .

(٤) المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

الطعام ويمشون في الأسواق^(١)) وقال عن عيسى وأمه عليهما السلام : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام^(٢)) .

الدليل الثامن عشر : قول لوقا في إنجيله : (أنتم المقيمون معي في آلامي ، فإني أعدكم كما وعدني أبي لتأكلوا وتشربوا معي على مائدتي في ملكوتي) استدلل بهذا النص المتطبيب وقال : (فبيّن أن الله وعده أن يجعله في ملكوت السماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدة ، وهذا مالا يسعكم فيه الشك)^(٣) . يستنبط من هذا النص البراهين التالية على بشريته وهي : أنه كان كسائر البشر في هذه الدنيا يتعرض للآلام ، ولكنه يحتسبها في الله ، ومنها حاجته للأكل والشرب وهذه سمات البشر ، ومنها أنه لم يستطع أن يقطع لهم بمصيرهم من تلقاء نفسه ، بل وعدهم بما وعد به هو^(٤) .

الدليل التاسع عشر : قول مرقس في إنجيله : (إيل إيل لما نشتو قلال . معناه إلهي إلهي لماذا تركتني) هذا النص استشهاد به كل من المتطبيب والترجمان ومرجان^(٥) على أن المسيح أعلن في هذا النص عبوديته لله ، وأن له إلهاً يدعى عند الشدائد والمللمات ، وأنه تبرأ من الألوهية لنفسه ، واستنبط منه مرجان دلالة أخرى وهي صراخ المصلوب وعتابه لله وجزعه من الصلب . حسبما وردت في الأناجيل وهي وإن كانت كذباً - فهي تدل على أن المصلوب غير المسيح ، وأن هذا النص يؤكد أن الله ليس عيسى ؛ لأن هذه الصفات التي وردت في النص من أضعف صفات البشر ، وهي الهلع والصراخ والعتاب^(٦) .

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢٠ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٥ .

(٣) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣١ .

(٤) استدلل كل من الهاشمي ومرجان وإبراهيم خليل على أن المسيح وصف نفسه بـ «ابن الإنسان» وهذا يؤكد بشريته وعدم ألوهيته ، ولكن النصارى حرفوا ذلك النص إلى «ابن الله» واتخذوا من ذلك ذريعة لضلالهم .

لكن المهتدي عبد الأحد داود اعترض على هذا ، وأكد أن «ابن الإنسان» الوارد في التوراة وفي ألفاظ المسيح إنما المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم ؛ حيث أن هذه اللفظة اعتبرها عبد الأحد من البشارات بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ، فسأضطر إلى تأجيل المقارنة بين هذه الأقوال ، وبيان الحق فيها إلى الفصل الثاني من هذا الباب . انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٣٠ - ٢٦٤ . و محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٠٨ . و سر إسلامي ، ص ٦٠ - ٦١ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٢٠٤ - ٢١٠ .

(٥) اتفق هؤلاء المهتدون على أن هذا النص كذب ولكنهم استدلوا به من باب الإلزام .

(٦) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ . و تحفة الأريب ، ص ١٩٤ - ١٩٥ . والمسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٩٩ .

الدليل العشرون : قال متى في إنجيله في الفصل الموفى عشرين : (أن عيسى قال للحواريين قبل الليلة التي أخذه فيها اليهود : قد تقاسيت من كرب الموت. ثم اشتد حزنه وتغيّر وخرّ على وجهه وهو يبكي ويتضرع إلى الله ويقول: يا إلهي إن أمكن صرف كأس المنية عني ، فاصرفه . ولا يكون ما أشاء أنا بل ما تشاء أنت) استدل المتطّيب والترجمان بهذا النص على آدمية المسيح ، وأنه يخاف نزول الموت به، وأن له إلهاً ناداه وتضرع إليه، ويكى بين يديه، وطلب منه أن يصرف عنه كأس المنية^(١).

الدليل الحادي والعشرون : قال يوحنا في إنجيله في الفصل الثاني عشر : (إن المسيح رفع بصره إلى السماء ، وتضرع إلى الله ، وقال : يارب إنى أشكر استجابتك دعائي، وأعترف بذلك، وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعائي، ولكن أسألك من أجل هؤلاء الجماعة الحاضرين ، فإنهم لا يؤمنون أنك أرسلتني) استدل بهذا النص كل من المتطّيب والترجمان والهاشمي ومرجان على أن المسيح يتجه إلى السماء ويناجي ربه، مناجاة العبد الضعيف الطامع في كرم ربه وتأيبه له حتى تتحقق الغاية من رسالته ونبوته، ويؤمنوا أن الله هو الذي أرسله^(٢). وهذا هو شأن الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين التضرع إلى الله؛ إقراراً له بالعبودية ، وتحقيقاً للإيمان، وبرهنة على صحة المسلك والاتجاه، وإعلاناً للضعف والحاجة ، وطلباً للمدد والنصرة .

الدليل الثاني والعشرون : قال داود في الزبور عن الله في حق المسيح : (أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، سلني أعطك) استدل بهذا النص المتطّيب واستنتج من لفظ «ولدتك» على أنه محدث غير قديم، وكل محدث فهو مخلوق . ثم استنتج منه استنتاجاً آخر من لفظة «اليوم» حيث جعل اليوم حداً لولادته ، وأزال الشك في أنه كان قبل ذلك . واستدل بآخر لفظة منه على افتقاره وحاجته للمسألة^(٣) .

الدليل الثالث والعشرون : قول المسيح لأحد تلاميذه حين أتته الجموع لأخذه : (لا تظن أنني لست قادراً على أن أطلب من أبي فيقيم لي اثني عشر جندياً من الملائكة أو أكثر) استدل بهذا النص المتطّيب على عدم ألوهية المسيح ، وقال : (ولم يقل إنني قادر على أن

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ . ومحنة الأريب ، ص ١٢٢ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ . ومحنة الأريب ، ص ١٢٤ . وسر إسلامي ، ص ٦٥ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٧٩ .

(٣) النصيحة الإيمانية ، ص ١١٢ .

أدفعهم عن نفسي، ولا أن أمر الملائكة أن يمنعوهم مني ، كما يقول من له القدرة والأمر^(١) الدليل الرابع والعشرون : قول متى في إنجيله الإصحاح السادس عن المسيح أنه يقول لتلاميذه هكذا تصلوا: (أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ، ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض) استدلل بهذا النص الهاشمي على أن دعوة المسيح هي الوجدانية والإتجاه إلى خالق السماء في الصلاة وفي سائر شئون الحياة، وأن من الجهل أن يدعى المسيح إلهاً وهو يصلي لله الواحد، ويأمر تلاميذه بذلك^(٢) .

الدليل الخامس والعشرون : قول لوقا في إنجيله عن المسيح : (وانفصل عنهم - أي عن التلاميذ - رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً: يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك) استدلل بهذا النص مرجان على عبودية المسيح وبشريته وخضوعه لله ولجوئه إليه في الشدائد، وتضرعه إليه^(٣) . وما استفاد من هذا النص تمام التسليم ، وقام اللجوء والإلحاح في الدعاء ، ولو كان إلهاً لما لجأ إلى ذلك .

الدليل السادس والعشرون : قول المسيح : (لا أستطيع أن أصنع شيئاً ولا أفكر فيه إلا باسم إلهي، لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده، ولا الرسول أعظم من مرسله) استدلل بهذا النص المتطبيب^(٤) . ويستخلص من هذا نفي المسيح لأي شبهة يمكن أن يُتعلق بها ويرفع بسببها فوق منزلته، فنفي عن نفسه الحول والطول إلا ما أقدره الله عليه، ثم قرر حقيقة بديهية تسلم بها العقول والفطر السليمة، وهي أنه لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من ربه، ولا الرسول أعظم من مرسله . يالها من نصوص تشهد بالوجدانية !! لو لقيت بصائر^(٥) مسترشدة .

الدليل السابع والعشرون : قول يوحنا في الإصحاح الخامس من إنجيله عن المسيح أنه قال : (إني ما جئت لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة الذي أرسلني) استدلل بهذا النص الترجمان ومرجان، ويستنتج مرجان حقيقة المسيح من هذا فيقول : (حقيقة يعلنها عيسى دائماً ويردها بلا وجل ولا حرج)^(٦) .

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) انظر سر إسلامي ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) انظر المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٤) النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٨ .

(٥) المسيح إنسان أم إله ؟ ، ص ٢٠٥ . وانظر تحفة الأريب ، ص ١٩٤ .

الدليل الثامن والعشرون : رواية متى للحوار الذي تم بين المسيح وأم أحد تلاميذه وأنه قال لها: (ماذا تريدين؟ قالت : أريد أن تجلس ابني أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكوتك. فقال لها : ليس إلي ذلك ولكن لمن أسعد من أبي) استدل بهذا النص المتطبيب^(١). فلو كان إلهاً لحقق لها ما طلبت، وأسعدها برؤية ابنيها في ملكوته، ولكنه أرجع الأمور إلى نصابها، وبين لها أن أمور الآخرة لا يملكها إلا مالك يوم الدين .

الدليل التاسع والعشرون : قول متى في إنجيله عن المسيح أنه قال : (لمَ تقول لي صالحاً، ليس صالح إلا الله الواحد) استشهد بهذا النص كل من المتطبيب والترجمان والهاشمي^(٢). وهذا غاية التواضع وإنكار الذات ، والاعتراف بالوحدانية .

الدليل الثلاثون : ما ورد في إنجيل لوقا أن يحيى عليه السلام عمّد المسيح ، وأرسل له من يسأله بعد أن عمده هل أنت ذلك الذي يجيء ، أو نتوقع غيره؟ فكان جواب المسيح لرسله: ارجعوا وأخبروه بما ترون في حال عميان يبصرون، وزمنى ينهضون، وصم يسمعون، وطوبى لمن لم يغتر أو يزل في أمري) ففي هذا النص نتبين حاجة المسيح إلى يحيى ليعمّده، وانظر إلى يحيى - مع محله وجلالة قدره عند الله - قد شك فيه واحتاج أن يسأله عن شأنه، ولم يكن من جواب المسيح مما تصفه به النصارى من ادعاء الربوبية، ولا قال له: إنني خالقك وخالق كل شيء . بل حذر من الغلط والاعتراض في أمره^(٣) .

وبعد هذا الاستشهاد بأقوال المسيح عليه السلام على بشريته ورسالته، ونفي ألوهيته. نتقل إلى المطلب التالي للاستشهاد بأقوال تلاميذه ومعاصريه على ذلك .

(١) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٠ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٩ . ومحفة الأريب ، ص ١٨٨ . وسر إسلامي ، ص ٦٢ .

(٣) نظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٠ - ٩١ . وقد استشهد كل من المتطبيب ومرجان وإبراهيم خليل بقصة محاولة الشيطان تجرية المسيح في أن يعبده ، أو أن يلقي بنفسه من رأس الجبل - على بشرية المسيح عليه السلام ، كما استدل بها الترجمان من باب الإلزام بما في كتبهم وقال : (وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشيطان في الوسوسة الباطنية الخفية ، فكيف يدعوهم للكفر الصريح بالسجود له من دون الله ، وهذه مجاهرة جليّة ، ولا شك أنها من اختلاق كتاب الأناجيل ووعوتهم في تجويز مثل هذا على المسيح عليه السلام) محفة الأريب ، ص ١٩١ . وانظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٠ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٩٣ - ١٩٥ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١١٦ - ١١٧ .

المطلب الثالث ، الأدلة العقلية التي استدل بها هؤلاء المهتدون من كلام تلاميذ المسيح ومعاصريه على نفي ألوهيته :-

الدليل الأول : نقل برنابا في إنجيله قول بولس وتشبيهه للمسيح بأنه عبد فقال : (أخلى نفسه أخذاً صورة عبد) فعيسى حقاً هو العبد عبد الله ورسوله^(١) . وقال الله تعالى عنه وهو أصدق القائلين أنه : (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً)^(٢) .

الدليل الثاني : شهد له رئيس الحوارين بقوله كما في الفصل الثاني من أعمال الرسل : (يارجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي بأن يسوع الناصري ظهر لكم من عند الله بالقوة والأيد والعجائب التي أجراها الله تعالى على يديه) قال المتطبيب : (فأبي شهادة أبين وأوضح من هذا القول ؟ وهو أوثق التلاميذ عندهم ، كما ترون بأن المسيح رجل ، وأنه جاء من عند الله ، وأن الآيات التي ظهرت منه بأمر الله أجراها الله على يديه)^(٣) .

الدليل الثالث : كما شهد بولس وشهد رئيس الحوارين فقد شهد بذلك التلاميذ كما نقل ذلك متى في إنجيله أنهم قالوا : (إنه رجل أتى من عند الله بالأيد والقوة)^(٤) .

الدليل الرابع : شهادة جميع من حضر المسيح عليه السلام بأنه نبي فقد نقل هذه الشهادة يوحنا في إنجيله فقال : (فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي)^(٥) .

الدليل الخامس : كما شهد بذلك الرجال فقد شهدت به النساء أيضاً فقد نقل يوحنا شهادة المرأة التي خاطبت المسيح بقولها : (ياسيدي أرى أنك نبي) وشهدت امرأة أخرى بأن ما يظهره الله على يديه من المعجزات فهو من الله كما نقل ذلك يوحنا في إنجيله الإصحاح الحادي عشر أن امرأة خاطبت المسيح بقولها : (لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما

(١) المسيح إنسان أم إله ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٣٠ .

(٣) النصيحة الإيمانية ، ص ١١١ ، وانظر سر إسلامي ، ص ٦٤ ، والله واحد أم ثالث ، ص ١٠٨ - ١٠٩ . والمنارات الساطعة ، ص ٤٤ .

(٤) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٠ .

(٥) المسيح إنسان أم إله ، ص ١٩٩ .

تطلبه من الله يعطيك الله إياه) (١) .

الدليل السادس : شهادة الجن بذلك فقد ورد في إنجيل مرقس في الفصل الأول : (أنه كان بيت المقدس مجنون يتكلم الجنى على فمه ، فاجتاز عليه عيسى عليه السلام فصاح به الجنى فقال : يا عيسى أي شيء لك عندي؟ أتحب أن تخرجني من هذا الجسد حتى يعلم الناس أنك نبي، وأنا أعلم أنك نبي، وأنتك روح الله ، والله تعالى أرسلك، فأمره عيسى بالخروج فخرج (٢) . حتى الجن تشهد للمسيح عليه السلام بأنه نبي، وأن الله تعالى أرسله، وليس هذا بمستغرب (٣) .

الدليل السابع : قول بطرس رئيس الخواريين لبني إسرائيل موضعاً حقيقة المسيح عليه السلام : (اعلموا أن الله جعل يسوع الذي قبلتموه أنتم رباً ومسيحاً) قال المتطبيب : (فهذا القول يزيل تأويل من يتأول أن الله جعله رباً ومسيحاً ، والمجعول مخلوق مفعول (٤)) ويوضح مرجان علاقة الخواريين بالمسيح عليه السلام ، وكيف كانوا يتصورونه بقوله : (إن المتفحص لعلاقة الرسل « أي رسل المسيح » والخواريين بالمسيح ؛ يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله، ولكن لماذا ؟ لأنهم أي الرسل والخواريين كيهود كانوا يعلمون تمام العلم أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله يعتبر تجديفاً يستحق الرجم في الحال) (٥) .

ويعد هذا الاسترسال في الاستشهاد بالأدلة النقلية سواء كانت من كلام المسيح عليه السلام، أم من كلام معاصريه ، فقد آن الأوان للتدليل على هذه المسألة بالأدلة العقلية .

(١) انظر النصيحة الإيمانية، ص ١٢٩ . وسر إسلامي ، ص ٦٥ . والمسيح إنسان أم إله ص ١٩٩ .

(٢) تحفة الأريب ، ص ١٢٦ .

(٣) انظر سورة الجن ، والآية ٣٠ من سورة الأحقاف .

(٤) النصيحة الإيمانية ، ص ١١٢ .

(٥) المسيح إنسان أم إله ، ص ١٧٧ .

المطلب الرابع ، الأدلة العقلية التي استدل بها هؤلاء المهتدون على نفى ألوهية المسيح . -

استفاد هؤلاء المهتدون من علمهم السابق بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد؛ فاستخرجوا منه نصوصاً عظيمة وموفقة للتدليل على هذه القضية التي نحن بصددنا ، كما استفادوا من دراساتهم المتعددة لبعض فنون المعرفة كالطب والمنطق والعلوم الرياضية . في إقامة الأدلة العقلية والبراهين المادية للتدليل على هذه المسألة موضع المناقشة وهذه الأدلة هي :

الدليل الأول : إذا كان المسيح خالقاً أزلياً كما يعتقدون مع كونه لحمًا ودمًا؛ فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزلياً خالقاً ، وبعضه محدثاً مخلوقاً؛ لأن المسيح بنص أناجيلهم أقر أنه دم ولحم ، فاللحم والدم يتوالدان عن الأغذية والأشربة، وهي من أجزاء الدنيا؛ فيلزم أن يكون بعض الدنيا هو خالق جميع الدنيا^(١) .

الدليل الثاني : أن النصراني تقول في شريعة إيمانهم : (نؤمن بالرب المسيح ..) ولا يخلو أمر المسيح من أن يكون إما إلهاً أو إنساناً. فإن كان إلهاً ، فإما أن يكون هو واجب الوجود الرب المعبود ، أو إلهاً غيره فقد حصل الإشراك. وإن كان إنساناً فلم نسبتموه إلى الربوبية أو الألوهية، فأبي القولين اخترتم ففيه نقض شريعتكم^(٢) .

الدليل الثالث : قد نطقت الأناجيل بأن المسيح قلم أظفاره ، وقص شعره ، وغما جسده طولاً وعرضاً، فإن كان على قولهم خالقاً أزلياً وقد بانت منه هذه الأجزاء من الشعر والظفر، وانفصلت عن كله، وصارت رميمًا وتلاشت؛ فالخالق الأزلي على هذا قد فسد بعضه وتلاشى، وبقي بعضه على حاله، ومن فسد بعضه فالفساد واصل إلى كله، ومن كان له بعض وكل فهو محدود ومحتاج، ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر وليس بغني، والإله الخالق شهدت براهين العقول، ونصوص النقول بأنه خلاف ذلك كله^(٣) .

(١) انظر تحفة الأريب، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٨ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

الدليل الرابع : أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن تراه الأبصار في الدنيا، وموسى الكليم – مع علو مكانته وجلالة قدره – سأل الله أن يراه، ولم يتحقق له ذلك؛ بل قال الله له: (لن تراني^(١)). وقال تعالى عن نفسه: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار^(٢)).
والمسيح عليه السلام لم يكن كذلك بل كانت تراه الأبصار، وتلمسه الأيدي، ويناله التعب والنصب و...و... كما شهدت بذلك الأناجيل^(٣).

الدليل الخامس : أن العقل يرفض ولادة الإله من امرأة، وأن هذا المولود متصف بما يتصف به البشر من العجز والضعف. وبين المهتدي إبراهيم خليل أن هذا التأليه مرّ بعدة مراحل أدت إلى تأليه المسيح؛ إذ اعتبر في المرحلة الأولى نبياً من الله. ثم قُتِنوا بشخصه ونسبوا إليه كثيراً من المعجزات في القرن الأول والثاني. ثم قُدّم المسيح بعد ذلك على أنه ملاك مقتدر. ثم اعتبر أنه أول المخلوقات ولكن مازال بشراً. وفي القرن الثالث والرابع صنعوا منه إلهاً، وصدر القرار بذلك من مجمع نيقية^(٤).

الدليل السادس : التبعض ينفي عنه الألوهية؛ إذ ورد في الإنجيل (أنه يصعد إلى السماء ، ويجلس على يمين أبيه ...) فالقاعد على يمين أبيه هو شخص قائم لا شك فيه، هو الجسد الذي كان يمشي على الأرض، وقد فصلتم بينه وبين الله ، وبعضتموه باجتماعهما في السماء شخصين متباينين أحدهما عن يمين صاحبه؛ وهذا شرك وكفر. وإن كان خالياً من الألوهية ؛ فقد زال عنه حكمها التي تنحلونه إياه^(٥).

الدليل السابع : حلوله في الزمان والمكان : النصراني تعتقد أن المسيح هو الله الخالق الأزلي. فنقول لهم هذا المسيح هل كان في بلد أو في زمان أم لا ؟ ولا يستطيعون إنكار ذلك؛ لأن الأناجيل مصرحة بأنه ولد في مكان كذا، وينسب إلى كذا؛ وكل من كان في زمان ومكان، فالزمان لا بد وأن يكون قبله، والأمكنة محيطة به؛ ومن كان كذلك فهو مخلوق؛ وإذا ثبت أنه مخلوق بطلت عقيدتكم التي فيها أنه إله حق، وأنه خلق كل شيء، ومعلوم أن الزمان هو شيء من الأشياء المخلوقة، والزمان كان قبل أن يوجد المسيح بلا

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٤٣ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٤ . وسر إسلامي ، ص ٦٣ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٤) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٢ . والنصيحة الإيمانية ، ص ٧٢ . وسر إسلامي ، ص ٥٨ .

(٥) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

شك في ذلك، فكيف يجوز أن يكون الزمان وجد قبل خالق الزمان، ويكون المكان محيطاً بالذي خلق المكان^(١).

وبعد أن تم بتوفيق الله تدوين الأدلة النقلية والعقلية التي تنفي ألوهية المسيح من نصوص كتبهم ، ننتقل إلى المطلب التالي لنرى كيف فند هؤلاء المهتمون الأدلة التي استدل بها النصارى على هذه الدعوى .

المطلب الخامس: الأدلة التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح وفندها هؤلاء المهتمون :-

الدليل الأول : شريعة إيمانهم ونصها : (نؤمن بالله الآب مالك كل شيء ، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب أيشوع المسيح، ابن الله، بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها، وخلق كل شيء ومن أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً ، وحبل به، وولد من مريم البتول، وتآلم وصلب في أيام تيطيوس وبيلاطوس ودفن، وقام في اليوم الثالث . كما هو مكتوب - وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته، وعمودية واحدة لغفران الخطايا، وجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية، وقيامه أبداننا، والحياة الدائمة إلى أبد الأبد)^(٢). وهذه الشريعة أقرت في مجمع نيقية المنعقد في عام ٣٢٥ م وقد استنتج هؤلاء التناقضات التالية :-

١ - أول هذه الشريعة الشهادة لله بأنه واحد ، وفيما يليه الشهادة عليه تعالى بأن له ولداً، وهو إله مثله، ومن جوهره. وهذا غاية الكفر والشرك، وفي غاية الضد والتناقض^(٣).

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٠١ . والمسيح إنسان أم إله ؟ ص ١٧٦ .

(٢) نقلاً عن النصيحة الإيمانية ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣) انظر تحفة الأريب، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

- ٢ - قولهم : نؤمن بالله الواحد صانع ما يرى وما لا يرى. قد أثبت أن الابن الذي يعنون - المسيح - مملوك مصنوع ؛ لأنه شيء من الأشياء فهو مملوك^(١).
- ٣ - قولهم: بالرب الواحد يشوع بكر الخلاق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها. هذا يتناقض مع قولهم نؤمن بالله . ثم إن هذا لا يعقل أن يكون بكر الخلاق وقبل العوالم إلا إذا تقدمه زمان^(٢).
- ٤ - قولهم: ليس بمصنوع إله حق من إله حق. وهذا غاية التناقض مع قولهم «مولود» وهو بمعنى مفعول ؛ فهو مصنوع وليس بمصنوع^(٣).
- ٥ - قالوا: بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء . فهذا يلزم منه أن يكون مماثلاً للآب؛ لأنهم قالوا في الآب : صانع ما يرى وما لا يرى . وقالوا في الابن خالق كل شيء وهو من جوهر أبيه. فهذا يوجب التماثل في الجوهر والأفعال، ومع التماثل فما الذي أوجب كون هذا أباً. وقال الترجمان : (واعلموا أن في نصوص كتبهم ما يبطل هذه العقيدة وجميع كفرهم في المسيح، وهو ما قال لوقا في إنجيله في الفصل الرابع عشر من قصص الحوارين قال: (إن الله هو خالق العوالم بجميع ما فيها. وهو رب السموات والأرض، لا يسكن الهياكل التي طينتها الأيدي، ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء؛ لأنه هو الذي أعطى للناس الهياكل والنفوس وجميع ما هم فيه، فوجدنا به، وحياتنا منه)^(٤).
- ٦ - قالوا : إن المسيح مولود من أبيه الأزلي . فيجب على المدعي بهذه الدعوى إثبات الحجة على ذلك. ثم إن كان الأمر على ما تقولون من أنه «أزلي» فليس بمولود ، وإن كان مولوداً فليس بأزلي؛ لأن اسم الأزلي يقع على من لا أول له ولا آخر ، ومعنى المولود أنه حادث مفعول فله أول^(٥).
- ٧ - إذا كان الآب قديماً فالابن قديم مثله، وإذا كان الآب خالقاً فالابن خالق مثله، فإذا كانا متكافئين في القدرة والقدم ، فأى فضل وسلطان للآب على الأبْن؟ وهذه المعاني تبطل

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٦٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٠ . وتحفة الأريب ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٧٠ . وتحفة الأريب ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٤) تحفة الأريب ، ص ١٨١ ، وانظر أيضاً ص ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٤ منه . وانظر النصيحة الإيمانية ، ص ٧٠ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

اسم البنوة والأبوة : وفي بطلانها بطلان شريعتكم^(١) .

٨ - قولهم : إن المسيح بكر الخلاق. فإن كان القصد من هذه البكورية على نحو ما يسمى أول ولد الرجل فجائز. وإن أردتم بالبكر أنه أول قديم فلسنا نعرف للبكر معنى في أي لغة من اللغات إلا الأول من الأولاد. وبكر الخلاق لا يكون إلا منهم، كما أن بكر الرجل والمرأة لا يكون إلا من جنسهما، ومن المحال أن يقال بكر ولد آدم ملك، ومن المحال أن بكر المصنوعات ليس بمصنوع ، وبكر الخلاق ليس بمخلوق^(٢) .

وطرح عليهم الترجمان إلزاماً مفاده : هذه العقيدة التي لا خلاف فيها بين جماهيركم هل هي كلها حق أو كلها باطل؟ فإن قالوا بعضها حق وبعضها باطل؛ فقد أبطلوا بعضها وكفروا به؛ لأن الباطل لا يدان الله به . وإن قالوا كلها حق. فقد اعترفوا فيها بأن المسيح مخلوق مولود، وأن الله تعالى خالقه ، وخالق جميع ما يرى وما لا يرى^(٣) .

كما أن كل من المتطعب والترجمان والشيخ زيادة قد أوردوا عدداً من الأدلة النقلية التي تنقض هذه الشريعة ، وقد وردت في المطالب الماضية .

الدليل الثاني : قول يوحنا إن المسيح قال : (من رأي فقد رأي أبي ، وأنا وأبي شيء واحد) فيقال لهم هذا لا يفيد المساواة لما يأتي :-

١ - أن يوحنا قال في إنجيله في الإصحاح السابع عشر (إن المسيح دعا ربه قائلاً كما أنت يا أبتاه فيّ ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا) هكذا دعا من أجل الحواريين. فإن كان معنى أن قوله : أنا والآب واحد . يفيد المساواة؛ فيلزم أن يكون الحواريون أيضاً مساوين للآب والابن .

٢ - أن يوحنا أطلق لفظ «واحد» على أجناس مختلفة الجواهر .

٣ - أن النصراني القدماء أوضحوا للمبتدعين أن التوراة والإنجيل يدعوان إلى وحدانية الله الواحد الأحد .

٤ - إذا ادعيتم أن المسيح قال عن نفسه: إنه إله . فقد قال في مواضع أخرى: إنه نبي. فكيف تجوز عليه مناقضته بادعاء ما هو محال في حقه .

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٢ . ونجفة الأريب ، ص ١٨٤ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٣ .

(٣) نجفة الأريب ، ص ١٨٣ . وانظر أيضاً البحث الصريح ، ورقة ٩ / ب ، ١٠ / أ .

٥ - أن قول المسيح : (أنا وأبي شيء واحد). إنما يريد به : أن قبولكم لأمرى هو قبولكم لأمر الله ^(١) .

الدليل الثالث : أن الأنبياء قد تنبأت على ألوهيته ، فقد قال إشعياء : (العدراء تحمل وتلد ابناً، ويدعى «عمايوثيل» تفسيره معنا إلهنا) . فيقال لهم هذه استعارة؛ لأن الله قال في التوراة لموسى : (قد جعلتك لهارون إلهاً . وقال في موضع آخر : قد جعلتك ياموسى إلهاً لفرعون . ولم يدع موسى الألوهية ، ولم تدعى فيه ^(٢) .

الدليل الرابع : أنه ورد في الأناجيل تسمية المسيح إلهاً، وابن الله. فيقال لهم : لقد ورد في التوراة والإنجيل ألفاظ تدل بظاهرها على الألوهية أو البنوة لغير المسيح، كما وُصِف موسى بذلك - وقد تقدم - ووصف سليمان في سفر الملوك الثاني بابن الله ، وسمي يوسف عليه السلام في سفر التكوين رباً ، وكما وُصِف اليهود بأنهم أبناء العلي... إلى آخر ما ورد من الألفاظ المحتملة التي وردت كمصطلحات في العهد القديم والجديد، وأطلقت على أفراد وأمم، ولا يراد بها ما تدل عليه من حقيقة المعنى من الألوهية والبنوة^(٣) كما أنهم أوردوا عدداً من الأدلة النقلية لإبطال هذا الدليل سبق إيرادها في المطالب الماضية .

الدليل الخامس : أن المسيح غفر لبعض بني إسرائيل ، والغفران من الله . فيقال لهم : إن الله تعالى قال في التوراة لموسى: (وأنا أجعل لكم ملكاً يغفر ذنوبكم) . فإن زعمتم أن المسيح إله لأنه غفر ذنب ذلك الرجل؛ فالملك إذا إله ^(٤) . ولعل المغفرة الواردة هنا من قبل الرسول لتابعه ، من باب إخباره بمغفرة الله له ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم عن أهل بدر: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم ^(٥) .

الدليل السادس : ما ورد في إنجيل يوحنا أن المسيح قال : (أنا قبل إبراهيم) قلنا أن سليمان يقول : (أنا قبل الدنيا، وكنت مع الله حيث مد الأرض) هذا قوله، وقد أعطي من

(١) انظر النسخة الإيمانية ، ص ١٢٢ . ومحفة الأريب ، ص ١٨٩ . والبحث الصريح ، ورقة ٤/ب . ٥ / أ .

(٢) انظر النسخة الإيمانية ، ص ١٢١ . والبحث الصريح ، ورقة ٦ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٠٨ .

(٣) انظر محفة الأريب ، ص ١١٨ . والبحث الصريح ، ورقة ٦ .

(٤) النسخة الإيمانية ، ص ١٢١ .

(٥) رواء البخاري واللفظ له ، في كتاب المغازي ، باب ٩ . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، حديث ١٦٦ .

طاعة الجن والإنس والطير والوحش مالم يعطه المسيح. وليس لأحد أن يقول إنه إله^(١).
الدليل السابع : قول يوحنا : (في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان
الكلمة الله) . وسبيل نقض هذا النص من الوجهة التالية :-

١ - يقول المهتدي إبراهيم خليل : إن إنجيل يوحنا وحده هو الذي يقرر ألوهية المسيح من
بين سائر الأنجيل؛ بدعوى أن « اللوغس الإلهي » الكلمة قد تجسدت في المسيح . ويمكن
دحض هذه الدعوى بالأسلوب العلمي ، باستخدام اللغة اليونانية لتقصي مرادفات كلمة
« اللوغس » وقد جاءت بعدة معان هي : الأمر، الكلمة، العهد، الخبر. وبمعالجة النص
السابق ومعرفة ما اعتراه من اسقاط المضاف ، فإذا جئنا بالمضاف في موضعه؛ ظهر المعنى
المراد داخضاً كل تأويل على هذا النحو « وكان الكلمة الله » صحتها « وكان رب الكلمة
الله » ، و« الكلمة صار جسداً » وصحتها « وأثر الكلمة صار جسداً » . وإذا ترجمت
« اللوغس » بكلمة مرادفة أخرى كالأمر فإننا نجد شواهد من العهد القديم والجديد تسند
هذا المعنى على سبيل المثال لا الحصر « العالمين اتقنت بكلمة الله » العبرانيون ١١ : ٢ .
ويضيف المهتدي عبد الأحد داود أن أوائل النصارى الموحدين اعتبروا القراءة الصحيحة
لبداية إنجيل يوحنا - وهي العبارة السابقة - هكذا (في البدء كانت الكلمة ، وكانت الكلمة
مع الله ، وكانت الكلمة كلمة الله)^(٢) .

٢ - أن المسيح لم يدع الألوهية أبداً لنفسه، ولم يدع أنه خُلِق من جنس الإله، بل يفخر
دائماً ببشريته .

٣ - أنه لا توجد في إنجيل يوحنا عبارة صريحة مما أسنده مؤلفه إلى فم المسيح ؛ تدل
دلالة قاطعة على ألوهية المسيح .

٤ - أن الكلمة غير المتكلم ، والمسيح خلق بكلمة كمثّل آدم وسائر المخلوقات، وأن الخلط
بين الكلمة والمتكلم ؛ خلط بين الصانع والمصنوع، والخالق والمخلوق والسبب والنتيجة^(٣) .

الدليل السابع : قول بولس عن عيسى عليه السلام : (إنه شعاع مجده، وصورة جوهره).
فيستنبطون منه مساواة المسيح لله سبحانه وتعالى، ولا مساواة لما يلي :-

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٢ . والبحث الصريح ورقة ٧ / ب . ٨ .

(٢) الغفران بين الإسلام والمسيحية ، بتصرف يسير ، ص ١٧ - ١٨ . وانظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٧ / ب ، ٨ . والإنجيل والصلب ، ص ١٢٠ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص

١٧ - ١٨ . والله واحد أم ثالث ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

١ - لأنه ورد في سفر التكوين أن الإنسان خلق على صورة الله ، وذلك في الأصحاح الأول منه ، إذ قال : (وخلق الله الإنسان كصورته) . وكذا قال بولس عن الإنسان في رسالته إلى كورنثوس : (إن الإنسان صورة الله ومجده) . فهذه العبارة قيلت على المسيح وعلى غيره ، فلا عبرة بها .

٢ - أن هذه العبارة كما في الأصل العبري لا يلزم عليها هذا الإشكال ؛ لأن ترجمتها في اللغة العبرية : الزهرة المجيدة . وهي اسم لكوكب الزهرة ، وأن بولس نعت المسيح بها ، وأنه هو الزهرة - الكوكب - وصورة مجدها ، كما أنه حسب اللفظ العبراني يرجع الضمير إلى الكوكب المشبه به المسيح عليه السلام ، لا إلى لفظ الجلالة^(١) .

الدليل الثامن : الألفاظ الدالة على السيادة كقول يوحنا أن المسيح قال : (إن الآب لا يدين أحداً ، بل أعطى الحكم كله للابن ، وكل شيء أعطيت من أبي) وهذه الألفاظ لا تفيد المساواة في الجوهر ، كما أن الأخذ ليس من صفات الألوهية ؛ بل إن مرتبة الألوهية أن تعطي الحكم لا أن تأخذ ، وما يدفع الاحتمال عن هذه الألفاظ أنه قد وردت ألفاظ كثيرة متعددة يصف فيها المسيح نفسه بأنه «ابن البشر» .

أما ما ورد من قوله : (من يكرم الابن فقد يكرم الآب) . وقوله : (ويكرمون الابن كما يكرمون الآب) فهي مماثلة لقول المسيح : (من أهانكم فقد أهانني ، ومن أهانني فقد أهان الذي أرسلني) . وهذه الأساليب تتعدد في العهد القديم والجديد^(٢) .

وبعد أن فند هؤلاء المهتدون الأدلة النقلية التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح . ننتقل إلى تنفيذ الأدلة الحسية التي استدلوا بها وهي المعجزات التي أظهرها الله على يديه ، وبهرت أعين النصارى ؛ فاعتقدوا فيه الألوهية لأجلها ، وادعوا له معجزات لم تثبت ؛ حتى تقتنع عقولهم بهذه الصورة التي صوروا فيها المسيح عليه السلام .

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٩ - ١٠ / ب .

(٢) انظر المرجع السابق ، ورقة ٨ / ب - ٩ / أ .

المطلب السادس، معجزات المسيح عليه السلام .-

ويتضمن هذا المطلب ثلاث مسائل هي كالتالي :-

المسألة الأولى: اعتراف المسيح عليه السلام أنها من الله :-

تنوعت معجزات المسيح وتعددت، وقد أخبر الله عن خمس منها في محكم تنزيله وهي: إبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وينبؤهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم^(١) .

وهذه المعجزات - سواء منها ما ورد في القرآن الكريم ، أو ما ورد في الأناجيل - لم يدع المسيح عليه السلام أنه هو مبدع المعجزة أو مصدرها، وأخبرهم بأنه رسول منحه الله هذه المعجزات لتأييد رسالته، بل نراه يغضب في أحيان كثيرة على أولئك الذين لا يؤمنون حتى يقيم لهم الآيات والمعجزات .

وقد يقول بعض النصارى: إن تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسمه. فيقال لهم : إن الله قال ليحیی بن زكريا : قد أيدتك بروح القدس ، ويقوة إلياس ، وهي قوة تفعل العجائب؛ فإن زعمتم أن المسيح إله لأن الآيات تفعل باسمه ، فما الفرق بينكم وبين من قال إن إلياس إله^(٢) .

المسألة الثانية : مماثلة هذه الآيات لغيرها من آيات الأنبياء والمرسلين صلوات

الله وسلامه عليهم أجمعين :-

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يؤيد الأنبياء والمرسلين بالمعجزات، وخوارق العادات؛ تأييداً للرسالة، وإرغاماً للمعاند، وكتباً للكاذب، واقتضت حكمته سبحانه أن تختلف هذه المعجزات والخوارق من نبي إلى آخر، وانقسم أتباع كل رسول - عدا أتباع المسيح - أمام هذه المعجزات التي يقدمها إلى قسمين : فقسم منهم آمن بها ورأى أنها

(١) انظر سورة آل عمران ، الآية ٤٩ . وسورة المائدة ، الآية ١١٠ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، والمسيح إنسان أم إله ، ص ٧٢ - ٨٢ . وسر إسلامي ، ص ٦٤ . والله واحد أم ثالث ، ص ١١٢ .

براهين إلهية على صدق الرسالة ، والقسم الآخر كفر بالرسالة والرسول ، وادعى أن هذه المعجزات والآيات سحر وشعوذة .

أما أتباع المسيح فكانوا على ثلاثة أقسام :قسم آمن بها ، وقسم كفر بها ونسبه إلى السحر^(١) ، وقسم ثالث رفع المسيح فوق منزلته بسبب هذه المعجزات ، وادعى له الألوهية، ولكن هذه المعجزات التي انقسم الناس أمامها إلى ثلاثة أقسام هل هي فريدة في جنسها، ولم تسبق بمثال سابق أم لا ؟

إن المتتبع لسير الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ومن خلال كتب العهدين - ليجد أن هذا الجانب - أي المعجزات - غزير في تاريخهم، عظيم في حياتهم، ومقارنة آيات المسيح عليه السلام بما أوتي النبيون والرسل نجد أن هؤلاء الأنبياء قد أعطوا من الآيات ما يماثل آيات المسيح أو يفوقها ويعلوها . فلئن ولد من امرأة عذراء من غير فحل ؛ فقد خلق آدم على غير مثال سابق ، وخلقت حواء من ضلعه بلا أب ولا أم ، وإن قيل إن الخشبة التي صلب عليها - بزعمهم - ألقيت على قبر ميت فعاش ، فقد ألقى ميت - كما زعموا - على قبر إيسع، فلما باشر الميت تراب القبر قام وعاش. وإن كان أبرأ أبرصاً؛ فإن إيسع أبرأ أبرصاً ، وأبرص صحيحاً. ولئن أحيا ميتاً؛ فإن إيسع وإلياس وحزقيال أحيوا أمواتاً . أما إبراء الأكمه فإن التوراة تخبر أن يوسف أبرأ عين أبيه يعقوب. وموسى طرح العصا فصارت حية تسعى . أما أنه مشى على الماء فقد فعل الفعل نفسه إلياس. وحول إلياس الماء زيتاً وهو أبداع مما فعل المسيح بتحويله الماء خمرأ. وإلياس قد كثر الطعام القليل وأدامه حيناً من الدهر ، وهو أعجب من فعل المسيح عندما كثر الطعام القليل مرة واحدة^(٢) .

كما أن هناك معجزات لغيره من الأنبياء هي بلا شك أعظم من المعجزات التي ظهرت على يديه، كاللقاء إبراهيم في النار، وشق البحر لموسى وإهلاك عدوه فيه، والمعجزة الخالدة والآية الباهرة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي القرآن الكريم .. إلى غير ذلك من المعجزات والآيات .

(١) انظر سورة المائدة ، الآية ١١٠ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠٤-١٠٨ . والبحث الصريح ، ورقة ١٣-١٤ . وسر إسلامي ، ص ٥٦ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والأنجيل ، ص ١٣١-١٣٣ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ٨٦-٩٤ ، ١٦٧-١٧٠ . والله واحد أم ثالث ، ص ١١٠-١١٣ .

ولقد ادعى النصارى للمسيح معجزات لم تقع، ولم يدع المسيح أنها وقعت، كادعائهم أنه خلص آدم من الخطيئة، وأطلقه من قيد الشيطان، وربط الشيطان، وتخليص الأنبياء السابقين عليه من الجحيم. وهذه دعوى لا بيان لها، ويكذبها الحس، وتنافي العدل، وذلك أن النصارى تعتقد أن المسيح جاء ليرفع عنهم الخطيئة، ويفديهم من الموت بموته، فلم نر الموت رفع عنهم، ولم نر - أيضاً - أن العقوبات المتوعد بها البشر بسبب الخطيئة الموروثة، - تلك العقوبات الواردة في سفر التكوين - لم نرها قد رفعت، بل لا زالت قائمة في حياة البشر؛ فيستنتج من ذلك أن المسيح لم يعمل خلاصاً ولا فداءً، كما أن الشيطان هو أعتى مما كان عليه، بل سلطه الله على النصارى؛ فكان نتيجة هذا التسليط أنهم أتوا بأفزع قول وأشنعه، وأبعده عن العقول والقبول^(١).

المسألة الثالثة: شهادة من شاهد هذه المعجزات وأنها من الله :-

سلف القول أن تأليه المسيح تم إقراره في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م؛ إذا نجزم أن المعاصرون له لم يدعوا له الألوهية، بل كانوا على قسمين: قسم آمن به، وقسم كفر به، والذي يعنينا من هذين القسمين القسم الأول الذين آمنوا به، وعانينا معجزاته. فماذا كان تصورهم لهذه المعجزات؟ هل كانوا يظنون أنها من المسيح ابتداءً؟ أم كانوا يرون أنه رسول أيده الله بهذه الآيات؛ حتى يؤمن بها البشر؟ ونترك الجواب على هذه المسألة يأتي صريحاً بألفاظ هؤلاء الشهود، حيث يقول أحدهم مخاطباً المسيح: (يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً؛ لأنه ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل، إن لم يكن الله معه) ويعزز هذه الشهادة رئيس الحواريين - على زعمهم - بقوله: (يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله على يديه في وسطكم^(٢)).

وبعد هذا البيان فيقال للنصارى بعد أن تبين مماثلة معجزات المسيح لمعجزات الأنبياء: إذا اجعلوا كل من صنع معجزة من الأنبياء السابقين إلهاً ورباً وخالقاً؛ فهؤلاء الأنبياء ظهرت على أيديهم الآيات والمعجزات ولم يدعوا الألوهية.

(١) انظر النصبحة الإيمانية، ص ٩٢، والبحث الصريح، ورقة ١٥ - ١٧.

(٢) انظر النصبحة الإيمانية، ص ١١١. والمنارات الساطعة، ص ٤٤. والمسيح إنسان أم إله، ص ٧٧، ٨٣ - ٨٤، والله واحد أم ثالث، ص ١١٢. وسر إسلامي، ص ٦٤.

وبعد هذا التنفيذ لهذا الدليل الحسي - المعجزات - يقيم هؤلاء المهتمون دليلاً حسيماً ملموساً على بشرية المسيح وإنسانيته . وهو ما سيكون الحديث عنه في المطلب التالي

المطلب السابع، المسيح بشر -

كما لا يمكن أن تحجب يد المعاند أشعة الشمس إلا عن عينه؛ فكذلك لا يمكن للباطل أن يحجب نور الحق، فرغم التحريف الذي أصاب الأناجيل بهدف طمس معالم الوحدانية، واستبدالها بوثنية مثلثة - فلا زالت بقايا التوحيد تنبض بين ثنايا الأناجيل، ورغم اشتغالها على عبارات عديدة تدل بظواهرها على ألوهية المسيح وبنوته؛ إلا أن الأناجيل لا زالت تحفظ لنا مئات النصوص الدالة على بشرية المسيح ورسالته، واتصافه بما اتصف به سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، من الصلاة لله والدعاء له والتضرع إليه، والدعوة في سبيله، وتكبد الصعاب والمشاق لأجل ذلك، ومحااجة المعاندين، ومجادلة الجاحدين، واتصافه بما يتصف به سائر البشر من التدرج من الطفولة إلى الرجولة، ومن الحاجة للطعام والشراب، والنوم والراحة ، وأنه كغيره من بني جنسه يتأثر بالمواقف العاطفية فيغضب ويرضى ، ويفرح ويحزن، ويتألم ويمرض ويشفى، ويخاف ويضطرب، يروي يوحنا ما يؤكد ذلك بقوله: (فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاؤوا معها يبكون انزعج واضطرب^(١))

ولكن هذه الدعوى - ألوهية المسيح - هل كانت محل إجماع وقبول لدى كافة النصارى ؟ والإجابة على هذا السؤال تجدها في المطلب التالي ...

(١) ولقد استدل هؤلاء المهتمون على ذلك بالنصوص العديدة؛ تركت نقلها ، وأثرت الإحالة إليها ؛ طلباً للاختصار . فانظر لذلك المسيح إنسان أم إله ، ص ٦١ - ٦٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٢٦ - ١٢٨ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١١٣ - ١١٥ ، ومحنة الأريب ، ص ١٨٠ - ١٩٨

المطلب الثامن ، رفض كثير من النصارى لدعوى ألوهية المسيح عليه السلام . -

للإجابة على السؤال المطروح في آخر المطلب السابق أقول : إن هذه الدعوى بعد أن نادى بها بولس بين أتباع المسيح لم تلق الإجابة التي كان يحلم بها؛ بل كانت النتائج مخيبة لآماله حيث يقول : (في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني) ولأجل دحض هذه الفرية انبرى برنابا يؤلف إنجيلاً يحذّر فيه الناس من دعوة بولس ، ويبين لهم الحق الذي كان يعهده .

أما بطرس المزعوم أنه رئيس الحواريين فيقرر أن كثيرين من أفراد الشعب سيتبعون تعاليم برنابا وأمثاله ، ويرفضون دعوة بولس ، ويؤكد يوحنا أن هذه الدعوى سببت خروج كثير من النصارى من صفوف أصحاب دعوة تأليه المسيح^(١) . ولا يزال يقتفي آثار هؤلاء المعارضين المئات بل الألاف إلى يوم الناس هذا ؛ ولا أدل على ذلك من هذه الفئام التي تهجر النصرانية اليوم وتعلن هجرتها إلى الإسلام .

وبعد أن منّ الله عليّ باستعراض سريع للأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون لنفي ألوهية المسيح عليه السلام ؛ ننتقل إلى المبحث التالي لدراسة ونفي ونقض بنوة المسيح لله عز وجل .

(١) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٤٩ - ٥٢ .

المبحث الثالث: نفي بنوة المسيح عليه السلام لله عز وجل

استمراراً للحديث في المبحث السابق عن تنزيه الله سبحانه وتعالى عن المشاركة له في ألوهيته وربوبيته؛ ينقلنا البحث إلى جانب آخر من جوانب التنزيه وهو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الوالدية والولدية، عن الأبوة والبنوة، فهو سبحانه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وينوع مماثل من الأدلة والبراهين، وينفس القوة التي سلكها هؤلاء المهتمون؛ لإحقاق الحق، وكشف زيف الفرية السابقة. ألوهية المسيح - انبرى هؤلاء في مواصلة خطواتهم المأجورة - إن شاء الله - كشفاً للحق، ونسفاً للباطل، وتعرية له وفضحاً للزيف؛ فلنر ماذا قدموا من الأدلة والبراهين في هذا المبحث.

الطلب الأول، سبب الضلال :-

يذكر المهتدي عبد الأحد داود أن تأليه المسيح وينوته مرّ بعدة مراحل، بعد مضي فترة وجيزة على رفع المسيح إلى السماء؛ تحول من ابن مريم إلى ابن يوسف النجار وألحق به إخوة وأخوات، ثم أصبح ابن داود، ثم ابن الإنسان، ثم ابن الله، ثم الابن فقط، ثم المسيح، ثم الحمل^(١).

ويتأثير من الفلسفة اليونانية التي دخل بعض أربابها في النصرانية، وتسنموا أعلى المناصب فيها، وهم لم يتخلوا عن أفكارهم السابقة، وفلسفتهم الوثنية؛ انتقلت هذه العقيدة الفاسدة الكاسدة عبر هؤلاء الفلاسفة إلى فكر النصرانية وكتبها وكنائسها، وتبناها بعد ذلك أبحارها ورهبانها يؤصلونها في الأجيال، ويحافظون عليها من الأقول والانقراض، وإن اختلفوا حول ماهية هذه البنوة وطبيعتها، وعلاقتها بما فوقها وما تحتها، فيقول هذا

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٢٣٠.

المهتدي - بعد أن ذكر تأثير الفلسفة اليونانية على الكنيسة - موضعاً هذا التأثير: (إن الذي دس في فكر الكنيسة فكرة (الأبوة والبنوة) الإلهية السقيمة هو الخصي الكوسج المصري خادم الرهبان المسمى «أوريفين» وهذا عندما شرح الآيات المذكورة - عن المسيح - عرقه قائلاً: حقيقة أنه من عين جنس الأب - الله - أي : باعتبار أن مريم أمه فهو من عين جنس الإنسان، أو مساوٍ لجنس الإنسان، وباعتبار أن الله أبوه فهو من عين جنسه، مساوٍ لجنس الله - حاشا لله^(١) .

هكذا رأينا تأثير الفلسفة اليونانية على النصرانية في هذا الجانب ؛ فلننظر كيف أبطل هؤلاء المهتدون هذه العقيدة ؟

المطلب الثاني، إبطال دعوى البنوة بتحليل اللفظ والاستدلال على ذلك :-

سبق بيان أن أساس الضلال في هذه الفرية هو لفظ «البنوة» أو بمعنى أوضح اعتبار المسيح ابناً لله، فيحسن بنا أن نستطلع رأي التوراة في هذا الإطلاق؛ فنجد أن التوراة صارمة في حماية هذا الجانب؛ فمن يجعل نفسه ابن لله يعتبر مجدفاً على مقام الألوهية، ويستحق الرجم، ولهذا لما عرض المسيح على بيلاطس لإصدار الحكم عليه قال: (خذوه أنتم واصلبوه ، لأنني لست أجد عليه علة. أجابه اليهود: لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت؛ لأنه جعل نفسه ابن الله)^(٢). ففي هذا النص دلالة كافية على أن كل عبارة من هذا القبيل - نسبة البنوة لله - وردت في التوراة والإنجيل؛ أن المقصود بها الاستخدام المجازي، وإلا كيف التوفيق؟ وقد ورد فيها نسبة أنبياء وشعوب إلى بنوة الله، كما أنها وردت هذه الألفاظ عن المسيح عليه السلام، وهو يقول: (ما جئت لأنقض بل جئت لأكمل)؛ فلا يمكن أن تتضمن التوراة حكماً كهذا الحكم السابق، وهو جاء ليكملها، ثم يدعى لنفسه

(١) الإنجيل والصليب ، ص ١١٧، وانظر أيضاً سر إسلامي ، ص ٦٧ - ٦٨ فقد استشهد بعدة نصوص من نصوص الإنجيل تفيد إطلاق المسيح لفظ «أبوكم السماوي» على كثيرين من تلاميذه، فلذلك لا يمكن اعتبار هذا اللفظ حجة في ادعاء البنوة له بسبب هذا اللفظ .

(٢) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ١٧٤ . هذا النص تضمن الإشارة إلى صلب المسيح ، وأنه دعا نفسه ابن الله . وما من شك أن هذا كله كذب واختلاق ، ولكن الذي يهمنا هو ما تضمنه من حكم .

- كما يزعمون - هذا اللقب .

ولقد درس هؤلاء المهتمون هذا اللقب أو الاصطلاح أو التسمية؛ وخرجوا من هذه الدراسة بنتائج طيبة وهي :

١ - أن المسيح فرّق بينه وبين من هم أعلى منه منزلة فقال : (كل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، أما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له^(١)) هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد ساوى بينه وبين سائر البشر من أتباعه وتلاميذه؛ إذ يكرر دائماً (أباكم السماوي ، وأبي وأبيكم^(٢)) .

٢ - أن هذه اللفظة - أو صفة البنوة - لم يختص بها المسيح؛ بل أطلقت على أنبياء كآدم ويعقوب وداود وسليمان، كما وصف بهذا الوصف شعوب وأمم^(٣) .

ولكن ماذا يعني هذا الوصف ؟ إنه يعني : أن من أطلق عليه هذا اللفظ فهو من المقربين لله؛ إذ المراد به المجاز لا الحقيقة يقول المهتمدي مرجان مبيناً ذلك: (ومن يطالع التوراة والإنجيل ورسائل الرسل والحواريين؛ يجد أن لفظ ابن الله ، أو صفة البنوة لم ينفرد بها المسيح ؛ بل شاركه فيها كافة الأنبياء والملائكة وجميع المؤمنين، وأن هذا اللفظ «ابن الله» لم يقصد به إطلاقاً المعنى الحرفي له، وإنما قد أطلق كثيراً، وكثر استعماله بالمعنى المجازي، ولم يكن يراد به سوى المقربين لله والمؤمنين به^(٤) . ولعل هذا الوصف «ابن الله» في كتب العهدين مرادف لمصطلح «أولياء الله» في المنهج الإسلامي؛ لأنني تتبعته من أطلق عليهم هذا الوصف، فإذا هم في الغالب من أولياء الله كالأنبياء والرسل والمؤمنين، ويطلق على الطائفة المناوئة «أبناء الشيطان» ، وهذا اللفظ الأخير - أبناء الشيطان - يساوي في المنهج الإسلامي أولياء أو حزب الشيطان .

٣ - أن القول ببنوة المسيح لا يتطابق مع تعاليمه وأقواله المبثوثة في العهد الجديد، والمؤكد على بشريته ورسالته، ولا يوجد أي مبرر لإفراده بآين الله بمعنى حرفي، وقد

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٧٤ . وسر إسلامي ، ص ٦٢ .

(٢) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ١٠١ .

(٣) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٢ ، ١٠٤ . والبحث الصريح ، ورقة ٧/أ . والله واحد أم ثالث ، ص ٧٤ - ٩٧ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤) الله واحد أم ثالث ، ص ٩٥ ، وانظر أيضاً ٩٤ - ٩٧ منه . والبحث الصريح ، ورقة ٧/أ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٢ ، ١٠٣ - ١٠٥ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٢٠ ، ١٣٣ - ١٣٤ .

أطلقت - كما سبق - على كثيرين سواه من هم مثله أو أرفع درجة منه؛ وإنما خصصه النصرى بهذا اللفظ انسياقاً وراء تعاليم بولس^(١) .

٤ - أن ادعاء بنوة المسيح لله كفر وشرك وكذب على الله وعلى رسوله المسيح عليه السلام؛ ودليل ذلك ما قال متى في إنجيله أن عيسى قال للحواريين: (اعلموا واعتقدوا أن أباكم السماوي الذي في السماء - يعني بذلك الله تعالى - هو واحد فرد لم يلد ولم يولد^(٢)) .

٥ - استندت النصرانية في ادعاء بنوة المسيح لله ، أنه ولد من امرأة عذراء من غير فعل . والجواب على ذلك يسير؛ لأن خلق آدم وحواء على غير مثال سابق، أعظم من خلقه من امرأة بلا أب، بل إن خلق يحيى من أبوين عقيمين مسنين أمر يعتبر معجزة عظيمة، ولم يدع هؤلاء أنهم أبناء الله؛ لأنهم جاؤا على غير مثال سابق^(٣) . كما استندت النصرانية أيضاً إلى أنه نفخ فيه من روح الله . وآدم عليه السلام نفخ فيه من روح الله ولم يدع إلهاً ولا ابن الله^(٤) . واستندت أيضاً إلى أنه أطلق عليه «الروح» وأنه نزل عليه الروح القدس . ولكن هذا اللقب أطلق على كثيرين سواه كجبرائيل إذ سمي الروح القدس ، وكذلك الوحي سمي روحاً ، وحلت روح القدس على الأنبياء تؤيدهم بتأييد الله ونصره، وورد في العهدين أن روح القدس حلت على كثيرين : وحل روح القدس على داود . وفي سفر العدد أن موسى قال : (ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء ؛ إذ جعل الرب روحه عليهم^(٥)) .

٦ - تستند النصرانية في ادعاء البنوة للمسيح على قوله عن ربه «أبي» فيقال لهم : لا بد أن تثبتوا أن هذه اللفظة هي التي تلفظ بها المسيح ، ولم تغير ولم تبدل، وإذا أثبتوا ذلك - وأنى لهم إثباته - فيقال لهم : إن اللغة أجازت أن يسمى الولي ابناً. وقد سماكم الإنجيل بنبيه وأنتم لستم مثل المسيح . والله سمي إسرائيل «بكرى» وداود «ابني» . فإن زعمتم أن هؤلاء أبناء الله على وجه الرحمة ، والمسيح ابن الله على الحقيقة . فيجوز لمعارضكم أن يقول : إن هؤلاء أبناء الله على الحقيقة والمسيح ابن الله على وجه الرحمة،

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٣ - ١٠٥ . والله واحد أم ثالث ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٢٠ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية، ص ١٢٣ . والمنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة ، ص ١٩ - ٢٠ ، ٥٠ - ٥٤ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ .

وإلا فما الفرق ^(١) .

٧ - يلزم النصرانية في ادعاء البنوة للمسيح أن يكون علمه كعلم الله وقدرته كقدرة الله، وسائر صفاته كسائر صفاته . وهذا باطل ودليل بطلانه أن المسيح متصف بما يتصف به سائر البشر من العجز والضعف ، ونفى كمال العلم عن نفسه ، ولما سئل عن الساعة قال : (إن ذلك اليوم لا يعلمه الملائكة الذين في السماء، ولا يعلمه إلا الآب وحده) . يعني بذلك الله ^(٢)

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٠ . والبحث الصريح ، ورقة ٨/ب/٩٠ أ . وقد سبق في المبحث الماضي نقض شريعة أو قانون إيمانهم ، وقد تضمنت الإقرار ببنوة المسح ، وهذه الشريعة أو القانون هي التي يعتمدون عليها في إقرار البنوة . فلا داعي لإعادة الطرح هنا مرة أخرى ؛ رغبة في الاختصار .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

المبحث الرابع : نفي اتحاد اللاهوت بالناسوت^(١)

تدعي النصرانية أن الله تبارك وتعالى عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئته لما أكل من الشجرة، ثم إن الله تعالى رحمهم فمنّ عليهم بخروجهم من النار، بأن بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى المسيح فصار إنساناً وإلهاً : إنساناً من جوهر أمه، وإلهاً من جوهر أبيه^(٢). وهذا الاعتقاد من الركائز الأساسية التي يؤمن بها النصارى ، ولأجل ذلك تناوله هؤلاء المهتدون بالبحث والنقض تارة على هيئة قضية مستقلة، وتارة باسم نفي الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية، وتارة تدخل هذه القضية ضمن نقض البنية؛ وما ذاك إلا نتيجة اختلاف النصارى حولها، وعدم اتفاقهم فيها على رأي، ففرقة تدعي فيه قولاً ، ثم تكفرها الأخرى بسبب هذا القول، وثالثة تأتي برأي مخالف للسابقين؛ وهذا شأن الباطل : الاختلاف والتفرق والتنازع .

وقد منّ الله عليّ فجمعت الأدلة التي استدلت بها هؤلاء المهتدون، وحاولت ترتيبها جهد المستطاع ، وهذه الأدلة هي : -

الدليل الأول : أثبت المهتدي إبراهيم خليل أن هذه العقيدة ليست من صميم العقيدة المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح؛ بل إنها دخيلة عليها من الأمم الوثنية التي جاورتها، وأن هذه العقيدة ماثلة لاعتقاد الوثنيين السابقين على النصرانية، فقد كانوا يعتقدون بثلاثة آلهة - كما سلف - تتكون من أب وأم وابن. ثم أثبت بالدليل القاطع أن هذه العقيدة لا سند لها من كلمات المسيح المدونة في الأناجيل، وأن المسيح ينكر أقنوميته ولاهوته. ثم أورد عدداً من النصوص التي تدعم هذا الرأي وتسند كاعترافه بربوبية الله وألوهيته، وتضرعه له، وأكد أن هذه التعاليم هي من صنع بولس الذي تسبب في فساد النصرانية، وانحرافها

(١) لن أستفيض في تفنيده هذه القضية ؛ لأنني قد تطرقت في مبحث سابق إلى نفي ألوهية المسيح وأكثر من الاستدلال ، وما هذه المسألة إلا جزءاً من تلك .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤٩ .

عن مسارها الصحيح^(١).

الدليل الثاني : استحالة تحقق هذا الزعم - اتحاد اللاهوت بالناسوت - في عالم الوجود؛ لأن العقل الصحيح والفطرة السليمة تمنع من أن يكون الله الخالق الأزلي نزل في بطن امرأة، واستحال إلى لحم ودم وتجسد في صورة جنين، ثم ولد ومشى على الأرض. ومن المستحيل - أيضاً - أن يكون الخالق الأزلي محدوداً متحيزاً متنقلاً من طور إلى طور، ومن مكان إلى مكان. ثم هو مستحيل - أيضاً - لأن الاعتراف به جمع بين الأضداد كالجمع بين الماء والنار والظلمة والنور، والخالق والمخلوق واعتبارهما شيئاً واحداً ، وهذا الجمع ترفضه كل الأمم العاقلة حتى النصارى أنفسهم يرفضون أن يكون الخالق هو المخلوق، ولكن هذا لازم دعواهم^(٢).

الدليل الثالث : أن العقل الصحيح يرفض هذه الدعوى؛ لأن التسليم بها يوجب أن يكون الله سبحانه وتعالى قد تجرد من كماله المطلق، ورضي أن يسلك مسلك البشر في أن يتدرج عبر مراحل مختلفة من الحمل والولادة والرضاعة، وإله يرضي بذلك يلزمه ما يلزم سائر البشر من الحياة والموت والصحة والمرض والعدم والفناء^(٣). تعالى الله عما يقولون .

الدليل الرابع : تدعي النصرانية - كما سبق - أن الله سبحانه وتعالى قد تجسد في المسيح منذ كان جنيناً. ولكن المتتبع لحياته منذ طفولته حتى بلغ الثلاثين من عمره - وهو السن الذي شرف فيه بالرسالة - لا يلحظ أدنى فرقا بينه وبين نظرائه الآدميين حيث اغتذي باللبن، وتناول الأغذية، ولم تظهر عليه آية الربوبية، ولا حفت به الملائكة بالتهليل، ولا ظهر منه فوق ما كان يظهر من الأنبياء قبله^(٤).

الدليل الخامس : تدعي النصارى أن الاتحاد لم يكن على سبيل الممازجة . فيقال لهم : أليس الاتحاد في الكلمة ؟ فإن قالوا نعم . وهو أن يثبت معناها والعلم بها في نفس المسيح . قيل : قد ثبت ذلك في نفسه وفي نفس الأنبياء قبله . وإن قالوا : إن معنى الاتحاد أن تظهر الكلمة بالتدبير على يديه . فيلزمهم أن لا تكون المعجزات من فعله، كما يلزم أن تكون الكلمة قد اتحدت بكل من ظهرت المعجزات على يديه ، وهم لا يقولون

(١) انظر الففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٧٢ ، ٩٩ ، ١٠٢ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

(٣) انظر سر إسلامي ، ص ٥٢ . والله واحد أم ثالث ، ص ٣٣ .

(٤) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٣ - ٩٤ .

بذلك، ولا يقول به أحد من العالمين.

وقد يحتجون لذلك بأنه فعل أفعالاً إلهية وإنسانية . فيقال : إن الأفعال الإلهية ظهرت عليه ولم يكن هو الفاعل لها ، كما ظهرت على أيدي الأنبياء قبله ، والمظهر لها هو الله^(١) الدليل السادس : كما تدعى النصرانية فيه الاتحاد تدعى فيه - أيضاً - أنه قُتل وصلب ودفن ... فإذا كانت هذه الحوادث وقعت على المسيح - كما يزعمون - فأين كان لاهوته عن ناسوته ؟ لا سيما مع قولهم : إنهما اتحداً أو تمازجا . فما الذي فرق بينهما عند القتل والصلب ؟ ولماذا غياب اللاهوت مع هذه الشدائد^(٢) ؟ . والناسوت في أشد الحاجة إليه .

الدليل السابع : يلزم من هذه الدعوى أن المسيح عليه السلام جوهر من جوهرين، أو إقنوم من إقنومين. ولا يخلو أن يكون أحدهما أبطل الآخر ، والباطل ليس إلهاً ، أو أنهما إمتزجا ؛ فلا بد حينئذ أن يكونا شيئاً ثالثاً لا هذا ولا هذا ، وإن قالوا: هما جوهران لم يتغيرا ؛ بطل القول بالاتحاد والممازجة ، وإن قالوا: إن اللاهوت أبطل الناسوت. كان الواقع يبطل ذلك ؛ فإن ناسوت المسيح مماثل لناسوت غيره من البشر ، وإن ادعوا أن الناسوت أبطل اللاهوت فقد أجازوا أن يبطل المحدث القديم ولا يقول بهذا القول عاقل . ويتوجه إليهم سؤال مفاده : هل جوهرَي المسيح قديمين أم محدثين ؟ فإن أجابوا بأن جوهر المسيح قديم فقد أقروا بقدوم أربعة - هم الثالث وناسوت المسيح - وإن قالوا: جوهر المسيح محدث فقد أقروا بحدوث الابن ، وعبدوا مالم يس بقديم ، وإن قالوا أحدهما محدث والآخر قديم لزم أن يعبدوا القديم والمحدث^(٣) .

الدليل الثامن : شهد المسيح لنفسه بالنبوة والرسالة وأنه كسائر الأنبياء والمرسلين ، وشهد له تلاميذه بذلك وأنه رجل مصدق من الله حيث جاء في إنجيل لوقا : (أن عيسى بعدما قام من قبره لقيه رجلان من تلاميذه وهما : كليوباس ولوقا، فقال لهما : ما لكما حزنان؟ فقالا له : وأنت كأنك غريب وحدك في مدينة بيت المقدس، ولم تعرف ما جرى في هذه الأيام من أمر المسيح الذي كان رجلاً مصدقاً من الله في مقاله وأفعاله عند الله وعند الناس^(٤)). فلا يمكن مع هذه الشهادة أن يدعى أنه مشتمل على لاهوت وناسوت، ولو كان

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤٤ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) انظر تحفة الأريب ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٤٨ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠١ .

كذلك لما حصل له الفناء والموت ، ولما قالوا : إنه رجل مصدق من الله ؛ بل كان تصويرهم لهذه الحادثة بعبارات أوقع على السمع ، وأشد على الفؤاد .

الدليل التاسع : قد يحتجون على هذا الاتحاد بقول المسيح : (أنا بأبي وأبي بي) . ولا حجة لهم في هذا النص ؛ لأنه قد ورد أن المسيح تضرع إلى الله في تلاميذه قائلاً : (يا أيها الأب القدوس أحفظهم باسمك الذي أعطيتني ، ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً ، وكما أنك أرسلتني فكذلك أرسلهم ، فأنا بهم وأنت بي) . ومعنى ذلك أنك معي كما أنني مع التلاميذ ، وكما أرسلتني لدعوة الخلق أنا أرسلهم إلى عبادك . وليس معنى هذا أن الله حال بالمسيح ؛ وإلا للزم على ذلك أن يكون الله حال في التلاميذ أيضاً ^(١) . ويقال لهم : يلزمكم أن تثبتوا أن المسيح عليه السلام قال هذا القول بهذا اللفظ ، ولم يصبه التحريف والتبديل . وهم لن يثبتوا ذلك لبعده العهد ، وانقطاع السند .

وهذا أو ان الانتقال للمبحث الرابع للوقوف على ثلاثة الأثافي في المعتقد النصراني وهي التثليث ، بعد أن من الله على بالانتهاء من دراسة وتفنييد ألوهية المسيح عليه السلام وينوته ...

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٨٠ .

المبحث الخامس : نقض التثليث

المطلب الأول . أساس القضية . -

تبين في المبحث الأول أن أساس جميع الرسائل الإلاهية هو التوحيد الخالص، والمسيح ابن مريم رسول النصرانية، قد اقتفى آثار من سلفه من الرسل والأنبياء ، ومن سار على نهجهم في تحمل أعباء الرسالة، والدعوة إلى الوحدانية .

لكن هذا التثليث أو الثالوث الذي وفد إلى النصرانية، كما وفد غيره من العقائد والطقوس من جراء معايشرة الأمم، أو الركون تحت وصايتها- هل كان معروفاً في الديانات السابقة ؟ وهل ورد ذكره نفيًا أو إثباتاً في الكتب الإلهية الأولى ؟ وهل وجد في القرون الأولى للنصرانية؟ وإذا لم يوجد في تلك القرون فمتى حدث؟ ومن الذي فرضه وأقره؟.. وللإجابة على هذه التساؤلات نقول: أكد هؤلاء المهتمون في دراساتهم التي سبقت الإشارة إليها في صدر هذا البحث على المسائل التالية :-

١ - حفلت الديانات الوثنية بعدد من الآلهة، وتفاوت هذا العدد كثرة وقلّة حسب الحاجة إلى هذا التعدد، واعتماداً على الفلسفة التي انطلقت منها هذه الوثنية، فلا نستغرب إذاً إذا وجدنا في الديانة النصرانية - بعد عصرها الأول - ثلاثة آلهة فقد سُبقت بالثلوث الهندي والصيني والتاسوع المصري .

٢ - أن هذه الوثنية والتعدد قد خلت - كما سلف - منها الديانات الإلهية، بل لم يكن هذا التثليث معروفاً لدى أقوامهم، إذ يقول المهتمدي محمد مرجان : (فقد نادى الأنبياء بوحدانية الله، ولم يتحدث أحد منهم عن شيء اسمه الثالوث^(١)). ويعزز ذلك المهتمدي عبد الأحد داود فيقول : (إن الأنبياء الذين بلغوا العهد القديم - التوراة والزيور وكل الكتب

(١) الله واحد أم ثالوث ، ص ١٢٨ .

العبرانية - من الله للناس لم يكن لهم علم ولا خبر عن التثليث البتة^(١).
وكما لم يكن لهذه القضية خبر لدى الأنبياء السابقين، فكذلك لم يكن لها ذكر في كتبهم
فالتوراة التي تعتبر كتاب اليهودية الأول، وأساس النصرانية لا يوجد فيها عبارة تتحدث
عن الثالوث لا إثباتاً ولا نفيًا. بل إنها تندد بالتعدد وتعتبره كفرةً بواحا^(٢).

أما الأناجيل التي هي عمدة النصارى، وعماد ملتها؛ فقد بنيت أساساً على التوحيد ،
يؤكد ذلك المهتدي مرجان بعد دراسة للتوراة والأناجيل، وخروجه منها بالنتيجة التالية التي
أوضحها بقوله: (... ثم ذهبنا نطالع الأناجيل ورسائل الحوارين، لوجدنا أن دعوة المسيحية
ماهي إلا دعوة الوحدانية، الوحدانية التي هي عماد كل دعوة سماوية، وملاك كل رسالة
رَبَّانية^(٣)). ثم أكد هذه النتيجة بعدة نقول من العهد الجديد تؤكد ما ذهب إليه من التزام
المسيحية للوحدانية في أطوارها الأولى .

أما المهتدي إبراهيم خليل فيؤكد هذا المنحى من ناحيتين :-
أ - أن الأناجيل التي دونت فيما بين عامي ٧٠ - ١١٥ م لا تحتوي على إشارة إلى
الثالوث .

ب - أن الموسوعة الكاثوليكية (تصرح بأن عقيدة التثليث لم تكن معروفة للمسيحيين
الأوائل، وأنها صيغت في نهاية القرن الرابع الميلادي^(٤)).

وينضم إلى هذه القافلة المباركة عبد الأحد داود ويأتي بدليل أكثر شمولاً واستقصاءً من
سابقه؛ ليؤكد أن العبارات التي وردت بها ألفاظ التثليث ما هي إلا عبارات بريرية
متعسفة؛ حيث أنها لم تستعمل في الوحي والإلهامات النازلة باللغات السامية^(٥). وأن
العهد الجديد لا يؤيد التثليث بصراحة، ولكنه احتوى على تلميحات وإشارات حول
التثليث، ولكنه ليس بحجة أبداً ؛ لأن المسيح عليه السلام لم يشاهده ولم يكتبه، ولم يوجد
في كلامه الذي تكلم به، ولم يوجد التثليث في شكله الحالي ومضمونه طيلة القرنين اللذين

(١) الإنجيل والصليب ، ص ٩ .

(٢) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ١٢٨ - ١٣٤ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ . ٩٢ . والإنجيل والصليب ، ص
٢٠٥ . والبحث الصريح ، ورقة ٥/ب .

(٣) الله واحد أم ثالوث ، ص ١٣٥ ، وانظر أيضاً ١٣٤ - ١٣٩ منه . والبحث الصريح ، ورقة ٥ .

(٤) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٥ .

(٥) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٢٠٤ .

جاء بعده^(١).

٣ - أن بولس الذي تسبب في ابتعاد النصرانية عن مسارها الصحيح، ونقل إليها عقائداً وأفكاراً وثنية لم يكن على علم بهذا الثالث الذي صُنِعَ من بعده^(٢).

٤ - أكد كل من المهتمدي الشيخ زيادة وعبد الأحد داود وإبراهيم خليل على أن عبارة التثليث - الآب والابن والروح القدس إله واحد - لم ترد في جلسات مجمع نيقية المنعقد في عام ٣٢٥ م، ولم ترد - أيضاً - في النص اليوناني للأناجيل، حيث يقول الشيخ زيادة : (اعلم أن جملة الآب والابن والروح والثلاثة هم واحد . ليس لها وجود في جلسات المجمع النيقية؛ لأن هذه الجملة في بعض نسخ الإنجيل القديمة الموجودة عند النصارى الموحدين، وعند طائفة السريان في اللغة السريانية - ليس لها أثر كلي، وهي دخيلة مبتدعة)^(٣). وبما أنها لم ترد في جلسات مجمع نيقية؛ فقد أقرت هذه العقيدة رسمياً في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية عام ٣٨٦ م^(٤).

٥ - في الفقرة السابقة ثبت أن التثليث لم يقر كعقيدة إلا في أواخر القرن الرابع الميلادي، وأنه خلال هذه الحقبة الزمنية تغلبت على النصرانية بعض الأمبراطوريات الوثنية، وسامتها الخسف والذل، وصرفتها عن مسارها السليم، كما أنه خلال هذه الفترة - أيضاً - دخلت في النصرانية أمم وثنية؛ كل ذلك هياً هذه الأمة لأن تخضع تحت تأثير الغلبة والمعاشر فتدين بدين هو أمشاج من وثنية الفرس والرومان واليونان، ويؤكد هؤلاء المهتمدون أن الثالث النصراني هو نتيجة لتأثر النصرانية ببعض الأمم التي تعتقد بثلاثة آلهة أو أكثر كالفرس

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ .

(٢) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٥ . والله واحد أم ثالث ، ص ٤٥ .

(٣) البحث الصريح ، ورقة ٥ / أ . وانظر أيضاً محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١١ ، ٥٩ .
ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢١٦ . وقد ذهب د . أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان أن اعتقاد التثليث ظهر قبل القول بالوهية المسيح . ج ٢ ، ص ١٢٨ .

(٤) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢١٦ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٠ . وقد ذكر عبد الأحد داود في كتابه الأول الإنجيل والصلب ص ٢١ أن وثيقة مجمع نيقية قد صرحت بالتثليث . ولكن يبدو أنه تراجع عن هذا الرأي بما تبين له من المعلومات؛ فقرر في كتابه الثاني محمد في الكتب المقدس أنها أقرت هذه العقيدة عام ٣٨٦ م في مجمع القسطنطينية. ص ٢١٦ . ونقل عنه الرأي الأول د . شلبي في كتابه السابق ج ٢ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ . وما ذكرته في بداية هذه الفقرة خلاف ذلك .

والهنود والمصريين القدماء^(١) .

٦ . أن هذا التثليث الذي أقرته المجامع لم يكن من السهل إدراكه وفهمه؛ وما ذاك إلا أنه خلاف الوحي والعقل والفطرة والمنطق ، بل الكون كله يناقض هذه العقيدة ويرفضها ، ويشهد بالوحدانية. وينقل المهتدي عبد الأحد داود رأي أحد علماء النصارى بعد أن استعرض نقد أحد علماء المسلمين للتثليث، ويعد أن فهم الاعتراض قال: (نقول رداً على هذا الاعتراض إننا كثيراً ما نجد مناقضات منطقية عديدة في كلا الماديات والعقليات كالزمنية ، والأزلية ، والامتداد واللاتهائية وغير ذلك من المتناقضات العظيمة المعروفة عند الفلاسفة بالمناقضات العقلية، وهي في الحقيقة مما لا يستطيع اجتنابه؛ فلا يتزعزع إيماننا بوجود تناقض ظاهري في عقيدة الثالوث في الوحدة^(٢) ..) إذاً هو مقتنع بالتناقض في هذا المبدأ ولكنه يحاول أن يقنع نفسه بأن الفلسفة إذا لم تخل من التناقضات؛ فلا يمنع أن يشتمل الدين على تناقضات ، ولكن لا ينبغي أن لا تززع هذه التناقضات دينه !! .

٧ . نتيجة لهذا الغموض في هذا المبدأ فقد كثر الخلاف حول العلاقة بين أطرافه الثلاثة، ومهام هذه الأطراف. فقالوا عن هذا الثالوث أقوالاً لا يأتي عليها الحصر ومنها :-

أ . أن الله سبحانه وتعالى جوهر واحد وثلاثة أقانيم .

ب . أن هذه الأقانيم واحدة في الجوهر مختلفة الأقانيم .

ج . أنها أشخاص وذوات .

د . أنها خواص .

هـ . أنها صفات .

و . أن الآب والابن فقط هما جوهر واحد .

ز . أن الأقانيم متفاوتة في القدر والمكانة .

ح . أن الأقانيم الثلاثة معاً هم الله بل الجميع متساوون .

ط . أن الأقتنوم الثاني هو أهم هذه الأقانيم .

(١) انظر الله واحد أم ثالوث ، ص ٨٠-٨١ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٥٩ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٢ . وسر إسلامي ، ص ٤٧-٥٠ .

(٢) الإنجيل والصلب ، ص ٢٠١ . وانظر أيضاً الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٤ . والله واحد أم ثالوث ، ص ٧٠ .

ي . أن الثالوث يطلق على المسيح وحده^(١) .

وكما اختلفوا حول الثالوث، اختلفوا حول ماهية مكوناته فكان الخلاف حاداً حول طبيعة الإقنوم الثاني، ومشيئته وإرادته ، وتاريخ وجوده. واختلفوا - أيضاً - حول الإقنوم الثالث فمن قائل إنه منبثق من الآب فقط. ومن قائل أنه منبثق منهما، وادعوا أنه خلق العلم. بينما أنكر آخرون ألوهيته، بل مشاركته في الثالوث، واخترعوا ثالوثاً آخر من إلهين ومألوهة^(٢).

المطلب الثاني : نقض القضية : -

لما تبين أساس القضية، وتاريخ حدوثها، وأسباب ذلك، فمن الضروري أن يتجه البحث بعد ذلك إلى نقض هذه القضية بالدليل والبرهان والحجة، بعيداً عن الحماس والاندفاع الإنشائي الذي يعتمد على الكلمة المثيرة، والعاطفة المثارة، فإلى البراهين والأدلة : .
الدليل الأول^(٣) : استحالة وجود أكثر من إله في هذا الكون (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا^(٤))؛ لأن تعدد الآلهة يستدعي التنازع والتناحر بينهما، الذي ينشأ عنه فساد السموات والأرض. ثم إن هذا التعدد مدعاة للتنافس والتزاحم بين الآلهة حول الأفضلية والتقدم، والدرجة والمرتبة حيث يقول تعالى : (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً^(٥)) .

الدليل الثاني : أن القول بالتثليث يلزم عليه الإقرار بثلاثة آلهة؛ لأن الأقانيم أشخاص

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٥٦ - ٥٧ . والله واحد أم ثالث ، ص ٣٨ - ٤٤ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٦ . وتحفة الأريب ، ص ١٣٩ .

(٢) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) لن أكثر من سرد النصوص النقلية التي تنفي ألوهية المسيح عليه السلام في هذا البحث : لأنني خصصت البحث الثاني من هنا الباب لذلك .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

(٥) سورة الإسراء ، الآية ٤٢ . وانظر الله واحد أم ثالث ، ص ٦٥ - ٦٦ .

يوماً إليها، ويقع الحد عليها^(١).

الدليل الثالث : تدعي النصرانية أن الأقانيم متساوية فالآب هو الله ، والابن هو الله، والروح القدس هو الله. وليس هذا صحيحاً؛ لأنهم يعتقدون أن الروح القدس قد انبثق عن الآب والابن، ولا يمكن أن تتساوى هذه الأقانيم في الأزلية والثالث قد انبثق عن الاثنين قبله. كما أن لكل واحد منهما صفات تخصه لا يمكن أن يوصف بها الآخر، ثم إن الآب دائماً في المرتبة الأولى ، والابن يأتي بعده، والروح القدس في الدرجة الثالثة، فلا يرضون أبداً أن يعاد ترتيب هذا الثالوث فيكون الروح في المقدمة ، والابن هو الثاني والآب هو الثالث؛ بل يعتبرون ذلك إلحاداً، فكيف التسوية إذا^(٢) ؟ .

الدليل الرابع : أن هذه الأقانيم الثلاثة إما أن تكون متساوية أو متفاضلة، فإن كانت متساوية في سائر الصفات؛ فما زاد عن الواحد فهو فضل غير محتاج إليه، وإن تفاضلوا؛ كان المفضول ناقصاً، ولا يجوز إدخال النقص على مقام الألوهية^(٣).

الدليل الخامس : استدل الشيخ زيادة استدلالاً بارعاً في نقض هذا الثالوث من ألفاظه؛ وذلك لأنه وصف الأقانوم الثالث الروح وحده بالقدس . وهذا كافٍ للدلالة على عدم المساواة بينهما، ولو كان هناك تساوي بينهما لقال: عمدوهم باسم الآب القدس والابن القدس والروح القدس، وما يدل على عدم التساوي بينهما الحاجة إلى نعت أحدها وترك الباقي . ثم شكك في وجود هذه اللفظة في أصل إنجيل متى، وعلى اعتبار أنها موجودة فيه؛ فشهادة الواحد . من أمثال متى . ضعيفة، لا ترقى لأن تكون برهاناً على عقيدة^(٤) .

الدليل السادس : أن الله سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض، وهيمن عليها وأحاط بها. فلا يمكن أن يكون كل واحد من هذه الأقانيم يحيط بهذه السموات والأرض ويسعها ويهيمن عليها في نفس الوقت الذي يهيمن ويحيط بها الآخر^(٥). وذلك لأنه إذا أحاط بها أحد هذه الأقانيم فالزيادة عليه فضلة لا حاجة إليها، وإن كان كل واحد محتاج للآخر في هيمنته وإحاطته فالمحتاج إلى غيره ضعيف عاجز، وهذه صفات يتنزه عنها مقام الألوهية .

(١) نظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢٧ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٦ .

(٢) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٤ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٤ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٤) انظر البحث الصريح ، ورقة ٥ / ب - ٦ / أ .

(٥) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٦ . والله واحد أم ثالوث ، ص ٦٢ .

الدليل السابع : هذه الأقانيم إما أن تكون أزلية أو محدثة، فإن كانت محدثة؛ بطل القول بألوهيتها، لأن من صفات الله أنه الأول والآخر. وإن كانت أزلية فهذا ممتنع شرعاً و عقلاً؛ لأنه لا يمكن أن يتحقق في الوجود إلهين كل واحد له الكمال المطلق في الصفات^(١).

الدليل الثامن : يعتمد هذا الثالوث على ثلاث صفات هي: الذات، والنطق، والحياة^(٢). أو هي القدرة، والعلم، والحياة^(٣). وإذا كانت الصفة هي مناط الاعتبار في الأقسام؛ فليست صفات الله ثلاث فقط ، ولزم على ذلك أن تتعدد الأقانيم بتعدد الصفات، وهم لا يقولون بذلك. وأيضاً يلزم على ذلك أنهم قصرُوا صفات الإله على هذه الثلاث فقط؛ فيكون الإنسان متصفاً بصفات كمال كالإرادة والسمع والبصر، والإله غير متصف بها. وهذا نقص يتنزه عنه الله سبحانه وتعالى. وإذا اعتبروا هذه الأقانيم صفات فلا بد لها من موصوف تقوم به. ويلزم من ذلك الاعتراف بقدوم أربعة^(٤).

الدليل التاسع : أن القول بثلاثة آلهة هو المحال بعينه؛ لأنه يقتضي الإيمان بثلاثة كائنات ناقصة كل واحد منها يكمل الآخر، سواء اعتبرناها منفصلة أم متحدة. ولا يمكن قبول هذا المبدأ على أنه هو التصور الحقيقي للإله؛ فليس الله أباً لابن، كما أنه ليس ابناً لأب. وهذا الاعتقاد كفر صريح بوحدانية الله، ومشابهة لآلهة الوثنيين^(٥).

الدليل العاشر : يلزم من القول بالتثليث إما أن تتفق هذه الثلاثة على خلق هذا الكون أو تختلف. فإن اتفقت فمعنى ذلك احتياج كل أقنوم للآخر؛ وهذا يدل على العجز وعدم الاستقلالية، وينفي عنه صفة الألوهية. وإذا افترضنا أنها اتفقت على تقسيم العمل فيما بينها؛ فيلزم على ذلك أن كل أقنوم محدود ، فيقدر أحدهما على ما لا يقدر عليه الآخر. وإذا افترضنا - أيضاً - أنها قد اسندت العمل إلى واحد منها فحينئذ يكون الإلهان الآخران عاطلين، ولا حاجة إليهما، ولا داعي لوجودهما. وإن اختلفت وقع التنازع والتناحر بينهما كما أسلفت، وكل هذه ليست من صفات الإله المتفرد بالخلق والأمر والقدرة والإحاطة

(١) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٦٤ . والنصيحة الإيمانية ، ص ٦٣ . وراجع الدليل الأول لزيد من الإيضاح حول هذه المسألة .

(٢) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٩ ، ٣٥ .

(٣) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٢٠٤ .

(٤) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٩-٥٢ . والإنجيل والصليب ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٤ . والنصيحة الإيمانية ، ص ٦٥ .

(٥) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٤ . والإنجيل والصليب ، ص ٢٠١ .

والغنى^(١).

الدليل الحادي عشر: إن من القواعد المقررة العامة أن الكثرة لا توجد إلا في الكائنات؛ حيث يوجد الضعف والانقراض حتى تتوارث وتستخلف، والله سبحانه وتعالى غني بذاته عن سواه بل الخلق كلهم فقراء إليه^(٢).

الدليل الثاني عشر: قد يقول بعض أصحاب الثالوث: إننا لا نقول بوجود ثلاثة آلهة، وإنما نقول: بوجود إله واحد مركب أو مكون من ثلاثة عناصر أو أقانيم. وهذا القول تبطله الوجوه التالية :-

١ - أن المركب أو المكون من أجزاء لا يتم وجوده إلا بعد وجود تلك الأجزاء، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها. والله سبحانه وتعالى لم يسبق بشيء فهو الأزلي والأول وحده.

٢ - أن المركب يفتقر في وجوده وتحققه إلى كل جزء من أجزائه، والله الغني بذاته لا يفتقر إلى شيء من خلقه .

٣ - المركب لا بد له من مركب يتولى تركيبه وخلقته حتى تكتمل عناصره وتصير شيئاً واحداً، والله سبحانه لا يتكون من عناصر وأجزاء حتى يحتاج إلى شيء من ذلك .

٤ - أن المركب محدود بكمية عناصره وأجزائه وبالتالي يمكن تحيزه في المكان والزمان والله والواحد ليس كذلك^(٣).

٥ - أن المركب مسبوق بزمن لم يكن موجوداً فيه. والله سبحانه وتعالى هو خالق الزمان.

٦ - أن المركب قابل للتركيب والتكوين . فهو عرضة للزوال والفناء والنهاية. ولكن الله هو الأول والآخر .

٧ - أن المركب من عناصر وأجزاء عرضة للزيادة عليه والنقص منه. والله الأزلي هو الواحد الأحد الفرد الصمد .

٨ - أن المركب من عناصر وأجزاء لا بد أن تتفاوت فيه هذه العناصر قوة وضعفاً . وينتج عن ذلك حاجة الأجزاء الضعيفة إلى الأخرى القوية .

٩ - أن المركب من عناصر وأجزاء مفتقر إلى من يحفظه ويحوطه بعنايته ورعايته حتى

(١) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٣) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٦٧ - ٦٨ .

يضمن له الاستمرار والبقاء؛ وإلا أصبح عرضة للزوال والفناء .

١٠ - التكوين والتركيب يدل على فقر المركب الى غيره، ولو كان غنياً عن ذلك ؛ لكان غنياً عن التركيب والتكوين .

الدليل الثالث عشر : أن من يطالع الكتب النصرانية يجد أن هذه الثلاثة الأقانيم ليست متساوية - وإن زعموا ذلك - لأنك تجد أن أحد هذه الأقانيم يخاطب الآخر بضمير الغائب ويرسله ويأمره، ويتكلم هذا عن هذا ويصفه بصفات لا توجد في نفس المتحدث، وأن هذا قد انبثق من هذا، ثم تجد أن كل واحد منها يتصف بصفات لا يتصف بها الآخر : فالآب مُوجد، والابن مخلص أو فاد، والروح واهب حياة؛ ولا يمكن لأي واحد من هذه الثلاثة أن يكون هو وحده الموصوف بتلك الصفات؛ فتعين من ذلك التباين وعدم المساواة^(١).

الدليل الرابع عشر : أن مجرد التسمية - الآب والابن وروح القدس - يقتضي تعدد الآلهة؛ لأنك عندما تطرح سؤالاً على النصراني مفاده : كم آب لديكم ؟ ستكون الإجابة بالطبع : آب واحد. ثم تطرح سؤالاً آخر : هل الآب هو الابن؟ الجواب : إن الآب ليس هو الابن. وهكذا هل الروح القدس هو الآب ؟ فتكون الإجابة كالإجابة على السؤال الثاني. إذاً فكل الإلهين الآخرين ليسا بالآب؛ وإذا كانت الحالة هذه فقد اعترفوا بالتعدد، كما أن فيه اعترافاً آخر منهم أن الإلهين الآخرين لم يقدر أن ينالا درجة الأبوة، ولن يبلغاها. فيلزم من ذلك أن هذين الإلهين الأخيرين متصفان بالعجز والضعف^(٢).

الدليل الخامس عشر : أن علم الرياضيات يبطل القول بالثلاثية. وذلك لأن الوحدة ليست أكثر من واحد وأقول: إن واحداً لا يمكن أن يساوي واحداً + واحداً + واحداً . فلا يمكن أن يكون الواحد مساوياً للثلاثة؛ لأن الواحد هو ثلث الثلاثة. فإذا قال النصراني عن معبوده : أن $١ = ١ + ١ + ١$ فيعتبر ذلك استنتاجاً باطلاً ، وأن من يحاول أن يستنتج هذا الاستنتاج : إما مبالغ في اللجاجة والعجرفة ، أو أنه جبان لا يريد أن يعترف بأنه يعبد ثلاثة آلهة^(٣).

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ .

(٢) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٥ - ٤٧ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٩٤ . والله واحد أم ثلوث ،

وبعد هذا البحث والاستقصاء والنقض والتفنيد لهذه الركائز الأساسية لدين النصرانية ،
نواصل الخطوات لدراسة بقية هذه الأركان والأسس ، وستكون الدراسة في المبحث التالي
عن قضية الصلب وفداء البشرية من الخطيئة الموروثة - حسب زعمهم - .

المبحث السادس :

نفي صلب المسيح تكفيراً عن الخطيئة الموروثة

هذه القضية تعتبر من الركائز الأساسية التي تعتمد عليها النصرانية في عقيدتها، ومن لم يؤمن بهذه العقيدة فهو محروم في الدنيا والآخرة .
هذه القضية بهذه الأهمية هل نقلت عن الأنبياء السابقين ؟ وهل بشر بها المسيح ؟ وهل وردت في الأناجيل المعتبرة لديهم ؟ وهل يؤيدها العقل وتسلم بها الفطرة ؟ أو هي إرث وراثته النصرانية عن الأمم الوثنية، وأصبح من العقائد النصرانية ؟. والإجابة عن هذه الأسئلة تجدها في المطالب التالية :-

المطلب الأول ، الأساس الوثني لهذه القضية :-

اشتملت الديانات الوثنية على نموذج مائل لهذه القضية . أي المخلص المصلوب . فقد ذكر المهتدي إبراهيم خليل ستة عشر إلهاً مخلصاً عرفوا قبل مجئ المسيح ، وكل هؤلاء ماتوا لأجل خطايا العالم ، وسمي كل واحد من هؤلاء مخلصاً ، وأولهم «أوزوريس» في مصر عام ١٧٠٠ ق م ، وآخرهم «مذرا» في فارس عام ٤٠٠ ق م ، وأغلب حوادث الصلب التي وقعت لهؤلاء مماثلة تماماً لحادثة صلب المسيح ، كما أن أغلب الصفات التي تمتع بها هؤلاء المخلصون أسبغت على المسيح ؛ حتى تكتمل الصورة في المماثلة والمشاكلة .
وأكد هذا المهتدي وغيره أن هذه القضية لا تمت للمسيحية بصلة ، وأنها ترجع إلى تلك

الأصول الوثنية^(١).

ويبين المهتدي الهاشمي أن العبارات التي رويت عن المسيح إبان صلبه - حسب زعمهم - ورويتها الأناجيل وكتب الرسائل - قد وردت في العهد القديم، وأن هؤلاء الكتاب استحدثوها للإيهام ، وإظهار هذه الحادثة بمظهر الحقيقة ، وأورد بعض الأمثلة للتدليل على هذا، ومن ذلك ما جاء في سفر أشعياء : (حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه ، وآخرون لطموه) ووردت هذه الألفاظ في إنجيل متى عند ذكر حادثة الصلب ، وقال داود في مزموره الثاني والعشرين : (إيلي إيلي لماذا شبتني ، أي إلهي إلهي لماذا تركتني ؟) ورويت هذه الألفاظ في جميع الأناجيل عند سرد قصة الصلب^(٢).

المطلب الثاني ، أساس هذه القضية . -

هذه القضية - الصلب والفداء - مبنية أساساً على قضية بنوة المسيح لله سبحانه وتعالى ، وقد تقدم في مبحث سابق نفي بنوة المسيح لله^(٣) . وإذا سقط الأساس فلا تسلم عن الكيان، وإنما أردت هنا أن أتناول هذه القضية من جانب آخر وهو الصلب والفداء .
كما أنها - أي هذه القضية - متفرعة عن خطيئة آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة ، ولكن خطيئة آدم قد غفرت له ، وتاب الله عليه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم^(٤)) . ونصوص العهد القديم شاهدة بأن الخطيئة لا تورث - كما سيأتي تفصيله - إذا هي مبنية على أساس منهار فانهار بها وبأهلها في سواء الحجيم^(٥) .
ويؤكد هؤلاء المهتدون أن المسيح عليه السلام لم يتحدث عن هذه القضية، ولم ترد في

(١) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٩٧ - ٩٩ ، ١٠١ - ١٠٢ ، ١٦٣ - ١٦٥ ، ١٧٠ .

والقرآن بين الإسلام والمسيحية ، ص ١١٥ - ١١٦ . وسر إسلامي ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) انظر سر إسلامي ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٣) انظر ص ٢٩٤ ، ٣٢١ من هذا البحث .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(٥) انظر سر إسلامي ، ص ٧٧ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٩ - ١٤٢ .

كلامه، بل الذي ورد في كلامه خلاف ذلك^(١). وكما لم ترد على لسان المسيح، فكذلك لم ترد على ألسنة الحواريين الذين تتلمذوا على يدي المسيح وشاهدوا كافة أحواله منذ بعثته وحتى رفعه الله إليه^(٢). ولكنها من تعاليم بولس - الضال المضل - الذي أراد أن يهدم المسيحية في أساسها، وينقلها من الوحدانية إلى الوثنية، ومن الإسلام إلى الكفر^(٣)

المطلب الثالث ، نقض هذه القضية . -

الدليل الأول : يلزم من هذا أن البشرية منذ آدم حتى المسيح عليه السلام كانت تترجح تحت ثقل الخطيئة الموروثة ، وأن الله قد غضب على هؤلاء البشر جميعهم ، وأدخلهم النار حتى أخرجهم المسيح منها بعد موته وصلبه ... ويبطل هذا بالوجه التالية : -

١ - أن الله سبحانه وتعالى اختار رسلاً كراماً في الفترة الواقعة بين آدم والمسيح عليهما السلام، وأكرم هؤلاء الرسل بالكرامات العديدة، ووعدهم بالنعيم المقيم في الدنيا والاخرة، ولم يرد عنهم ولا عن المسيح أنهم مثقلون بالخطيئة، وأنهم بعد موتهم سيذهبون إلى الجحيم حتى يجيء عيسى ليخلصهم منها^(٤).

٢ - أن المسيح عليه السلام ذكر أنه لم يأت للأصحاء ، وإنما جاء للمرضى، وقال : (لم آت لأدعوا صديقين بل خطاة إلى التوبة) ؛ فينتج عن هذا أنه يوجد في عهده صديقون وأصحاء لم يتدنسوا بالخطيئة الموروثة^(٥).

٣ - أن نصوص العهد القديم ترفض وراثه الخطيئة فبر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون ، وقد جاء في شريعة موسى عليه السلام : (لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل) وجاء أيضاً (في تلك الأيام لا يقولون

(١) انظر الففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٧ - ١٠٨ . والإنجيل والصليب ، ص ١٦٤ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٨٢ . والبحث البحث الصريح ، ورقة ١٧ / أ .

(٢) انظر المنارات الساطعة ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٩٥ ، ١٠٣ - ١٠٤ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٩ .

(٤) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٦ - ١٧ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٥) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٧ / أ .

بعد: الآباء أكلوا حصراً وأسنان الأبناء ضرس بل كل واحد يموت بذنبه، وكل إنسان يأكل المحصرم تضرس أسنانه^(١) .

الدليل الثاني : أن في هذه الدعوى منافاة للعدل : إذ كيف يترك الله البشر وفيهم الصالحون تحت وطأة العذاب والظلم منذ آدم وحتى المسيح بسبب خطيئة آدم . مع أن من يأتي بعد المسيح من ذرية آدم لا يحمل من هذه الخطيئة مثقال ذرة^(٢) .

الدليل الثالث : أن هذه الحادثة تصور الله سبحانه وتعالى عما يقولون راضياً ومشاركاً لمن نفذ الصليب في المسيح ، بل يعتبر المنفذ مأجوراً ؛ لأنه نفذ أمر الله ، ولكن ما بال النصراني يعادون اليهود بسبب أنهم هم قتلوا المسيح^(٣) ؟ .

الدليل الرابع : لم يكن المسيح بدعاً من الرسل فقد سبقه عدد من الرسل الكرام أولوا العزم : منهم من أغرق الله الأرض بالطوفان لأجل دعائه على أعدائه ، ومنهم من اتخذه الله خليلاً ، ومنهم من كلمه الله تكليماً ، ومنهم من سخر الله له الجن والإنس . ومع ذلك كيف يبقى هذا السر مكتوماً عن جميع هؤلاء الأنبياء ، وقد شملتهم هم وأقوامهم هذه الخطيئة . على زعمهم . ولم يكن لهم بها علم ولا خبر^(٤) .

الدليل الخامس: تروي الأناجيل موقفين من مواقف يحيى عليه السلام مع المسيح : فالموقف الأول: عندما عمّد يحيى عيسى عليهما السلام سأله : هل أنت النبي الذي سيأتي؟ أم نتوقع واحداً آخر ؟ . والموقف الآخر : عندما رأى عيسى عليهما السلام قال: (انظروا حمل الله الذي سيحمل خطيئة العالم) . وتعول النصرانية على هذا الموقف الأخير في إقرار حمل الخطيئة وتكفيرها .

ولكن هذا الموقف الأخير لا يمكن أن يصح عن يحيى عليه السلام ؛ لأن هذا اللفظ فيه إلهاد وشرك بالله، والله سبحانه وتعالى يقول عنه : (أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين^(٥)) . ثم إن هذا التبشير من يحيى بعيسى بهذه

(١) انظر الففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٧ . والمسيح إنسان أم إله، ص ١٣٦ . والبحث الصريح، ورقة ١٦ / أ .

(٢) انظر البحث الصريح، ورقة ١٦ / ب . والففران بين الإسلام والمسيحية، ص ١١٤ . والإنجيل والصليب، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٠١ . وسر إسلامي ، ص ٨٣ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٤) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٧ . والبحث الصريح ، ورقة ١٦ / ب .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٣٩ .

المهمة ، وبهذه الصفة التي تخوله بتحمل خطايا العالم يلغي - بالطبع - رسالة يحيى التي تدعو إلى التوبة من الخطايا وطلب المغفرة من الله . وإذا كانت معمودية يحيى طريقة كافية لمغفرة الخطايا؛ فعندئذ يتهاافت القول بأن حمل الله يتحمل خطايا العالم^(١).

الدليل السادس : لا توجد ديانة إلهية تصور الله سبحانه وتعالى بهذه الصورة التي تفرّد بها النصارى^(٢) ؛ فكل الشرائع الإلهية اتفقت على تنزيه الباري عما لا يليق به ، ووصفه بما وصف به نفسه ، إلا هؤلاء القوم فلم يرضوا بذلك حتى صوروا إلههم تصويراً خاصاً بعد أن اقترضوا صورته من الأمم الوثنية.

الدليل السابع : تتفق الأناجيل على أن المسيح لم يصلب ، وأن المصلوب هو الشبيه، فقد جاء في إنجيل لوقا الإصحاح الرابع : (فقاموا وأخرجوه خارج المدينة ، وجاؤا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم عليه ؛ حتى يطرحوه أسفل ؛ أما هو فجاز في وسطهم ومضى) . وفي إنجيل يوحنا الإصحاح العاشر: (فطلبوا أن يسكوه فخرج من بين أيديهم) وجاء فيه أيضاً : (أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم ، وحيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا)^(٣).

الدليل الثامن : برأه الله من الصلب وحماه من القتل والإهانة ، وقد نطقت بذلك الكتب المعتمدة عند النصارى ، فقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عشر : (خرجت من عند الآب ، وقد أتيت إلى هذا العالم ، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب) وجاء في سفر أعمال الرسل الإصحاح الأول: (الكلام الذي أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه) فلم يذكر قصة الصلب، ولو وقعت لذكرها لصاحبه، وقال يوحنا في إنجيله الإصحاح الثاني عشر: (تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم). بل إن هذه الكتب ذهبت إلى أبعد من ذلك فذكرت أنه رفع إلى السماء، وأن المسيح عليه السلام قد أخبر تلاميذه بأنه سيرفع، ولن يقدر عليه اليهود^(٤)

الدليل التاسع : أثبتت الأناجيل رجوع المسيح عليه السلام إلى هذه الحياة الدنيا في آخر الزمان ، ففي إنجيل لوقا الإصحاح العشرين : (وحينئذ يبصرون أن ابن الإنسان آتياً في

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٧٤ ، ١٩٤ . مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا النقض الأخير من باب الإلزام .

(٢) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٠ .

(٣) انظر المنارات الساطعة، ص ٧٣ - ٨١ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٥٤ - ١٥٩ . وسر إسلامي ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٤) انظر المنارات الساطعة ، ص ٤٦ ، ٧٨ ، ٨١ .

سحاب بقوة كثيرة ومجد) وورد في سفر أعمال الرسل الإصحاح الأول إثبات رفعه إلى السماء ومجيئه في آخر الزمان حيث يقول : (إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء^(١)) .

الدليل العاشر : إن المسيح حمل اليهود دم الأنبياء الذين قتلوه ، وويختم على ذلك ، ولم يذكر أنهم سيقتلونه ، بل ذكر أنهم يطلبونه ولا يقدرين عليه^(٢) .

الدليل الحادي عشر: إن هذا المبدأ غير معقول المعنى ؛ بل هو الظلم المحض ؛ لأن الذنب يغفر بالتوبة والندم والاستغفار ، ومضاعفة العمل الصالح ، وبالإضافة إلى أنه غير معقول فهو مختل وساقط ؛ لأن الإنسان لا يولد بخطيئة ، كما أن الله لا يطلب ثمناً لمغفرة الخطايا ، ولأن الذنب يضر جانيه ، ولا يؤذي الله سبحانه وتعالى ، ولأن مبدأ العوضية أو الاستعاضة ظلم وقسوة لا يليق بجلال الله^(٣) .

الدليل الثاني عشر : ثبت في التوراة وفي رسائل بولس أن المصلوب على خشبة ملعون ونجس . وكيف يصح أن النجس يهب الطهارة لغيره؟ والملعون كيف يطهر المخطئين ؟ إنه بحاجة إلى من يطهره من الرجس والدنس^(٤) .

الدليل الثالث عشر : تدعى النصرانية أنه بمجيء المسيح وصلبه بطل الموت والأثم ، وربط الشيطان ، وسلمت البشرية منه ... والمتأمل لواقع البشرية منذ ذلك اليوم يجد أن المسيح عليه السلام لم يعمل الخلاص الذي أمّل فيه ؛ فلا زال الموت سارياً في البشرية ، ولا يزال الشيطان يكر بأوليائه ويوردهم موارد العطب والهلاك ، ولا تزال - أيضاً - العقوبات المتوعد بها البشر في سفر التكوين من النصب والأثم والكذب ... قائمة في حياتهم . وإذا كانت النصرانية تعتقد أن الخطيئة بطلت بموت المسيح فالذين قتلوه وصلبوه غير آثمين؛ بل كل من تراه يزني أو يسرق أو يقتل فهو غير خاطئ؛ لأن الخطيئة بطلت ورفعت .

ولكن يتوجه سؤال مفاده : إذا كان النصراني يعتقد أن الخطيئة بطلت بسفك دم المسيح على خشبة الصليب ، فما الذي يدفعه إلى الذهاب إلى الكنيسة والاعتراف أمام كاهنها بما

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٧٥ .

(٣) انظر الففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١١٧ - ١١٩ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٠٣ .

(٤) انظر سر إسلامي ، ص ٨٦ - ٨٨ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٩٧ .

اقترفه من آثام وطلبه منه المغفرة ؟؟ ألم تبطل الخطيئة ؟ ألم يمنحهم دم المسيح العيش في ملكوت السماء والتنعم بالفردوس^(١) ؟؟

الدليل الرابع عشر : يغلو النصارى في هذه الحادثة ومدلولاتها ، فيدعون أن المسيح عليه السلام قتل وصلب طائعاً مختاراً؛ ليرفع خطايا العالم ، وهذا الادعاء ليس صحيحاً لما يأتي : -

أ - ليس صحيحاً أن المسيح جاء طائعاً مختاراً ليموت من أجل البشر ، فقد نقلت عنه الأناجيل أقوالاً متعددة يتضرع فيها إلى الله يطلب منه أن يصرف عنه كأس المنون ، كما طلب من تلاميذه السهر على حراسته وحمايته .

ب - أن هذا التصور دخل النصرانية نتيجة للتصور الوثني عن الآلهة التي لا ترضى إلا بسفك الدماء وقتل الأبرياء^(٢) .

ج - أن المسيح كما ثبت في الأناجيل لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

الدليل الخامس عشر : أن هذا المبدأ ينقل النصرانية من ديانة موحدة إلى ديانة وثنية تعبد الصنم وتقده^(٣) .

الدليل السادس عشر : يجزم كل من المهدي عبد الأحد داود وإبراهيم خليل والهاشمي بأن حادثة الصلب وقيامه المسيح من قبره ما هي إلا أسطورة وخرافة خادعة، ويقول المهدي عبد الأحد : (ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية^(٤)) .

الدليل السابع عشر : العقل الصحيح والفطرة السليمة السالمة من المؤثرات الخارجية ترفض هذا المبدأ تصوراً وحكماً ، بل إن القوانين الوضعية التي وضعها البشر - على ما فيها من نقص وتعسف وظلم - لا تقر مثل هذا المبدأ في عقاب الجناة وردهم إلى الصراط السوي ، فكيف يقبل مثل هذا الظلم في جنب الله وهو الحكم العدل وأحكم الحاكمين .

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٥ - ١٦ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٠١ . وسر إسلامي ، ص ٧٩ .

(٢) انظر الففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١١٥ - ١١٦ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٨ . والنصيحة الإيمانية ، ص ٧٤ .

(٤) الإنجيل والصليب ، ص ١٢ . وانظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٦٨ - ١٦٩ . وسر

إسلامي ، ص ٨٣ .

الدليل الثامن عشر: التباس الروايات واختلافها حول الحادثة يبطل الاستدلال بها ، فقد اختلفوا حوله اختلافاً كثيراً ، نذكر منه النواحي التالية : -

١ - الاختلاف حول شخصية الضحية فاليهود الذين أرادوا قتله لم يكونوا يعرفونه ، واستأجروا من يدلهم عليه ، وحتى بعد أن دلهم عليه لم يكونوا متأكدين أنه هو؛ لأنهم وجهوا إليه عدداً من الأسئلة للتأكد منه كقولهم : أنت المسيح^(١) ؟ .

٢ - اختلفت الأناجيل في حكاية مثوله أمام المحكمة ، كما اختلفت في العبارات الصادرة منه والصادرة إليه .

٣ - اختلفوا - أيضاً - في حامل الصليب فيذكر متى ولوقا أن سمعان هو الذي حمل الصليب، بينما يقر يوحنا أن المسيح هو الذي حمله .

٤ - اختلفوا في موقف المسيح من الصلب : فنراه عند متى ومرقس فزعاً مذعوراً ، ولكن لوقا يصوره راضياً قانعاً مستسلماً^(٢) .

٥ - الاختلاف في توقيت ذبح الضحية فيروي لوقا في الإصحاح الثالث عشر: أنه ذبح منذ إنشاء العالم ، وحادثة الصلب وقعت في زمن بيلاطس كما زعموا^(٣) .

٦ - ينفرد متى عن الجميع بذكر حادثة موغلة في الخيال حيث يروي أن الأرض تزلزلت ، وتشققت الصخور، وفتحت قبور القديسين وقام كثير منهم من قبورهم لما أسلم المسيح الروح^(٤) .

وبعد أن منّ الله عليّ بتفنيدي الجانب الأول من جوانب قضية الصلب وهو إبطال صلب المسيح وفداء البشرية ، وتطهيرهم من الخطيئة الموروثة . ننتقل إلى تبعة من تبعات هذا المبدأ وهو حق رجال الدين النصارى في غفران الذنوب ومحو الخطايا .

(١) انظر المنارات الساطعة ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) انظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٣١ - ١٣٤ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٨ / أ .

(٤) انظر المسيح إنسان أم إله . ص ١٣٤ - ١٣٥ .

المطلب الرابع ، غفران الذنوب . -

امتداداً للمبدأ السابق لم يُردّ النصرى أن ينفرد المسيح عليه السلام بهذا الشرف الرفيع . على حد زعمهم . وهو مغفرة الخطايا ومحو الذنوب؛ بل أرادوا أن يكون لهم نصيب من هذا الشرف؛ ليستعبدوا به العباد ، ويستنزفوا أموالهم من خلاله ، ويدخلوا من شاؤا في جنات النعيم، ويحكموا على من يعادون في دركات الجحيم ، ولأجل تحقيق هذه الغاية ضمّنوا كتبهم بعض العبارات التي تخولهم هذا الحق ، بأن منحوا رئيس الحواريين مرتبة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فكل ما يحله على الأرض يكون محلولاً في السماء ، وكل ما يربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء^(١). وخافوا أن ينفرد بطرس بهذا اللقب فضمّن يوحنا كتابه نصاً يجعلهم أصحاب الحق في وراثة هذا المنصب من بعده وذلك قول يوحنا: (من غفرت للناس خطاياهم تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم^(٢)) .

إذاً بطرس هو الأصل والأساس في تقرير هذا المبدأ في اعتقاد النصرى ، ولم يثبت أن المسيح عليه السلام أمر به أو أقره في حياته ، كما لم يثبت أن أحداً من تلاميذه أو أقاربه اعترف أمامه بذنبه وخطاياهم وطلب منه المغفرة^(٣).

وإذا سقط وامتنع وجود الشفيح المطلق والمخلص الفادي فسقوط وامتناع الشفعاء والوسطاء الذين هم دونه متحقق لا محالة ، وإذا لم تثبت هذه المرتبة للأتبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم فعدم ثبوتها لهؤلاء من باب الأولى ، وإذا خلت منها الديانات الإلهية الأخرى ، وانفردت بها النصرانية ؛ كان ذلك دليلاً على شذوذها وتهافتها .

وقد يحتجون بأن المسيح عليه السلام غفر لبعض بني إسرائيل . ولا حجة لهم في ذلك

(١) ولكنهم غفلوا عن أن المسيح عليه السلام قد وصم هذا الدعوى بقوله : اذهب عني يا شيطان؛ أنت معثرة لي ؛ لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس) متى ١٦ : ٢٣ ولوقا ٨ : ٣٣ .

(٢) انظر لتأصيل هذه المسألة تحفة الأريب ١٧٠ - ١٧٣ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٧٠ - ١٧١ . والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١٧١ - ١٧٣ . والغفران بين الإسلام والمسيحية . ص ١٠٧ .

لأن الله أقام لبني إسرائيل ملكاً يغفر ذنوبهم^(١). ولكن المغفرة الواردة هنا غير المغفرة التي تدعيها النصارى؛ لأنها وردت على هيئة خاصة ، وعلى أيدي أفراد مخصوصين ، وقد تكون بمعنى الإخبار عن مغفرة الله له . لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله ، لا أن حق المغفرة أصبح كلاً مباحاً وملكاً مشاعاً .

(١) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٢١ .

المبحث السابع : انحراف أهل الكتاب عن دينهم

أخبر الله تعالى في محكم تنزيله عن تخلي أهل الكتاب عن دينهم ومشابهمهم في اعتقادهم للذين كفروا من قبلهم : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهنون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون^(١)). وكذلك أكد هؤلاء المهتدون على أن أهل الكتاب ضلوا ضلالاً بعيداً عن هدي أنبيائهم ، واتبعوا أهواءهم ، وعاثوا في دينهم؛ تلبية لنداء الشهوة، وانسياقاً وراء الشبهة، وتحقيقاً لرغبة الأمم المتسلطة عليهم ، ومسايرة للأقوام والشعوب التي خالطتهم واختلطت بهم، ولم يردعهم خوف من الله، ولم تمنعهم قداسة شريعة، ولا حرمة كتاب، ولا كرامة نبي. وقد تجلّى هذا الانحراف والضلال في صور متعددة سبق إليها اليهود وقبل أكثرها النصارى بحكم الاستمرارية والتبعية، وأضافوا لها صوراً أخرى. فأما الصور التي ابتدعها اليهود فهي كالتالي : -

١ - يعتقد المسلمون وكافة أتباع الديانات الإلهية السابقة أن الله سبحانه وتعالى ينبغي أن يوصف بصفات الكمال ونعوت الجلال مما ورد الشرع بإثباتها وتنزيهه عما لا يليق به، بل حتى إن الأمم الوثنية تولي آلهتها التكريم والإجلال، ولا تقبل بأي حال من الأحوال أن توجه إليها الصفات المزرية أو القبيحة؛ ولكن اليهود - هذه الأمة التي توافرت عليها الأنبياء على هيئة لم تتحقق لأي أمة من الأمم - كانت على النقيض من ذلك فوصفت الباري سبحانه وتعالى بأقذع الصفات التي لم ترد عن أي أمة من الأمم، فلم يسبقوا إلى ذلك ولم يلحقهم أحد بمثله والحمد لله^(٢).

وكما تطاولوا على الله سبحانه فقد قتلوا أنبياءه ونسبوه إلى عبادة الأوثان والسحر

(١) سورة التوبة ، الآية ٣٠ .

(٢) قد يقول قائل إن النصارى تطاولت على الله أعظم من ذلك فنسبوا إليه صاحبة والولد. ولكن لا ننس أن بولس اليهودي هو الذي وضع بذرة هذا الضلال بإدعائه أن المسيح ابن الله .

والزني^(١).

- ٢ - ادعاء أن العزيز ابن الله^(٢).
- ٣ - استبدلوا الوجدانية بالوثنية والإسلام بالكفر فاتخذوا الأصنام، وأحضروا لها السدنة لتعظيمها وتعليم عبادتها وابتنوا لها البيع العظيمة^(٣).
- ٤ - تحريف التوراة وتبديلها وسيأتي في آخر هذا الباب تفصيل ذلك إن شاء الله .
- ٥ - تغيير الشرائع واستبدالها ، وابتداع السنن وإحاقها بالفرائض ، ولا يستغرب هذا من أمة تطاولت على الباري وقتلت أنبياءه^(٤).
- ٦ - تشديد الأصر على أنفسهم بتحريم الحلال واعتقاد أن ذلك هو الدين (لأن هؤلاء القوم يعتقدون أن تضيق المعيشة وتحريم المحللات هو المبالغة في الدين والزهد، وهم - أبداً - يعتقدون أن الحق مع من يضيق عليهم ، ولا ينظرون هل يأتي بدليل أم لا ؟ ، ولا يبحثون عن كونه محقاً أم مبطلاً^(٥)) .
- ٧ - التفرق والاختلاف^(٦).

أما الصور التي أضافها النصارى فهي :-

- ١ - ادعاء أن المسيح ابن الله . وقد مر هذا الاعتقاد بعدة مراحل حتى رسخ على هيئته النهائية ، وقد تقدم الكلام حول تفصيل هذا التحول .
- ٢ - التأثر بالأمم الوثنية في عقائدها من القول بالتثليث وبنوة المسيح والتجسد ، وقد سبق - أيضاً - تفصيل ذلك .
- ٣ - نظراً للاختلاف الشديد والتنازع على أركان الاعتقاد النصراني لجأت هذه الأمة إلى المجامع لتعرض عليها مواطن الخلاف ومواضع الشقاق ، ولم تلتزم هذه المجامع الحق ، ولم

(١) انظر إنعام اليهود ، ص ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٥ - ١٤٤ ، ١٤٦ . ومسالك النظر في نبوة سيد البشر، ص ٦٣ ، ٦٥ ، ٧١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٣) انظر المصدر السابق، ص ٧٠ - ٧١ . وإنعام اليهود ، ص ١١٤ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٤١ - ١٤٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٧ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٦) انظر المصدر السابق ، ص ١٧١ .

تتوخ الصواب ؛ فساهمت في انحراف النصرانية عن دينها ، وقررت لها كثيراً من العقائد الباطلة^(١) .

٤ - كما تأثرت هذه الأمة بالوثنيين فقد تأثرت بالفلاسفة وعلى الأخص الفلسفة الأفلاطونية الرواقية التي تعتبر المادة والجسم شراً وخبثاً^(٢) .

٥ - توسعة نطاق دعوة المسيح لتشمل جميع الأمم . وذلك أن المسيح عليه السلام لم يرسل إلا لبني إسرائيل ، ولم يكلف برسالة عامة ، وقد نقلت عنه الأناجيل قوله : (لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل) ولكن الذين جاؤا بعده جعلوها رسالة عامة ، ودعوا جميع الأمم^(٣) .

٦ - اتخاذ الصور والصلبان في كنائسهم ومعابدهم وتعظيمها وعبادتها^(٤) .

٧ - محاولة التوفيق بين الدين وبين الأتباع والنظم الساسية المحيطة ، وذلك بالتخلي عن بعض شعائره وعباداته ، أو التعبد بما لم يرد الشرع بالتعبد به^(٥) .

٨ - تأثر الكنيسة في تنظيمها الإداري بالتنظيم بالتشكيل السياسي في الأمبراطورية الرومانية^(٦) .

٩ - افتقاد الكتاب الأصل الذي عليه المعول في دينهم ، واستبداله بغيره من الكتب التي ظلت أكثر من ثلاثمائة سنة لم تعتمد بشكل نهائي ، ولا تسئل عن أمة افتقدت مصادرها ؛ فإنها بالطبع ستنهل من كل منهل^(٧) .

(١) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٥٩ . الإنجيل والصليب ، ص ٢١٧ .

(٢) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٩٥ .

(٣) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٦٣ . والمنارات الساطعة ، ص ٩٠ .

(٤) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٧٥ . ومسالك النظر ، ص ٧٩ .

(٥) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٨٦ - ٨٧ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٥٦ .

(٦) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٧) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٩ . وسيأتي ضمن هذا الباب فصل خاص عن التحريف . انظر ص ٤٢٤ .

ومع نهاية هذا الفصل وبداية الفصل التالي يتجه البحث وجهة أخرى ، فلئن كانت وجهة البحث في هذا الفصل هي نسف الضلالات ، وكشف الظلمات ، وتفنييد المعتقدات الباطلة؛ فإن وجهة البحث في الفصل التالي ستكون إزاحة ركام القرون عن شاهد من شواهد النبوة، وأستنطاق نصوص سلمت من تحريف المحرفين، وسلامتها شهادة على أهل الكتاب بما جحدوا من الحق

الفصل الثاني

إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ويشتمل على المباحث التالية :-

١ - الأدلة الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ - بشارات الأنبياء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث الأول

الأدلة الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وأيده بالآيات الظاهرة، وكتب الله لبعض هذه الآيات الدوام والخلود إلى أن يأذن الله برفعها - كالقرآن الكريم ، وإظهار الدين، والنصر بالرعب يقذفه الله في قلوب الكفار - وجعل الله بعضها آية لأهل زمانه بالمشاهدة والمعينة، وآية لمن بعدهم بالإخبار الصادق عنها كسائر آياته المحسوسة التي لا تعد ولا تحصى. وحديثي هنا عن إحدى هذه الآيات التي كتب الله لها البقاء والاستمرار، ألا وهي القرآن :-

١ - يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة^(١)). وهذا الوحي هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد عمد هؤلاء المهتمون إلى كتاب الله يتدبرونه ويقارنونه بما لديهم من كتب إلهية محرفة، وبما عهدوه من كتب بشرية متقنة ، وبما فتح الله عليهم من آفاق المعارف الحديثة، والاكتشافات العلمية؛ فخرجوا من هذه المقارنات بما يأتي :-

أ - قارن المهتمدي الطبري بين القرآن وسائر الكتب المخلدة ؛ فرأى أن الكتب المخلدة المتقنة لا تعدو أن تكون في آداب الدنيا ، وأخبار أهلها، وهذه لا يمكن أن تقارن بكتب التنزيل؛ لاختلاف الغرض فيقول : (إنني لم أجد لأحد عربي ولا عجمي هندي ولا رومي كتاباً جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله عزو وجل، والتصديق بالرسول والأنبياء، والحث على الصالحات .. مثل هذا القرآن منذ كانت الدنيا) . ثم قارن بينه وبين الكتب الإلهية المحرفة

(١) رواه البخاري في صحيحه و اللفظ له في كتاب فضائل القرآن، باب ١، ومسلم في صحيحه كتب الإيمان، حديث ٢٣٩

فوجد أنها تشتمل على أنساب أهلها وسيرهم وانتقالهم ، وأسماء المنازل التي نزلوها ، مع بعض السنن والشرائع ؛ أما القرآن فهو كما يقول : (منسوج بالتوحيد والتهليل والتحاميد والسنن والشرائع والخبر والأثر والوعد والوعيد والرغبة والرغبة ، والنبوات والبشارات الجميلة التي تليق بجلال الله وحكمته...ولذلك استحق أن يقال: إن هذا الكتاب آية من آيات النبوة؛ إذ لم يكن له نظير مذ خُلِق الخلق^(١)) .

ب - عقد المهتدي بوكاي مقارنة بين القرآن والتوراة والإنجيل ونتائج الدراسات العلمية، وكان موضوع المقارنة خلق السموات والأرض، والطوفان، وخلق الإنسان؛ وخرج من هذه المقارنة أن القرآن متفق مع الاكتشافات العلمية الحديثة بينما خالفت التوراة والإنجيل باحتوائهما على معلومات مخالفة للحقيقة^(٢) .

٢ - الفصاحة والبلاغة والإعجاز في لفظه ومعناه يوضح ذلك السؤال بقوله : (فشاهدت المعجزة التي لا تباريها الفصاحة الآدمية في القرآن؛ فعلمت صحة إعجازه^(٣)) .

٣ - التواتر الذي نقلت به نبوته ورسالته ، وهو - أي التواتر - دليل ثابت في العقل، وهو الطريق الذي من خلاله آمنت اليهود والنصارى بموسى وعيسى؛ لأنهم لم يشاهدوا المعجزات التي أظهرها الله على أيديهم، ولا حجة لهم في قبول نبوتها إلا التواتر، وهذا التواتر موجود لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا آمنوا بنبوة موسى وعيسى بمجرد التواتر فقد لزمهم وجوب التصديق بنبوة نبينا محمد^(٤) .

٤ - شهادة الأمم العظيمة بنبوته^(٥) . فقد شهد له بذلك العرب والعجم مسلمهم وكافرهم .
٥ - نصب المهتدي الطبري عدداً من المقاييس والشواهد الدالة على نبوته والتي من أدلى بها فقد وجب تصديقه والإيمان برسالته، وهذه المقاييس أو الشواهد لم أجد من سبقه إليها في الإحاطة بها. وهذه الشواهد هي : -

أ - توحيدة صلى الله عليه وسلم ودعاؤه إلى ما دعا إليه إبراهيم وجميع الأنبياء عليهم

(١) الدين والدولة ، ص ٩٨ - ١٠٣ . وانظر أيضاً النصيحة الإيمانية ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٧ وما بعدها . وما أصل الأتسان ، ص ١٤٥ وما بعدها .

(٣) إنعام اليهود ، ص ٥٤ وانظر ١٨٨ منه . والإنجيل والصليب ، ص ٢١٧ .

(٤) انظر إنعام اليهود ، ص ٥٨ - ٥٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٣ ، ١٠٧ فقد شرح هذا الدليل شرحاً وافياً ، وفند كل شبهة ترد عليه ، وآثرت الإحالة عليه رغبة في الإيجاز . وانظر الدين والدولة ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٥) انظر إنعام اليهود ، ص ١٨٨ .

السلام ، ودلت العقول الصحيحة عليه .

ب - ما كان من نسكه وعفته وصدقه ومحمود سننه وشرائعه ، وقارن بين شريعته صلى الله عليه وسلم وشريعة موسى وعيسى ، وبين أن شريعته هي شريعة العدل .

ج - إظهار الله على يديه الآيات التي لا يأتي بها إلا الأنبياء ، ومنها الإسراء ، وحماية الله له من أعدائه ، وانتصاره يوم بدر وحشوه التراب في وجوه أعدائه ، واستسقاؤه ، وتكثير الطعام ، وآية الشاة المسمومة ، وغير ذلك .

د - إخباره عن أمور غائبة تمت في أيامه من وعد الله لأصحابه بدخول الحرم ، ووعد المنافقين لإخوانهم أهل الكتاب أن يخرجوا معهم إذا أخرجوا ، وإخباره أن الكفار يمكرون به ليقتلوه أو يخرجوه ، وأن الله سيمكر بهم ، وإخباره خالد بن الوليد أنه يجد صاحب دومة الجندل يتصيد البقر ، فوجده كذلك .

هـ - أنه تنبأ على حوادث جمّة من حوادث الدنيا ودولها صحت بعده ، منها نعي نفسه لأمته ، وإخبارهم بدخول الناس أفواجاً في دين الله ، ومنها وعد الله للذين آمنوا بالاستخلاق ، ومنها إظهار دينه ..

و - أن الكتاب الذي جاء به آية من آيات النبوة مع أميته صلى الله عليه وسلم .

ز - غلبته للأمم آية من آيات النبوة ؛ وذلك أنه دعا العرب قاطبة والأمم عامة ، إلى الإيمان بالله عز وجل - والناس يرمونه عن قوس واحدة ، ويزدرون به - فمضى لما أمره الله لا يلتفت ، فلما رأهم ينتبذون أمره ، ولا يدخلون في دين الله طوعاً؛ أدخلهم الله كرهاً حتى ظهرت الدعوة ، ودانت له العرب قاطبة ، وخضعت له الأمم .

ح - أن الداعين إلى دينه والشاهدين بحقيقة أمره كانوا خيار الناس وأبرارهم .

ط - أنه لو لم يظهر لبطلت نبوات الأنبياء في إسماعيل وفيه عليهما الصلاة والسلام^(١) .

ي - شهادة الأنبياء له وذكر اسمه ، ووصف خبره وزمانه وبلده ومبعثه وأنصاره^(٢) .

ويعد عرض الأدلة العقلية التي استدل بها هؤلاء ننتقل إلى الأدلة النقلية ، أو ما يسمى اصطلاحاً بنبوات الأنبياء وبياناتهم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما سيكون الحديث عنه في المبحث التالي .

(١) سأذكر هذه البشارات والنبوات في المبحث التالي إن شاء الله .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ٥٤ .

المبحث الثاني

بشارات الأنبياء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

لقيت بشارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عناية فائقة من قبل هؤلاء المهتمين ، كما لقيت العناية نفسها من قبل علماء الإسلام ؛ فأفردوا لها المصنفات الخاصة، كما أوردوها ضمن مؤلفاتهم في مجال مجادلة أهل الكتاب^(١)، وليس الغرض من الاحتفاء بهذا الجانب الثر – التدليل على نبوته صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأدلة على ذلك قد استفاضت : بخبر الله عنه ، وبخبره عن نفسه، وبالآيات التي أظهرها الله على يديه، وعابنها خيار الخلق، ونقلها الثقات العدول إلى من خلفهم، وإنما الغرض من ذلك إلزام أهل الكتاب بما في أيديهم من كتبهم بقبول نبوته والتصديق بها، والإذعان لها، والتخلي عن الكفر والعناد والمكابرة .

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله عن بعض خبره في التوراة والإنجيل فقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا^(٢))

(١) ذكر د. الشرقاوي في مقدمة تحقيقه لكتاب «مسالك النظر في نبوة سيد البشر»: أن المهتمين من علماء اليهود والنصارى هم الذين رادوا طريق البحث والكشف عن البشارات وقدموا – بهذا العمل الجليل – مادة علمية مهمة لعلماء المسلمين الذين كتبوا في أعلام النبوة ودلائلها ، ونهبهم إلى أهمية مراجعة الكتب القديمة ، والتعرف على مواضع هذه البشارات في التوراة والإنجيل (ص ٣٦ . وهذا كلام فيه شيء من المبالغة من جانب ، ومن جانب آخر فيه غمط لعلماء المسلمين؛ فإن الذي دفع علماء الإسلام لزيادة هذا المجال هو ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من وجود خبره صلى الله عليه وسلم ، وخبر أمته في كتب أنبياء بني إسرائيل ، هذا بالإضافة إلى اطلاعهم على النسخ العربية للتوراة والإنجيل التي كانت متداولة بين أيديهم ، ولا شك أن هؤلاء المهتمين قد قدموا بعض البشارات مترجمة عن مصادرها الأصلية التي لم تكن معروفة لدى علماء المسلمين .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال : (إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد^(١)).

كما أخبرنا عن دعوة أبونا إبراهيم وإسماعيل ببعثة هذا النبي بقولهما : (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم^(٢)) فاستجاب الله دعاهما وبعث هذا النبي الخاتم سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم.

ورغم التحريف والتبديل المتعمد الذي أصاب العهدين القديم والجديد ؛ إلا أن الله أعماهم عن آيات كثيرة سلمت من التحريف لتكون حجة عليهم، كما أن هؤلاء المهتمين بحكم معرفتهم باللغات الأصلية التي كتبت بها تلك الكتب استطاعوا أن يرجعوا إلى النسخ القديمة للتوراة والإنجيل ويستخرجوا منها البشارات قبل تحريفها^(٣)؛ إرغاماً للخصم، وإظهاراً للحق. وهذه البشارات منها ما هو في العهد القديم ومنها ما هو في العهد الجديد، لذلك سأقسم هذا المبحث إلى قسمين أو مطلبين هما :-

المطلب الأول ، البشارات الواردة في العهد القديم . -

الأول : بشارات سفر التكوين : -

البشارة الأولى : جاء في سفر التكوين الفصل التاسع بشارة الملك جبريل عليه السلام لهاجر بقوله : (فإني سأكثر ذريتك وزرعك، حتى لا يحصون كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسميه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع تبتلك وخشوعك، وهو سيكون غير الناس، وتكون

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٩ .

(٣) يقول المهدي الهاشمي نقلاً عن أحد المؤرخين الألمان أن أحد الرهبان قال : (إن صفات محمد مكتوبة عندهم في

الوظائف المختومة التي لا يمكن أن تكون في تناول اليد) سر إسلامي ، ص ١٢٠ .

يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه ، ويكون مسكنه على تخوم إخوته^(١)) وقد ذكر المهتدي عبد الأحد داود أن النصارى قاموا بترجمة «وفير» أو «كثير» إلى معنى مغاير لحقيقة اللفظ ألا وهو « الحمار الوحش » . وقد وردت هذه اللفظة لدى الترجمان «ويكون عين الناس» وفي أحد النسخ المخطية لذلك الكتاب وردت هكذا «أعز الناس» . وقد وردت في الطبقات المحدثه : (وأنه يكون إنساناً وحشياً^(٢)) . وقد دافع الطبري عن وصف إسماعيل بهذا اللفظ ، واعتبره وصفاً صحيحاً؛ وعلل ذلك بأن لألفاظ التنزيل وجوهاً وأسراراً لا يعرفها إلا الراسخون في العلم ، وقد أول إطلاق هذا الوصف على إسماعيل بأنه يشتمل على عدة معان : منها أن الله تبارك وتعالى أشار بهذا الاسم إلى أن إسماعيل يمنع جانبه ، ويكون غيوراً مغواراً ، وأن الله سماه بهذا الاسم لثلاث أسباب مسكنه وهو البراري ، وأن الله صيره في تلك البراري : صيانة لنسبه ، وحفظاً لحرته^(٣) . والذي ترتاح إليه النفس هو ما ذهب إليه عبد الأحد داود إذ عضد رأيه بدليل يستنده .

البشارة الثانية : ورد في سفر التكوين في الفصل العاشر منه أن الله قال لإبراهيم عليه السلام : (أجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه، وكثرت عظمته جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً ، وأجعله لأمة عظيمة^(٤)) وقد أورد كل من السموأل والإسكندراني نص هذه البشارة باللغة العبرية، وفي آخرها لفظة «ماد ماد» فقال الإسكندراني : (شرح العلماء المفسرون للغة العبرانية هاتين اللفظتين هما «مؤدمؤد» منهم من قال: أحمد أحمد. ومنهم من قال: جداً جداً . وقال السموأل: هذه الكلمة « بماد ماد» إذا عددنا حساب حروفها بالجُمَّل كان اثنين وتسعين، وذلك حساب حروف اسم محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه أيضاً اثنان وتسعون، وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع ملفزاً؛ لأنه لو

(١) الدين والدولة ، ص ١٣١ . وانظر مسالك النظر ، ص ٥١ . وتحفة الأريب ، ص ٢٥٨ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٠ - ٦١ . وهذا النص في الطبقات الحديثة في الإصحاح ١٦ . وسأعتمد في هذه البشارة وفيما تلاها من البشارات أن أورد النص حسب وروده عند الأقدم منهم ، بما في ذلك الإحالة على موقعه من النسخ القديمة ، ثم أشير إلى مكان وجوده في الطبقات المحدثه إن رأيت الحاجة مقتضية ذلك .

(٢) الكتاب المقدس ، طبعة البروتستانت ، عام ١٩٧٠ م وسيكون اعتمادي على هذه الطبعة .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٣١ . وانظر إفحام اليهود ، ص ١١٥ ، ومسالك النظر ، ص ٤٦ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٨ . وسفر التكوين الإصحاح : ١٧ .

صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة^(١). وإن أمراً يقول عنه الباربي عظيم جداً ،
لهو حق عظيم.

كما أن الإسكندراني قد أورد لفظة البشارة باللغة العبرية ثم ترجمه إلى اللغة العربية
ونص ترجمته : (وأما إسماعيل فإني باركته وعظمته وجعلت ذريته كنجوم السماء ، ومنه
محمد صلى الله عليه وسلم^(٢)). وهذا اللفظ الأخير غير موجود في الطبقات الحديثة .

البشارة الثالثة: في سفر التكوين الفصل الثالث عشر: أن الله قال لإبراهيم : (إنني
جاعل ابن أمتك أيضاً لأمة عظيمة؛ لأنه من زرعك^(٣)) وقد ناقش كل من المهتدي عبد
الأحد داود ، وإبراهيم خليل ، والهاشمي حق الابن البكر في وراثة عهد أبيه ، وأكدوا على
أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام^(٤) ، وهذا العهد الموروث هو ما نصت عليه
التوراة كما في هذا النص التالي : (إذا كان لرجل زوجتان ، وكانت إحدهما مفضلة عنده
على الأخرى ، وكان لكل واحدة منهما ولد ، وإذا كان ابن غير المفضلة هو الولد البكر؛
فإن البكر هو المرشح ليحل محل أبيه في تحمل الحكم ، وولاية العهد ، وليس ابن الزوجة
المفضلة ، وعليه فإن الولد البكر سوف يرث ضعف ما يرث أخوه^(٥)) . وهذا العهد يؤكد أن
إسماعيل هو الابن البكر صاحب الحق ؛ لأنه لما أبرم العهد بين الله وإبراهيم لم يكن إسحاق
قد ولد بعد ، وأن صاحب هذا العهد تخضع له الأمم الممتدة من النيل إلى الفرات ، ولم
تخضع هذه الأمم لإسحاق ولا لذريته ، وإنما خضعت لذرية إسماعيل.

وفي هذه المسألة يتضح التحريف والتناقض : ففي النص السابق إيراده عن سفر التثنية
يتبين لمن الحق في إرث البكورية ، ولكنها - أي التوراة - تورد نصاً آخر يناقضه في سفر
التكوين حيث ورد : (وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله: بل سارة
امراتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق . وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده^(٦))

(١) انظر إفحام اليهود ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢) مسالك النظر ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) الدين والدولة ١٣٢ . وانظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٨ . وسفر التكوين الإصحاح ١٧ .

(٤) سأضطر إلى تأجيل ما يتعلق بتعيين الذبيح إلى الباب الرابع في الفصل الخاص بالشبه التي فندها هؤلاء المهتدون .

(٥) سفر التثنية ٢١ : ١٥ - ١٧ نقلاً عن محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٢ .

(٦) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٥ - ٦٥ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٣٧ - ٤٢ .

وسر إسلامي ، ص ١١٢ - ١١٣ .

فتأمل كيف أقحم هذا النص عنوة للحيلولة دون أن ينفرد إسماعيل وذريته بحقهم الشرعي وفق شريعتهم؛ والذي دفعهم إلى ذلك هو الحقد والحسد والعنصرية، لأن إسحاق الذي تناسل منه بنو إسرائيل ابن حرة، وأما إسماعيل الذي من نسله محمد صلى الله عليه وسلم فهو ابن أمة . هكذا زعموا .

البشارة الرابعة : في الإصحاح الثالث عشر من سفر التكوين وهي بشارة جبريل عليه السلام لهاجر بقوله : (ما بالك يا هاجر ؟ ليفرح روعك؛ فقد سمع الله صوت الصبي، قومي أحمله وتمسكي به، فإن الله جاعله لأمة عظيمة^(١)) وقد أورد هذه البشارة المهتدي الإسكندراني بلفظها العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، ونص ترجمته : (قومي احلمي هذا الطفل واحتفظي به؛ فإن منه محمداً وذريته كنجوم السماء^(٢)) .

البشارة الخامسة : قول الله عز وجل - كما في سفر التكوين - لإبراهيم عليه السلام حين قرّب ابنه للفداء : (من أجل أنك فعلت هذا الفعل ولم تشفق على ولدك وفردك، فها أنا أقسم بنفسي لأباركن عليك ولأكثرن ذريتك ، ولأجعلنهم في عدد نجوم السماء ورمل سواحل البحار، ويرث ولدك بلدان أعدائهم، ويتبرك بهم جميع أمم الأرض^(٣)) .

البشارة السادسة : ورد في سفر التكوين أن إبراهيم قال : (ها أنا ميت ومالي ولد وعقب، وإنما يرثني عبدي وتلاد بيتي . فقال له الرب : كلا لن يرثك هذا ؛ بل يرثك الذي يخرج من صلبك، فاخرج وانظر إلى نجوم السماء، فإن كنت محصياً لها فإنك ستحصي ولدك^(٤)) وإنما تمت هذه البشارات بظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أما قبل ذلك فلم يزل بنو إبراهيم المنتسبون إليه متفرقين في أقطار الدنيا، لا ذكر لهم ولا سلطان، مشردين هنا وهناك، حتى إذا ظهر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ظهر عزهم، وتوحدت كلمتهم ، وعلا ذكركم، وسادوا العباد، وعمروا البلاد، ودان لهم الأحمر والأسود، وظهر ذكر إله إبراهيم في الخافقين ، وملاً البحر والبر .

(١) الدين والدولة ، ص ١٣٢- ١٣٣ . وسفر التكوين ، إصحاح ٢١ .

(٢) مسالك النظر ، ص ٤٦- ٤٧ . وانظر أيضاً محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٦٧ . وسر إسلامي ، ص ١١٢ . وهذا النص الأخير غير موجود في الطبقات التي بين أيدينا .

(٣) الدين والدولة، ص ١٣٣ . ومحمد في الكتاب المقدس، ص ٦٠ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٣٣ . وسفر التكوين ، إصحاح ٢٢ .

(٤) الدين والدولة ١٣٣- ١٣٤ . وانظر التكوين إصحاح ١٥ .

أما اليهودية فإنما ظهرت في طائفة من الناس ، وأما النصرانية فهي وإن ظهرت في أمة كبيرة فإنه لم يكن لهم في بلد إبراهيم ولا في بلاد آبائه، ولا في بلد هاجر وابنها إسماعيل سلطان قاهر ولا عز ظاهر، كما جعل الله ذلك لهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

البشارة السابعة : ما جاء في قصة نوح عليه السلام لما خرج من السفينة أنه اعتزل نساءه خوفاً على ذريته من طوفان آخر^(٢)، فأوحى الله إليه : يا نوح إرجع إلى أهلك؛ فإني لا أهلك الأرض بعد. » وأن الله عز وجل أراه الأنبياء الذين يخرجون ومن جملتهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال له : من أجل هذا النبي صلى الله عليه وسلم لا أهلك الأرض بطوفان أبداً^(٣) .

البشارة الثامنة : وردت هذه البشارة حسب رواية المهدي الإسكندراني في صحف إبراهيم أن الله قال له : (يا إبراهيم خذ أربعة من الطير، وأربعة من البقر، وأربعة من الوحش. وأمره أن يقسمهم كل واحد إلى نصفين، وأمره أن لا يقسم العصفور، وأمره أن يدعوهم ففعل إبراهيم ذلك فاتوه سعياً أحياء كما كانوا. وأن الله قال لإبراهيم : هكذا أحيي الموتى ، وأبعث من في القبور^(٤)). وقد قال علماء بني إسرائيل في شرح هذا المقام: إن أجناس الحيوان هم الأمم الذين تقدموا قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم؛ وقد بادوا وانقسم ملكهم. وأن العصفور المذكور هو إشارة إلى إسماعيل وذريته الذين لا يبيدون ولا ينقسمون إلى يوم القيامة^(٥)).

وفي بقية هذا الإصحاح ما يؤيد هذا التفسير، وهو: (فقال - أي الله - لأبرام أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، فيذلونهم أربع مائة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملك جزيلاً^(٦)).

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٤ - ١٣٥ . ومحنة الأريب ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) وهذا لا يليق بنبي الله نوح ؛ لأنه من سوء الظن بالله ، ولكنه من إدراج أهل الكتاب ، وإنما أوردته هنا لإلزامهم بما ورد في كتابهم .

(٣) مسالك النظر، ص ٤٤. ٤٥ وانظر التكوين إصحاح ٩. وهذه العبارات التي بين القوسين لا توجد في الطبقات الحديثة .

(٤) قارن هذا النص مع الآية ٢٦٠ من سورة البقرة .

(٥) مسالك النظر ، ص ٦٨ . وسفر التكوين الإصحاح ١٥ ، مع اختلاف واضح في العبارات .

(٦) التكوين ١٥ : ١٤ - ١٥ .

البشارة التاسعة : رؤيا رآها يعقوب عليه السلام في منامه ، وذلك أنه رأى سلماً منصوباً من الأرض إلى السماء ، وله خمس درجات ، ورأى في منامه أمة عظيمة صاعدة في ذلك الدرج والملائكة يعضدونهم ، وأبواب السماء مفتوحة فتجلى له ربه قائلاً: يا يعقوب أنا معك أسمع وأرى ، تمن يا يعقوب. فقال: يارب من أولئك الصاعدون في ذلك الدرج؟. فقال الله له: هم ذرية إسماعيل. فقال: يارب بماذا وصلوا إليك؟. فقال: بخمس صلوات فرضتهن عليهم في اليوم والليلة فقبلوهن وعملوا بهن. فلما استيقظ يعقوب من منامه فرض على ذريته الخمس الصلوات، ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد فرض على بني إسرائيل صلاة في التوراة إلا القرايين يقربونها، وما زالت بنو إسرائيل وعلماؤهم يصلون الصلوات الخمس اتباعاً لسنة جدهم يعقوب عليه السلام، ولم تنزل أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام يبشرون بظهور محمد صلى الله عليه وسلم، ويتمنون أن يكونوا في زمانه، وقد ضرب لهم النبي صموئيل مثلاً مثل به صفوف المسلمين في الصلاة فقال : (إن الأسد والذئب يجتمعان في معلف واحد ، والنمر والجدي يجتمعان في مكان واحد) ومعنى ذلك أن الفقير والملك يستويان في صفوف الصلاة^(١).

وقد ظن السموأل - مع جلالة قدره وعلو مكانته - أن أنبياء بني إسرائيل ضربوا هذا المثل وما شابهه للتدليل على دين المسيح، وخضوع الجبارين لأهل ملته^(٢).

ولكن من واقع الديانة النصرانية الحقيقية يتبين أن النصرارى منذ جاء المسيح وحتى اتخذتها الإمبراطورية الرومانية ديناً لها في القرن الرابع - كانوا مقهورين لم تخضع لهم الأمم، ولم يلتزم بدينهم الجبارون، ومن هنا يتبين أن ما ذهب إليه الإسكندراني من تأويل ذلك المثل المضروب وتفسيره له على أن المراد منه أمة محمد صلى الله عليه وسلم، هو الحق الذي يؤيده الواقع والتأريخ المروي والمشاهد .

وقد حرّف أحبار اليهود والنصارى هذه الرؤيا وذلك الوعد الإلهي فجاء النص هكذا: فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق ، والأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيتها نسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غرباً وشرقاً ، وشمالاً وجنوباً ، ويتبارك فيك

(١) مسالك النظر ، ص ٥٧ - ٥٨ . والتكوين ٢٨ .

(٢) انظر إقحام اليهود ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

وفي نسلك جميع قبائل الأرض^(١)) إذا فقد مسخت بقية الرؤيا واستبدلت بغيرها مما يتوافق مع آمالهم وأحلامهم ، وحقدهم وحسدهم .

البشارة العاشرة : أن يعقوب عليه السلام لما دنت وفاته جمع أولاده وقال لهم : (تقرّبوا إليّ أقول لكم ما يظهر آخر الزمان . فلما اجتمعوا قال لهم : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً) . قال الإسكندراني : (ولم يوجد في التوراة أنه ذكر شيء مما وعد به ؛ بل مكتوب في التوراة أنه دعا لهم وتوفي ؛ فعلم من ذلك أنهم محو اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الآية^(٢) .

والحقيقة أن الله صرفهم عن محو اسم النبي صلى الله عليه وسلم من وصية يعقوب ؛ ففي نفس هذا الإصحاح وبعد هذه الفقرة بفقرات يسيرة يرد إخبار يعقوب لأبنائه بما سيكون في آخر الزمان^(٣) ، وقد بقي هذا الإخبار إلى الآن يحمل بعض ألفاظه العبرية ، وهو قول يعقوب عليه السلام : (لا يزول صولجان من يهوذا أو مشرّع من بين قدميه حتى يأتي شيلوه ، ويكون له خضوع الشعوب^(٤)) . وقد منّ الله على المهتدي عبد الأحد داود فكشف اللثام عن هذه الوصية ، وفي الأسطر التالية اقتبس بعض استدلالاته واستنتاجاته على أن هذه البشارة خاصة برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الاستدلالات هي :-

١ - أن كلمة « شيلوه » كلمة فريدة في العهد القديم ، ولا تتكرر في أي مكان آخر في العهد القديم .

٢ - أن كلمة شيلوه تتكون من أربعة أحرف عبرية هي : « شين » ، « يود » ، « لاميد » ، « وهي » ، وتوجد بلدة اسمها شيلوه ولكن لا يوجد فيها حرف « يود » ؛ ولذلك لا يمكن أن يكون الاسم مطابقاً أو مشيراً للبلدة ؛ إذاً فالكلمة حيثما وجدت تشير إلى شخص وليس إلى مكان .

٣ - أن هذه العبارة اشتملت على ضمير لغير العاقل ، وقد يشير إلى القضيبي ، أو الصولجان ، أو المشرع بصورة منفصلة أو مجتمعة ، وربما يشير للطاعة ؛ وعليه فإن معنى

(١) التكوين ٢٨ : ١٤ - ١٥ .

(٢) مسالك النظر ، ص ٤٧ . والتكوين ٢٨ . وقارن هذا النص مع الآية ١٣٣ من سورة البقرة .

(٣) ولعل النسخ التي كانت موجودة في عهد الإسكندراني غير محتوية على هذا النص الآتي .

(٤) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٧٩ . والتكوين : ٤٩ .

العبارة : (إن الطابع الملكي المتنبى لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع ، ويكون له خضوع الشعوب) .

٤ - بعد أن أورد بعض تحولات الترجمة لهذه الكلمة بين العبرية والسريانية قال: يمكن أن تقرأ هذه العبارة بالصورة التالية : (حتى يأتي الشخص الذي تخصه ...) .

٥ - يبدو أن الكلمة «شيلوه» مشتقة من الفعل العبري «شَلَّه» وهي تعني المسالم والهادي والوديع والموثوق .

٦ - من المحتمل أنه تم على هذه العبارة تحريف متعمد فتكون «شالوه» بدل «شيلوه»؛ فحينئذ يكون معناها «شيلواح» وهذه العبارة مرادفة لكلمة «رسول ياه» وهو نفس اللقب الموصوف به محمداً صلى الله عليه وسلم «وشيلواح إلهيم» تعني: رسول الله .

٧ - لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على المسيح حتى لو آمن اليهود بنبوته؛ لأنه لا توجد أي من العلامات أو الخصائص التي توقعها اليهود في هذا النبي المنتظر في المسيح عليه السلام؛ فاليهود كانوا ينتظرون مسيحاً له سيف وسلطة ، كما أن المسيح رفض هذه الفكرة القائلة بأنه هو المسيح المنتظر الذي تنتظره اليهود .

٨ - أن هذه النبوة قد تحققت حرفياً وعملياً في محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فالتعابير المجازية «الصولجان» و «المشرع» قد أجمع الشراح المعلقون على أن معناها السلطة الملكية والنبوة. وهذا يعني علمياً أنه صاحب الصولجان والشريعة، أو الذي يملك حق التشريع وتخضع له الشعوب .

٩ - لا يمكن أن تنطبق هذه البشارة في حق موسى؛ لأنه أول منظم لأسباط بني إسرائيل ، ولا في حق داود؛ لأنه أول ملك فيهم .

١٠ - لو تم تفسير «شيلوه» بـ «شالا» الآرامية فهي تعني: هادي ومسالم وأمين، وهذا يتفق مع تفسير «شله» العبرية . وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة هو الأمين، وهو محل الثقة ، وهو المسالم الهادي الصادق. وبعد هذه المحاولات التفسيرية والترجمة ينتقل المهتدي عبد الأحد إلى إلزام الخصم بهذه النبوة ومدلولاتها وهي ما يلي : -

١ - أن الصولجان والمشرع سيظلان في سبط يهوذا طالما أن شيلوه لم يظهر .

٢ - بموجب ادعاء اليهود في هذا «الشيلوه» فإن شيلوه لم يظهر ، وأن الصولجان الملكي والخلافة تخصان ذلك السبط ، وقد انقرضتا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً .

٣ - أن سبط يهوذا اختفى مع سلطته الملكية وشقيقتها الخلافة النبوية ، ومن الشروط الأساسية لظهور « الشيلوه » إبقاء السبط على وجه الأرض يعيش في أرض آبائه ، أو في مكان آخر بصورة جماعية .

٤ - اليهود مضطرون أن يقبلوا واحداً من الخيارين : إما التسليم بأن « شيلوه » قد جاء من قبل ، وأن أجدادهم لم يتعرفوا عليه. أو أن يتقبلوا أن سبط يهوذا لم يعد موجوداً، وهو السبط الذي ينحدر منه « شيلوه » .

٥ - أن النص يتضمن بصورة واضحة ومعاكسة جداً للاعتقاد اليهودي والنصراني - أن « شيلوه » غريب تماماً على سبط يهوذا وبقية الأسباط؛ لأن النبوة تدل على أنه عندما يجيء « شيلوه » فإن الصولجان والمرح سوف يختفيان من سبط يهوذا، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان « شيلوه » غريباً عن يهوذا، فإن كان « شيلوه » منحدراً من يهوذا فكيف ينقطع هذا العنصران من ذلك السبط ، ولا يمكن أن يكون « شيلوه » منحدراً من أي سبط آخر؛ لأن الصولجان والمرح كانا لمصلحة إسرائيل كلها ، وليس لمصلحة سبط واحد . وهذه الملاحظة الأخيرة تقضي على الادعاء النصراني في أن المسيح هو « شيلوه »؛ لأن المسيح منحدراً من يهوذا من جهة أمه^(١) .

وقد أورد هذه البشارة النجار وقال إن المعنى: أن النبوة تبقى في سبط يهوذا - أكبر أولاد سيدنا يعقوب - حتى يأتي « شيلون » أي الإسلام ، وتخضع له الأمم^(٢) .

الثاني : بشارة سفر العدد: ما ورد في قصة بلعام بن باعوراء أنه قال : (انظروا كوكباً قد ظهر من آل إسماعيل، وعضده سبط من العرب ، ولظهوره تزلزلت الأرض ومن عليها^(٣) وقال المهتدي الإسكندراني : (ولم يظهر من نسل إسماعيل إلا محمداً صلى الله عليه وسلم، وما تزلزلت الأرض إلا لظهوره صلى الله عليه وسلم^(٤) . حقاً إنه كوكب آل إسماعيل ، وهو الذي تغير الكون لمبعثه صلى الله عليه وسلم ؛ فقد حرست السماء من استراق السمع، وانطفأت نيران فارس، وسقطت أصنام بابل، ودكت عروش الظلم على

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٧٧ - ٨٤ . ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص ٦٣ .

(٣) مسالك النظر ، ص ٤٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

أيدي أتباعه .

وقد حرف هذا النص في الطبقات المحدثثة إلى : (يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل؛ فيحطم موآب، ويهلك بني الوغى^(١)) .

الثالث : بشارات سفر التثنفة : -

البشارة الأولى : لما هزمت جفوش بني إسرائيل أمام العمالقة، توسل موسى إلى الله سبحانه وتعالى مستشفعاً بمحمد صلى الله عليه وسلم قائلاً : (اذكر عهد إبراهيم الذي وعدته به من نسل إسماعيل أن تنصر جفوش المؤمنفن؛ فأجاب الله دعاءه ونصر بني إسرائيل على العمالقة ببركات محمد صلى الله عليه وسلم^(٢)) وقد استبدل هذا النص بالعبارات التالية: (اذكر عبفدك إبراهيم وإسحاق وفعقوب، ولا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطفئته^(٣)) ولا فمكن أن فكون هذا الدعاء قد صدر من موسى عليه السلام؛ لأنه فنافف كمال التوففد .

البشارة الثانية: فف الفصل الحادف عشر أن الرب قال لموسى : (إن الرب إلهكم ففقم نبفياً مثلف من ففنكم، ومن إخوتكم فاسمعوا له) وقد ورد فف هذا الإصحاح ما فؤكد هذا القول وفوضحه، وهو ما ورد فف التوراة أن الله قال لموسى : (إنف ففقم لهم نبفياً مثلك من ففن إخوتهم، وأفما رجل لم فسمع كلماتف التي فؤدفها ذلك الرجل باسمف أنا أنتقم منه^(٤)) وتكاد أن تكون هذه البشارة محل إجماع من كل من كتب فف هذا الجانب، وقد ففن هؤلاء المهتدون كفف تنطبق هذه البشارة على نبفنا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الوجوه التالية : -

١ - الفهود مجمعون على أن فمفع الأنبففاء الذين كانوا فف بني إسرائيل بعد موسى لم فكن ففهم مثله. والمراد بالمثلفة هنا أن فأتف بشرع خاص تتبعه عليه الأمم من بعده ، وهذه صفة نبفنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه من إخوتهم العرب ، وقد جاء بشرفة ناسخة

(١) سفر العدد ٢٤ : ١٨ .

(٢) مسالك النظر ، ص ٥٠ .

(٣) التثنفة ٩ : ٢٧ .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٣٧ . وانظر أيضاً إفحام الفهود ، ص ١١١ ، والنصفحة الإفماففة ، ص ١٤٤ ، ومحفة الأرب ، ص ٢٦٠ ، ومسالك النظر، ص ٤٩ ، والبحث الصرفح ، ورقة ٢١ / أ ، والمنارات الساطعة، ص ٦٣ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فف التوراة والإنفجفل ، ص ٦٧ - ٦٩ . وانظر سفر التثنفة الإفصحاح ١٨ .

لجميع الشرائع السابقة ، وتبعته الأمم عليها ؛ فهو كموسى ، هذا فضلاً عن أن لفظة (من بينهم) الواردة في البشارة قد أكدت وحددت الشخص المراد^(١) .

٢ - هذا النص يدل على أن النبي الذي يقيمه الله لبني إسرائيل ليس من نسلهم ، ولكنه من إخوتهم ، وكل نبي بُعث من بعد موسى كان من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام ؛ فلم يبق رسول من إخوتهم سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم^(٢) .

٣ - أن إسماعيل وذريته كانوا يسمون إخوة لبني إبراهيم عليه السلام ؛ لأن الله قال في التوراة لهاجر - حسب رواية العهد القديم - عن ابنها إسماعيل : (بأنه قبالة إخوته ينصب المضارب) كما دعي إسحاق وذريته إخوة لإسماعيل وذريته^(٣) .

٤ - أن من طابع الكتب المنزلة أن تسمي أبناء الأعمام الأباعد إخوة ، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم ؛ إذ دعي النبيين الكريمين هود وصالح إخوة لعاد وشمود وهما من أبناء الأعمام الأباعد ، وفي سفر العدد الإصحاح العشرين يقول : (وأرسل موسى إلى ملك قادم قائلاً : هكذا يقول أخوك إسرائيل) . مع أن هؤلاء من بني الأعمام الأباعد^(٤) .

٥ - أن في هذه الآية إشارة خفية غير صريحة ، فائقة الحكمة ؛ لأن موسى لو كان قصد بالنبي الموعود أنه من بني إسرائيل ؛ لكان ينبغي أن يقول بدلاً من (من إخوتكم) : منكم ، أو من نسلكم ، أو من أسباطكم ، أو من خلفكم ، وبما أنه ترك هذا الإيضاح ؛ علمنا أنه قصد بهذه الإشارة أنه من بني إسماعيل المباينين لهم^(٥) .

٦ - اشتمل هذا النص على مفردة كافية للتدليل على أن هذه النبوة خاصة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي قوله : « انتقم منه » . وفي بعض الترجمات : (وكل نفس لا تسمع لذلك النبي وتطيعه تستأصل) . فهي تدل على أن من لا يسمع له ويطيعه ينتقم منه ويستأصل . وهذا ينطبق تماماً مع حال المخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يمكن أن تنطبق على عيسى عليه السلام الذي طارده وحاربه اليهود ، ولم يقع عليهم الانتقام منه أو من أتباعه ، وهذه المفردة كافية للتدليل على صدقها على نبينا محمد صلى الله عليه

(١) الدين والدولة ، ص ١٣٨ ، ومحنة الأريب ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، والبحث الصريح ، ورقة ٢٢ / أ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٤٥ ، ومحنة الأريب ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢١ / أ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ورقة ١٢ / ب .

(٥) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢١ .

وسلم^(١) .

٧ - يتلخص الإعجاز النبوي في انتقاء الألفاظ الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله : ويسمع كلماتي التي يؤديها^(٢) .

ويعد أن شرح هؤلاء المهتدون هذه البشارة، وبينوا كيفية دلالتها على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ استعرضوا تفسير اليهود والنصارى لهذا النص، وردوا على ادعاءاتهم بأنه ينطبق على غير رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم. ومن هذه الادعاءات ما يلي : .

١ - أن من عادة كتابنا أنه يعني بقوله : إخوتكم . بني إسرائيل . والجواب على ذلك أن هذا المصطلح قد ورد في التوراة مراداً به غير بني إسرائيل حيث جاء فيها : إخوتكم بني العيص . وإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل - لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق - فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم^(٣) .

٢ - قالوا إن هذا النص يدل على يوشع بن نون. ولا يمكن أن يصح هذا القول على يوشع؛ لأنه ليس معدوداً من الأنبياء ، ولأنه لم يؤد عن الله شيئاً سوى ما أداه موسى عليه السلام ، ولأنه أيضاً منهم، ولأنه كان حاضراً معهم، وقد صرح باسمه قبل هذه البشارة فلا موجب لذكره نكرة بعدما أشار إليه بالاسم العلم^(٤) .

٣ - أنه قصد بهذا النبي شموائيل ؛ لأنه كان من أولاد ليوي السبط الذي ينحدر من موسى عليه السلام . والجواب على هذا أن يقال: أي حاجة بكم يا معشر يهود أن يوصيكم بالإيمان بشموائيل، وأنتم تقررون أنه لم يأت بزيادة شرع ولا بنسخ ، وإنما جاء ليقوي أيديكم على أهل فلسطين، ومن كانت هذه صفته فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به، وإنما خاف تكذيبكم لمن ينسخ شريعتكم ، ويبدل دينكم، فأوصاكم به، ولذلك لم يحتج موسى عليه السلام أن يوصيكم بنبوة إرميا وإشعيا^(٥) .

٥ - تدعي النصارى أنه قصد بهذا النص المسيح عليه السلام . ولا يدل هذا النص عليه لما يأتي : -

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٢٣ .

(٢) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٦٧ .

(٣) انظر إقحام اليهود ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٤) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٨ . والبحث الصريح ، ورقة ٢٢ / أ

(٥) انظر إقحام اليهود ، ص ١١٢ - ١١٣ .

١ - أن النصارى تدعي أن المسيح إله ، ثم يدعون أنه مثل موسى ؛ حتى ينطبق عليه هذا النص ، وهذا غاية التناقض ، ثم إن المسيح ليس مماثلاً لموسى عليهما السلام ؛ لاختلاف الأصل الذي ولد منه كل واحد منهما: فموسى من زرع بشري، وعيسى من غير زرع بشري، وعيسى من امرأة بتولة، وموسى من امرأة كسائر النساء، كما أن شريعة موسى غير شريعة عيسى^(١).

٢ - أن المسيح عليه السلام من ولد داود من جهة أمه فهو منهم لا من إختهم^(٢).
البشارة الثالثة : جاء في الفصل العشرين : (أن الرب جاء من طور سينين ، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبل فاران ، ومعه عن يمينه ربات القديسين فمنحهم العز ، وحببهم إلى الشعوب ، ودعا بجميع قديسيه بالبركة^(٣)) وهذه البشارة كالتي قبلها كادت أن تكون محل إجماع وقبول ممن كتب في هذا الجانب .

وفاران هي مكة وأرض الحجاز، وقد سكنها إسماعيل، ونصت على ذلك التوراة (وأقام في برية فاران ، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر) وإذا كانت التوراة أشارت إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل ؛ لأنهم سكان فاران^(٤).
أما من توهم أن فاران الواردة في هذه البشارة هي التي بقرب جبل سيناء - فليس ظنه صحيحاً؛ لأن فاران تلك هي برية فاران كما أفادت عنها التوراة. وهنا ذكر جبلاً. ودعيت تلك فاران بسبب أنها ظليلة من الأشجار. ولفظة فاران عبرية تحتل الوجهين، فإذا ذكرت البرية لزم أنها ظليلة، وإن ذكر الجبل ينبغي أن يفهم بأنه جبل ذو غار ، وفي هذه البشارة ذكر جبل فعلم أنه جبل فاران الذي فيه المغارة . كما أن لفظة فاران مشتقة من فارى بالعبرية وعريبتها: المتجمل. أي المتجمل بوجود بيت الله^(٥). وهذه الجبال قد تجملت ببيت

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٨ . والبحث الصريح ، ورقة ٢٢ / أ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٨ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٣٨ . وانظر إفحام اليهود ، ص ١١٨ . والنصيحة الإيمانية ، ص ١٤٤ . ومسالك النظر ، ص ٤٩ ، ٦٤ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦٥ . والبحث الصريح ، ورقة ٤١ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٦٥ - ٦٦ . وسفر التثنية ٣٣ .

(٤) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٨ - ١٣٩ . وإفحام اليهود ، ص ١١٨ - ١١٩ . ومسالك النظر ، ص ٤٩ . وتحفة الأريب ، ص ٢٦٥ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٥) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤١ .

الله .

ومعنى جاء الرب: أي ظهر دينه ودعى إلى توحيدده. كما أن لفظة «رب» هنا تقع على موسى وعيسى ومحمد وهي مستعملة بهذا الإطلاق في اللغة السريانية والعربية فتقول العرب رب البيت بمعنى صاحب البيت. ويقول السريان لمن أرادوا تفخيمه «مار» ومار بالسريانية هو الرب^(١).

وقد أورد المهتدي الإسكندراني هذه البشارة باللغة العبرية ثم ترجمها إلى اللغة العربية ونص ترجمته هكذا: (جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار، إليه تجتمع الأمم، وعليه تجتمع الشعوب) وقال: إن علماء بني إسرائيل الشارحين للتوراة شرحوا ذلك وفسروه بأن النار هي سيف محمد القاهر، والنور هي شريعته الهادية صلى الله عليه وسلم^(٢).

وقد يقول قائل: إن موسى تكلم بهذه البشارة بصيغة الماضي فلا تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم . والجواب أن من عادة الكتب الإلهية أن تستعمل الماضي في معنى المستقبل؛ ألم تر أنه أخبر عن عيسى في هذه البشارة كذلك بصيغة الماضي ، فإن قبلت هذه البشارة في حق عيسى فهي في حق محمد ادعى للقبول^(٣).

وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضي للعقلاء أن يبحثوا عن المعنى المراد منه المؤدي به إلى اتباع دينهم^(٤). وقد ربط المهتدي إبراهيم خليل بين هذه البشارة وبين صدر سورة التين واستنتج منه تطابقاً كاملاً في الوسيلة والتعبير^(٥).

البشارة الرابعة: لما بعث المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل ، وأظهر لهم المعجزات؛ نهض إليه عالم من علماتهم يقال له شمعون بلقيش وقال له: (لا تؤمن بك ولا نسلم لك فيما ادعيت ، ولا فيما أتيت به ؛ لأن موسى عليه السلام أخبرنا في شريعته عن الله عز وجل أن النبي المبعوث في آخر الزمان هو من نسل إسماعيل، وأنت من بني إسرائيل.

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٣٩ . ومحنة الأريب ، ص ٢٦٦ .

(٢) انظر مسالك النظر ، ص ٦٤ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٤ / ب .

(٤) انظر إنعام اليهود ، ص ١١٨ .

(٥) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٦٦ .

واستدل على ذلك بقول موسى في التوراة : (لا يقوم في بني إسرائيل مثل موسى) وأفتوا بقتل عيسى عليه السلام^(١) . وعيسى لم يدع أنه مثل موسى ، وإنما دعاهم إلى عبادة الله وحده ، والعمل والتصديق بما في التوراة .

الرابع : بشارة سفر الملوك الأول :-

أن ملكاً من ملوك نبي إسرائيل يسمى آحاب ، وكان جباراً ، وكان يقتل الأنبياء عليهم السلام ، فكفر بموسى ، وصنع الأصنام وعبدها ، ونصب مذبحاً وقرب عليه قرابين للأصنام ، فبعث الله إليه نبياً يسمى ميخا ، ونادى بصوت عال: يامذبح ، يامذبح ، قال الله له: نبياً يبعثه الله تعالى (يوشا يهوشمو) وترجمة ذلك: اسمه مقرون باسم الله تعالى ، وباسمه يزال الكفر من الأرض ، وتصديق كلامي أن تنشق يا مذبح . فلم يتم كلامه إلا والمذبح قد انشق ، وخرج رماده منه إلى الأرض ، وأراد الملك قتل النبي فبيست يده^(٢) ولم يكن أحد من الأنبياء اسمه مقرون باسم الله سوى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يرفع أذان في أي بقعة من هذه المعمورة إلا وقد تضمن ذكر اسم الله وذكر اسمه ، ولا تقام صلاة إلا وقد اشتملت على الصلاة عليه .

ومما يؤكد هذه البشارة أن اسمه في التوراة « بماد ماد » وفي صحف الأنبياء « يوشي ياهو » وعلماء بني إسرائيل الذين فسروا التوراة قالوا: إن معنى الكلمة: أحمد أحمد ، ومنهم من قال : عظيماً عظيماً . ولم يظهر من نسل إسماعيل أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر هذا الاسم « يوشي ياهو » لأحد إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم^(٣) .

الخامس : بشارة سفر يوشع :-

أن يوشع عليه السلام لما حارب العمالقة انكسر جيشه بسبب خيانتهم العهد ، وأن يوشع توسل إلى الله مستشفعاً بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فاستجاب الله دعاءه ونصره^(٤) . وهذا الدعاء لا يصح عن يوشع لمنافاته كمال التوحيد .

(١) مسالك النظر ، ص ٦٠ - ٦١ . وسفر التثنية ٣٤ .

(٢) مسالك النظر ، ص ٥٤ . وسفر الملوك الأول ١٣ .

(٣) انظر مسالك النظر ، ص ٧٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

السادس : بشارة إلياس : -

ذكر المهتدي الإسكندراني أنه جاء في صحف إلياس عليه السلام أنه خرج في سياحته وصحبه سبعون رجلاً؛ فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه: انظروا هؤلاء الذين يملكون حصونكم العظيمة. فقالوا: يا نبي الله! ما الذي يكون معبودهم؟! فقال عليه السلام: يوحدون الله تبارك وتعالى فوق كل منبر عال، فقال له أتباعه يا نبي الله! من يدلهم على ذلك؟ فقال: ولد يولد من نسل إسماعيل، اسمه مقرون باسم الله، حيث يذكر اسم الله تعالى يذكر اسمه. قال المهتدي الإسكندراني: ولم يكن ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم^(١).

السابع : بشارات المزامير :-

البشارة الأولى : قول داود عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين : (من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد السيف أيها الجبار ؛ لأن بهاءك وحمدك البهاء الغالب، واركب كلمة الحق، وسمت التآله ؛ فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مستنونة، والأمم يخرون تحتك^(٢)) وقد أورد هذه البشارة المهتدي الشيخ زيادة في البحث الصريح بصورة أطول من هذه، وكل الصفات الواردة في كلا النصين تنطبق تمام الانطباق على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد تضمن النص الذي أورده الشيخ زيادة لفظاً عبرياً هو «ألوهيم» وترجم هذه اللفظة إلى اللغة العربية بـ«إله»، وقد تطلق على أفاضل الناطقين، وقد أتر أن يوردها بلفظها العبري لعدم إطلاق لفظة إله عند العرب والمسلمين إلا على الخالق سبحانه^(٣).

وهذه اللفظة من جملة الألفاظ التي اشتمل عليها الكتاب المقدس وهي دالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأننا إذا عددنا حساب حروفها بالجمل كان اثنين وتسعين ، وهو عدد حروف محمد صلى الله عليه وسلم فإنه اثنان وتسعون^(٤).

البشارة الثانية : قول داود عليه السلام في المزمور الثامن والأربعين : (إن ربنا عظيم محمود جداً ، وفي قرية إلهنا وفي جبله قدوس ومحمد، وعمت الأرض كلها فرحاً^(٥)) فقد

(١) مسالك النظر ، ص ٥٢ - ٥٣ ، ولم أجد هذا النص في الطبعة التي بين يدي .

(٢) الدين والدولة ١٣٩ . وانظر البحث الصريح ، ورقة ٢٦ / أ . والمنارات الساطعة ٦٣ . والمزمور ٤٥ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٧ / ب .

(٤) وذلك أن ألوهيم = أ + ل + ٣٠ + و + ه + ٥ + ي + ١٠ + م + ٤٠ = ٩٢ .

(٥) الدين والدولة ١٣٩ . والمزمور ٤٨ .

صرح وأبان عن اسمه ، وذكر مبعثه وهي أم القرى، ووصف حال الكون بعد مبعثه وهو الاستبشار والفرح، ألم تتلق الشعوب المغلوبة على أمرها جنوده بالفرح والاستبشار كما هو مدون في كتب السير والتاريخ. وقد حرف هذا النص في الطبعة التي بين يدي إلى: (عظيم هو الرب وحמיד جداً في مدينة إلهنا قدسه) وقد يتضح القصد من إبدال القرية بالمدينة؛ حتى تنطبق هذه البشارة على أنبياء بني إسرائيل المبعوثين في مدنهم. وقد أعماهم الله عن تحريف الجزء الأول منه فله الحمد والمنة .

البشارة الثالثة : قول داود عليه السلام في المزمور الخمسين : (إن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً ، فالله يأتي ولا يهمل ، وتحرق النيران بين يديه ، وتضطرم حوالبه اضطرماً^(١)) وقال المهدي الطبري تعليقاً على هذه البشارة : (أفما ترون أنه لا يخلي داود عليه السلام شيئاً من نبواته من ذكر محمد أو محمود ، كما تقرأون ، ومعنى قوله إكليلاً محموداً : أي أنه رأس وإمام محمد محمود، ومعنى محمد ومحمود وحמיד شيء واحد في اللغة ، وإنما ضرب بالإكليل مثلاً للريانية والإمامة^(٢)) وقد حرف هذا النص إلى: (من صهيون كمال الجمال الله أشرق ، يأتي إلهنا ولا يصمت) .

البشارة الرابعة : قول داود في المزمور الثاني والسبعين : (إنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحس أعداء التراب ، تأتيه ملوك تاريس والجزائر بالقرايين ، وتقرب إليه ملوك سبأ وملوك سبأ القرايين، وتسجد له الملوك كلهم، وتدين له الأمم كلها بالطاعة والانقياد؛ لأنه يخلص المضطهد البائس من هو أقوى منه، ويفتقد الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، وينجي أنفسهم من الضر والضيم، وتعز عليه دماؤهم، وأنه يبقي ويعطي من ذهب سبأ، ويصلى عليه في كل وقت، ويبارك عليه كل يوم مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض ، ويطلع ثماره على رؤوس الجبال ، كالتي تطلع من لبنان، وينبت في مدينته مثل عشب الأرض ، ويدوم ذكره إلى الأبد، وأن اسمه لموجود قبل الشمس ، فالأمم كلهم يتبركون به، وكلهم يحمونه^(٣)) وقال المهدي الطبري : (ولا نعلم أحداً يصلى عليه

(١) الدين والدولة ، ص ١٤٠ . والمزمور ٥٠ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٠ - ١٤١ . ومحفة الأريب ٢٧٥ . والمزمور ٧٢ .

في كل وقت غير محمد صلى الله عليه وسلم). وغني هذا النص عن زيادة تعليق أو شرح؛ فلم تتحقق مثل هذه الصفات متكاملة لنبي أو ملك قبل محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما تحققت له ، ومقارنة سريعة بين الآيات التي سأوردها وهذا النص يتضح التماثل التام بينهما ، قال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم^(١)) وقال عز وجل : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار^(٢)).

وقد تضمن المزمور الذي وردت فيه هذه البشارة بعض الألفاظ التي لا تزال مشرقة وشاهدة وهي قول داود : (ويشرق في أيامها الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر) وهذا اللفظ يقع مباشرة قبل قوله : (إنه يجوز من البحر إلى البحر ..) ولنفاضة هذا اللفظ أحببت إيرادها . وقد ضبطت لفظة « الصديق » بالشكل الذي نقلته ، فهل بعد هذا الإيضاح يبقى إشكال لذي عقل؟ وقد ذكر صاحبه رضي الله عنه ، وذكر سنة من سنن دينه وهي كثرة السلام إلى أن يضمحل القمر ، واضمحلال القمر تعبير عن الساعة يشهد له أول سورة التكويد والإنفطار ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من علامات الساعة أن يكون السلام على الخاصة^(٣) .

البشارة الخامسة : قول داود في المزمور العاشر بعد المائة : (إن الرب عن يمينك ، وهو يكسر في يوم رجزه الملوك ، ويُضعف ركن الملك ، ويحكم بينهم بالحق ، ويكثر القتلى والجيف ، ويقطع رؤوس بشر كثير ، ويشرب في سفره من ماء الأودية ، ومن أجل هذا يسمو للمعالي رأسه^(٤)) فمن الذي نصره الله على أعدائه هذا النصر المؤزر؟ وفي قوله : (ويُضعف ركن الملك) . إشارة لطيفة إلى أن ضعف الملك الاستبدادي الوراثي يسقط ويضعف على يديه وعلى يدي أصحابه ، فهم الذين قضوا على ممالك الفرس والروم .

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .

(٣) انظر المسند ج ١ ، ص ٤٠٧ ، ٤١٩ .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٤٢ . والمزمور ١١٠ .

البشارة السادسة : قال داود في المزمور الحادي عشر بعد المائة : (قال يهوه لسيدي : اجلس على يميني إلى أن أجعل أعداءك مسنداً لقدميك^(١)) ويرر المهتدي عبد الأحد داود إطلاق داود عليه السلام لهذا الوصف « سيدي » بما يلي : -
١ - أن داود كان ملكاً قوياً ولا يتأتى أن يكون خادماً لأي كائن بشري .
٢ - لا يمكن أن نتصور أنه كان يعني بهذا اللقب أحد الأنبياء المتوفين .
٣ - لا يمكن لداود أن يدعو أحداً من سلالته « سيدي »؛ لأن اللقب المعقول حينئذ سيكون :
يا بُني .

٤ - لا يتفق لكائن غير الله أن يكون سيداً لداود إلا من كان أشرف الخلق .
٥ - لا يمكن أن يكون المسيح عليه السلام هو الذي عناه داود بسيدي ؛ لأن المسيح قد استثنى نفسه من هذا اللقب بنص إنجيل برنابا .
أما الحجج التي احتج بها عبد الأحد على أن الموصوف بـ « سيدي » في هذا النص هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي كالتالي : -
١ - أنه أعظم نبي ؛ لأنه هو الذي نشر التوحيد ، وقضى على الشرك ، وطهر الكعبة من الأصنام ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، إذاً ليس سيداً لداود فحسب؛ بل سيد الأنبياء ولا فخر .

٢ - أن عيسى اعترف أنه لم يكن سيد داود؛ فلم يبق سوى محمد سيد لداود .
٣ - بمقارنة ما قدمه محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية مع ما قدمه كافة الأنبياء ؛
نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهي أن محمداً وحده هو الذي يستحق هذا اللقب المميز .
٤ - تفوقه صلى الله عليه وسلم في التنديد بالشرك والوثنية وبالثلوث النصراني .
٥ - أن هذا التشريف قد تم ليلة المعراج^(٢) .

البشارة السابعة : قول داود عليه السلام في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة : (من أجل أن الرب ارتاح لشعبه وتطول على المساكين بالخلاص؛ فليتعزز الأبرار بالكرامة، ويسبحونه على مضاجعهم، ويكرموا الله بحناجرهم؛ لأن في أيديهم السيف ذا الشفرتين للانتقام من الشعوب وتوبيخ الأمم، وإثقال ملوكهم بالقيود، وعليتهم ومكرميهم بالسلاسل؛

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٠ . والمزمور ١١٠ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٠ - ١١٤ .

ليحملهم على القَدَر المكتوب المبرم، فالحمد لجميع أبراره^(١) ألم تتحقق هذه النبوة في محمد وصحبه؟ ألم يقل الحق عنهم: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم^(٢)). أما قوله: ويكروموا الله بحناجرهم. فهذا من أخص خصائص هذه الأمة، وهو الأذان والإقامة والتكبير والتسبيح والذكر. وقال المهتدي الطبري معلقاً على هذه البشارة: (أما ترون - يهديكم الله - هذه الصفات خالصة للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته؟ فهو الذي معه السيف ذو الشفرتين، وهو المنتقم بأمته من جبابرة فارس وطغاة الروم وغيرهم، وهو الذي قيَّدت أمتُه الملوك، وسأقت جلتهم وأولادهم في السلاسل والأغلال^(٣)).

البشارة الثامنة: قول داود عليه السلام في المزمور الثاني والخمسين بعد المائة: (لترتاح البوادي وقراها، ولتصر أرض قيذار مروجاً، وليسبح سكان الكهوف، ويهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحهم في الجزائر؛ لأن الرب يجيء كالجبار، كالرجل المحرب المتلطي للتكبر، فهو يزجر ويتجبر، ويقتل أعداءه^(٤)) قال المهتدي الطبري: (من قيذار؟ إلا ولد إسماعيل عليه السلام، وهم سكان الكهوف الذين يحمدون الرب ويذيعون تسابيحهم في الهواجر والأسحار^(٥)). ولم يختص أبناء إسماعيل بسكنى الكهوف؛ وإنما ذكر في هذه البشارة سكان البوادي والقرى والكهوف وقلل الجبال والجزائر إشارة إلى شمول رسالته صلى الله عليه وسلم لكافة أرجاء المعمورة، ولجميع الأماكن الممكنة لسكنى البشر كالبوادي والقرى والكهوف والجزائر وقلل الجبال، وليس وراء هذه الأماكن ما ينفع لإقامة البشر فيها واتخاذها مسكناً.

البشارة التاسعة: قول داود عليه السلام: (طوبى لكم يا بني إسماعيل سببعت منكم نبي تكون يده عالية على كل الأمم، وكل الأمم تحت يده^(٦)) وعلق الإسكندراني على هذه

(١) الدين والدولة، ص ١٤٢. والمزمور ١٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩١.

(٣) الدين والدولة، ص ١٤٣.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٣. والطبعة التي بين يدي من الكتاب المقدس تنتهي عند المزمور ١٥٠. وكل إحالات المهتدي الطبري على المزامير متفقة مع الطبعة المشار إليها، ما عدا هذا المزمور.

(٥) المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٦) مسالك النظر، ص ٥١. لم يوضع هذا المهتدي موضع هذا النص والذي بعده من مزامير داود فوضعتهما في آخر بشارات المزامير، كما أنني اجتهدت في طلبهما في مظانهما، ومن المحتمل أن هذا النص في المزمور ٢٢: ٢٧.

البشارة بقوله : (ومن المعلوم أن إسماعيل عليه السلام لم يكن ظهر له ملك ، ولا علت يده على إخوته، ولا نزل إلى الشام ولا سكن، ولم يكن ذلك إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأمتة هم الذين سكنوا بمساكن بني إسرائيل بمصر والشام) وهذه البشارة مماثلة للبشارة الأولى في سفر التكوين - وقد سبق إيرادها في هذا المبحث .

البشارة العاشرة : قول داود في المزمور : (عظموا الله يا كل الأمم، وحدوا الله يا أهل الأرض؛ سبعت لكم نبي الرحمة^(١)) فهل بعد هذا التصريح من تصريح؟ ومن غير محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ؟ .

الثامن : بشارات إشعيا : -

البشارة الأولى : قول إشعيا في الإصحاح الأول : (اسمعي ياسموات، وقري يا أرض، ولماذا تفتلي ؟ سبعت عليك نبي به ترحمي^(٢)). وهذه النبوة توافق النبوة الماضية في مزامير داود عليه السلام التي قال فيها : سبعت لكم نبي الرحمة .

البشارة الثانية : قول إشعيا في الفصل الثاني : (إن الرب يتعزز ويتعالى يومئذ وحده على جميع صنوبر لبنان المستطيلة الشامخة ، وعلى جميع شجر البلوط التي في أرض بيسان ، وعلى جميع الجبال الرواسي ، وعلى كل منظره رائعة بهية، وببيد الأوثان بيدودة ظاهرة، ويغيب في صدوع الصخور وأنفاق التراب من قدام خشية الله تعالى ، ومن بهاء حمده^(٣)) والمراد من الشجر والجبال في هذا النص الكنية عن الأكابر والملوك والأصاغر، وهذا الأمر معهود في كتبهم .

البشارة الثالثة : قول إشعيا في الفصل الثالث : (إنني رافع آية للأمم، من بلد بعيد، وأصفر لهم من أقاصي الأرض صغيراً، فيأتون سراعاً عجالاً ، ولا يميلون ولا يتعثرون ولا ينعمسون ولا ينامون ولا يحلون مناطقهم، ولا ينقطع معقد خفاقهم، سهامهم مسنونة، وقسيهم موترة، وحوافر خيلهم كالجلاميد صلابة ، وعجلهم مسرعة مثل الزوابع، وزئيرهم كنهيم اللبوث ، وكشبل الأسد الذي يزأر وينهم للفريسة ، فلا ينجو منهم ناج ، ويرهقهم يومئذ مثل دوي البحر واصطكاكه ، ويرمون بأبصارهم إلى الأرض فلا يرون إلا النكبات

(١) المصدر السابق ، ص ٥١ . والمزمور ٣٣ : ٥

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٢ . وإشعيا ١ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٤٥ . وإشعيا ٢ .

والظلمات، وينكسف النور عن عجاج جموعهم^(١)) وقد استنبط المهتدي الشيخ زيادة من هذا النص الدلالات التالية : .

١ - هذه البشارة منطبقة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من كل وجه؛ بدليل قوله يرفع علامة للأمم. ومحمد هو العلامة المرفوعة لسائر الأمم .

٢ - أن قوله: من بعيد. إشارة إلى أن هذه العلامة ترفع للأمم من خارج أرض بني إسرائيل، ويتضح ذلك من قوله بعده : من أقاصي الأرض . فكأنه قال : إن أقصى أرض إسرائيل هي الأرض التي يخرج منها ذلك النبي .

٣ - نفي التعب والإعياء والنوم عن جيوشه، وإثبات السرعة؛ برهان ظاهر على أن المراد بهذه النبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الملائكة كانت تشارك في جيوشه، وهم الذين لا ينامون ولا يسأمون... كما أن نفي النوم عنه يدل أيضاً على نبينا؛ لأنه كان يقضي الليل في العبادة والذكر والصلاة، حتى تورمت قدماء .

٤ - الشهادة لحواضر خيله بأنها مثل الصوان ، مطابق لوصف الله لها في القرآن بقوله : (والعاديات ضبحاً. فالموريات قدحا^(٢)) ولا يمكن أن تنطبق هذه البشارة على عيسى عليه السلام؛ لأنه لم يكن له خيل^(٣) .

ولعل المراد من قوله : وأصفر لهم من أقاصي الأرض فيأتون سراعاً عجالاً . هو النداء بالحج إلى بيت الله الحرام الوارد في قوله تعالى : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق^(٤)) . وعبر بالصفير عن النداء والأذان .

البشارة الرابعة : قول إشعيا . في الفصل الخامس مفسراً ما تقدم من نبواته : (إن الأمة التي كانت في الظلمات رأت نوراً باهراً ، والذين كانوا في الدجى وتحت ظلال الموت سطع عليهم الضوء، أكثرت من التبع والأحزاب، ولم تستكثر الاغتباط بهم، فأما هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد، وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم؛ لأنك فككت النير الذي كان أذلهم، والعصا التي كانت على أكتافهم، وكسرت القضيب الذي كان

(١) الدين والدولة ، ص ١٤٥ . والبحث الصريح ، ورقة ٢٨ / أ . وإشعيا . ٥ .

(٢) سورة العاديات ، الآيتان ، ١ . ٢ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٨ - ٢٩ / أ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٢٧ .

يستعبد بهم مثل كسرك من كسرت في يوم مدين^(١) وقال الطبري: (وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي في القرآن وقال إنه يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) . وهذا النص يصور حال أمته قبل بعثته ؛ فقد كانت ترتع في ظلمات الجهل والشرك ، ثم أضاء لها نور الوجدانية فاتبعته، وبعد أن كانت أمة مستضعفة كثر أتباعها ، وفرحوا بانضمامهم إليها ، وبسبب هذه الرسالة رفع الله عنهم استعباد الأمم لهم، وانقلبت حالهم فإذا هم المسيطرون على بني البشر .

البشارة الخامسة : قول إشعيا في الفصل الخامس : (إنه ولد لنا مولود، ووهب لنا ابن سلطانه على كتفه) هذا النص عن الترجمة السريانية ، أما ترجمته عن اللغة العبرية فهو: (إن على كتفه علامة النبوة^(٢)) .

وقد أورد المهتدي الشيخ زيادة هذه البشارة بالنص العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية ، وكانت بصورة أطول مما ذكره الطبري هنا، واستنتج منها الدلالات التالية في دلالاتها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهي :-

- ١ - أن اسمه عجيبياً ؛ فلم يتسم أحد بهذا الاسم الشريف من قبل .
- ٢ - أنه من سلالة إسماعيل الذي لم يظهر منهم سواه .
- ٣ - أن لفظة «عجيبياً» التي تضمنتها البشارة قد وجدت في التوراة اليونانية « رسولاً » وهو الاسم المتغلب عليه صلى الله عليه وسلم .
- ٤ - هذه النبوة تضمنت أن إشعيا سماه «مشاوراً» ، ولم يكن أحد أكثر منه مشاوراً لأصحابه صلى الله عليه وسلم .
- ٥ - أن إشعيا قال عنه: «سيد سلام» . وهذا يدل على أنه رئيس الإسلام والمسلمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين. ولا تنطبق هذه الأوصاف على عيسى عليه السلام؛ لأنه لا توجد على كتفه علامة النبوة، ولم يكن اسمه عجيبياً فقد سبقه من تسمى بمثل اسمه، ولم يأت بشريعة مستقلة^(٣) .

والمقصود بهذه البشارة الإشارة إلى خاتم النبوة الذي كان على كتفه الشريف، وقد

(١) الدين والدولة ، ص ١٤٦ . واشعيا . ٩ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٤٦ - ١٤٧ . والبحث الصريح ، ورقة ٣٤ / ب . واشعيا . ٩ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٣٤ / ب - ٣٧ .

استفاضت كتب السنة والسيرة والدلائل بذكر خبره وصفته ، وكذلك القصص والحوادث المتعلقة به كقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقصة بحيرا الراهب .

البشارة السادسة : قول إشعيا في الفصل العاشر: (هكذا يقول الرب إنك تأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعاً، مقدماً مثل الزعازع من الرياح ، ورأينا منظراً رائعاً هائلاً ظالماً يظلم، ومنتهباً ينتهب... ولتقم السادة والقادة إلى أترستهم، فليدهنوها لأن الرب قال لي: هكذا أمض فأقم الربيثة على المنظرة؛ ليخبر بما يرى، فكان الذي رأى راكبين: أحدهما راكب حمار، والآخر راكب جمل.. فبينما أنا كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول: هوت بابل وتكسرت جميع آلهتها المنجورة على الأرض، فهذا الذي سمعت من الرب إله إسرائيل العزيز قد أنبأتكم^(١)). ويستنتج من هذا النص الدلالات التالية المؤكدة على أن المعنى بهذه البشارة هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : -

١ - أن إشعيا قال: ستأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، من أرض البادية؛ لثلا يدع حجة لمحتج، لأنه لم يأت أحد بهذه النبوة من أرض التيمن الواقعة في البادية البعيدة عن أرض إسرائيل سوى محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ - أنه قال : (هوت بابل وانكسرت جميع آلهتها). ولم تزل الأوثان تعبد في بابل حتى ظهر محمد صلى الله عليه وسلم؛ فأطفأ نيرانهم، وهدم أوثانهم، واذعنوا لدين الله طوعاً أو كرهاً .

٣ - إذا كان راكب الحمار ينطبق على المسيح ؛ فليس في الدنيا راكب جمل أولى بهذه النبوة من محمد صلى الله عليه وسلم . وقد أورد المهتدي الإسكندراني النص العبري المتعلق براكب الحمار وراكب الجمل ، ثم أتبعه بالترجمة العربية وجاء فيه : (فرأى ركب رديف خيل ، ركب رديف حمار، ركب رديف جمل) وقال: هذه حال جيوشه صلى الله عليه وسلم ، خلاف عساكر الملوك؛ لأن الملوك لا تركب جيوشها مراديف، ولا يركبون الحمير والجمال .

أما قوله : (ظالماً يظلم، ومنتهباً ينتهب). فقصد به الإمبراطورية الفارسية والرومانية^(٢) .
البشارة السابعة : قول إشعيا في الفصل الحادي عشر: (إنا سمعنا من أطراف الأرض

(١) الدين والدولة ، ص ١٤٨ - ١٥٠ ، والبحث الصريح ، ورقة ٣٧ ب/ ٣٨ . وإشعيا ١٢ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٣٨ - ٤٠ أ/ ، والدين والدولة ، ص ١٤٨ - ١٥٢ .

مزموراً وترتيلاً للبر والخير وهو يقول: إن لي سرّاً، إن لي سرّاً. ويقول يارويحي، فجر الفجار، فجر الفجار فجوراً، فما أنذا محدق بكم يا سكان الأرض الرعب والهواة والنفخ... لأن أبواب السماء تفتحت، وتزعزعت أساسات الأرض وارتاعت (هذا كما في ترجمة مارقوس، فأما في النص العبري الذي هو الأصل فإنه يقول: (إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد^(١)). قال الطبري بعد أن أورد هذه البشارة: ومكة هي في أطراف الأرض، وعلى ساحل البحر، فليعلمونا متى وفي أي دهر نزل بأهل الكفر والشرك من الروعات والنقم والنكبات مثل ما عمهم ونزل بهم في هذه الدولة، وليس بعد التصريح بذكر اسمه صلى الله عليه وسلم مجال للتأويل أو المجادلة .

البشارة الثامنة: قول إشعيا في الفصل السادس عشر: (لتفرح أهل البادية العطشى، ولتبتهج البراري والفلوات، ولتخرج نوراً كنور الشسلبذ^(٢)، ولتستر وتزه مثل الوعل؛ لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان، وكمثل الدساكر والرياض، وسيرون جلال الله عز وجل وبهاء إلهنا^(٣)) وقد اشتملت هذه البشارة على ذكر بلده وحال أمته، وصرحت باسمه، وتضمنت ما وعدوا به من النظر إلى وجهه تعالى في الآخرة .

البشارة التاسعة: قول إشعيا في الفصل التاسع عشر: (هتف هاتف في البدو وقال : خلوا الطريق للرب، وسهلوا لإلهنا السبيل في القفر، فستمتلي الأودية كلها مياهاً، وتفيض فياضاً، وتنخفض الجبال انخفاضاً، وتصير الأكام دكادكاً، والأرض الوعرة ملساء، وتظهر كرامة الرب، ويراه كل أحد، من أجل أن الرب يقول ذلك^(٤)). ولم تدع أمة من البادية وتكرم هذا التكريم سوى الأمة المحمدية. وقد أوّل الطبري الجبال والروابي في هذه البشارة على أنهم الملوك والجبابرة، وأن الأودية الواردة هنا حقيقية .

ولعل الأولى أن يتم تأويل هذه الأودية على معنى معنوي كما أوّل الجبال والأكام فيكون المقصود بفيضان الأودية بالماء هو انتشار الإسلام، وشيوع العلم الشرعي الذي لا تستغني عنه الأمة، كما أنها لا تستغني عن الماء، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ما بعث به

(١) الدين والدولة، ص ١٥٢ - ١٥٣ . وإشعيا ٢٤ .

(٢) هكذا في كتاب الدين والدولة، ولم أجد لها ذكراً أو شرحاً في قاموس الكتاب المقدس .

(٣) الدين والدولة، ص ١٥٣ . وإشعيا ٣٥ .

(٤) الدين والدولة، ص ١٥٣ - ١٥٤ . وإشعيا ٤٠ .

بالغيث أصاب الأرض^(١).

البشارة التاسعة : قول إشعياء في الفصل التاسع عشر : (إن الرب سيظهر بالعز، وذراعه بالحوّل والقوة، أجره معه، وعمله قدامه، كالراعي الذي يرعى قطيعه، ويجمع غنمه، ويحملهم في حجره ، ويغذو الرواضع منهم بنفسه^(٢)) وقد تقدم أن اسم الرب يقع على الله ، ويقع على الناس. ومعنى قوله: أجره معه. هو تعبير عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان أجره معه ، ولم يبتغ من أحد أجراً، ومعنى عمله أمامه. فهو الذي عجل للمجاهدين في سبيل الله أجورهم وفضلهم بالعز والغلبة اللذين كانا معه صلى الله عليه وسلم . وقوله كالراعي. فهو تشبيه لهذا النبي بأنه مثل الراعي في تحننه ورأفته ورحمته^(٣) البشارة العاشرة : قول إشعياء في الفصل التاسع عشر : (من الذي نبه البر من المشرق، ودعاه إلى موطنه قدمه ليسلم إليه الأمم، ويذهل عنه الملوك، ويجعل سيوفه في عدد الثرى...وقسيه في عدد الحزم المنثورة، فهو يغلبهم ويضرب وجوههم، ثم يحدث سلماً، ولا يظاً برجله سفراً^(٤)). قال الطبري: (فإن الحجاز والعراق وما ولاها عند أهل الشام مشرق^(٥)). ومعنى قوله من الذي نبه البر. لعله بمعنى من الذي نبه البر من المشرق، أو لعل المقصود بالبر الإيمان؛ كما جاء في قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر^(٦)). أما بقية النص فهو متحقق في النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو الذي سلّمت إليه الأمم قيادها، وذهل منه الملوك، وكانت سيوفه بعدد الثرى، وهو الذي تغلب على الكفار وخذلهم، ولم تجتمع هذه الصفات لأحد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

البشارة الحادية عشرة : قول إشعياء في الفصل العشرين : (يا آل إبراهيم خليلي الذي قويتك، ودعوتك من أقاصي الأرض، ومن مجودها وعواليها، ناديتك وقلت لك: إنك عبدي وأنا اجتبيتك، ولم أستر ذلك ؛ فلا تخف، لأنني معك ، ولا ترهب فيها أنا إلهك أيديتك ثم

(١) انظر صحيح البخاري كتاب العلم ، باب ٢٠ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٥٤ . وإشعياء ٤٠ .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ١٥٤ .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٥٥ . وإشعياء ٤١ .

(٥) الدين والدولة ، ص ١٥٥ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

أعنتك، وبيمينني العزيزة البرة مهّدت لك، ولذلك يبّهت وبخزي المستطيلون عليك، ويضمحل ويتلاشى الذين يمارونك ويشاقونك، ويبيد القوم المنازعون لك، وتطلبهم فلا تحس منهم أثراً؛ لأنهم يبطلون، ويصيرون كالنسيء المنسيء أمامك، لأنني أنا الرب قويت يمينك، وقلت لك لا تخف؛ فإني أنا عونك ومخلصك، هو قدوس إسرائيل، يقول الله الرب: (أنا جاعلك مثل الجرجر الحديد الذي يدق ما يأتي عليه دقاً، ويسحقه سحقاً، وكذلك تفعل أنت أيضاً، تدوس الجبال، وتدقها، وتجعل المدائن والتلال هشيماً تذروه العواصف، وتلوي به هوج الرياح، وتبتهج أنت حينئذ، وترتاح بالرب، وتكون محمداً بقدوس إسرائيل^(١)). وقد استبدل أول هذا النص بـ (وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته من نسل إبراهيم). كما استبدل آخره بـ (وأنت لتبتهج بالرب بقدوس إسرائيل تفتخر).

وقد تقدم في البشارات السابقة أن أرض الحجاز واقعة في أقاصي أرض إسرائيل، أما قوله: (فلا تخف لأنني معك، ولا ترهب فيها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك). فهو متفق مع قوله تعالى: (والله يعصمك من الناس^(٢)). أما قوله: (يبّهت وبخزي المستطيلون عليك). فهو متفق مع قوله تعالى: (إنا كفيناك المستهزئين^(٣)) وقوله: (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم^(٤)) كما أنه متفق مع حال المناوئين له والمخالفين لأمره ممن كانوا أمماً أو أفراداً. ومعنى قوله: (تدوس الجبال وتدقها) .. فقد سبق تأويل الجبال بالملوك والجبابرة، وقد سَحَقُوا أمام جيوشه وجيوش أصحابه، وأصبحوا هشيماً تذروه الرياح . وقال المهتدي الطبري: (وإن شغب شاغب فأكثر ما يمكنه أن يقول: إن تفسير اللفظة السريانية هو: أن يكون محموداً وليس بمحمد. ومن عرف اللغة وفهم نحوها لم يخالفنا في أن معنى محمود ومحمد شيء واحد).

البشارة الثانية عشرة: قول إشعيا في الفصل العشرين: (إن المساكين والضعفاء يستسقون ماء ولا ماء لهم، فقد جفت ألسنتهم من الظمأ، وأنا الرب أجيب حينئذ دعوتهم، ولن أهملهم بل أفجر لهم في الجبال والأنهار وأجري بين القفار العيون، وأحدث في البدو

(١) الدين والدولة، ص ١٥٥ . وإشعيا، ٤١ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٧ .

(٣) سورة الحجر، الآية ٩٥ .

(٤) سورة البقرة، الآية ١٣٧ .

آجماً، وأجري في الأرض ماء معيناً، وأنبت في القفار البلاقع والصنوبر والآس والزيتون، وأغرس في القاع الصنوبر والسرور البهية؛ ليروها جميعاً، وليعلموا ويتدبروا ثم يفهموا معاً أن يد الله فعلت ذلك، قدوس إسرائيل ابتدعه^(١) وقد ذهب الطبري إلى أن الألفاظ الواردة في هذه النبوة على حقيقتها، فقال: (فأين لكم يا بني عمي المحيد عن هذه النبوة الواضحة الناطقة؟ وما عسيتم تقولون فيها؟ وقد سمي البلاد ووصف المعاش والقفار البلاقع، وما فجر فيها من العيون، وأجرى من الأنهار، وغرس فيها من أنواع الأشجار، وسمى العطاش المساكين من أهل البوادي والحجاز ..) ولكنني أرى أن المقصود بهذه الألفاظ هي المعاني المجازية التي يمكن تأويل هذه الألفاظ إليها استثناساً بقرينة الحال والواقع؛ لا أن المقصود بهذه الألفاظ المعاني الحقيقية؛ يؤكد ذلك أن الأرض التي أشرقت بنور الرسالة المحمدية لا تزال منذ أن سكنها إسماعيل عليه السلام إلى يوم الناس هذا - واد غير ذي زرع، كما قال ذلك الخليل عليه السلام، فلم تنعم بالأنهار، ولم تتفجر فيها العيون، ولم تنبت الزيتون والآس. ولعل المراد من قوله: إن المساكين والضعفاء يستسقون ولا ماء لهم أن هذا كناية عن سؤالهم الله أن يغيشهم بالرسالة، ويزكيهم بالكتاب والحكمة، وينزل على قلوبهم السكينة والطمأنينة، امتداداً لدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام لما قال - كما أخبر بذلك الله عنه في محكم تنزيله -: (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم^(٢)) .

وقد أورد المهدي الشيخ زيادة نصاً عن إشعيا يتضمن أن «دوما» - وهي إحدى البلاد التي عمرها أحد أبناء إسماعيل عليه السلام - تستغيث بلسان حالها إلى الله سبحانه وتعالى أن يرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليخرجها من الظلمات إلى النور^(٣). فعلى ذلك يتيسر تأويل بقية النص الوارد إلى المعاني المجازية؛ فيكون المراد بالأنهار والعيون، وازدياد الخير والنماء وتبدل حال القفار ... هو انتشار الرسالة، وعموم نور الإسلام، وكثرة العلماء والدعاة الذين يرد إليهم الناس لسؤالهم والاستفادة من علمهم الذي هو للروح كالماء للجسد. وقد يكون من حكمة الله أن تظل هذه النصوص بهذه الألفاظ؛

(١) الدين والدولة، ص ١٥٦. وإشعيا، ٤١.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٩.

(٣) انظر البحث الصريح، ورقة ٢٩ / أ.

لأنها لو وردت ظاهرة لتلقفتها أيدي اليهود والنصارى بالتحريف والتغيير .
وبناءً على ذلك يكون هذا النص - سواء كان ظاهراً أم مؤولاً - دالاً على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ذكر الضعفاء والمساكين في البادية العطشى بين الجبال والقفار،
وقد كانت أمته قبل بعثته على هذه الحال من الضعف والمسكنة والبداءة والسكنى بين
الجبال، وفي القفار والأودية العطشى .

البشارة الثالثة عشرة : قول إشعيا في الفصل الحادي والعشرين: (لتسبحني وتحمدني
حيوانات البر من بنات آوى حتى النعائم؛ لأنني أظهرت الماء في البدو، وأجريت الأنهار في
بلد أشيمون؛ لتشرب منها أمتي المصطفاة، فلتشرب منه أمتي التي اصطفتها^(١)) وما ورد
في هذه النبوة يؤكد ما جاء في النبوة السابقة، ويؤكد أيضاً تأويل الماء بالرسالة .

البشارة الرابعة عشرة : قول إشعيا في الفصل الثالث والعشرين متحدثاً عن النبي صلى
الله عليه وسلم : (اسمعي أيتها الجزائر، وتفهمي يا أيتها الأمم، إن الرب أهاب بي من
بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، جعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وأحاطني
بظل يمينه، وجعلني في كنانته كالسهم المختار وخزنتني لسره، وقال لي: إنك عبدي.
فصرقي وعدلني قدام الرب حقاً، وأعمالي بين يدي إلهي، وصرت محمداً عند الرب، وبإلهي
حولي وقوتي^(٢)) قال المهتدي الطبري: فإن أنكروا منكر اسم محمد في هذا الباب. فليكن
محموداً، فلن يجد إلى غير ذلك من الدعاوي سبيلاً .

البشارة الخامسة عشرة : قول إشعيا في الفصل الرابع والعشرين : (هكذا يقول الرب
قدوس إسرائيل للذي كانت نفسه مستردلة مهانة، ولمن كانت الأمم تستخف به، وأتباع
السلطان يهينونه؛ ستقوم له الملوك إذا رأوه، وتسجد له السلاطين؛ لأن وعد الله حق، وهو
قدوس إسرائيل الذي انتخبك واختارك، وهو الذي يقول أجبته عند الرضى، وترث توارث
الخرابات، وتقول للأسرى: اخرجوا وانفكوا، وللمحبسين اظهروا وانطلقوا ... ويتوافى
القوم من بلد شاسع بعيد: بعض من جهة الجرياء، وبعض من البحر، وبعض من بحر سنيم.
فسبحي أيتها السماء، واهتزي أيتها الأرض فرحاً، وابتهجي أيتها الجبال بالحمد؛ فقد

(١) الدين والدولة ، ص ١٥٧ . وإشعيا ٤٣ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٥٧ - ١٥٨ . وإشعيا ٤٩ .

تلاقى الرب شعبه، ورحم المساكين من خلقه^(١) ولم تتحقق هذه المعاني مجتمعة إلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فقد كانت أمته قبل بعثته أمة مسترذلة مستضعفة، وبعثته صلى الله عليه وسلم أذعنت لهم الملوك، واستسلمت لهم الجبابرة، وقضوا على الإمبراطوريات القائمة، وحكموا البلاد والعباد .

أما قوله: (جعلتك ميثاقاً للشعوب). فهو متفق مع قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين^(٢)) والذي جاء مصدقاً لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه^(٣)) .

أما قوله : نوراً للأمم. فهو متفق أيضاً مع قوله تعالى: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون^(٤)). وقوله تعالى: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء^(٥)) وقوله تعالى: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً^(٦)) .

أما قوله: (لتطمئن بك الأرض). فهو مماثل لقوله تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب^(٧)) .

(١) الدين والدولة ، ص ١٦٣ - ١٦٤ . وإشعيا . ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

(٥) سورة النور ، الآية ٣٥ .

(٦) سورة الشورى ، الآية ٥٢ .

(٧) سورة الرعد ، الآية ٢٨ .

أما قوله : (وترث ثوارث الخرابات). فتستطيع أن تلمح منه وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف الموعد به في سورة النور الآية الخامسة والخمسين .
أما بقية هذه البشارة فهي تصوير لتوافد الأمة الإسلامية في موسم الحج، وإقامة شعائر الله في تلك البقاع الطاهرة المباركة ...

البشارة السادسة عشرة: قول إشعيا في الفصل الرابع والعشرين مخاطباً مكة وهاجر:
(أنا رسمتك على كفي فأسوارك أمامي في كل وقت، وسيأتيك ولدك سراعاً، ويخرج عنك من أراد أن يتحيفك ويخربك، فارفعي بصرك إلى ما فوقك، وانظري فإنهم يأتونك ويجمعون عن آخرهم إليك. يقول الله مقسماً باسمه: إني أنا الحي، لتلبسهم مثل الحلة، ولتتزينين بالإكليل مثل العروس، ولتضيقن عنك قفارك وخراباتك، والأرض التي ألبأوك إليها، وضغطوك فيها من كثرة سكانها والراغبين فيها، وليهرين منك من كان يناويك ويهتضمك، وليقولن لك ولد عقمك : أيتها النزور الرقوب، إنه قد ضاقت بنا البلاد فتزحزحوا وانفرجوا فيها لتتسع في فيافيها، وستحدثين نفسك حينئذ فتقولين: من رزقني هؤلاء كلهم، ومن تكفل لي بهم^(١)). وهذه البشارة لا تتطلب الشرح والتعليق لوضوحها، كما أنها لا تقبل أن تؤول على غير مكة أو هاجر، فمن الذي تكفل الله بحمايتها غير مكة؟ ومن الذي تكاثر عدد أبنائها، وضاقت عنهم أرضها، وقد كانت عاقراً سوى هاجر؟؟

البشارة السابعة عشرة : قول إشعيا في الفصل الرابع والعشرين : (هكذا يقول الرب: ها أنا رافع يدي على الأمم، وناصر لهم آية؛ وهي أن الناس يأتونك بأبنائك على أيديهم، ويحملون بناتك على أكتافهم، وتكون الملوك ظؤورتك، وعقائل نسايتهم مرضعاتك، ويخرون على وجوههم سجداً لك على الأرض، ويلحسون تراب أقدامك، وتعلمين حينئذ أنني أنا الرب الذي لا يخزي الراجون لي لدي^(٢)). وفي هذا النص تقرير لخضوع الأمم لهذه الأمة المحمدية؛ فيكون أبنائها وبناتها خدماً لأبناء الأمة المحمدية، وتكون نساؤهم مرضعات لأطفال المسلمين، وقد حدث ذلك نتيجة الفتوحات الإسلامية التي أثمرت عن انتشار

(١) الدين والدولة ١٦٤ - ١٦٥ . وإشعيا ٤٩ .

(٢) الدين والدولة ١٦٥ . وإشعيا ٤٩ .

الرقيق من سبايا الكفار، كما أن في قوله: (ويلحسون تراب أقدامك). تصوير لحال الصغار والذل الذي يلازم دافع الجزية كما في قوله تعالى: (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون^(١)). وقد وافق إشعياء داود في هذه النبوة، ولم لا، والمصدر واحد، والموضوع واحد، والوصف واحد، وهو قوله: (ويلحسون تراب أقدامك) .

البشاوة الثامنة عشرة : قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين : (من الذي أقبل من أدوم ؟ وثيابه أشد حمرة من البسر، وأراه بهياً في حله ولباسه، عزيزاً لكثرة خيله وأجناده، وإني أنا الناطق بالحق والمخلص للأقوام، وإن لدينا ليوم الفتنة نكلاً، ولقد اقتربت ساعة النجاة، وحانت ساعة تخليصي؛ لأنني نظرت فلم أجد من يعينني، وتعجبت إذ ليس من ينيب إلى رأيي، فخلصني عند ذلك ذراعي، وثبتت بالغضب قدمي، ودست الأمم برجزي، وأشقيت حدودهم بغيظي واحتدامي، ودفنت عزهم تحت الأرض^(٢)) تورد هذه النبوة بعضاً من صفاته صلى الله عليه وسلم في هيئته وجلاله، وطرفاً من ذكر بهائه، وإشارة إلى كثرة خيله وأجناده، وأن بمقدمه تتخلص الأقوام من قيد العبودية لغير الله، وتقترب ساعة نجاتها، كما تضمنت هذه النبوة صفة البشرية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، وأنها لا تسمع لكلام الله، ولا تنصر المؤمنين به؛ فاستحقت بذلك غضب الله ومقتته، فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم عقاباً للأمم الكفرة؛ إذ ناصبهم العداوة، وشهر السيف في وجوههم، وأرغمهم على الإذعان له، ودفن مجد الكافرين تحت الأرض .

وقد يقول قائل: إن هذه البشارة ذكرت أنه أقبل من أدوم . ومحمد صلى الله عليه وسلم كان في أرض الحجاز؛ فلا تنطبق عليه هذه النبوة . والجواب على ذلك : إن الصفات الواردة في بقية النبوة لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، أما قوله : أقبل من «أدوم». فمن المعلوم أن المتحدث في هذه البشارة هو أحد أنبياء بني إسرائيل المقيمين في أرضها، و«أدوم» إقليم يقع بين الحجاز وفلسطين؛ إذ القادم من الحجاز إلى فلسطين لا بد أن يعبر من خلال «أدوم»، ويجب أن لا نغفل أن المتحدث - وهو إشعياء - يتحدث عن أمر غيبي مستقبلي فلا يمكن إذاً أن يقول: من الذي أقبل من الحجاز. لأنه

(١) سورة التوبة ٢٩ .

(٢) الدين والدولة ١٦٦ .

سيقال له : أين منا الحجاز؟؟ ولكنه يتحدث عن هذا النبي القادم بيقين لا شك فيه، حتى لكأنه يراه في أطراف أرض إسرائيل فيقول لهم : من هذا الذي أقبل من أدوم؟؟ وهو على يقين منه؛ لأنه ذكر صفاته ، ولكنه طرح الخبر بصيغة التساؤل حتى تستشرف النفوس، وتهفو الأرواح للقائه .

البشارة التاسعة عشرة : قول إشعيا في الفصل الرابع والعشرين عن الله عز وجل أنه قال مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم : (إني جعلت اسمك محمداً، فانظر من محالك ومساكنك يا محمد، يا قدوس؛ لأنك أنت الرب أبونا ومخلصنا، واسمك موجود منذ الأبد^(١)) فذكر اسمه مرتين في هذه النبوة، وهذه مماثلة لما ورد في نبوة داود عليه السلام عنه في المزامير من قول داود : (في جبله قدوس ومحمد). فليس وراء هذا مجال لمدح أن يتمحل أو يجادل .

وقال الطبري: (إن القدوس في اللغة السريانية: الرجل البر الطاهر. وكذلك اسم الرب واقع على السادات ... فإن غالط مغالط فقال: (يا محمد يا قدوس)، إنما يقع على المساكن التي ذكرها. فإن الكتاب السرياني يكذبه؛ لأنه لو أراد بذلك المساكن لقال: يا قدوسين ومحمدين. ولم يقل قدوساً ومحمداً^(٢)) .

البشارة العشرون : قول إشعيا في الفصل الرابع والعشرين : (اعبروا اعبروا الباب، وردوا الطريق على الأمة، وسهلوا السبيل وذللوها، ونحو الحجارة عن سبيلها، وارفعوا للأمة علماً ومناراً؛ فإن الرب أسمع نداء من في أقطار الأرض، فقل لابنة صهيون إنه قد قرب مجيء من يخلصك، وأجره معه، وعمله قدامه، ويسمون شعباً طاهراً، يخلصهم الرب، وتسمين أنت أيتها القرية التي أدال الله لها من أعدائها ولم يخذلها ربها^(٣)). وهذه البشارة شاهدة ومؤكدة للبشارة السابقة لإشعيا التي سبق إيرادها تحت مسمى البشارة التاسعة .

ومماثل قول إشعيا اسمع نداء من في أقطار الأرض. قوله صلى الله عليه وسلم عن

(١) الدين والدولة ١٦٦ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٦٧ .

هذا الدين : (لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، يعز عزيز، أو ذل ذليل: إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم الله فيدينون لها^(١)) .
أما قوله : فقل لابنة صهيون إنه قد قرب مجيئ من يخلصك. فهو شاهد على أن هذا المخلص هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ذكر شيئاً من صفاته، وهو أن أجره معه فهو لا يبتغي على رسالته أجراً من أحد سوى الله، كما أنه لا يعمل لدنياه بل يعمل لآخرته فعمله أمامه، ولم تتخلص ابنة صهيون - ولعل ذلك تعبير عن بيت المقدس - من ربة السيطرة اليهودية، وضلال الوثنية النصرانية إلا على يد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهو الذي ألبسها حلة الإيمان، وكساها رونق التوحيد، وكشف عنها ستار الجهالة. ويؤكد اختصاص هذه الأمة بهذه البشارة قوله: (ويسمون شعباً طاهراً... وتسمين أيتها القرية التي أدال الله لها من أعدائها). فذكر حالهم وهو الطهارة، ولعنائتهم به جعله اسماً لهم، وهذا موافق لقوله صلى الله عليه وسلم : (أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء^(٢)). وأشار إلى موطنهم وهو مكة؛ فهي القرية وهي أم القرى .

البشارة الحادية والعشرون: قول إشعياء في الفصل السادس والعشرون مخاطباً هاجر عليها السلام : (سبحي أيتها النور الرقوب، واغتبطي بالحمد أيتها العاقر، فقد زاد ولد الفارغة المجففة على ولد المشغولة الحظية. وقال لها الرب اوسعي مواضع خيامك، ومدى ستور مضارحك، لأنك لا تنفسي ولا تضني؛ بل طوكي أطنابك، واستوثقي من أوتادك؛ من أجل أنك تتبسطين وتنتشرين في الأرض يميناً وشمالاً، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة البياب^(٣)). فذكر حال هاجر عليها السلام^(٤). وبشر هاجر بهذه الآمال العظيمة التي تستحق الحمد والشكر والاعتباط، وما ينتظر ذريتها من التوسع والسيطرة والغلبة على سائر الأمم، وبمقارنة هذا الوعد الذي وعد به إشعياء هاجر عليها السلام - مع الفتوحات التي تحققت للأمة الإسلامية على أيدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٦ ، ص ٤ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة ، حديث ٣٤ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٥٨ . وإشعياء ٥٤ .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٥٨ .

نجد أنه قد تحقق فعلاً، وليس بعد شهادة الواقع وتصديقه لهذه النبوة مجال لمجادل أن يجادل أو يغالط فيدعي أن هذه البشارة لا تصدق هنا، وأنها دالة على قوم آخرين... ويكفي في هذه النبوة حجة ودليلاً أنه نص على أن أبناء المجففة قد زادوا على أبناء المشغولة الحظية، ومن المجففة إلا هاجر؟ ومن الحظية إلا سارة؟. ولم تحصل هذه الزيادة، ولم تتحقق هذه الغلبة إلا بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

البشارة الثانية والعشرون : قال إشعيا في الفصل الثامن والعشرين مخاطباً هاجر عليها السلام : (أيتها المنغمسة المتغلغلة في الهموم التي لم تنل حظوة ولا سلواً، إني جاعل حجرك بلوراً... ويعرفني هنالك جميع ولدك ولا ينكرونني، وأعم أبناءك بالسلم، وتكونين مزينة بالصلاح والبر، فتنحي عن الأذى والمكاره؛ لأنك آمنة منها، فانهرفي عن الانكسار والانخذال فلن يقرباك، ومن انبعث من بين يدي فإليك يكون وفيك حلوه، وتصيرين وزراً وملجأً لقاطنيك وسكانك^(١)). قال الطبري: (فأى شهادة أعظم من شهادة الله لهم أنهم جميعاً يعرفونه ولا يجهلونهم؟ وأنه صيرَ بلدهم وزراً وملجأً للناس، أي حرماً آمناً.)

البشارة الثالثة والعشرون: قول إشعيا في الفصل الثامن والعشرين: (يامعشر العطاش توجهوا إلى الماء والورود، ومن ليس له فضة فليذهب ويمتار ويستسقي ويأكل من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن^(٢)). قال المهدي الطبري: (فهذا من نبوة إشعيا دال على ماأنعم الله به على ولد هاجر من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أنهم صاترون إلى ماوعدهم الله تعالى في الآخرة من أنهار من خمر، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين. فانظروا إلى هذه المشاكلة والموافقة التي بين النبوتين جميعاً^(٣)). وهذا إشارة منه إلى قوله تعالى: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى

(١) الدين والدولة ، ص ١٥٩ . وإشعيا . ٥٤ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٦٠ . وإشعيا . ٥٥ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٦٠ .

ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم^(١) .

البشارة الرابعة والعشرون: قول إشعيا في الفصل الثامن والعشرين: (إني أقمّتك شاهداً للشعوب، ومدبراً وسلطاناً للأمم؛ لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم، وتأتبك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشدأ؛ من أجل الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك، فاطلبوا ما عند الرب، فإذا عرفتموه فاستجيبوا له، وإذا قرب منكم فليرجع الخاطئ عن خطيئته، والفاجر عن سبيله، وليرجع إليّ لأرحمه، ولينب إلى إلهنا الذي عمّت رحمته وفضله^(٢)) قال الطبري: (فقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم باسمه، وقال: إن الله جعلك محمداً. فإن آثر المخالف أن يقول: ليس بمحمد، بل محمود. وافقناه فيه؛ لأن معناهما واحد^(٣)) .

أما قوله: (أقمّتك شاهداً للشعوب) . فهو مماثل لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً^(٤)) وقوله عز وجل: (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس^(٥)) . وقوله عز من قائل: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً^(٦)) .

أما قوله: سلطاناً للأمم . فيحتمل أن يكون المراد منه المعنى المتبادر للذهن وهو السيادة والقيادة، وقد تحققت له هذه على الأمم في حياته وحياة أصحابه. ويحتمل أن يكون المراد منه أنه سلطان بمعنى حجة على الأمم؛ لأن السلطان في لغة التنزيل تأتي بمعنى حجة. وأما قوله: (لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم) . فقد تحقّق ذلك بإرساله صلى الله عليه وسلم الرسل والكتب إلى الملوك كهرقل وكسرى والمقوقس وغيرهم ممن لا يعرفهم كما هو مشهور في كتب السنة والسير .

وأما قوله: تأتبك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشدأ. فمصداق ذلك في انضواء الأمم التي لم تكن تعرفه من قبل، والتي لا تعد ولا تحصى تحت لوائه، والاذعان لأمره. كما أن

(١) سورة محمد . الآية ١٥ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٦٠ . وإشعيا . ٥٥ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٦٠ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

(٥) سورة الحج ، الآية ٧٨ .

(٦) سورة النساء ، الآية ٤١ .

هذه البشارة لا تنطبق على الأنبياء قبله؛ لأنهم دعوا أقوامهم وهم يعرفونهم، واستجاب لهم الأمم التي تعرفهم، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا من لم يعرفه، واستجاب له من لا يعرفه .

وبقية النص تتعلق بالرحمة والمغفرة والتوبة ، وهي معان ظاهرة في شريعته، أظهر من الشمس في رابعة النهار، ولا يمكن أن تكون هذه البشارة دالة على اليهودية أو على النصرانية لما يأتي :-

١ - أن اليهودية تعتقد أنها دين خاص ببني إسرائيل؛ وهذه البشارة قد تضمنت أنه يدعو الأمم ، وتأتيه الأمم ، وهذا يناقض اعتقادها .

٢ - أن هذا النص تضمن أن صاحب هذه الرسالة يبشر بالتوبة والمغفرة والرحمة، وهذا يخالف اعتقاد اليهود والنصارى: فاليهودية تعتقد أن من حق الكاهن المغفرة ومحو الخطايا^(١) كما أن النصرانية تعتقد أن البشرية كانت مثقلة بالخطيئة الموروثة التي رفعت عنهم بعد صلب المسيح - كما زعموا - ثم غفلت النصرانية عن كونها محت الخطيئة الموروثة فمنحت رجال الدين حق مغفرة الخطايا .

٣ - المسيح عليه السلام أرسل إلى بني إسرائيل حيث يقول لتلاميذه : (إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة^(٢)) .

البشارة الخامسة والعشرون : قول إشعيا في الفصل الثامن والعشرين عن الله سبحانه وتعالى أنه قال: (إني أقسمت بنفسي وأخرجت من فمي كلمة الحق التي لا خُلف لها ولا تبديل، وإنه تخرّ لي كل ركبة، ويقسم بي كل لسان، ويقولون معاً: إن النعمة من عند الرب^(٣)). قال المهتدي الطبري : (فمن هذه الأمة التي تقسم باسم الله؟ ومن ذا الذي يخرّ على الركب لاسم الفرد الواحد، ويحدث بنعم الله صباحاً ومساءً، ويفرده بالدعاء والابتهاال

(١) انظر سفر العدد ٥ ، ٦ .

(٢) متى ١٠ : ٥ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٥٨ . وإشعيا ٥٥ .

غير هذه الأمة؟ فأما جماعة النصارى فإنهم ينسبون النعم إلى المسيح^(١).
البشارة السادسة والعشرون : قال إشعيا في الفصل الثامن والعشرين : (إن الله نظر ولم ير عدلاً، وأنكر ذلك، ورأى أنه ليس أحد يعين على الحق؛ فعجب الرب منه، وبعث وليه فأنقذه بذراعه، ومهد له بفضله، فاستلأم العفان كالدرع، ووضع على رأسه سنور الإعانة والفلح، ولبس لباس الخلاص؛ لينتقم من المبغضين له والمعادين، ويجازي أهل الجزائر جزاءهم أجمعين، ليتقى اسم الله في مغارب الأرض، وليخشع في مشارقها لجلاله^(٢)) وفي هذه النبوة تصوير لواقع البشرية قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام، كما أن فيها إشارة إلى اختيار الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، ووصفاً لجهاده صلى الله عليه وسلم الكافرين والمعاندين، وبياناً للنتيجة التي تحققت على يديه وهي: دخول الأمم في دين الله أفواجا؛ حتى شمل ذلك المشرق والمغرب .

البشارة السابعة والعشرون : قول إشعيا مخاطباً هاجر عليها السلام وبلادها وهي مكة: (قومي وأزهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخللت الأرض الظلام، وغطى على الأمم الضباب، فالرب يشرق عليك إشراقاً، وتظهر كرامته عليك، وتسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك وتأملني؛ فإنهم سيجتمعون كلهم إليك ويحجونك، ويأتيك ولدك من بلد بعيد، وتحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك الإبل المربلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك، ويساق إليك كباش مدين وكباش أعفا، وتأتيك أهل سبأ ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه، وتسير إليك أغنام قيذار كلها، وتخدمك رخلات نبايوت، ويرفع إلى مذبحي ما يرضيني، وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً^(٣) . فذكر هاجر وذكر البلد، وصرح بالحج وما يصاحبه من توافد الأمم، وسوق الهدى، كما صرح بأسماء بعض هذه الأمم الوافدة إلى الحج كأهل سبأ ومدين وغيرهما. أما قوله: (قيذار ونبايوت). فقال الطبري: هما من أولاد إسماعيل عليه السلام .

(١) الدين والدولة ، ص ١٥٩ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٦٠ . وإشعيا . ٥٩

(٣) الدين والدولة ١٦١ . وإشعيا . ٦٠ .

البشارة الثامنة والعشرون : قال إشعيا في الفصل الثامن والعشرين : (سيجاني أهل الجزائر، ومن في سفن تارسيس كما فعلوا من قبل، ويوردون عليك أبناءك من بلد بعيد ومعهم فضتهم وذهبهم؛ من أجل اسم الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك وأكرمك، ويبنى أبناء الغرباء سورك، وملوكهم يخدمونك، وتفتح أبوابك في كل وقت وأوان من آناء الليل والنهار فلا تغلق، ويدخل إليك أرسال الأمم، ويقاد إليك ملوكهم أسرى؛ لأن كل أمة ومملكة لا تخضع لك تتبدد ستورها، وتصطم الشعوب بالسيف اصطلاماً، وتأتيك الكرامة من صنوبر لبنان البهي، ومن أهلكها ليبخر به بيتي، ويعظم به موضع قدمي ومستقر كرامتي، وتأتيك أبناء القوم الذين كانوا يذلونك، ويقبل آثار أقدامك جميع من كان يؤذيك ويضطهدك، وأجعلك كرامة إلى الأبد، وغبطة وفرحاً إلى دهر الداهرين، وسترضعين ألبان الشعوب، وستصيبين من غنائم الملوك، وتتمززين من غاراتك عليهم... وأجعل السلامة مديرك، والصلاح والبر سلطانك، ويكون الرب نورك ومصباحك إلى الأبد^(١) . فلم تتحقق هذه الصفات مجتمعة إلا لهذه الأمة الإسلامية، فتغلبت على الأمم، وقادت ملوكهم أسرى، وتبدد من أمامها الأمم التي لم تدعن لها. وكتب الله لها الغلبة والظهور إلى قيام الساعة وهو ما أشار إليه إشعيا في قوله : إلى دهر الداهرين .. إلى الأبد. وهو مماثل لقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض^(٢)). وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون^(٣)) .

البشارة التاسعة والعشرون : قال إشعيا في الإصحاح الثاني والأربعين : (إن عبدي المجتبي عندي، ابن حبيبي اخترته وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة^(٤)) .

وقد أورد المهتدي الترجمان وغيره هذا النص بصورة أطول، واشتمل على صفات هي

(١) الدين والدولة ، ص ١٦٢ - ١٦٣ . وإشعيا . ٦٠ .

(٢) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، في كتاب المناقب ، باب ٢٨ . ومسلم في كتاب الإمارة، حديث ١٧١ .

(٤) مسالك النظر ، ص ٥٩ . وتحفة الأريب ، ص ٢٧٩ . والمنارات الساطعة ، ص ٦٤ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٤١ . وإشعيا ٤٢ . وقد ذهب المهتدي المتطهب إلى أن هذا النص قصد به المسيح عليه السلام، فاستدل به على عدم ألوهيته. انظر النصيحة الإيمانية ، ص ١١٠ .

ألقى بمحمد صلى الله عليه وسلم من غيره وهو قوله: (إن الرب سبحانه وتعالى سيبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه، ويبعث له الروح الأمين، يعلمه دينه، ويعلم الناس ما علمه الروح الأمين، ويحكم بين الناس بالحق، ويمشي بينهم بالعدل، وما يقول للناس هو نور يخرجهم من الظلمات التي كانوا فيها، وعليها رقود، وقد عرفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون^(١)). فمحمد صلى الله عليه وسلم هو المبعوث في آخر الزمان، وهو الذي نزل عليه الروح الأمين، وهو الذي حكم بين الناس بالعدل وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

البشارة الثلاثون : قول إشعيا في الإصحاح الثاني والأربعين : (لترفع البرية ومدنها صوتها، والديارات التي سكنها قيذار، ولتترنم سالك من رؤوس الجبال، ليهتفوا ليعطوا مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر. الرب كالجبار، يخرج كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ على أعدائه^(٢)). تضمن هذا النص الإشارة إلى مساكن العرب وهم ذرية قيذار أحد أبناء إسماعيل عليه السلام، والتصريح بذكر أحد جبال المدينة المنورة وهو صالح، إذاً فلا تقبل هذه البشارة أن تنطبق على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقبل الانتقال إلى نبوات إرميا لا بد لي من الإشارة إلى أن النبوات التي أوردها إشعيا تكاد أن تأخذ طابعاً معيناً وهو: المباشرة في الطرح والتصريح بذكر الأسماء كمحمد صلى الله عليه وسلم، وإسماعيل، ومكة والعرب، أو الإشارة إلى صفته وصفات أمته وأصحابه كذكر الدروع والسيوف والجهاد... كما مرّ سابقاً .

التاسع : بشارات إرميا : -

البشارة الأولى: خاطب الله بها النبي صلى الله عليه وسلم على لسان إرميا في الفصل الأول فقال : (من قبل أن أصورك في الرحم عرفتك، ومن قبل أن تخرج من البطن قدستك، وجعلتك نبياً للأمم؛ لأنك بكل ما أمرك تصدع، وإلى كل من أرسلك تتوجه، فأنا معك لخلاصك، يقول الرب: وأفرغت كلامي في فمك إفراغاً، فتأمل وانظر، فقد سلطتك

(١) تحفة الأريب ، ص ٢٧٩ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٤١ . وإشعيا ، ص ٤٢ .

اليوم على الأمم والمملكات؛ لتنسف وتهدم وتتبر وتسحق، وتغرس من رأيت^(١). قال المهتدي الطبري عن هذه البشارة: (هي شبيهة بنبوات إشعيا وغيره.) وهو يقصد قول إشعيا: (إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم) وهذه هي البشارة الرابعة عشرة من بشارات إشعيا حسب ترتيب هذا البحث .

ويتفق أول هذه البشارة مع قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه^(٢)) ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء بالحق مصدقاً لما معهم بدليل قوله تعالى عنه: (بل جاء بالحق وصدّق المرسلين^(٣)) وقوله تعالى: (نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه^(٤)). أما قول إرميا: (لأنك بكل ما أمرت تصدع). فيصدقه قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين^(٥)). ويتحقق قوله: (وأفرغت كلامي في فمك). في وصفه له سبحانه بأنه لا ينطق عن الهوى^(٦). وبقية النص متوافق مع البشارات التي تحدثت عن جهاده صلى الله عليه وسلم .

البشارة الثانية: قول إرميا في الفصل الرابع مخبراً عن الله أنه قال: (إني مهيج عليكم يا بني إسرائيل من البعد أمة عزيزة، أمة قديمة، لا يفهم لسانها، وكلهم محرّب جبار^(٧)). فمن هذه الأمة البعيدة مكاناً، والقديمة زماناً، والتي لا يعرف بنوا إسرائيل لسانها وظهرت فيها النبوة – سوى الأمة المحمدية؛ فهي الأمة البعيدة مكاناً عن أرض إسرائيل، والقديمة زماناً؛ لانتسابها إلى إسماعيل عليه السلام، ولسانها هو اللسان العربي الذي لا تعرفه بنو إسرائيل .

(١) الدين والدولة ، ص ١٧٣ . وإرميا ١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

(٣) سورة الصافات ، الآية ٣٧ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ٣ .

(٥) سورة الحجر ، الآية ٩٤ .

(٦) انظر سورة النجم ، الآية ٣ ، ٤ .

(٧) الدين والدولة ، ص ١٧٤ . وإرميا ٥ .

البشارة الثالثة : قال إرميا في الفصل التاسع عشر مخبراً عن الله عز وجل أنه قال: (إني جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم، وأكتبها في قلوبهم، فأكون لهم إلهاً، ويكونون لي شعباً، ولا يحتاج الرجل أن يعلم أخاه وقريبه الدين والملة، ولا إلى أن يقول له اعرف الرب؛ لأن جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم، وأنا أغفر لذلك ذنبهم، ولا أذكرهم بخطاياهم^(١)). قال المهتدي الطبري معلقاً على هذه النبوة: (وقد صدق وعد الله، وازدريح حبه في قلوب هذه الأمة صغارها وكبارها، وأنطق ألسنتهم بشرائعه وتحاميده، وكل عارف بالله مؤمن به^(٢)). وقرأ قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً^(٣))، وقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله^(٤)). وقوله عز من قائل: (والذين آمنوا أشد حبا لله^(٥))، وقوله عز وجل: (يحبهم ويحبونه^(٦)) وتأمل ما وصف الله به هذه الأمة في هذه النصوص من صفات خيرة مباركة؛ فستجد أنها مماثلة لما وصفها الله به على لسان إرميا.

البشارة الرابعة: قول إرميا في الإصحاح الثامن والعشرين: (النبي الذي تنبأ بالسلام، فعند حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الله أرسله حقاً^(٧)). هذه النبوة أوردتها المهتدي عبد الأحد داود بالمعنى، ويرى أنها بمعنى: (إن النبي الذي تدور نبوءاته حول الإسلام «شالوم» عند ورود كلمة النبي؛ ذلك النبي المعروف أنه المرسل من قبل الله الحق) ويعد دراسته للنص السابق خرج منه بالنتائج التالية: -

١ - أنه لا يمكن أن يكون النبي صادقاً إلا إذا بشر بدين الإسلام ونشره، (إن الدين عند الله الإسلام).

٢ - من الحقائق المسلّم بها أن كلمة «شالوم» العبرية و «سلام» السريانية و «إسلام»

(١) الدين والدولة ١٧٤ .

(٢) الدين والدولة ١٧٤ .

(٣) سورة المائدة . الآية ٣ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٦٥ .

(٦) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(٧) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٢٦ ، وإرميا ٢٨ .

العربية كلها من نفس الجذر السامي «سلام» وتحمل نفس المعنى، وهذا أمر يعترف به جميع علماء اللغات السامية، وفعل «سلام» يدل على الخضوع أو الاستسلام، ولا يوجد نظام ديني في العالم يحمل اسماً أو وصفاً أفضل وأشمل من الإسلام. فالدين الحق لله الحق .

٣ - أن إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح عليه السلام الذي استخدم كلمة «شالوم» بمعنى الدين، وهو النبي الوحيد الذي يستخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق أحد من رسل الله. أي أن إرميا هو الوحيد قبل المسيح الذي جعل الإسلام هو المقياس الذي يعرف من خلاله النبي الصادق من الكاذب، وإلا فإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وكافة الرسل عليهم السلام كانوا مسلمين، واتخذوا الإسلام ديناً .

٤ - أن دين السلام - أي الإسلام - هو وحده القادر على تحديد الخصائص المميزة للنبي الصادق من النبي الكاذب، كما أنه لا يوجد في العالم دين يتبنى ويدافع عن هذه الوجدانية المطلقة سوى الإسلام^(١) .

البشارة الخاصة: قول إرميا في الفصل الحادي والثلاثين: (يقول الرب إني كاسر قوس عيلام، رأس عزم وجبروتهم، وأغري بعيلم أربعة أرواح من أربع جهات السماء، وأبدد أهلها في تلك الجهات كلها؛ حتى لا تبقى أمة إلا وفيها نفر من شذاب عيلم وشذارهم، وأفضّ عيلم قدام أعدائهم فضاءً، وأفلهم أمام من يريد أنفسهم فلاً، وأنزل عليهم البلاء والرجز الأليم، وأرسل عليهم السيف حتى أفنيهم، وأنصب كرسيّ بعيلم، وأبيد من هناك من الملوك والسلطين. هذا قول الرب^(٢)). قال الطبري موضحاً هذه النبوة: (وعيلم هي الأهواز وما والاها... فإن ذكر ذاكر الإسكندر وغلبته، وتبعاً ومسيره، فإن الذي يحل ذلك عنه ويفسخه ويزيل الشك عنه قول الله تبارك اسمه: إني ناصب كرسيّ بعيلم). أي في إقليم بابل. ولم يكن الإسكندر والتبابعة منسويين إلى الإيمان بالله. ولهذه النبوة سر آخر عجيب؛ وذلك أن الله عز وجل ذكر فيها هذه الدولة العباسية، واستيطان الخلفاء من ولد العباس

(١) محمد في الكتاب المقدس . ص ١٢٣ - ١٣٢ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٧٥ . وإرميا ٤٩ .

أرض العراق في قوله: وأنصب كرسي بعيلم - فضيلة لا يجهلها إلا مضعوف^(١) .
البشارة السادسة : قال إرميا في الفصل الثاني والثلاثين مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم : (اعدوا لي آلات الحرب ؛ فإنني أبدد بك الشعوب، وأبدد بك الخيل وفرسانها، وأبدد بك الطغاة والولاة، وأجازي بابل، وجميع سكان بلاد الكلدانيين بجميع أوزارهم التي ارتكبوها. هذا قول الرب^(٢)). ومقارنة النهاية التي آلت إليها الإمبراطورية الفارسية على أيدي المسلمين بما ورد في هذه النبوة والتي قبلها؛ نجد أن هذا الوعد لهذه الأمة الإسلامية، وذلك الوعيد المتوعد به الأمة الفارسية قد تحقق فعلاً، وأقامه الله شاهداً من شواهد التاريخ مصداقاً لما وعد الله به المؤمنين على السنة رسله وأوليائه .

العاشر : بشارات حزقيال : -

البشارة الأولى : قال حزقيال في الفصل التاسع: (إن أمك مغروسة على الماء بدمك، فهي كالكرمة التي أخرجت ثمارها وأغصانها من مياه كثيرة، وتفرعت منها أغصان كالعصي قوية مشرفة على أغصان الأكابر والسادات، وارتفعت وسقت أفنانهن على غيرهن، وحسنت أقدارهن بارتفاعهن والتفاف سعفهن؛ فلم تلبث الكرمة أن قلعت بالسخط، ورمي بها على الأرض، وأحرقت السمائم ثمارها، وتفرقت قواها، ويبس عصي عزها، وأتت عليها النار فأكلتها، فعند ذلك غرس غرس في البدو وفي الأرض المهملّة العطشى، وخرجت من أغصانه الفاضلة نار أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية بعدها ولا قضيب ينهض بأمر السلطان^(٣)). فتأمل ما في هذا النص من بلاغة في التصوير، ودقة في التعبير؛ فشبه الأمة اليهودية إبان عزها وسؤدها - لما كانت تعيش تحت مظلة الأنبياء - بالكرمة الحسنة، وبعد أن نزعت منها النبوة، وأغضبت ربها استأصل شأفتها، واقتلع جذورها، فذرتها الرياح، وأكلتها النار، وانتهى مجدها. واستبدلها الله بأمة هي خير أمة أخرجت للناس، وشبهها بشجرة قد غرست في أرض البادية العطشى من الماء المعنوي والحسي، فأثمرت هذه الشجرة الأغصان الفاضلة التي أكلت ما بقي من تلك الشجرة الأولى

(١) الدين والدولة ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٧٦ . وإرميا ٥١ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٧٧ . وإرميا ١٧ .

ولم تبق فيها عصا ولا قضيب. وهذا حال الأمة اليهودية، والأمة الإسلامية التي أشرق عزها، وتوسع نفوذها؛ حتى شمل بلاد بني إسرائيل وغيرها .

البشارة الثانية : أن حزقيال خرج في سياحته فوجد مقبرة عظيمة، وفيها عظام بالية نخرة، فوقف متعجباً متفكراً في سره : كيف ترد هذه العظام إلى ما كانت عليه؟! فعند ذلك خاطبه الله تعالى قائلاً: يا ابن آدم قل : يا عظام بالية، يا نخرة، اسمعي كلام الله فإنه يقول لك: اجتمعي بعضك إلى بعض. فلما فرغ من كلامه إذا المقبرة قد اهتزت، واجتمعت العظام، وامتدت الأعصاب، والتفت العروق والشرابين، واكتست الجلود، وإن الله تبارك وتعالى قال له : قل يا روح ادخلي فيهم . فقال عليه السلام ذلك؛ فنهضوا من وقتهم قائمين ينفضون التراب من على وجوههم ورؤوسهم، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن الموت حق، والحياة باطل. ثم قالوا لتبيهم: نحن في الدنيا أم القيامة قامت؟! فقال لهم عليه السلام " بل أنتم في الدنيا. فمنهم من طلب الموت فعاد ميتاً، ومنهم من دخل المدينة"^(١) .

الحادي عشر : بشارات دانيال : -

البشارة الأولى : قال دانيال لبختنصر حين سأله عن تعبير رؤيا كان رآها من غير أن يقصها عليه - : (نعم أنت رأيت صنماً عظيماً قائماً بين يديك، رأسه من الذهب الخالص، وساعده من الفضة، وبطنه وفخذه من النحاس، وساقاه من الحديد، وبعض رجله حديد وبعضها خزف، ورأيت حجراً انقطع من الجبل من غير قاطع، وصك رجلي ذلك الصنم ودقهما دقاً شديداً، وصار ذلك الحجر جبلاً عالياً، امتلأت منه الأرض كلها، وأنت الرأس

(١) مسالك النظر ٦٨ - ٦٩ . وحزقيال ٣٧ . وهذه النبوة ليست دالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق شريعته على وجه الخصوص مثلما دلت البشارات السابقة، ومثلما هي دالة البشارات التالية؛ لأنه لم تختص رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان بالتوحيد والبعث، بل كل الرسالات الإلهية دالة على ذلك. وقد أوردتها هنا أدلة للأمانة العلمية التي يفرضها المنهج المتبع في هذا البحث المتواضع. ورغبة في إفادة القارئ وإقاماً لهذا المنهج - أيضاً - أقول: إن المهتدي الطبري قد أورد نبوة من آخر سفر حزقيال وذكر فيها حزقيال أن الله أراه بيتاً تولى ملك من الملائكة تخطيطه ومجديده ووصف أركانه وصحونه وأفنيته .. وقال الطبري بعدها: لكن لما طالت صفتها - أي البيت - وجدت أن القوم قد ثبجوها ولبسوها إما تعمداً وإما تناسياً؛ فأضربت عن ذكرها، واكتفيت بالكثير الشهير من النبوات) الدين والدولة ١٧٧ - ١٧٨ . وحزقيال ٤٠ .

الذي رأيت من الذهب، وتقوم بعدك مملكة أخرى دونك، والمملكة الثالثة تشبه النحاس تتسلط على الأرض، والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد يدق كل شيء، فأما الرجل التي بعضها من حديد وبعضها من الخزف فإن بعض المملكة يكون عزيزاً وبعضها يكون ذليلاً، ويقيم إله السماء في تلك الأيام ملكاً أبدياً لا يتغير ولا يزول، ولا يذر لغيره من الأمم ملكاً ولا سلطاناً، بل يدق ويبيد الملكات كلها إلى دهر الدهرين^(١) وقد كفانا دانيال مؤونة تفسير ما احتملته هذه الرؤيا من غيوب مستقبلية .

أما ما تضمنته هذه الرؤيا من أن إله السماء يقيم في تلك الأيام ملكاً أبدياً لا يتغير ولا يزول... فالمقصود بهذا: الدولة الإسلامية التي أرسى دعائمها محمد صلى الله عليه وسلم وسار على نهجها خلفاؤه الراشدون ومن تبعهم من الأئمة المهديين، وعلى أيديهم أبيدت الإمبراطوريات الفارسية والرومانية، ووسعت فتوحاتها كثيراً من أرجاء المعمورة - آنذاك - في آسيا وأفريقيا وأوروبا. وقد أشارت هذه النبوة إلى استمرار هذه الدولة إلى دهر الدهرين. ولعل المراد من هذا الوعد هو استمرار العمل بشريعته صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة من قبل الطائفة الناجية المنصورة .

أما هذه الممالك التي أنبأ عنها دانيال فقد أوضحها المهتمدي إبراهيم خليل وبين أنها كالتالي:-

- ١ - سنة ٧٠٠ ق. م مملكة بابل، ويرمز إليها بالرأس من الذهب في عهد نبوخذ نصر .
- ٢ - سنة ٦١٢ ق. م مملكة الكلدانيين في عهد ميداس ، ويرمز لها بالفضة .
- ٣ - سنة ٣٢٦ ق. م المملكة الإغريقية في عهد الإسكندر المقدوني ويرمز لها بالنحاس
- ٤ - سنة ٥٣ ق. م الإمبراطورية الرومانية في عهد بومباي، ويرمز لها بالحديد.
- ٥ - سنة ٦١٢ م الإمبراطورية البيزنطية في الغرب، والإمبراطورية الفارسية الساسانية في الشرق .
- ٦ - سنة ٦٣٧ م البعثة المحمدية، وكتابة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

(١) الدين والدولة ، ص ١٨٠ مع شيء من الاختصار . وانظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٦٩ . ودانيال ٢ .

يدعوهم إلى الإسلام، وتقويض الإمبراطورية الفارسية والبيزنطية^(١) .

البشارة الثانية : رؤيا دانيال عليه السلام التي وردت في كتابه في الفصل الرابع - ونظراً لطولها سأكتفي بإيراد موجز لها - وهي : (أنه رأى في منامه كأن الرياح الأربع هاجت، واصطك منها البحر، وصعد منه أربع حيوانات عظيمة، والحيوان الرابع مفاير لها من ناحية القوة والعزة، وفي رأسه عشرة قرون، وأن دانيال أول هذا الحيوان الرابع: مملكة تكون في الأرض أجلّ وأفضل من جميع المملكات، تغلب على الأرض كلها ... أما القرون العشرة فهي إشارة إلى أنها تقوم في تلك المملكة عشرة أملاك^(٢)). فسر الطبري هذه الوحوش على أنها كالتالي: - الحيوان الأول دولة أهل بابل، والحيوان الثاني دولة أهل الماهين، والثالث دولة الفرس، والرابع دولة العرب .

ولكن المهدي عبد الأحد داود أورد هذه النبوة بصورة أطول وقد رواها بالمعنى، وكانت مخالفة لما أورده الطبري خاصة فيما يتعلق بالوحش الرابع، وب«ابن الإنسان» وسأضطر إلى أن أورد الجزء المفاير حتى يكون القارىء على بينة من الأدلة التي استخرجها عبد الأحد من هذه النبوة، وهو قوله : (أما الوحش الرابع فهو أكثرجسامة وشراسة ممن سبقه، إنه وحش ذو قرون عشرة تطل من رأسه، وفي فمه أسنان حديدية، ثم ينطلق قرن صغير إلى الأعلى من بين القرون الأخرى، فتتحطم أمامه ثلاثة قرون - انظروا - أن عيناً بشرية وفماً بشرياً تبرز على هذا القرن وتبدأ في التفوه بأشياء عظيمة موجهة ضد الذات العليا ... ثم يحترق جسم الوحش الرابع بالنار، لكن قرن الكفر يظل حياً إلى أن يؤخذ ابن الإنسان محمولاً على السحاب، ويمثل أمام الحي السرمدي، فيتلقى منه القوة والشرف والملك إلى الأبد^(٣)) وفسر هذه الرؤيا بتفسير مفاير - نوعاً ما - لتفسير الطبري: فهو يرى أن الحيوان الأول هو الإمبراطورية الكلدانية ، والحيوان الثاني هو الإمبراطورية الفارسية ، والحيوان الثالث هو الإسكندر الأكبر^(٤) ، والحيوان الرابع هو الإمبراطورية الرومانية، والقرون العشرة

(١) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) انظر الدين والدولة ١٨١ - ١٨٢ . ودانيال ٧ .

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٨٦ .

(٤) يتفق عبد الأحد داود مع الطبري في تفسير الحيوانات الثلاثة الأولى .

هي الأباطرة العشرة الأوائل الذين اضطهدوا شعوبهم، أما القرن الصغير فهو قسطنطين. ويؤكد ذلك بالبراهين التالية : -

١ - أنه تغلب على منافسيه الثلاثة وأسقطهم، كما أسقط ذلك القرن الصغير القرون الثلاثة .

٢ - مُثلت الوحوش الأربعة على أنها وحوش غير عاقلة؛ لكن القرن الصغير كان له فم بشري وعينان، إنه يملك المنطق والكلام والقدرة.

٣ - يتحدث هذا القرن عن أشياء عظام ضد الذات العليا: كنسبة الولد والشركاء والانبثاق إليها ..وقسطنطين هو الذي تولى ذلك .

٤ - ذكرت الرؤيا أن القرن الصغير شن حرباً ضد أولياء الله، ولا جدال بأن قسطنطين اضطهد النصارى القائلين بوحداية الله .

٥ - ورد في الرؤيا أن القرن الصغير المتكلم فكّر في تغيير القانون والزمان. وقسطنطين هو الذي أصدر مرسومه المتضمن خرق الوصيتين الأوليين من وصايا موسى عليه السلام وهما: الوحداية، وتحريم صناعة الصور والتماثيل وتحريم تقديسها^(١) .

وبإعادة النظر فيما فسر به كل منهما هذه الرؤيا نجد أن التعبير الذي قيل إليه النفس، وتؤيده القرائن هو ما ذهب إليه المهتدي عبد الأحد داود؛ وذلك لما يأتي : -

١ - أن النص اشتمل على عبارات وردت في حق الوحش الرابع لا يمكن أن تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم مثل قوله : (وكان ينازع القديسين الأطهار فيقاومهم). وهذا النص قد ورد عندهما معاً .

٢ - أن عبد الأحد داود قابل بين الرؤيا وبين الواقع الذي يرى أنها دالة عليه؛ فتطابقت وتماثلت، وأيد ذلك بالبراهين السابقة .

٣ - أن المهتدي الطبري لم يعمل فكره في هذه الرؤيا؛ وإنما اكتفى فقط بالنقل عن المفسرين النصارى .

أما الشاهد من هذا النص على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو قول دانيال على رواية الطبري : إن تأويل الحيوان الرابع : مملكة رابعة تكون في الأرض كلها

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٨٦ - ٩٤ .

وتدوسها وتدقها وتأكلها رغداً. وهذا النص دال - كما يرى الطبري على أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء وخاتمهم، وأن النبوات كلها تمت به وتناهت عنده، وأن الدولة التي كانت امتداداً لحكمه صلى الله عليه وسلم هي الدولة التي مثلها دانيال بالحويان الرابع^(١).

ولكن المهتدي عبد الأحد داود يرى أن موضع الشاهد من هذه النبوة هو قوله: (لكن قرن الكفر يظل حياً إلى أن يؤخذ ابن الإنسان محمولاً على السحاب ويمثل أمام الحي السرمدي). وحيث أن هذا النص - موضع الشاهد على رأي عبد الأحد - قد اشتمل على لفظة «ابن الإنسان» فقد أسهب في الكلام حولها؛ للتدليل على أن المقصود بهذه اللفظة هو محمد صلى الله عليه وسلم، وبما أن هذه المفردة «ابن الإنسان» محل خلاف بينه وبين غيره، فهي إذاً عبارة دالة على بشريته، وبما أن هذه المفردة وردت لأول مرة لدى دانيال - حسب استشهادهم - فإنني سأورد أقوالهم ومناقشتها هنا مهما كان موقع النص المستشهد به:-

تناول المهتدي عبد الأحد داود هذا اللفظ «ابن الإنسان» من جانبين : الجانب الأول : إثبات أن ابن الإنسان هو محمد صلى الله عليه وسلم . ونفى في الجانب الثاني أن يكون المسيح عليه السلام هو المراد بابن الإنسان، وقد أورد عدداً من الأدلة والبراهين التي تؤيد ما ذهب إليه في كلا الجانبين، وسأحاول - جاهداً - أن أقدمها بصورة مختصرة جداً؛ رغبة في الإيجاز، وعدم الإطالة .

أولاً : الأدلة على أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو المعني بـ «ابن الإنسان» : -

١ - نبوة دانيال الذي تنبأ فيها أن جميع شعوب الأرض تخدمه، وقد تحققت هذه النبوة في محمد صلى الله عليه وسلم الذي خضعت له المعمورة من البحر الإدرياتيكي إلى سور الصين، وكان الناس فريقين إما مؤمن به، وإما كافر به وجب عليه الخضوع للأمة الإسلامية وخدمتها، ولم يكن في زمن دانيال حرف واحد حول وجود المسيح ولا محمد صلى الله عليهما وسلم .

٢ - تطابق ما ورد في نبوة دانيال مع حادثة المعراج .

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٨٢ .

- ٣ - رؤيا «إينوخ» أو «خانوخ» تؤكد أن ابن الإنسان هو محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٤ - الرؤيا السبيلية تقول: إن ابن الإنسان سوف يظهر ويدمر الإمبراطورية الرومانية، ويخلص المؤمنين بإله واحد. وقد فعل ذلك محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٥ - وصف سفر «إينوك» ابن الإنسان بصفات لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم، مثل القضاء على ذول الكفر، والانتصار للموحدين، والجهاد، وأنه مُنح السيف والشريعة .
- ٦ - كانت مهمة أو رسالة ابن الإنسان هي: إعادة النقاء لدين إبراهيم عليه السلام، وتوحيد الأمم تحت دين واحد. وقد فعل ذلك محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٧ - أن ابن الإنسان هو آخر الأنبياء الذي أقام الحكم الإسلامي على أنقاض العبودية والاضطهادات، وأسند إليه إنقاذ المؤمنين من أيدي الكفرة .
- ٨ - ربط دانيال مجيء ابن الإنسان بهلاك قسطنطين - ومن المعلوم أن محمد صلى الله عليه وسلم جاء بعد قسطنطين .
- ٩ - اليهود والنصارى لا يحملون اسماً لدينهم سوى انتسابه إليهم، والتعبير الذي ورد عن دانيال ينطبق على ما في القرآن الكريم عن الإسلام وأنه هو الدين الحق .
- ١٠ - لم يعيش على وجه الأرض مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقدم مثل ما قدم من المنهج الشامل، والدين والكامل .
- ١١ - أن من صفات ابن الإنسان أنه يسترد ما ضاع. وقد استرد محمد صلى الله عليه وسلم كل ما ضاع على البشرية، فقد استرد مكة والقدس من أيدي الوثنيين، ونشر الدين والسلام والبركة على وجه الأرض .
- ثانياً : الأدلة على نفي لقب ابن الإنسان عن عيسى عليه السلام : -
- ١ - لا يمكن أن يكون المسيح عليه السلام هو ابن الإنسان؛ لأن النصارى يعتقدون أنه ثالث ثلاثة ، فهو بهذا لا يصح أن يوضع في مصاف الآدميين حتى يطلق عليه لقب ابن الإنسان .
- ٢ - من خلال الفحص الدقيق الناقد للقب ابن الإنسان نستطيع أن نثبت أن المسيح عليه

- السلام لم يتخذه لنفسه؛ إذ كثيراً ما يستعمله بصيغة الغائب .
- ٣ - أن من صفات ابن الإنسان أنه يدمر الدولتين العظيمة - الفارسية والرومانية - ونجد أن المسيح عليه السلام لم يدمر هذه الدول وإنما دفع الإتاوة لقبصر وأمر أتباعه بذلك - كما في أناجيلهم - وإنما دمرت هذه الدول على يد محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٤ - حسب الرؤى فإن ابن الإنسان لم يُقدَّر أنه يصلب، وإنما قدَّر أنه يقضي على عروش الكفر، والمسيح عليه السلام بخلاف ذلك؛ حيث صلب - كما زعموا - ولم يقض على عروش الكفر .
- ٥ - الصفات الواردة في هذه الكتب لا يمكن أن تنطبق على المسيح، وإنما تنطبق حرفياً على محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٦ - لا يمكن أن يكون المسيح هو ابن الإنسان؛ لأنه ورد في رؤيا يوحنا أن المسيح كان حملاً مذبوحاً منذ تأسيس العالم .
- ٧ - تحدث دانيال عن مجيء ابن الإنسان، وأخبر المسيح أن ابن الإنسان قادم، ولا يمكن أن يتنبأ المسيح عن نفسه بأنه قادم .
- ٨ - المسيح كان يعرف من المراد بابن الإنسان، ولذلك لم يقبل أن يتلقب به؛ لأنه على يقين أن المهام التي أسندت إلى ابن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بها هو .
- ٩ - أعلن المسيح عليه السلام أن ابن الإنسان سوف يفرز الخراف عن الماعز. والخراف ترمز إلى الإسرائيليين المؤمنين بالله. والماعز ترمز إلى اليهود غير المؤمنين بالله، وقد كان المسيح مرسلأ إلى خراف بني إسرائيل لحثهم على الإيمان بالله حتى مجيء ابن الإنسان .
- ١٠ - أن ابن الإنسان هو سيد يوم السبت. أي المخول بإيقاف العمل به كيوم مقدس. بينما نجد أن المسيح التزم به، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد استبدله بيوم الجمعة^(١) .
- ١١ - جميع العبارات التي يفهم منها أن المسيح هو ابن الإنسان عبارات ملفقة مدسوسة كاذبة .
- ١٢ - يعزو اليهود ألقاب «المسيح الموعود» و«ابن الإنسان» لآخر الأنبياء الذي سيحارب قوى الظلام ويهزمها، ثم يقيم الحكم الإلهي على الأرض، والمسيح عليه السلام
- (١) سبق الحديث عن هذه الأيام الثلاثة الجمعة ، والسبت، والأحد، وبيان الفاضل منها في ص (١٦٤) من هذا البحث .

رفض - كما في الأناجيل - أن يُدعى المسيح المنتظر. وهذان اللقبان مترادفان والتنصل من أحدهما تنصل من الآخر^(١) .

هذه هي أدلة المهتدي عبد الأحد داود على أن ابن الإنسان هو محمد صلى الله عليه وسلم، وليس المسيح عليه السلام. أما من خالفه فإنهم اكتفوا فقط بمجرد ورود اللفظ عن المسيح، أو إطلاقه على المسيح من قبل غيره - في ظنهم - واستشهدوا به بعد ذلك على أنه بشر؛ لأنه ابن الإنسان^(٢) .

البشارة الثالثة : قال دانيال في الإصحاح السابع : (إن ملكوت الله وعظمة المملكة الممتدة تحت رقعة السماء كلها سوف تعطى لعباد الله تعالى وأوليائه. وسيكون ملكوتهم هذا مملكة أبدية، تخدمها جميع الممالك الأخرى، وتعمل بطاعتها^(٣)) إن هذه البشارة لتدل بوضوح على أن في الإسلام توجد وحدة لا انفصام لها بين الدين والدولة. فالإسلام ليس دين فحسب، بل أيضاً المملكة الدنيوية. ولا بد من إلقاء نظرة خاطفة على التدرج التاريخي لهذا الملكوت حتى بلغ غايته^(٤) ، واكتمل بناؤه على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا التدرج هو كما يلي : -

١ - أن الإسلام قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم تمثله دولة تحكم باسمه وتدافع عنه، وإنما كان الإسلام دين قائم في حياة الأقاليم التي آمنت به، ولم تقم له دولة في حياتهم؛ بل كان السلطان والقوة في أيدي الكفرة الوثنيين ، في العموم الغالب ، ويستثنى من ذلك فترات حكم كل من سليمان ودواد ويوشع عليهم السلام .

٢ - إن المسيح عليه السلام قد بشر تلاميذه باقتراب ملكوت الله. وهذا الملكوت يعني وجود دين ومجتمع قوي من المؤمنين بالله، وهذا المجتمع يتسلح بالإيمان بالله وبالسيف

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٨٦ - ١٠٥ ، ٢٤٠ - ٢٦٤ ، والإنجيل والصليب ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٢) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وسر إسلامي ، ص ٦٠ ، والمسيح إنسان أم إله ، ص ٢٠٤ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٣٤ . ودانيال ٧ .

(٤) سأستكمل الجوانب المتعلقة بملكوت الله عند الحديث عن بشارة «متى» بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي تصرح أن ملكوت الله ينزع من النصراري ويعطى لأمة أخرى، وسبب تأخير الحديث عنه إلى تلك البشارة؛ لأنها صرحت بنزع الملكوت. انظر ص ٤٠١ من هذا البحث .

لقتال أعدائهم الذين يريدون أن يحولوا بينهم وبين تبليغ كلمة الله إلى البشرية، أو بمعنى أوضح : أن ملكوت الله هو الإسلام. إذاً فالمسيح عليه السلام بشر تلاميذه باقتراب ظهور الإسلام على يد محمد صلى الله عليه وسلم، وأكد لليهود أن النبي الذي تنتظره اليهود ليس يهودياً، ولا من نسل داود عليه السلام؛ بل هو من نسل إسماعيل عليه السلام، واسمه أحمد، وسيقيم الدولة الإسلامية وفق المنهج الذي ارتضاه الله لهم، وهذه الدولة مؤيدة بنصر الله ثم بسواعد المجاهدين في سبيله .

٣ - طبيعة هذا الملكوت وتكوينه: يتألف هذا الملكوت من المؤمنين بالله الذين يلزمهم ذكر الله سبحانه وتعالى في كل أحوالهم، فلا يقومون بأي عمل إلا ويبدأونه بذكر الله، ويحمدونه بعد الانتهاء منه .

وطبيعة هذا الملكوت أنه يتكون في جوهره من شقين: الأول: دين صحيح قائم على وجه الأرض وفق المنهج الذي ارتضاه الله في كتابه القرآن. والثاني: دولة إسلامية تقوم على هذا المنهج . ويتصف المؤمنون بهذا المنهج بما يأتي : -

أ - أنهم يكونون أمة واحدة تربطهم أخوة واحدة هي: أخوة الدين .

ب - أنهم كما وصفهم دانيال: جماعة القديسين. وهذه صفة تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار وعلى سائر المؤمنين بالله .

٤ - ديمومة هذه المملكة ورفعة شأنها : هذه الحقيقة أكدها دانيال بقوله: إن جميع الأمم تحت قبة السماء تخدم شعب الأبرار العامل بطاعة الله. ولم تتحقق هذه الصفة - وهي خدمة الأمم - إلا للأمة الإسلامية التي خدمتها الأمم في مشارق الأرض ومغاربها. ومن دواعي استمرار هذه الأمة وديمومتها أنها لا تعرف التمييز الطبقي في تشريعاتها بين أفرادها فالكل سواء أمام شرع الله، لا فرق بين الأبيض والأسود أو بين الحاكم والمحكوم^(١) .

البشارة الرابعة : قال دانيال : (طوبى لمن أمل أن يدرك الأيام الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثون^(٢)) . قال المهتدي الطبري : (فأعملت فيه الفكر فوجدته يوحى إلى هذا الدين، وهذه الدولة العباسية خاصة؛ وذلك أنه لا يخلو دانيال من أن يكون أراد بهذا

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٣٣ - ١٤٤ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٨٣ . ولم يذكر الطبري رقم الفصل، وهي موجودة في الإصحاح ١٢ .

العدد: الأيام والشهور والسنين، أو سر من أسرار النبوة يخرج الحساب. فإن قال قائل : إنه أراد به الأيام. فإنه لم يحدث لبني إسرائيل، ولا في العالم بعد أربع سنين فرح ولا حادثة سارة، ولا بعد ألف والثلاثمائة وخمسة وثلاثين شهراً؛ فإن ذلك مائة وإحدى عشرة سنة وأشهر. فإن قالوا: عنى به السنين. فإنما ينتهي ذلك إلى هذه الدولة؛ لأن من زمن دانيال إلى المسيح نحو من خمسمائة سنة... ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة ينتهي ذلك إلى هذه الدولة العباسية منذ ثلاثون سنة، أو يزيد شيئاً^(١) .

ومقارنة هذا التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري تكون السنة التي أشار إليها هي سنة ٢٥٣ هـ تقريباً. ولعل في هذه البشارة سرأ عجيباً وهو الإشارة إلى بلوغ الدولة الإسلامية غاية مجدها، وكمال سيطرتها، ونهاية فتوحاتها .

الثاني عشر : بشارات هوشاع :-

البشارة الأولى: قول هوشاع: (قال الرب: إني أنا الرب الإله الذي رعيتك في البدو، وفي أرض خراب قفر غير مأهول، ليس بها أنيس^(٢)). قال المهتدي الطبري: فلسنا نعرف أحداً رعاه الله في البدو، وفي أرض قفر غير النبي صلى الله عليه وسلم .

البشارة الثانية : قال هوشاع يصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم : (إنها أمة عزيزة لم يكن مثلها قط ولا يكون، وإن النار تحرق أمامها، وتتوقد خلفها الضرائر^(٣)). ولم تنل أمة من العز والمنعة والسلطان في فترة طويلة وعلى رقعة واسعة كما نالت الأمة الإسلامية

الثالث عشر :بشارة عويذ ياهو :-

ذكر المهتدي الإسكندراني أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل يسمى «عويذياهو» خرج في سياحته فوجد اليهود ساكنين بأرض الحجاز، وأنهم أضافوه، فبكى بكاء شديداً فسألوه ماالسبب؟ فقال: نبياً يبعثه الله من العرب، تعضده الملائكة، يخرب دياركم، ويسبي حريمكم، ويقيم أبناءكم. فعند ذلك طلب اليهود قتله فهرب منهم^(٤) .

(١) الدين والدولة، ص ١٨٣ .

(٢) الدين والدولة ١٦٧ . وهوشع ١٣ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٦٧ ، ولم أجد هذا النص في الطبعة التي بين يدي .

(٤) انظر مسالك النظر ، ص ٥٤ - ٥٥ ، ولم أجد هذه البشارة في الطبعة التي بين يدي .

الرابع عشر : بشارة ميخا : -

قال ميخا : (إنه يكون في آخر الأيام جبل بيت الرب مبنياً على قلال الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي، وتأتيه جميع الأمم، وتسير إليه أمم كثيرة، وهم يقولون: تعالوا نطلع جبل الرب^(١)). ويرى الطبري أن هذا النص يتضمن صفة مكة. بينما يرى الترجمان أن الجبل المشار إليه هو جبل عرفات، وأن الأمة المشار إليها في النص الذي أورده الترجمان^(٢) هي الأمة المحمدية. وعلى كلا الحالين فهذه النبوة شاهدة ومبشرة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومبينة صفة أمته، ومشاعر ملته .

وقد حرف آخر هذا النص في الطبعة التي بين يدي فصار هكذا (.. هلم نصعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب من طرقه، ونسلك في سبله؛ لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب). وقد أعماه الله عن تحريف أول هذا النص؛ حتى يبقى شاهداً على الحقيقة، دالاً على النبوة. وقد توقع المهتدي الطبري مثل هذا التحريف فقال: (وإن شغب شاغب فقال : عنى بيت المقدس. فكيف يصح له ذلك؟ وقد بين الله أن يكون ذلك في آخر الأيام، وكان بيت المقدس في زمان هذا النبي موجوداً، وإنما تنبأ النبي على شيء يحدث، لا على ما كان ومضى^(٣)).

الخامس عشر : بشارة حبقوق : -

قال حبقوق : (إن الله جاء من التيمن، والقديس من جبل فاران. لقد انكسفت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، ويكون شعاع منظره مثل النور، يحوط بلده بعزه، وتسير المنايا أمامه، وتصحب الطير أجناده. قام فمسح الأرض، ثم تأمل الأمم ويحث عنها، فتضععت الجبال القديمة، واتضععت الروابي الدهرية، وتزعزعت ستور أهل مدين، ولقد حاز المساعي القديمة، وغضب الرب على الأنهار. فرجزك في الأنهار، واحتدام صولتك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ والغوث، وستترع في قسيك

(١) الدين والدولة ١٦٨ ، وانظر تحفة الأريب ٢٧٨ ، وميخا ٤ .

(٢) وهو قول ميخا : (في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة، وتختار الجبل المبارك).

(٣) الدين والدولة ، ص ١٦٨ .

إغراقاً وترعاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً، وتحترث الأرض بالأنهار. ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب السيل، ونعرت المهاوي نعيماً ورعباً، ورفعت أيديها وجللاً وخوفاً، وتوقفت الشمس والقمر عن مجراهم، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازك، تدوخ الأرض غضباً، وتدوس الأمم رجلاً؛ لأنك ظهرت لخلص أمتك، وإنقاذ شريعة آباءك^(١). هذا النص أورده المهدي الطبري بهذه الصيغة، وورد لدى كل من الترجمان، والشيخ زيادة، وإبراهيم خليل أحمد بصور مختلفة طولاً وقصراً، مع اختلاف يسير في العبارات، واتفاقهم على محتوى السطر الأول. واتفق أيضاً كل من الترجمان والشيخ زيادة وإبراهيم خليل على أن المراد بجبال فاران هي جبال مكة. وأشار الطبري والشيخ زيادة إلى أن هذه النبوة موافقة لنبوة موسى عليه السلام الواردة في سفر التثنية وهي قوله: (جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، وتلألاً من جبال فاران). كما أشار الشيخ زيادة إلى أن هذه النبوة موافقة لنبوة أشعيا التي ذكر فيها أن حوافر خيله مثل الصوان الذي ينبعث منه الشرر. وقد سبق الحديث عنهما^(٢). وأكد المهدي الطبري والشيخ زيادة على أن هذا الوصف الوارد في هذه النبوة عن الخيل والسهام والسيوف؛ إنما ينطبق على جيوش محمد صلى الله عليه وسلم وقال المهدي الطبري بعد أن أورد تطابق هذه النبوة مع حاله صلى الله عليه وسلم: (فإن لم يكن هو الذي وصفنا - أي محمد صلى الله عليه وسلم - فمن إذا؟ لعلمهم بنو إسرائيل المأسورون المسيبون، أو النصراني الخاضعون المستسلمون. وكيف يكون ذلك وقد سمى فيها النبي مرتين ووصف عساكره وحروبه...^(٣))

وإن الاستفاضة في تأمل هذه النبوة، واستيعاب ما أشارت إليه، وبسطه، لتعجز عنه هذه الصفحات؛ لأنه يستغرق كتاباً، وليس المجال هنا مجال البسط والتوسع، وإنما هو الاستدلال والإشارة فقط. ولكن استوقفتني بعض العبارات التي اشتمل عليها هذا النص، ولم أر هؤلاء الذين مر ذكرهم تعرضوا لها، فأردت أن أقف عندها وقفة يسيرة تكشف

(١) الدين والدولة، ص ١٦٩ - ١٧٠. وانظر تحفة الأريب، ص ٢٧٨، وانظر البحث السريع، ورقة ٤١ / ب،

ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٧١، وحقوق ٣.

(٢) انظر ص ٣٥٢ من هذا البحث.

(٣) الدين والدولة، ص ١٧٠.

مافي النفس، ولا تطيل البحث. وأول هذه العبارات هي قوله: (قام فمسح الأرض). وهذه العبارة تحاكي قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها^(١)...) أما الثانية فهي قوله: (لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك). فمن آباؤه؟ إنهم إبراهيم وإسماعيل، وما هو إرثهم؟ هل هو الملك أم الأموال أم ماذا؟؟ إنه التوحيد والرسالة قال تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين^(٢)) وقال تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم وما تعبدون من دون الله^(٣)) .

السادس عشر : بشارة صفنيا : -

قال صفنيا: (يقول الرب:أيها الناس ترجّوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة، فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الأمم كلها وجميع الملوك؛ لأصّب عليهم رجزي، وأليم سخطي، فستحترق الأرض كلها احتراقاً بسخطي ونكيري. هناك أجدد للأمم اللغة المختارة؛ ليدوقوا اسم الرب جميعاً، ويعبدوه في ريقة واحدة معاً ويأتون بالذبايح في تلك الأيام من معابر أنهار كوش^(٤)). قال المهدي الطبري معلقاً على هذه النبوة: وهذا صفنيا قد نطق بالوحي وأخبر عن الله بمثل ما أدى أصحابه، ووصف الأمة التي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتجتمع على عبادته، وتأتيه بالذبايح من سواحل السودان ومعابر الأنهار واللغة المختارة هي اللسان العربي المبين... وهي التي قد شاعت في الأمم فنطقوا بها .

السابع عشر : بشارة حجّي : -

قال حجّي : (ولسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتي «حِمدا» «himada» لكل الأمم، وسوف أملاً هذا البيت بالمجد، هكذا قال رب الجنود، ولي الفضة، ولي الذهب. هكذا يقول رب الجنود، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. هكذا يقول رب

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض حديث ١٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٦٨ .

(٣) سورة المتحنة، الآية ٤ .

(٤) الدين والدولة ١٧١ ، صفنيا ٣ .

الجنود، وفي هذا المكان أعطي السلام. هكذا يقول رب الجنود^(١). وقد ترجمت كلمتي «حمدا» و«شالوم» العبريتين إلى الأمنية، أو المشتهى، أو السلام. وعندئذ تفقد هذه النبوة ما اشتملت عليه من معنى وتصبح ولا قيمة لها. ولكن الترجمة الصحيحة لهذه العبارات هي أن «شالوم» أو «شلاما» و«حمدا» تترجم إلى الإسلام، وأحمد. وتؤدي نفس الدلالة التي تؤديها تلك العبارات السابقة وينفس الأهمية. وبين المهدي عبد الأحد داود أصول هذه الكلمات ووضح ما ذهب إليه من أنها تترجم إلى الإسلام، وأحمد، فقال:-

أ - إن كلمة «حمدا» تقرأ باللغة العبرية الأصلية هكذا: (في يافوا حمداث كول هاجوييم) والتي تعني حرفياً: (وسوف يأتي حمدا لكل الأمم). وعليه فإن الحقيقة الناصعة تبقى بأن كلمة «أحمد» هي الصيغة العربية لكلمة «حمدا» العبرية، وهذا التفسير تفسير قاطع لا ريب فيه. ولقد جاء في القرآن الكريم في سورة الصف: (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد^(٢)).

ب - إن كلمة «شالوم» و«شلاما» بالعبرية و«سلام» و«إسلام» باللغة العربية هما مشتقتان من أصل واحد، وتعنيان نفس المعنى وهو السلام والإذعان أو الاستسلام. وبعد هذا التوضيح من قبل هذا المهدي لهذه الألفاظ ذكر عدداً من البراهين التي استند إليها فيما ذهب إليه، وهي:-

١ - إن القرابة والعلاقة والتشابه بين هذين التعبيرين «حمدا» و«أحمد» وكذلك التشابه في الأصل الذي اشتق الاسم منهما لا يترك أدنى جزء من الشك؛ لأن المفهوم من الجملة هو (وسوف يأتي حمدا لكل الأمم) إنما هو «أحمد» أي محمد، ولا يوجد أدنى صلة في أصل الألفاظ ولا في تعليلها بين كلمة «حمد» وبين الاسماء الأخرى كمثّل يسوع أو المسيح أو المخلص.

٢ - لو سلمنا جدلاً بالصيغة العبرية لكلمة «حمده» وأنها مجرد معنى اسمي لكلمات «أمنية أو مشتهى أو شهوة أو مدح»؛ فإن هذا الجدل هو في صالح ما نظرحه من بحث

(١) محمد في الكتاب المقدس، ص ٥٠، وحجتي ٢.

(٢) سورة الصف، الآية ٦.

هنا؛ وذلك لأن الصيغة العبرية تكون بحسب أصول الكلمات متساوية تماماً بالمعنى والتشبيه أو حتى في التطابق لكلمة «حمدا» وعلى أية حال فإن صلتها بـ «أحمد» أو «أحمدية» هي صلة قاطعة، وليس لها علاقة أبداً بـ «يسوع» أو «اليسوعية» .

٣ - إن هيكل «زوروا بابل» كان يجب أن يكون أعظم مجدداً من هيكل سليمان عليه السلام؛ ذلك لأن «ملاخي» تنبأ بأن الرسول العظيم لا بد أن يزوره فجأة، وهذا حصل فعلاً عندما زاره الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء .

٤ - إن «أحمد» وهي الصيغة الأخرى لاسم محمد ومن نفس المصدر والتعبير ومعناه «الأمجد»، وفي خلال رحلته الليلية صلى الله عليه وسلم زار تلك البقعة المقدسة كما ينص القرآن الكريم على ذلك، وهناك أدى الصلاة المباركة بحضور جميع الأنبياء عليهم السلام كما تدل أحاديثه الشريفة، وبهذا يتحقق المجد .

٥ - إن تسمية خاتم الأنبياء بـ «محمد» أو «أحمد» من أعظم المعجزات؛ لأنه أول اسم عرف بهذه الصفة في تاريخ البشرية^(١) .

الثامن عشر : بشارات زكريا عليه السلام : -

البشارة الأولى: قال النبي زكريا عليه السلام في الإصحاح الثامن: (هكذا يقول رب الجنود: في تلك الأيام يجتمعوا عشرة رجال من كل لسانات الشعوب ويتمسكون بذيل رجل حميد، أعني أبو حميد، ويقولون: لنذهب معك؛ لأننا سمعنا أن الله معك^(٢)) أورد المهتدي الإسكندراني هذه البشارة بلفظها العبري ثم ترجمها إلى اللغة العربية، وأطال الكلام حول هذه البشارة واشتقاق اسم «حميد وأحمد» وبين أنه ظل سنين طويلة وهو يقرأ هذه النبوة ويفهمها على وفق الترجمة اليهودية؛ حتى يسر الله له كتب أصول اللغة العبرية - وكانت شبه معدومة - فوقف من خلالها على حقيقة هذا اللفظ «ياأودي» وأنه إذا ترجم إلى اللغة العربية صار: «حميد» ثم بين أن الشعوب المذكورة في هذا النص هم القبائل الخارجة عن بني إسرائيل؛ لأنهم يسمون عند اليهود: الشعوبيين، الأحميين، وألحق ذلك بأربعة وجوه بين فيها توافق هذه النبوة مع حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٩ - ٥٤ .

(٢) البحث الصريح ، ورقة ٣٢ / ب ، وذكرها ٨ .

وأصحابه، وهذه الوجوه هي : -

- ١ - من عدد صحابته العشرة الكرام .
 - ٢ - أنهم من السنة ووجوه الشعوب الأخرى .
 - ٣ - أنهم من الأمم الأخرى، وليسوا من بني إسرائيل .
 - ٤ - أن الرجل الذي اتبعوه كان اسمه حميداً، أحمد، وهو النبي صلى الله عليه وسلم^(١) .
- وهذه النبوة تعزز نبوة حبقوق ونبوة حجي الذي ورد فيهما اسم محمد صلى الله عليه وسلم صريحاً، وقد سبق الحديث عنهما^(٢) .

البشارة الثانية : قال زكريا : (إنه يكون الرب الإله يومئذ ملك الأرض كلها، ويكون يومئذ رباً واحداً، ويكون في ذلك اليوم حتى على لجام الفرس قدس الرب^(٣)). قال الطبري معلقاً على هذه النبوة: (وقد صدقت النبوة، وصح الوحي، وصار الدين واحداً لا تشنية فيه ولا تثليث ... ومعنى قدس الرب ها هنا: اسم الرب واسم نبيه عليه السلام . وذلك موجود يومنا هذا على كل ملابس ومنزل وسلاح وغير ذلك^(٤)) .

التاسع عشر: بشارات ملاخي : -

البشارة الأولى: قال ملاخي مخبراً عن الله أنه قال : (انظروا، إنني أبعث برسولي، وسوف يمهد السبيل أمامي، وسوف يأتي فجأة إلى هيكله السيد الذي تبحثون عنه، ورسول العهد الذي ترغبون. انظروا إنه قادم. هكذا يقول رب الجيوش أو الجموع^(٥)) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن التحديد الدقيق لموضوع هذه النبوة أمر في غاية الأهمية؛ لأن الكنائس المسيحية اعتقدت منذئذ أن المقصود بها شخصان مختلفان. وما يدحض هذا الزعم الذي انتهجته الكنائس ما يلي : -

١ - أن السيد أو الرسول الموعود كلّف بتأسيس وإقامة دين قويم صالح، ومكلف بإزالة

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٣٢ - ٣٤ / أ .

(٢) انظر ص ٣٨٦ . ٣٨٨ من هذا البحث .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ولم يذكر الطبري موقع هذه البشارة من سفر زكريا وهي موجودة في الإصحاح ١٤ .

(٤) الدين والدولة ، ص ١٧٣ .

(٥) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٦ ، وملاخي ٣ .

كافة العقبات التي تحول بين البشرية وبين ربها، ومكلف أيضاً بأن يجعل الطريق سهلاً مهداً مستنيراً ... وبالتأكيد فإن الرسول الرفيع الشأن المبعوث من الله لم يكن قادماً لإصلاح الطريق من أجل حفنة من اليهود؛ ولكن من أجل إقامة دين عام وثابت للناس كافة، والديانة اليهودية ديانة خاصة لشعب خاص، هذا بالإضافة إلى ما تشتمل عليه من طقوس وتضحيات، وخلوها من العقائد الإيمانية الإيجابية، كل ذلك يفقد هذه الديانة جوهرها، ويجعلها غير ملائمة إطلاقاً، وغير وافية باحتياجات الشعوب المختلفة، أما الديانة النصرانية فإن طقوسها السبعة، واعتقادها بالخطيئة الأصلية، وتجسّد الإله والتثليث - وهي أمور لم تعهد في الديانات السابقة - بالإضافة إلى افتقادها إلى كتابها الأصلي الذي كتبه مؤسسها عليه السلام؛ كل ذلك يجعلها غير مؤهلة لأن تقدم خيراً للبشر. وإذا كان الرسول الخاتم مكلفاً بإلغاء هذين الدينين، وإقامة دين إبراهيم وإسماعيل ودين كافة الأنبياء على أسس وتعاليم تصلح للبشر كافة؛ فإن هذا الدين الذي أقامه ودعا إليه هو الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق الموصلة إلى الله عز وجل، وأسهل الأديان لعبادته، وأسلم العقائد الباقية على طهارتها ونقاها الأبدي. إذاً كان منوطاً بهذا الرسول المبشر به في هذا النص أن يرسخ هذا الدين، ويقمى الوحدانية، ويحول دون تدخّل الوسطاء بين الله والناس .

٢ - هذا النص أكّد على أن هذا الرسول المبشر به لا بد أن يصل بصورة مفاجئة إلى بيت المقدس، منطلقاً من الحرم الأول «مكة» وهذا ما تحقق في ليلة الإسراء، وهذا يعني أن مهمة هذا الرسول تطهير هذه البقاع من الوثنية، وبلقن روادها الوحدانية، والإيمان بالله الواحد الأحد. وإذا تحقق هذا فهو بمثابة بناء طريق جديد يربط العبد بربه، وهذا الطريق الذي شرعه هو دين عالمي شامل يدعو إلى إلغاء الوسائط بين الله وعباده، فلا قديس ولا قسيس، ولا سر مقدس. وهذا لم يتحقق إلا على يد الرسول المنعوت بأنه «محمد صلى الله عليه وسلم» .

٣ - لم يكن يوحنا المعمدان هو الرسول الذي تنبأ به ملاخي، والرؤيا التي تنسبها الأناجيل الأربعة له متضاربة جداً، ولكن الشيء الوحيد الذي تتفق عليه هو أنه لم يهد

طريقاً قط؛ لأنه لم يكن مزوداً بكتاب مقدس، كما أنه لم يؤسس ديناً جديداً، ولم يرفض - ولو شيئاً يسيراً - من شريعة موسى، ولم يصف إليها شيئاً، أما التعميد فهو الوضوء أو الغسل، وهو موجود في الديانة اليهودية، والوضوء والغسل لا يمكن أن يعتبر ديناً، هذا بالإضافة إلى أن يوحنا سأل المسيح عليه السلام : هل أنت الذي سيأتي أم نتظر سواك؟ فلو كانت مهمته تمهيد الطريق أمام المسيح عليه السلام لما طرح هذا التساؤل .

ومما يدعم هذا الرأي القائل بأن يوحنا ليس هو النبي الذي تنبأ به ملاخي: أن اليهود لم تستقبل يوحنا كنبي، كما أن برنابا لم يذكره إطلاقاً في إنجيله، ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً أن يوحنا أعلن اقتراب قدوم الرسول العظيم الذي سيعمد المؤمنين بالروح بدلاً عن الماء، ولو افترضنا جدلاً أن يوحنا هو الرسول الذي بعثه الله لتمهيد الطريق أمام المسيح عليه السلام فلا معنى ولا مغزى إطلاقاً لإقدام يوحنا على تعميد الجماهير في مياه نهر الأردن، بل كان واجبه أن يتبع المسيح فوراً ويلازمه.

٤ - آمنت جميع الكنائس أن «رسول الطريق» المشار إليه في هذه النبوة هو يوحنا وليس عيسى عليه السلام، غير أن اليهود لا يقبلون أبداً من الاثنين - وقد سبق الكلام في الفقرة الماضية إلى أنه لا يمكن أن يكون يوحنا هو الرسول المشار إليه - كما أنه لا يمكن أن يكون الدين الذي دعا إليه المسيح هو الذي تعتقده الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية... وهذا الدين الذي تعتقده هذه الكنائس لا يمكن أن يكون هو الدين الذي أشار إليه ملاخي في هذا النص .

٥ - الشخص المبشر به في هذه النبوة له ثلاث صفات وهي : أنه رسول الدين، والسيد الأمر، ورسول العهد. وهو أيضاً مميز بثلاث علامات وهي : أنه يأتي فجأة إلى مسجده أو حرمه، ويبحث عنه الناس ويسعون إليه، وسيكون موضع محبة شديدة منهم. إذاً من يكون هذا الرجل الموصوف المميز؟؟ إنه محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء البشرية بكتاب مقدس لا يبارى، وقدم دين الإسلام الذي هو أكثر الأديان عقلانية وبساطة ونفعاً، وكان وسيلة لهداية الملايين، والعديد من الأمم الكافرة في أرجاء المعمورة، التي حولها كلها إلى أخوة إيمانية متحدة^(١) .

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٥ - ١٢٢ .

البشارة الثانية: قول ملاخي: (ها أنذا أرسل إليكم إيلياء^(١) النبي قبل مجئ يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم؛ لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن^(٢)). قال المهتدي النجار: (والمعنى أن الله يرسل قرب الساعة النبي أحمد صلى الله عليه وسلم «فيرد قلب الآباء على الأبناء» يرد بني إسماعيل - أعمام بني إسرائيل - لحقيقة وحي الأنبياء والمرسلين من أبناء أخيهما إسحاق. « وقلب الأبناء على آبائهم» ويرد اليهود والنصارى على دين آبائهم الأنبياء نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى، قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه^(٣)). .

تأمل ما في هذه البشارة من الوعد بمجيئه صلى الله عليه وسلم قبل يوم القيامة مع قوله صلى الله عليه وسلم: (بعثت أنا والساعة هكذا. ويشير بأصبعيه فيمدهُ بهما)^(٤).

هذه أسفار العهد القديم^(٥) شاهدة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، شهادة لا تقبل التضليل، مصرحة باسمه ولغته وصفة أمته صراحة لا تحتمل التأويل؛ فمن كان طالباً للحق اتبعه إذا قام عليه الدليل، فكيف إذا تضافرت عليه الأدلة والبراهين، والحق هنا شهادة العهد القديم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فمن أراد أن يدفع اليقين بأوهن الشكوك، وأفسد التأويل، ويدعي - محاكاة ومجادلة - أن هذه النبوات والشهادات وردت في حق عيسى عليه السلام. فيقال له ليس بعد التصريح بذكر اسمه وصفته وخبره وبلده وأمه - مجال للتأويل والاحتمال. كيف وقد شهد المسيح عليه السلام بنبوته وأخبر تلامذته باقتراب

(١) قال المهتدي النجار: إن جمل كلمة إيلياء ٥٣ وهو تعداد جمل اسمه الشريف أحمد صلى الله عليه وسلم. انظر المنارات الساطعة، ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٥. ولم يشر إلى موقع هذا النص من سفر ملاخي، وهو موجود في ملاخي ٤.

(٣) المنارات الساطعة، ص ٦٥. والآية ١٣ من سورة الشورى.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، واللفظ له في كتاب الرقاق، باب ٣٩، ومسلم في كتاب الجمعة، حديث ٤٣.

(٥) وقد ذكر المهتدي الإسكندراني حادثة تؤكد البشارة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر السفر التي وردت فيه، واجتهدت في طلبها في مظانها فلم أعر عليها، وهذه الحادثة هي: أن أحد ملوك بني إسرائيل وقع في الأسر فاستغاث بالله، واستشفع بمحمد صلى الله عليه وسلم فأنجاه الله. وقد سبق القول أن مثل هذا الاستشفاع ينافي كمال التوحيد. انظر مسالك النظر، ص ٥٤.

ظهور محمد صلى الله عليه وسلم؟؟ وهذه الشهادة وما يماثلها من شهادات العهد الجديد هي ما سيكون الحديث عنه في المطلب التالي .

المطلب الثاني، بشارات العهد الجديد :-

بشارات متى :-

البشارة الأولى: قال متى في الإصحاح الثالث مخبراً عن يوحنا المعمدان - يحيى عليه السلام - أنه قال: (أنا أعمدكم بالماء - وذلك للتوبة وغفران الخطايا - ولكن هناك شخص قادم بعدي وهو أقوى مني، لدرجة أنني لا أستحق حل سيور حذائه، وسيعمدكم بالروح والنار^(١)). هذه البشارة أوردها كل من المهدي عبد الأحد داود والنجار، وأضاف إليها النجار بعض العبارات التي تذكر صفة هذا القادم المنتظر، وهو قوله: (الذي رفشه بيده، وينقي بيده، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ) وأوضح هذه العبارات فقال: (قوله: الذي رفشه بيده. ونسخة الآباء العيسويين: (الذي بيده المذرى). إشارة إلى ما قام من حروب وجهاد مع الكفار لنصرة دين الله وإعلاء كلمته. وقوله: (وينقي بيده). بمعنى يطهر موطنه من الأصنام ومن عبديتها المشركين. وقوله: (ويجمع قمحه إلى المخزن). أي يجمع صحابته والمؤمنين به عند بيت الله الحرام. (أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ). أي يقضي على عناصر الشر والفساد في العالم ، ويناهض أهل الشرك والضلالة وعبادة الأصنام^(٢)) .

أما عبد الأحد داود فقد اكتفى بهذا النص الذي أورده، وأشار إلى هذه الزيادة في ثنايا الشرح والتحليل. كما أنه أطال النفس في استنطاق هذه النبوة من جانبين: الجانب الأول: نفى فيه أن يكون النبي الذي تنبأ به يوحنا هو عيسى عليه السلام. وفي الجانب الثاني: أثبت أن هذا النبي المبشر به هو محمد صلى الله عليه وسلم . وقد قدم في الجانب الأول البراهين التالية :-

١ - إن نفس كلمة «بعد» تستبعد عيسى بكل وضوح من أن يكون هو النبي المبشر به؛

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٧١ ، والنارات الساطعة ، ٦٨ ، ومتى ٣ ، ومرقس ١ ، ولوقا ٣ .

(٢) النارات الساطعة ، ص ٧٠ - ٧١ .

لأن عيسى ويوحنا ولدا في سنة واحدة، وعاصر أحدهما الآخر، وكلمة «بعد» هذه تدل على مستقبل غير معلوم بعده .

٢ - أن يوحنا قدّم المسيح عليه السلام إلى قومه وطلب منهم طاعته واتباعه، إلا أنه أخبرهم بوضوح أن ثمة كوكباً آخر عظيماً هو الأخير الخاتم المجدد عند الله .

٣ - لم يكن عيسى هو المقصود عند يوحنا؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لتبع عيسى وخضع له، ولكننا نجد على العكس من ذلك إذ نجد يوحنا يعظ ويعمّد ويستقبل الأتباع في حياة المسيح عليهما السلام .

٤ - مع اعتقاد الكنائس النصرانية بأن المسيح إله أو ابن إله، إلا أن كونه معمّداً على يد يوحنا المعمدان يثبت أن الأمر بالعكس تماماً؛ فلو كان عيسى هو الشخص الذي تنبأ به يوحنا على أنه أقوى منه، وأنه سيعمّد بالروح والنار - لما كان هناك ضرورة أو معنى لتعميده في النهر على يد يوحنا وهو الشخص الأقل منه .

٥ - تضاربت الأناجيل في موقف يوحنا من عيسى : فهو في أحدها يرسل التلاميذ يسألونه : هل أنت النبي الذي سيأتي أم ننتظر واحداً آخر ؟ أما يوحنا كاتب الإنجيل فقد أثبت أن يوحنا لما رأى عيسى قال: انظروا حمل الله. ففي النص الأول: يتبين أن يوحنا لم يكن يعرف حقيقة المسيح، وفي النص الثاني: ذكر وصفاً مغايراً للنبي المبشر به .

٦ - لا يمكن أن يكون يوحنا هو سلف عيسى المبشر به بالمعنى الذي تفسر فيه الكنائس بعثته، لأن من مهام هذا الرسول المبشر به أنه يمهد الطريق، وأنه يأتي فجأة إلى هيكله وقيم السلام. فإذا اعتبر أن هذه المهام قد أسندت إلى يوحنا - فنستطيع أن نؤكد أنه فشل في تحقيقها فشلاً ذريعاً؛ لأن كل الذي قام به يوحنا تجاه عيسى عليه السلام أنه استقبله على نهر الأردن وعمّده فيه .

أما البراهين أو الأدلة التي قدمها هذا المهتدي على أن يوحنا قد بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم فهي: -

١ - يتأكد من هذه النبوة شيء واحد وهو أن النبي الذي تمت البشارة بقدمه معروف لدى كافة الرسل والأنبياء؛ وإلا لما اعترف شخص معصوم هذا الاعتراف المتواضع .

٢ - أن إنكار الرسالة المحمدية هو إنكار أساسي لكل الوحي الإلهي، وكافة الرسل

الذين بشروا به^(١)؛ لأن جميع الأنبياء معاً لم ينجزوا العمل الهائل الذي أنجزه محمد صلى الله عليه وسلم وحده في فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً .

٣ - اعتراف يوحنا بأن « محمداً » أعلى منه وأسمى قدراً؛ يتضح ذلك من قوله « هو أقوى مني » وبمقارنة ما كان عليه يوحنا بما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم؛ نجد أن الواقع يشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان هو الأقوى الذي بشر به يوحنا؛ يتضح ذلك من خلال الصورة المأساوية التي ترسمها الأناجيل لنهاية يوحنا حيث يسجن ثم يقطع رأسه ويقدم على طبق، بينما نرى محمداً صلى الله عليه وسلم يدخل مكة دخول الفاتح العظيم، ويدمر الأصنام، ويظهر الكعبة، والكفار مستسلمون له ينتظرون حكمه فيهم .

٤ - أخبر يوحنا عن الغضب القادم أو العذاب القادم على اليهود والكفار المعاندين للرسول. وهذا العذاب الذي تنبأ عنه منه ما تحقق بعد ثلاثين سنة في بني إسرائيل، ومنه ما أعلنه هو وأخيه المسيح عليهما السلام عن قدوم رسول الله العظيم الذي سوف ينتزع جميع الامتيازات من اليهود؛ ولم يتحقق هذا إلا على يد محمد صلى الله عليه وسلم الذي دمر حصونهم، وطردهم من ديارهم، ولقد أنذرهم يوحنا من هذا العذاب الآتي إذا لم يؤمنوا برسول الله الصادقين وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم - بقوله: (من الذي أخبركم أن تهربوا من الغضب الآتي) .

٥ - أن هدف محمد صلى الله عليه وسلم هو: إقامة دين الإسلام على الأرض، فقد اختفت الأوثان والأصنام من أمامه، وانهارت الإمبراطوريات أمام سيفه، وأصبح المسلمون في ملته متساوين، وتكونت منهم الجماعة المؤمنة، وتحققت بينهم المساواة، إذ لا كهنوت ولا طقوس، وليس هناك مسلم مرتفع، ولا مسلم منخفض، ولا توجد طبقات أوقمايز يقوم على العنصر والرتبة، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يعترف بأي كائن مهما عظم، ومهما كان مقدساً - كوسيط مطلق بين الله والبشر.

٦ - أن أتباع يوحنا كانوا يعرفون كل المعرفة أن عيسى عليه السلام لم يكن هو الشخص المقصود، وقد اعتنقوا الإسلام عندما جاء محمد صلى الله عليه وسلم .

٧ - أن المعمودية الواردة في النص يقابلها قوله تعالى: (صبغة الله ومن أحسن من الله

(١) يتفق المهتدي عبد الأحد دارود مع المهتدي الطبري في هذه النقطة ، انظر الدين والدولة ، ص ١٣٠ وما بعدها .

صبغة ونحن له عابدون^(١) .

البشارة الثانية: قال متى في الإصحاح الخامس مخبراً عن المسيح أنه قال: (فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل^(٢)) قال المهتدي الهاشمي موضحاً هذه البشارة: (الكل هنا - كما سبقت إليه الإشارة - هو القرآن الكريم الذي فيه نبأ السلف، وأخبار الخلف، فيه قصص من سبق من الأنبياء وابتلائهم على أيدي أقوامهم، فيه هدى للمتقين، ووعيد للكافرين، وتنظيم للحياتين الدنيا والآخرة، روح من رب العالمين نزل على قلب بشر لم يؤت من قبل فنون الكلام^(٣)) .

وفي هذا النص إشارة إلى وجوب العمل بالتوراة والإنجيل إلى غاية محدودة وهي مجيء الكل؛ فإذا جاء الكل - وهو القرآن الكريم - بطل العمل بهما، وحان نسخهما، وأذن الله بزوالهما. والمراد بالزوال هنا زوال الحكم لا زوال الوجود.

البشارة الثالثة: قال متى في الإصحاح الحادي عشر إن المسيح عليه السلام قال: (لم يقم في مواليد النساء نبياً أعظم من يوحنا المعمدان، وأما الأصغر الذي في ملكوت السماء فأعظم منه^(٤)) هذه البشارة أوردها كل من المهتدي الشيخ زيادة وعبد الأحد داود، وقال الشيخ زيادة: إن من علماء النصارى من فسر هذا النص وقال: إن المعنى به هو يوحنا الحواري، ومنهم من قال: إن المعنى به هو عيسى عليه السلام. ونقض هذه الأقوال بأن يوحنا الإنجيلي ما تسمى نبياً على الإطلاق، ولا وصف بأنه أعظم من كل الأنبياء، بل إن بعض النصارى قالوا: إن بطرس الحواري أعظم منه. وصريح هذه النبوة شاهد على أن الأصغر القادم هو نبي أعظم من كل الأنبياء .

أما من فسر هذه النبوة بأن المراد به عيسى عليه السلام فيرد ذلك أن عيسى عليه السلام لا يعتبر من مواليد النساء الطبيعية المعتادة؛ حتى يستدل بأن هذه البشارة دالة عليه، ومشيرة إليه؛ فإذا انتقضت هذه الوجوه لزم إسقاط الدعوى، وأن تكون هذه البشارة

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٦ - ٢٠٠ . والآية ١٢٨ من سورة البقرة .

(٢) سر إسلامي ، ص ١١٦ ، ومتى ٥ .

(٣) سر إسلامي ، ص ١١٦ .

(٤) البحث الصريح ورقة ٤٢ / ب، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٧٨ ، ومتى ١١ ، ولوقا ٧ .

منصرفة إلى نبي آخر سبق أن بشر به موسى عليه السلام بقوله: (إن الرب إلهكم سيقيم نبياً من إخوتكم مثلي^(١)). ولفظة الأصغر الواردة في هذا النص قد تصدق على المختار صلى الله عليه وسلم من حيث أنه آخر الأنبياء، وأن هذا الأصغر هو الأعظم بالمجد والشرف في رتبة النبوة^(٢) .

أما عبد الأحد داود فقد استفاد من هذه البشارة لتأكيد النبوة السابقة وقد أوردت عدداً من الأدلة التي استنبطها منها وهي تتعلق بتلك النبوة، أما ما يتعلق بهذه البشارة من كلامه فهو طرح بعض التساؤلات، وإيضاح بعض العبارات، وهذا الإيضاح والتساؤل هو:-
تساءل هذا المهتدي لم حُصَّ يوحنا بأنه أعظم الرجال؟؟، وهل نادى عيسى حقيقة بهذا القول؟ وهل كان يوحنا أعظم من إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام؟، وإذا كانت شهادة عيسى عليه السلام عن يوحنا صحيحة؛ فإن عظمته سوف تقتصر على نكرانه الذات والزهد في الدنيا، ودعوته الناس إلى التوبة، وإخباره عن ذلك النبي. أم أن عظمته - حسب اعتقاد الكنائس - من كونه ابن الخالة والمعاصر لعيسى؟؟ .

وهل كان يقصد المسيح عليه السلام أن يعلمنا أن يوحنا وجميع الأنبياء الأتقياء كانوا خارج ملكوت الله؟؟، ومن هو الأقل الذي كان أعظم من يوحنا ومن كل من سبقه؟، وهل يقصد عيسى بكلمة الأقل نفسه؟ أو الأقل بين النصارى المعمدين؟. ولا يمكن أن يكون أراد بذلك نفسه؛ لأن ذلك الملكوت أو المملكة لم يكن قائماً في زمنه، وإذا كان قائماً فهو المؤسس له، ولا يمكن أن يكون هو الأقل. إذاً فهل المراد الأقل بين النصارى المعمدين؟. إن الكنائس تعتقد أن أي مسيحي تم تعميده يصبح أعظم من يوحنا المعمدان ومن كل الأبرار السابقين بمن فيهم إبراهيم وموسى ... وسبب هذا الادعاء العجيب هو أن النصراني المعمد مهما كان خاطئاً فله حق التمتع بالامتيازات التي تطلع إليها الرسل الكرام؛ شريطة أن يؤمن بأن عيسى هو مخلصه؟؟ .

٢ - يرى هذا المهتدي أن المسيح أعلن أن يوحنا المعمدان كان تجسداً جديداً للنبي

(١) سبق الحديث عن هذه البشارة في ص ٣٤١ من هذا البحث .

(٢) البحث الصريح ، ورقة ٤٢ / ب ، ٤٣ / أ .

إيلياء^(١)، بينما قال يوحنا للوفد اليهودي: (إنه لم يكن إيلياء ولا المسيح ولا ذلك النبي^(٢))
إذاً هناك تناقض في حقيقة يوحنا، وهذا التناقض ينسب إلى اثنين من الأنبياء المعصومين!
كما أن هناك تناقضاً آخر ورواة هذا التناقض هم الإنجيليون، وهم أشخاص يزعم أنهم
يوحى إليهم، وأن ما دونوه هو وحي، ففي أحد هذه الأناجيل يقال: إن إيلياء هو إلياس
جاء قبل ذلك النبي^(٣). ويقول عيسى: إن يوحنا هو إيلياء. ويقول يوحنا: أنا لست إيلياء.
وكلا القولين المنفي والمثبت وارد في الكتاب المقدس. ومن المستحيل كل الاستحالة الوصول
إلى الحقيقة والدين الحق من هذه الأناجيل؛ إلا إذا أعيد النظر فيها وجرى تمحيصها من
وجهة نظر إسلامية توحيدية .

٣ - ورد في هذه البشارة عبارة: (ولكن الأصغر الذي في ملكوت السموات أعظم منه).
ويرى عبد الأحد داود أن الأصغر المشار إليه هنا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ
هو الأصغر سناً في سلسلة الأنبياء وهو صفوتهم وسلطانهم ومجدهم^(٤).

ولعل مقصود عيسى عليه السلام من قوله «الأصغر» أي الأصغر سناً. يوضح ذلك أنه
قال: وأما الأصغر في ملكوت السماء، فهو الأصغر سناً ممن بقي في ملكوت السماء من
الأنبياء؛ لأنه لم يبق رسول سواه في عالم الغيب، ولا يشمل هذا الحكم عيسى ويحيى؛
لأنه قال: في ملكوت السماء. وهؤلاء أحياء يمشون على الأرض .

البشارة الرابعة: قال متى في الإصحاح الحادي عشر: (وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو
إيلياء المزمع أن يأتي^(٥)). قال المهتدي النجار بعد هذه النبوة: (أي إن أردتم أن تتبعوا
فاتبعوا أحمد الذي سيبعث، وشدد عليهم في التمسك بهذه الوصية والمحافظة عليها فقال:
من له أذنان للسمع فليسمع^(٦)). وهذه البشارة ماثلة وشاهدة ومصدقة لنبوة ملاخي، وقد
سبق إيرادها في هذا البحث تحت عنوان: البشارة الثانية من بشارات ملاخي .

البشارة الخامسة: روى متى في الإصحاح السابع عشر ذلك الحوار الذي دار بين المسيح

(١) متى ١١ : ١٤ ، و١٧ : ١٢ . ولوقا : ١٧ .

(٢) يوحنا ١ .

(٣) متى ٤ : ٥ - ٦ .

(٤) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٨ - ١٨٠ .

(٥) المنارات الساطعة ، ص ٦٧ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٨ ، ومتى ١١ .

(٦) المنارات الساطعة ، ص ٦٧ .

وتلامذته وهو: (فسألوه قائلين: لماذا يقول الكتبة: إن إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً؟. فأجاب وقال لهم: إن إيلياء يأتي أولاً، ويرد كل شيء^(١)) وأردف المهتدي النجار هذه البشارة بقوله: (ونجد المحرفين يشيرون بأن هذا الكلام على يوحنا - أي سيدي يحيى - مع أن سيدنا يحيى ليس له شرع ولا كتاب).

وقد سبق القول في البشارة الثالثة من بشارات متى أن الأناجيل تضاربت في إطلاق اسم إيلياء على يوحنا نفيًا وإثباتًا، كما أنها أوردت نفي يوحنا عن نفسه هذه اللقب؛ فتعين أن المبشر به في هذا النص هو نبي سوى يوحنا، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .
البشارة السادسة : قال المهتدي النجار: (مثلت الأناجيل أمة محمد بالكرم^(٢))، ومرة بالبيدر - جرن القمح^(٣) -، ومثلها سيدنا إشعياء بالترجس^(٤)، ومثلها سيدنا حزقيال بشجر الأرز^(٥) .

البشارة السابعة : قال متى في الإصحاح العشرين مخبراً عن المسيح أنه قال : (أما قرأتُم قط في الكتب: إن الحجر الذي رذله البنائون، هذا صار رأساً للزاوية، من قبل الرب كانت هذه وهي عجيبة في أعيننا، من أجل هذا أقول لكم: إن ملكوت الله تنزع منكم، وتعطى لآخرين، لأمة يصنعون ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه يطحنه^(٦)) .

أجدني مضطراً أمام هذه البشارة إلى تقسيم الكلام عنها إلى قسمين حسب ما ورد عن

(١) المنارات الساطعة، ص ٦٦، ومتى ١٧، ومرقس ٩ .

(٢) انظر متى الإصحاح ٢٠ : ١ - ١٦، و٢١ : ٣٣ - ٤١ .

(٣) انظر متى الإصحاح ٣ : ١١ - ١٢ .

(٤) انظر إشعياء الإصحاح ٣٥ : ١ - ٤ .

(٥) حزقيال الإصحاح ١٧ : ٢٢ - ٢٤، ٣١ : ٣ - ٩ . وهذه الشهادة وردت في المنارات الساطعة، ص ٥٨، ٧٢، وقد شاركه المهتدي الشيخ زيادة بالقول على أن المثل المضروب لعمال الكرم يراد به الأمة المحمدية، انظر البحث الصريح، ورقة ٢٩ / أ .

(٦) البحث الصريح، ورقة ٢٩ / ب والإنجيل والصليب ٧٦ وما بعدها، ولم يذكر هذه البشارة بنصها ولكنه تكلم عن ملكوت الله، وسيأتي تفصيل الكلام عنه في هذه الصفحات إن شاء الله، وانظر المنارات الساطعة ٦٨، وسر إسلامي، ١١٤ - ١١٥، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٧٣، ومتى ٢١، ولوقا ٢٠، والمزمور ١١٨، وقد أوردت هذه البشارة ضمن بشارات متى وهي مذكورة في المزامير؛ لأن هؤلاء أوردوها ضمن بشارات متى وأحالوا على المزامير .

هؤلاء المهتدين : -

القسم الأول: يختص بالكلام عن الحجر الذي رفضه البنائون، وهذا الحجر المشار إليه هو محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الحجر المتحم للبناء الذي ابتدأه الأنبياء من آدم حتى المسيح، ويبنّ المسيح عليه السلام ما خص به ذلك - الحجر - محمد صلى الله عليه وسلم من النصر والتأييد بقوله: (ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه يطحنه). وإلى هذا ذهب كل من المهتدي الشيخ زيادة والنجار والهاشمي. بينما يرى المهتدي إبراهيم خليل: أن الحجر المشار إليه هو إسماعيل عليه السلام الذي رفضه قومه. ولكن الذي رفضه قومه، ورفضه اليهود والنصارى هو محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: (من قبل الرب): أي مرسل من قبل الله حقاً وصدقاً^(١).

قوله: (عجيب في أعيننا). هذا القول يطابق قول إشعياء: إن اسمه عجيب^(٢). أو أن تكون بمعنى عجيب؛ لأنه كريم في طبعه عربياً غريباً من غير بني إسرائيل^(٣).

وإن قيل إن المسيح عنى نفسه بهذا المثل فيقال :-

١ - أنه قال: (في أعيننا) ولم يقل في أعينكم .

٢ - أن خاتمة البشارة وهي قوله: (من سقط علي هذا الحجر يترضض). تفيد جلياً أن هذه العبارة واردة في حق شخص آخر غير المسيح عليه السلام؛ لأن عيسى عليه السلام لم يرضُ غيره، ولم يسحق من سقط عليه .

٣ - لا يجوز عند علماء اللغة أن يعود اسم الإشارة على المتكلم وهو عيسى، إذأ فلا بد

أن يعود على شخص أشار إليه عيسى وهو محمد صلى الله عليه وسلم^(٤).

وفي هذه البشارة تماثل مع قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم

(١) البحث الصريح ، ورقة ٣٢ / أ .

(٢) المصدر السابق ، ورقة ٣٢ / أ .

(٣) المصدر السابق ، ورقة ٣١ / أ ، والنارات الساطعة ، ص ٦٨ .

(٤) البحث الصريح ، ورقة ٣٢ / أ .

النبيين^(١) .

وهذا القول منه صلى الله عليه وسلم معجزة وأي معجزة، فمن أخبره صلى الله عليه وسلم بوصفهم له بأنه حجر الزاوية؟ وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتلمذ على يد معلم أو راهب! ولكنه الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والحق الذي لا يختلف في كل عصر ومصر، فلا عجب أن تماثلت أقوالهم، واتفقت أمثالهم، أليس الجميع يخرج من مشكاة واحدة !!!؟ .

القسم الثاني: يختص بالكلام عن نزع ملكوت الله من بني إسرائيل، ووضعه في أمة أخرى : -

والحديث عن ملكوت الله يتطلب الحديث عن حقيقته، وصفات أتباعه، وملكوت الله في تفسير الكنائس، وبيان أن النصرانية ليست ضمن ملكوت الله، وأن الملكوت نُزع من بني إسرائيل وأعطى لأمة أخرى، وهذه الأمة هي الأمة الإسلامية .

حقيقته : يرى المهتدي عبد الأحد داود: (أن المعنى المراد من كلمة «الملكوت» إنما هو على الوجه الذي ذكره المسيح تكراراً بـ«كلام الملكوت» أو «كلام الله» عبارة عن إرادة ورضاء صاحب الملكوت جل جلاله... وبالطبع إن للبشرية شيئين دائمين هما «الإسلام» و«القرآن» وهو يقيم ديناً حقيقياً، وملكوت الله على الأرض. والقرآن هو أقدس كتاب في العالم يحتوي على إرادة الله ورضائه في تحقيق وتسهيل إدارة ملكوت الله^(٢) وفي موضع آخر من كتابه «الإنجيل والصليب» يرى أن الملكوت هو دين الإسلام^(٣). والذي تؤيده القرائن والنصوص هو أن «ملكوت الله» الوارد في هذه البشارة وفي غيرها من نصوص العهد الجديد - هو الرسالة والوحي؛ لأن هذه البشارة تضمنت قول المسيح: (إن ملكوت الله تنزع منكم وتعطى لآخرين، لأمة تصنع ثمرتها). والنبوة كانت في الحقبة التي سبقت البعثة المحمدية في بني إسرائيل، ولما أذن الله ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ورسالته هي الرسالة الخاتمة التي ختمت بها الرسالات الإلهية، وهو من غير بني إسرائيل - كان المنزوع من بني إسرائيل هو النبوة والرسالة لا أن المنزوع هو الإسلام؛ لأن بني إسرائيل وغيرهم من

(١) رواد البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب المناقب، باب ١٨، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل، حديث ٢١ .

(٢) الإنجيل والصليب ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٣) انظر ، ص ١٧٦ .

كافة الأمم مطالبون بالدخول في الإسلام، ولو نزع منهم الإسلام وأعطى غيرهم لما كان لدعوتهم إلى الإسلام معنى .

وقد قدم هذا المهتدي عدداً من البراهين على أن ملكوت الله هو الإسلام، أو هو إرادة الله وكلامه، وهذه البراهين هي : -

١ - أن الإنجيل عبارة عن التبشير بالسعادة الحقيقية، والسعادة الحقيقية موجودة - أيضاً في ملكوت الله الذي تقرر تأسيسه في المستقبل، إذ فالسعادة الحقيقية ليست موجودة في الإنجيل؛ بل الإنجيل مبشر ومناد يدعو إليها، فهو وعظ وتبشير يبشر بالقرآن .

٢ - ليس الإنجيل مشعراً أن الكنيسة هي ملكوت الله، وليس هو مشعراً بألوهية المسيح؛ بل هو عبارة عن أمر إلهي تضمن وجوب انتظار ملكوت الله .

٣ - يخبر دانيال في أماكن كثيرة من كتابه عن دين الإسلام حتى لكأنه يخبر بقصة المعراج، ويبشر بتأسيس هذا الدين، وما منح هذا الرسول الخاتم من الملكوت والعزة والسلطان، وما يتبع ذلك من القضاء على دول الكفر في فارس والروم على أيدي أبناء هذا الدين .

٤ - ورد عن دانيال أنه قال: (أسس الدين، وسيمحون ويخربون أبدياً، آخذين من سلطنته، وسيعطى الملكوت وعظمة كل الملكوتات الكائنة تحت ظل السماء شرقها وغربها للقوم الذين هم مقدسو المتعال، ملكوته ملكوت أبدي، وكل السلاطين يطبعونه ويخدمونه^(١)). فهو يخبر عن علامات تأسيس هذا الملكوت وبعض أماراته، وهي أن تقوم حكومة دينية، وسيعطى لهذه الحكومة الملكوت والسلطنة وعظمة كل الملكوتات التي تحت ظل السماء، ومن أبرز صفات أفرادها أنهم يطبعون الله؛ لذلك وصفهم بأنهم «مقدسو المتعال» وهم أمة واحدة، وملة واحدة، وهي الأمة الإسلامية، وكل هذه الأمة مرتبطة بملكوت إسلامي رأسه الخلافة المنفذة لهذا الدين والقائمة عليه، ويتحقق لهذه الخلافة أن تخدمها كل الممالك وتطيعها .

٥ - هذا الملكوت تكفل الله بحفظه وحمايته من خلال الشريعة الأحمدية الغراء، المشتعلة على الأحكام الشرعية، وهي شريعة باهرة موافقة للعقل، وهي التي تكفل السعادة الحقيقية

(١) دانيال ٧ : ٢٦ - ٢٧ . والترجمة للمهتدي عبد الأحد داود في كتابه الإنجيل والصليب ، ص ١٨٨ .

للإنسان؛ لأن الإنسان أمام أحكامها سواء إذ لا اعتبار للجنس أو اللون أو العرق^(١).

صفاته وخواصه :-

١ - من صفاته التأليف بين كل أنواع الإنسان من غير تفرقة بين جنس أو عرق أو أمة أو بلد، وتوحيدهم بإخاء معنوي، وروابط دينية .

٢ - ملكوت الله ينشأ أنا فأنا، وينمو سنة فسنة، ويكبر عصراً فعصراً، ويتقوى على الدوام بدون انقطاع .

٣ - أفراد أبناء الملكوت على نسق واحد، يشابه أحدهم الآخر في كل وقت وفي كل زمان ومكان وفي كل الأحوال؛ فالإيمان والغاية واحدة .

٤ - ينفرد أبناء الملكوت بالسماح لأبناء الكفار أن يعيشوا فيما بينهم . ذلك أن أتباع الديانات الأخرى لا يرضون أن يعيش فيما بينهم أتباع ملة أخرى؛ أما أبناء الأمة الإسلامية فيوافقون على بقاء اليهود والنصارى بين ظهرانيهم إذا أدوا الجزية .

٥ - أبناء الملكوت هم ملح الأرض، ويقدر ما يحتاج الطعام إلى الملح محتاج البشرية إليهم؛ لإصلاح أحوالها، وتهذيبها من الرذيلة، لأن في أفواههم الأقوال الحميدة والكلام الطيب .

٦ - كل حركات أبناء الملكوت وأطوارهم كالنور ساطعة متألقة، وكل من يراهم يفهم عاجلاً من كلامهم وأخلاقهم من هم، وإلى أي دين ينتسبون، وبأي كتاب يهتدون .

٧ - أبناء الملكوت لا يعطون القدس للكلاب، ولا يطرحون دررها أمام الخنازير، بمعنى أنهم يوصدون أماكنهم المقدسة في وجوه الكفار والمشركين، ولا يترجمون آيات كتابهم إلى مئات اللغات متهاكين في بيعها وإهدائها إلى كل من يصادفون .

٨ - لا يجد أبناء الملكوت أي كلفة أو صعوبة في التوبة والاستغفار والصلاة والسجود لأجل التقرب إلى الله عز وجل، ولا حاجة إلى توسيط شخص ثالث بين الله وعباده، وأن شفيعهم المطلق هو التوحيد^(٢) .

ملكوت الله في تفسير الكنائس :-

كل الكنائس التي لا تخصي عدداً تدعي أن المسيح أسس كنيسة، وكل كنيسة واحدة

(١) انظر المصدر السابق، ص ١٧٦ - ١٩٦ .

(٢) انظر المصدر السابق، ص ١٠٤ - ١٠٧، ١٢١ .

تعرض هيكلها قائلة: أنا تلك الكنيسة، وأنا ذلك الملكوت .

النصرانية ليست ضمن ملكوت الله : -

ويؤكد المهتدي عبد الأحد ذلك بالبراهين التالية : -

١ - أن النصرانية تعترف بتأسيسها من قبل ثلاثة مؤسسين هم الأب والابن والروح القدس. وعلى ذلك ينبغي أن تكون غير ملكوت الله الذي بشر به المسيح عليه السلام، والذي أسسه ودعا إليه الله الواحد الأحد .

٢ - أن بولس لا يعرف ملكوت الله ، ولكنه كان يبحث عن ملكوت المسيح فقط .

٣ - كل الوسائل النصرانية كالصليب، والتعميد، والقربان المقدس، ودم الحمل المذبح، وغفران الذنوب من قبل الراهب - لا تتفق مع ملكوت الله .

٤ - بما أن النصرانية تعتقد بالتثليث فهي ديانة وثنية شأنها شأن بقية الديانات الوثنية؛ وما دامت وثنية فلا يمكن أن تدخل أو تعتبر ضمن ملكوت الله الواحد الأحد الذي يمقت الوثنية والوثنيين .

٥ - تفتقر النصرانية إلى الكتاب المنزل المتضمن الأوامر النواهي وأحكام العبادات والمعاملات التي تتطلبها الحياة البشرية، وهذا الكتاب الشامل هو قوام الدين وأساسه، وبما أن النصرانية لا تمتلك ذلك؛ لأن كل كنيسة أو فرقة لها نظام خاص بها تتم وفقه عباداتها ومعاملاتها، هذا بالإضافة إلى أن هذه الكتب التي تعتمد عليها لم تكتب بالوحي الإلهي، ثم إن كتب التوراة تناقض الأناجيل - فإذا هي تفتقد الكتاب المنزل الذي هو عماد الدين، وإذا عُدَّ الكتاب؛ عدم الدين، ومن لا دين له فلا يمكن - بحال من الأحوال - أن يكون داخلًا في الملكوت؛ إذا فالنصرانية محرومة من الدين على هذا الأساس، فهي خارج ملكوت الله .

٦ - حسب الشريعة الموسوية فإن من لم يختن يعدّ ملوثاً نجساً، والمسيح نفسه ختن في اليوم الثامن، وكان ملتزماً بالشريعة الموسوية. والنصرانية لا تدين بالختان، فلا يمكن أن يقبل المسيح النصارى الغلف في ملكوت الله .

٧ - تقول النصارى في صلاتهم: (ليأت ملكوتك). وهم يزعمون أن الملكوت هو الكنيسة. فأبي ملكوت يطلبون؟ وهذا يؤكد أنهم خارج الملكوت؛ لأنه لو تحقق لهم بوجود

الكنيسة لتوقف النصارى عن هذا الدعاء^(١).

نزع الملكوت من النصارى :-

يتبين من حكمة الله في جعل آخر الأنبياء من نسل داود حصوراً لا يقرب النساء - وهو يحيى عليه السلام - وتوفي ولم يتزوج ولم ينجب، وكذلك جعل عيسى عليه السلام من غير أب - أن الله أراد أن يقيم دليلاً محسوساً على انقطاع النبوة في نسل إسحاق وإحياء النبوة في ذرية إسماعيل عليه السلام إذ أراد الله بها خيراً فبعث فيها خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، وقد تنبأ حزقيال عن ذلك فقال في الإصحاح السابع عشر مخبراً عن الله أنه قال: (إني أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة، ورفعت الشجرة الوضيعة، وأبيست الشجرة الخضراء، وأفرخت الشجرة اليابسة. أنا الرب تكلمت وفعلت) ومعنى قوله: (وضعت الشجرة الرفيعة). أي أنه أزال شرف الشجرة التي كانت رفيعة القدر بالنبوة والرسالة أبناء إسحاق ويعقوب. (ورفعت الشجرة الوضيعة). أي شجرة سيدنا إسماعيل وهم ذريته بأن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم^(٢). وعندما نفهم تأويل أول هذا النص يتضح المعنى من آخره؛ فلا موجب للاستفاضة في الشرح والتحليل .

وقد صاحب نزع النبوة من بني إسرائيل تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى البيت العتيق وهو مكة .

بشارات لوقا :-

البشارة الأولى : جاء في إنجيل لوقا الإصحاح الثاني أنه ظهر جمهور من الملائكة في الليلة التي ولد فيها المسيح عليه السلام، وترفوا بنشيد سمعه منهم بعض الرعاة، وهذا النشيد هو: (الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد^(٣)) ويرى المهتدي عبد الأحد داود: أنه لا يمكن أن تكون هذه الأنشودة قيلت باللغة اليونانية ؛ وإنما كانت باللغة السريانية، وقد ترجمت هذه الأنشودة إلى اللغة اليونانية على الوجه التالي: (الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض سلامة، وفي الناس حسن رضا). ولا بد من بيان الترجمة

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ، ١٩٣ ، ١٩٨ - ٢٠٤ ، ٢٠٨ .

(٢) انظر المنارات الساطعة ، ص ٥٥ - ٥٩ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) الإنجيل والصليب ، ص ٣٤ ، والنص من ترجمة المؤلف، وانظر لوقا ٢ وقد ورد هذا النص في الطبعة التي بين يدي كالتالي: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة .

الحقيقية لكلمتي «إيريني=السلامة» و «يودوكيا=حسن الرضا» .
أما «إيريني eiriry» فقد ترجمت إلى سلامة ومسالمة وسلام. وهي بمعنى سلم وسلام
ويعاثلها في العبرية «شالوم» ذلك أن الكلمتين متماثلتين تماماً في نصوص الترجمة
السبعينية والعبرية. ومن المعلوم أن لفظة «إسلام» تفيد معاني واسعة جداً، وتشتمل على
ما تشتمل عليه ألفاظ السلم والسلام والصلح والمسالمة والأمن والراحة؛ إذاً إن كلمتي
«إيريني وشلم» تفيدان هذا المعنى بعينه، وعلى ذلك تكون الملائكة قالت: سيؤسس دين
الإسلام على الأرض. وإذا لم تُفهم «إيريني» على أنها دين الإسلام؛ فإن اللفظ يبقى لغزاً
لا يمكن إدراكه .

وتفسر الكنائس كلمة «إيريني» على أنها السلام، ويقولون: إن الوسيلة لتحقيق ذلك
هو: أن الإيمان بالوهية المسيح، وافتدائه الناس من الخطيئة بسبب موته على الصليب -
يجلب السلام والطمأنينة للقلب، ويجعل المؤمنين به يحملون النوايا الطيبة، والإحسان
المتبادل. ولكن الواقع يكذب ذلك؛ لأنه إلى يوم الناس هذا لا يوجد بين الطوائف النصرانية
سلام عام، ولا مصالحة، ولا وحدة دينية، ولا حب متبادل .

وقد تقول الكنائس : إن الذي يحقق هذا السلام هو الطقوس السبعة وبقية الطقوس
الكنسية. ولا تزال هذه الطقوس قائمة تمارس في كل كنيسة، وما يزال السلام مفقوداً،
والطمأنينة مفقودة؛ إذ يجب الاعتراف أمام الكاهن أو القسيس بجميع الذنوب والخطايا
صغيرها وكبيرها. فأين الطمانينة والسلام ؟؟ .

وقد تحاول بعض الكنائس التوصل لهذا السلام عن طريق الصلاة، والعشاء الرباني،
وقراءة الكتاب المقدس .

ويقول المهتدي عبد الأحد داود : إن هذه العبادة تملأ صاحبها تعصباً، ونفوراً، وعزلة،
وتزمتاً، وكراهية للغير، حتى إنه ليفضل أن يلقي كلباً على أن يلقي مسلماً أو يهودياً،
وإن هذا شعور كنت أجده في نفسي لما كنت قساً كاثوليكياً.

وبعد هذا التنفيذ لهذه الوسائل المصطنعة لتحقيق السلام والطمأنينة فإن هناك ثلاث
وسائل حقيقية فقط يمكن الحصول بواسطتها على السلام الحقيقي التام وهي : -

١ - الاعتقاد المتين بوحداية الله المطلقة .

٢ - الخضوع الكامل والاستسلام لمشيئته المقدسة .

٣ - أن يكون الله سبحانه هو محور التفكير والتأمل^(١).

فمن يحقق هذه الوسائل الثلاث فهو مسلم حقيقي وعملي. والسلام الذي يحرزه عن طريقها يكون سلاماً حقيقياً وغير مصطنع .

أما كلمة «يودوكيا eudokia» فلم ترد في النسخة العبرية، ولكن ما الأصل الذي ترجمت عنه؟ إنه عدم محض وضياع، إنها بالتأكيد ترجمة حرفية لكلمة عبرية أو سريانية. وقد ترجمت هذه الكلمة «يودوكيا» إلى أمل صالح، وحسن رضا. لكن لدى الأثوريين النسطوريين كتاب يسمى «قودشادشليحي»، وهو أقدم من مجمع نيقية بكثير، وفي هذا الكتاب «سبرا طابا» أي «بشارة جيدة أو حسنة» وذلك عوض عن «يودوكيا».

إذاً لدينا وثيقتان هما كتاب «قودشا» وكتاب «لوقا»، فأيهما أحرى بالاعتبار؟ .

ولو كانت الملائكة قالت: «أمل صالح» لكان الواجب على لوقا أن يكتب عوضاً عن «يودوكيا» «ايلبيد آغسي» كما أنه لا يقال في اليونانية لحسن الرضا «يودوكيا» بل يقال: «ثليما» وتتبع البنية الصرفية لهذه الكلمة يتبين أن الحرفين «eu» بمعنى حسن جيد صالح ... أما كلمة «دوكيا» فيقول هذا المهتدي: لا أعرف لها استعمالاً في شيء من كتب اللغة اليونانية، وإنما توجد كلمة «دوكونه» وهي بمعنى الحمد، الاشتها، الشوق، الرغبة، بيان الفكر. أما الصفات المشتقة من الفعل «دوكسا» فهي حمد، محمود، نفيس، مشتهى، مرغوب، مجيد .

ثم قارنَ بين أصول هذه الكلمة اليونانية والكلمات العبرية التالية: «ماحاماد، حمدا» ومعانيها، وتبين له أن الكلمة اليونانية «يودوكيا» يجب أن تماثل حرفياً الاسم العبري «حمداً» والكلمتان تعنيان السرور، واللطف، والنفاسة. وأن الكلمة المماثلة في العبرية لكلمة «ماحامود» لا يمكن إلا أن تكون «يودوكسوس eudoxos» وهي بمعنى الشيء المرغوب فيه، المتطلع إليه، اللطيف، المشتهى، النفيس المرضي، المحبوب، المحترم..

وإن إطلاق اسم محمد على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه وسلامه من قبل أبويه الوثنيين ليعتبر معجزة في تاريخ الأديان؛ لأن أهله كانوا وثنيين لا يعلمون شيئاً عن النبوات العبرية ولا عن المخطوطات النصرانية الخاصة بنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يمكن أن يكون هذا الإطلاق من باب المصادفة؛ بل هو دال على العناية الإلهية

(١) لعله قصد من هذا أن يملأ ذكر الله ومراقبته قلب الإنسان وفكره .

والإلهام الإلهي .

ومن هنا يتبين المغزى الروحي للصيغ العبرية لكلمة «حمدا، محمود» هو الثناء، والمدح، والمشهور، والمحتفى به، والمجيد. ولا يمكن أن يكون شيء من المخلوقات أكثر شرفاً ومجداً وحسن ثناءً واستحقاقاً للمدح من محمد صلى الله عليه وسلم، وإن مجده ليتفوق على مجد كل مخلوق آخر^(١).

البشارة الثانية: قال لوقا في الإصحاح الحادي عشر من إنجيله: (إن المسيح قال لتلاميذه: إني قد كنت أرسلتكم وليس معكم كيس ولا ترمال «يعني به المزود» ولا خف، فهل ضرركم، ونقصكم ذلك شيئاً؟. قالوا: لا. قال: أما الآن فليشتر من لم يكن له كيس كيساً، ومن لم يكن له ترمال مزوداً، ومن لم يكن له سيف فليبع ثيابه وليشتر به لنفسه سيفاً)^(٢) قال المهتدي الطبري موضعاً موضع الدلالة من هذا النص: (ولم تزل سنة المسيح وفرائضه التي يستن بها ويدعو إليها هي المسالمة والاستسلام والانسلاخ لا غير، فلما أمر تلاميذه وأعلام دينه في آخر أمره أن يبيعوا ثيابهم ويشترروا السيوف؛ عرف أهل التمييز والفهم أنه إنما أشار بذلك إلى أمر آخر، وحدث متجدد بالنبى صلى الله عليه وسلم، وأشار إلى سيوفه وسهامه التي وصفها الأنبياء قبله^(٣)).

بشارات يوحنا : -

البشارة الأولى : لما ابتدأ يوحنا يعمد الناس في نهر الأردن، وكان ذلك في زمن المسيح عليه السلام، تصدى له اليهود - المكتوب عندهم في التوراة أن المسيح آت وسيأتي بعده نبي - وسألوه سؤالاً كما جاء في الإصحاح الأول: (هل أنت المسيح؟ هل أنت إيلياء؟، وعندما أجابهم بالنفي قالوا: إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء ولا ذلك النبي المنتظر؛ إذا فلماذا تعمد^(٤)؟؟). قال المهتدي الهاشمي بعد هذه البشارة: (من سؤال اليهود ليوحنا نستطيع أن نستنتج أن هناك نبياً بشرت به كتبهم؛ حيث أن السؤال كان في عهد السيد

(١) انظر الإنجيل والصليب، ص ٣٣ - ٥٢، ١٠٢ - ١٠٣، ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٤٥ - ١٦٥ .

(٢) الدين والدولة، ص ١٦٨، ولوقا ٢٢ .

(٣) الدين والدولة، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٤) البحث الصريح، ورقة ٢٣ / ب، ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٦٨، وسر إسلامي، ص ١١٠، ويوحنا ١ .

المسيح، وأن إيلياء نبياً من أنبياء بني إسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح^(١). ويطرح المهتدي عبد الأحد داود عدة تساؤلات ملزمة حول هذا النص وهي :

من يعني أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم: ذلك النبي؟ وإذا كنتم تدعون معرفتكم مقصد رجال الدين العبرانيين، فهل يعرف باباواتكم ويطارقتكم من هو ذلك النبي؟ وإذا كانوا لا يعرفون فما الفائدة الدنيوية من هذه الأناجيل المشكوك في صحتها؟ وإذا كان الأمر على العكس، وكنتم تعرفون من هو ذلك النبي فلماذا تبقون صامتين^(٢)؟

ويستنتج المهتدي الشيخ زيادة من هذه البشارة: أن اليهود منذ زمن موسى إلى زمن مجيء المسيح عليهما السلام كان يتداول بينهم - نقلاً عن آباءهم وأجدادهم - أن الله يرسل نبياً . وهم بانتظار ثلاثة أفراد عظام هم: إيلياء والمسيح والنبي. فحيث جاء إيلياء والمسيح لم يبق إلا «النبي» الذي ينتظرونه، وقد ورد في هذا النص بعد المسيح فتعين أن هذا النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قد جاء بعد المسيح عليهما الصلاة والسلام .

وهذه البشارة تفند ادعاء اليهود أن بشارة موسى عن نبي يقيمه الله لهم^(٣). دالة على يوشع بن نون؛ لأنه لو كان المقصود بها يوشع لما ظل اليهود إلى زمن المسيح يسألونه عن ذلك النبي. وتفند - أيضاً - ادعاء النصارى بأن بشارة موسى السابقة مقولة على المسيح عليهما السلام؛ لأن علماء اليهود قالوا ليوحنا: (إن كنت لست المسيح ولا إيلياء ولا النبي). وهذا يدل على أن هذا النبي غير المسيح عليه السلام^(٤) .

البشارة الثانية : قال يوحنا في الفصل الخامس عشر من إنجيله إن المسيح عليه السلام قال: (إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء) وقال - أيضاً - في الفصل السادس عشر: (إن الفارقليط لن يجيئكم مالم أذهب، فإذا جاء ويخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، لكنه يسوسكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب)

(١) سر إسلامي ، ص ١١٠ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٨ .

(٣) سبق الحديث عن هذه البشارة في ص ٣٤١ من هذا البحث .

(٤) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٣ / ب ، ٢٤ / أ .

وقال - أيضاً - إنني سائل أبي أن يرسل إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد^(١) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن النص الأخير لا يتضح المعنى المراد منه إلا بإعادة الكلمات المسروقة أو المحرفة فتكون الصيغة الصحيحة كالتالي: (وسوف أذهب إلى الأب، وسيرسل لكم رسولاً سيكون اسمه «البرقليطوس»؛ لكي يبقى معكم إلى الأبد) والكلمات التي أضافها هي ما تحتها خط .

هذه البشارة تكاد أن تكون محل إجماع من هؤلاء المهتدين، وسيكون الحديث عنها من جانبيين : -

الجانب الأول : بشارة المسيح عليه السلام بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال النقاط التالية:-

١ - أن هذا النبي الذي بشر به المسيح عليه السلام علم الناس ما لم يعلموه من قبل، ولم يكن في تلاميذ المسيح ومن بعدهم من علم الناس شيئاً غير الذي كان علمهم المسيح^(٢) .
٢ - تضمن هذا النص أن هذا الشخص المبشر به لا يتكلم من تلقاء نفسه، ويخبر بالحوادث والغيوب، ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد تواتر عنه إخباره بالحوادث المقبلة والغيوب التي تحققت في حياته وبعد مماته. وتتفق هذه البشارة مع بشارة موسى عن هذا النبي المنتظر عندما أخبر أن الله قال: (وأجعل كلامي في فيه^(٣)). وقد سبق الحديث عن هذه البشارة ضمن بشارات العهد القديم

٣ - أن هذا النبي المنتظر بكّت العالم على الخطيئة، ولا خطيئة أعظم من الشرك، ولم يقتصر عمل محمد صلى الله عليه وسلم على اقتلاع الشرك من جزيرة العرب، وبعث رسله وكتبه إلى ما جاوره من الدول والإمبراطوريات يدعوهم إلى عبادة الله وحده؛ بل لما لم تقبل

(١) الدين والدولة ، ص ١٨٤ ، وانظر النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٩ ، وتحفة الأريب ، ص ٢٦٧ ، والبحث الصريح ٢٤ / ب ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢١٩ ، والمنارات الساطعة ٦٧ ، وسر إسلامي ، ص ١١٣ ، ١١٧ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٤٧ ، والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص ١٢٥ ، ويوحنا ١٤ ، ١٦ ، وهي الطبعة المحدثّة «المعزي» بدلاً عن «الفارقليط» .

(٢) انظر الدين والدولة ، ص ١٨٤ ، والنصيحة الإيمانية ١٤٠ ، وتحفة الأريب ، ص ٢٦٨ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٧٠ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٤٧ - ٤٨ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٢٨ . وسبق الحديث عنها في ص ٣٤١ من هذا البحث .

دعوته استل سيفه مؤذناً بإعلان الحرب على الشرك مهما كان موقعه^(١) .
٤ - أن الشخص المبشر به يؤنب العالم. ولقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه. واعتقد النصارى أن المسيح قد صلب وأنه الله أو ابن الله . ولم يزل العالم هذا الاعتقاد حتى جاء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وجلى كل الحقيقة عن المسيح من أنه عبد الله ورسوله، وأنه لم يصلب ولم يقتل؛ بل رفع إلى السماء^(٢) .

٥ - في هذا النص صرح المسيح عليه السلام أن الشخص المبشر به هو «روح الحقيقة» ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أظهر كل الحقيقة عن الله وعن وحدانيته ورسالته وكتبه ودينه، وصحح كثيراً من الافتراءات والأكاذيب التي كانت مدونة ومعتقداً بها، فهو الذي وبَّخ النصارى على اعتقادهم في الثالوث، وادعاهم أن المسيح هو ابن الله ، وكشف مفتريات اليهود والنصارى ضد أنبياء الله ورسالته، وطهر ساحتهم من الدنس والعيب الذي ألحقه بهم اليهود^(٣) .

٦ - ذكر المهتدي الترجمان في سبب إسلامه أن أحبار النصارى كان لهم مجلس يجتمعون فيه، ويتذاكرون فيه ألقاباً من المسائل، فاختلفوا يوماً حول النبي الذي يأتي بعد المسيح والمسمى في الإنجيل « البارقليط » وانفض المجلس في ذلك اليوم ولم يصلوا إلى حقيقة هذا اللفظ، وقد تخلف عنهم في ذلك اليوم أكبر علمائهم، فلما رجع الترجمان إليه أخبره الخبر، وطلب الترجمان من هذا العالم أن يبين له الحقيقة فأخبره: أن «البارقليط» هو اسم من أسماء نبي المسلمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم^(٤) .

٧ - استخرج المهتدي الطبري من لفظة «الفارقليط» سراً عجيباً وهو: أنه إذا حسبته الحاسب بالحساب الجُمَّل وجد ما يجتمع من حروفه مساو لما يجتمع من حروف: محمد بن عبد الله النبي الهادي^(٥) .

٨ - قال المهتدي الهاشمي: (إنه جاء في الإنجيل المكتوب باللغة القبطية الذي كتبه أحد البطارقة في سنة ٥٠٦ م ما معناه : الآتي بعدي يسمى الفارقليط بندكراطور. أي الروح

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٢٢٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

(٣) انظر المصدر السابق، ص ٢٢٦ ،ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٥٢ .

(٤) انظر تفاصيل هذه الحادثة في تحفة الأريب ، ص ٦٦ - ٧١ .وسبق إيراد مجملها في ص ١٣١ من هذا البحث .

(٥) انظر الدين والدولة ، ص ١٨٥ .

المنشق اسمه من اسم الحمد، سببعت الحياة في أمة ليست لها من الحياة نصيب إلا الضلال في بركة فاران كجحاش الأتن . وذكر أن هذا الإنجيل منزوع الغلاف، وذكر كاتبه في ديباجته أنه نقلاً من أصول الإنجيل الحقيقي^(١).

٩ - استخراج هؤلاء المهتدون تطابق كلمة « البارقليط » مع اسم محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وبيان هذا التطابق كما يلي : -

أ - هذا الاسم « بارقليط » يوناني. وتفسيره باللغة العربية أحمد أو محمد أو محمود^(٢). وقال المهتدي عبد الأحد داود: ومن المدهش أن الاسم الفريد الذي لم يعط لأحد من قبل كان محجوزاً بصورة معجزة لأشهر رسل الله وأجدرهم بالثناء، ونحن لانجد أبداً أي يوناني كان يحمل اسم « برقليطس » ولا أي عربي كان يحمل اسم أحمد^(٣).

ب - قال المهتدي عبد الأحد داود موضحاً هذا التطابق: (إن التنزيل القرآني القائل بأن عيسى ابن مريم أعلن لبني إسرائيل أنه كان « مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » - واحد من أقوى البراهين على أن محمداً كان حقيقة نبياً، وأن القرآن تنزيل إلهي فعلاً؛ إذ لم يكن في وسعه أبداً أن يعرف أن كلمة البارقليط كانت تعني أحمد إلا من خلال الوحي والتنزيل الإلهي، وحجة القرآن قاطعة ونهائية؛ لأن الدلالة الحرفية للاسم اليوناني تعادل بالدقة ودون شك كلمتي « أحمد » و« محمد »^(٤) صلى الله عليه وسلم .

ج - أن اسم البارقليط لفظة يونانية يجتمع من معانيها في القواميس المعزي، والناصر، والمنذر، والداعي. وإذا ترجمت حرفاً بحرف إلى اللغة العربية صارت بمعنى « الداعي » وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم، وقد وصف في القرآن الكريم بمثل ذلك في قوله تعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه) وقد فهم أوائل النصارى أن هذه اللفظة إنما تعني الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم^(٥).

ولقد اختلفت رواية هؤلاء لهذا اللفظ في صيغ متعددة فمنهم من أوردها بلفظها كما

(١) سر إسلامي ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٦٧ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٢٣ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٥١ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٢٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(٥) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٥ / ب والآية ٤٥ . ٤٦ من سورة الأحزاب.

وردت في الأناجيل، ومنهم من أوردتها كذلك واجتهد في إرجاع الكلمة إلى أصولها اليونانية، وحاول بيان الصيغة الصحيحة لها. ولعل مرد ذلك إلى عدة أمور منها :-
الأول: هذه اللفظة نقلها الإنجيلي الرابع «يوحنا» بلغته اليونانية، وهي قطعاً ليست لغة المسيح عليه السلام، ولم يعلم هؤلاء ولا من كان قبلهم - ممن لم يعاصر المسيح - ما هي اللفظة التي استعملها المسيح، هل كانت البرقليط أو الفارقليط أو البارقليط...؟؟.

الثاني: تخضع الترجمة من لغة إلى أخرى إلى إتقان المترجم لكلا اللغتين، ثم إلى توفيقه في اختيار الكلمة المناسبة في اللغة المنقول إليها.

أما الصيغ التي روي فيها هذا الاسم فهي كالتالي :-

١ - الفارقليط عند المهتمي الطبري^(١).

٢ - البارقليط لدى المهتمي المتطبب والشيخ زيادة وإبراهيم خليل، وقال المهتمي إبراهيم خليل: (إن ملحوظة باهرة تستوقف الإنتباه هي التشابه بين كلمتي parakletos و periklytos اليونانيتين. فالحروف الساكنة تتشابه تماماً، وإنما الخلاف في الحروف المتحركة فقط؛ الأمر الذي يزيد في احتمالات استعاضة كلمة مكان أخرى، أو حذف كلمة نتيجة عبور البصر «تخطي البصر» عند النسخ^(٢)).

٣ - أورد المهتمي الترجمان صيغتين هما: «بارقليط» و«باللطي براكلتس»، ونص على أن الصيغة الأخيرة في الإنجيل^(٣).

٤ - استعمل المهتمي عبد الأحد داود البارقليط كمصطلح، ولكنه يرى أن الصيغة اليونانية هي «بيريكلايت» periclyte و«براكليتوس» paraklytos^(٤).

٥ - يرى المهتمي التجار أن المعزى الروح القدس الوارد في النص جاء في النسخة اليونانية هكذا «hepikahtoz» وبالإفرنجي «pericletos»^(٥).

(١) انظر الدين والدولة، ص ١٨٤.

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٥١، وانظر النصيحة الإيمانية، ص ١٤٠، والبحث الصريح، ورقة ٢٥ / ب.

(٣) انظر تحفة الأريب، ص ٢٦٧.

(٤) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٢١١، ٢١٨.

(٥) المنارات الساطعة، ص ٦٧.

٦ - «الفارقليط بندكراطور» لدى المهتمي الهاشمي^(١).

ولقد انتصب المهتمي عبد الأحد داود مجتهداً في الدفاع عن هذا الاسم، ونفى أن يكون المراد به « المعزي أو الوسيط أو الشفيح » كما في بعض الترجمات المعاصرة، ويبيّن أنه لا يدل على ذلك؛ وإنما يدل على محمد صلى الله عليه وسلم بصفته الأكثر شهرة أو الأكثر مجداً وحيداً. وأستعرض ما قاله في الأسطر التالية :-

١ - أن الكلمة اليونانية التي تعني المعزي هي «باركلون» وليست «باركليتوس».

٢ - أن الاعتقاد بأن عيسى قتل على الصليب فداءً للمؤمنين من الخطيئة تركهم دون حاجة إلى عزاء، وإذا كانوا بحاجة إلى عزاء بعد تضحية المسيح وصلبه - حسب زعمهم - تصبح هذه العقيدة باطلة ومتهافة .

٣ - لم يكن النصرى بحاجة إلى معز بقدر ما كانوا بحاجة إلى محارب ظافر يسحق قوى الشر أمامهم، ويضع حداً لمتاعبهم واضطهادهم .

٤ - إن فكرة وسيط بين الله وبين خلقه هي أكثر استحالة من فكرة المعزي؛ إذ لا يوجد وسيط مطلق بين الله وخلقه إلا الوجدانية والعبودية .

٥ - أن الشفاعة تتوقف على إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له .

٦ - أن الإيمان بالوسطاء والشفعاء يقود البشر إلى عبادة الأضرحة والتماثيل وزيادة نفوذ الرهبان والقساوسة. وأثبت بعد ذلك أن هذه اللفظة «باراكليتوس paraklytos» إنما تعني الأشهر أو الجدير بالحمد^(٢).

والحقيقة أن الكلمة التي قالها المسيح بلغته التي خاطب بها قومه - فهم منها المخاطبون أن هناك رسولاً قادماً يسمى أحمد، وأن هذه الكلمة التي قالها لو حفظت كما نطق بها ثم ترجمت ترجمة أمينة إلى اللغة العربية لا يمكن أن تكون ترجمتها سوى «أحمد»؛ لأن منهج القرآن في حكاية واقع ما أو حادثة ماضية : هي الالتزام بنص الواقع الذي حدث كما في قصة إبراهيم وموسى ويوسف وعيسى ومشركي قريش، وأوضح من ذلك ما أخبر الله عنه في القرآن من خير المسيح مع قومه وأنهم قالوا: (المسيح ابن الله). بلغتهم التي يتحدثون بها و ترجمة مقولتهم تلك إلى اللغة العربية تطابق الحدث الماضي مع الخبر، والمسيح بنص

(١) انظر سر إسلامي . ص ١١٣ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢١٦ - ٢١٨ .

القرآن بشر قومه برسول يأتي من بعده اسمه أحمد. ولو ذكر المسيح أنه سيأتيهم مخلص أو معز أو محام لذكر الله ذلك في القرآن. فعلى ذلك تكون «البارقليط» أو «الفارقليط» إذا ترجمت إلى اللغة العربية: أحمد. والله الموفق والهادي للصواب.

هذا اللفظ «البارقليط» - لم يسلم من تحريف النصارى سواء كان هذا التحريف تحريفاً لفظياً أم تحريفاً دلالياً. فقد استبدل في الطبقات الحديثة بـ«المعزي» واعتبر دالاً على الروح القدس بدلاً من دلالاته على خاتم الأنبياء والمرسلين. وفند هؤلاء المهتدون هذا الادعاء بالحجج التالية: -

١ - أن الروح القدس يوصف في العهد الجديد بأنه شيء آخر غير مشخّص، كما أنه ليس شخصية مستقلة، فوصف على أنه هبة الله، ووصف بالوصف المحير لا هو مذكر ولا مؤنث ...

٢ - أن آباء النصارى الأولون لم يفهموا أن الروح القدس هي البارقليط؛ وإنما اختلفت آراؤهم حول الروح القدس فبعضهم يصفه بأنه العنصر الإلهي في المسيح، وبعضهم يصفه بأنه صفة إلهية، وفيض إلهي، وبعضهم يجعلونه من مخلوقات الابن^(١).

٣ - يرى المهتدي موريس بوكاي أنه ثبت في النص أن «البارقليط» المفسر بالروح القدس يسمع ويتكلم. وبعد رجوعه إلى الاختلافات النصية؛ وجد أن النص يدل على استعمال كلمة «الروح القدس» وخرج من ذلك بأن يوحنا استخدم عبارة «الباركلييت» للإشارة إلى المسيح باعتباره وسيطاً بين الله وخلقه، واستنتج من ذلك أن «الباركلييت» كائن بشري مثل المسيح قادر على الحديث والاستماع. إذاً المسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض؛ ليقوم بواجب الرسالة والبلاغ. ويرى أن هذا هو التفسير المنطقي إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلي^(٢).

٤ - لا تعني هذه العبارة أن النبي الآتي سيكون غير إنسان؛ ففي كتاب العهد الجديد اليوناني أن عبارة الروح القدس استخدمت للتعبير عن الإنسان الموحى إليه^(٣).

٥ - أن الروح القدس الذي حلّ على التلاميذ - كما يزعمون - وفُسر به الفارقليط لم يسم

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١١٢ - ٢١٦ .

(٢) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

(٣) انظر محمد في التوراة والإنجيل ، ص ٥٣ .

بارقليطاً^(١).

البشار الثالثة: قال يوحنا في الإصحاح الرابع عشر مخبراً عن المسيح أنه قال: (وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم^(٢)). وقد تبين في البشارة السابقة أنه تم تحريف البارقليط إلى المعزي. كما تبين نفي الادعاء القائل بأن المعزي أو البارقليط هو الروح القدس .

البشارة الرابعة : قال يوحنا في إنجيله الإصحاح الرابع عشر مخبراً عن المسيح أنه قال: (لا أتكلم - أيضاً - معكم كثيراً؛ لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء^(٣)) قال المهتدي النجار: (أي ليس من بني قومي). ولم يأت نبي بعد المسيح من غير بني إسرائيل سوى محمد صلى الله عليه وسلم .

البشارة الخامسة: قال يوحنا في إنجيله الإصحاح الخامس عشر مخبراً عن المسيح أنه قال: (وإذا جاء البارقليط الذي أرسله إليكم من عند الآب روح الحق، الذي من الآب ينبثق، هو يشهد لي، وأنتم - أيضاً - شاهدون^(٤)). ويرى المهتدي الشيخ زيادة أن هذه البشارة تدل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه سمي فيها بالبارقليط، ووصفه بأنه يشهد له، وسمي ثانية بأنه روح الحق، وذكر أنه من الآب ينبثق. وهي بمعنى يرسل كما هي في قواميس اللغة اليونانية.

ويظهر من قوله: (هو يشهد لي). أن عيسى عليه السلام قصد شخصاً آخر غير الحواريين؛ إذ لو كان الشاهد واحداً لما قال: هو يشهد لي. بصيغة الزمان البعيد - كما في اللغة اليونانية - بمعنى سوف يشهد لي. وقال وأنتم - أيضاً - شاهدون بصيغة الزمان القريب^(٥).

البشارة السادسة: قال يوحنا في إنجيله الإصحاح السادس عشر مخبراً أن المسيح قال: (إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعوا أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو سيرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٥ / أ .

(٢) المنارات الساطمة، ص ٦٧، وانظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٤٨، ٥٦، ٥٧، ويوحنا ١٤.

(٣) المنارات الساطمة ، ص ٦٧ ، ويوحنا ١٤ .

(٤) البحث الصريح ، ورقة ٢٤ / ب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٤٨ ، ويوحنا ١٥ .

(٥) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٥ .

يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية، ذاك يمجدني^(١)). قال المهتدي النجار: (وهذه البشارة في معنى قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى^(٢)). وقال المهتدي الهاشمي معلقاً على هذه البشارة: (والمسيح يبصر أمته بأن لديه أموراً كثيرة تفوق طاقة احتمالهم، وأنه سيأتي الوقت المناسب لمجيء الرسول الذي يعنيه بالروح الحق. فتكون العقول قد تفتحت، والقلوب قد ذهب عنها رينها، والنفوس قد ألهمت بعد فجورها تقواها، في هذه اللحظة - فقط - يكون الناس قد استعدت أفهامهم، واتسعت مداركهم؛ لاحتتمال كل ما يلقى إليهم على لسان هذا النبي الذي لا يتكلم من نفسه؛ وإنما من وحي يوحى إليه من ربه بالقرآن^(٣)).

ويذكر المسيح عليه السلام بعض أوصاف هذا الرسول الخاتم التي تساعد على تمييز شخصيته منها قوله: (ذاك يمجدني). فمن صفات هذا الرسول أنه يجدد المسيح، ولم يأت أحد بعد المسيح ويمنحه من التمجيد والثناء ما يستحقه، ويرفع عنه وعن أمه افتراءات اليهود، ويضعه في المنزلة التي وضعه الله فيها - وهي العبودية والرسالة - سوى محمد صلى الله عليه وسلم. ومن صفات هذا الرسول أنه سيرشد الخلق إلى أمور وحقائق لم يبلغها المسيح، وذلك في قوله: (ويخبركم بأمر آتية^(٤)).

بشارة سفر أعمال الرسل:

قال المهتدي الطبري أنه جاء في كتاب فراكسيس قول رئيس الخواريين: (إنه قد حان أن يبتدأ الحكم ابتداءً من بيت الله^(٥)) قال المهتدي الطبري: (وتفسير ذلك أن بيت الله الذي ذكره الخواري هو مكة، وفيها كان ابتداء الحكم الجديد لا من غيرها. فإن قال قائل: إنه عنى به حكم اليهود. فقد كان أخبرهم المسيح أنه لا يترك في بيت المقدس حجر على حجر حتى ينسف ويبقى على الخراب إلى يوم القيامة، فقد وضع أن الحكم الجديد الذي ذكره

(١) المنارات الساطعة، ص ٦٧، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٥.

٥٦، ٧٢، ٧٥، وسر إسلامي، ص ١١٨، ويوحنا ١٦.

(٢) المنارات الساطعة، ص ٦٧، والآية ٤.٣ من سورة النجم.

(٣) سر إسلامي، ص ١١٨.

(٤) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٥٥.

(٥) الدين والدولة، ص ١٨٦.

الحواري هو دين الإسلام وحكمه^(١) .

بشارة بولس في رسالته إلى أهل غلاطية:—

قال فولس^(٢) في رسالته إلى أهل غلاطية : (إنه كان لإبراهيم إبنان أحدهما من أمة والآخر من حرة، وقد كان مولد ابنه الذي من الأمة كمولد سائر البشر، فأما مولد الذي من الحرة فإنه ولد بالعدة من الله. فهما مثالان مشبهان بالفرضين والناموسين، فأما هاجر فإنها تشبه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا الذي هو نظير أورشلم هذه، فأما أورشلم التي في السماء فهي نظير امرأته الحرة^(٣)). قال المهتدي الطبري : (فقد ثبت فولس في قوله هذا معاني جمّة :-

أولها: أن إسماعيل وهاجر قد كانا استوطننا بلاد العرب، وهي التي سماها بلاد أرابيا. الثاني: أن جبل سينا الذي بالشام يتصل ببلاد البوادي بقوله: إن هاجر تشبه بطور سينا الذي ببلاد أرابيا. وسينا هو الذي ذكرته التوراة في صدر هذه النبوات في قولها: (إن الرب جاء من سينا، وطلع لها من ساعير، وظهر من جبل فاران^(٤)). فشهد فولس هذا بأن الرب الذي قالت عنه التوراة : إنه جاء من سينا: هو النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي ظهر في بلاد أرابيا. وأين يكون من الإبانة والإيضاح أكثر من تسمية بلاد أرابيا التي عنى بها بلاد العرب .

الثالث: أن بيت المقدس هو نظير مكة .

الرابع : أن هذا الناموس الثاني والفريضة الثانية وهي « الشريعة الإسلامية » سماوية لا شك فيها؛ فقد سماهما باسم واحد، ولم يفرق بينهما بمعنى من المعاني . فأما تقديم الحرة، وقوله: (ابن الأمة لم يولد بالعدة). فذلك منه بالعصبية والميل، وفيما استشهدت به من قوارع التوراة على إسماعيل ما فيه كفاية وبرهان على أنه - أيضاً - ولد ليس بعدة واحدة بل بعدات كثيرة^(٥) .

(١) الدين والدولة، ص ١٨٦ . ولم أجد هذا النص في الطبعة التي بين يدي .

(٢) هكذا ورد عند المهتدي الطبري بالفاء .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٨٧ ، ورسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ .

(٤) سبق الحديث عن هذه البشارة في صدر هذا الفصل، انظر ص ٣٤٤ .

(٥) الدين والدولة ، ص ١٨٨ .

بشارة يوحنا في رسالته: قال يوحنا في رسالته: (لا تؤمنوا يا أحبائي بكل روح، بل ميزوا الأرواح التي من عند الله، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدياً فهو من عند الله، وكل روح لا يؤمن بأن المسيح كان جسدياً فليس من عند الله^(١)). قال المهتدي الطبري: (وقد آمن النبي صلى الله عليه وسلم بأن المسيح قد جاء، وأنه جسدي، وأنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم؛ فروحه إذاً بشهادة يوحنا روح صادقة برة من عند الله عز وجل^(٢)).

ليست هذه البشارات التي أوردتها هي كل مافي التوراة والإنجيل، وليست - أيضاً - هي كل ما استطاع هؤلاء المهتدون استنباطه منهما؛ لأنهم أوردوا نماذج منها للتدليل على نبوته صلى الله عليه وسلم، ويؤكد ذلك قول المهتدي الترجمان: (ولو ذكرت جميع ما في كتب الأنبياء المتقدمين من ذلك - أي البشارات - لطال الكتاب، وأنا أرجو أن أجمع لبشارات جميع الأنبياء به كتاباً مجرداً لذلك^(٣)). وقال المهتدي النجار بعد ذكره لعدد من البشارات: (وهذا قليل من كثير^(٤)).

وقد استخلص المهتدي إبراهيم خليل خلاصة هذه البشارات بنينا محمد صلى الله عليه وسلم فوجد أنها تؤكد جانبيين هما :-
١ - أنه الرسول الخاتم ولا نبي بعده .

٢ - أنه رسول الله للعالمين كافة. وأيد هذين الجانبين أو الوصفين بعشرين سبباً استخرجها من نصوص العهد القديم والجديد^(٥).

وقال المهتدي الطبري بعد فراغه من الاستدلال بالبشارات: (ولقد صرح عدة منهم - أي من أنبياء بني إسرائيل - باسم النبي صلى الله عليه وسلم، ووصفوه أيضاً وسيأفيه ورُماته، وسير المنايا وسباع الطير أمام عساكره... فهذه - أي البشارات - كلها محققة لدينه،

(١) الدين والدولة ، ١٨٥ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٥٣ ، ٥٥ ، ورسالة يوحنا الأولى ٤ .

(٢) الدين والدولة ، ص ١٨٥ .

(٣) تحفة الأريب ، ص ٢٨٣ .

(٤) المنارات الساطعة ، ص ٦٦ . وانظر شهادة الهاشمي بمثل ذلك في سر إسلامي ، ص ١١١ .

(٥) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٦١ - ٦٢ . ونظراً لطولها أثرت الإحالة عليها؛ رغبة في الإيجاز .

ومفخمة لشأنه، ومصدقة لما أدت دعواته عنه^(١) .

هذه البشارات التي استعرضتُ جانباً منها تبين اتفاق كثير منها في ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم، وصفته، وصفة جهاده وجنوده، وبلده وأمه ولغته... فماذا يعني هذا التوافق والتعاقد؟ إن هذا التعاقد يعني أموراً كثيرة لعل من أبرزها ما يلي :-

١ - أن هذه الرسائل كلها من عند الله، وهذه التحريف الذي طرأ عليها وأثبتته القرآن، ولا ننفية عنها - لم يستطع أن يخفي المعنى الذي ورد أصلاً في اللفظ المنزل .

٢ - أن كتب الله ورسله يصدق بعضها بعضاً، ويؤمن بعضها ببعض، فالسابق يبشر باللاحق، واللاحق يؤمن بالسابق، فإبراهيم آمن بما سبقه من رسل، وسأل الله أن يبعث في ذريته رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة، وموسى آمن بإبراهيم ومن سبقه وبشر بعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وعيسى آمن بمن سبقه وبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٣ - أن ما ورد من الحق فلا يخرج عن الصدق، ولا يناقض بعضه بعضاً، وأن ما ورد من الباطل فلا يكون حقاً أبداً .

٤ - يتأكد من هذه النبوات شيء واحد؛ وهو أن هذا النبي الذي بشرت به الأنبياء معروف لديهم كافة .

٥ - أن ظهور الرسالة المحمدية والملة الإسلامية على يد خاتم الرسل يعتبر آية لنبوتهم؛ إذ تحقق صدق ما أخبروا به، وظهور ما بشروا به. ولو لم يظهر لبطلت النبوات فيه وفي إسماعيل عليهما السلام .

٦ - توافق هذه النبوات في حق محمد صلى الله عليه وسلم يدل على فضيلته وانفراده بهذا الشرف الرفيع بين سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

٧ - توافق هذه النصوص مؤيد لما أخبر به صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة من أنه مذكور في الكتب المتقدمة .

٨ - نستشف من هذا التوافق عناية الله بهذه الأمة، ورعايته لها، وحفظه لدينها؛ لا حاجة هذا الدين إليها، وإنما لإقامة الحجّة على أهلها .

٩ - أن البشر على عتوهم وتمردهم وعملهم بوحى من الشيطان في اتباع خطواته في محاولة طمس نور الله وإضلال عباده - لا يستطيعون أن يطفئوا نور الله، يقول الحق تبارك

(١) الدين والدولة ، ص ١٨٩ .

وتعالى بعد ذكره بشارة المسيح عليه السلام بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم : (يريدون
ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون^(١))
١٠ - رأينا في البشارات السابقة كيف أثبت هؤلاء المهتدون اسم النبي محمد صلى الله
عليه وسلم وصفته في التوراة والإنجيل، ورأينا كذلك كيف استبدلت هذه الأسماء وغيّرت
الأوصاف في الطبقات الحديثة؛ كفرة وحسداً وحقداً .

(١) سورة الصف ، الآية ٨ .

الفصل الثالث

تحريف التوراة والإنجيل

ويشتمل على المباحث التالية : -

- ١ - المبحث الأول : العهد القديم .
- ٢ - المبحث الثاني : العهد الجديد .

تتجه وجهة البحث في هذا الفصل وجهة مغايرة لما سبق - نوعاً ما - فلئن كانت مسيرة البحث في الباب الأول هي التعريف والتقييم والنقد؛ فهي في الباب الثاني تتجه إلى الإثبات والنقض والتفنيد، فقد أثبت^١ - ولله الحمد - بأقوال هؤلاء المهتمين أن أساس الرسالات الإلهية هو التوحيد، ونقضت بأقوالهم - أيضاً - ادعاء النصارى في الأبوة والبنوة والثالوث والصلب... ثم أثبت^٢ في الفصل الثاني - من هذا الباب - بشارة أنبياء بني إسرائيل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال نصوص التوراة والإنجيل. واتجاه هذا الفصل هو الإثبات، ولكنه إثبات من نوع آخر، إنه إثبات تحريف التوراة والإنجيل، وضياح نسخهما الأصلية، وتدوينهما بعد مضي زمن طويل على نزولهما من قبل من لم يصاحبوا هؤلاء الرسل، ولم يشاهدوا تلك الأحداث التي نقلوها .

والحديث عن تحريف التوراة والإنجيل يستدعي الحديث عن حقيقتهما، وأصولهما، وكتابتهما ... وهذه النقاط أو القضايا هي ما ستتجه إليه الدراسة والبحث في هذا الفصل.

حقيقة التوراة والإنجيل : إن التوراة والإنجيل كتابان أنزلهما الله على عبديه ورسوليه موسى وعيسى عليهما السلام، وقد اشتملا على الشريعة التي أنزلها الله عليهما، قال تعالى: (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل^(١)) وقال عز وجل: (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا^(٢)) .

وقد كانت - كما أراد الله لها وفق حكمته وسابق تدبيره - كتباً مؤقتة بزمن، لذلك لم يتكفل الله بحفظها، وإنما استحفظ عليها أهلها فأضاعوها، قال تعالى: (بما استحفظوا من كتاب الله^(٣)). ولم ترد في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة التي أشارت إلى التوراة والإنجيل - الإشارة إلى أجزائهما أو أقسامهما، بل إن القرآن أشار - فيما يتعلق

(١) سورة آل عمران ، الآية ٣ .

(٢) سورة المائدة ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) سورة المائدة ٤٤ .

بالإنجيل - إلى إنجيل مفرد أنزل على المسيح عليه السلام، وما يوجد في واقع النصرانية اليوم أناجيل متعددة وليس إنجيلاً واحداً. وليس بينها ما ينسب إلى المسيح عليه السلام. أما العهد القديم - المشتغل على التوراة - فيقع في تسعة وثلاثين سراً تنسب الخمسة الأولى منها - فقط - إلى موسى عليه السلام .

وينبغي تجاه هذه التوراة والإنجيل التي بأيدي هؤلاء القوم عدة أمور هي : -

١ - الإيمان بأن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، ولا جدال في أن ما أنزل عليهما كان وحياً من الله متضمناً ما أراد الله إبلاغه لتلك الأمم .

٢ - الإيمان بأنه دخلهما التحريف، وقد بينتُ شيئاً من هذا التحريف في هذا الفصل .

٣ - تضمنت التوراة والإنجيل عدداً من الأخبار والأحكام فما وافق منها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قبلناه؛ لأنه جاء ما يصدقه في شرعنا، وما خالف ذلك رددناه، وما كان مسكوتاً عنه فلا يصدق ولا يكذب لقوله تعالى: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون^(١)) وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل .. الآية^(٢))، ولا جدال في أن ما أنزل عليهما كان وحياً متضمناً ما أراد الله إبلاغه لتلك الأمم .

٤ - مع اعتقادنا اشتغالهما على التحريف والتبديل فنعتقد أنه لا تجوز إهانتهم؛ خشية أن يكون فيهما شيء من بقية كلام الله .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٣٦ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات ، باب ٢٩ .

المبحث الأول : العهد القديم

المطلب الأول ، التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام .-

بينتُ في مقدمة هذا الفصل حقيقة التوراة وأنها كتاب أنزله الله على موسى عليه السلام، قال تعالى : (قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين . وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكهم دار الفاسقين^(١)) هذا الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام من المؤكد شرعاً وعقلاً أنه ظل مع موسى عليه السلام حتى وفاته، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: أين كانت التوراة بعد وفاته عليه السلام؟. وقبل أن استقرئ أقوال هؤلاء المهتمدين للإجابة على هذا السؤال؛ نتلمس الهدى في القرآن الكريم حيث جاء فيه قوله تعالى : (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها^(٢)) . وقوله تعالى: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا^(٣)) . وقوله تعالى: (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيته مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين^(٤)) واختلفت أقوال المفسرين حول هذه البقية المشار إليها في الآية فقالوا : إنها عصا موسى ، وعمامته، وثيابه ولوحان من التوراة. وقيل البقية الجهاد^(٥) . وقوله تعالى عن المسيح عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل: (إني

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٤٨ .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، طبعة دار الكاتب العربي ، تصويراً عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة^(١) . وقوله تعالى مخاطباً المسيح عليه السلام: (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل^(٢)). هذه الآيات بعض ما في كتاب الله الكريم عن بقاء التوراة في بني إسرائيل بعد زمن موسى بزمن طويل .

بل لا أبتعد عن الحقيقة إذا قلت إن بعض الألفاظ التي أنزلت على موسى عليه السلام كانت متوارثة فيهم حتى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي؛ يؤكد ذلك قوله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل^(٣)) ويعزز هذا ما ورد في الحديث الصحيح المتعلق بقصة رجم الرسول صلى الله عليه وسلم اليهوديين اللذين زنياً . وسيأتي هذا الحديث قريباً .

وورد في القرآن الكريم إثبات التحريف فقال تعالى: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه^(٤)) . وقال تعالى: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون^(٥)) .

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن وهو : يستفاد من الآيات السابقة استمرارية العمل بالتوراة من قبل أنبياء بني إسرائيل إلى زمن المسيح عليه السلام، وثبت أيضاً تحريف اليهود للتوراة، فمتى كان هذا التحريف؟ وكيف كان؟ . ولا فلك الإجابة الحقيقية الشافية عن هذا السؤال. ولكن لعل التحريف الذي أصاب التوراة وأشارت إليه الآيات هو من قبيل : -

- ١ - تحريف الألفاظ مع الإبقاء على المعاني .
- ٢ - تحريف البعض وترك البعض الآخر، أو بمعنى آخر: تحريف ما يتعارض مع شهوراتهم وترك ما عدا ذلك .
- ٣ - التحريف بالزيادة والنقص .
- ٤ - التحريف في تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، دون تحريف نصوص الكتاب كما ذكر ذلك في قوله تعالى: (ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ١١٠ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٤٦ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ٧٥ .

يحرّفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا^(١). وسبب نزولها: (أن اليهود جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟. فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام كذبتهم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال عبدالله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم^(٢)).

٥ - التأليف بغرض التحريف؛ فيؤلفون الكتب ويدعون أنها من عند الله .

وهذا لا يمنع من بقاء نسخ أصلية من التوراة لدى القلة منهم، يوضح ذلك قوله تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً^(٣)) بعد قوله (ومنهم). وقال المهتدي السموأل: («وكتب موسى هذه التوراة ودفعتها إلى الأئمة من بني ليوي»^(٤) وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم؛ لأن الإمامة فيهم، وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم، ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل [أي بقية الأسباط] إلا نصف سورة يقال لها: «هاأزينو»... وهؤلاء الأئمة الهارونيين الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها؛ قتلهم «بخت نصر» يوم فتح بيت المقدس، ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة، فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلمهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم؛ جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن^(٥) فيفهم من هذا النص أن هناك طائفة من بني إسرائيل كانت التوراة متوارثة فيهم، وأنه قتلهم «بخت نصر» في يوم واحد، وأن عزرا لفق لهم كتاباً هو الذي بأيديهم الآن، وهذا الرأي الذي ذهب إليه هذا المهتدي وهو: ضياع التوراة في القرن الخامس قبل الميلاد - هو ماذهب إليه كثير من المحققين من علماء الإسلام .

(١) سورة المائدة ، الآية ٤١ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب المناقب، باب ٢٦ . ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود حديث ٢٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٧٩ .

(٤) هذا نص التوراة والترجمة للمهتدي السموأل .

(٥) إفحام اليهود ، ص ١٣٧ - ١٣٩ .

ولكنني لما أستعرضت الآيات السابقة وقع في نفسي شيء؛ إذ تثبت الآيات بقاء التوراة إلى زمن المسيح عليه السلام، في حين يثبت من اطلعت على مؤلفاته من علماء المسلمين أو من هؤلاء المهتمين أن التوراة فقدت قبل المسيح عليه السلام بزمن طويل .

فعند ذلك أعدت النظر في هذه الآيات استلهم منها الهداية والنور؛ فشرح الله صدري، وفتح على قلبي وأنار لي بصيرتي بأنه من المتيقن بقاء التوراة إلى زمن المسيح عليه السلام سواء كان هذا البقاء على هيئة نسخ خطية أو أخرى حجرية أو عبارة عن بقاء أفراد يحفظونها أو ما شابه ذلك؛ يؤكد ذلك قوله تعالى عن المسيح عليه السلام أنه قال لقومه: (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة^(١))، وتأمل قوله: (بين يدي). إذ لو اندرست نهائياً حفظاً وكتابة؛ لما كان لادعاء المسيح عليه السلام تصديق التوراة مغزى ولا معنى؛ لأنه يصبح من حق أي مدع أن يقول: ما جئت به وفق التوراة، ما دام أنه متيقناً من ضياعها. وحيث أن هذا الفرض أو القول الذي ذهبت إليه - وهو بقاء التوراة إلى زمن المسيح عليه السلام - لم أجد من سبقني إليه، وقد يكون من القول على الله بغير علم عرضت هذه المسألة بأبعادها واحتمالاتها على سماحة شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله فوافقني فيما ذهبت إليه .

لكن لعل التحريف الذي أصاب التوراة حتى لم يبق منها نسخة صحيحة حدث بعد المسيح عليه السلام؛ وسبب حدوثه هو: أن اليهود لقوا من الاضطهاد على أيدي حكامهم وعلى أيدي غيرهم الشيء الكثير قبل مجيء المسيح عليه السلام، وكانوا ينتظرون مسيحاً يأتي ويخلصهم من هذا البلاء، ويعيد إليهم مجدهم، ويحيي فيهم ملك داود وسليمان... ولكن لما جاء المسيح وأخبرهم أنه لن يعيد لهم المجد، ولن يحيي فيهم الملك، بل بشرهم بمجيء نبي من بني عمومتهم من بني إسماعيل يكون خاتم الأنبياء، ويُمنح العز والغلبة والتمكين في الأرض، وطلب منهم المسيح الاستعداد لاستقبال هذا النبي، والانضمام تحت لوائه، وأخبرهم بأن الشخص الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة بأنه يقضي على قمم الكفر، ويعيد المجد - ليس خاصاً بهم بل مرسل لكافة البشر، وليس من بني إسرائيل ولكن من بني إسماعيل ... عندئذ اتهموا المسيح بالتجديف على الله، وأنه حرق الناموس، وطلبوا قتله وصلبه - ولم يمكنهم الله من ذلك - ثم اتجهوا إلى التوراة يحرفون فيها كل ما

(١) سورة الصف، الآية ٦ .

يريدون وفق ما يشتهون؛ ما دامت لن تحقق لهم آمالهم .
وعلى أية حال فليس ذلك - أي افتراض بقاء التوراة إلى زمن المسيح - دفاعاً عن اليهود
ولا من باب إحسان الظن بهم؛ وإنما استثناس بكتاب الله «القرآن» ودفاع عن كتاب الله
«التوراة» إذ ليس من المعقول أن تتدخل اليد البشرية لتعبث بهذا الكتاب بكامله قبل أن
تنتهي الغاية منه .

المطلب الثاني : كتابة التوراة . -

تحدثت في المطلب السابق عن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام وفي هذا
المطلب أحدثت عن التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم .
يعتقد عامة اليهود والنصارى أن التوراة^(١) التي بأيديهم هي المنزلة على موسى عليه
السلام، وأنه هو الذي كتبها لهم، بينما يرى هؤلاء المهتدون خلاف ذلك؛ إذ يؤكد المهتدي
السموأل أن أحبار اليهود وعلماءهم لا يعتقدون أن هذه التوراة هي المنزلة على موسى
عليه السلام للأسباب التالية: -

- ١ - أن موسى عليه السلام صان التوراة عن بني إسرائيل ولم يبشها فيهم، وإنما سلمها
إلى عشيرته أولاد ليوي .
- ٢ - أن موسى عليه السلام لم يسلم لبني إسرائيل سوى نصف سورة يقال لها «هاأزينو» .
- ٣ - أن الأئمة الذين كانوا يحفظون التوراة قتلهم بخت نصر يوم فتح بيت القدس .
- ٤ - لم يكن حفظ التوراة فيهم واجباً ولا سنة .
- ٥ - أن عزرا لما رأى ما حلَّ بأئمتهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها
الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم^(٢). ولهذا الأسباب ضاعت التوراة واستبدلت
بغيرها .

ويستند المهتدي إبراهيم خليل على نقد اليهودي «سبنيزا» للتوراة حيث ذكر

(١) المقصود بها الأسفار الخمسة الأولى : التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية .

(٢) انظر أفعال اليهود ، ص ١٣٥ - ١٣٩ .

«سبنيوزا» في نقده أنه ورد في ثنايا الأسفار الحالية أن موسى كتب «سفر حروب الرب» و«سفر توراة الرب» و«سفر العهد»؛ وبما أن هذه الأسفار لا توجد، ولم تكن من بين الأسفار الخمسة الحالية؛ كان لزاماً أن نعتقد أن «توراة الرب» التي كتبها موسى تختلف اختلافاً كلياً عن هذه الأسفار. وجميع العبارات التي تحدثت عن هذا السفر في ثنايا هذه الأسفار تصفه بأنه كان قليلاً جداً، وهذا يدل على أنه أقل حجماً من الأسفار الخمسة .

ويرى المهتمدي إبراهيم خليل مستنداً على رأي «سبنيوزا» أن التوراة الحالية يمكن أن تحتوي على نصوص كتبها موسى عليه السلام، ولكن لا يستطيع أحد أن يثبت أن موسى عليه السلام هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل المؤكد ضد ذلك للأسباب التالية :-

١ - لا يمكن أن يكون موسى عليه السلام كتب مفتح سفر التثنية؛ لأنه جاء فيه ما يفيد أن موسى دخل الأردن. وبعد هذه العبارة جاء فيه خطاباً لموسى: لا تعبر نهر الأردن^(١). ثم جاء فيه أيضاً: فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب. ولا يمكن أن يروي موسى قصة وفاته .

٢ - ورد في سفر التثنية وسفر يشوع أن موسى عليه السلام كتب سفر موسى الأصلي كله على حافة المذبح؛ وهذا يدل على أن سفر موسى كان حجمه أقل بكثير من هذه الأسفار الخمسة

٣ - ورد في هذه الأسفار بعض العبارات التي تفيد قيام موسى ببعض الأعمال المتعلقة بالتوراة كقوله: وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة. فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة ... ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك ؛ بل لا بد أن يكون قائلها كاتب آخر يروي أقوال موسى عليه السلام وأعماله .

٤ - جاء في سفر التكوين عبارة : وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. ولا بد أن هذه الكلمات قد كتبت بعد موسى بزمن ليس بالقليل بعد أن طرد بنو إسرائيل الكنعانيين من هذه المناطق .

٥ - جاء في سفر التكوين قوله « يهوه يرأه » أي أن جبل المرأيا سمي جبل الله . ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء الهيكل؛ فهي إذا تسمية متأخرة جداً عن زمن موسى .

(١) سفر التثنية ٣ : ٢٧ .

إذا نستنتج من ذلك النتائج التالية : -

- ١ - أن موسى لم يكتب هذه الأسفار الخمسة التي يطلق عليها التوراة .
 - ٢ - أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمان طويل .
 - ٣ - أن موسى عليه السلام قد كتب سافراً مختلفاً عن هذه الأسفار المشهورة^(١) .
- أما روجيه جارودي وموريس بوكاي فيعتمدان على بعض الدراسات الغربية التي صدرت في هذا الشأن، ويتوصلان إلى هذا التسلسل التاريخي ، ويستخلصان منه النتائج التالية:-
- ١ - يؤكد بوكاي أن الأصل الذي اعتمد عليه في تدوين التوراة - قبل أن يكون مجموعة أسفار - كان تراثاً شفهيلاً لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه في نقل الأفكار .
 - ٢ - استغرقت كتابة العهد القديم ما يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة، واعتماداً على التراث الشفهي، وقد مرت هذه الكتابة بمراحل عديدة من التصحيح والإضافة والإكمال .
 - ٣ - في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ظهرت هيئة الكتبة، ومن المحتمل إرجاع المدونات الجزئية للعهد القديم إلى هذه الفترة .
 - ٤ - في القرن العاشر قبل الميلاد حرر النص المعروف بالرواية «اليهوية»^(٢) التي شكلت فيما بعد أسفار موسى الخمسة .
 - ٥ - في نهاية القرن التاسع وأواسط القرن الثامن قبل الميلاد كانت فترة الرواية «الإيلوهيمية»^(٣) .
 - ٦ - في القرن السابع اتحد النص «اليهوي» بالنص «الإيلوهيمي»، ومن المحتمل أنه كتب فيه سفر التثنية .
 - ٧ - في القرن السادس دون تلامذة حزقيال بعد وفاته رواية ثالثة لسفر التكوين، وهي التي عرفت باسم الرواية «الكهنوتية» إذاً دخل نص ثالث وأضيف إلى النصوص السابقة مع الاختلاف والتفاوت الزمني فيما بينها .

(١) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٤١ - ٤٦ .

(٢) اطلق عليها هذا الاسم لأن الله سمي فيها بـ«يهوه» .

(٣) اطلق عليها هذا الاسم لأن الله سمي فيها بـ«أوهيم» .

٨ - لم تتخذ كتب العهد القديم هيئتها الأولى إلا قبل قرن من الميلاد، ولم تكتسب شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد المسيح .

٩ - تشتمل الأسفار الخمسة على وجود نصين متداخلين جنباً إلى جنب، ويحتوي كل منهما على خاصية تميزه عن الآخر وهما نص الرواية اليهودية والرواية الإيلوهيمية، وينقسم النص المسمى بالإيلوهيمي إلى قسمين أيضاً، وتم اكتشاف هذه النصوص وتمييزها والإفصاح عنها في القرن الثامن عشر الميلادي .

وفي القرن العشرين تم اكتشاف وتمييز ثلاثة مصادر في الوثيقة اليهودية ، وفي الوثيقة الإيلوهيمية أربعة مصادر، وفي سفر التثنية ستة مصادر، وفي النص الكهنوتي تسعة مصادر. ويؤكد كل من بوكاي وجارودي أن الفرض القائل أن موسى عليه السلام كتب التوراة - قد هُجر تماماً في هذه الأيام، وهذا محل اتفاق منهم .

ويستخلصنا من ذلك أن التوراة تعتمد على أربعة مصادر هي : الرواية اليهودية ، والرواية الإيلوهيمية، وسفر التثنية، والنص الكهنوتي، وكل وثيقة قد اعتمدت في كتابتها على أكثر من مصدر، وبملاحظة أن الوثيقة الأولى وهي النص اليهودي قد كتبت في القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد، والوثيقة الأخيرة وهي النص الكهنوتي قد كتبت في القرن السادس قبل الميلاد؛ نجد أن تدوين التوراة المنسوبة إلى موسى قد استغرق ثلاثة قرون ، هذا على أقل تقدير^(١) .

هذا ما يتعلق بالتوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، أما ما يتعلق ببقية أسفار العهد القديم فيوضح بوكاي التسلسل التاريخي لتدوينها، وهو كما يلي: -

١ - في القرن السادس قبل الميلاد كتبت رسائل صفنيا وناحوم وحبوق، وكذلك كَتَبَ تلامذة حزقيال كتابه بعد وفاته .

٢ - في القرن السادس وفي عام ٥٣٨ ق. م. تقريباً ظهرت كتب حجاي وزكريا وإشعيا الثالث وملاخي ودانيال وباروك .

٣ - في القرن الخامس قبل الميلاد حررت الأمثال تحريراً نهائياً وكذلك سفر أيوب .

(١) انظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ٢٠ - ٣٠ ، ومأصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة ، ص ١٥٠ - ١٥٥ ، وفلسطين أرض الرسالات الإلهية، ص ١٢٦ - ١٣٣ .

٤ - في القرن الثالث قبل الميلاد ظهر سفر الجامعة ونشيد الإنشاد وكتابي أخبار الأيام وكتب عزرا ونحميا.

٥ - في القرن الثاني ظهر كتاب ابن سيراخ .

٦ - في القرن الأول ظهر كتاب الحكمة لسليمان وكتاب المكابيين .

أما أسفار راعوث وأستير ويونس فيرى أنه من الصعب تحديد تأريخ تدوينها .
ويذكر هذا المهتمدي بعض الملامح التي تظهر للقارئ من خلال دراسته لأسفار العهد القديم - سوى الخمسة الأولى - وهذه الملامح هي : -

١ - أن فيها تغييراً لأسماء الأعلام ، واختراعاً لشخصيات وأحداث لم تقع .

٢ - أنها تحتوي على أخطاء تاريخية ، وأمور مستبعدة تاريخياً أيضاً .

٣ - أن الوقائع التاريخية فيها مدروسة بشكل علمي، بمثل ما هي مدروسة بشكل وهمي، كما أنها لا تحفل بالدقة التاريخية .

٤ - أنها تتعدد فيها الروايات للحدث الواحد، ومن خلال هذا التعدد تختلط الروايات بالأساطير .

٥ - أنها تتأثر بالأجواء المحيطة بكاتبها ووقت كتابتها^(١) .

ويؤكد بوكاي أن ما قدمه من حقائق تتعلق بالعهد القديم لم يكن من باب إلقاء الكلام على عواهنه، ولم يكن وجهة نظر شخصية ؛ وإنما هي معلومات أثبتتها متخصصون على درجة عالية من الكفاءة. وفي آخر استعراضه لمحتويات العهد القديم قدم تساؤلاً مفاده: (كيف استطاع هذا المجموع المتنافر بضمونه الذي يتكون من أسفار كتبت على مدى سبعة قرون على الأقل، وأتت من مصادر شديدة التنوع، ثم تجمعت بعد ذلك داخل مؤلف واحد؟ كيف استطاع عبر القرون أن يكون كلاً لا ينفصم ، وأن يصبح - مع بعض الاختلافات بين الجماعات الدينية - كتاب الوحي اليهودي المسيحي؟ كيف أصبح القانون - وهي كلمة يونانية - يرتبط بها عدم المساس^(٢) ؟؟ .

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

ولا تعارض أبداً بين هذه الأقوال جميعاً^(١)؛ لأن من المحتمل أن تكون النسخة التي كتبها عزرا هي إحدى النسخ أو الوثائق التي أشار إليها بوكاي، ولعلها هي النص الكهنوتي؛ إذ دوناً جميعاً في القرن السادس قبل الميلاد. كما أن حركة التدوين للعهد القديم التي استمرت ثمانية قرون قبل المسيح لا تمنع من وجود حَفَظَةٍ أو نسخ محدودة أصلية فريدة، سالمة من التحريف والتبديل في زمن المسيح عليه السلام .

المطلب الثالث . تعريف العهد القديم . -

بعد أن أثبتُ بأقوال هؤلاء المهتمين أن التوراة لم يكتبها موسى عليه السلام - بل تمت كتابتها هي وبقية العهد القديم على مدى تسعة قرون، ولم تأخذ هيئتها النهائية إلا بعد المسيح عليه السلام بقرن - يتحتم عليّ أن أتفحص نقدم للعهد القديم وأعرضه أمام القارئ مبيناً فيه الأدلة والحجج التي أقاموها على تحريف العهد القديم، وقد تعددت الأدلة التي قدموها، كما تنوعت أنماط التحريف وصوره، وأول هذه الأدلة على التحريف هي : -
الشهادة عليهم بالتحريف : -

شهد الله عليهم في محكم تنزيله بالتحريف فقال : (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه^(٢)) وقال تعالى : (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون^(٣)) وقال عز من قائل : (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به^(٤)) وقال أيضاً : (يحرفون الكلم من بعد مواضعه ويقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا^(٥)) وفي هذه الآيات شهادة عليهم بالتحريف والتبديل - وأي شهادة

(١) وهي قول السموأل: بأن التوراة فقدت بعد فتح بيت المقدس، وكتبها عزرا بعد سنة ٥٨٦ ق. م. وقول بوكاي: إن مرحلة كتابة التوراة استغرق ثلاثة قرون ، ولم تأخذ شكلها الحالي إلا بعد المسيح بقرن. وما ذهبت إليه من احتمال بقاء نسخ من التوراة الأصلية إلى زمن المسيح

(٢) سورة النساء ، الآية ٤٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٧٥ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١٣ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ٤١ .

أعظم من شهادة الله – ولا معنى بعدها لطلب المزيد من الشهادات؛ ولكن لأن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالقرآن، ولأن منهج هذا البحث يفرض عليّ الاستزادة في هذا الباب رأيت أن أعرض شهادات أنبياء بني إسرائيل عليهم بالتحريف ثم شهادات هؤلاء المهتدين. فقد شهد عليهم داود عليه السلام بالتحريف فقال: (يا بني البشر حتى متى يكون مجدي عاراً، حتى متى تحبون الباطل وتتبعون الكذب) وقال أيضاً: (ماذا يصنع البشر بي اليوم: كله يحرفون كلامي^(١)). وشهد عليهم إشعيا فقال: (ويل للبنين المتمردين. يقول الرب. حتى إنهم يجرون رأياً وليس مني، ويسكبون سكبياً وليس بروحي، فيزدادوا خطية على خطية... لأنه شعب متمرّد أولاد كذبة، أولاد لم يشاؤا أن يسمعوا شريعة الرب^(٢)). وشهد عليهم إرميا بالتحريف وصرح بتحريفهم فقال: (كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟. حقاً إنه إلى الكذب حوكلها قلم الكتابة الكاذب) وقال أيضاً: (أما وحي الرب فلا تذكره؛ لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، وإذا قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهاً^(٣)). .

كما رأينا شهادة الله عليهم بالتحريف، ثم استعرضنا جانباً من شهادة أنبياءهم بذلك، يحسن أن ننتقل إلى شهادات هؤلاء المهتدين عليهم وهي كالتالي: -

١ - استشهد عليهم المهتدي بوكاي بشهادة المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان المنعقد عام ١٩٦٢ م بأن العهد القديم يوجد به بعض الشوائب، كما يوجد به بعض النصوص الباطلة، ونص هذه الفقرة التي لا تحتل التأويل كما أوردها بوكاي هي: (بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح، تسمح أسفار العهد القديم لكل بمعرفة من هو الله، ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان، غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشئ من البطلان، ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهي) وهذا النص جزء من تصريح شامل صوت عليه نهائياً بأغلبية ٢٣٤٤ صوتاً ضد ستة أصوات^(٤).

(١) المنارات الساطعة ص ٩٢، وانظر مزموذ ٤: ٢ و ٥٦: ٥ .

(٢) المصدر السابق، ص ٩٢، وإشعيا ٣٠: ١، ٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٢، وإرميا ٨: ٨ و ٢٣: ٣٦ .

(٤) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ٦٠، وما أصل الإنسان، ص ١٥٥. ونص الوثيقة في الفصل الرابع، ص ٥٣ من الوثيقة الخاصة بالمعهد القديم .

٢ - تأثرت اليهودية بالوثنيين المجاورين فصبغت الكتابات صبغة وثنية؛ فنتج عن ذلك توراة محرفة ابتغي من وراء كتابتها تحقيق رضا كافة الأطراف^(١) .

٣ - قال المهتدي عبد الأحد داود: (ولو هدى الله بولس هذا؛ لرفض سفر التكوين، وأعلن أنه ملوؤ بالتزوير والأباطيل؛ حيث ينص مرتين على أن إبراهيم كان زوجاً لأخته، ولما جعل النبي إبراهيم كاذباً وهو المعصوم عن ذلك).^(٢)

٣ - قال السموأل: (ولهذه الطائفة - أي اليهود- من فنون الضلال والاختلال ما تنأى عن مثله العقول، ويخالفه المعقول والمشروع^(٣)).

٤ - قال المهتدي عبد الأحد داود: (والواقع أنه أمر لا يصدق وهو كون المؤلف أو على الأقل المحرر الأخير لهذا الكتاب - أي سفر التكوين - ملهماً من قبل الروح القدس كما يدعي اليهود والنصارى^(٤)).

٥ - قال المهتدي بوكاي: (وقد كيف قساوسة معبد القدس المفهوم البدائي للخلق مع أغراضهم الخاصة، عند كتابة النسخة الكهنوتية^(٥) في القرن السادس الميلادي، فنمقوا قصصهم بتفاصيل ثبت فيما بعد زيفها بالكامل^(٦)).

إثبات التحريف بسبب احتمال العهد القديم على التطاول على الله: -

١ - جاء في التوراة دعوات يتوسل بها اليهود إلى الله ليحقق لهم آمالهم وأحلامهم بالسيادة على جميع البشرية، وفي هذا الدعاء تطاول على الله من مثل قولهم: (يا إلهنا املك على جميع أهل الأرض؛ ليقول كل ذي نسمة: الله إله إسرائيل قد ملك، ومملكته في الكل متسلطة) ويقولون في الصلاة: (وسيكون لله الملك في ذلك اليوم يكون الله واحداً) ويعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته في زعمهم^(٧)).

(١) انظر فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ص ١٢٧ .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٢ .

(٣) إنعام اليهود ، ص ١٢٤ .

(٤) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٧٨ .

(٥) هذه إحدى الوثائق الأربع التي انبثقت منها التوراة المتداولة اليوم .

(٦) ما أصل الإنسان ، ص ٢٢٩ .

(٧) إنعام اليهود ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

٢- جاء أيضاً في التوراة نداء ينادي به اليهودُ الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، وهذا النداء يتنزه البشر عن أن ينادون به ملوكهم فكيف يوجه هذا النداء إلى الله وهو قولهم: (انتبه لم تنام؟ استيقظ من رقدتك^(١)) .

٣ - ورد في التوراة أن موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة. وفي هذا تطلع إلى منازل لم تتحقق للأنبياء فكيف بمشايخ بني إسرائيل .

٤ - وصفت التوراة الله سبحانه وتعالى بصفات الندم والتراجع والبداء والمشقة ... وهذه الصفات لم تكن في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام^(٢) .

إثبات التحريف بسبب اشتمال العهد القديم على التطاول على الأنبياء: -

لا نستغرب تطاول اليهود على الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد تطاولوا على الله سبحانه وتعالى ووصفوه بالصفات التي لا تليق به سبحانه وتعالى، فهذا دأبهم وديدنهم، ومن سخف عقولهم وسفه أحلامهم أنهم تطاولوا على أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم بالذات والذين حملوا لهم الرسالة والتوحيد، وبنوا لهم مجدهم الغاير، ولم يقتصر الأمر على التطاول بل بلغ بهم الأمر إلى أن قتلوهم وهموا بصلب آخرهم. ومن هذا التطاول الذي تضمنته كتبهم وصف لوط عليه السلام بأنه شرب الخمر وزنا بابنتيه وهو لا يعرفهما، وهذا من أفحش المحال أن يكون شيخ كبير في السن، ونبي من الأنبياء، يسقى الخمر حتى يسكر سكرأ حال بينه وبين معرفة ابنتيه، ثم يضاجعهما^(٣) . وكذلك نسب يهوذا جد بني إسرائيل إلى الزنا، ووصف هارون عليه السلام بأنه صنع العجل وأمر بعبادته، ووصف سيدنا داود عليه السلام بالزنا والقتل، وأن سليمان بنى معابد للأوثان وعبدها في آخر عمره^(٤) .

ولقد جاء في سفر حزقيال - وهو معدود من أنبيائهم - الإصحاح الرابع: أن الله أمره أن يأكل خبز الشعير بعد أن يخبزه على «زبل الإنسان» أمام عيون بني إسرائيل، ولما استعفى

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٣١ - ١٣٥ .

(٣) انظر المصدر السابق، ص ١٤٧ - ١٤٩ . والمنارات الساطعة، ص ٩٤. ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٦٢ . والمنارات الساطعة ، ص ٩٤ .

حزقيال من الله هذا الأمر؛ أمره الله تعالى أن يخبز شعيره على «زبل البقر»^(١). تعالى الله عن ذلك، وتزهت أنبيأؤه عن مثل ذلك .

وحاشاهم من ذلك فهم رسل التوحيد، ودعاة الفضيلة، وأعداء الرذيلة، وهداة الأمم إلى الحق والخير، وهم فوق ذلك رسل رب العالمين (الله أعلم حيث يجعل رسالته^(٢)) وكذلك ما ارتكبه اليهود في حق إسماعيل عليه السلام حينما حسدوه ما أنعم الله به عليه من كونه أول ولد إبراهيم ثم ابتلاؤه من الله بالذبح ، وأرادوا أن يحوزوا هذا الشرف إلى إسحاق فعند ذلك استبدلوا كل العبارات الدالة على إسماعيل في العهد القديم بعبارات يفهم منها أن المقصود إسحاق حيث استبدلوا قوله: «الابن الوحيد» بـ«الابن المفضل»؛ لأنهم يعلمون أن الابن الوحيد هو إسماعيل^(٣).

إثبات التحريف بالنقص والزيادة :-

١ - أثبت المهتدي عبد الأحد داود أن علماء بني إسرائيل ونسأخهم - بدافع من الحقد والغيرة على إسماعيل عليه السلام الذي شرف بالعهد - قاموا بتحريف وإفساد كثير من صحائف كتبهم المقدسة؛ فحذفوا اسم إسماعيل عليه السلام من العبارة الثانية والسادسة والسابعة من الفصل الثاني والعشرين من سفر التكوين ووضعوا اسم إسحاق بدلاً عنه، وقاموا أيضاً بحذف الوصف الخاص بإسماعيل وهو «ولدك الوحيد»؛ وذلك إنكار لوجود إسماعيل وحقه^(٤) .

٢ - ورد في سفر التثنية رواية موسى عليه السلام لحادثة وفاته. وهذا لا يمكن بحال من الأحوال أن يكتب الإنسان حادثة وفاته بيده^(٥) .

٣ - يدعي اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، لذا تمت صياغة نصوص كثيرة من نصوص

(١) انظر البحث الصريح ،ورقة ١٧٠ ، وحزقيال ٤ : ٩-١٦ ونص الطبعة التي بين يدي : (وتأكل كمكاً من الشعير على الحرق الذي يخرج من الإنسان تخيره أمام عيونهم ... فقال لي انظر قد جعلت لك خفي البقر بدل خرق الإنسان فتصنع خبزك عليه) . وهذا النص يلقى بهذين مجانين لا ينص كتاب مقدس .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٤ .

(٣) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٣٣

(٤) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٠ .

(٥) انظر فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ص ١٢٩ ، والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٤٤ .

العهد القديم حتى تحقق هذا الزعم المتهافت؛ فيصفون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك. وهذا يدل على فساد عقولهم وفساد نظرهم .

٤ - لما كتب عزرا التوراة - وكان من الهارونيين - كره أن يتولى عليهم في مستقبل الأيام رجل من بني داود - بسبب ثارات كانت بينهم - فعند ذلك أضاف عزرا إلى التوراة فصلين طاعنين في نسب داود عليه السلام والأول منهما ما يتعلق بقصة بنات لوط، والآخر ما يتعلق بقصة ثامار التي زنى بها يهوذا جد داود في زعمهم^(١) .

تحريف العهد القديم بسبب اشتمال الكتاب الواحد على أكثر من نص :-

ذكرت في المطلب السابق^(٢) اشتمال السفر الواحد من أسفار العهد القديم على أكثر من نص، وكل نص له أسلوبه الذي يميزه عن الآخر، وعلى سبيل المثال يذكر المهتدي بوكاي أن ما يخص الخلق والطوفان والفترة التي تمتد من الطوفان إلى إبراهيم عليه السلام - وهي التي تحدث عنها سفر التكوين في إصحاحاته الأحد عشر الأولى - في رواية التوراة لهذه الأحداث في هذه الإصحاحات جزء من النص اليهودي يتبعه جزء من النص الكهنوتي، وليس النص الألوهيمي وارداً في هذه الفصول، وقد أورد هذا المهتدي جدولاً يبين فيه عزو كل فقرة من فقرات هذه الإصحاحات إلى الوثيقة التي تنتمي إليها^(٣) .

إثبات التحريف بإثبات التناقض بين روايات العهد القديم :-

١ - جاء في سفر التثنية الإصحاح الرابع عشر : (لا تقتل الآباء عوض البنين، ولا البنون عوض الآباء). وورد ضد ذلك في سفر الخروج، الإصحاح العشرين، وهو قوله: (اجتزي ذنوب الآباء من الأبناء إلى ثلاثة وأربعة أجيال). كما تكررت صورة هذا التناقض في سفر واحد وهو سفر إرميا فقد جاء في الإصحاح الحادي والثلاثين : (ولكن كل واحد يموت بإثمه). وفي الإصحاح الثاني والثلاثين يقول: (وتروا إثم الآباء على حضن أبنائهم)^(٤) .

٢ - تذكر التوراة العبرانية في الإصحاح الخامس من سفر التكوين أن «شيث» لما كان عمره مائة وخمس سنين ولد «أنوش». بينما تذكر التوراة السبعينية أن «شيث» لما كان

(١) انظر إفحام اليهود ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) انظر ص ٤٣١ من هذا البحث .

(٣) انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص ٣٠ - ٣١ ، وأيضاً الإنجيل والصلب ، ص ١١٥ .

(٤) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٨ / ب - ٤٩ / أ .

عمره مائتين وخمس سنين ولد له «أنوش» فالفرق بينهما مائة سنة^(١) .

٣ - ورد في سفر التكوين روايتان عن خلق الله سبحانه وتعالى للسماء والأرض والإنسان والرواية الأولى مطولة وتحمل كثيراً من المخالفات العلمية والعقلية، بينما الثانية مختصرة جداً وتكاد تخلو من المخالفة العلمية .

٤ - ورد أيضاً في سفر التكوين روايتان متداخلتان لحادثة الطوفان، وتتناقض هاتان الروايتان في سبب الطوفان، ومدته ، وعدد ركاب السفينة، وتذكر أحدهما تأريخه الزمني، بينما تغفل الرواية الأخرى التأريخ^(٢) .

٥ - التناقض بين سفر الخروج وسفر التكوين في تحديد المدة التي بقي فيها بنو إسرائيل بمصر؛ إذ يذكر سفر التكوين أنهم بقوا أربعمئة سنة، بينما يذكر سفر الخروج أن المدة أربعمئة وثلاثون سنة^(٣) .

٦ - التناقض بين سفر الخروج وسفر العدد في عدد بني إسرائيل؛ إذ يذكر سفر الخروج أن عددهم كان وقت الخروج من مصر نحو ستمائة ألف مقاتل غير الأطفال، ولفيف عظيم بغير عدد. بينما يذكر سفر العدد أن بنو إسرائيل كانوا وقت الخروج ستمائة ألف وثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة وخمسين رجلاً سوى سبط لاوي^(٤) .

٧ - التناقض بين سفر أخبار الأيام الأول وسفر عزرا في عدد أبناء سبط لاوي بفارق خمسة أشخاص بينهما^(٥) .

احتواء التوراة على أخطاء ومخالفات علمية وتاريخية :-

١ - جاء في سفر التكوين : (ليكن نور فكان النور. ورأى الله أن النور حسن، وفصل بين النور والظلمات، ودعا الله النور نهراً والظلمة ليلاً، وكان مساء وكان صباح اليوم الأول) وحسب رواية التكوين لم تخلق الكواكب المنيرة في السماء إلا في اليوم الرابع، فكيف توجد النتيجة «النور» قبل وجود سببها وهي الكواكب .

(١) انظر المصدر السابق ، ورقة ٤٦ / أ .

(٢) انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ٤٤ - ٤٥ ، و٥٢ - ٥٣ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٢٥٤ ، والبحث الصريح ، ورقة ١٨٠ / أ

(٤) انظر المصدر السابق ، ورقة ١٧٤ / أ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ورقة ١٨٠ / أ .

٢ - ورد في السفر السابق: (لتثبت الأرض خضرة عشباً يحمل بذراً كجنسه... وكان صباح اليوم الثالث) ولا يمكن من وجهة النظر العلمية أن ينتظم العالم النباتي قبل ظهور الشمس التي ظهرت - حسب الرواية - في اليوم الرابع .

٣ - جاء في السفر المذكور أن الله استراح في اليوم السابع . وهذه أسطورة فضلاً عن أنها لم ترد في النص اليهودي الذي يسبق النص الكهنوتي - الذي أورد هذه الأسطورة - بعدة قرون^(١) .

ولم أقتبس في هذا الموضوع من الملاحظات إلا الملاحظات الخالية من الاحتمال، أما الملاحظات التي يتوجه إليها الاحتمال، أو كانت تعتمد على دراسات علمية ظنية ليست يقينية؛ فلم أوردتها هنا، وذلك مثل الفوارق الزمنية بين خلق الكون وآدم وإبراهيم والمسيح عليهم السلام ، وكذلك أيهما أسبق خلق الأرض أم خلق الشمس، وكذلك أيهما خلق أولاً حيوانات البر أم حيوانات البحر .

الترجمة : -

رأينا في المطلب السابق كيف افتقد الأصل الذي أنزل على موسى عليه السلام، وكيف تمت عملية الكتابة بعده، ورأينا كذلك المرحلة الزمنية التي قطعها العهد القديم حتى خرج للناس بهذا الشكل النهائي، ومع ذلك فأقدم نسخة خطية عبرية عن هذا الكتاب يرجع تأريخها إلى القرن التاسع الميلادي، أما الترجمة السبعينية للعهد القديم باللغة اليونانية فيرجع تأريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد^(٢). وعلى افتراض أن موسى عليه السلام قد وجد في القرن الثاني عشر قبل الميلاد؛ فنقول إن أقدم نسخة خطية وجدت بعد موسى عليه السلام بعشرين قرناً، وأقرب ترجمة يونانية وجدت بعد موسى عليه السلام بتسعة قرون. وعسير على المرء أن يدرك التحولات اللغوية والكتابية التي مر بها هذا الكتاب، ولكن إذا أخذنا في الحسبان الاعتبارات التي من الممكن أن تحوّل مسار واتجاه الترجمة؛ نخرج بنتيجة أن هذه الترجمة لا يمكن أن تكون مماثلة ومطابقة للأصل الذي نقلت منه، وهذه الاعتبارات هي :-

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم .. ص ٣٩ - ٦٢ . وما أصل الإنسان ، ص ١٥٠ - ١٧٠ .

(٢) انظر المصدر السابق، ص ١٥٠، والقرآن والتوراة والإنجيل ، ص ١٨-١٩، والغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ٣٠.

١- إذا فقد الإيمان، وفقد الضمير الحي الذي يورق صاحبه عند المخالفة - عندئذ لاتستبعد حصول التجاوزات .

٢ - تتأثر الترجمة قوة وضعفاً بسبب قوة وضعف المترجم في معرفة وفهم اللغة المنقول منها والمنقول إليها .

٣ - أن الترجمة تُصبغ بصبغة المترجم؛ لأنه من غير المعقول أن يتخلى المترجم - حال الترجمة - عن عقيدته وماضيه وثقافته وتطلعاته وآماله... وهذه كلها أمور تدفع المترجم لأن يصوغ الترجمة بالصيغة التي تميل إليها نفسه وتتفق مع مشربه إلى غير ذلك من الاعتبارات كاتجاه السلطة واتجاه الأمة .

٤ - يكفي في عدم التماثل أنه ترجمة وليست أصل .

وبإعادة النظر في الفصل الأول والثاني من هذا الباب وهما المتعلقان بالتوحيد ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ نتوصل إلى الحقيقة التالية : وهي أن كل نص استشهد به هؤلاء المهتمون لبيان الحق في القضيتين السابقتين يعتبر دليلاً على التحريف، لأنه إما أن يستدل المخالف بهذا النص على غير ما يدل عليه؛ فيكون استدلاله من باب تحريف الدلالة، وإما أن تستبدل ألفاظه بغيرها، أو تزداد ألفاظ لتتفق مع ما يراد منها فيكون من باب تحريف الألفاظ، وسواء كان هذا النص المستدل به من العهد القديم، أم من العهد الجديد فهو دال على التحريف لا محالة .

المبحث الثاني : العهد الجديد

امتداداً للحديث عن الكتاب المقدس، سيكون موضوع التناول في هذا المبحث «العهد الجديد» حقيقة وسنداً وامتناً وتاريخاً ...

المطلب الأول ، الإنجيل الذي أنزل على المسيح عليه السلام . -

أنزل الله سبحانه وتعالى الإنجيل على عيسى ابن مريم عليه السلام، وضمنه الهدى والنور، والرسالة التي كلف بأدائها، والمنهج الذي ينبغي السير عليه، والشرع الذي يجب التحاكم إليه، قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه^(١)) وقال عز وجل: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون^(٢)) ... هذا وصف الله للإنجيل في القرآن، فأين هذا الإنجيل؟ والجواب على هذا السؤال عسير جداً؛ فلئن كانت اليهودية تدعي في ماضيها الغابر أن موسى عليه السلام قد كتب بعض أسفار التوراة التي بين أيديهم، فإن النصرانية - ولله الحمد - لا تدعي أن في حوزتها أي مستند شرعي يرجع إلى المسيح عليه السلام، وكل الذي تملكه مجموعة أنجيل لمجموعة رجال يدعي لهم أنهم قد كتبوها بالهام .

إذا النصرانية تعترف بعدم وجود هذا الإنجيل - سواء كان هذا الاعتراف شفهياً أم من واقع الحال - في واقعها. فهل من الممكن معرفة هذا الإنجيل من خلال العبارات الواردة عنه في ثنايا أنجيل النصرانية اليوم؟ وهل كان إنجيلاً واحداً أم كان متعدداً كما هي

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٦ - ٤٧ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ١٦ .

الحال بالنسبة لأنجيل النصارى؟ وما هي غايته؟ وهل خلف المسيح عليه السلام إنجيلاً مكتوباً حتى يمكن لمن أتى بعده أن ينقل منه أو يطلع عليه؟؟.

إن الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام كان إنجيلاً واحداً؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا بصيغة المفرد، وقال المهتدي الترجمان: (وما كان الذي أنزله الله، وجاء به عيسى إلا إنجيلاً واحداً لا تدافع فيه ولا اضطراب ولا اختلاف^(١)) ولكن هل كتب هذا الإنجيل؟ يجب على هذا السؤال المهتدي عبد الأحد داود قائلاً: (لم يصل إلى علمنا أن أحداً أبصر الإنجيل الشريف مكتوباً مرقوماً) ويقول أيضاً: (لم تكتب آية واحدة من الآيات والإلهامات الربانية النازلة على المسيح؛ وإنما بلغها المسيح بصورة المشافهة، وتنقلت عنه كذلك مشافهة^(٢)). وينقل المهتدي بوكاي عن أ. كولمان في كتابه «العهد الجديد» ما يعزز هذا الرأي وهو قوله: (إن المبشرين لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبتت التراث الشفهي، فقد بقي الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة في شكله الشفهي فقط، أو بالكاد^(٣)) ويقول المهتدي إبراهيم خليل: (الرسالة الموحى بها إليه - أي المسيح - من الله لم تصلنا في شكلها الحقيقي) ويقول أيضاً: (لا توجد وثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة المسيح)^(٤).

هذا الإنجيل الذي نقل عن المسيح عليه السلام مشافهة - وفق ما يراه هؤلاء المهتدون - ماهي غايته؟ يذكر المهتدي عبد الأحد داود أن غاية هذا الإنجيل هي عبارة عن :

- ١ - التبشير بالسعادة الحقيقية .
- ٢ - التبشير باقتراب ظهور ملكوت الله .
- ٣ - إعداد بني إسرائيل لمجيء الملكوت .
- ٤ - الإخبار بأن الإسلام سيظهر .
- ٥ - إصلاح بني إسرائيل .
- ٦ - اختصاص هذه الرسالة ببني إسرائيل^(٥) .

(١) تحفة الأريب ، ص ١١٥ .

(٢) الإنجيل والصليب، ص ٨٧ ، ٩٢ ، وانظر ص ١٧ ، ٥١ ، ٦٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ منه .

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٦ .

(٤) الفجران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢١ . و محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٠٠ .

(٥) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٤٣ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٩٢ - ١٠٠ .

وما من شك أن غايته الأولى هي إعلان العبودية لله تعالى، ولعلها هي المراد من قول هذا المهتدي: التبشير بالسعادة الحقيقية ؛ إذ لا سعادة بغير العبودية لله سبحانه وتعالى .

المطلب الثاني ، كتابة العهد الجديد. -

ذكرت في المطلب السابق أن المسيح عليه السلام لم يخلف إنجيلاً مكتوباً، ولا تنسب النصرانية إلى المسيح شيئاً من هذه الكتب. إذاً فمن كتب هذه الكتب؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ ومتى كتبت؟ وبأي لغة كتبت؟ وما هي أهداف كتبها وغاياتهم من هذه الكتابة؟؟...

إذاً ثبت أنه لم يكن هناك في حوزتهم إنجيل مكتوب يعتمدون عليه، فلماذا أخذت - فيما بعد - كتب النصرانية اسم «إنجيل» ككتب المبشرين النصارى من أمثال «متى» و«مرقس» و«لوقا» و«يوحنا» ؟

يجيب على هذا التساؤل المهتدي عبد الأحد داود مؤكداً أن هذه التسمية خاطئة؛ وذلك لأن كلمة «إنجيل» كلمة يونانية ذات شقين هما «ايفنغليون» الشق الأول منها «ايو» بمعنى: مرحى، جيد، حقيقي. والشق الثاني «انغليون» وهو عبارة عن التبشير بالسعادة الحقيقية. وما أن المسيح عليه السلام لم يتكلم باليونانية؛ وإنما كانت لغته هي السريانية، فإن اللغة السريانية تستعمل كلمة «سبرته» بدلاً من كلمة إنجيل. فنخلص من هذا إلى أن كلمة إنجيل عندما تتعلق بالمسيح تكون كلمة «سبرته» وهي تعني الأمل، الطريقة، المذهبية، الفكرة المعنوية، ولا تستعمل هذه في حق الإنجيليين الكتبة، وعندما تضاف كلمة إنجيل إلى أحد هؤلاء الكتاب فإنها ينبغي أن تكون بمعنى موعظة أو وعظ؛ لأن تسمية هذه الكتب بالأنجيل لم تكن من قبل المبشرين الأربعة أنفسهم، ولم يكتبوها باليونانية، ولكنها أضيفت من قبل الكنيسة مؤخراً، أو سميت بها من قبل مجمع نيقية، ويؤكد ذلك أن الأقوام الآرامية لا تزال تسمى هذه الأنجيل موعظ، فتقول مثلاً إنجيل المسيح موعظة متى، وهكذا بقية الأنجيل، والأقوام السريانية يعلمون أن الإنجيل مختص بالمسيح عليه السلام، ولا يلقبون تلك الكتب الأربعة بعنوان «إنجيل» بل يسمونها «كاروزوتا» أي

موعظة^(١). وينقل المهتدي بوكاي كلام أحد الدارسين الغربيين للعهد الجديد فيما يتعلق بتسمية الأناجيل، وهو قوله: (منذ وقت مبكر جداً، منذ القرن الثاني استقر العرف على استخدام كلمة «إنجيل» للإشارة إلى الكتب التي كان القديس جوستين في نحو ١٥٠م يسميها أيضاً مذكرات الرسل^(٢)) فالحاصل إذاً أن هذه الكتب ليست أناجيل، ولكنها مواعظ، وليس لأي سفر من أسفار العهد الجديد أن يحمل اسم إنجيل؛ بل إن إطلاق اسم إنجيل على كتب متى ومرقس ولوقا ويوحنا يعتبر تعدياً وظلماً وتجاوزاً^(٣).

لما لم يكن في حوزة النصارى الأوائل إنجيل مكتوب من قبل المسيح ابن مريم عليه السلام - كما ذكر هؤلاء المهتدون - فمن الطبيعي أن تكون الوسيلة الوحيدة لنقل تعاليمه ووصاياه هي الرواية الشفهية^(٤).

وإذا كان مصدر هذه التعاليم والوصايا واحد وهو إنجيل المسيح عليه السلام المنقول إلى أمته؛ فمن الطبيعي أن يكون الامتداد الصحيح له تدويناً يستمد روحه من روحه، ويحدد اتجاهه تبعاً لوجهته؛ ولكننا نجد أن الفكر النصراني الذي صاحب حركة التدوين أصبح فكراً مزدوجاً: أحد قطبيه سامي توحيد، وآخر إغريقي وثني مشرك. وهذا الازدواج في الفكر نشأ نتيجة صراع بين أتباع المسيح المؤمنين، وبين أتباع بولس من أبناء الأمم الوثنية، واستطاع أصحاب الاتجاه الأخير من تنحية أصحاب الاتجاه الأول شيئاً فشيئاً^(٥).

وبعد أن تحقق انتصار أصحاب الاتجاه الأخير تمت صياغة النصوص المعتمدة والمقبولة لديهم، واستبعدت - في نفس الوقت - كل الوثائق الأخرى التي لم تكن توافق هذا المنحى الذي اختاره أصحاب هذا الاتجاه .

ونتيجة لهذا الاستبعاد المتعمد، ومع مرور الزمن فقدت كثير من الوثائق والمدونات القديمة المتضمنة لأقوال المسيح عليه السلام، وأوصت الكنيسة بإخفاء ما بقي منها، ومن

(١) انظر الإنجيل والصلب ، ص ٢٤ - ٢٨ .

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٥ .

(٣) انظر الإنجيل والصلب ، ص ٢٧ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٧١ . ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ .

هنا جاء اسم الأناجيل المزورة^(١) .

وبرغم هذا الاستبعاد، وهذا الإخفاء؛ فقد بقيت أناجيل متعددة – وإن كنا لا نستطيع أن نحدد الزمن التقريبي الذي تمت كتابتها فيه – إذ يؤكد المهتدي بوكاي أنه كانت هناك أناجيل كثيرة مثل أناجيل الناصريين، وأناجيل العبرانيين، وأناجيل المصريين، وإنجيل لوقا، وإنجيل توما، وإنجيل برنابا^(٢) .

وينقل المهتدي المتطرب عن أحد أكبر علماء النصارى قوله: (إن كل واحد من التلاميذ الاثني عشر، وكل واحد من الحواريين الاثني والسبعين قد عمل إنجيلاً^(٣)) .

ثم ظهرت بعد ذلك الأناجيل التي ستكون فيما بعد الركيزة الهامة في كتاب النصرانية المقدس، وعماد ملتها – في أواخر القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني الميلادي، وقد ذهب إلى هذا الرأي كل من المهتدي الترجمان والهاشمي وإبراهيم خليل^(٤) . بينما يرى كل من المهتدي عبد الأحد داود وبوكاي أن هذه الأناجيل لم تظهر إلا بعد كتابات بولس بوقت طويل جداً^(٥) . ويعزز ذلك أن الترجمة المسكونية للعهد الجديد – التي تظافر على إخراجها أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت – تؤكد على أن الكتابات الإنجيلية لم توجد إلا بعد عام ١٤٠ م ولم تكتسب صفتها الكنسية إلا بعد عام ١٧٠ م^(٦) .

ولم تتخذ هذه الأناجيل هيئتها الحالية إلا بعد أن عبرت مراحل متعددة هي : -

١ - بعد رفع المسيح عليه السلام تكون تراث شفهي بتأثير تبشير التلاميذ ومبشرين آخرين .

٢ - تمت صياغة بعض هذه العقائد والأقوال والروايات المنسوبة للمسيح عليه السلام في هيئة كتاب ؛ وذلك في المرحلة الثانية .

٣ - استعان كتبة الأناجيل بالتراث الشفهي، وبما تمت كتابته في المرحلة الثانية، حتى

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٣ - ٧٤، ٩٨، ٩٩ . والفقران بين الإسلام والمسيحية، ص ٢١ .

(٢) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٩٩ .

(٣) النصيحة الإيمانية، ص ١٣٥ .

(٤) انظر تحفة الأريب، ص ١٠٠ - ١١٥، وسر إسلامي، ص ٤٣ - ٤٤، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة

والإنجيل، ص ١٤٥ - ١٤٦، والفقران بين الإسلام والمسيحية، ص ١٦ - ١٨ .

(٥) انظر الإنجيل والصلب، ص ١٥، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٥ .

(٦) المصدر السابق، ص ٧٦ .

تمكنوا من صياغة نصوص تتكيف مع مختلف الأوساط، وتستجيب لاحتياجات الكنائس، وتصحح الأخطاء، وترد على الخصوم، وبهذا المنهج جمع كتبة الأناجيل كل بحسب وجهة نظره ماتوراثوه عن أسلافهم سواء كان كتابة أم مشافهة^(١). ولا تزال إلى يوم الناس هذا تتم عمليات الحذف منها والزيادة عليها والتصحيح لها، وهذا ظاهر في الطبقات المحدثه لهذا الكتاب.

وتعتقد الكنيسة أن هذه الأناجيل معصومة عن الزيف والتحريف؛ لأنها كتبت بالإلهام الإلهي، حيث جاء في دستور الفاتيكان العقائدي الصادر عن المجمع المسكوني الثاني للفا تيكان الذي أُعِد بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م - ما يؤكد هذه الدعوى وهو قولهم: (لا يغفل على أي إنسان أن من بين الكتب المقدسة، بل حتى كتب العهد الجديد، كان هناك ما يتمتع عن حق بالإمتياز مثل الأناجيل باعتبار أنه يكون شهادة حقيقية عن حياة ودروس الكلمة المجسدة - أي منقذنا - فدائماً وفي كل مكان حفظت الكنيسة - وما زالت - الأصل الرسولي للأناجيل الأربعة، والواقع أن ذلك هو الذي دعا إليه الرسل بأمر من المسيح، فقد نقلوا إلينا أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم، ويتأثير من الوحي الإلهي للروح كتابات هي أساس الإيمان...^(٢)) .

ويعترض هؤلاء المهتدون على ما جاء في هذه الوثيقة؛ إذ يؤكد بعض هؤلاء أن هذه الأناجيل لم تكتب إلا بعد عام ١٤٠ م - كما سلف سابقاً - على أن هؤلاء الكتبة لم يكونوا شهوداً معانين للأحداث التي أوردوها في كتبهم^(٣)؛ حيث يقول المهتدي بوكاي: (لم يعد مفهوم المبشرين - أي كتبة الأناجيل - كشهود معانين قابلاً للدفاع، وإن ظل حتى يومنا هذا مفهوم كثير من المسيحيين). ويقول أيضاً: (إن الأناجيل لم تكتب بأقلام شهود معانين للأمور التي أخبروا بها؛ إذ أنها ببساطة تعبير المتحدثين باسم الطوائف اليهودية المسيحية المختلفة، عما احتفظت به هذه الطوائف من معلومات عن حياة المسيح العامة، وذلك في شكل أقوال متوارثة شفوية أو مكتوبة، اختفت اليوم بعد أن احتلت دوراً وسطاً

(١) انظر المصدر السابق، ص ٧٧ .

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٧٨ .

(٣) وقد خالف المهتدي الترجمان، إذ يرى أن يوحنا معاصر للمسيح عليه السلام. انظر تحفة الأريب، ص ١١٤ .

بين التراث الشفهي والنصوص النهائية^(١) .

ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن هذه الأناجيل الأربعة لا تظهر فيها الملامح الضرورية التي لا بد منها في أي كتاب يزعم أنه وحي، وأن النصارى يناقضون أنفسهم بشأنها؛ لأنهم يدعون أنها كلام الله ثم يؤكدون على أنها كتبت بالإلهام. ثم يوظف هذا المهتدي اعتقاد الكاثوليك في عدم مصداقية الأناجيل لتوهين صحتها؛ وذلك لأن الكاثوليك يرون أن الأناجيل لا تحتوي على كل الوحي، ثم يعرف الإنجيل بناء على ما توفر لديه من براهين وخبرات سابقة بقوله: (إن الإنجيل كتاب - بعد تنزيل وحذف خمسة وتسعين بالمائة منه - إلهي أعلنه ووعظ به المسيح عليه السلام مشافهة^(٢)) .

ويقتفي أثر هذا المهتدي مهتد آخر هو إبراهيم خليل إذ يؤكد أن هذه الأناجيل لا يمكن أن تعتبر الإنجيل الموحى به إلى المسيح عليه السلام^(٣) .

ويعزز هذا الرأي الذي ذهب إليه هؤلاء المهتدون أن لوقا في مفتح إنجيله شهد على نفسه وعلى من هم على شاكلته من الكتبة أنهم لم يعاينوا المسيح عليه السلام، ولم يتلقوا ما كتبوه من طريق الوحي والإلهام؛ وإنما مصدرهم هو الروايات الشفهية المتوارثة في عهدهم حيث يقول: (إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة؛ رأيت - أنا أيضاً - إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز...^(٤)) .

هذه الكتب التي مرت كتابتها بهذه الطريقة السالفة الذكر؛ لم تستقر ولم تأخذ صيغتها النهائية، ولم تكتسب صفتها الرسمية إلا في أواخر القرن الرابع الميلادي في مجمع قرطاجنة عام ٣٩٧ م. وهذا يعني أنه مضى على الكنيسة أربعة قرون ولم يكن لديها كتاب معتمد رسمي، بل لم يكن لديها أي عهد جديد كالذي نراه اليوم في حوزتها^(٥) .

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٣٠ ، ٢٨٤ ، وانظر ٢٧٠ منه ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٤٧ ، وما أصل الإنسان، ص ١٥٠ ، والففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢١ .

(٢) الإنجيل والصليب ، ص ٢١٨ ، وانظر ١٢ ، ١٦ ، ٢١ منه ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤٨ ، ٢٠٧ .

(٣) انظر الففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢١ .

(٤) لوقا ١ : ١ - ٣ . وانظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤٨ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٧ .

(٥) انظر المصدر السابق ١٠٠ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٠٠ ، والففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٣٢ ، والإنجيل والصليب ، ص ١٤ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ .

بل إن القائمة الرسمية لأسفار العهد الجديد تنوعت من حين لآخر في القرون الأولى للعصر المسيحي، وكانت هناك مؤلفات معدومة القيمة أو ما يسمى اصطلاحاً بالأناجيل المزورة كانت تحتل مكاناً مؤقتاً في قائمة العهد الجديد في فترة من الفترات، على حين كانت هناك كتابات أخرى وردت في القائمة الحالية للعهد الجديد كانت مستبعدة في تلك القرون^(١).

وإذا كانت الكنيسة تعتقد أنها حفظت الأصل الإنجيلي الرسولي - كما تسميه - لهذه الأناجيل الأربعة؛ فإن هؤلاء المهتمون قد أكدوا على أن المخطوطات القديمة للأناجيل معدومة، وأن النسخ الخطية الموجودة الآن ترجع إلى القرن الرابع الميلادي، كما أن في العالم الآن أكثر من أربعة آلاف مخطوطة للعهد الجديد كلها كتبت بعد القرن الرابع الميلادي، وبين هذه النسخ الخطية اختلاف كثير في مواضع جسيمة، ولا يمكن الاعتماد عليها وهي بهذا التنافر والتضاد، ومن المحال الوصول إلى النص الأصلي لها^(٢).

ويتفق كل من المهتمدي بوكاي وإبراهيم خليل على أن كتبة الأناجيل الأربعة اعتمدوا على أربعة مصادر مختلفة عند كتابتهم لهذه الأناجيل، وأن هذه الوثائق أو المصادر التي اعتمدوا عليها لم تؤد إلى تحرير النصوص التحرير النهائي لهذه الأناجيل الشائعة اليوم، بل بينها وبين التحرير النهائي توجد تأليف وسيطة خاصة بكل إنجيل، وتلك الوسائط الأربع هي التي أدت إلى الصيغ النهائية للأناجيل الأربعة، وفي نفس الوقت اعتمد على هذه الوثائق في كتابة أناجيل أخرى غير هذه الأربعة^(٣).

بعد أن تناولت في الأسطر الماضية كتابة العهد الجديد بشكل مجمل، وبما أن العهد الجديد يشكل - في اعتقاد النصارى - الرسالة الإلهية التي بلغها المسيح عليه السلام إلى أمته، وحيث أن هذا العهد الجديد بأسفاره المتعددة لم يكتبه رجل واحد، بل تعدد الكتبة كما تعددت المصادر التي اعتمد عليها هؤلاء الكتبة؛ فإنه ينبغي أن أستعرض أقوال هؤلاء المهتمدين في هؤلاء الإنجيليين على وجه التفصيل، بعد أن استعرضت كتاباتهم على

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٠٠، والغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٢٠ - ٢١، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ١٠٠، ١٠٣، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ١٤٤.

(٣) انظر المصدر السابق، ص ١٤٦، والغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ١٤، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص

وجه الإجمال : -

متى وإنجيله : -

يعتقد النصارى أن متى كاتب الإنجيل كان من الحواريين، وكان موظفاً تابعاً للضرائب أو الجمارك بكفر ناحوم. لكن من تطرق من هؤلاء المهتمدين إلى كتابة العهد الجديد لا يوافقون على ذلك؛ إذ يرى المهتمدي بوكاي أنه لا يوجد في عصرنا هذا من يعتقد هذا الاعتقاد. والذي تدل عليه القرائن أن هذا الإنجيلي كاتب يهودي لحماً وعظماً، ولا يمكن الوصول إلى اليقين بشأن اسمه، ولكن من الممكن أن نستشف بعض صفاته من خلال كتابه، وهي أنه متبحر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي، وأنه استاذ في فن التدريس، وأنه لم يستطع أن يتخلى عن يهوديته؛ فلا تزال آثارها باقية في كتابه، وهذه الصفات المذكورة لا تنطبق على موظف الجمارك الذي يدعى أنه أحد حواريي المسيح عليه السلام^(١)

وشكك المهتمدي إبراهيم خليل في نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحواري - موظف الضرائب - ويرى أنه من المحتمل أن يكون أتباعه أو تلامذته هم الذين صنفوا أقواله في هذا الإنجيل^(٢). أما المهتمدي الترجمان فيرى أن متى لم يدرك عيسى ولا رآه قط إلا في العام الذي رفع فيه إلى السماء^(٣). بينما يرى المهتمدي الطبري أن متى من حواريي المسيح عليه السلام^(٤). والذي تسنده الحجج والأدلة هو ماذهب إليه المهتمدي بوكاي؛ لأنه قدم من البراهين ما تطمئن إليه النفس، بالإضافة إلى اعتماده في ذلك على دراسات حديثة صدرت عن بعض أخبار النصارى في الغرب ممن اعتمدوا على تحليل النصوص ومقابلتها على أصولها.

أما تأريخ تدوين هذا الإنجيل : فيرى الترجمان أنه دون بعد رفع المسيح إلى السماء ولم يحدد التأريخ^(٥). بينما يرى المهتمدي الهاشمي وإبراهيم خليل أنه دون ما بين عامي ٨٥ - ٩٠ م^(٦). بينما يخالف الجميع المهتمدي بوكاي معتمداً على الترجمة المسكونية للعهد

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١٠١ .

(٤) انظر الدين والدولة ، ص ١٩١ .

(٥) انظر تحفة الأريب ، ص ١٠١ .

(٦) انظر سر إسلامي ، ص ٤٣ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ .

الجديد؛ إذ يقرر أنه لم تظهر الكتابات الإنجيلية إلا بعد عام ١٤٠ م^(١) .
وكما اختلفت الأقوال في اسمه، وفي تأريخ تأليفه؛ فقد اختلفت - أيضاً - في الموضع
الذي تم تدوينه فيه، ف قيل إنه كتب في سوريا، أو ربما بأنطاكية، أو بفينيقيا، بل ربما
بالإسكندرية^(٢) .

الهدف من تأليفه: كتب متى إنجيله ليثبت أن المسيح عليه السلام يكمل تأريخ إسرائيل،
وكان سبيله إلى تحقيق ذلك أنه دائماً يستشهد بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن
المسيح عليه السلام يتصرف كالمسيح الذي ينتظره اليهود، وإن هذا الإنجيل يعتبر إنجيل
طائفة يهودية نصرانية تحاول أن تقطع العلاقات التي تربطها باليهودية مع الاحتفاظ - في
نفس الوقت - بالتوافق مع مسار العهد القديم^(٣) .

منهجه : أما المنهج الذي سار عليه في إعداد هذا الكتاب فيتضح من خلال السمات
التالية :-

١ - أنه اعتمد في كتابته على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا، ولكن روايته لما
ينقله تختلف وفي نقاط جوهرية عن صاحبيه مرقس ولوقا .

٢ - سمح لنفسه بحرية كبيرة إزاء نصوص العهد القديم، وكمثال على ذلك أنه حذف
بعض أنساب المسيح عليه السلام^(٤) .

٣ - لا يبالي ولا يكثر في أن تقع التناقضات في كتابه، كما أنه غير دقيق فيما ينقله
أو يقتبسه^(٥) .

٤ - كان حريصاً في صياغته لهذا الإنجيل على أن يحقق الغرض الذي سعى من أجله
إلى تأليفه وهو هداية فرقته؛ لذلك تعمد الإكثار من ذكر المعجزات التي تنسب إلى المسيح
عليه السلام؛ حتى يثبت من خلالها أن نبوات العهد القديم قد تحققت فيه^(٦) .

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٨١ . و تحفة الأريب ، ص ١٠٣ .

(٣) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٨٢ ، ١١١ ، وما أصل الإنسان ، ص ١٧٢ ، والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٦ ،
وسر إسلامي ، ص ٤٣ .

(٥) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٦ .

(٦) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ .

المآخذ على هذا الإنجيل : يؤخذ عليه أنه أورد فيه قصصاً خيالية مزورة، يستحيل تصديقها: كقصة قيام المسيح من قبره، وقصة حراس القبر، وحادثة زلزال الأرض عندما أسلم المسيح الروح بعد صلبه - في زعمهم - وقيام القديسين من قبورهم عند موت المسيح قبل يوم السبت، ولم يخرجوا منها إلا غداة السبت، وكذلك ادعاء متى أن المسيح وعد تلاميذه أنه سيمكث في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، ومن خلال سياق متى لهذه الحادثة يتبين أنه لم يمكث في الأرض سوى ليلتين، كما أنه عبث بتسلسل نسب المسيح عليه السلام^(١).

مرقس وإنجيله : -

الاعتقاد الشائع عن مرقس أنه كان مترجماً لبطرس، وكان هناك من يقول: إنه أحد الحواريين؛ بناء على أنه ورد في إنجيله حكاية الشاب الذي كان يلبس إزاراً، ولما حاول الجنود الإمساك به في حادثة صلب المسيح - هرب عريانياً. وقد استنتج البعض أن هذا الشاب الذي حاول أن يتبع المسيح هو كاتب إنجيل مرقس .

ويعترض من تطرق من هؤلاء المهتمين إلى كتابة العهد الجديد على هذا الاعتقاد الشائع، إذ يرى المهتمدي الترجمان: أن مرقس لم يدخل في دين النصرانية إلا بعد رفع المسيح؛ إذ تنصر على يد بطرس، وأخذ عنه الإنجيل في مدينة روما^(٢). ويؤكد المهتمدي الهاشمي أنه لم يولد في زمن المسيح^(٣). أما المهتمدي بوكاي فإنه يؤكد أن المعلومات المتعلقة بهذه الشخصية نادرة جداً، اضطرت المعلقين على العهد الجديد إلى أن يعتمدوا على تفاصيل وهمية، ويعتقدون أنها ذات قيمة، ولم يستطع بوكاي أن يحدد الملامح العامة لهذه الشخصية^(٤). وينقل المهتمدي إبراهيم خليل قول دائرة المعارف الفرنسية وقاموس الكتاب المقدس: (أن مؤلف إنجيل مرقس هو بولس^(٥)).

تأريخ تدوينه : يتفق كل من المهتمدي الهاشمي وإبراهيم خليل وبوكاي على أنه أقدم

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٢ - ٨٣ ، ٩٩ ، ومحنة الأريب ، ص ١١٧ ، ٢١٢ ، ومحمد في

الكتاب المقدس ، ص ١٠٩ ، والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٥ .

(٢) انظر محنة الأريب ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٣) انظر سر إسلامي ، ص ٤٣ .

(٤) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٤ .

(٥) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٥٠ .

الأناجيل الأربعة؛ إذ تم تدوينه بين عامي ٦٥ - ٧٠ م . أما المهتدي الترجمان فقد أغفل التاريخ^(١) .

مكان تدوينه: من المرجح أنه تم تدوينه في مدينة روما^(٢) . ولم يذكر هؤلاء المهتدون الغاية من تأليفه، عدا إبراهيم خليل أحمد فقد ذكر أنه صاغ تعاليم المسيح لتتواءم مع حاجة المستمعين^(٣) .

منهجه: تبدو عدد من النقاط السلبية في منهجه، ولعل من أبرزها : -

١ - أنه يفتقد المعقولة افتقاراً كاملاً فيما يطرحه من قضايا ومسائل .

٢ - أنه حرر كتابه دون أدنى اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث .

٣ - يظهر من هذا الكتاب أن مؤلفه كاتب غير حاذق، ويتميز عن بقية كتاب الأناجيل

بأنه أكثرهم ابتذالاً في طرحه، كما أنه لا يعرف أن يحزر حكاية كاملة .

٤ - التناقض الفاضح بينه وبين كل من متى ولوقا؛ إذ أورد على لسان المسيح ما يفيد

أنه لن يقدم لأمته أي آية. بينما أورد متى ولوقا عدداً من الآيات التي قدمها المسيح عليه

السلام للبرهنة على صدق رسالته^(٤) .

أما المصدر الذي اعتمد عليه في تدوينه لهذا الكتاب فهو الروايات الشفهية التي تلقاها

من تلاميذ المسيح أو من أتباعهم^(٥) . بينما يخالف هذا الاتجاه كل من المهتدي الترجمان

وإبراهيم خليل إذ يرون أن مرقس اعتمد على بطرس في كتابة إنجيله^(٦) .

المأخذ على هذا الإنجيل : -

١ - تعترف الترجمة المسكونية للعهد الجديد أن خاتمة هذا الإنجيل - وهي الإصحاح

السادس عشر الفقرات ٩ - ٢٠ - ليست من كتابة مؤلفه الأول، وهي غير موجودة في أقدم

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، وسر إسلامي ، ص ٤٣ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٥ ، وتحفة الأريب ، ص ١١٢ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١١٢ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٥ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ .

(٣) انظر الففران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٥ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٥ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٧ .

(٥) انظر سر إسلامي ، ص ٤٣ .

(٦) انظر تحفة الأريب ، ص ١١٢ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ .

مخطوطتين لهذا الكتاب واللتين يرجع تأريخهما إلى القرن الرابع الميلادي^(١). ويعلق أحد أحبار النصارى على هذا النقص قائلاً: (لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي، أو عند النشر على العامة لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنتها. ولا متى ولا لوقا ولا يوحنا - بالأحرى - قد عرفوا هذا الجزء المفقود. مع ذلك فقد كانت الفجوة لا تحتل، وبعد ذلك بكثير، وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابيات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا؛ تم توليف خاتمة محترمة لمرقس، وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين^(٢) .

٢ - التناقض مع الأناجيل الأخرى، وسوء الصياغة، وركاكة الأسلوب^(٣) .

لوقا وإنجيله : -

يعتقد النصارى أن لوقا هو الطبيب الذي تحدث عنه بولس، ومقدمة إنجيله تؤكد - بشكل قاطع - أنه لم يكن من الحواريين، وأنه لم يكتب بإلهام أو وحي؛ وإنما كتب رغبة في مشاركة من سبقه .

والحقيقة أنه كان وثيقاً ثم تنصر على يد بولس بعد رفع المسيح عليه السلام، وليس بصحيح أنه هو الطبيب الذي يذكره بولس في رسائله؛ لأن القائلين بهذا الرأي يستندون إلى أنه وصف في إنجيله بعض الأمراض وصفاً دقيقاً. ولكن المعلومات المتعلقة بالأمراض التي وردت في إنجيله ليست متعمقة في هذا المجال، وإنما يستخدمها - في الغالب - أي مثقف في عصره .

ولا يملك أي من هؤلاء المهتمين أو المعلقين النصارى معلومات يقينية بشأن هذه الشخصية، ويجزم المهتمدي بوكاي - مستنداً على رأي أحد أحبار النصارى - : بأن الكاتب الذي كتب إنجيل لوقا كاتب روائي حقيقي^(٤) .

تأريخ تدوينه : يرى كل من المهتمدي بوكاي وإبراهيم خليل: أن تأريخ تدوينه يمكن تحديده

(١) انظر المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، ١٩٣ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٧٨ ، ومحنة الأريب ، ص ١٠٧ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص

في ما بين ٨٠ - ٩٠ م^(١). أما المهتدي الهاشمي فيميل إلى أنه دون في أوائل القرن الثاني الميلادي^(٢). ولم أجد من هؤلاء من ذكر مكان تأليفه سوى المهتدي إبراهيم خليل حيث ذكر أنه دون في مكان ما باليونان^(٣).

وقد أوضح لوقا في مقدمة إنجيله أنه يرغب في تنسيق الروايات السابقة عن المسيح عليه السلام، والتوفيق بينها، والاستدلال منها على أن ما بشر به هو الصواب، ولقد صاغ هذه التعاليم والروايات وفق تعاليم بولس الوثنية، وكان هدفه من وراء هذه الكتابة هداية الأمم الوثنية من غير اليهود. ويتضح موقفه من اليهود ومقته لهم من خلال كتابه؛ إذ كثيراً ما يحذف الفقرات المتعلقة باليهود، والتي أوردها كل من مرقس ومتى، ويبرز كلمات المسيح عليه السلام في مواجهة وكفر اليهود، ويبرز علاقة المسيح عليه السلام بالسامريين الذين يمتهم اليهود^(٤).

منهجه :

١ - إخضاع النصوص والروايات التي وقعت بين يديه لتأييد اتجاهه الفكري، وصياغتها وفق ما تلي عليه رغباته .

٢ - أنه اعتمد في كتابة كتابه على إنجيل متى ومرقس، كما أنه اعتمد - أيضاً - على ثلاث وثائق مفقودة، اثنتان منها مطابقة لما استخدمه متى، والثالثة وثيقة خاصة به .

٣ - يتناقض المؤلف مع نفسه؛ إذ يورد في إنجيله أن صعود المسيح عليه السلام تم في يوم الفصح، ويحدد في سفر الأعمال - وهو كتابه أيضاً - تاريخ صعود المسيح بعد ذلك اليوم بأربعين يوماً، كما أنه يتناقض مع كل من متى ومرقس^(٥).

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٨ ، والغفران بين الإسلام والمسيحية ١٧ .

(٢) انظر سراسلامي . ص ٤٣ .

(٣) الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٧ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٧ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٧ - ٨٩ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٨٨ - ٨٩ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤٨ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٧ ، وسراسلامي ، ص ٤٤ ، وما أصل الإنسان ، ص ١٥٧ .

المأخذ عليه :

١ - حسب نسخة «البشيتا» لا يحتوي إنجيل لوقا على الفقرات ١٧ - ١٩ من الإصحاح الثاني والعشرين، وكذلك لا يوجد لدى النصارى النساطرة ما يسمى بالكلمات الأساسية المتعلقة بالقرآن المقدس^(١) .

٢ - التناقض بين إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل، وهما من تأليف رجل واحد، وكذلك التناقض بينه وبين متى ومرقس ومع ذلك يدعى أنها كتبت بالإلهام، أو بالإرشاد من الروح القدس .

يوحنا وإنجيله : -

يعتقد النصارى أن كاتب الإنجيل الرابع هو التلميذ القريب من المسيح عليه السلام ابن زبيد أو ابن زبدي الصياد .

ويتفحص أقوال هؤلاء المهتمين عن هذا الكتاب وكاتبه؛ نجد أنهم لا يسلمون هذا الزعم، فلتن ذهب المهتمدي الترجمان إلى أن الكاتب هو يوحنا الحواري^(٢) . فقد خالفه غيره، إذ ذهب المهتمدي عبد الأحد داود - ووافقه على ذلك كل من المهتمدي بوكاي وإبراهيم خليل - إلى أنه من المستحيل التصديق بأن يوحنا الحواري هو كاتب هذا الإنجيل؛ لأن المؤلف الحقيقي لم يتعاليم الفيلسوف اليهودي «فيلون»، ومن غير المعقول أن يكون الرجل الموصوف بأنه صياد سمك - محيط بهذه الفلسفة البعيدة كل البعد عن إمكانية ذلك الرجل الصياد^(٣) .

ويذهب المهتمدي إبراهيم خليل - معتمداً على قاموس الكتاب المقدس، والموسوعة الفرنسية - إلى أن مؤلف هذا الإنجيل هو بولس^(٤) .

أما المهتمدي الهاشمي فلا يعير الاعتقاد الشائع أدنى اهتمام حيث قال عن إنجيل يوحنا: (كتب جزء منه في أوائل القرن الثاني، ولكنه لم يتم إلا في فترات متأخرة^(٥)) . وقد

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٢ .

(٢) محفة الأريب ، ص ١١٣ ، ١٦٢ .

(٣) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٠٨ . ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٦ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ .

(٤) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٥٠ .

(٥) انظر سر إسلامي ، ص ٤٤ .

أيده على ذلك المهتدي بوكاي حيث ذكر أن هذا النص المنشور ينتمي لأكثر من كاتب^(١).
تأريخ تدوينه : يذكر المهتدي إبراهيم خليل أن هذا الكتاب دوّن في أوائل القرن الثاني
الميلادي، في الفترة ١١٠ - ١١٥ م. أما المهتدي الهاشمي فيذكر أنه لم يدوّن دفعة
واحدة؛ وإنما كتب جزء منه في أوائل القرن الثاني ثم استكمل في فترات متأخرة، ولم
يحدد زمن هذه الفترات. ولكن بوكاي يرجع أن كل الأناجيل - عدا إنجيل مرقس - لم تظهر
إلا بعد عام ١٤٠ م. أما المهتدي عبد الأحد فيؤكد أن الكنائس لم تعرف الإنجيل الرابع إلا
في القرن الرابع بعد مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ م^(٢).

مكان تدوينه : ذكر المهتدي الترجمان أن هذا الإنجيل تم تأليفه في مدينة سوس.
ويخالفه المهتدي إبراهيم خليل فيذكر أنه دون في مدينة أفسس^(٣).

الغاية من تأليفه: هي تصوير المسيح عليه السلام من وجهة نظر لاهوتية؛ تحقيقاً
للاعتماد فيه بأنه كلمة الله، وخالق العالم، ومنقذ البشرية. وهذا الإنجيل هو الوحيد الذي
تضمن التصريح بالوهية المسيح عليه السلام^(٤).

منهجه : يعتبر هذا الإنجيل آخر الأناجيل الأربعة تأليفاً، مما أتاح لمؤلفه استعراض
الروايات الواردة لدى الكتبة الآخرين، ثم الاختيار من هذه الروايات ما يؤيد دعواه بشكل
صريح. وهذا الكتاب يحتوي على روايات غير واردة في الأناجيل الثلاثة الأخرى، كما أنه
أغفل كثيراً من الروايات التي أوردها أصحابه، والذي يشير الدهشة هو أن هذا الفيلسوف
يسرد حادثة العشاء الأخير سرداً موجزاً، - وهو الحدث الهام في الديانة النصرانية - ولم
يقف عنده أو يتأمله، كما أنه سلك في تأليفه لهذا الكتاب مسلك تحوير بعض الروايات
السابقة وصياغتها بصيغة جديدة ليحقق منها المرامي التي ألف لأجلها هذا الإنجيل، وخير
شاهد على ذلك روايته لحادثة ظهور المسيح عليه السلام لتلامذته على بحيرة طبرية بعد

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ .

(٢) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٨ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩٨ ، ومحمد في الكتاب
المقدس، ص ١٦٠ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ١١٥ . والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٨ .

(٤) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ١٤٦ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ ،
ومحمد في الكتاب المقدس ، ٢١٠ .

قيامه من بين الأموات^(١)، وهي نفسها رواية لوقا لمعجزة صيد السمك التي وقعت في حياة المسيح عليه السلام^(٢). وقد أشار لوقا في روايته لهذه الحادثة إلى وجود يوحنا الخواري ضمن من شاهد المعجزة مما سهل على من جاء بعده أن يضيف اسم يوحنا الخواري إلى الإنجيل الرابع، وإذا علمنا أن الإصحاح (٢١) يعتبر مضافاً إلى هذا الإنجيل، وليس من عمل مؤلفه الأول؛ سهل علينا إدراك كيفية تحويل النص من حدث وقع في حياة المسيح إلى حدث وقع بعد وفاته وبعثته - حسب زعمهم -^(٣).

المآخذ

١ - ذكر كل من المهتدي بوكاي والهاشمي أن هذا الإنجيل يتضمن عدداً من الفقرات التي لم تكن من كتابة كاتبه الأصلي، بل أضيفت إليه فيما بعد، ولعل من أبرزها الإصحاح الحادي والعشرين كاملاً والإصحاح الرابع الفقرات ٤ ، ٤٤، والإصحاح السابع الفقرات ٥٣ إلى الإصحاح الثامن الفقرة ١١^(٤).

٢ - أنه انفرد بذكر روايات لم يوردها الإنجيليون الآخرون وترك روايات أخرى وردت لديهم .

٣ - أنه كان يختار من الروايات ما يناسب اعتقاده، ويصوغ روايات أخرى صياغة مخالفة لما وردت عليه أصلاً لدى الكتاب الآخرين؛ حتى تكون مؤيدة لمشربه، وشاهدة ومؤكدة لما يدعو إليه.

٤ - أن العشاء الأخير للمسيح الذي تم فيه طقس القربان المقدس، الذي يعتبر الدعامة الهامة في الاعتقاد النصراني - يرد في هذا الإنجيل وقد افتقد كثيراً من مقوماته التي وردت لدى الكتبة الآخرين، في حين أنه أضاف إليه أشياء أخرى لم تكن واردة لديهم .

٥ - التناقض بينه وبين الأناجيل الأخرى .

(١) يوحنا ٢١ : ١ - ١٤ .

(٢) لوقا ٥ : ١ - ١١ .

(٣) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ - ٩٢ ، ١١٨ - ١١٩ ، والغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٧ -

١٩ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٦ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ .

(٤) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ ، وسر إسلامي ، ص ٤٤ .

٦ - الشك في نسبة هذا المؤلف إلى مؤلفه، كما أنه ليس من تأليف شخص واحد^(١) .

بولس ورسائله : -

لقد كان بولس رجلاً يهودياً متعصباً ضد المسيح وأتباعه، ولقي منه تلاميذ المسيح العنت الكثير، ثم تنصر على يد « أنانيا » بعد رفع المسيح عليه السلام؛ فهو لم يدركه ولا رآه في حياته^(٢). وكان الذي دفعه إلى هذا التحول أنه سعى للقضاء على المسيحية في مهدها بالقتل والتشريد لأتباعها؛ فلما لم تفلح مساعبه؛ لجأ إلى الحيلة وهي ادعاء اعتناق النصرانية؛ حتى يوهم التلاميذ والأتباع بأنه منهم، وقد عبر نحو هذا الادعاء المراحل التالية : -

١ - التهجم على الحواريين بالنيل منهم .

٢- ادعى أن ما يتحدث به تلقاه من المسيح عليه السلام مباشرة عن طريق الإلهام والرؤيا.

٣ - تشكيك الناس في اعتقادهم بأن عيسى عليه السلام رسول الله .

٤ - ادعى أنه رسول مكلف من قبل المسيح ثم من قبل الله بإبلاغ ما يدعوا إليه .

٥ - قارن نفسه بالحواريين، وأنه مماثل لهم، ثم ادعى بعد ذلك أنه أفضل منهم .

٦ - جعل لنفسه مرتبة أعلى من مرتبة المسيح عليه السلام؛ لأن رسالة المسيح خاصة

لبني إسرائيل، أما رسالته فهي عامة لكل الأمم^(٣).

ويصف المهتدي الترجمان بولس بأنه : (كان أكبر أعداء النصرانية^(٤)) كما يصفه المهتدي

بوكاي بأنه خائن لفكر^(٥) المسيح عليه السلام، وبأنه العدو المتآمر على المسيحية^(٦) . وينعته

المهتدي عبد الأحد داود : (بأنه فعل كل ما بوسعه كي يضلل ويفسد النصارى^(٧)) .

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٦ ، والقرآن

والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩١ - ٩٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٧٣ ، ومحنة الأريب ، ص ١٠٧ - ١١١ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٦١ ، والله

واحد أم ثالث ، ص ٥٠ ، والمنارات الساطعة ، ص ٨٧ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٨٧ - ٩١ .

(٤) محنة الأريب ، ص ١٠٩ .

(٥) لي تحفظ على هذه العبارة، وهي اطلاق مصطلح «الفكر» على الرسائل الإلهية؛ إذ أنها ليست فكراً؛ بل هي وحي

من الله وتسميتها «فكر» غرض من شأنها وتطاول على مصدرها .

(٦) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧١ ، ٧٣ .

(٧) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦١ .

تأريخ تدوينه لرسائله : - ذكر بوكاي أن بولس كتب رسالته إلى أهل «تسالونيكى» عام ٥٠ م . ويتفق عبد الأحد داود مع بوكاي في أن بقية الرسائل ظهرت إلى حيز الوجود قبل الأناجيل^(١) .

الغاية من كتاباته : كان الهدف من اعتناقه النصرانية هو القضاء عليها - وهذا أحد أساليب اليهود في زعزعة الأديان - فمن الطبيعي أن يكون الهدف الأول من كتاباته هو إلغاء تعاليم المسيح عليه السلام، واستبدالها بالتعاليم التي يريدها هو، ويعد تنصره وجد أن هناك جماعات كثيرة من الوثنيين آمنوا بالمسيح عليه السلام؛ فاقترح عليهم ، بل أحلهم من كثير من تعاليم المسيحية الحقيقية كالوحدانية والطهارة والختان...

واستمراراً لهذا التنازلات التي قدمها للوثنيين؛ اتهم شريعة المسيح عليه السلام بأنها سبب لإحياء الخطيئة، ثم ادعى أن المسيح عليه السلام أبطل الشريعة، وأقام بدلاً منها العناية والتوفيق، حيث يقول: (فإن الخطيئة لن تسودكم؛ لأنكم لستم تحت الشريعة، بل أنتم تحت العناية^(٢)) وعند ذلك تنبه إلى أن هذا الادعاء سيعرضه للتهمة بالضلال فقال: (إن كل الأنبياء والصالحين لم يتبرروا بالشريعة؛ بل تبرروا بالإيمان فقط) .

وياختصار فإن تعليم بولس ينصب في غاية واحدة هي أن دم المسيح صار كفارة اعتق العالم وخلصه من لعنة الشريعة ومن أسرها، إذ يقول: (المسيح صار لعنة لأجلنا؛ إذ خلصنا من لعنة الشريعة^(٣)) . وهذه الكتابات - رغم مخالفتها للحق - قد انتشرت؛ لأنها لاقت هوى في نفس الإمبراطورية الرومانية الوثنية^(٤) . ويؤكد بوكاي أنه لو لم تظهر كتابات بولس في عالم النصرانية؛ لما ظهرت في ساحة الديانة النصرانية الكتابات الخصامية التي أصبحت الميزة الظاهرة لكتاباتها^(٥) .

المآخذ : .

١ - لعل من أبرز المآخذ على كتابات بولس أنها غيرت وجهة الديانة المسيحية من ديانة

(١) الإنجيل والصلب، ص ١٥ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٣ ، ٩٨ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية ٦ : ١٤ .

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣ : ١٣ . وانظر الإنجيل والصلب، ص ١٦٢ - ١٧٠ . والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧١ .

(٤) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ١٥٠ .

(٥) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٣ .

- موحدة إلى ديانة كافرة، مما نتج عنه أن صبغت الكتابات التي جاءت بعده بهذه الصبغة .
- ٢ - أن رسائله تغص بالعقائد الباطلة المتناقضة ^(١) .
- ٣ - أن كتابات بولس كانت سبباً في ضلال النصرانية؛ لأنه كان يعتبر أن الشريعة هي التي قمت العبد وتحيي فيه الخطيئة ^(٢) ..

ليست هذه المآخذ على هذه الكتابات هي كل ما فيها؛ وإنما دونت ههنا المآخذ التي تؤخذ عليها على اعتبار أنها كتابات مؤلفة لهدف معين، لا أنها كتابات يدعى فيها أنها كتبت بالوحي والإلهام. وستأتي المآخذ المتعلقة بالتحريف والتناقض وفساد الغاية في الصفحات التالية - إن شاء الله - .

ولسائل يسأل: لماذا تعددت الكتابات النصرانية، وتعدد مؤلفوها؟ وكيف حررت هذه الكتب؟ وما هو الطابع العام لهذه الكتابات؟! ...

ويجب هؤلاء المهتمون على هذه التساؤلات بالنقاط التالية :-

١ - أن كل واحد من الكتبة حرر كتابه ليتلام مع أهدافه الشخصية وحسب وجهة نظره الخاصة ^(٣) .

٢ - حدث شقاق بين الفرق النصرانية في عصورها الأولى؛ فظهر في كل فرقة من يكتب لها كتاب دينها حسب ما تعتقده فرقتة، فلذلك انطبعت هذه الكتابات بأنها كتابات ظرفية خصامية، ولذلك تعددت ^(٤) .

٣ - أن هذه الكتب تعرضت لما تعرضت له الذاكرة من النسيان والتبديل ^(٥) .

٤ - افتقد كتابها الأمانة عند تدوينها، ودونت حسب الهوى ^(٦) .

٥ - أن هذه الكتابات تماثل ما يروى عن الوثنيين؛ لأنها لم تكتب لتقرير ما نقل عن

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٦١ .

(٢) انظر الإنجيل والصلب، ص ١٦٤ .

(٣) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٨، والغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ١٥ .

(٤) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٨، ١٣١، ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٠٤، والغفران بين الإسلام

والمسيحية، ص ١٩، والنصيحة الإيمانية، ص ١٣٥، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ص ٣١ .

(٥) انظر المصدر السابق، ص ١٤٧ .

(٦) انظر الغفران بين الإسلام والمسيحية، ص ٢٠ .

المسيح عليه السلام، بل لإثبات عقائد حدثت في حياة النصارى بعد زمن متأخر عن المسيح عليه السلام^(١).

٦ - خلال الحقبة الزمنية الطويلة التي مرت بالعهد الجديد كانت تضاف إليه هوامش جانبية؛ لدفع اعتراض، أو لتوضيح أمر غامض، أو لنفي أمر محتمل، أو لغير ذلك من الأسباب، وبعد فترة من الزمن دخلت هذه الهوامش في صلب الكتاب. وهذا يتفق مع ما استنتجته هؤلاء المهتمون من أن بعض إصحاحات وفقرات العهد الجديد ليست من تأليف الكاتب الأول؛ ولكنها مضافة إلى النسخ الأصلية^(٢).

وبعد هذا الاستعراض السريع لكتاب العهد الجديد وكتاباتهم؛ نستخلص النتائج التالية:-
١ - الجهالة التامة في معرفة أصحابها، والشك في نسبتها إليهم، ولا يملك أي واحد من المعلقين أو الشراح للعهد الجديد أية معلومات حقيقية عن أسمائهم أو بلدانهم، أو تأريخ تدوينهم لهذه الرسائل؛ وإنما يستندون على تخروصات وهمية يبنون عليها نتائج يقينية، وما بني على وهم فهو وهم أيضاً .

٢ - البعد الزمني بينهم وبين عهد الرسالة حيث لم يثبت لأي واحد منهم أنه تلقى عن المسيح عليه السلام ما بشر به، وتعترف الترجمة المسكونية للعهد الجديد: (أنه لا توجد - على أي حال - أي شهادة تقول بوجود مجموعات من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠م^(٣))
٣ - الجهل بالتأريخ الحقيقي الذي تم تدوين هذه الكتابات فيه .

٤ - الجهل بالأماكن التي تمت فيها كتابة هذه المدونات .

٥ - أن بعض هؤلاء الكتبة كان كافراً حين رفع المسيح عليه السلام كما هو حال مرقس ولوقا ويوحنا وبولس .

٦ - ثبت أن بعض هذه الأناجيل تنسب لأكثر من كاتب، كما أن بعضها يشتمل على إصحاحات وفقرات ألحقت بالكتاب بعد تدوينه لأول مرة .

(١) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٤٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٧ ، ١٥٣ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٦٨ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٢ -

١٠٣ ، والإنجيل والصليب ، ص ٦٦ ، ٦٠ ، ومحمد في الكتاب المقدس ١٠٤ ، ٢٠٧ ، والغفران بين الإسلام والمسيحية ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ .

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٥ .

٧ - أنه مضى عليها قرابة أربعة قرون ولم تأخذ صفتها الرسمية الكنسية، أي أنها ظلت أربعة قرون ولم يُعترف بها ككتابات مقدسة، ولا يستبعد أنه جرى عليها في هذه الفترة كثير من التحريف والتبديل؛ لأنها لم تأخذ بعد الصفة الشرعية .

٨ - اشتمل متن هذه الكتب على كثير من التناقضات والعقائد الباطلة الكافرة، مما يؤكد عدم كتابتها بإلهام .

٩ - فساد الغاية التي ألفت من أجلها هذه الكتب؛ لأنها كتبت لأجل: (أن تتكيف مع مختلف الأوساط، وتستجيب لاحتياجات الكنائس، وتعبّر عن تأمل في الكتاب المقدس، وتصحح الأخطاء، وترد على حجج الخصوم، بهذا الشكل جمع ودون المبشرون - أي كتاب الأناجيل - وحرروا - كل حسب وجهة نظره الخاصة - ما أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية^(١) . ويحدد أحد أبحار النصارى - وهو الأب كاتينجر - الغاية التي ألفت من أجلها الأناجيل بقوله: (لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل؛ فهي كتابات ظرفية خصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعاتهم عن المسيح^(٢)) .

١٠ - تبدو عملية التأليف القسري بين الروايات التي اشتملت عليها هذه الكتب من محاولة تجميع أقوال المسيح، وربط الروايات بصيغ غامضة مثل «وبعد هذا» و«ما أن» مما يكشف للقارئ أنه لم تتخذ صياغتها النهائية في أول مرة دوّنت فيها .

١١ - التناقض بين دعوى المجمع المسكوني الثاني للفتيكان الذي يدعي لها العصمة، وأنها كتبت بتأثير الوحي والإلهام. وبين ما تقرره الترجمة المسكونية للعهد الجديد من أن هذه الكتابات كتابات ظرفية خصامية .

١٢ - أنها غيرت وجهة الديانة المسيحية من ديانة إسلامية موحدة إلى ديانة وثنية مثلثة كافرة .

١٣ - أن هذه الكتابات سارت بالأمة النصرانية إلى الورا، وهذه غاية حتمية لكل أمة تتخلى عن الوحدانية وتستبدلها بالوثنية، يوضح ذلك المهتدي عبد الأحد داود بقوله: (إن الكتب الإنجيلية - مع الأسف - قد استعاضت عن أن تسوق البشر إلى الرقي إلى الانقلاب الديني، إلى التكامل في دين موسى، بأن سارت بهم القهقري فرجعوا إلى الورا، فبعد أن

(١) المصدر السابق، ص ٧٧ . نقلًا عن الترجمة المسكونية للعهد الجديد .

(٢) المصدر السابق، ص ٧٨ .

مات الإسكندر والقيصرية والرومانيون واليونانيون القدماء الكفار الوثنيون؛ إذا بإله اللاتين واليونان والكاثوليك والأرثوذكس الجديد - قد تجسّد في هيئة طفل يهودي وأكل وشرب وتاجر، ويعد أن تعلم صناعة النجارة، صلب وقتل من قبل اليهود، ثم صار يؤكل ويشرب كل يوم في جميع الكنائس والمعابد^(١) .

١٤ - شهادة كبرائهم بالتحريف والتناقض.

وبهذه النقاط السابقة يتحقق فساد المتن وتهافته، وكتاب انقطع سنده، وفسد متنه فلا تنتظر منه أن يحقق سعادة في حياة البشر، ولا فوزاً في الدار الآخرة .

المطلب الثالث، تحريف العهد الجديد . -

إن الطريقة التي تمّت بها كتابة العهد الجديد، والتي افتقرت إلى سلامة المتن، وتواصل السند؛ تثبت أن هذا الكتاب لم يكتب بإلهام، وحينئذ تثبت نسبه إلى البشر، وإذا ثبت انتسابه إلى البشر فهو مطبوع بطابعهم من الضعف والنقص والجهالة والهووى... وهذا وحده كاف لإثبات تحريفه. ولكن الأدلة والشواهد التي قدمها هؤلاء المهتدون لإثبات هذا الأمر - التحريف - تفرض نفسها مما يستلزم استعراضها وبسطها في هذه العجالة السريعة. ويمكن أن تقسم هذه الأدلة والشواهد إلى ثلاثة أقسام، وهي كالتالي : -

أ - التحريف والكذب : -

١ - جاء في إنجيل متى أن الشيطان حاول إغواء المسيح عليه السلام ثلاث مرات: الأولى: أمر الشيطانُ المسيح أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن يحول الحجارة خبزاً. والثانية: طلب منه أن يلقي بنفسه من رأس جبل. والثالثة: طلب منه الشيطان أن يسجد له^(٢). وهذا النص كذب كله؛ لأن الله سبحانه وتعالى عصم أوليائه وأنبياءه من كيد

(١) الإنجيل والصليب ، ص ٦٦ .

(٢) انظر النصيحة الإيمانية ، ص ٩٢ ، ومحفة الأريب ، ص ١٩١ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٢٦ ، والمسيح إنسان أم إله ، ص ١٩٣ ، ومتى ٤ : ١ - ١٠ .

الشیطان ومكره قال تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين^(١)) وقال تعالى: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون^(٢)). وشهد الشيطان بعجزه عن مخاتلتهم والکید لهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه أنه قال: (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين^(٣)). وقال أيضاً كما أخبر الله عنه: (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين^(٤)).

٢ - جاء في إنجيل متى تصوير لحال الكون عند موت المسيح عليه السلام - كما يزعمون - وهو قوله: (وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين). قال بوكاي: (وليس لهذه الفقرة من إنجيل متى مثيل في الأناجيل الأخرى، ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين المعنيتين أن تقوم عند موت المسيح - أي قبل يوم السبت كما تقول الأناجيل - وألا تخرج من قبورها إلا بعد قيامة عيسى، أي غداة السبت^(٥)).

٣ - انفرد بطرس بذكر دخول المسيح عليه السلام إلى الجحيم ثلاثة أيام، وذلك لغرض إنقاذ من فيها من الأنبياء والأولياء!! وهذا الخبر أو الحدث غاب عن جميع الكتب فلم يضمنوه كتبهم، وإذا كان الجميع قد كتب بإلهام وبارشاد من الروح القدس فلماذا انفرد بطرس بذكر هذا الخبر الهام؟ ولماذا لم يلهم الروح القدس بقية الكتب هذا الخبر كما ألهم بطرس؟!^(٦) .

٤ - جاء في إنجيل متى في الإصحاح التاسع عشر أن المسيح عليه السلام قال للأعمى الذي للذين شفاهما: (لا يعلم أحد). وفي إنجيل مرقس الإصحاح الثامن: أنه قال للأعمى الذي

(١) سورة الحجر ، الآية ٤٢ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٩ .

(٣) سورة الحجر ، الآية ٣٩ - ٤٠ .

(٤) سورة ص ، الآية ٨٢ ، ٨٣ .

(٥) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٢ - ٨٣ ، وانظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ، ومتى ٢٧ : ٥١ - ٥٣ .

(٦) انظر الإنجيل والصليب ، ص ١٧ .

شفاه : (اذهب إلى بيتك، وإن دخلت القرية فلا تقل لأحد). وفي إنجيل مرقس - أيضاً - في الإصحاح الخامس أن المسيح عليه السلام: لما أقام الميتة أمرهم بأن لا يعلم أحد. وفي إنجيل مرقس - أيضاً - الإصحاح السابع أن المسيح لما شفى الأخرس والأطرش أوصاهم أن لا يقولوا لأحد شيئاً^(١).

وهذه الأخبار عن هذه الحوادث شاهدة ومؤكدة على أنها لم تكتب بإلهام؛ لأن هذا مخالف للشرع والعقل، أما مخالفته للعقل فمن غير الممكن أن يكون الرجل ميتاً أو أعمى أو أخرساً ثم يرد إلى الحياة، أو يشفى من مرضه ويطلب منه أن لا يخبر بذلك أحداً، لأن هذا الأمر يدرك بالحس بدون إخبار ممن قام به هذا الأمر.

أما مخالفته للشرع؛ فلأن الأنبياء يقيمون الآيات - بعد أن يأذن الله بها - لأتباعهم ليؤمنوا بها وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وعندما يطلب صاحب المعجزة التكتم على معجزته فهذا يدعو إلى الريبة فيه وفي صدق دعوته، ولم ينقل عن نبي من الأنبياء أنه أقام للناس آية ثم طلب منهم التكتم عليها.

٥ - ويدل على التحريف أن الأناجيل نسبت المسيح عليه السلام إلى عقوق والدته، ثم لم يكتفوا بذلك بل جعلوه من أولاد فارص، وفارص هذا ابن زنا كما صرح بذلك سفر التكوين^(٢).

٦ - ورد في متى الإصحاح الحادي والعشرين أن المسيح عليه السلام أدركه الجوع فرأى وهو يمشي شجرة تين فقصدتها ليأكل منها؛ فلما لم يجد فيها ثمراً - لأنه لم يكن فصل التين - دعا عليها فيبست في الحال. ودلالة هذا التحريف في هذا النص أنه يلتمس التين في أشجار الناس في غير وقته، وهذا لا يفعله الصبية المجانين. ثم إن هذا الفعل مجاف للعدل فكيف يُنسب إلى المسيح عليه السلام، ثم إن هذه الشجرة إما أن تكون مباحة لكل أحد، وإما أن تكون مملوكة لرجل معين. فإن كانت مباحة لكل أحد فلا يمكن أن يدعو عليها فتنتقطع منفعة الناس منها، والمسيح وجميع الأنبياء جبلوا على رحمة الخلق والشفقة عليهم، وهذا العمل مناف لذلك. وإما أن تكون مملوكة فلا يمكن أن يأكل منها المسيح وهو لم

(١) انظر البحث الصريح، ورقة ١٥٤، ١٥٦.

(٢) انظر المنارات الساطعة، ص ٩٥، ومتى ١: ٣، والتكوين ٣٨: ١٦، ٣٩.

يستأذن صاحبها مع ما عرف عنه من زهد وورع وتقى^(١).

وفي هذه القصة تناقض بين مرقس ومتى لأن التينة حسب رواية متى يبست في الحال. بينما حسب رواية مرقس لم تيبس إلا في صباح الغد.

٧ - أوردت الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا النصوص المتعلقة بتأسيس القربان المقدس في أثناء العشاء الأخير للمسيح مع الحواريين. بينما يخلو إنجيل يوحنا من ذكر حادثة تأسيس القربان المقدس، ويقول المهتدي بوكاي: (إذا أردنا التفكير بموضوعية فإن أول ما يرد على الخاطر - على افتراض أن رواية الأناجيل الثلاثة صحيحة - هو فرض ضياع هذه الفقرة من إنجيل يوحنا الذي يسرد نفس الحدث^(٢)).

٨ - جاء في إنجيل متى الإصحاح السابع عشر أن الفريسيين قالوا للمسيح عليه السلام: هل يحل للإنسان أن يطلق امرأته على أقل مسألة؟ فقال لهم: أما قرأتم في التوراة أن الذي خلق الذكر والأنثى قال: من أجل المرأة يترك الإنسان أباه وأمه ويجتمع بزوجته، ويكونان لحمًا واحدة . قال المهتدي الترجمان معلقاً على هذا النص: (وهذا كذب على عيسى وعلى التوراة؛ فإن هذا الكلام ما قاله تبارك وتعالى، ولكن حكته الكتب النبوية عن آدم عليه السلام... وحاشا عيسى أن ينسب هذا إلى التوراة وهو كان يحفظ التوراة والإنجيل معاً، فما يقول إلا ما قال الله فيهما. ولكن كذب عليه متى في هذا القول، وأصحابه الثلاثة لم يقولوه^(٣)).

٩ - ويدل على التحريف - أيضاً - العزو المخالف للحقيقة، فقد قال متى في الإصحاح السابع والعشرين: (حينئذ تمّ ما قيل في إرميا النبي: وأخذوا الثلاثين الفضة ثمن المثلث الذي أئمنه بنو إسرائيل وجعلوها في حقل الفخار كما أمرني الرب) . وهذه الشهادة التي ذكرها متى ليست في إرميا؛ بل هي في زكريا في الإصحاح الحادي عشر. ويقول المهتدي الشيخ زيادة: (فالحاكم العاقل له أن يحكم في ثلاثة وجوه: إما بعدم معرفة متى الإنجيلي، أو أنه ما أدرك إن كان إرميا كتبها أو زكريا، أو بتحريف هذه الشهادة في

(١) انظر تحفة الأريب، ص ٢٣٦ - ٢٣٨ . والبحث الصريح، ورقة ١٦٥ - ١٦٦ ، ومتى ٢١ . ومرقس ١١ .

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١١٨ ، وانظر تحفة الأريب ، ص ١٦٢ ، ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٥٨ .

(٣) تحفة الأريب ، ص ٢٣١ - ٢٣٣ .

إنجيله، وإما أن قلماً آخر غير موضعها في التوراة^(١) .

ومن هذا العزو المخالف ما نسبته مرقس في إنجيله الإصحاح الأول إلى إشعياء أنه قال: (إني بعثت ملكي أمام وجهك) وهذا الكلام لا يوجد في إشعياء؛ وإنما هو في ملاخي^(٢) . قال المهتدي الترجمان معلقاً على هذا العزو الكاذب: (وهذا من أقبح الكذب على أنبياء الله؛ حيث يسند لأحدهم ما ليس في كتابه^(٣)) .

١٠ - يؤكد المهتدي الترجمان أن إنجيل يوحنا اشتمل على ثلاثة نصوص كلها كذب،

وهذه النصوص هي : -

أ - ما جاء في الإصحاح الخامس منه أن المسيح عليه السلام قال لليهود: حقاً أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يعمل أو يصنع إلا ما رأى أباه يصنعه. ومن المعلوم بالضرورة أن المسيح أكل وشرب ونام وتعب ، والمسيح عليه السلام لم ير الله سبحانه وتعالى يعمل شيئاً من ذلك. وعيسى عليه السلام لم يقل شيئاً من ذلك^(٤) .

وهذا يناقض ما جاء في إنجيل يوحنا من قول المسيح - كما يرويه يوحنا - ليس أن أحداً رأى الأب^(٥)) ويناقض - أيضاً - ما جاء عن بولس وهو قوله: (لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه^(٦)) .

ب - ما ورد في الإصحاح السابع عشر منه أن المسيح عليه السلام تضرع إلى الله قبل موته وقال: (يا إلهي أنا أعلم أنك دائماً تستجيب لي، فأسألك أن تنجي تلاميذي من كل شيء في الدنيا والآخرة). قال الترجمان: (ومعلوم بتواتر النقل عند جميع النصارى أن تلاميذ عيسى عليه السلام أكثرهم مات مقتولاً بالسيف، ثم صلب بعضهم، وسلخ جلد

(١) البحث الصريح ، ورقة ١٦٠ . والحقيقة أن هذه أربعة وجوه .

(٢) انظر تحفة الأريب ، ص ١١٦ - ١١٧ ، ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١١٧ ، ومرقس ١ ، وملاخي ٣ . وقد حرف نص مرقس في الطبعة التي بين يدي إلى العبارة التالية (كما هو مكتوب في كتب الأنبياء) . ولعلمهم تنبهوا إلى هذا المأخذ فعدل النص، وهذا من الكذب؛ لأنه لم يرد هنا إلا عند ملاخي، فكيف يكون مكتوباً في كتب الأنبياء ؟ وهو

لم يكتب إلا في كتاب واحد منهم .

(٣) تحفة الأريب ، ص ١١٧ .

(٤) انظر المصدر السابق، ص ٢٢٦ .

(٥) يوحنا ٦ : ٤٧ .

(٦) رسالة بولس إلى تيموثاوس ، ٦ : ١٦ .

بعضهم، وعذبوا بأنواع العذاب، وحاشا أن يسأل الله رسوله عيسى عليه السلام أن يجنب تلاميذه كل شيء في الدنيا والآخرة ثم تتألمهم هذه المثالات، وقبائح الموتات، ويوحنا هو الذي كذب هذه الكذبة على المسيح، وأصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئاً منه البتة^(١) .

ج - ما جاء في الإصحاح الخامس عشر منه أن المسيح عليه السلام قال: (لولا أنني أتيت من المعجزات بما لم يأت به أحد قبلي؛ ما كانت لهم ذنوب بقله إيمانهم بي). قال الترجمان: (وحاشا عيسى أن يقول هذا؛ فإنه يعلم بالضرورة أن موسى عليه السلام أتى بمعجزات كثيرة عظيمة، وكذلك إلياس وإليسع عليهما السلام... فكيف يزعمون أن عيسى قال: أتيت من المعجزات بما لم يأت به أحد قبلي. بل كذب عدو الله يوحنا في هذا، وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا شيئاً من ذلك^(٢)) .

١١ - جاء في إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرين حكاية حراس قبر المسيح عليه السلام وهي قول متى: (إذ قوم من الحراس جاؤا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا إن التلاميذ أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام) ويرى بوكاي معتمداً على رأي الأب كاتينجسر أن هذه القصة يستحيل تصديقها؛ إذ من غير المعقول أن هؤلاء الحراس العسكريين الوثنيين يذهبون بتقريرهم ليس إلى رؤسائهم الوظيفيين، وإنما يذهبون إلى كبار الكهنة الذين يرشونهم ليقولوا أكاذيب^(٣)) .

١٢ - ما افتراه يوحنا في إنجيله على عيسى عليه السلام أن قال: (ما يصعد إلى السماء إلا الذي هبط منها) قال المهتدي الترجمان: (وهذا باطل وكذب على عيسى؛ فإن في التوراة أن إدريس وإلياس عليهما السلام صعدا إلى السماء ولم يكونا هبطا منها، بل في الأرض خلقا وعاشا إلى وقت صعودهما^(٤)) بل إن واقع المسيح عليه السلام يكذب هذا النص؛ لأنه رفع إلى السماء وهو لم ينزل منها .

١٣ - أورد متى في إنجيله الإصحاح الأول حكاية رحلة المجوس الثلاثة الذين جاؤا من

(١) تحفة الأريب ، ص ٢٢٧ - ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٢ ، وانظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٦٨ .

(٤) تحفة الأريب ، ص ٢٣٣ .

المشرق إلى بيت لحم في أيام ولادة المسيح، وقد كان هناك نجم يوجههم حتى وصلوا إلى المكان الذي وضع فيه الطفل الوليد. ويصف المهتدي عبد الأحد داود هذا الحدث بقوله: (إن المادة المركزة لهذا الحدث التاريخي أو القصة الخيالية للحكام القادمين من الشرق - تمثل أسطورة مقبولة تتألف من أكثر من ست عجائب، وكانت الكنيسة المسيحية وحدها هي القادرة على اختلاقها والإيمان بها) وبعد أن استعرض أحداثها المثيرة قال: (كل ذلك في الواقع أعاجيب مدهشة، لا يمكن أن تستسيغها إلا الخرافات النصرانية^(١)).

أما المهتدي الترجمان فبعد أن أورد هذه القصة بكاملها قال: (هذا نص متى في إنجيله، وهو باطل وكذب وزور وبهتان؛ وبيان ذلك أن بيت لحم بينها وبين بيت المقدس خمسة أميال، فلو كان الملك رودس خائفاً من هذا المولود، وباحثاً عنه لسار بذاته مع الثلاثة نفر، أو بعث من ثقاته من ينصحون له في البحث عن المولود على أتم الوجوه، وهذا دليل على كذب متى في هذه الحكاية، وأيضاً فإن لوقا وماركس ويوحنا لم يذكروا شيئاً من هذا في أناجيلهم، ومتى لم يحضر المولد - أي مولد المسيح - ولكنه نقله من كذاب افتعله على ما نقله^(٢)).

١٤ - وردت في الأناجيل عبارة « ابن الإنسان » ويذكر قاموس الكتاب المقدس أنه يوجد في الأربعة الأناجيل ثمانية وسبعون مثلاً يستخدم فيها المسيح هذه العبارة « ابن الإنسان » عن نفسه^(٣). وقد بين المهتدي عبد الأحد داود أن هذه العبارة المقصود بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن النصارى حرفوا هذا اللفظ وجعلوه مقولاً على المسيح عليه السلام^(٤).

١٥ - نسبت الأناجيل الثلاثة « متى ومرقس ويوحنا » إلى المسيح عليه السلام إخوة وأخوات، يقول متى مخبراً عما قاله اليهود للمسيح عليه السلام: (أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟ أليست أخواته جميعهن

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٤٥ .

(٢) تحفة الأريب ، ص ١٠٧ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ، نشر مكتبة المشعل، بيروت ، ط ١٩٨١ م ، ص ١٢٤ .

(٤) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وانظر الأدلة والبراهين التي قدمها هذا المهتدي على ذلك في هذا البحث ، ص ٣٨٠ .

عندنا^(١). ويؤكد المهتدي بوكاي أن الكلمتين اليونانيتين المستخدمتين للتعبير عن هذه العلاقة تعني بالفعل إخوة وأخوات. ويرى أنها ترجمة قاصرة لكلمتين من أصل سامي، وتعنيان أقرباء دون زيادة، وربما كان المقصود أيضاً أولاد العمّة أو الخالة^(٢).

١٦ - ذكر مرقس في إنجيله في الإصحاح الخامس عشر أن عيسى عليه السلام قال وهو على خشبة الصليب : إلهي إلهي لم خذلتنني. قال المهتدي الترجمان معلقاً على هذا: (وهذا وإن كان كذباً على عيسى، وحاشا أن يكون الله خذله أو تمكن اليهود من صلبه، وإنما احتججنا على النصارى به؛ لأنهم رضوه من نصوص أناجيلهم، وهم مصدقون به^(٣)).

١٧ - جاء في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر أن المسيح عليه السلام قال لبطرس: (وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات). قال المهتدي عبد الأحد داود: (ولا يعرف القديس مرقس ولا القديس لوقا شيئاً عن قوة المفاتيح التي أعطيت لبطرس، وبما أنهما لم يكونا هناك لم يسمعا بذلك^(٤)).

١٨ - ذكر كل من متى ومرقس ولوقا أن الله تجلّى للمسيح عليه السلام وكلمه قائلاً: هذا ولدي الذي اصطفيته. وأن التلاميذ سمعوا كلامه. قال الترجمان معلقاً على هذا النص: (بل هذا كله من بهتانهم وجرأتهم على الله في الكذب عليه وعلى رسوله عيسى؛ ومقصودهم بجميع هذه الأكاذيب ترويح لعقائدهم في ألوهية المسيح وكونه ولد الله، تعالى الله عن ذلك، ثم أوقعهم الله - بعظيم قدرته وباهر حكمته - في التناقض، وتخاذل النقل، وتدافع اللفظ والمعنى، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(٥)).

١٩ - جاء في الأناجيل الثلاثة «متى ومرقس ولوقا» قوله: (ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك) ويرى المهتدي عبد الأحد داود أن النص الأصلي لهذا

(١) متى ١٣ : ٥٥-٥٦ ، ومرقس ٦ : ١-٦ ، ويوحنا ٢ : ١٢ ، ٧ : ٣ .

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٠٥ . ولا يمكن أن تدل هذه الكلمات على أن هذه القرابة من جهة العمّة؛ لأن المسيح عليه السلام ليس له أب مباشر حتى يكون له أبناء عمّة .

(٣) تحفة الأريب ، ص ١٩٤ ، وانظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٩٨ .

(٤) معبد في الكتاب المقدس ، ص ٢٤٤ . ومتى ١٦ : ١٩ .

(٥) تحفة الأريب ، ص ٢٢١ ، ومتى ١٧ : ١-٩ ، ومرقس : ٢-١٣ ، ولوقا : ٩-٢٨ ، ٣٦ .

النص ورد فيه أن المتكلم هو الله، وأنه يخاطب المؤمنين، ولكن في الترجمات اللاحقة لهذه الأناجيل جعل المتحدث هنا هو الله مخاطباً المسيح، ثم استبدل لفظ الضمير الشخصي للمتكلم وهو قوله: (أمامي). إلى قوله: (أمامك)؛ حتى يكون هذا النص دالاً على المسيح لا أنه مشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

٢٠ - ذكر المهتدي الإسكندراني أن النصارى نسبوا إلى المسيح عليه السلام أنه أحل لهم الميتة والدم ولحم الخنزير. قال: (وحاشا للمسيح من ذلك فإنه قال: ماجئت مبطلاً لشرعية موسى عليه السلام؛ بل جئت أكملها وشرعية موسى حرمت الميتة والدم ولحم الخنزير^(٢)). وذكر أيضاً أن النصارى نقلوا في أناجيلهم عن المسيح عليه السلام أنه حرم الختان والختان سنة الأنبياء، وهو مفروض عليهم في التوراة^(٣). وقد استبدل النصارى الختان بالمعمودية^(٤).

٢١ - يؤكد المهتدي الترجمان أن حكاية تجلي المسيح عليه السلام لبولس الواردة في الإصحاح التاسع من أعمال الرسل هي من الكذب، بل هي من الخيال المتهافت، حيث يقول: (هذه الحكاية كذب، أو هي من خدع الشيطان^(٥)).

٢٢ - يورد كل من المهتدي إبراهيم خليل وبوكاي نماذج للكيفية التي تمت من خلالها عملية تحريف الكتاب المقدس، وينقل إبراهيم خليل عن مفسري الكتاب المقدس قولهم: (إن الناسخ في بعض الأحيان قد يضع في النص ما لم يكن فيه، ولكن ما يظنه أنه لا بد أن يتضمنه، فهو قد يثق بذاكرة مترددة، أو أنه يجعل النص يتطابق مع وجهات نظر المدرسة التي ينتمي إليها^(٦)). أما بوكاي فبعد أن أورد شهادة أحد الآباء النصارى عن الكيفية التي تمت من خلالها صياغة وتأليف خاتمة إنجيل مرقس - قال: (ياله من اعتراف صريح بوجود التعديلات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة !! ياله من اعتراف ذلك الذي

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٧ ، ومتى ١١ : ١ - ١٥ ، ومرقس ١ : ٢ ، ولوقا ٧ : ١٨ - ٢٨ .

(٢) انظر مسالك النظر في نبوة سيد البشر، ص ٦٢ ، ومتى ٥ .

(٣) انظر مسالك النظر، ص ٦٢ ، وغلاطية ٥ : ٢ - ٣ ، ٦ : ١٥ .

(٤) رسالة كولوسي ٢ : ١١ - ١٢ .

(٥) تحفة الأريب ، ص ١١٠ .

(٦) الغفران بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢٠ .

تقدمه لنا تأملات هذا العلم اللاهوتي الكبير^(١) .

وينقل المهتمدي إبراهيم خليل عن أحد علماء النصارى قوله: (إن الكتاب المقدس المتداول حالياً لا يحتوى على التوراة والإنجيل المنزّلين، ولقد اعترف علماء باحثين أنفسهم باللمسات البشرية في إعداد هذا الكتاب المقدس^(٢)) .

ب : تناقض الأناجيل فيما بينها^(٣) : -

التناقض الأول : بين متى ولوقا فيما يتعلق بنسب المسيح عليه السلام، وهذا النسب للمسيح من جهة آبائه معدوم المعنى ؛ إذ ليس له أب ، وكان الأولى أن يكون النسب من جهة أمه مريم عليها السلام، أما التناقض الواقع بينهما في هذا النسب فيمكن استعراضه في النقاط التالية : -

١ - يورد لوقا أسلاف المسيح عليه السلام إلى آدم، بينما شجرة نسب المسيح عند متى تبدأ بإبراهيم عليه السلام .

٢ - تضمنت أسلاف المسيح عليه السلام عند لوقا على اثنين وأربعين اسماً، بينما هي عند متى سبعة وعشرين اسماً فقط، إذاً فعدد أسلاف المسيح مختلف في الإنجيلين، بالإضافة إلى أن الأسماء مختلفة بينهما .

٣ - قسّم متى أسلاف المسيح إلى ثلاث مجموعات ونص على أن كل مجموعة تتكون من أربعة عشر اسماً، بينما المجموعة الثالثة - من واقع إنجيله - لا تحتوي إلا على ثلاثة عشر اسماً فقط، ويعلق بوكاي على هذا التناقض قائلاً: (ولا شك أن نسب المسيح في الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافئ الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى^(٤)) .

التناقض الثاني : بين لوقا وكل من مرقس ومتى في خبر طفولة المسيح عليه السلام؛ إذ

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٧ ، وانظر ص ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٣١ منه .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ٣٢ ، وانظر ما أورده الهاشمي في كتابه «سر إسلامي» ، ص

٤٤ - ٤٥ عن التحريف من خلال الطبقات الحديثة .

(٣) وغير خاف أن كل تناقض فيها يعتبر تحريفاً .

(٤) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١١٦ ، وانظر ١٠٤ - ١١٥ منه ، والبحث الصريح ، ورقة ٤٣ / ب ، و

ما أصل الإنسان ، ص ١٤٨ ، ١٧٢ ، والمسيح إنسان أم إله ، ص ٥٦ .

يوردها لوقا بتفصيل دقيق، بينما يرويها متى بصورة مغايرة، أما مرقس فإنه لا يذكر عنها أي شيء^(١).

التناقض الثالث : بين الإنجيليين الأربعة في خبر تعميد يوحنا لعيسى ابن مريم عليهما السلام؛ إذ يروي مرقس ولوقا أن المسيح عليه السلام دخل ماء الأردن وتعمّد كأى شخص آخر على يد يحيى. أما متى فإنه لا يقنع بأن يرى عيسى أقل منزلة من يحيى، فيروي على لسان يحيى أنه قال للمسيح: إنني بحاجة لأن أعمد على يدك، فهل جئت أنت لي؟. ولكن يوحنا يتناسى ذكر تعميد المسيح الذي ذكره الثلاثة من قبله ويبالغ في بيان منزلة المسيح إذ تقول على لسان يحيى أنه لما رأى المسيح صاح قائلاً: انظروا هذا حمل الله.^(٢) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

التناقض الرابع : بين متى ولوقا ويوحنا في موقف يوحنا المعمدان من المسيح عليهما السلام حيث روى يوحنا في الإصحاح الأول من إنجيله أن يوحنا لما رأى المسيح قال: هذا حمل الله. تعالى الله عن ذلك. بينما يؤكد لوقا على أن المعمدان كان - وهو لا يزال جنيماً - يعرف عيسى ويعبده، وعيسى كان حينئذ صغيراً في رحم أمه. ويخالف الجميع متى في أن يحيى وهو في سجنه لم يكن يعلم بالطبيعة الحقيقية لرسالة المسيح^(٣).

التناقض الخامس: بين الإنجيليين الأربعة فيما يتعلق بركوب المسيح عليه السلام على الدابة، إذ يذكر كل من متى ولوقا أنه كان راكباً الدابة^(٤). أما مرقس فإنه يقول: (إنه راكباً على جحش ابن الدابة^(٥)). أما يوحنا فإنه يقول: (إنه راكباً على الجحش ابن الدابة^(٦)) ويعد أن أورد الترجمان هذه النصوص علق قائلاً: (فانظروا - رحمكم الله - إلى اختلافهم البارد، وكذبهم الظاهر في قولهم : إنه ركب الجحش - وصغره لصغر سنه - وما كان كذلك كيف يركبه الإنسان^(٧)).

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٨ .

(٢) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٧ ، ومتى ٣ ، ومرقس ١ ، ولوقا ١ ، ويوحنا ١ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٦٧ - ١٦٨ ، ومتى ١١ ، ولوقا ١ ، ويوحنا ١ .

(٤) متى ٢١ ، ولوقا ١٩ . والطبعة التي بين يدي لإنجيل لوقا ورد فيها : وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع .

(٥) مرقس ١١ .

(٦) يوحنا ١٢ .

(٧) تحفة الأريب ، ص ٢١٢ - ٢١٤ .

ويستعرض المهتدي عبد الأحد داود نص متى فيما يتعلق بهذه الحادثة^(١)، ويقابله بنص لوقا ويقول: (إن مشهداً كهذا سيظهر أقرب إلى الكوميديا منه إلى أبهة المركب الملكي المهيب، بيد أن لوقا حذر ولم يقع في خطأ متى ، فهل كان هذان المؤلفان يستمدان الإلهام من الروح^(٢)) .

التناقض السادس :انفرد يوحنا في رواية خبر أول معجزة أظهرها الله على يد المسيح عليه السلام وهي تحويل الماء إلى خمر بعد أن نفذت في الوليمة التي دعي إليها. ولم يذكر هذه الحادثة أصحابه الثلاثة، وكان من المفترض أن تتظافر عليه النقلة؛ لأنها أول معجزة في نظرهم أظهرها لهم للبرهنة على صدق رسالته، قال المهتدي المتطرب معلقاً على هذا الحدث: (فإن هم - أي الثلاثة - كانوا قد تركوا ذكرها؛ لأنهم غابوا عنها، ولم يكن عندهم من اليقظة والعناية بأمر المسيح وأخباره ما يدعوهم إلى المسألة عنها، وما يؤمنكم أن يكونوا قد غابوا عما هو أعظم وأهم من هذه؟ فكيف يخفى خبر مثل هذه الآية على أمثالهم^(٣)) ؟ .

التناقض السابع : بين يوحنا ومتى ومرقس إذ يذكر يوحنا في إنجيله في الإصحاح الخامس: أن المسيح عليه السلام قال لليهود: إن أبي الذي أرسلني هو يشهد لي، ولا سمع قط أحد صوته ولا رآه. وهذا قريب من الحق. ثم خالفه متى في اللفظ والمعنى فقال: إن المسيح طلع على جبل طابور ومعه بيترو وجافصو ويوحنا الحواري فلما استقروا على الجبل ... سمعوا صوت الأب من السماء يقول : هذا ولدي. ثم خالف يوحنا نفسه حيث نفى الرؤية في النص السابق ، ثم أثبتتها بقوله مخبراً عن المسيح أنه قال: إن المسيح قال للحواريين: أنتم تعرفون أبي ورأيتموه. وذكر هذا النص أو قريباً منه مرقس. فبين هذه النصوص تناقض ظاهر مؤداه كفر صريح^(٤) .

التناقض الثامن : بين متى ومرقس ولوقا في جزاء الزهد في الدنيا حيث قال مرقس مخبراً عن المسيح أنه قال : من يترك لوجهي داراً أو جناناً أو غير ذلك فإنه يأخذ قدر ما

(١) نص متى في الطبعات الحديثة هكذا: هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان. متى ٢١ : ٦٥ .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٠٩ .

(٣) النصيحة الإيمانية ، ص ٨٣ ، ويوحنا ٢ .

(٤) انظر تحفة الأريب ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ . ويوحنا ٥ و ١٤ ، ومتى ١٧ ، ومرقس ٩ .

ترك مائة مرة في الدنيا وفي الآخرة الجنة. وقال متى: إنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة وله الجنة. وقال لوقا: إنه يأخذ أكثر مما ترك. فالأول ذكر الجزاء المضاعف في الدنيا ووعده بالجنة، والثاني ذكر الجزاء المضاعف والوعد بالجنة، ولكنه لم يذكر الدنيا، أما الثالث فإنه أهمل العدد المضاعف ولم يذكر الدنيا ولم يذكر الجنة. وهذا الوعد من المسيح عليه السلام لأتباعه لم يورده يوحنا^(١).

التناقض التاسع: بين مرقس ومتى في آية الأعمى الذي شفاه الله على يد المسيح عليه السلام، إذ يذكر متى أن عيسى عليه السلام لما خرج من أريحا ناداه مكفوفان اثنان... وأنه فتح أعينهما فصارا يبصران، ووردت هذه الحادثة لدى مرقس وذكر فيها أعمى واحداً فقط. والأناجيل لم تذكر أن المسيح عليه السلام مرّ بهذه البلدة إلا مرة واحدة؛ فكذب متى في كونهما مكفوفين، وكذب مرقس في كونه مكفوفاً وحداً؛ لأن القصة واحدة، فكل من هذين النصين يكذب الآخر^(٢).

التناقض العاشر: بين متى ولوقا ويوحنا في خبرهم عن المسيح أنه قال: إن الشيطان أراد فساد يقينكم. ثم قال لبترو - أي بطرس - أنا رغبت من أبي أن لا يجعل للشيطان سبيلاً على فساد يقينك. ثم إن بطرس هذا أنكر المسيح عليه السلام في حادثة صلبه - كما زعموا - وكفر به وارتد عن دينه بعد أيام. فكيف يدعون أن المسيح ابن الله، وأنه معصوم، ثم يخبر تلامذته بأن الشيطان ليس له طريق على إيمانهم، وبالذات بطرس، ثم يكفر هذا التلميذ؛ وفي هذا وقوع الكذب في خبره، والتناقض في كتابهم^(٣).

التناقض الحادي عشر: ناقض متى نفسه في خبره عن المسيح عليه السلام أنه وصف بطرس بأنه صاحب المنزلة العالية؛ إذ أعطاه مفاتيح السموات والأرض!! وبعد هذه الفقرة بفقرات يسيرة وفي نفس الإصحاح يصفه المسيح بأنه شيطان حيث يقول له: (اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما لله، ولكن بما للناس) فتأمل هذا التناقض المريع إذ بعد أن أعطي مفاتيح السموات يصبح شيطاناً لا يهتم بما لله^(٤)!!

(١) انظر تحفة الأريب، ص ٢٣٠، ومرقس ١٠، ومتى ١٩، ولوقا ١٨.

(٢) انظر تحفة الأريب، ص ٢٠٨ - ٢٠٩، والبحث الصريح، ورقة ١٥٤، ومتى ٢٠، ومرقس ١٠.

(٣) انظر تحفة الأريب، ص ٢٢٣ - ٢٢٦، ولوقا ٢٢، ومتى ٢٦، ويوحنا ١٨.

(٤) انظر محمد في الكتاب المقدس، ص ٢٤٥، ومتى ١٦: ١٧ - ٢٣.

التناقض الثاني عشر : بين متى ومرقس وذلك أن متى ذكر في إنجيله أن مريم زوجة زيداى جاءت للمسيح عليه السلام وقالت له : أريد منك أن ولديّ الاثنيين يجلسان غداً في ملكوتك، أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك. ولكن مرقس أورد هذه القصة بشكل مغاير إذ قال: إن ولدي خالة عيسى - وهي امرأة زيداى - قال له: يا معلم نحب منك أن تنعم علينا بما نطلبه منك فقال عيسى: أي شيء تريدان. قال له: أنعم علينا بأن نجلس أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك في ملكوتك. ويتبين من نص متى أن الأم هي التي طلبت ذلك، بينما هما اللذان سألا المسيح لدى مرقس. ويوحنا ولوقا لم يذكرنا هذه الحادثة إطلاقاً^(١).

التناقض الثالث عشر : بين متى ومرقس في حكاية وصية المسيح عليه السلام لتلاميذه إذ قال لهم - كما يروي متى - لا تفتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ولا مزوداً للطريق، ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا؛ لأن الفاعل مستحق طعامه. أما مرقس فكانه أشفق عليهم أن يمشوا حفاة، وخاف عليهم - أيضاً - أن يمشوا مجردين من السلاح فأذن لهم بلبس النعال وحمل العصا، وأورد هذه الوصية قائلاً: لا تأخذوا شيئاً في الطريق غير عصا فقط، لا خرجاً ولا نحاساً في مناطقكم إلا نعلاً. !! فعلى الوصية حسب الرواية الأولى هم مجردون من كل شيء ، وعلى مقتضاها عند الثاني أذن لهم بأخذ العصا والنعال^(٢).

التناقض الرابع عشر : ناقض متى نفسه في إنجيله في الإصحاح الثالث حيث قال: إن يوحنا يأكل الجراد والعسل. ثم خالف نفسه في الإصحاح الحادي عشر إذ جاء فيه: جاءكم يوحنا لا يأكل ولا يشرب^(٣).

التناقض الخامس عشر : بين ترجمتي إنجيل لوقا ففي الترجمة اللاتينية عدد الحوارين اثنان وسبعون حوارياً. بينما عددهم في النسخة اليونانية سبعون حوارياً^(٤).

التناقض السادس عشر : بين متى ومرقس في خبر سؤال التلاميذ يوحنا عن الصيام، إذ جاء عند متى : (أن تلاميذ يوحنا قالوا للمسيح : لأي شيء نصوم نحن ويصوم الفريزيون وتلاميذك لا يصومون)؟. وقال مرقس : (إن الكتاب والفريزيون قالوا للمسيح : لأي شيء

(١) انظر تحفة الأريب ، ص ٢١٦-٢١٤ ، ومتى ٢ ، ومرقس ١٠ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٧ ، ومتى ١٠ ، ومرقس ٦ .

(٣) انظر تحفة الأريب ، ص ٢١٨ .

(٤) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٦ / أ ولوقا ١٠ : ١٧ .

يصوم تلاميذ يوحنا وتلاميذك يأكلون ويشربون ولا يصومون)؟. قال المهتدي الترجمان: (وهذا اختلاف ظاهر؛ لأن النص الأول فيه الفريزيون يصومون، وأن السائلين هم تلاميذ يوحنا. والنص الثاني فيه أن الفريزيين هم السائلون بزيادة يحيى بن زكريا والكتاب معهم ولم يذكروا أنفسهم في صوم ولا إفطار^(١)).

التناقض السابع عشر: بين متى ومرقس ولوقا إذ ينفرد متى بذكر خبر آية يونس التي أشار إليها المسيح عليه السلام، وذلك أن الفريسيين خاطبوا المسيح قائلين: (يا معلم نريد أن نرى منك آية. فأجاب المسيح وقال لهم: جيل شرير وفاسق ويطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال). ويبرز المهتدي بوكاي جانباً من التناقض في هذا النص بقوله: (المسيح يعلن أنه سيظل يبطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولكن لوقا ومعه مرقس يحددون موت ودفن المسيح بما قبل يوم السبت بيوم، وهذا بالتأكيد يجعل المكوث بالأرض ثلاثة أيام؛ ولكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوي إلا على ليلتين، وليس ثلاث ليال^(٢)).

والتناقض الآخر الذي اشتملت عليه هذه النصوص لدى هؤلاء الثلاثة هو التناقض في حكاية هذه الحادثة؛ إذ يورد متى أن المسيح عليه السلام قال لهم: (ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ..) أما عند لوقا فإن المسيح قال: (هذا جيل شرير يطلب آية، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي؛ لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان آية لهذا الجيل) وخالف الجميع مرقس فأتى بالنفي القاطع وهو قوله: (الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية)^(٣). والتناقض ظاهر في رواياتهم لهذه الحادثة؛ لأن الفريسيين طلبوا من المسيح آية - ولم يتكرر هذا الطلب - فمتى ذكر آية يونس وأن المسيح سيتمكث في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. أما لوقا فذكر أن المسيح أشار إلى آية يونس وأنه -

(١) تحفة الأريب، ص ٢١٦ - ٢١٧، ومتى ٩، ومرقس ٢، مع أن المهتدي أحال على الإصحاح الخامس من مرقس؛ ولعل هذا بسبب اختلاف النسخ من زمن إلى آخر.

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٨٣، ٨٥، وانظر البحث الصريح، ورقة ٤٦/أ، وتحفة الأريب، ص ١١٧ - ١١٩، ومتى ١٢ : ٣٨ - ٤٠.

(٣) متى ١٢ : ٣٨ - ٤٠، ومرقس ٨ : ١١ - ١٢، ولوقا ١١ : ٣٠.

أي المسيح - سيكون آية لجيله. أما مرقس فنفي أن المسيح قدم آية. وسلم يوحنا من التناقض في هذا إذ سكت ولم يذكر هذه الحادثة، وكل نص من هذه النصوص يكذب بقيتها ويحكم عليها بالتكاذب والتناقض والتحريف .

التناقض الثامن عشر : بين مرقس وبقية الثلاثة الكتبة، حيث يروي مرقس حدثاً لا يمكن أن يكون قابلاً للتصديق، فضلاً عن أن الأناجيل الثلاثة الأخرى تخالفه، وهذا الحدث هو أن الفريسيين طلبوا من المسيح آية فقال لهم: (لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية). وما من شك في أن المسيح عليه السلام قدم عدداً من الآيات التي تبرهن على صدق رسالته، وقد روي بعضها في إنجيل متى ولوقا ويوحنا^(١) .

التناقض التاسع عشر : بين يوحنا ومرقس ومتى في تعيين المسيح عليه السلام للذي يخونه ويدل اليهود عليه، حيث جاءت رواية هذه الواقعة عند يوحنا هكذا: . الذي نعطيه الخبز مصبغاً في المرقة. ثم أعطاه ليهوذا أشكريبوط). أي يهوذا الإسخريوطي - وجاءت الرواية لدى مرقس هكذا: (إن الذي يصبغ خبزه معي في القصعة هو الذي يخونني) وأوردها متى هكذا: (إن عيسى قال لهم: إن الذي يخونني هو معي في التلاميذ) قال الترجمان معلقاً على هذا التناقض: (وهذا اختلاف بين؛ لأن عيسى لم يتكرر منه هذا القول في مجالس حتى يزعموا أنه اختلفت عبارته فيها، وليس معنى قوله متحدأ؛ فيكون كل واحد من الأربعة عبّر عن قوله بعبارة من عنده، بل تخصيصه ليهوذا أشكريبوط بمناولة الخبز مصبغاً في المرقة يقتضي تعيينه وكشف أمره، وبقية ما نقلوه يدل على أنه أبهم عليهم شأنه، وهذا تناقض دل على الكذب من جميع الأربعة^(٢)) .

التناقض العشرون : بين الإنجيليين الأربعة في اقتصاص خبر اللحظات الأخيرة من حياة المسيح عليه السلام، ولعل أبرز النقاط التي وقع فيها التناقض في روايتهم لهذه الأحداث هي :

١ - التناقض في تحديد العشاء الأخير للمسيح عليه السلام مع تلاميذه؛ إذ تقول الأناجيل الثلاثة الأولى: إنه حدث في أثناء عيد الفصح. أما الإنجيل الرابع فيذكر أنه وقع قبل عيد الفصح. ويقول المهتدي بوكاي: (عندما ندرك أهمية عيد الفصح في الطقوس

(١) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٦ ، ومرقس ٨ ، ولوقا ٧ ، ومتى ١٢ ، ويوحنا ٢ .

(٢) تحفة الأريب ، ص ٢٠٨ ، وانظر ٢٠٦ - ٢٠٧ منه . ومتى ٢٦ ، ومرقس ١٤ ، ويوحنا ١٣ .

اليهودية، والأهمية التي اكتسبها العشاء الذي ودّع فيه المسيح حواريه، فكيف يمكن تصور أن التراث الذي نقله المبشرون فيما بعد قد نسي زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح^(١) .

٢ - تختلف رواية الآلام التي صاحبت اللحظات الأخيرة من حياة المسيح عليه السلام فيما بين هذه الأناجيل، وتبين بشكل خاص بين الأناجيل الثلاثة وبين إنجيل يوحنا، إذ تحتل رواية الآلام والعشاء الأخير للمسيح عند يوحنا مساحة كبيرة تبلغ ضعف المساحة عند كل من مرقس ولوقا، ويزيد يوحنا بمقدار مرة ونصف على نص متى .

٣ - ينفرد يوحنا بسرد خطبة طويلة للمسيح عليه السلام وجهها إلى تلاميذه، تحمل في طياتها الوصية والوداع الأخير، وشغلت هذه الخطبة عند يوحنا أربعة إصحاحات من ١٤ - ١٧ ، وليس لهذه الخطبة أي أثر لدى الثلاثة الآخرين .

٤ - ينفرد متى ومرقس ولوقا بذكر صلاة المسيح عليه السلام في ضيعة جتسيماني، في حين أن يوحنا لا يشير إلى هذه الصلاة .

٥ - انفرد - كذلك - متى ولوقا ومرقس في إيراد تأسيس القربان المقدس في أثناء العشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه، وهذا التأسيس هو تقديس الخبز والخمر، ولا يذكر ذلك يوحنا. بينما يورد تفاصيل تكميلية وإضافية للقربان المقدس كفصل المسيح عليه السلام أقدام التلاميذ، والإشارة إلى خبز الحياة، وهذا مما انفرد به يوحنا^(٢) .

التناقض الحادي والعشرون : بين مرقس ومتى ويوحنا في رواية حادثة الصليب، إذ يتفق متى ومرقس في أن المسيح عليه السلام لما مثل أمام المحكمة - كما يزعمون - ووجهت إليه عدد من الأسئلة والتهم كان ساكناً لا يجيب سوى قوله: أنت تقول. أما يوحنا فقد أورد حديثاً طويلاً للمسيح عليه السلام في هذه الواقعة^(٣) .

التناقض الثاني والعشرون : بين متى ولوقا ويوحنا في خبر حامل الصليب، إذ يذكر متى ولوقا أن حامل الصليب رجلاً قيروانياً، حيث يقول متى: (امسكوا سمعان رجلاً

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١١٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١١٧ - ١٢١ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ١٥٨ ، والنصيحة الإيمانية ، ص ٨٤ -

٨٥ ، ومتى ٢٦ ، ومرقس ١٤ ، ولوقا ١٤ ، ويوحنا ١٣ - ١٧ .

(٣) انظر المسيح إنسان أم إله ، ص ١٣١ - ١٣٣ ، ومتى ٢٧ ، ومرقس ١٥ ، ويوحنا ١٨ .

قيروانياً كان آتياً من الحقل، ووضعوا عليه الصليب ليحمله). أما يوحنا فإنه يقرر أن المسيح عليه السلام هو الذي حمل الصليب بنفسه، إذ يقول: (فأخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو حامل صليبه^(١)).

التناقض الثالث والعشرون: بين متى ومرقس ولوقا ويوحنا في تصوير موقف المسيح عليه السلام على الصليب - كما يزعمون قاتلهم الله - إذ نجد أن متى ومرقس يصورانه فزعاً ملهوفاً يتضرع إلى الله ويعاتبه بقوله: إلهي إلهي لماذا تركتني. أما لوقا فإنه يصور المسيح قانعاً راضياً يسأل الله أن يغفر لهؤلاء القتلة؛ لأنهم لا يعلمون. أما يوحنا فإنه يصوره مترقباً كل خطوة نحو الموت كأنها خبر معلوم له، حتى إذا قاربت اللحظات المحرجة قال: «قد أكمل» كأنها شهادة منه لهم بأنهم آمنوا بتحقيق ما طلب منهم^(٢) .

التناقض الرابع والعشرون: بين متى ولوقا في حكاية جانب من فرية الصليب، إذ أورد متى في الإصحاح السابع والعشرين من إنجيله: (أن عيسى صلب معه لسان؛ فكانا يشتمان في حالة الصليب). وخالفه لوقا في تصوير موقف اللصين إذ جعل أحدهما يشتم المسيح والآخر يدافع عنه، ويروي لوقا هذا الحدث في إنجيله الإصحاح الثالث والعشرين قائلاً: (إن أحد اللصين هو الذي هزأ بعيسى وقال له: إن كنت المسيح حقاً فخلص نفسك وخلصنا. فزجره اللص الآخر وقال له: ماتخاف الله! وتعلم أن الذي أصابه قد أصابك مثله، وأنت وأنا نستحق ما فعل بنا، وهو لا يستحق شيئاً. ثم قال للمسيح: يا سيدي اذكرني يوم مجيئك من ملكوتك. فقال له المسيح: أقول حقاً إنك تكون معي في ذلك اليوم في جنة الفردوس). وهذا تناقض ظاهر؛ إذ ذكر متى أن اللصين يسبانه فوجبت لهما النار، أما لوقا فجعل واحداً يسب والآخر يدافع، وأوجب للأخير الجنة؛ والحدث واحد فلا مجال لاحتمال تكرار موقف اللصين، ولكن الكذب يفضح صاحبه^(٣) .

التناقض الخامس والعشرون: انفرد متى بذكر حادثة خيالية، ادعى أنها وقعت لما أسلم المسيح الروح، وهي تزلزل الأرض، وانشقاق الهيكل، وقيام القديسين من قبورهم^(٤) . وهذا

(١) انظر المسيح إنسان أم إله، ص ١٣٣، ومتى ٢٧، ولوقا ٢٣، ويوحنا ١٩.

(٢) المسيح إنسان أم إله، ص ١٣٣ - ١٣٤، ومتى ٢٧، ومرقس ١٥، ولوقا ٢٣، ويوحنا ١٩.

(٣) انظر تحفة الأريب، ص ٢١٠ - ٢١٢، والمسيح إنسان أم إله، ص ١٤٩، ومحمد في الكتاب المقدس، ص ١٦٨، ومتى ٢٧، ولوقا ٢٣.

(٤) المسيح إنسان أم إله، ص ١٣٤ - ١٣٥، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٨٢، ومتى ٢٧.

المحدث بهذه الصورة لو وقع فعلاً لما سكت عنه الآخرون، ولأصبح آية معجزة ترغم أنوف المجاهدين على التصديق به، والإيمان برسالته .

التناقض السادس والعشرون : بين مرقس ولوقا بشأن صعود المسيح عليه السلام، إذ قال مرقس: (إن سيدنا المسيح لما قام من بين الأموات كلّم الحواريين ثم صعد إلى السماء من يومه)^(١). وقال لوقا في إنجيله : (انفصل عنهم المسيح وحمل إلى السماء)^(٢). وجاء في أعمال الرسل : (أن عيسى صعد إلى السماء بعد قيامه من بين الأموات بأربعين يوماً)^(٣) . إذاً إنجيل مرقس يورد هذا الحدث ويؤرخ صعوده في يوم قيامه من بين الأموات. وهذا التحديد جاء في نهاية الإصحاح الأخير من هذا الإنجيل الذي يقول البعض: إنه أضيف إلى هذا الكتاب. أما لوقا في إنجيله فلم يذكر التاريخ ، بينما يذكر في أعمال الرسل - والكل يعتقد أنه من تأليفه - أن المسيح عليه السلام صعد إلى السماء بعد أربعين يوماً. إذاً هذا الحدث على أهميته في عقيدة النصارى ؛ لأنه يرتبط به تحديد العيد النصراني للصعود، لم يرد تحديد تأريخه في أي إنجيل من الأناجيل الأربعة - حسب الطبقات الحديثة - في حين أنه لم ترد الإشارة إليه نهائياً في الإنجيل الأول والرابع، وذكر تحديدته في سفر أعمال الرسل فقط^(٤) .

التناقض السابع والعشرون : بين متى ومرقس ولوقا ويوحنا بشأن الفترة التي استغرقتها رسالة المسيح عليه السلام، فهي عند الثلاثة الأولين استمرت عاماً واحداً، أما عند يوحنا فقد تمتد لأكثر من عامين^(٥) .

التناقض الثامن والعشرون : في إنجيل متى نفسه إذ نقل عن المسيح عليه السلام نصواً تفيد حصر رسالته وقصرها على بني إسرائيل كقوله: (إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل بالحري اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

(١) مرقس ١٦ : ١٩ . هذا النص حسب رواية المهدي الترجمان ، بينما الطبعة التي اعتمد عليها المهدي بوكاي لإنجيل مرقس لم تحدد تأريخ صعوده. إذ أثبتت أنه رفع إلى السماء فقط ، ولعل هذا من جراء التحريف الذي نزل بهذا الكتاب تلاحياً للتناقض الصارخ حينما يحدد التاريخ .

(٢) لوقا ٢٤ : ٥١ .

(٣) أعمال الرسل ١ : ٢ .

(٤) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٢١ - ١٢٣ ، وحقبة الأريب ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٥) انظر القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٩٣ ، والإنجيل والصليب ، ص ٩١ .

وقوله : (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة). ثم بعد ذلك يناقض متى نفسه ؛
رغبة في تعميم رسالة المسيح عليه السلام إلى كل الأمم فيقحم النص التالي في خاتمة
إنجيله وهو قوله: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم^(١)) .

التناقض التاسع والعشرون : بين متى ويوحنا إذ افتري متى وعداً على لسان المسيح
عليه السلام وعدّه لتلاميذه فقال لهم : (هاأنا معكم دائم الأوقات إلى انقضاء العالم)
وهذا الوعد يكذبه الواقع والشرع والعقل ويناقضه يوحنا؛ لأنه أخبر بمجيء شخص آخر
قادم بعده حيث يقول: (وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا
يتكلم من نفسه) فإذا كان عيسى عليه السلام باق بقاء الزمن فلا داعي لتبشيريه بمن يأتي
بعده، وإذا بشر بمن يأتي بعده، وأنه يرشدهم إلى كل الحق فلا مبرر لبقائه إلى الأبد^(٢) .

وأخيراً هذا كلام نفيس للمهتدي عبد الأحد داود، أحببت الاستئناس به في ختام هذه
التناقضات ينمى فيه على النصارى عقولهم التي قبلت تلك التناقضات واعتقدت مؤداها،
ودافعت عنها دفاع المستميت حيث يقول: (ويبدو أن هؤلاء القسس والرعاة واللاهوتيين
والمدافعين النصارى لهم منطقهم الغريب الخاص بهم في الجدل، ولديهم ميل خاص للأمور
الغامضة والسخيفة، ومنطقهم لا يعرف التوسط أو تمييز الاصطلاحات أو الفكرة المحددة
للألقاب والتسميات التي يستخدمونها، ولديهم ذوق يحسدون عليه في الميل إلى الأقوال
المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينها؛ والتي لا يستطيع أحد غيرهم ابتلاعها كابتلاع
البيض المسلوق، فهم قادرون على الاعتقاد دون تردد أن مريم كانت عذراء وزوجة في وقت
معاً، وأن يوسف كان القرين والزوج، وأن جيمس «يعقوب» ويوسي وسمعان ويهوذا كانوا
أبناء عمومة وإخواناً لعيسى في الوقت عينه، وأن عيسى إله كامل وبشر كامل، وأن ابن
الله وابن الإنسان والحمل وابن داود كلها تشير إلى الشخص نفسه، وهم يتغذون بتعاليم
متنوعة تمثلها هذه الاصطلاحات ... وهم يعبدون المصلوب، ويعبدون الله تعالى، كما لو

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٧١ - ٧٢ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٠ ، ومتى ١٠ : ٥ - ٦ ، ١٥ :

٢٤ ، ٢٨ : ١٩

(٢) انظر الإنجيل والصليب ، ص ٨٧ ، ومتى ٢٨ ، ويوحنا ١٦ .

كانوا يقبلون الخنجر الدامي لقاتل أخيهام في حضرة أبيهم^(١) .

وبعد هذا الاستعراض لنماذج من تحريف الأناجيل وتناقضها وتكاذبها؛ يحسن أن استعرض شهادة المجمع المسكوني الثاني للفاثيكان في دستوره العقائدي عن التنزيل الذي أعد فيما بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م التي تقول: (لا يغفل على أي إنسان أن من بين كل الكتب المقدسة - بل حتى كتب العهد الجديد - كان هناك ما يتمتع عن حق الامتياز مثل الأناجيل باعتبار أنها تكون شهادة حقيقية عن حياة ودروس الكلمة المجسدة - أي منقذنا - فدائماً وفي كل مكان حفظت الكنيسة وما زالت الأصل الرسولي للأناجيل الأربعة ، والواقع أن ذلك هو الذي دعا إليه الرسل بأمر المسيح، فقد نقلوا إلينا أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم، ويتأثرون بهم، ويتأثرون من الوحي الإلهي للروح كتابات هي أساس الإيمان، ونعني الإنجيل المربع متى ومرقس ولوقا ويوحنا^(٢) . فهل بعد هذه النماذج من التحريف والتناقض والكذب البين يدعى أنها كتبت بإلهام، ولو صدرت هذه الشهادة في زمن النصرانية الغابرة لوجد لها عذراً؛ أما أن تصدر في هذا العصر الذي شهد كثيراً من الاكتشافات العلمية والمخطوطات الأثرية والتدفق العلمي الذي ينقض هذه الشهادة من أصلها؛ فلا عذر لهم في هذا، ولكنني على يقين أن من أعد هذا الدستور على علم بهذه التحريفات والتناقضات، ولكنه أصدر هذا البيان؛ رغبة في إضفاء هالة من المديح على هذا الكتاب المتهافت تحجب الأنظار عن رؤية عواره .

وينقض هذا الدستور - بالإضافة إلى ما قدمت من أدلة - شهادة الترجمة المسكونية للعهد الجديد في قولها عن الأناجيل: (إنها نصوص تتكيف مع مختلف الأوساط، وتستجيب لاحتياجات الكنائس ، وتعبر عن تأمل في الكتاب المقدس، وتصحح الأخطاء، وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم، بهذا الشكل جمع المبشرون - أي كتبة الأناجيل - كل بحسب وجهة نظره ما قد أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية^(٣)) .

(١) محمد في الكتاب المقدس، ص ٢٣١ .

(٢) نقلاً عن القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٧٨ .

(٣) الترجمة المسكونية للعهد الجديد نقلاً عن المصدر السابق ، ص ٧٧ .

ج - التناقض بين العهد القديم والعهد الجديد : -

يعتبر العهد الجديد هو الامتداد الطبيعي للعهد القديم، وبناء على ذلك كان من المفترض أن يتفقا ولا يختلفا؛ لأن المصدر الذي يعتمدان عليه واحد وهو الوحي - في زعمهم - والأحداث التي تحدثا عنها واختلفا فيها واحدة، فلماذا حصل التناقض والاختلاف ؟ .

إن التناقض والاختلاف نتيجة حتمية للكتابات المدفوعة بالهوى، والمسبوقه بالغاية الفاسدة، وهذه التناقضات بين العهدين كثيرة جداً، ولعل من أبرزها ما رقمه هؤلاء المهتدون في أبحاثهم ودراساتهم وهي ما يلي: -

التناقض الأول : بين سفر الأيام الأول وإنجيل متى فيما يتعلق بنسب المسيح عليه السلام حيث انقص متى ثلاثة أسماء بين داود والمسيح عليهما السلام، وتتضح صورة التناقض بينهما من خلال الجدول التالي :

النسب حسب سفر الأيام	النسب حسب إنجيل متى
يهوشافاط	يهوشافاط
يورام	يورام
أخزيا
يوآش
أمصيا
عزريا	عزريا
يوثام	يوثام

فتبين من هذا الجدول أن متى قد انقص أخزيا، ويوآش، وأمصيا. كما أنه حُرف اسم عزريا^(١).

التناقض الثاني بين متى وسفر الأيام الأول فيما يتعلق - أيضاً - بأنسب المسيح عليه السلام، وفيما يلي جدولاً بهذه الأسماء التي وقع الخلاف فيها بينهم : -

النسب حسب سفر الأيام	النسب حسب متى
يوشيا	يوشيا
يهوياقيم	يكنيا

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٣ / ب ، ٤٤ ، أ ، وسفر الأيام الأول ٣ ، ومتى ١ .

شألتينيل	يكنيا
زربابل	فدايا
أبيهود	زربابل
ألياقيم	حننيا

وكما ترى في هذا الجدول يبدو التناقض ظاهراً .

وقد استخلص المهتدي الشيخ زيادة أوجه التناقض من هذا النسب في النقاط التالية : -

١ - أن متى جعل يوشيا أباً ليكنيا، بينما حسب رواية سفر الأيام الأول يكون يوشيا جداً ليكنيا .

٢ - أن متى جعل شألتينيل أباً لزربابل بينما في الأيام أن أباه فدايا .

٣ - أن متى جعل من أبناء زربابل أبيهود، وفي سفر الأيام الأول عدد أولاد زربابل سبعة وليس من بينهم أبيهود .

٤ - أن بقية أسماء هذه السلسلة مختلفة لدى متى عنها في سفر الأيام الأول^(١) .

التناقض الثالث : بين سفر التكوين وإنجيل لوقا فيما يتعلق بأنسب المسيح عليه السلام - أيضاً - إذ أورد سفر التكوين تسعة عشر اسماً فقط بين إبراهيم وداود عليهما السلام. أما لوقا فإنه يذكر عشرين اسماً؛ حيث أضاف اسم «قينان» بعد «أرفكشاد» وبهذا يكون لوقا كرر اسم «قينان» مرتين بينما هذا الاسم لم يرد في سفر التكوين إلا مرة واحدة^(٢) .

ورد المهتدي الشيخ زيادة على الدعوى المتعلقة بهذه المسألة والقائلة: إن التوراة اليونانية موجود في بعض نسخها «قيانانين» - بأن التوراة العبرية التي هي الأصل لا يوجد فيها إلا «قينان» واحداً؛ فإذا ثبت صحة التوراة اليونانية أثبتنا نحن وأصحاب هذا القول تزوير التوراة العبرية. وإن ادعى المعتقدون بصحة التوراة العبرية صحتها؛ أثبتنا نحن وإياهم تزوير التوراة اليونانية وإنجيل لوقا، فالتزوير واقع عليهم لا محالة^(٣) .

التناقض الرابع : بين سفر الملوك وإنجيل يوحنا في المدة التي استغرقها بناء الهيكل؛ إذ ورد في سفر الملوك الأول أن بناء الهيكل تمّ في سبع سنين. بينما استغرقت عمارة الهيكل

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٤ ، وسفر الأيام الأول ، ٣ ، ومتى ١ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٥ ، والقرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١١١ ، والتكوين ١١ ، ولوقا ٣ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٥ .

ستا وأربعين سنة عند يوحنا^(١) .

التناقض الخامس بين سفر التثنية ورسالة بولس إلى أهل رومية في وراثة الخطيئة ومعاقبة الأبناء بذنوب آبائهم، حيث جاء في التثنية: (لا تقتل الآباء عوض البنين، ولا البنون عوض الآباء) ويناقض هذا القول ما زعمه بولس من قوله في رسالته إلى أهل رومية: (لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً^(٢)) .

التناقض السادس : بين سفر التكوين وأعمال الرسل في خبر شراء إبراهيم عليه السلام للمغارة؛ إذ يذكر سفر التكوين أن إبراهيم قد اشترى «مغارة المكفيلة» من حبرون ابن صوحر من بني حث في حبرون. بينما يذكر في أعمال الرسل أن إبراهيم عليه السلام قد اشتراها من بني حمور أبي شكيم. وقد وقع التناقض بين هذين النصين في الأمور التالية:-
١ - موقع المغارة؛ إذ يذكر في التكوين أنها في حبرون. بينما يذكر أعمال الرسل أنها في شكيم .

٢ - في اسم البائع فهو حبرون بن صوحر الحثي. وفي سفر الأعمال لم يذكر اسم الرجل المباشر للبيع وإنما اكتفى بنسبته إلى بني حمور أبي شكيم .

٣ - الاختلاف في القبيلة التي ينتمي إليها البائع فهو من بني حث في التكوين. بينما نجد أن سفر الأعمال يذكر أنه من بني حمور^(٣) .

التناقض السابع : بين يوحنا وما يرويه هو عن التوراة حيث افتتح إنجيله بعبارات تؤكد ألوهية المسيح عليه السلام وأزليته، وأنه ابن الله تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً. لكنه ينقل في إنجيله في الإصحاح التاسع عشر قول اليهود: (أجابه اليهود: لنا ناموس، وحسب ناموسنا يجب أن يموت؛ لأنه جعل من نفسه ابن الله)^(٤) .

التناقض الثامن : بين رسالة بولس إلى أهل كولوسي وبين سفر الملوك الأول، وهذا تناقض يتضح بإحالة كتب العهدين على فقرات ورسائل منها لا توجد اليوم في واقعها.

(١) انظر البحث الصريح، ورقة ٤٨ / أ ، والملوك الأول ٦ ، ويوحنا ٢ .

(٢) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٨ / ب - ٤٩ / أ ، والفقران بين الإسلام والمسيحية ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، والتثنية

٢٤ ، ورسالة بولس إلى أهل رومية ٥ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٤٥ / أ ، والتكوين ٢٣ ، وأعمال الرسل ٧ .

(٤) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، ص ١٧٤ ، ويوحنا ١٩ ، ١ .

فقد ذكر المهتدي الشيخ زيادة أن بولس في رسالته إلى أهل كولوسي أوصاهم أن يقرأوا رسالة اللاذقية. وهذه الرسالة غير موجودة في ثنايا العهدين، ويذكر سفر الملوك الأول أن عدد أمثال سليمان عليه السلام ثلاثة آلاف مثل، وتسايحه ألف وخمسمائة تسبيحة. ويقول المهتدي الشيخ زيادة: (نتأكد إعدام رسائل اللاذقية، ونقص أمثال سليمان وتسايحه التي ليس باق منها ولا ثلثها^(١)).

(١) البحث الصريح ورقة ، ١٦٨ ، ورسالة بولس إلى أهل كولوسي ٤ ، والملوك الأول ٤ .

الباب الثالث

المقارنة بين مناهجهم التي سلكوها في كتبهم
ويشتمل على ثلاثة فصول : -

- ١ - الفصل الأول : المقارنة بين مناهج المتقدمين فيما بينهم .
- ٢ - الفصل الثاني : المقارنة بين مناهج المعاصرين فيما بينهم .
- ٣ - الفصل الثالث : المقارنة بين مناهج المتقدمين ومناهج المعاصرين .

مقدمة : -

كان الحديث في الباب الأول عن التعريف بهؤلاء المهتمين، ثم تحدثت في الباب الثاني عن القضايا الرئيسية التي كانت محل الخلاف بين الإسلام واليهودية والنصرانية، وسيكون الحديث - بحول الله وقوته - في هذا الباب عن المناهج العلمية التي سلكها هؤلاء المهتمون ليصلوا من خلالها إلى هدفين هما: الوصول إلى الحق الذي يورث الطمأنينة، ويحقق السعادة في الدنيا، والفوز والفلاح في الدار الآخرة. والهدف الثاني هو إبلاغ هذه الحقائق التي توصلوا إليها إلى بني قومهم ومن يأتي بعدهم .

وقد ضمنوا هذه الحقائق والمعارف والبراهين في كتب علمية رائدة وصلت إلينا؛ لذلك تباينت أهداف هذه الكتب، واختلفت وسائلها، وتنوعت أساليبها ما بين أسلوب علمي يعتمد على الدليل والبرهان من غير حاجة إلى تنميق أو بيان، وبين أسلوب أدبي رفيع يضمّن الأدلة تضميناً، ويسوق الحجج والبراهين بعضها تلو بعض، تأسر النظر، وتأخذ باللب، وكما تنوعت الأساليب فكذلك تعددت القضايا التي تمت دراستها في هذه الكتب، فنجد مثلاً أن المهتمدي السموأل قد تطرق في كتابه «إفحام اليهود» إلى أكثر مواطن النزاع بين اليهودية والإسلام، وكذلك المهتمدي المتطرب في كتابه «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» حيث فضح أمرها، وكشف سرها، وهتك أستارها في حين أنك تجد مثلاً مؤلفات - من هذه الكتب - قد خصصت لمعالجة مسألة واحدة ككتاب «المسيح إنسان أم إله» و «الغفران بين الإسلام والمسيحية» و «محمد في الكتاب المقدس» .

إذا كانت أساليبها متنوعة، وموضوعاتها مختلفة؛ ولكنها اتفقت في الغاية التي سعت إليها، وهي - ولا شك - غاية سامية شريفة، تظهر جوانبها في النقاط التالية : -

١ - الإقرار بوحدانية الله، والاعتراف له بالعبودية، والشهادة بأن الله أرسل رسوله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأنزل عليهم كتبه؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تقوم الحجة على الخلق في ذلك، والشهادة - أيضاً - بأن هذا الجانب المشرق - الوحدانية - هو أساس كل الرسالات الإلهية .

٢ - الشهادة بأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الذي بشرت

به الرسل من قبل، وشهدت له الكتب السابقة، وأكدت هذه الكتب أنه لا ينبغي أن يعيننا التعصب عن الإذعان للحق والتسليم له بعد ما تبين لهم .

٣ - أن الإسلام الذي دعا إليه محمد صلى الله عليه وسلم هو دين الله الذي لا يبتغى غيره، ولا يقبل ديناً سواه، وهو الإسلام الذي آمن به نوح وإبراهيم وموسى وسائر المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

٤ - التأكيد على فساد اليهودية المبدلة، والنصرانية المحرفة، والشهادة على كتبها بالتحريف، وعلى أتباعها بالضلال .

٥ - أن هذا المسلك الذي سلكوه - وهو اعتناق الإسلام بعدما تبين لهم الحق - هو المسلك الذي يفرضه الدين، ويمليه العقل، وتجنح إليه الفطرة، وتأنس إليه الروح، وينقاد له البدن في استسلام للباري عز وجل... فإذا اتضح الدليل، وقامت الحجة، وتفشعت الظلمة، وتبين الحق فما الداعي للارتساف في أغلال الماضي، وضلال الديانات المحرفة، واتباع الآباء والأسلاف، والجمود معهم على تقاليد بالية، وميراث لا يستحق إرثه، رفضه كثيرون من ذويه، فالعقلاء استبدلوه بخير منه، ومن سواهم ممن رفضه - ولم يطلعوا على الإسلام - لم يجدوا بديلاً يملئون به فراغ أرواحهم؛ فظلوا في حيرة لا مخرج منها إلا بالإسلام، أو الموت على غير دين يرضاه الله، نعوذ بالله من الخذلان .

٦ - أنهم أرادوا أن يثبتوا لبني قومهم أنهم بتركهم ملتهم واعتناقهم الإسلام لم يكفروا؛ بل أكدوا لهم - والحال هذه - أنهم أكمل منهم إيماناً، وأعظم تصديقاً؛ إذ تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم تصديق لكل الأنبياء، لأن الإيمان به لا يستوجب الكفر بمن سبقه من الأنبياء، بل على النقيض من ذلك؛ فإن إيمانهم بمحمد يستوجب منهم الإيمان والتصديق بكافة الأنبياء والمرسلين من قبله تصديقاً جازماً لا مرأ فيه ولا تردد .

٧ - بعد أن استبان لهم السبيل، واتضحت لهم المحجة، وهداهم الله لهذا الدين، وشرح صدورهم له... رأوا لزاماً عليهم دعوة غيرهم من قومهم للإسلام لسببين هما :-

أ - إيفاءً بالعهد والميثاق، وخوفاً من كتمان الحق فيتجه إليهم وعيد الله الذي ذكره بقوله: (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون^(١)) .

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٩ .

ب - الرغبة الصادقة في هداية من اطلع على هذه المصنفات، ودعوته للإسلام من خلالها؛ لينعموا بما نعموا به في الدنيا والآخرة .

٨ - رمت هذه الكتب - فيما رمت إليه - إلى دفع الشبهات التي يلصقها أهل الكتاب في الإسلام وأهله، وهذه الشبه توجه للمهتدي بعد إسلامه لغايتين هما : -

أ - محاولة ثني هذا المهتدي عما عزم عليه .

ب - العمل على تشويه الصورة الحقيقية للإسلام، وإثارة الشكوك حوله؛ حتى يكوّنوا لأتباعهم - ممن لم يعرفوا حقيقة الإسلام حصانة تمنعهم من اعتناقه أو مجرد الاطلاع عليه أو القرب منه، لئلا تبهر حقيقة الإسلام أبناء ملتهم، فيندفعون إليه .

فانبرى هؤلاء المهتدون يحطمون هذه الشبه من أمامهم وينسفونها نسفاً، مستعينين عليها بعد الله بما ورد في كتابهم، وبما تفره العقول الصحيحة والفطر السليمة .

٩ - أرادوا أن يشبتوا من خلال هذه المؤلفات أن الدين الذي كانوا عليه لم يبق على الصورة التي جاءت بها الرسل؛ بل طمست معالمه، ومسخت أصوله، وبدلت فروعه، وتأثر بغيره من أديان الوثنية، فالتوحيد الذي كان ناصعاً في أول صدر دعوته تحول إلى وثنية، وعبدت الأنداد مع رب العباد، والعبادة التي نزلت على أنبيائهم، وتعبد بها أسلافهم تحولت واستبدلت بغيرها ... بل إن الكتب التي كانت حياً من عند الله لم يحفظها البشر كما كان ينبغي لها أن تحفظ، بل تلاعبت بها الأيد البشرية، وصاغت صياغة تنطلق من أهواء وأحقاد وضغائن، وبعد تطاول الدهور، وتعاقب العصور؛ أصبحت هذه الكتب المحرفة مستنداً للعقائد والعبادات الباطلة، لأن ما بني على باطل فهو باطل .

وإن هذا الدين الذي كانوا عليه لو كان صحيحاً، ولو سلم من التدخل البشري في عقائده وعباداته وكتبه - لقادهم حتماً إلى الإسلام والإذعان له؛ لأن هذه الرسائل بعضها متم لبعض، فالسابق يبشر باللاحق، واللاحق يصدق السابق ويدافع عنه .

١٠ - يعمل أصحاب النفوذ على تحريض السلاطين وذوي الاختصاص والمصالح للإضرار به، والتضييق عليه؛ لعله يرجع عن دينه فيدفعه إلى التأليف وبيان وجه الحق الذي لاح له فلم يسعه إلا اتباعه .

١١ - خلال الرحلة من دين إلى آخر ومن ملة إلى أخرى قد تساور الإنسان بعض الشكوك، وتثور لديه بعض الشبه فيحاول جاهداً تجلية هذه الشبه، وإزالة هذه الشكوك،

فيجتهد باحثاً عن أوجه الحق، ومناحي الهدى؛ فيشمر ذلك وقوفاً على أدلة وبراهين و يقين
لم يكن قد اطلع عليه أو مرّ به؛ فيرى لزاماً عليه أن يبين ذلك للناس .

الفصل الأول

المقارنة

بين مناهج المتقدمين فيما بينهم

لم يكن هؤلاء المهتمون يمثلون مدرسة واحدة، أو أمة واحدة، أو طائفة واحدة، أو بلداً واحداً، أو عصراً واحداً؛ وإنما كانوا مختلفي المشارب، متنوعي الانتماء عقيدة وبلداً؛ لذا كان لزاماً أن تختلف مناهجهم التي انتهجوها في إعداد هذه الكتب «الوثائق»، وسيكون مدار الحديث في هذا الفصل عن مناهج المتقدمين، في حين سيكون الفصل الثاني مخصصاً لمناهج المعاصرين، وسيكون الفصل الثالث مخصصاً للمقارنة بين هذه المناهج .

مناهج المتقدمين :-

يستطيع الدارس لهذه الكتب أن يتبين المناحي العامة التي سلكها مؤلفوها في إعدادها، ولعل أبرز هذه المناحي ما يلي :-

١ - أنهم اخضعوا ما تلقوه من نصوص وعبادات واعتقادات عن كتبهم، أو توارثوه عن أجدادهم - للتحخيص الدقيق والامتحان؛ فما ألقوه خيراً تمسكوا به، وما وجدوه باطلاً ردوه وتخلصوا منه . وقد أمكنهم من ذلك وأقدرهم عليه أمور منها :-

أ - أنهم كانوا قبل إسلامهم على مستوى عال من البصيرة في دينهم، والفقہ في شريعتهم، والإحاطة بكتبهم، والإلمام بتاريخهم وسائر أحوال أهل ملتهم - كل ذلك مكنتهم من الكشف عن مواطن الزلل، والإبانة عن مواقع الخلل، فكانت أبحاثهم في غاية التدقيق، وأدلتهم في قمة التسديد، وحججهم دامغة، وبراهينهم قاطعة .

ب - كان لأكثرهم دراية واسعة بعلوم المنطق والحساب والطب؛ فأكسبتهم هذه العلوم درية فكرية تؤهلهم للنقد، وتقدمهم بالحجج والبراهين، كما هذبت عقولهم فرفضت كل خرافة بالية، وكل أسطورة فارغة؛ فلا تنقاد إلا لما أيده الدليل .

٢ - استقراء الكتاب والسنة النبوية المطهرة؛ للاستدلال من خلالهما على أنهما تضمنتا من العقائد المحكمة، والشرائع الجامعة، والآيات البينة الظاهرة - ما يوجب ضرورة قبول نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتأكيد على أنهما احتويا الشيء الكثير من ذلك الذي لا يجعده إلا معاند مكابر .

٣ - دراسة مؤلفات علماء المسلمين - في مجال مقارنة الأديان - ومقارنتها ومقابلتها مع

بعضها، وتبين مواضع النقص فيها، وبيان الثغرات عليها، ثم محاولة التأليف لسد هذا النقص، وملء هذه الثغرات حيث يقول المهتدي السموأل: (على أن الأئمة - ضوعف ثوابهم - قد انتدبوا قبلي لذلك، وسلخوا في مناظرة اليهود أنواع المسالك؛ إلا أن أكثر ما نوظفوا به، يكادون لا يفهمونه، أو لا يلتزمونه، وقد جعل إلى إفحامهم طريقاً مما يتداولونه من نص تنزيلهم، وأعماهم الله عنه عند تبديله؛ ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم^(١)). وتجد هذه المراجعة لهذه المؤلفات بصورة أوضح لدى مهتد آخر هو الترجمان حيث يقول: (... وجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين رضي الله عنهم محتوية على ما لا مزيد عليه، إلا أنهم رحمهم الله قد سلخوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات العقول - بل الحافظ أبو محمد بن حزم رحمه الله قد رد عليهم بالمعقول والمنقول خصوصاً ما في كتبهم - وأعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول إلا النادر من المسائل؛ فكنت شديد الحرص على أن أضع في الرد عليهم موضوعاً بطريق النقل، وحقيقة الإنصاف بالعقل، يجمع بين النقل والقياس، وتتفق عليه العقول والحواس^(٢)).

٤ - استحضار حقائق التاريخ ومسلّماته والاستشهاد بها على أن ما حدث في تاريخ الأمة الإسلامية ليس بدعاً بين الأمم؛ بل له ما يماثله في تاريخ الرسل السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ثم صياغة هذه الحقائق والمسلّمات في براهين ساطعة تؤيد ما وجدوه من الحق والنور .

٥ - جمع هؤلاء المهتدون في ثنايا كتبهم بين الأدلة العقلية والنقلية، فأتحفوا القارئ بأدلة نقلية من التوراة والإنجيل لا تجد لها اليوم ذكراً في الطبقات الحديثة لهذه الكتب، ولم توجد هذه الأدلة في مصنفات المسلمين إلا بعد ورودها لدى هؤلاء، بل إنهم أوردوا فيها أدلة نقلوها من كتب أنبياء بني إسرائيل، ولا تجد لهذه الكتب أثراً في كتاب العهد القديم المتداول اليوم، كما قدموا عدداً من الأدلة العقلية والحسية كالتواتر والإجماع والأقيسة المنطقية التي لا محيد عنها، وألزموا الخصم بعدة أمور - لا مهرب منها - إما أن يذعن لها؛ فيعلن إسلامه، وإما أن يرفضها فيخرج من دينه وملته .

(١) إفحام اليهود، ص ٨٦ .

(٢) تحفة الأريب، ص ٥٤ .

٦ - التزموا في هذه المصنفات الأمانة العلمية في عرض عقائد الخصم عرضاً راعياً، كيف لا وقد تربوا على هذه العقائد منذ نعومة أظفارهم، ثم أرادوا أن ينقضوها ولا يستقيم لهم نقضها مع الإخلال في عرضها؛ لأن ذلك يتيح للخصم أن يحتج عليهم بأن العرض ناقص، والنقد كاذب .

كما التزموا الأمانة - أيضاً - في نقل النصوص - موضع الشاهد - نقلاً دقيقاً، وأحياناً كثيرة لمزيد من العناية في الدقة والتثبت ينقلون النص في هيئته الأصلية من لغته الأساسية كالعبرية أو السريانية أو اللاتينية، ثم يترجمون النص ترجمة صحيحة تكون شاهداً لما أرادوا إثباته أو نفيه، وأظهرت هذه المصنفات لمؤلفيها قدرة فائقة في معرفة اللغات التي دون بها العهد القديم والجديد، مما يؤكد أن لهؤلاء المهتمين دراية واسعة وشاملة بهذه اللغات، ويؤكد - في الوقت نفسه - مدى الرعاية والعناية التي لقيها هؤلاء المهتمون من مشايخهم وأخبارهم، وإنك لتعجب حين تجد الواحد منهم يجيد لغتين أو ثلاثاً من لغات العهد القديم أو الجديد، وإن هذا التميز لما يزيد حجتهم، ويرفع قدرهم، ويعلي مكانتهم.

كما التزموا الأمانة العلمية - أيضاً - في نقل أقوال الفرق التي اضطروا للرد عليها في هذه المصنفات؛ فكان منهجهم استعراض أقوال كل فرقة على حدة، ثم الرد عليها بصحيح المنقول من كتابهم، وإلزامهم بما يعتقدونه من دينهم وكتابهم ولو كان محرفاً، والرد عليهم بصريح المعقول مما تقتضيه العقول وتسلم له النفوس .

٧ - إلزام أهل الكتاب بما يقبلونه من دينهم ومقابلة ذلك بما عند المسلمين، وإثبات أنها متماثلة في المصدر والوسيلة وإمكانية الحدوث .

٨ - اتفقوا على الإيجاز والاختصار، ورغم هذا الاختصار فقد حشدوا في هذه المصنفات نصوصاً كثيرة جداً من نصوص العهد القديم والجديد؛ رغبة في جلاء الحق وبيانه، وأكثر ما توسعوا فيه أبواب البشارة بنبوته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وذكروا - أيضاً - أن بإمكانهم الإطالة في ذكر هذه البشارات وتعدادها؛ ولكن - مع ذلك - آثروا الإيجاز خوفاً من ملل القارئ، هذا من جانب، ومن جانب آخر رأوا أن الحجة تقوم على الخصم بما أوردوه.

٩ - الجدل بين الأديان جدل قديم، تؤججه الإثارة، ويغلب عليه الحقد والكذب من جانب المكابر والمعاند؛ إلا أن هؤلاء المهتمين تأدبوا بأدب القرآن في قوله تعالى: (يا أيها الذين

آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى^(١). فظهرت في كتاباتهم الموضوعية التامة المتجردة عن الهوى والتعصب الممقوت، ولم يمنعهم ذلك من إظهار غيرتهم لله ولدينه، أو من مقتهم الشديد وكراهيتهم للوثنية السابقة التي كانوا عليها .

١٠ - الحرص على الرفق في مجادلة الخصم، فلم تكن هذه الكتابات منفرة ولا مستهجنة؛ بل كان سباجها الحكمة، ودثارها السكينة، وشعارها الصدق، وديدها الرفق، ابتعدت عن الظلم والبغي على الخصم بسبب اعتقاده ومكابرتة .

١١ - حاول هؤلاء المهتدون صياغة هذه المؤلفات بأسلوب جزل اللفظ، سلس العبارة، يجمع بين قوة الحججة، ووضوح الدليل، ورسالة الكلم. يقول المهتدي الطبري: (ومن ألف كتاباً في مثل هذا الفن الجليل الهادي المستنير العام المنفعة لأهل الأديان كلهم كان جديراً أن يجعله مفهوماً سهلاً، وأن يخاصم ويساجل خصمه، ولا يعلو عليه ولا يربي، بل يفهم ولا يبهم، وينصف ولا يظلم، ويستعمل الرفق ويحسن سياقه^(٢)) .

١٢ - إن المتتبع لسير حياة هذه المجموعة المباركة، والعقبات التي واجهتهم قبل وبعد إسلامهم، وكذلك التجربة التي عبروها نحو الملة الإسلامية، ثم يضيف إلى ذلك دراسة واعية متأنية لمصنفاتهم التي حشدوا فيها الأدلة الدالة على فساد أديانهم السابقة، والبراهين التي ظهرت واستعلنت لهم على أن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، ثم إعلاتهم الخضوع الكامل والاستسلام التام لله رب العالمين - لا بد أن يلمس - وبصورة واضحة - استقلالهم الفكري، وتميزهم العلمي، ولعل أبرز مظاهر هذا الاستقلال والتميز ما يلي :-

أ - الأدلة الدالة على فساد دينهم التي استنبطوها من كتبهم .

ب - البشارات التي استخرجوها من كتبهم ، والتي تؤكد على أن الأنبياء السابقين عليهم السلام بشرى بمجيء هذا النبي الخاتم، ووصفوه، وذكروا رسالته ، وnectوا جهاده وأصحابه وبلده ...

ج - البراهين التي استنبطوها من الشريعة الإسلامية للتدليل من خلالها على أن هذه

(١) سورة المائدة . الآية ٨ .

(٢) الدين والدولة ، ص ٣٥ .

الشريعة مماثلة للشرائع السابقة في هيئتها ومصدرها ووسائل تبليغها، بل إنها تفوقت عليها فيما اشتملت عليها من شرائع جمعت بين العدل والفضل والكمال .

د - ظهر في هذه المؤلفات جوانب من الإبداع في التأليف، والجودة في التصنيف، والإضافة والتجديد، كما أنها خلت من النقول الكثيرة التي يلمس من خلالها أن المؤلف يردد ما سبق به، وقيل من قبله، وأنه متأثر بمن نقل عنهم؛ بل كانت هذه المؤلفات نتيجة بحث ومقارنة، فكل ما فيها عبارة عن نص من كتبهم المعتمدة، أو دليل عقلي، أو برهان حسي، أو قياس محكم... ويتخلل ذلك ربط وإلزام وتحليل واستنباط .

١٣ - تميزت بعض كتابات هذه الفئة بروح النقد المباشر للمعتقدات والأفكار- وإن شئت سمها الروح الهجومية في النقد - ويظهر ذلك جلياً من عناوين هذه المؤلفات مثل «إفحام اليهود» و « النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» و «تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب» ولعل الذي أكسبها هذه الصبغة هو المقت الشديد للحال التي كانوا عليها، بالإضافة إلى ما اشتمل عليه دينهم السابق من خرافات وأساطير لا تقبل بها العقول الصحيحة ولا الفطر السليمة؛ مما دفعهم إلى أن يواجهوا هذه المشاكل في دينهم بمثل هذا عسى أن يكون هذا الأسلوب المباشر في الطرح والمواجهة موقظاً لقلوب قوم لازالوا في طغيانهم يعمهون .

ونجد لهم العذر في انتهاج هذا المنهج إذا أخذنا في الاعتبار حملات التشكيك والاستعداد التي واجهتهم إبان إسلامهم من بني قومهم، ثم إننا نلمس في هذا الاتجاه دليلاً صادقاً على صحة إيمانهم؛ إذ تبرز فيه كراهيتهم للكفر وأهله، حيث قال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم^(١)) وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)^(٢) .

١٤ - انفرد كل من المهدي السموأل والطبري - من بين سائر المتقدمين - بوضوح أثرهم على من جاء بعدهم من علماء الإسلام فيما نقلوه عنهم من أدلة نقلية وعقلية .

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الإيمان باب ٩ . ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ٦٧ .

الفصل الثاني
المقارنة
بين مناهج المعاصرين
فيما بينهم

في الفصل السابق استعرضت مناهج المتقدمين، وسيكون الحديث في هذا الفصل عن مناهج المعاصرين، وبيان المميزات التي استقلت بها، وأثرها على الحركة العلمية في مجال مقارنة الأديان، ومدى التجديد والإسهام الذي شاركت فيه في هذا المضمار، ومن أبرز هذه المناهج "مايلي" :-

١ - لقي العهد الجديد والقديم من التحريف ما لا مزيد عليه، ثم تكاثرت نسخه، وتعددت ترجماته؛ مما اضطر هؤلاء المهتمون إلى تعدد طرقهم التي سلكوها للوصول من خلالها إلى تحقيق بعض هذه النصوص، وهذه المسالك هي :-

أ - المقابلة بين النسخ القديمة للعهدين كالعبرية واليونانية والسريانية واللاتينية والعربية؛ لبيان الحق أو إثبات التحريف .

ب - الرجوع إلى قواميس اللغات القديمة للتأكد من أصل كلمة ما، وما يمكن أن تترجم به، أو تؤدي إليه .

ج - إرجاع الكلمات - موضع الشاهد - إلى أصولها ، وذلك بالرجوع إلى أصل الكلمة في اللغة التي وردت فيها أول مرة ، ثم بيان تدرج هذه الكلمة في اللغات ، وكيف حرفت في اللغة الثانية والثالثة ... واستمر التحريف وكل ترجمة تزيدها تحريفاً وبعداً عن مصدرها الأصلي ، حتى وصلت إلينا، ثم بيان أصل الكلمة في اللغة الأولى ووجوه اشتقاقها، وصحة ترجمتها في اللغات التي نقلت إليها ، ثم كيف ينبغي أن تكون ترجمتها في اللغة العربية . والحقيقة أن المهتمدي عبد الأحد داود بذل جهداً مضنياً وجباراً في استقصاء التحولات اللغوية للمفردة الواحدة من لغة إلى أخرى ، وسار عبر رحلة طويلة بين العبرية والآرامية واليونانية واللاتينية . والهدف الذي رمى إليه أن يخرج من ضيق المعنى بعد تحريفه، إلى سعة الدليل المستفاد من النص قبل تحريفه ، وبين خطأ المترجمين وهل كان

(١) سأذكر من مناهج المعاصرين ما انفردوا به عن سبقهم، أما السمات المشتركة بينهم وبين المتقدمين فرأيت أن تكون ضمن الفصل الثالث من هذا الباب؛ رغبة في الاختصار ومجانبة التكرار .

قصداً أم خطأ. وقد أعانه على ذلك معرفته لكثير من اللغات القديمة التي قل من يجيدها في العصر الحاضر ، بالإضافة إلى توفر نسخ التوراة والإنجيل لديه بعدة لغات قديمة .
د - المقارنة والاستقصاء والاستنطاق: وذلك بأن يجمع الألفاظ التي تتحدث عن القضية محل النزاع، ويقارنها بغيرها، ثم يستنتجها لتكون شاهدة لحجته، مؤيدة لنظريته، دالة دلالة يقين على أن ما يقوله هو الحق الذي يسنده البرهان، لا ما قاله أئمة الكفر من الأخبار والرهبان.

هـ - أحياناً يربط الكلمة - محل النزاع - بما يتفق معها، ويختلف عنه، ويتعارض معها من سائر نصوص الكتاب المقدس، ويبين التناقض، ويذكر التعارض، ويوضح تدخل الكنيسة، ثم يطرح عدة تساؤلات ملزمة، وبعد ذلك يدلي برأيه، مؤيداً بالنصوص وبمضامينها ودلالاتها .

و - اعتمد العرض المتدرج للقضية - موضع المناقشة - فيذكر أولاً أصولها، وكيف استقرت في ذهن الخصم عن طريق التصور الخاطيء لها، موضحاً الصورة الحقيقية لها والمكان اللاتق بها، وينفي انتساب الخصم لها، من خلال النصوص المسلّمة لديهم، كما فعل في مفهوم « ملكوت الله » لدى النصارى .

ز - يأتي إلى قضية مسلّمة لدى الخصم ، فيعيد لها الحياة من واقع الترجمة، ويجعلها شاهدة لما يقول، مستعيناً بعد ذلك بمقدمات عقلية موجبة .

وهذه الفقرات الخمس الأخيرة مما انفرد به المهتدي عبد الأحد دواد، ولم أجد من سبقه إليها .

ح - بعض فقرات العهد القديم غامضة جداً مما يصعب فهمها أو إدراك ماترمي إليه، ولكن الله وفق هؤلاء لشرح بعض رموز الكتاب المقدس بعضها ببعض، فما غمض هنا فسّر هناك، وبهذا استطاعوا أن يستخرجوا من النصوص الجامدة نصوصاً شاهدة لما ذهبوا إليه .

٢ - اشترط المهتدي عبد الأحد داود صفات يرى أنه ينبغي على من يريد أن يسلك هذا السبيل أن يجتهد في تحصيلها ومراعاة تطبيقها في نفسه، وهذه الصفات هي : -

أ - أن يتقن دراسة العقائد والأحكام التي تضمنها الدين الذي يرد عليه وينتقده، وأن يميز بين أصوله وفروعه .

ب - أن يكون ملماً بالدين الذي يدعو إليه عارفاً بما يشتمل عليه هذا الدين من عقائد وأحكام ومحاسن وأمر غيبية .

ج - أن يخلص النية في قصده وعمله، وأن يبرهن للقارئ على حسن نيته، وأنه يبتغي من وراء ذلك البلاغ والدعوة لا التشفي والانتقام .

د - أن يكون متصفاً بالأخلاق والآداب الحميدة التي يحث عليها دينه؛ حتى يكون قدوة في قوله وعمله .

٣ - الانتصار للحق من خلال الاستشهاد بأقوال النصارى القدماء؛ لدحض افتراءات وشبهات النصارى المحدثين، وهذا مما انفرد به المهتمدي الشيخ زيادة .

٤ - مما تميزت به مناهج المعاصرين ما انفرد به المهتمدي الهاشمي من عقد المقارنة بين الإسلام وسائر الديانات البشرية أو الإلهية المحرفة، وتبين له - بعد المقارنة - أن كفة الإسلام راجحة في كل مسألة أو قضية أخضعها للمناقشة أو المقارنة .

٥ - مراعاة العرض المتدرج للقضية موضع المناقشة هبوطاً أم علواً؛ حتى يبين للقارئ كيف كانت؟ وإلى أي مدى بلغت، وخير مثال على ذلك مسألة تأليه المسيح عليه السلام، وهذا المسلك مما انفرد به المهتمدي محمد مرجان .

٦ - تخصيص مؤلفات مستقلة لدراسة قضايا خاصة؛ مما أعطى هذه الدراسات شمولاً للقضية المدروسة، وعمقاً في الطرح، واستيعاباً في التناول، وخير مثال على ذلك كتاب «الإنجيل والصليب»، و«محمد في الكتاب المقدس»، و«المسيح إنسان أم إله»، و«الغفران بين الإسلام والمسيحية» .

٧ - انفرد المهتمدي النجار في أنه حاول الموافقة أو المطابقة بين القرآن والتوراة والإنجيل فيما يريد نفيه أو إثباته؛ ليبين للقارئ مدى التطابق بين هذه الكتب في القضايا محل النزاع .

٨ - اتسمت كتابات المتقدمين بقلة النقل عن المصادر المتعددة؛ لأنهم اعتمدوا على الكتب المعتمدة المقدسة لدى كل طائفة، مما أغناهم عن كثرة النقل التي مصدرها الدراسات المقارنة .

أما المحدثون فقد ظهرت في مصنفاتهم كثرة النقل عن الدراسات المحدثه، والتي كان محور ارتكازها نقد التوراة والإنجيل؛ ولعل مرد ذلك إلى مايلي :-

أ - لما ظهرت الثورة على الكنيسة أصبح من السهل نقد ما استندت إليه من رجال كان يدعى لهم الوحي والإلهام، وكتب كانت محل القداسة والإجلال، وطقوس كانت موضع الرعاية والعناية، ومحط الاهتمام والتلقين... فتناولت هذه المواضيع الأقلام، وراجت بين الجماهير، وتلقفتها الأيدي، وطارت بها الركبان ووجد فيها هؤلاء ضالتهم والحق ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

ب - تيسرت سبل الاتصال، وصاحب ذلك التقدم في وسائل الطباعة والنشر فما يطبع في أي بلد من السهل التقاطه واقتناؤه، في حين حرم منها الأقدمون .

ج - الرغبة في إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه من كتب علمائه، من باب من فمك أدينك ٩ - تميز كل من المهتمدي بوكاي وعبد الأحد داود بعظيم أثرهما على من جاء بعدهما - ممن رادوا هذا المجال - ويظهر ذلك من كثرة النقول عنهما ، والاستشهاد بأقوالهما، والركون إلى النتائج التي توصلوا إليها .

١٠ - انفرد بوكاي باتباع المنهج المقارن في دراسته للتوراة والإنجيل والقرآن، وكان مجال المقارنة في المجالات التالية : -

أ - المقارنة بين المادحين والقادحين للكتاب المقدس .

ب - المقارنة بين روايات التوراة ونتائج الدراسات العلمية الحديثة .

ج - المقارنة بين الأناجيل وبين نتائج الدراسات العلمية الحديثة .

د - المقارنة بين الأناجيل فيما بينها لبيان التناقض والتحرير والتدخل البشري .

هـ - المقارنة بين القرآن وبين نتائج الدراسات العلمية الحديثة .

و - المقارنة بين القرآن وبين التوراة والإنجيل .

ز - المقارنة بين القرآن والحديث النبوي الشريف .

ولعل أبرز النتائج التي توصل إليها من خلال هذه المقارنات: أن كل ما ورد في القرآن من حقائق عن الكون والإنسان متفق مع العلم الحديث^(١)، في حين اشتملت التوراة والإنجيل

(١) على المسلم أن يعتقد أن كل ما جاء في القرآن والسنة فهو حق ينبغي أن يؤمن به، ويسلم له من غير انتظار إقامة براهين محسوسة على تصديقه، كما لا يجوز أن تخضع نصوص القرآن والسنة الصحيحة لدراسة مقارنة يتوقف على نتائجها الإيمان بما تضمنه القرآن والسنة. وإن إيماناً يرى صاحبه أنه بحاجة إلى مثل هذه الدراسات حتى يزيد ويرسخ لهو إيمان ضعيف، وإن إيمان بحاجة إلى قول بشر حتى يزيد إيمانه بقول رب البشر لهو ضعيف .

على روايات لا يمكن أن تتفق مع العلم الحديث .

١١ - ظهر في بعض هذه المصنفات عدم الوقوف أمام نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة؛ ولعل مرد ذلك إلى عدم استيعاب وفهم الآيات والأحاديث المتعلقة ببعض القضايا التي تمت دراستها .

١٢ - انفراد بوكاي باتباع منهج - سائد في أوروبا - يعتمد على تناول القضية موضع الدراسة بعقل متجرد عن أي اقتناع سابق أو فكرة ما. وهذا المنهج أوقعه في لبس واضح فيما يتعلق بالسنة النبوية الصحيحة حيث يقول عنها: (إنها لا تؤلف بأي شكل من الأشكال كتباً تحتوي على تنزيل مكتوب... في هذه الكتب - أي كتب السنة - المنتشرة جداً دعاوى تحتوي على أخطاء من وجهة النظر العلمية، وخاصة فيما يتعلق بالوصفات الطبية^(١)) .

ولا يفوتني تقدير نيته الحسنة في هذا المضمار؛ لأنه أراد من وراء ذلك إثبات صحة القرآن الكريم، وأنه وحي إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن لعل الذي أوقعه في دركات هذا المنهج ما يلي : -

أ - إذا أخذنا في الاعتبار احتواء كتب العهدين على معلومات تتعارض مع الدين والعلم والعقل، وموقف الكنيسة من العلم في القرون الماضية؛ مما أحدث ردة فعل عنيفة صاحبت النشاط العلمي في هذا العصر، وافتقارهم إلى الدين الصحيح الذي يرشدهم إلى الحق... كل ذلك دفع العلماء الغربيين إلى اتباع منهج متحرر من أي اعتقاد سابق أو فكرة معينة؛ رغبة في الوصول إلى الصواب الذي يؤيده العلم. وهذا المهتمدي واحد من هؤلاء بل لعله أبرزهم، فلا ينبغي أن يفصله عن واقعه ثم نحاكمه إلى واقع آخر لم يعايشه ولم يألفه.

ب - لعله أجرى هذه الدراسات والمقارنات التي أخضع فيها القرآن والسنة لهذا المنهج - قبل إسلامه .

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٤٩ .

الفصل الثالث
المقارنة بين مناهج المتقدمين
و
مناهج المعاصرين

اتفقت غاية هذه الجماعة المباركة من تصنيف هذه المصنفات، وتشاكلت أساليبهم، واتحدت أو كادت تتحد نتائجهم، وتنوعت مناهجهم وهذا التنوع حمل بين طياته سمات مشتركة فيما بينهم، وأخرى مختلفة أملت ظروف الزمان والمكان والقدرات؛ فأثمرت - مجتمعة - نتائج إيجابية لفتت إليها الأنظار، واستعان بها أصحاب الاختصاص بالنقل تارة، وبالاحتجاج بهم تارة وبالإحالة عليهم تارة ثالثة ...

وإن أبرز الملامح المشتركة بين مناهج هؤلاء ما يلي :-

١ - إن أعظم منة على العبد في الدنيا أن يهديه الله للإسلام، وإن أعظم شكر لله على هذه النعمة أن يجعل كل عمل يقوم به، وكل قول يقوله - في مرضاة الله يبتغي به وجهه الله. ولقد كانت هذه المؤلفات من هؤلاء المهتمين شكراً لله على هدايته لهم للإسلام .

٢ - اتسمت هذه المصنفات في الجدل في البحث المبني على التأمل والامتحان والنقد لكل ما توارثوه عن آبائهم وأسلافهم، أو بمعنى آخر عرض الإرث السابق على بساط البحث فما كان حقاً استمسكوا به، وما كان باطلاً رفضوه وحذروا الناس منه .

٣ - المحاكمة إلى نصوص كتبهم المعتمدة، واعتقاداتهم القائمة في واقع حياتهم، والاستشهاد بها عليهم وإلزامهم بما تدل عليه .

٤ - أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الله في الإنسان - الذي قبِل حمل الأمانة - العقل وجعله مناط التكليف؛ فمن الطبيعي أن يتفق الكتاب المنزل من الله، والعقل المخلوق بأمره... وهؤلاء المهتمون استعانوا بهذه الحقيقة البديهية في رحلتهم الفكرية نحو الإسلام؛ فما وجدوه متفقاً مع الفطرة، مؤيداً من قبل العقل قبلوه، وما أنفت منه الفطرة ورفضه العقل رفضوه .

٥ - لم تكن هذه المؤلفات قائمة على العاطفة المجردة، أو الكلمة المشيرة، أو الادعاء المتهافت، ولم تكن معتمدة على الأدلة الساقطة، أو البراهين المتعارضة... وإنما قدمت الحجة الناصعة، وأتحفت بالدليل القاطع، وجادت بالبرهان الصادق، وجاءت بكلمة الفصل،

وابتعدت عن التعصب المقوت، والجمود المذموم؛ فأصابت المحز وقطعت في المفصل .
٦ - تميزت هذه المصنفات بالأمانة العلمية في نقل النصوص، وفي عرض العقائد، وفي
حكاية أقوال الفرق .

٧ - اتسمت هذه المؤلفات بالنزاهة الموضوعية، والتجرد من الهوى، وعدم التسليم لما يظن
أنها حقائق مسلمة غابرة، ومناقشة العقائد وفق العدل الذي قرره الله في كتابه الكريم في
قوله: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على
ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى^(١)) .

٨ - الانطلاق نحو نقد اليهودية والنصرانية من أساس متين عماده العلم الواسع بالدين
السابق، والإحاطة بتاريخه، والتجربة التي عاشها فيه، والتمكن من اللغات السابقة التي
دونت بها كتبهم، والخبرة بأساليبهم في مهاجمة الدين الإسلامي، ثم التعمق في الإسلام
وتأصيل معلوماتهم من الكتاب والسنة ومؤلفات المسلمين .

٩ - تميزت هذه الجماعة المباركة بالاستقلال الفكري في هذه الدراسات العلمية؛ فلم تكن
صدى لما سبقها، كما لم تكن اجتراراً بارداً لما ألف في هذا المجال .. ولو كانت كذلك لما
كانت موضع الحفاوة والقبول ممن جاء بعدهم، ولكنها التجديد والإضافة والإبداع الذي يدل
على الاستقلال الفكري، والرسوخ العقدي والتجرد من ريق الكفر، وأسر الإرث السابق،
والتقليد البليد .

١٠ - حرص الجميع على الإيجاز وعدم الإطالة، ومع ذلك فقد حشدوا النصوص حشداً
بديعاً على القضايا التي تعرضوا لها بالنقد والدراسة، وهذه الأدلة والبراهين التي قدموها
ليست كل مافي حوزتهم؛ لأنهم اعتذروا للقارئ عن عدم الإسهاب، لأنهم يرون أن ما
قدموه تقوم به الحجة، ويسلم له العاقل، ويدعن له طالب الحق .

١١ - مما يزيد من قيمة هذه المؤلفات، ويرفع من قدرها، ويعلى من شأنها أن أصحابها
لم يؤلفوها بعد إسلامهم مباشرة، فتحمل - من حيث لا يشعرون - القلق النفسي، والصراع
الفكري، وغيبش التصور، وخطأ الحكم؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره. وإنما ألفت
بعد فترة من الاستقرار النفسي، والرسوخ العقدي، والفهم الصحيح للدين الإسلامي، إذ
بعضها لم يؤلف إلا بعد مضي أكثر من ثلاثين سنة على إسلام مؤلفها. فهي إذاً إعادة

(١) سورة المائدة ، الآية ٨ .

قراءة للماضي ببصيرة الحاضر بعد التحول الحادث .

١٢ - الحرص والحماس والرغبة الصادقة في هداية بني قومهم إلى هذا الدين الذي شرفوا بالانتساب إليه .

١٣ - الحرص على الكتابة بأسلوب واضح مفهوم يجمع بين جزالة اللفظ وقوة الدليل، وسمو الغاية .

وبعد هذا الاستعراض السريع لأهم السمات المشتركة بين مناهج المتقدمين ومناهج المعاصرين؛ يحسن استعراض المناحي التي تميزت بها مناهج كل طائفة عن الطائفة الأخرى، ولن أطيل في ذكر تفاصيل هذه النقاط؛ لأنني سبق وأن ذكرتها في الفصل الأول والثاني من هذا الباب .

أما المناهج التي تميز بها المتقدمون فهي :-

- ١ - استقراء الكتاب والسنة .
- ٢ - دراسة مؤلفات علماء الإسلام في هذا المجال لمحاولة استكمالها وإضافة عليها .
- ٣ - استحضار حقائق التاريخ ومسلماته لتكون شاهدة لما أثاروه من قضايا .
- ٤ - إلزام أهل الكتاب بما يلتزمون من دينهم
- ٥ - إتحاف الأمة بنصوص من نصوص العهدين لا تكاد تجد لها اليوم أثراً .
- ٦ - النقد المباشر .
- ٧ - عدم الاستعانة بالمصادر المتعددة والاكتفاء بالكتب المعتمدة لدى كل ملة .
- ٨ - أن السابقين كانوا أوفر علماً من اللاحقين، ويتبين ذلك من قلة الملاحظات والمآخذ على كتبهم، ولعل مرجع ذلك إلى أمور منها :-
 - أ - وجود العلماء السابقين الأجلاء على ساحة الأحداث، فيتتلمذون عليهم، وينقلون عنهم، وينهلون من علمهم، ويرشدونهم إلى الحق .
 - ب - قيام المهتمين بدراسة مؤلفات علماء الإسلام في هذا المجال وفي غيره من المجالات المختلفة قبل الإقدام على التأليف؛ مما زادهم رسوخاً وعمقاً وفهماً للإسلام .
 - ج - أن ثقافة المعاصرين من هؤلاء كثقافة كثيرين من أبناء الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، ثقافة فكرية معاصرة هشة، لم ترتبط بجذورها، ولم يصاحبها التأصيل العلمي .

- أما المناهج التي تميز بها المعاصرون فهي : -
- ١ - المقارنة بين نسخ وتراجم العهد القديم والعهد الجديد والرجوع إلى قواميس اللغات القديمة للاستعانة بها على معرفة بعض الألفاظ الواردة في العهدين .
 - ٢ - المقارنة بين الألفاظ الواردة في العهدين والربط بين ما يتفق منها وما يختلف .
 - ٣ - حل رموز الكتاب المقدس بعضها ببعض .
 - ٤ - الانتصار للحق بأقوال النصارى القدماء والرد من خلالها على النصارى المحدثين .
 - ٥ - عقد المقارنة بين الأديان سواء كانت بشرية أو إلهية محرقة من جانب، وبين الإسلام من جانب آخر .
 - ٦ - مراعاة العرض المتدرج للقضية موضع الدراسة .
 - ٧ - تخصيص مؤلفات مستقلة لقضايا خاصة .
 - ٨ - محاولة الموافقة بين القرآن والتوراة والإنجيل .
 - ٩ - كثرة النقل عن الدراسات الحديثة التي وجهت لنقد التوراة والإنجيل .
 - ١٠ - كما اتسمت بعض كتابات المتقدمين بأنها نقد مباشر، فقد اختلف هذا الطابع في كتابات المحدثين .
 - ١١ - كما تميز من بين المتقدمين كل من الطبري والسموأل بعظيم أثرهما على من بعدهم، فقد تميز كل من المهتدي عبد الأحد داود وبوكاي بتأثيرهم على من جاء بعدهم من أصحاب هذا الاختصاص .
 - ١٢ - تفرد بوكاي باتباع المنهج المقارن بين التوراة والإنجيل والقرآن والعلم .
 - ١٣ - تفرد بوكاي - أيضاً - بإخضاع القرآن والسنة النبوية لمنهجه المبني على عدم التسليم لأي قناعات سابقة لم يثبتها البحث العلمي الحديث .
 - ١٤ - ظهر في بعض كتابات المعاصرين عدم الوقوف أمام القرآن الكريم والسنة النبوية موقف التسليم والقبول .
 - ١٥ - تبين لي التشابه - إلى حد كبير - بين مناهج المتقدمين فيما بينهم، بينما ظهر التفاوت بين بعض مناهج المتأخرين .

وفي الحقيقة إن هؤلاء وأولئك هم رواد هذا المنهج؛ فهم الذين وضعوا أسسه، وشيدوا أركانه، ونصبوا شواهد، وأقاموا حججه، واحتج بأقوالهم وحالهم من جاء بعدهم من علماء المسلمين من رواد هذا الفن. ويمكن تحديد وتسمية المناهج التي سلكوها حسب المصطلحات الحديثة بأنهم سلكوا المنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج التحليلي .

ومما يلفت الانتباه أنني لم أعر في ثنايا كتب المتأخرين على أي نقل عن كتب المتقدمين من إخوانهم، بل لم أعر على أي نقل فيما بينهم^(١). وإن نقل منها علماء المسلمين المتقدمين والمتأخرين - ولعل مرد ذلك إلى أن كل واحد يتوفر لديه من الأدلة والبراهين على ما يريد تأكيده أو نفيه ما يغنيه عن الرجوع إلى تلك المصنفات السابقة عليه، وهذا يؤكد ما قلت سابقاً^(٢) من استقلالهم وتميزهم الفكري، ويحتمل أنهم تركوا النقل قصداً؛ مخافة أن يظن بهم تقليدهم، والسير في ركابهم، والظن بهم، وأنهم أعجبتهم تلك المصنفات فساروا خلفها من غير تمحيص أو تدقيق أو روية... فكانهم أرادوا أن يقولوا للقارئ - بلسان الحال -: إن لدينا من البراهين والحجج والشواهد - سوى ما قدموا - أدلة تدفع الباطل، وتخضع المعاند، وتبين الحق، وتدفع الشبه، وتحطم زيف الإرث السابق .

وفي نهاية هذا الفصل أجد أن هناك سؤالاً يفرض نفسه وهو: لم كثرت الردود على النصراني - في هذا المجال - ولم يكن لها ما يماثلها في الرد على اليهود؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول .

أولاً : أن اليهود أقلية، فلا يمكن أن تقارن نسبة هؤلاء بأولئك .

ثانياً : أن أكثر كتب علماء الإسلام - في هذا الفن - ردود على كتب وردت من النصراني فيستفاد من ذلك أن اليهود لم يكونوا يهاجمون الإسلام من خلال الكتب التي تنتقص الإسلام وتدعوا إلى اليهودية، عدا نزر يسير منها لا يستحق أن يذكر، وهذا راجع إلى الأسباب الآتية : -

١ - الذل الذي ضربه الله عليهم بسبب كفرهم بالله، وقتلهم الأنبياء وتحريف الكتاب قال تعالى : (وضرت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون

(١) ويستثنى من ذلك المهدي المتطهب فقد نقل عن المهدي الطبري ولم يذكر المصدر، انظر كتاب «التصبيحة الإيمانية في

فضيحة الملة النصرانية»، ص ١٣٨ .

(٢) انظر ص ٥٠١ من هذا البحث .

بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون^(٣). فلا يستطيعون أن يواجهوا مواجهة علنية سواء كانت بالسلاح أم باللسان بسبب هذا الذل .

٢ - أنهم يرون أن دينهم خاص بهم فلا يدعون إليه .

٣ - أن بعض كتابات النصارى التي ترد على المسلمين غايتها الدفاع عن النصرانية المحرفة، وتشكيك المسلمين في دينهم، ودعوتهم إلى الدخول في دين النصرانية... مما يضطر علماء المسلمين إلى الرد عليها وتفنيدها ما جاء فيها. ولم يكن اليهود في موطن القوة حتى يهاجموا .

٤ - أن الكتابة تلجؤهم إلى إبراز أنفسهم، وهم من الذل لا يحتملون ذلك؛ فيكتفون بالعمل في الخفاء، من تدبير الدسائس والمكائد، وادعاء الإسلام للكيد له من داخله .

٥ - أن هذه الأمة - اليهود - أمة شعارها العزلة، ودينها الانطواء على النفس.. فمن الطبيعي أن تكون الكتب الصادرة عنها قليلة والردود عليها قليلة تبعاً لذلك .

(٣) سورة البقرة، الآية ٦١ .

الباب الرابع

الأثر العلمي والدعوي لمسلمي أهل الكتاب

ويشتمل على أربعة فصول وهي : -

- ١ - استفادة الدعوة منهم في إثراء الحجج والبراهين على قوة الإسلام .
- ٢ - أثرهم على العلماء المسلمين في مجال التأليف في مقارنة الأديان.
- ٣ - أثرهم في إزالة الشبهات .
- ٤ - أثرهم في دعوة غير المسلمين .

الفصل الأول

استفادة الدعوة منهم

في

إثراء الحجج والبراهين على قوة الإسلام

أنزل الله القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل معه مثله وهو السنة: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم^(١))، وضمنهما كل ما تحتاج إليه البشرية من منهج متبع وصراط مستقيم، وحذرها من كل شر، ورد عنها كل باطل... فليست الأمة الإسلامية بعد هذا الخير العظيم من الكتاب والحكمة بحاجة إلى ما سواهما من قول بشر . ولكن طراً على البشرية ما طراً من التغيير والاختلاف، وكلما ابتعدت عن منهج الله زاد هذا التفرق والاختلاف، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة فقال تعالى: (كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا^(٢)) وهذه الأمم المختلفة منهم الوثني والمجوسي واليهودي والنصراني والملحد... وهؤلاء كلهم لا يؤمنون بهذا القرآن ولا يدينون بالإسلام؛ فكان من باب إقامة الحجة على المعاند الذي يرفض القرآن - الاستناد إلى إحقاق الحق بأقوال المهتدين من أبناء تلك الأمم، وهذا منهج رسمه الله لنا في محكم كتابه فقال: (سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمه الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب^(٣)) وقال تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) إلى قوله: (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين^(٤)). وقال صلى الله عليه وسلم: (لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود^(٥)) فكان هذا الإيراد لهذه الشهادة، وهذا الإخبار عن إيمان يهود - منهجاً سارت عليه الأمة الإسلامية فيما بعد ذلك؛ فكانت تتكئ في حجاجها وجدالها - بالإضافة إلى ماورد في القرآن والسنة - على ما جاء عن طريق هذه الأفواج المؤمنة من أبناء تلك الأمم، ألم تر أن كتب دلائل النبوة وكتب السيرة تدلنا على شغف علمائنا الأفاضل بما ورد عن أهل الكتاب من خبره صلى الله عليه وسلم ونعته في الكتب المتقدمة على أن إلزام الخصم من واقع ما يعتقد من أبرز المسالك الجدلية

(١) سورة النحل . الآية ٤٤ .

(٢) سورة يونس . الآية ١٩ .

(٣) سورة البقرة . الآية ٢١١ .

(٤) سورة الأحقاف . الآيات ٧ - ١٠ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه . كتاب مناقب الأنصار، باب ٥٢ . ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم . حديث ٣١ .

الملزمة للخصم ...

ولم يكن هذا الاعتماد على أثر هؤلاء إلا لأنهم وجدوا فيها أدلة راسخة، وحججاً قوية، وبراهين ثابتة، ولقد كانت هذه الأدلة محل العناية والحفاوة من كبار علماء الإسلام ودعاته؛ إذ يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من وجوه العلم بأن الأنبياء قبل محمد - صلى الله عليه وعليهم أجمعين - بشروا به: (إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب، ممن أسلم وممن لم يسلم، بما وجدوه من ذكره بها^(١)). وكما يرى شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله أن من طرق معرفة الأخبار والبشائر بنبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة اعتراف من أسلم من أهل الكتاب بأنه مذكور في كتبهم فيقول: (الرابع: [أي من الطرق] اعتراف من أسلم منهم بذلك، وأنه صريح في كتبهم، وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشائر وتيقنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها، وهذا يفيد القطع بصحتها، ولو لم يقر بها أهل الكتاب، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها، وإنما يغالطون في تأويلها^(٢)).

ومما يؤكد عظم الدور الذي قام به هؤلاء الرواد، وأثرهم على دعاة الأمة الإسلامية قول ابن القيم رحمه الله: (وأما كعب الأخبار فقد ملأ الدنيا بما في النبوات المتقدمة من البشارة به، وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى، وأذن بها على رؤوس الملأ، وصدقها مسلموا أهل الكتاب عليها، وأقروه بما أخبر به، وأنه كان أوسعهم علماً بما في كتب الأنبياء، وقد كان الصحابة يمتحنون ما ينقله ويزنونه بما يعرفون صحته؛ فيعلمون صدقه^(٣)) هذه شهادة بعض دعاةنا فيما لمسوه منهم، أما ما وجدته من الأدلة الدالة على ما جاءت به الرسالة الخاتمة فيما يتعلق بالقضايا التي تناولتها هذه الدراسة المتواضعة مما هو مبعوث في مصنفاتهم وآثارهم فأكثر من أن يحيط به هذا الفصل؛ إذ هذه الأدلة هي محور هذه الرسالة، ولكن سأستعرض في هذه العجالة أدلة كل قضية تناولوها بالنقد والتحليل وهي:-
الأول: الأدلة النقلية من كلام المسيح عليه السلام على نفي ألوهيته وعددها ثلاثون

(١) الجواب الصحيح، ج ٣، ص ٢٨٢ .

(٢) هداية الحيارى، ص ٦٠٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٧ .

دليلاً.

الثاني: الأدلة النقلية من كلام تلامذته وحوارييه على نفي ألوهيته وعددها سبعة أدلة .
الثالث: الأدلة العقلية التي استدل بها هؤلاء المهتدون على نفي ألوهية المسيح عليه السلام وعددها ستة أدلة .

الرابع: الأدلة النقلية التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام وفندها هؤلاء المهتدون وعددها ستة أدلة .

الخامس: الأدلة الحسية التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام وفندها هؤلاء وهي المعجزات والآيات التي أظهرها الله على يديه أو ادعى النصارى أنها ظهرت على يديه .

السادس: أثبت هؤلاء المهتدون من خلال كتب النصارى أن المسيح عليه السلام بشر .
السابع : نقل هؤلاء عن كثير من النصارى القدماء والمحدثين أقوالاً موثقة تؤكد رفضهم لألوهية المسيح

الثامن : إبطال دعوى النصارى بنوة المسيح عليه السلام لله رب العالمين، وتفنيدهم الأدلة التي استدلوا بها على ذلك وعددها سبعة أدلة .

التاسع : نفي هؤلاء اتحاد اللاهوت بالناسوت بتسعة أدلة .

العاشر : نفي الصلب بثمانية عشر دليلاً .

الحادي عشر : أكد هؤلاء المهتدون انحراف أهل الكتاب: عقيدة وعبادة وعملاً .

الثاني عشر: أقام المهتدي الطبري عشرة أدلة تؤكد نبوته صلى الله عليه وسلم، وكل دليل منها كاف للتدليل على نبوته .

الثالث عشر: استشهد هؤلاء المهتدون على نبوته صلى الله عليه وسلم بست وتسعين بشارة وردت عن الأنبياء السابقين على نبينا محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين مما ورد في كتب أهل الكتاب .

الرابع عشر: إثبات تحريف العهد القديم وتناقضه .

الخامس عشر: إثبات تحريف العهد الجديد باثنين وعشرين دليلاً .

السادس عشر: إثبات تناقض الأناجيل فيما بينها بتسع وعشرين تناقضاً .

السابع عشر: إثبات تناقض التوراة مع الأناجيل .

الثامن عشر: فند هؤلاء المهتدون خمساً وعشرين شبهة مما يثيرها أهل الكتاب في وجوه المسلمين .

التاسع عشر: تواتر الأخبار والأدلة عنهم في هذه القضايا مع تباين أعصارهم واختلاف أمصارهم .^(١)

أما إفادتهم للدعاة في إثراء الحجج والبراهين – عدا ما ذكر – فليس في الإمكان حصرها؛ لأن ما خلفوه من ثروة علمية وفكرية ودعوية كانت كالمورد العذب كل يرد عليه وينهل منه ما يناسبه، ويستدل به على ما يريد، ولكن الذي تيسر استنتاجه من هذه الثروة العلمية فهو كما يلي: –

أولاً: تصحيح بعض الأخطاء التي وردت في بعض المصنفات الإسلامية في هذا الفن وهي كما يلي: –

١ – ظن كل من القرطبي – مؤلف كتاب الإعلام – والقرافي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله – أن كلاً من متى ويوحنا كانا من الحواريين^(٢)، ولعل لهم عذرهم في هذا الظن؛ إذ كان هذا الأمر هو المنقول والمتعارف عليه في عهدهم حيث ورد عن المهدي الطبري – وهو من قدماء المهتدين – مثل هذا الظن^(٣) فاعتبر كلاً من متى ولوقا ويوحنا من الحواريين. بينما اعتبر المهتدون المتأخرون – استناداً منهم على دراسات حديثة – أن جميع كتبة العهد الجديد لم يكونوا من الحواريين^(٤) .

٢ – يعتقد اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام – بحكم تفضيله لإسحاق – قد منحه العهد والميراث المضاعف. وقد ذهب إلى قريب من هذا القرطبي في كتابه الإعلام حيث قال: (بل مفهومه وظاهره أن الذي منعه الله لإسماعيل إنما هو ميراث في إبراهيم، وهو حظه في ماله وأعطاه إسحاق^(٥)). وقد فند هذا الاعتقاد كل من المهدي عبد الأحد داود

(١) انظر ما يؤكد هذا التواتر: الجواب الصحيح، ج٣، ص ٢٩٧، والأجوبة الفاخرة، ص ١٧٠ .

(٢) انظر الإعلام، ص ٤٢٤، والأجوبة الفاخرة، ص ٢١، والجواب الصحيح، ج٤، ص ٧، وهداية الخياري، ص ٢١٨ .

(٣) انظر الدين والدولة، ص ١٨٥، ١٨٦، ١٩١ .

(٤) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ١٤٤ - ١٤٧، وسر إسلامي، ص ٤٣ - ٤٤،

والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٧٥ - ١٠٣، والإنجيل والصليب، ص ٣١ .

(٥) الإعلام، ص ٢٣٤ .

والنجار وإبراهيم خليل^(١)، وقد استقصيتُ أدلتهم في هذه القضية عند الكلام على الشبهة التاسعة في الفصل الثالث من هذا الباب .

٣ - وجد د. أحمد السقا محملاً للتناقض الوارد في إنجيل متى بين خصوصية رسالة المسيح عليه السلام لبني إسرائيل وعمومها لكل الأمم - بأن التخصيص كان في بداية دعوته، أما في نهايتها فكانت عامة، إذ يقول عن النص الوارد بشأن قصرها على بني إسرائيل: (وهذا في بدء دعوته، وفي نهايتها قال: انطلقوا إلى الأمم^(٢)). بينما يؤكد المهتدي بوكاي أن تعميم رسالة المسيح إلى كل الأمم من صنع متى وليس من كلام المسيح عليه السلام^(٣) .

٤ - وردت عبارات كثيرة في الإنجيل تعزى إلى المسيح عليه السلام يصف فيها نفسه بـ «ابن الإنسان» فاستدل بها القرافي على بشرية المسيح^(٤). بينما يؤكد المهتدي عبد الأحد داود أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المراد بلفظة أو مصطلح «ابن الإنسان»^(٥) .

٥ - استشهد القرطبي بقول إشعيا: (هذا غلامي المصطفى^(٦)...) على أن المسيح عليه السلام بشر. في حين أورد هذا النص كل من المهتدي الإسكندراني والترجمان والنجار وإبراهيم خليل على أنه بشارة بنينا محمد صلى الله عليه وسلم^(٧) .

ثانياً: مؤلفات المهتدين: خلف لنا هولاء المهتدون مجموعة طيبة مباركة من المصنفات التي خصصت لنقد اليهودية والنصرانية: مصادراً وعقيدة وعبادة وعملاً ومنهجاً. وهذه الكتب أثرت ميدان الصراع العقائدي بين الأمة الإسلامية وخصومها، وأمدت هذه الكتب الأمة بأسلحة بيانية نافذة تستعين بها - بعد الله - في هذه المواجهة الشرسة .

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٥ - ٦٥ ، والمنارات الساطعة و ص ٥٩ - ٦٠ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٣ - ٤٢ .

(٢) انظر كتاب الإعلام للقرطبي، ص ٢٧٤ هوامش المحقق، ومتى ١٥ ، ١٨ .

(٣) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ٨٠ .

(٤) انظر الأجوبة الفاخرة ، ص ٦٩ .

(٥) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ٩٥ ، ٢٤٠ .

(٦) انظر الإعلام ، ص ٥٠ ، وإشعيا ٤٢ .

(٧) انظر مسالك النظر ، ص ٥٩ ، وتحفة الأريب ، ص ٢٧٩ ، والمنارات الساطعة ، ص ٦٤ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٤١ .

وقد تنوعت هذه الكتب لتشمل كافة أغراض الأمة في هذا الصراع فهذه كتب تنقد مصادر اليهودية والنصرانية، وأخرى تنتقدها في عقيدتها وعباداتها، وثالثة تبين للأمة عظم الكيد الخفي والمعلن الذي يمارسه اليهود والنصارى في أوساط هذه الأمة بغية تهويدها أو تنصيرها.

ومما يعلى من قيمتها، ويرفع من شأنها أنها أصابت المحز وقطعت في المفصل؛ لأنها صدرت من كانوا على رأس الهرم العلمي أو العملي في ملتهم السابقة، فهم إذاً أدرى بالشغرات إذ كانوا يوارونها، وأخير بالمخططات إذ كانوا يباشرونها .

ومما حقته هذه المصنفات - وينتظر أن تحقق مزيداً منه - أن كل واحد من هذه المصنفات يمثل وثيقة إدانة لدين صاحبها قبل إسلامه شاهدة في الماضي والحاضر والمستقبل، فتستقبلها الأجيال جيل بعد جيل، يسترشد بها المهتدي، وتبهر الطريق أمام الحائر، وتهدى من جعلها الله سبباً في هدايته، وتفضح كيد الأعداء حتى تأخذ الأمة حيطتها وحذرها. كما يمكن أن تترجم هذه المؤلفات فتؤدي نفس الغرض الذي قامت به في اللغة الأصلية، بل قد تكون ترجمتها أعظم أثراً، وأجدى نفعاً من بقائها في لغتها الأولى، كما نقلت مؤلفات المهتدي عبد الأحد داود من التركية إلى العربية، ومن الإنجليزية إلى العربية .

ثالثاً : استفادة الدعاة منهم: من نعم الله على هذه الأمة أنك لا تجد فيها ذلك الانقسام البغيض الموجود في الديانات الأخرى بين العلم والعبادة، وبين العلم والدعوة؛ فعبادنا هم دعائنا، وعلماؤنا هم عبادنا، وعلماؤنا - أيضاً - هم دعائنا. وسترى في الفصل الثاني من هذا الباب مدى إفادة علمائنا من مسلمي أهل الكتاب نقلاً واقتباساً واستثناساً، فكل نص نقلوه، وكل دليل استدلووا به، وكل حالة استأنسوا بها فهي تمثل أثراً من آثارهم على دعائنا .

رابعاً: إسلام كل فرد منهم يمثل وثيقة إدانة: لا يزال الصراع محتدماً بين الوحدانية والوثنية، وبين التوحيد والتثليث، وبين الإسلام والكفر... واستمر هذا الصراع طويلاً حتى استيأس الصليبيون من جدوى الحملات العسكرية؛ فلجأوا إلى أساليب ماهرة تشحن في الإصابة ولا تكلف المحارب أنفساً ودماءً. فكان إسلام هؤلاء الرواد صفة في وجه الحملات الصليبية من جانبين. الأول: أنه شهادة على دينهم بالأقول. والثاني: الانتصار

المعنوي للأمة المستهدفة؛ إذ تتسلل إليها القيادات العلمية والعملية لتعلن وقوفهم معها .
وهذا التحول يمثل أعظم حجة في يد الداعي المسلم يستشهد بها على مناوئيه في زمن
استفحل فيه شأن المجابهة الفكرية. ألم تر أن النصارى يحتجون علينا باعتقاد غلاة
الرافضة بتحريف القرآن^(١). وهم أول من يعلم كذب الرافضة في هذه الدعوى، فهل نستهيئ
بهذا الجانب؟؟ .

(١) روى احتجاجهم هذا الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي في كتابه «إظهار الحق» نشر المكتبة العصرية
بيروت، بعناية عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، ج٢، ص ٢٠٢ - ٢٠٩ .

الفصل الثاني

أثرهم على العلماء المسلمين

في

مجال مقارنة الأديان

ويشتمل على مبحثين هما : -

١ - تأثير المسلمين بمسلمي أهل الكتاب .

٢ - تأثير العلماء المسلمين بمسلمي أهل الكتاب في مجال مقارنة

الأديان .

المبحث الأول

تأثر المسلمين بأهل الكتاب

كانت البشرية قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مختلفة الملل، متفاوتة النحل، فمنهم الوثني والمجوسي واليهودي والنصراني ... ولما بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده... وأذن الله لهذا الدين بالانتشار - دخلت فيه هذه الأمم ونتج عن هذا التدافع الضخم نحو الإسلام أمور إيجابية، وأخرى سلبية .

فأما الأمور الإيجابية: فإقامة دين الله في الأرض، وتحقيق العبودية له، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ونصرة الحق، وتكثير أتباعه، وإضعاف الباطل وتضييق نطاقه .

أما السلبيات فهي: -

١ - دخل في دين الله فثام من الناس وهي لم تتخل عن ما تحمله من عقائد مخالفة للإسلام؛ فنتج عن ذلك افتراق في صفوف الأمة الإسلامية، وفساد في عقائدها كالغلو في علي رضي الله عنه، وكالقول بخلق القرآن ..

٢ - كانت هذه الأمم قبل إسلامها تحتفظ ببعض تراثها العلمي، وبعد إسلامها تم تعريب هذا التراث فأدخل على الأمة فلسفة وخطأ لا تزال تعيش آثاره السيئة إلى اليوم .

٣ - من بين الأمم التي دخلت في دين الله اليهود والنصارى، وهم الذين لا يزالون يملكون كتباً تُنسب إلى الأنبياء عليهم السلام، وبما أن القرآن الكريم والسنة النبوية ورد فيهما ذكر بعض الأمم الغابرة؛ فقد كان المجال واسعاً ورحباً لانتقال تلك المرويات إلى المؤلفات الإسلامية في بعض المواضع الخاصة التي تتناسب معها كالحديث والتفسير والتأريخ، وهو ما عرف اصطلاحاً بـ «الإسرائيليات» .

ولم تكن هذه الإسرائيليات لتجد لها مكاناً في مؤلفات العلماء المسلمين إلا لأنها وردت عن علماء من أهل الكتاب أسلموا فحسن إسلامهم، فكان العلماء المسلمون يسألونهم فيما خفي عليهم من أخبار الأمم الماضية مما ورد خبره مقتضباً في الكتاب والسنة .

وكان لهذه المرويات الأثر السلبي على حياة الأمة الإسلامية في عقيدتها ومؤلفاتها
وتصوراتها .

المبحث الثاني

تأثر العلماء المسلمين بمسلمي أهل الكتاب في مجال مقارنة الأديان

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب هي : -

المطلب الأول : الأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون إلى الأمة الإسلامية . -

إن الخلفية العلمية، والقيادة الدينية، والدربة الفكرية، والتجربة العملية التي عاشها هؤلاء المهتدون في ملتهم السابقة مكنتهم بعد إسلامهم من استمرارية العطاء، وتجديد البذل، ومواصلة الخطوات على طريق الدعوة؛ فاتحرف هؤلاء الأمة الإسلامية بشروة علمية وفكرية هائلة في نقد التوراة والإنجيل، وما يتبع ذلك من إلزام اليهود والنصارى بالتوحيد الخالص، وإثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان عماد هذه الشروة المقدمة : الكتاب المعتمد - بأصوله القديمة ولغاته العتيقة - والأصل المتبع، والعبادة القائمة .

وتلقى علماء الأمة الإسلامية هذا العطاء المتواصل بالبشر والترحاب؛ فأشادوا به حيناً، ونقلوا عنه حيناً آخر. ولم يكن هذا النقل عنهم من باب الحاجة إلى الأدلة؛ لأن عندهم الكتاب والسنة وقد جمع الله فيهما كل ما تحتاجه البشرية من بيان للحق ودمغ للباطل، بالإضافة إلى أن التوراة والإنجيل كانتا متوفرة لديهم بلغة عربية مما هياً لهم الاطلاع

عليهما واستنباط الأدلة منهما^(١) .

ولكن كان هذا التلقي من باب إزام الخصوم، والاعتماد عليها في بيان ما ذكره القرآن والسنة مجملاً من مثل إثبات التحريف، وبيان خبره صلى الله عليه وسلم في كتبهم، وتفنيدهم الجزئيات التي يستلزم الجدل معهم عرضها على بساط البحث .

ولذا نجد إشادة العلماء المسلمين بهذا التراث العلمي الذي خلفته لنا هذه المجموعة المباركة - مبعوثه في مصنفاتهم، كما نجد توثيق هذا التراث ومقارعة الخصوم به، ومجادلتهم من خلاله وتحديثهم لليهود والنصارى بأعيان هؤلاء المهتدين، كما قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: (وعندنا ممن وفقه الله للإسلام منكم من يوافقكم ويقابلكم ويحاققكم عليها^(٢)) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ومن أعلم الناس بمقالاتهم

(١) قال أحد الباحثين المعاصرين: (وإن الحكم على ما كتبه المسلمون في هذا الحقل (أي مقارنة الأديان) لا يكون صحيحاً إلا بعد كشف هذه النصوص - التي كتبها المهتدون - وتحقيقتها ودراستها ومقارنتها، وإن ذلك سيعمل أو سيفعل أحكاماً كثيرة سابقة على بعض المؤلفين وبعض المؤلفات) ص ٢٣ من مقدمة النصيحة الإيمانية. وهذا الحكم بهذا التعميم غير صحيح على إطلاقه؛ لعدة أمور منها: -

١ - يمتلك العالم المسلم حقائق يقينية عن الله سبحانه وتعالى وردت في القرآن والسنة تتعلق بالجدل مع أهل الكتاب، وهذه الحقائق تضيء له الطريق، وتفتح حكمة الإصابة والتسديد .

٢ - توافر نسخ العزوة والإنجيل باللغة العربية - وهي حجة ملزمة لأهل الكتاب - بأيدي العلماء المسلمين يمكنهم من بيان تناقضها، وإثبات تحريفها، واستنتاج الأدلة منها.

٣ - معرفة بعض علماء الإسلام لبعض اللغات التي كتبت بها أهل الكتاب أمكنهم من الاطلاع والترجمة والمجادلة عن وعي و بصيرة وعلم .

٤ - يتمتع العلماء المسلمون بمقابلة موسوعية فذة ساعدتهم على دراسة اليهودية والنصرانية والرد عليهما من خلال كتبهم المعتمدة وأصولهم المتبعة، وفي الأمثلة التالية خير شاهد على ذلك، إذ يقول أبو عبيدة الخزرجي: (وقد أوردت في هذا الرسالة من الأدلة ما فيه الكفاية على سوء ما انحطوه، ولم أنقل من العزوة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء - إلا ما هو بأيديهم في وقتنا هذا .. إلى أن يقول: فلم أورد من ذلك إلا ما قرأته في كتبهم العبرانية ووقفت عليها بنفسي، وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها) بين الإسلام والمسيحية «مقامع هامات الصلحان بتحقيق د. محمد شامة، نشر مكتبة وهبة، ١٩٧٢ م، ص ٩٥٢. ويقول القاضي الهاجي: (وعندنا من علم شريعتكم، واختلاف أخباركم في ملتكم، وما تورده كل طائفة من شبهكم في الأقانيم، والاتحاد، ومعنى اللاهوت والناسوت والجوهر، وغير ذلك من تنميقات أناجيلكم مالو أهدينا إليهما اليسير منه لغيرهما وبهرهما وعلمنا أن عندنا من جملها وتفصيلها سالم ينته إليه أحد من أهل ملتكم، ولا وصل إلى تفريعه وتتبع معانيه أولكم وأخركم) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الهاجي عليها، تحقيق د. محمد الشرقاوي، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٧ هـ، ص ٦٥. وانظر إلى أقوال مماثلة وقريبة منها: الأجوبة الفاخرة للقرافي، ص ١٠٥، والإعلام للقرطبي، ص ٧٩، ١٨١، وبين المسيحية والإسلام، ص ١٥٧، ١٨٩، ٢٠٦، ٢١٤ .

(٢) هداية الحيارى، ص ٢٢٧، وانظر أيضاً ٢٠٦ منه،

من كان من علمائهم وأسلم عن بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم^(١) .
أما الأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون إلى الأمة الإسلامية - في مجال مقارنة الأديان -
فكثيرة جداً لا يأتي على أفرادها الحصر، وقد سبق ذكر كثير منها في فصول هذا البحث،
ولكن لعل في بيان أنواعها كفاية إن شاء الله. فأقول : -
تتمثل هذه الأدلة المقدمة في خمسة أصناف هي : -
الصنف الأول : نصوص الكتب المعتمدة لديهم المنسوبة إلى أنبيائهم، والتي تؤكد الحق
الذي جاء به الإسلام، أو تصدق الخبر الذي حمله إلينا القرآن الكريم والسنة النبوية، أو
تنفي الشبه والإدعاءات الباطلة التي يثيرها اليهود والنصارى في وجوه المسلمين .
الصنف الثاني : الأدلة العقلية وتتمثل في القياس، والتواتر، والإلزام، وضرب المثل،
 وإقامة البراهين المحسوسة، وتفنيذ الأدلة العقلية التي يعتمد عليها الخصوم في مجادلتهم.
الصنف الثالث : المقارنة بين ما تضمنه القرآن الكريم من حقائق علمية عن الكون
والإنسان، وبيان ما توصل إليه الإنسان في هذا العصر من اكتشافات علمية حديثة. ثم
مقارنة هذه الاكتشافات مع ما احتوت عليه التوراة والإنجيل من معلومات مماثلة .
الصنف الرابع : التصحيح وتمثيل في بعض الأحكام المخالفة، أو التصورات الخاطئة
التي تصورها بعض العلماء المسلمين في مسائل خاصة في هذا المجال .
الصنف الخامس : استنتاج أدلة جديدة تجمع بين الدليل العقلي والنقلي: ورائد هذا
الصنف المهتدي عبد الأحد داود؛ إذ استنتج أدلة عديدة في هذا الفن مما يتعلق بإثبات خيره
صلى الله عليه وسلم في صحف الأنبياء، أو إضافة أدلة لم يسبق إليها كما في بيانه
لحقيقة «الملكوت» أو الغاية من الإنجيل .

المطلب الثاني : أنروهم على العلماء المسلمين في النقل الباطل عنهم : -

سبق الحديث في المطلب السابق عن إشادة العلماء المسلمين بما خلفه مسلموا أهل الكتاب
من ثروة علمية ضخمة في مجال نقد اليهودية والنصرانية، ولم تكن هذه الإشادة لمجرد

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٢، ص ٣١٣، وانظر أيضاً ج ٢، ص ٢١٧، وج ٣، ص ٢٨٢، ٢٩٥ منه.

المدح رغبة في استعطاف آخرين منهم لا يزالون على شاكلتهم؛ وإنما لأنهم وجدوا فيها ضالتهم من نصوص قوية، وأدلة عقلية ملزمة، ومنهج سديد، وبراہین ناصعة لا تدفع، وحجج قاهرة لا يمكن تجاهلها أو التفاضي عنها، واستتبع هذا المدح والإشادة الأخذ منهم، والنقل عنهم، وسلوك منهجهم في نقد التوراة والإنجيل .

وقد استقصيت بعض مؤلفات العلماء المسلمين في هذا المجال لغرض معرفة أثر هؤلاء المهتدين عليهم، فوقفت على شيء كثير من هذا التأثير المتمثل في النقل والاعتباس، الذي يؤكد ويبين أهمية هذا الجانب .

ولقد حال دون بلوغ بعض ما في النفس من تتبع آثارهم ورصدها؛ حتى يكون المطلع على بصيرة - أن منهج كثير من المؤلفين القدامى عدم النص - في كثير من الأحيان - على المصدر الذي اعتمد عليه؛ مما يستعصي على المتتبع بيان الأثر الحقيقي لأولئك على هؤلاء. وما تيسر لي من ذلك قسّمته إلى أربعة أقسام، وكل قسم جعلته على هيئة جدول حتى يتضح المصدر المنقول عنه من المصدر الناقل، وهذه الأقسام هي كالتالي : -

القسم الأول: أثرهم على العلماء المسلمين في إلزام اليهود والنصارى بالتوحيد الخالص:

المصدر المنقول عنه	المصدر الناقل
إفحام اليهود	هداية الحيارى، ص: ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢٥٧ - ٢٦٨ .
إفحام اليهود	إغاثة اللفهان، ج٢، ص: ٤٤٢ - ٤٤٧ ، ٤٤٩ - ٤٥٤ .
رسالة الحسن بن أيوب	الجواب الصحيح، ج٢، ص ٣١٣ - ٣١٧ ، ٣١٨ - ٣٤٣ ، ٣٥٠ - ٣٦٠ ، ج٣، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .
الإنجيل والصليب	مقارنة الأديان ج٢ المسيحية، د. شلبي، ص ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ٢٣٣ ، ٢٦٧ .
الإنجيل والصليب	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام، للطهطاوي، ص

(١) وكثير من استدلالات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله المشوثة في كتابه تكاد تكون مستندة إلى هذا النقل، كالقول باتباع التشابه، وعدم ورود ما يستندون إليه إلى الأنبياء، ونفي ألوهية المسيح، وعمدتهم فيه، وجعلهم صفات الله أقانيماً، وتفنيدهم استدلالهم بالشمس على المساواة .

المصدر المتقول عنه	المصدر الناقل
	٨١ ، ٧٨ ، ٦٨ ، ٥٣ .
المنارات الساطعة	في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، ص ١٥٣ - ١٥٥ .
محمد صلى الله عليه وسلم	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام ص ٨٣ .
في التوراة والإنجيل والقرآن	
الأديان في كفة الميزان	المصدر السابق، ص ٩٨ ، ١١٣ ، ١٢٠ - ١٢٨ ، ١٣١ - ١٣٤ .
الأديان في كفة الميزان	مقارنة الأديان ج٢: المسيحية، ص ٢٣٨ ، ٢٤٠ .
الله واحد أم ثلاث	في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، ص ١٥١ - ١٥٢ .
الله واحد أم ثلاث	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام، ص ١٤٤ ، ١٥٨ ، ١٩٤ ، ٢٢٩ .
المسيح إنسان أم إله	المصدر السابق، ص ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٢٣٩ .
المسيح إنسان أم إله	في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، ص ١٥٢ .
مصدر مجهول لم يسم صاحبه.	هداية الحيارى، ص ٣٠٧ .

القسم الثاني : أثرهم على العلماء المسلمين في إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : -

المصدر المتقول عنه	المصدر الناقل
الدين والدولة	الجواب الصحيح، ج ٣، ص ٣١٩ - ٣٢٢ ^(٢) .
إفحام اليهود	في مقارنة الأديان ، د. الشرقاوي، ص ٢٢٦ .
إفحام اليهود	يوحنا المعمدان، للسقا، ص ٧٩ .

(٢) إن كثيراً من النہوات التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما بين صفحتي ٣١٨ - ٣٢٢ من ج ٣ مشعرة بنقلها عن أسلم؛ إذ تسبق غالباً بقوله: وقالوا. كما أنه قال في ص ٣١٣ : قال المستخرجون لهذه البشارة ... مما يؤكد ما ذكرته آنفاً .

المصدر المنقول عنه	المصدر الناقل
إفحام اليهود	هوامش تحقيق كتاب الرد على النصارى للجاحظ، ص ٥٣ .
إفحام اليهود	المسيا المنتظر، ص ٢٦٥ ، ٦٣ ، ٥٦ ، ٥٢ .
إفحام اليهود	محمد نبي الإسلام، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٦٦ .
تحفة الأريب	المصدر السابق، ص ٢٣ .
خلاصة الترجيح للشيخ زيادة	المسيا المنتظر، ص ١٦٧ .
الرسالة الهادية للعبير	محمد نبي الإسلام ، ص ٢٣ ، ٢٤ .
اليهودي عبد السلام	
الإنجيل والصليب	المسيا المنتظر، ص ٦٩ .
الإنجيل والصليب	بشائر الرسالة المحمدية، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ .
الإنجيل والصليب	نبوة محمد من الشك إلى اليقين، ص ٢٩٥ ، ٣٠١ .
الإنجيل والصليب	مقارنة الأديان ج ٢ المسيحية، ص ٦٩ .
المنارات الساطعة	في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، ص ١٥٦ ، ١٥٨ .
المنارات الساطعة	بشائر الرسالة المحمدية، ص ٥٣ .
سر إسلامي	المصدر السابق، ص ٥٥ - ٥٦ .
محمد صلى الله عليه وسلم	نبوة محمد من الشك إلى اليقين، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .
في التوراة والإنجيل والقرآن	
المصدر السابق	هوامش تحقيق كتاب النصيحة الإيمانية، ص ١٣٩ - ١٤١ .
المسيح إنسان أم إله	المسيا المنتظر، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

القسم الثالث: أثرهم على العلماء المسلمين في إثبات تحريف التوراة والإنجيل: -

المصدر المنقول عنه	المصدر الناقل
إفحام اليهود	إغاثة اللفهان ج ٢، ص ٤٨٨ - ٤٩٦ .
إفحام اليهود	الأجوبة الفاخرة للقرافي، ص ٧٨ - ٨٣ .

المصدر المتقول عنه	المصدر الناقل
إفحام اليهود	هوامش تحقيق كتاب الرد على النصارى للجاحظ، ص ٥٤، ١٢١ .
إفحام اليهود	في مقارنة الأديان، للشرقاوي، ص ١١٦ - ١١٩، ١٩٩ .
الإنجيل والصليب	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام، ص ٢٥، ٢٥٦ .
الإنجيل والصليب	نبوة محمد من الشك إلى اليقين، ص ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣ .
الإنجيل والصليب	مقارنة الأديان ج٢ المسيحية، ص ١٤٣، ١٤٤، ٢٠٥، ٢٠٧ .
المنارات الساطعة	في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام، ص ٢٧٧ .
محمد صلى الله عليه وسلم	نبوة محمد من الشك إلى اليقين، ص ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧ .
في التوراة والإنجيل والقرآن	الله واحد أم ثالث
المسيح إنسان أم إله	المصدر السابق، ص ٢٣٩ .
القرآن والتوراة والإنجيل	في مقارنة الأديان، ص ١٤٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦ .
والعلم.	هوامش تحقيق كتاب تحفة الأريب، ص ١١٨، ١٦٦، ١٨٧ .
ما أصل الإنسان	في مقارنة الأديان، ص ١١١ .

القسم الرابع: أثرهم على العلماء المسلمين في موضوعات أخرى تتعلق بنقد التوراة والإنجيل عدا الأقسام الثلاثة السابقة :-

المصدر المتقول عنه	المصدر الناقل
إفحام اليهود	إغاثة اللفهان، ج١، ص ٢٦٧ - ٢٦٩ .
إفحام اليهود	هوامش تحقيق كتاب الرد على النصارى، ص ٩٥ .

ملف إسرائيل	نهاية اليهود، ص ١١١ .
وهب بن منبه	الإعلام للقرطبي، ص ٢٦٨ . افاد منه في مجال الترجمة

ولا يفوتني في نهاية هذا المطلب أن أوضح أن هذا البحث المتواضع يعتبر من آثارهم على الحركة العلمية في مجال نقد التوراة والإنجيل؛ إذ هو سير لمنهجهم، ورصد لأدلتهم، وتتبع لجذالهم، ودراسة لمؤلفاتهم، وكتابة عن حياتهم، وبيان مدى أثرهم على من بعدهم من العلماء والدعاة المسلمين، وأثرهم في دعوة غيرهم من بني قومهم للإسلام .

الفصل الثالث

أثرهم في إزالة الشبهات

توطئة : لست هنا في مقام استجداء أقوال هؤلاء المهتدين للدفاع عن الإسلام، ونفي الشبه عنه، وإقامة الدليل على بطلانها؛ فهذا أمر قد كفيناه بنصوص القرآن الواضحة، وسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم الوافية. إذا فالأمر محسوم عندنا ولله الحمد .

ولكن الغرض من استعراض هذه الشبه التي فنذوها، وسوق الأدلة التي قدموها؛ إنما هو من باب إقامة الحجة على المعاندين من اليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بالقرآن الكريم . وإن من إعجاز هذا القرآن أنك لا تجد شك أو شبهة رمي بها الإسلام إلا وفي كتابه الإجابة عنها والتفنيد لها، ولعل من حكمة الله البالغة أن جعل خصوم الرسالة في عصرها الأول من أذكى الناس - وإن لم يرزقوا زكاءً - لأنهم لم يتركوا فرية أو شبهة أو تكذيباً أو طعناً يمكن أن تتفتق عنه عقول البشرية إلا طرحوه على محمد صلى الله عليه وسلم فتأتي الإجابة عليه من ملك السموات والأرض في هذا الكتاب الكريم، فلا تكاد جميع الشبه التي رمي بها الإسلام على مختلف عصوره تخرج عن تلك الشبه التي أثيرت في وجه محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً^(١١)) .

ولقد أخبر سبحانه وتعالى في محكم تنزيله أن رغبة هؤلاء وأولئك - من إثارة الشبه - إطفاء نور الإسلام فقال تعالى: (يريدون ليطفئوا نور الله بأقواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون^(١٢)) . ولئن استغرب مستغرب كيف تتفق غاية هؤلاء وأولئك؟ فإن استغرابه سيكون أعظم حينما يعلم أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن سبب هذا الاتفاق وأنه تشابه القلوب الذي يؤدي إلى تشابه الأقوال والأعمال، قال تعالى: (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم^(١٣)) .

وللتدليل على هذا التشابه نورد بعض النماذج من الشبه التي أثارها الكفار في وجه محمد صلى الله عليه وسلم وستجد أنها هي بنفسها التي تبعث بين آونة وأخرى في هذا العصر : -

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٣ .

(٢) سورة الصف ، الآية ٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١١٨ .

١ - قال كفار قريش عن هذا القرآن: إنه قول بشر. فقال تعالى مخبراً عن ذلك: (إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وسبر. ثم أدير واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر^(١)) وقال تعالى: (قل لئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^(٢)) وقال بعض المعاصرين: إن هذا القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ - قال كفار قريش عن هذا القرآن كما أخبر الله عنهم: (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) ثم قال تعالى معقياً: (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض^(٣)) وقال بعض المعاصرين: إن محمداً صلى الله عليه وسلم استكتب التوراة والإنجيل .

وهذه الشبه التي سيتناولها البحث لم تكن شبيهاً محدثة تتطلب ردوداً مبتكرة؛ وإنما هي اجترار لما رده الكفار الذين عاصروا فجر الإسلام. فكل شبهة أثبتت في وجه محمد صلى الله عليه وسلم فقد تكفل الله بتفنيدها في محكم تنزيله .

ولقد راعى هؤلاء المهتدون في ردهم لهذه الشبه العقلية التي وجهوا إليها خطابهم، وهي عقلية يهودية أو نصرانية لا تؤمن بالقرآن الكريم ولا بنبوة سيد المرسلين؛ فجعلوا جلّ تفنيدهم معتمداً على مالدى القوم من كتب معتمدة، أو أصول متبعة، أو عقائد سائدة. وهذه الشبه التي تناولوها بالدراسة والتحليل هي :-

الشبه الأولى: أن القرآن يؤيد التثليث، ولا يعترف بالوحدانية؛ لأنه يشتمل على «بسم الله الرحمن الرحيم» فالله هو «الأب» والرحمن هو «الابن» والرحيم هو «الروح القدس» تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

هذه الشبهة أوردتها المهتدي مرجان وفندتها بالأدلة التالية :-

١ - أن الذي أثار هذه الشبهة من النصارى قد تناسى أن كلاً من صفتي «الرحمن والرحيم» هما من صفات الله التي لا تعد ولا تحصى، وليست هذه الصفات جزءاً أو عنصراً لله سبحانه وتعالى، والله سبحانه متصف بصفات عديدة دالة على كماله وعظمته

(١) سورة المدثر، الآيات ١٨ - ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨ .

(٣) سورة الفرقان، الآيات ٦٠، ٥٠ .

وربوبيته وألوهيته .

٢ - لو اعتبرنا أن كل اسم أو صفة دال على جزء أو أقنوم للزم من ذلك تعدد الآلهة بعدد الصفات والأسماء الواردة في القرآن الكريم أو السنة النبوية، ولم يقتصر الأمر على التثليث بل يتعدى ذلك إلى التسبيح كما في أول سورة غافر وهو قوله تعالى: (حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ^(١)) . أو يتعدى الأمر ذلك إلى اعتقاد سبعة عشر إلهاً كما في آخر سورة الحشر .

٣ - استشهد المدعي لهذه الفرية ببعض الألفاظ العامية أو الصيغ المعتادة كالألفاظ القسم أو الطلاق. وفي الحقيقة أن هذا الاستشهاد بهذه الألفاظ تحمیل لها فوق ما تحتمل من جانب، ومن جانب آخر فإنه يدل على افتقار هذه الشبهة إلى الدليل؛ لأنه إدعى أن القرآن يؤيد التثليث ثم استند - فيما بعد - لتأكيد دعواه على ألفاظ عامية أو صيغ معتادة .

٤ - ادعى صاحب هذه الفرية أن المسلم عندما يفتتح صلاته بالتكبير « الله أكبر » فإنه يرمي إلى مقارنة الله بآخر، وأن هذا الاعتقاد يماثل اعتقاد النصارى بالآب والابن. ويرى المهتدي مرجان أن هذا الاعتقاد مبني على المغالطة؛ لأن التكبير والتعظيم الذي يفتتح به المسلم صلاته دال على أن الله أكبر وأعظم من كل شيء، وأنه سبحانه ليس كمثله شيء، وأنها تعني تفرد سبحانه بالإعظام والإجلال والإكبار ^(٢) .

الشبهة الثانية : أن لله سبحانه وتعالى عدداً من الأسماء والصفات ولا يمكن التوفيق بينها إلا إذا آمننا بالتثليث .

هذه الشبهة - أيضاً - حكاها المهتدي مرجان وفندها بالأدلة التالية : -

١ - أن المدعي لهذه الفرية يعتقد مذهب الثنوية الذي يعتمد على تقسيم الآلهة إلى إلهين متعارضين كل منهما يحمل صفة مناقضة لصفة الإله الآخر، وكل إله يقوم بعمل لا يقوم به الإله الآخر، فهذا إله الخبير وذاك إله الشر !! .

٢ - أن المدعي لهذه الشبهة قد هدم الأساس الذي تقوم عليه عقيدة الثالوث في الوقت الذي أراد فيه تأييدها ومساندتها؛ لأن عقيدة الثالوث قائمة على الاعتقاد بمشابهة المخلوقات للخالق، وبأن البشر وسائر الحيوانات مكونة من ثلاثة أجزاء كالثالوث. ولو

(١) سورة غافر ، الآيات ١ - ٣ .

(٢) انظر الله واحد أم ثالث ، ص ٥٣ - ٥٧ .

أخذنا الإنسان الذي هو صورة الله ومثاله كما تقرر عقيدة التثليث – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – لوجدناه يتصف بعدة صفات متعارضة متناقضة كالرحمة والقسوة والعمو والانتقام والحنان والبطش ...

٣ – يلزم على هذا الزعم أن يتصف المخلوق بصفات لا يتصف بها الخالق، كما يلزم على ذلك أنه يلزم لخلق الإنسان متعدد الصفات أن يشترك في خلقه عدد من الآلهة، كل إله يسبغ عليه صفته الخاصة به وبهذا تجتمع الصفات في المخلوق ولا تتوفر في الخالق، وهذا الزعم لا يقول به أحد من البشر؛ حتى إن الوثنيين لا يعتقدون أن المخلوق أفضل وأكمل من الخالق^(١).

الشبهة الثالثة : ينكر النصارى على المسلمين اعتقادهم أن في الجنة أكلاً وشرباً وغرفاً وقصوراً، والذي دفعهم إلى ذلك اعتقادهم أن كل أكل فلا بد له من فضلة... وكيف ينكرون علينا ذلك وعندهم في التوراة أن إبراهيم عليه السلام أطعم الملائكة دقيقاً ولحماً وزيداً ولبناً. كما أطعمهم لوط خبزاً وفطيراً^(٢). فكيف يجوزون أن تأكل الملائكة في هذه الدنيا وليس من طبيعتهم الأكل والشرب، ويمنعون أن يأكل البشر في الآخرة وهو طبيعتهم وجبلتهم ؟؟ .

ومما يدفع اعتراضهم على الأكل في الجنة أن جميع العقلاء تسلّم أن الجنين يلبث في بطن أمه خمسة أشهر بعد أن تنفخ فيه الروح يتغذى غذاءً كاملاً تقوم به حياته من طريق سرته، وليس من طريق شرايينه، ولا ينتج عن هذا الغذاء ما ينتج عن سائر الأغذية؛ فالذي خرق النواميس لهذا الجنين في هذا المكان هو القادر على خرق النواميس والسنان في الآخرة .

ولقد فند كل من المهتدي الطبري والترجمان هذه الشبهة وذلك من خلال إيراد عدة نقول من العهدين تؤكد أن في الجنة أكلاً وشرباً وقصوراً وغرفاً، ومن هذه النقول ما يأتي: –

١ – قول المسيح عليه السلام لتلامذته حين شرب معهم : (إني لست شارباً من ابنة هذه الكرمة حتى أشربها معكم تارة أخرى في ملكوت السموات^(٣)). فأثبت أن في الجنة أكلاً وشرباً، وإذا ثبت هذا ثبت غيره من باب أولى .

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٥٧ – ٦٠ .

(٢) انظر سفر التكوين ١٨ : ٨٦ ، و ١٩ : ٣ .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ٢٠١ ، ونحفة الأريب ، ص ٢٤٧ ، ومتى الإصحاح ٢٦ .

٢ - وعد المسيح عليه السلام تلاميذه بأنهم سيأكلون ويشربون معه في الجنة كما روى ذلك لوقامن قوله: (ستأكلون وتشربون على مائدة أبي^(١)) .

٣ - قال المسيح عليه السلام واصفاً ما أعده الله لأوليائه في الدار الآخرة كما روى ذلك يوحنا من قوله: (ما أكثر الغرف والمساكن عند أبي^(٢))

٤ - استدل المهتدي الترجمان على وقوع الأكل والشرب في الجنة بأن آدم وحواء عليهما السلام كانا يأكلان في الجنة، وأن سبب هبوطهما إلى الأرض أنهما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها^(٣) .

٥ - استند المهتدي الترجمان - أيضاً - لإثبات هذا الجانب على إجماع الكتب الإلهية والرسل بأن في الجنة من أنواع الفواكه ولحوم الطير وسائر ماتشتهيها النفس وتلذذ العين .

٦ - يرى المهتدي الترجمان أن هذا الرأي الذي ذهب إليه النصارى فيه مخالفة للمعقول والمنقول، وأثبت أنهم بهذا القول يشابهون الفلاسفة الملاحدة^(٤) .

الشبهة الرابعة : وما ينكرون علينا الختان. وهو من سنن الفطرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظافر^(٥)). وهو من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما أخبر بذلك الصادق المصدوق حيث قال : (اختن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم^(٦)) .

وهذا الأمر الذي يعيبنا فيه النصارى مذكور في كتبهم على أنه شريعة مفروضة وسنة متبعة^(٧) ، بل إن عيسى عليه السلام كان مختوناً إذ جاء في إنجيل لوقا: (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع^(٨)) ويوم ختانه من أكبر أعيادهم .

(١) انظر الدين والدولة ، ص ٢٠١ ، ولوقا ٢٢ .

(٢) انظر الدين والدولة ، ٢٠١ ولم أجد هذا النص في الطبعة التي بين يدي، وانظر تحفة الأريب ، ص ٢٥١ - ٢٥٣ إذ أورد فيها نصراً مماثلة تلزمهم بما أنكروه علينا .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، والتكوين ٢ ، ١٣ ، وحزقيال ٢٨ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان ، باب ٥١ .

(٦) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، حديث ١٥١ .

(٧) انظر التكوين ١٧ ، ٣٤ ، واللاويين ١٢ ، والخروج ١٢ ، ويشوع ٥ ، وإنجيل لوقا ٣ ، ويوحنا ٧ .

(٨) لوقا ٣ : ٢١ . وانظر تحفة الأريب ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، والدين والدولة ، ص ١٩٦ - ٢٠٢ .

وأوصى المسيح تلامذته بالختان فقال : (لهذا أعطاكم موسى الختان، ليس أنه من موسى بل من الآباء ففي السبت تختنون الإنسان^(١)) واستمر العمل بهذه السنة في عصور المسيحية الأولى حتى جاء بولس ويث في روعهم أن الختان لا ينفع شيئاً، وأوحى إليهم أن المعمودية تقوم مقام الختان، حيث قال: (لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان^(٢)) ثم جاء أتباعه من بعده فأنكروا علينا هذه السنة الجارية في دينهم .

الشبهة الخامسة : وما يعيبه اليهود والنصارى على شريعة الإسلام إباحة الطلاق. وقد انتصب لتفنيد هذه الشبهة ثلاثة من هؤلاء المهتدين هم : الطبري والترجمان والهاشمي، واعتمد الهاشمي على الأدلة العقلية في حين اقتصر كل من الطبري والترجمان على الأدلة النقلية، وهذه الأدلة هي : -

١ - قال المهتدي الطبري : (وإن أنكروا الطلاق فكتبهم تخيبهم سعيًا^(٣)) هكذا أوردها هذا المهتدي على وجه الإجمال، وما جاء في جواز الطلاق في التوراة ماورد في سفر التثنية في الإصحاح الرابع والعشرين: (إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شئ وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر^(٤)) .

٢ - قال المهتدي الترجمان : (وأنتم يامعشر النصارى لم تدينوا في التزويج بما شرعه الله في التوراة ولا في الإنجيل؛ وإنما تمسكتم في ذلك بقول بولس^(٥)) ولقد جاء في تعاليم بولس مايفيد جواز أن تتزوج المرأة من رجل آخر بعد زوجها الأول وهو قوله: (ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر^(٦)) .

٣ - أن تحريم الطلاق في الدين النصراني جر على الأمة النصرانية ويلات عظيمة؛ مما

(١) يوحنا ٧ : ٢٢ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٥ : ٦ ، وانظر رسالته إلى أهل كولوسي ٢ : ١١ - ٢١ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٩٦ .

(٤) تثنية ٢٤ : ١ - ٢ ، وانظر لمزيد من تشريعات الطلاق في اليهودية والنصرانية تثنية ٢٢ : ١٧ - ١٩ ، ٢٨ -

٢٩ ، وإشعيا ٥ : ١ ، وإرميا ٣ : ٨ ، ومتى ٥ : ٣١ ، ١٩ : ٣ ، ومرقس ١٠ : ١١ - ٢١ ، ويظهر من سفر مرقس أن

من حق المرأة أن تطلق زوجها .

(٥) تحفة الأريب ، ص ٢٤٢ .

(٦) رومية ٧ : ٢ - ٣ .

اضطر بعض النصارى إلى نقد هذا التشريع والمخروج عليه، وإقرار الطلاق أمام الاحتياجات البشرية، رغم مخالفته للقواعد الكنسية. وواقع العالم النصراني اليوم شاهد بذلك .

٤ - أن الإسلام لم يقرر الطلاق ابتداءً وإنما شرع عدة وسائل لعلاج المشاكل التي ينشأ عنها الطلاق؛ حتى تحقق هذه الوسائل الحيلولة دون وقوع الطلاق لأول وهلة، ومن هذه الوسائل الصلح بين الزوجين قال تعالى: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير^(١)). ومنها أيضاً اللجوء إلى التحكيم قال تعالى: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً^(٢)). ومنها أيضاً أن يطلق الرجل امرأته طليقة واحدة رجعية؛ مما يتيح للزوجين الخيار في استئناف الحياة الزوجية في فترة العدة .

٥ - أن الإسلام يشرع الطلاق عندما يتعذر الوفاق لحماية كيان الأسرة .

٦ - أن الطلاق في الإسلام علاج لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة^(٣) .

الشبهة السادسة : وما يعيبه اليهود والنصارى على شريعة الإسلام جواز مراجعة الزوج لزوجته بعد طلاقها من رجل آخر، واعتقادهم أن ماينتج عن هذا الزواج من أولاد فهم أبناء زنى، ويزعمون أن هذا الحكم من موضوعات عبد الله بن سلام؛ قصد به أن يجعل أبناء المسلمين أبناء زنى .

هذه الشبهة أوردها المهتدي السموأل، وفندها تفصيلاً عجيباً معتمداً في ذلك على كتابهم المقدس، وألزمهم بموجب كتابهم أن يكون داود عليه السلام ومسيحهم المنتظر - كما في كتابهم - أبناء زنى - وتنزه أنبياء الله وحاشاهم من ذلك - وذلك من خلال الحوادث التالية التي اشتملت عليها التوراة والإنجيل :-

١ - أنهم جعلوا داود النبي عليه السلام ومسيحهم المنتظر أبناء زنى من وجهين هما:-

الوجه الأول: ذلك لأن جدتهما هي «روث المؤابية» من بني مؤاب، وقد جاء في التوراة أن لوط زنى بابنتيه فأنجبت إحداهما ولداً وسمته مؤاب. قال هذا المهتدي: (وإذا كانت روث من ولد مؤاب وهي جدة داود ومسيحهم المنتظر؛ فقد جعلوهما جميعاً من نسل الأصل

(١) سورة النساء ، الآية ١٢٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٣٥ .

(٣) انظر الأديان في كفة الميزان ، ص ١١٥ - ١١٩ .

الذي يطعنون فيه^(١) . وإن ادعوا أن التوراة لم تنزل بعد لزمهم ذلك؛ لأن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يخفي زوجته ادعى أنها أخته. وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان تحضرنكاح الأخت، فما قولهم عن نكاح البنت الذي لم يجوز ولا في أولاد آدم^(٢) ؟؟ .

الوجه الثاني : أنه جاء في التوراة أن يهوذا بن يعقوب عليه السلام زنى بامرأة ولده «ثامار» فحبلت منه ب«فارص» و«زارح» وتناسل فارص - ابن الزنى - حتى كان من نسله «بوعز» الذي تزوج «روث المؤابية» ومن أبنائهما كان داود عليه السلام^(٣) .

الشبهة السابعة : أن الصالحين يتزوجون. وقد فند المهتدي الترجمان هذه الفرية بالأدلة التالية :-

١ - يجمع المسلمون والنصارى على أن منزلة النبي أعلى من منزلة الولي، وأن جميع الأنبياء تزوجوا ما عدا يحيى وعيسى عليهما السلام، بل إن داود وسليمان تزوجا من نساء كثيرات^(٤) .

٢ - ورد في التوراة مشروعية الزواج، ولم يتضمن هذا التشريع التفريق بين فئة وأخرى، وأورد الترجمان هذا النص الذي يؤكد ذلك: (يحل للرجل أن يتزوج من النساء قدر ما يقدر على نفقتهن^(٥)) .

٣ - أن ما يلتزمه النصارى اليوم من تشريعات الزواج لم يكن هو المشروع لهم من الله في التوراة والإنجيل؛ لأن ما يدينون به في هذا المجال هو ما شرعه لهم بولس، وهو مخالف لما جاءت به الأنبياء، وتعتقد عامة النصارى أن ذلك التشريع هو الحق، أما علماؤهم فيعلمون أن الحق خلاف ذلك^(٦) .

ومما ينقض هذه الفرية أنهم رضوا بأن يوصف الله سبحانه بأنه ذو صاحبة - تعالى الله

(١) إفتحام اليهود ، ص ١٤٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٤٦ - ١٤٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٣٩ - ٢٤١ ، وصموئيل الأول ١٨ : ١٩ ، ٢٠ ، و٣٩ : ٢٥ - ٤٢ ، وصموئيل الثاني ٣ : ١ ، ٥ ، و١١ : ١٦ ، وسفر الملوك الأول ١١ : ٣ .

(٥) تحفة الأريب ، ص ٢٤٢ ، ولم أجد هذا النص بلفظه، ولكن هناك عدة نصوص في العهد القديم تتضمن بعض ذلك منها مثلاً : التكوين ٤ : ١٩ ، ٢٣ ، و٢ : ٣٧ ، والثنية ٢١ : ١٥ ، وصموئيل الأول ١ : ٣ .

(٦) انظر تحفة الأريب ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ .

عما يقولون علواً كبيراً - كما نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال: (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم^(١)). ولم يرضوا لعبادهم ورهبانهم أن يتزوجوا، ثم عابوا علينا أن اتبعنا شرع الله وسنة أنبيائه في هذا المنحى .

الشبهة الثامنة : وما ينكرون علينا الإقسام بالله. وماذا في هذا؟؟ هل نحن أول أمة أقسمت بالله؟ وهل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أول نبي أقسم بالله؟ إن التوراة تحدثنا أن النهي عن القسم الكاذب هو أحد الوصايا العشر^(٢). وقد تعددت رواية العهدين للقسم سواء أكان هذا القسم صادراً عن الله، أو من أحد أنبيائه، قال دانيال عليه السلام: (إن الملك الذي تراءى رفع يديه إلى السماء وأقسم بالمنعم الدائم أن جميع ما قال كائن لا محالة^(٣)). وجاء في سفر التكوين: (وقال بذاتي أقسمت يقول الرب^(٤)) .

الشبهة التاسعة : يعتقد اليهود والنصارى أن الابن البكر الشرعي لإبراهيم عليه السلام هو إسحاق، وأن هذا الابن هو الذي قدمه أبوه قرباناً لله تعالى وفداءً لله بكبش عظيم، كما يعتقدون أن العهد المبرم بين الله وإبراهيم عليه السلام كان عهداً مبرماً بين الله وإسحاق عليه السلام؛ وأنه لذلك هو المستحق لورثة عهد أبيه...

وهذه المسألة محل خلاف بين اليهود والنصارى وبين المسلمين ، وعلى هذه المسألة - أيضاً - يستند اليهود في ادعاء حقهم في وراثة كل الأرض التي ذكرت في التوراة - والتي من بينها فلسطين - أن الله سيورثها ذرية إبراهيم من بعده، وما أنهم يعتقدون أن الابن البكر الشرعي لإبراهيم هو إسحاق فمن حقه وراثة أبيه، وما أنهم من ذرية إسحاق - كما يزعمون - فهم الورثة لما خلفه. وقد غابت عن هؤلاء أمور منها : -

١ - أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده .

٢ - أن الله وعد بالتمكين في الأرض للذين آمنوا وعملوا الصالحات قال تعالى: (وعد

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠١ .

(٢) خروج ٢٠ : ٧ .

(٣) الدين والدولة ، ص ١٩٦ ، ودانيال ١٢ : ٧ .

(٤) تكوين ٢٢ : ١٦ ، وانظر نماذج من رواية العهدين للقسم مايلي: تكوين ٢١:٢٣ ، و٢٦ : ٢٨ ، و٥٠ : ٢٥ ، والعدد ٥ : ١١ - ٢٨ ، ويوشع ٢ : ١٢ ، و٩ : ١٥ ، و١٨ ، وإرميا ٢٩ : ١٨ ، وإشعيا ١٤ : ٢٤ ، و٦٥ : ١٦ ، ولوقا ١١ : ٧٣ ، ومرقس ٦ : ٢٣ ، وأعمال الرسل ٢ : ٣٠ .

الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون^(١) .

٣ - أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق هم من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم من أئمة الختفاء المسلمين، والمسلم لا يرثه الكافر، وبنو إسرائيل قد كفروا بالله وقتلوا الأنبياء - كما يشهد عليهم بذلك سفري إشعيا وإرميا - فليس من حقهم وراثه هؤلاء الأئمة المسلمين .

٤ - أن هذه الهجرة اليهودية التي نشهدها اليوم إلى فلسطين، وهذا التنادي اليهودي ماهو إلا علامة من علامات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: (لا تقوم الساعة حتى يتقاتل المسلمون واليهود؛ فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله. إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود^(٢)) .

ولكن هل هذا الادعاء اليهودي المتعلق بيكورية إسحاق هل تؤيده الكتب التي بأيديهم أم تعارضه؟ وهل هؤلاء المهتدون - الذين كانوا من أحبار اليهود والنصارى - يرون أن الحق في جانب المسلمين أم في جانب اليهود والنصارى؟؟ .

إن الأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون تؤكد تأكيداً جازماً لا لبس فيه ولا غموض أن الابن البكر الشرعي لإبراهيم عليه السلام الذي أمر بذبحه هو إسماعيل، وأنه هو الوريث الشرعي لعهد أبيه، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم - وهو ابن إسماعيل - وأمته من بعده هم الأوفياء لذلك العهد، وهم الأحق بهذا الإرث.

ويمكن تقسيم الأدلة التي استدلت بها هؤلاء المهتدون إلى قسمين هما : -

القسم الأول: الأدلة على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام : -

الدليل الأول: استدلت كل من المهتدي الإسكندراني والنجار وإبراهيم خليل بنص التوراة على أن الذبيح هو إسماعيل، وهذا النص جاء في سفر التكوين الإصحاح الثاني والعشرين

(١) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه واللفظ له في كتاب الفتن وأشراف الساعة، حديث ٨٢ ، والبخاري في صحيحه في كتاب

الجهاد والسير ، باب ٩٤ .

من قوله : (خذ ابنك وحيدك الذي تحبه) .. إلى أن قال: (بذاتي أقسمت يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا ولم تمسك ابنك وحيدك عني أباركك مباركة وأكثر نسلك كثيراً^(١)) وقال الإسكندراني بعد هذا النص: (وهذه الآية تدل على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام من نص التوراة؛ لأنه ماكان لإبراهيم وحيد إلا إسماعيل، فإنه بعد هذه القصة بشرته الملائكة بإسحاق عليه السلام^(٢)). ويذكر المهتدي إبراهيم خليل أنه حدث تغيير في بعض الترجمات الحديثة للتوراة فاستبدلت عبارة «الابن الوحيد» إلى «الابن المفضل»؛ حتى يكون النص دالاً على إسحاق بدلاً من دلالة على إسماعيل^(٣) .

الدليل الثاني : أكدت التوراة على أن إسماعيل عليه السلام كان يوماً ما ابناً وحيداً لإبراهيم عليه السلام، وأن إسحاق عليه السلام لم يكن وحيداً لأبويه؛ لأنه ولد بعد أن بلغ إسماعيل أربعة عشر عاماً، وهذا الأمر صريح في التوراة حيث جاء في سفر التكوين في الإصحاح السابع عشر: (وكان إبراهيم ابن تسعة وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته. في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه^(٤)) .

الدليل الثالث: أكد المهتدي الهاشمي أن اليهود أصحاب التوراة الحقيقية قالوا في التلمود: إن الذبيح هو إسماعيل^(٥) .

الدليل الرابع : يعزز المهتدي الهاشمي الدليل السابق بدليل استنبطه من التوراة وكان استنباطه عجباً بديعاً؛ لأنه استدل من تسلسل أماكن النبوة الواردة في سفر التثنية على أن الذبيح هو إسماعيل حيث قال: (والذي يزيدنا تأكيداً – أي على أن الذبيح إسماعيل – أن سفر التثنية وهو من الأسفار التي كتبت بعد رحيل موسى عليه السلام وضع سلسلة

(١) انظر المنارات الساطعة ، ص ٦٠ . ولقد كان المنهج المتبع الذي التزمت به أنني عندما أورد نصاً من كتبهم فإني اعتمد على النص الذي قدمه الأقدم منهم؛ لكن في هذه المسألة رأيت أن النص الذي قدمه الإسكندراني ليس مباشراً؛ فأثرت النص الذي قدمه النجار .

(٢) مسالك النظر ، ص ٥٩ - ٦٠ . وانظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٣ وما بعدها .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٤) المنارات الساطعة ، ص ٦٠ ، وانظر مسالك النظر ، ص ٥٩ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٣ .

(٥) انظر سر إسلامي ، ص ١١٢ .

جميلة للأنبياء، وأعاد ذكر «فاران» بعد إشارة «بيت لحم» مكان مولد السيد المسيح، حيث قال في الإصحاح الثالث والثلاثين: (جاء الرب من سيناء - مكان تكليم موسى - وأشرق لهم من - بيت لحم - وتلاًلاً من فاران «مكة»^(١)) .

الدليل الخامس: تدعى اليهود - حسداً منهم - أن الابن المفضل المحبوب لإبراهيم عليه السلام هو إسحاق عليه السلام؛ حتى يسوغوا لأنفسهم إمكانية ادعاء أن الذي قُدّم قرباناً هو إسحاق، وأنه هو المستحق لورثة عهد أبيه؛ لأنه هو المفضل. ولكن كتبهم تخيبهم سعيًا، وتكذبهم صراحاً؛ حيث أثبت المهتدي النجار أن التوراة أوردت توسل إبراهيم عليه السلام إلى ربه في إسماعيل أن يبارك في عمره وهو قوله: (وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك^(٢)) ثم قال هذا المهتدي بعد ذلك: (وجزى الله سيدنا إسماعيل على صبره وبلائه وحرصه على طاعة ربه والانقياد لأبيه: (قال ياأبت أفعلم ماتؤمرستجدني إن شاء الله من الصابرين) فخلد ذكره، وبعث من نسله سيد الأنبياء ، وخاتم المرسلين^(٣)) .

الدليل السادس: أن التوراة الحقيقية ذكرت أن الملائكة بشرت إبراهيم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، والذي يؤكد ذلك أن القرآن نقل إلينا نص هذه البشارة وهي قوله تعالى: (وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب^(٤)) . والقرآن والتوراة كتابان أنزلهما الله فلا بد من اتفاقهما؛ وماذا إلا لأن المصدر واحد، فمن غير المعقول أن يبشر إبراهيم بذرية إسحاق ثم يؤمر بذبحه بعد بلوغه؛ لأن البشارة بذريته دليل على استمرارية حياته بعد بلوغه حتى يتزوج ثم يخلف أولاداً، ثم إنه يلزم من الأمر بالذبح بعد الإخبار بالذرية التناقض في خبر الوحي، وهذا أمر لا تقره أي شريعة إلهية .

القسم الثاني : أن إسماعيل عليه السلام هو البكر وهو الابن الشرعي لإبراهيم، وأنه هو المستحق لورثة عهد أبيه : -

وهذا العهد الذي أكد هؤلاء المهتدون أحقية إسماعيل له هو ما نصت عليه التوراة أنه من حق الابن البكر - وقد سبق في الأسطر الماضية بيان أن الابن البكر هو إسماعيل -

(١) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٢) المنارات الساطعة ، ص ٦١ ، والتكوين ١٨ : ١٨ .

(٣) المنارات الساطعة ، ص ٦١ ، والآية ١٠٢ من سورة الصافات .

(٤) سورة هود ، الآية ٧١ .

وهذه البكورية حسب شريعة التوراة تخول له أحقيته بعهد أبيه، وامتلاك النصيب الأوفر من ميراثه، وهذا الميراث هو الذي تدعي إسرائيل اليوم بسببه أحقيتها في امتلاك فلسطين وماجاورها من النيل إلى الفرات، ولذلك يسمونها أرض الميعاد .

أما الأدلة التي استنبطها هؤلاء المهتدون من العهدين في شأن هذه القضية فهي كما يلي: -

الدليل الأول: بدافع من الحقد والغيرة افتري اليهود والنصارى على إسماعيل عليه السلام، ووصفوه بأنه ابن غير شرعي لإبراهيم عليه السلام، وماذاك إلا لأنه ابن جارية. ولكن هل يستقيم لهم هذا الزعم؟؟ .

يؤكد المهتدي إبراهيم خليل أن هذا الأمر - الولادة من جارية - إذا اعتبر مغمزاً أو مطعناً في حق إسماعيل؛ فهو متجه وبنفس القوة والقدر إلى أربعة من أسباط بني إسرائيل وهم «دان» و «نفتالي» ابني يعقوب عليه السلام من جارية زوجته راحيل، و«جاد» و«أشير» ابني يعقوب عليه السلام من زلفة جارية زوجته «ليئة» وقال هذا المهتدي بعد هذا الاستدلال: (فكيف بهم يعترفون بهؤلاء أبناء شرعيين ليعقوب؟ وينكرون ذلك على إسماعيل الابن الشرعي لإبراهيم^(١)) وقال المهتدي عبد الأحد داود بعد استعراض هذا الأمر: (وهل يوجد قانون بشري أو سماوي يعتبر ولادة ابن العم والعمة أكثر شرعية من ولادة من كان أبوه كلدانياً وأمه مصرية^(٢))؟؟ . يعني بذلك إسماعيل .

الدليل الثاني: أكد كل من المهتدي عبد الأحد داود وإبراهيم خليل على أن شريعة التوراة نصت على أحقية الابن البكر في العهد والوراثة، حيث جاء في سفر التثنية: (إذا كان لرجل زوجتان، وكانت إحداهما مفضلة عنده على الأخرى، وكان لكل واحدة منهما ولد، وإذا كان ابن غير المفضلة هو الولد البكر؛ فإن الولد البكر هو المرشح ليحل محل أبيه في تحمل الحكم وولاية العهد، وليس ابن الزوجة المفضلة ، وعليه فإن الولد البكر سوف يرث ضعف إرث أخوه) قال المهتدي عبد الأحد داود بعد إيراد هذا النص: (وعلى ضوء ذلك أليس هذا القانون من الواضح بما يكفي ليخرس جميع الذين يختلفون ويتنازعون حول

(١) محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٢٤ .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٢ .

أحقية إسماعيل كمي يأخذ مكانة أبيه في الدعوة وولاية العهد^(١) .

الدليل الثالث: أن العهد المبرم بين الله وإبراهيم كان عهداً مبرماً بين الله وبين إسماعيل في نفس الوقت، يؤكد ذلك المهتدي عبد الأحد داود إذ نقل جواب المسيح عليه السلام كما ورد في إنجيل برنابا - عن هذا العهد من قوله: (إن العهد بين الله وإبراهيم كان موضوعه إسماعيل، وإن أكثر الناس تمجيداً وحمداً إنما هو من سلالة إسماعيل، وليس من سلالة إسحاق عن طريق داود^(٢)) .

ويرى المهتدي إبراهيم خليل أن علامة هذا العهد وهو «الختان» وأنه قد ختن إبراهيم وإسماعيل قبل أن يولد إسحاق عليهم السلام، وذلك بنص التوراة حيث جاء: (هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً... فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته... وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه، وكان إبراهيم ابن تسعة وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن^(٣)) ومن المعلوم أن إسحاق لم يولد إلا بعد بلوغ إبراهيم مائة سنة كما نص على ذلك سفر التكوين^(٤) . ولا تزال هذه الشعيرة «الختان» قائمة في الأمة الإسلامية إلى يوم الناس هذا، في حين تخلى عنها النصارى واستعاضوا عنها بالمعمودية؛ فاستبدلوا شريعة الله بشريعة بولس .

ويؤكد المهتدي عبد الأحد داود أن اليهود كانوا يعرفون بأن العهد كان من حق إسماعيل ولذلك حرفوا كتابهم؛ حتى تندثر هذه المزية إذ يقول: (ولقد كان اليهود دائماً وأبداً على غيرة من إسماعيل؛ لأنهم يعرفون جيداً بأنه كان يجسد ويمثل العهد، وبختانه أبرم وختم هذا العهد، وإنه بدافع من ذلك الحقد وتلك الضغينة قام النساخ وفقهاء الشريعة عند اليهود بتحريف وإفساد الكثير من صفحات كتبهم المقدسة، فشطبوا اسم إسماعيل من العبارات الثانية والسادسة والسابعة من الفصل الثاني والعشرين في كتاب سفر التكوين

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٢ . وانظر التثنوية ، ٢١ ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) محمد في الكتاب المقدس ، ص ١١٣ .

(٣) انظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٧ ، والتكوين ١٧ .

(٤) انظر التكوين ٢١ : ٥ .

ووضعوا اسم إسحاق بدلاً منه^(١) .

بينما يرى المهتدي إبراهيم خليل أن من فضل الله على هذه الأمة أن ميثاق الله لإبراهيم لم يتحرف إطلاقاً، حيث جاء في سفر التكوين: (قال إبرام أيضاً إنك لم تعطني نسلًا وهو ذا ابن بيتي وارث لي، فإذا كلام الرب إليه قائلاً : لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك) ونص هذا الميثاق : (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) وقال هذا المهتدي: (عندما أراد الله مجازاة إبراهيم لأمانته؛ بأن أخذ على نفسه ميثاقاً لتوريث إبراهيم ونسله أرض الميعاد لم يكن إسحاق في الصورة^(٢)). أي لم يكن موجوداً بعد .

الدليل الرابع : يستند كل من المهتدي النجار وعبد الأحد داود إلى الواقع المشاهد عبر التاريخ، وأن هذا الواقع يؤكد أحقية ذرية إسماعيل عليه السلام بذلك الميراث المنصوص عليه في الدليل السابق، يقول المهتدي عبد الأحد داود: (وهذا الميراث الذي يستحقه إسماعيل لكونه الابن البكر ... إنما عني به إخضاع كل الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات، واحتلالها إلى الأبد، حيث كان يسكن هذه الأرض عشر أمم مختلفة، وهذه البلاد لم تخضع أبداً لذرية إسحاق؛ ولكنها خضعت لذرية إسماعيل، وكان هذا تحقيقاً حرفياً وفعالياً لأحد الشروط التي قام عليه العهد بين الله وإبراهيم^(٣)) .

الدليل الخامس : نصوص العهد القديم تؤكد أن إسماعيل وذريته من بعده هم المستحقون لذلك الإرث، وهم الذين تنبأ عنهم أنبياء بني إسرائيل بأن لهم المجد التليد، والفخر المنيف، ابتداءً من ذكر سفر التكوين لأبناء إسماعيل بما فيهم قيذار جد العرب^(٤) ، وانتهاءً بما جاء على لسان إشعياء وإرميا وحزقيال ، وهذه نصوصهم :-

قال إشعياء : (كل غنم قيذار تجتمع إليك، كباش نيايوت تخدمك، تصعد مقبولة على مذبحي، وأزين بيت جمالي^(٥)) وقال أيضاً مخبراً عن هذا الرسول محمد صلى الله عليه

(١) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٦٠ .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٣٦ ، ومحمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٨ ، والتكوين ١٥ .

(٣) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٥٨ ، وانظر ٦٤ منه ، والمنارات الساطعة ، ص ٦٠ .

(٤) تكوين ٢٥ : ١٢ - ١٦ .

(٥) إشعياء ٦٠ : ٧ .

وسلم الذي ينحدر من سلالة إسماعيل : (هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه؛ فيخرج الحق للأمم.. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته) وقال أيضاً : (أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم^(١)) .

وقال إرميا: (فاعبروا جزائر كتييم وانظروا وارسلوا إلى قيذار وانتبهوا جداً، وانظروا هل صار مثل هذا^(٢)) .

وقال حزقيال : (كل العرب وكل رؤساء قيذار تجار يدك بالخرفان والكباش والأعتدة^(٣)) . قال المهتدي إبراهيم خليل معلقاً على هذه النصوص : (وهذا دلالة هامة على أن ذرية قيذار صارت مرموقة عند الله سبحانه، وليست هذه الشهرة عفواً، ولكن بهدف رباني، وغرض لا مثيل له؛ ليؤكد لبني إسرائيل أن من نسل هذا يولد الذي حياته وأعماله - فضلاً عن سمو ذاته - سيتحقق فيه النصيب المضاعف لحقوق البكر من المجد لسلالة إسماعيل ولا ريب^(٤)) .

وهذه النصوص تدفع الادعاء النصراني المتهافت القائل بأن هذه البركات إنما تحققت للمسيح عليه السلام؛ وما يدفع هذا الادعاء أن إشعيا أخبر أن هذا الرسول القادم من ذرية إسماعيل ستنتظر الجزائر شريعته، ويكون نوراً للأمم، ويخرج الحق لهم - بينما نجد أن المسيح عليه السلام أخبر أن رسالته مقصورة على بني إسرائيل، حيث أوصى تلاميذه قائلاً كما جاء في إنجيل متى: (إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا؛ بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة^(٥)) .

الشبهة العاشرة : قولهم : إننا لم نجد أحداً من الأنبياء تنبأ عليه قبل مجيئه. وقد فند كل من المهتدي الطبري والمتطبب هذه الفرية من خلال الوجوه التالية : -

١ - لاجابة في تصديق الأنبياء إلى نبوة من سبقهم؛ لأن الشاهد على صدق نبوتهم هو

(١) إشعيا ٤٢ : ١ - ٦ .

(٢) إرميا ٢ : ١٠ .

(٣) حزقيال ٢٧ : ٢١ . وانظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٣٩ .

(٤) المصدر السابق، ص ٣٩ .

(٥) متى ١٠ : ٥ - ٦ ، وانظر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٣٩ - ٤١ .

ما يدعون إليه من الحق، وما يقيمه الله على أيديهم من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة .
٢ - إذا كانت النبوة لا تثبت ولا يجب قبولها إلا بتقدم النبوات عليها، فإنه يلزم من صدق نبوة نبي من الأنبياء الذين لم تتقدمهم نبوة - الخروج من الهدى إلى الضلال ومن الرشد إلى الغي .

٣ - أن موسى وداود وإشعيا وإرميا - وهم عندهم من أفاضل الأنبياء - لم يتقدم عليهم نبوة، ولم يبشر بهم من سبقهم، وعلى قولهم هذا فمن آمن بهم فقد خالف الحق إلى الباطل بقبوله إياهم، وهم لا يقولون بذلك^(١) .

وكذلك فإن نوح وإبراهيم عليهما السلام أنبياء بإجماع كل الأمم ولم يتقدم عليهم من تنبأ بمجيئهم. أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد تواترت بحقه شهادات الأنبياء المتقدمين من لدن إبراهيم حتى عيسى عليهم السلام، وقد أفردت لهذه الشهادات فصلاً كاملاً من فصول هذا البحث^(٢) .

الشبهة الحادية عشرة : قولهم: إننا لم نجد في القرآن ذكر آية ولا نبوة لما جاء به. ويلزم على هذا القول ما يأتي : -

١ - أن النبي إذا لم يكن له آية أو نبوة فلا يجب قبول نبوته ولا تصديق خبره؛ فكيف قبلوا داود عليه السلام نبياً وليس في زوره آية .

٢ - أنه يلزم لتصديق الأنبياء أن تذكر آياتهم في كتبهم .

٣ - أن من الأنبياء من جمع الله له بين الآية والنبوة مثل موسى وعيسى ... ومنهم من له آية وليست له نبوة مذكورة في كتابه مثل اليسع فإنه أحيا ميتين، ومنهم من لم تذكر له آية ولا نبوة ولا خبر مقنع في كتابه وهو معدود في زمرة الأنبياء مثل ملاخي وحجي وناحوم إنما كتاب أحدهم في ثلاث أو أربع ورقات. ومنهم مريم النبية وحنة النبية فإن هاتين ليس لهما كتاب ولا نبوة ولا آية ولا دلالة وقد عدوها في الأنبياء، فلم تعدتم هؤلاء في الأنبياء وكفرتم بمن جاء بأعظم نبوة، وأقام أعظم الآيات البينات^(٣) .

أما نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فشعارها التوحيد الذي هو دعوة الأنبياء

(١) انظر الدين والدولة ٤٨ - ٤٩ ، والنصيحة الإيمانية ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا البحث .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ٤٩ - ٥١ .

والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما في قوله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم^(١)) وقوله تعالى: (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد^(٢)). أما شريعته فهي الشريعة الخاتمة والرسالة الجامعة احتوت على كل خير، وحذرت من كل شر^(٣).

أما آيات نبوته فأكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، ولعل تاجها هذا القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، شهد بفضله وعلوه المسلم والكافر... ومن هذه الآيات التي أظهرها الله له آية الإسراء والمعراج وذلك أنه أسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء فتلقى من ربه ما شاء الله وعاد من ليلته إلى بيته وذلك قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا^(٤)). .

الشبهة الثانية عشرة : قولهم: إن المسيح عليه السلام أنبأنا أنه لا نبي بعده؛ لذلك فهم لا يؤمنون بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن هل يستقيم لهم ذلك الادعاء؟؟ وهل يؤيده كتابهم واعتقادهم؟؟.

يؤكد المهتدي الطبري والمتطبيب أن هذا الادعاء خلاف ما ورد في كتابهم، وعلى النقيض مما يعتقدونه؛ وذلك لأن المسيح عليه السلام بشرهم بنبي يأتي بعده مرسل من ربه، يخبرهم بكل ما أعد لهم، ويعلمهم بكل شيء، حيث قال: (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وربي وريكم؛ ليبعث لكم البارقليط الذي يأتيكم بالتأويل، وذلك أنه يأخذ من الذي أخذت، وهو روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه؛ إنما يتكلم كما يقال له يقول، وكل شيء أعد لكم يخبركم به^(٥)) وقال أيضاً: (إن البارقليط الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم كل شيء^(٦)).

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨ .

(٢) سورة الإخلاص ، الآيات ١ - ٤ .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ٥٤ - ٩٧ وهي الأبواب الستة الأولى من هذا الكتاب وقد خصصها المؤلف لبيان نبوته وآياته التي أظهرها الله على يديه أو أخبر بها فوقت في حياته أو بعد مماته .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ١ . وانظر الدين والدولة ، ص ٦٥ وما بعدها فقد ذكر فيها عدداً من الآيات التي أظهرها الله على يدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

(٥) النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٩ ، ويوحنا ١٥ .

(٦) النصيحة الإيمانية ، ص ١٤٠ - ١٤١ حيث أورد عدداً من النصوص المشابهة لهذا النص، وانظر يوحنا ١٥ .

قلت هذا قول المسيح عليه السلام عن هذا الرسول الآتي بعده، وأنتم تدعون أنه أخير أن لا نبي بعده. وهذان الخبران يكذب أحدهما الآخر، وهما منسوبان إلى المسيح عليه السلام، ويلزم على ذلك: إما أن يكون المسيح كاذباً. وحاشاه من ذلك، والكذب ممتنع بحقه؛ لأنه رسول معصوم صادق مصدق، وإما أن يكون أحد الخبرين كاذباً يقيناً، والكذب ورد على أحدهما من ناقله ومختلقه، وليس من قائله، فلننظر أيهما الخبر الكاذب؟ ١٢٢ .

إن الخبر الأول الذي تضمن البشارة برسول يأتي من بعده؛ يصدقه الواقع، ويشهد له التاريخ، وتؤيده الرسالة التي خلفها من بعده، وآمنت بها الألوفا المؤلفرة من البشر من اليهود والنصارى وسائر الأمم، وشهد بصدقه كبراء النصارى في الماضي والحاضر؛ وفي صدق هذا الخبر تكذيب للخبر المدعى الذي استندت عليه النصارى في هذه القرية .

ويرى المهتدي الطبري أن الأناجيل تضمنت الإخبار عن عدد من الأنبياء الذين جاؤا بعد المسيح عليه السلام من مثل بولس وأغابوس وبرنابا وشمعون ولوقاوس ومنايل، وجاء في أعمال الرسل: (وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية^(١)) وجاء فيه أيضاً: (وكان في أنطاكية في الكنيسة أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان^(٢)) .

ولم تقتصر النبوة في هذه الفترة على الرجال بل كان هناك نساء متنبئات كما جاء في أعمال الرسل: (فدخلنا بيت فيلبس المبشر... وكان لهذا أربع بنات عذارى كن يتنبأن^(٣)) .
إذاً اتضح أنه كان بعد المسيح عليه السلام رسلاً وأنبياء. وذكر هؤلاء الأنبياء من باب الإلزام ، والحق أنه لم يكن بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم نبي؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء علات، وليس بيني وبين عيسى نبي^(٤)) . كما أنه لم يكن من بين أنبياء الله ورسوله امرأة لقوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى^(٥)) .

الشبهة الثالثة عشرة : قالت النصارى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف

(١) أعمال الرسل ١١: ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ١٣ : ١ .

(٣) المصدر السابق ٢١ : ٩ ، وانظر الدين والدولة ، ص ٥٢ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ، حديث ١٤٤ .

(٥) سورة يوسف، الآية ١٠٩ .

بالقيامة، ولم يبشر بالبعث والنشور غير المسيح.

هذه الشبهة لولا أن المهتدي الطبري أوردتها لما أوردتها في هذا البحث المتواضع؛ ليس بسبب صعوبة تفنيدها، وغموض أمرها؛ وإنما لتهاقت مبنائها، وسقوط معناها، وذلك أن أمر الموت والقبر والبعث والنشور والقيامة مما حفلت به هذه الرسالة الخالدة، فتكاثر ذكره فيها، وتنوع وصفه من خلالها مما لا تجد له مثيلاً لدى أي أمة من الأمم السابقة، وليس هذا اعتسافاً؛ وإنما نقول هذا القول لوضوح أدلته، وتعدد براهينه، وتوافر وصف أحوال الدار الآخرة فيها ابتداءً من القبر وما فيه من نعيم أو عذاب، ثم ذكر ما يكون في الدار الآخرة من بعث وحساب وميزان وصراف وقنطرة وجنة أو نار، وما في الجنة من أصناف النعيم، ودرجات المنعمين، ورؤية رب العالمين، وما في النار من أهوال الجحيم، ودركات المعذبين، وسماع خطبة إبليس اللعين من مثل ما هو مبثوث في سور القرآن الكريم كسورة إبراهيم و«ق» والواقعة والقيامة والحاقة والزلزلة والقارعة ... وما هو مبسوط في كتب السنة النبوية .

وإن هذه الشبهة التي أثارها النصارى تحمل شاهد نقضها؛ وذلك لأنهم يرون أن القيامة لم يذكرها أحد سوى المسيح عليه السلام، وفي توراتهم ما يؤكد أن أنبياء بني إسرائيل دعوا قومهم إلى الإيمان بالآخرة^(١)، والاستعداد لها بالعمل الصالح، كما ذكر ذلك المهتدي الطبري فقال: (قال موسى النبي عن الله تعالى: أنا وحدي وليس سواي إله، أنا أميت وأنا أحيي) ونقل هذا المهتدي قول دانيال عليه السلام: (إنه سيبعث من الأجداد قوم كثير، بعضهم إلى الحياة الدائمة، وبعضهم إلى البوار^(٢)).

الشبهة الرابعة عشرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم آمن بالتوراة والإنجيل قولاً وخالفهما فعلاً .

وقد تصدى لهذه الفرية المهتدي الطبري وأبطلها من خلال البراهين التالية:-

١ - أن الله تبارك وتعالى حكيم عليم رحمن رحيم، وليس للعباد الاعتراض عليه فيما

(١) بل ما من نبي إلا دعا قومه إلى ثلاث خصال: الإيمان بالله، والإيمان بالدار الآخرة، والإيمان بالرسول المرسل إليهم .
(٢) الدين والدولة، ص ٢٠٤، وقد ذكر هذا المهتدي أربعة نصوص عن أنبياء بني إسرائيل كلها تزيد ما ذكر آنفاً، ودانيال ١٢، وانظر لمزيد من حديث أنبياء بني إسرائيل عن القيامة: مزمور ١٦ و ٧٣، وإشعيا ٢٦. مما يبين تهافت هذه الدعوى .

يأمر به؛ بل عليهم السمع والانقياد له، قال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم^(١)) .

٢ - أن الله سبحانه وتعالى أمر موسى عليه السلام بالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم قائلاً: (إن الله يقيم نبياً من بين إخوانكم مثلى فاسمعوا له، فإن من لم يسمع له كنت أنا المنتقم منه^(٢)). فقد ظهر هذا النبي الذي بشر به موسى عليهما السلام، واستن بسنن الله، وصدق بموسى وعيسى ولم يخالفهما في التوحيد؛ بل وافق سائر الأنبياء في تجريد التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والختان والقصاص والذبائح والطلاق وجهاد الكفار... وإن اختلفت هيئات هذه العبادات، كما أنه جدد لأمته سنناً وفرائض شأنه في هذا شأن سائر الأنبياء والمرسلين .

٣ - أن التسليم لمثل هذه المقولة يلزم منه أن تبطل سائر الرسالات؛ وذلك لأن لكل رسول رسالته، ولكل أمة شرعتها التي تميزها عن غيرها، قال تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً^(٣)). وكل نبي يؤمن بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير^(٤)) فلو وضعت هذه الفرية موضع التطبيق للزم على ذلك بطلان رسالة كل رسول أتى بشرع يخالف فيه من سبقه .

وهذه الفرية تتجه إلى المسيح عليه السلام كما تتجه إلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأن المسيح عليه السلام آمن بموسى عليه السلام وخالفه في كثير من الشرائع التي سنّها لأمته، وما خالف فيه المسيح عليه السلام شريعة التوراة ما رواه متى في إنجيله من أن المسيح عليه السلام: (كان يسير بين الزروع في يوم سبت، فجاء التلاميذ فجعلوا يفركون السنبل ويأكلون^(٥)) فلم يغير ذلك ولم ينكره. وجاء في إنجيل متى - أيضاً - أن المسيح عليه السلام قال لمن حضره من بني إسرائيل: (سمعتم التوراة تقول : إن من طلق امرأته فليقدم لها كتاب طلاق. أما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لسبب الزنا فقد

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

(٢) التثنية ١٨ : ١٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥ .

(٥) متى ١٢ : ١ .

عرضها للزنا، وإن من تزوج مطلقة فإنه قد فجر^(١). وقال - أيضاً -: (قد سمعتم ما قيل في التنزيل : السن بالسن والعين بالعين. فأما أنا فإني أقول لكم: إن من ضربك على خدك فوله الخد الآخر، ومن سألك شيئاً فلا تمنعه^(٢)) حتى قال قومه مصرحين بذلك: (إن العتيقة عبرت وسلفت، وجاءت الحديثة وظهرت^(٣)). يعنون بالعتيقة التوراة، وبالحدیثة الإنجيل. قال المهتدي الطبري عن المسيح: (فلم يدع عيداً إلا أبطله، ولا سبتاً إلا أحله، ولا ذبيحة إلا نهى عنها، ولا مذبحاً إلا عطّله، ولا كاهناً إلا فجّره وفسّقه^(٤)).

بل إن النصرانية قبلت من بولس أن يغيّر شريعة دينها، وخير مثال على ذلك قوله: (إن الختان ليس بشيء، ولا الغرلة بشيء^(٥)) فأبطل شريعة الختان .

الشبهة الخامسة عشرة : أن المهاجرين والأنصار دخلوا في دين الله من غير آية^(٦). يروي لنا المهتدي الطبري استناده على هذه الشبهة أيام نصرانيته قائلاً: (فكانت هذه عندي حجة قوية جداً، مازلت مغتراً بها، عمياً عنها؛ حتى إذا انسلخت من دينه - أي دين عمه وهو النصرانية - رأيت الجواب عنها سهلاً، والمخرج فسيحاً^(٧)) وذلك من خلال البراهين التالية :-

١ - أننا إذا عارضناهم بمثل هذه الحجة بطلت نبوات عدة أنبياء من أنبيائهم؛ إذ ليس دخول جماعة في دين نبي من الأنبياء من غير آية رأوها مما يبطل سائر نبوات ذلك النبي .

٢ - أن امتناع النبي من إظهار آية في وقت ما لا يوجب تكذيبه؛ لأن حزقيال أتته جماعة من بني إسرائيل يريدون امتحانه ورفض أن يقيم لهم آية، وكذلك المسيح عليه السلام أتته جماعة من اليهود تسأله آية فقال: (إن القبيلة الخبيثة الفاجرة تطلب آية، ولن

(١) متى ١٩ : ٨ - ١٠ .

(٢) متى ٥ : ٣٨ - ٤٢ .

(٣) الدين والدولة ، ص ٢٠٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٥) رسالته إلى أهل غلاطية ٦:٥ ، وانظر رسالته إلى أهل كورنثوس ٢: ١١ - ١٢ ، وانظر لما سبق الدين والدولة ، ص ٢٠١ - ٢٠٣ .

(٦) هذه الشبهة كما يروي المهتدي الطبري أنه لم يقل بها أحد من علماء النصارى في قديم الدهر وحديثه سوى عمه أبي زكار. انظر الدين والدولة ، ص ١٨٩ ، ١٩٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

تعطى آية، ما خلا اية يونان النبي) .

٣ - أن المسيح عليه السلام آمن به رؤساء الحواريين الأولين من غير أن يريهم آية، ويشهد لذلك ما رواه متى في إنجيله أن المسيح عليه السلام كان يسير في ساحل البحر فرأى أخوين أحدهما شمعون - الذي لقبه الصفا، الذي استرعاه أمر أمته، وجعله أساس ملته - وأخاه أندراوس وهما يصيدان السمك في البحر فقال لهما وأما إليهما اتبعاني أجعلكما بعد يومكما هذا تصيدان الناس، وأنهما رفضا من فورهما شباكهما واتبعاه^(١) وهذا الادعاء رغم أنه ليس بحجة - كما سلف - فإنه يدل على أن قائله كان جاهلاً جهلاً تاماً بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ وما ذاك إلا لأن الله أكرم نبيه وأظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يؤمن على مثلها البشر. فأمن به من آمن عن تسليم ويقين، وكفر به من كفر عن ضلال وغيّ وسفه وكبر .

الشبهة السادسة عشرة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أمياً. وقد أحسن المهتدي الطبري في تفنيد هذه الشبهة من خلال الوجه التالي : -

١ - أن الله سبحانه وتعالى خص كل واحد من أنبيائه بما اقتضته حكمته تعالى. فمنهم الخطيب البارع مثل داود، ومنهم من أحيا الميت مثل عيسى عليه السلام، ومنهم من فلق البحر وهو موسى عليه السلام، ومنهم الحكيم الكاتب مثل سليمان عليه السلام .

٢ - لا ينقص من قدر بعض الأنبياء، ولا ينقص من مكانتهم - عدم اتصافهم ببعض الصفات التي اتصف بها غيرهم. فلم يزر بداود عليه السلام أنه كان أمياً، ولم ينقص من قدر موسى وإبراهيم عليهما السلام أن لا يكون الله رفعهما إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام .

٣ - أن الله جعل أمية محمد صلى الله عليه وسلم آية باهرة، وحجة قاطعة؛ لأنه لم يأت بهذا الكتاب الذي جاء فيه بسبب بيان أو حكمة أرضية، بل هو الوحي من الله، وكون هذا النبي لم يتعلم على يد معلم، ولم يختلف إلى مجالس الأدباء ثم يأتي بكتاب بهر أهل اللغة وأعجز أهل الفصاحة، وتحداهم الله أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله مفتريات، قال تعالى : (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم

(١) انظر الدين والدولة ، ص ١٨٩ - ١٩٥ ، ومتى ٤ .

صادقين^(١) . وقال تعالى: (فأتوا بسورة من مثله^(٢))

إذا فالأمية التي عابها أهل الكتاب غير مزرية به؛ بل هي حجة وبرهان^(٣) .
ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم كاتباً لأنكره أهل الكتاب وجحدوا نبوته، وكذبوا رسالته؛ ذلك أن أنبياءهم أخبرتهم أن خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه سيكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب، كما ذكر الله ذلك في كتابه فقال عز من قائل: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل^(٤)) .

ويتضح من ذلك أن هذه الشبهة وما يماثلها مما يثيره اليهود والنصارى في وجوه المسلمين ليست شياً حقيقية تستحق الاحتجاج بها والرد عليها؛ ذلك لأنهم أول من يعلم أنها لا تنقص من قدر المسلمين، ولا تحط من شأنهم، إما لأن هذا الأمر مما يعهد في الرسائل الإلهية السابقة، أو لأنهم يعلمون من كتبهم أن هذا الأمر من صميم الدين الإسلامي قال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً^(٥)) .

الشبهة السابعة عشرة : أن البلاغة ليست من آيات النبوة؛ لأنها مشتركة في الأمم كلها .

إن القدر المشترك من البلاغة بين سائر الأمم هو ما أمكن مجاراته ومماثلته ومحاكاته، وهذا القدر لا يمكن - بحال من الأحوال - أن يعد آية من آيات النبوة؛ لاشتراك البشر في القدرة عليه .

أما أن ينفرد شخص من بين سائر البشر بنوع من البلاغة ولا يستطيع أحد أن يجاريه فيه أو يضارعه، ثم يتحدى جميع الخلق الإنس والجن على أن يأتوا بمثله^(٦) وفيهم الأديب البارع، والكاتب الحاذق، والخطيب المفوه وهم حريصون على إبطال حجته ثم يعجزون عن ذلك - لدليل باهر على أن هذه البلاغة آية من آيات النبوة التي لا تنطوي تحت القدر

(١) سورة هود ، الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣ .

(٣) انظر الدين والدولة ، ص ١٠٤ - ١٠٧ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

(٥) سورة النمل ، الآية ١٤ .

(٦) هذا التحدي هو ما جاء في قوله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) سورة الإسراء ، الآية ٨٨ .

المشترك بين سائر الأمم .

وقد انتصب كل من المهتدي الطبري والمتطبب لتفنيد هذه الشبهة وكان التفنيد كالتالي: -

١ - أنه لم يقدر أحد من العرب مع كثرتهم وفصاحتهم على الإتيان بمثله مع وجود الدافع

الذي يحدوهم إلى ذلك .

٢ - أنه لا يوجد كتاب لدى أي أمة من الأمم جمع من التوحيد والتهليل والثناء على

الله، والتصديق بالرسول والأنبياء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب في الجنة

والتحذير من النار كما جمع هذا القرآن .

٣ - بعد عقد المقارنة بين جميع الكتب السابقة المشهورة وبين القرآن الكريم تبين أن كفة

القرآن هي الراجحة، وأنه لا يوجد في القرآن شيء مما يوجد في هذه الكتب من الإسفاف

واللغو والفضول؛ وذلك لأن هذه الكتب المشهورة : إما في أخبار الدنيا وآدابها وهذه لن

تذكر مع القرآن لاختلاف غرضها ومغزاها فلذلك لن تذكر مع كتب التنزيل، وإما أن تكون

هذه الكتب من الكتب الدينية، وأول موجوداتها التوراة والإنجيل وعامة ما فيها أنساب بني

إسرائيل وأخبار تنقلاتها ورحلاتها، وسيرة المسيح وخبره عليه السلام، مع نزر يسر من

السنن والشرائع كما تحتوي على شيء كثير من الشرائع والأوامر التي تنفر منها الطباع ،

وشئ من لعن بني إسرائيل وبشاراتهم بالحزبي والبوار، ويظهر ذلك بشكل جلي في سفري

إشعيا وإرميا^(١) .

ومزية أخرى لهذا الكتاب وهي أن كل ما فيه وحي من الله، ولا تُدعى هذه المزية العظيمة

لغيره من الكتب؛ بل إن التوراة والإنجيل الموجودة الآن لا تدعي ذلك ولا يُدعى لها ذلك

ولله الحمد .

الشبهة الثامنة عشرة : أن محمداً صلى الله عليه وسلم نشر الإسلام بحد السيف، وأقام

دينه بالقوة .

منذ أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، ومنذ أن رفض إبليس ذلك السجود كبراً وفسقاً

والصراع قائم بين الحق والباطل، وبين حزب الله وحزب الشيطان .

حزب الله يريد تحقيق العبودية لله في الأرض، وحزب الشيطان يريد إغواء البشرية؛

حتى تدخل النار معه، ولا تزال الحرب بينهما قائمة منذ ذلك الحين تتلقف رايتها أيدي

(١) انظر الدين والدولة ، ص ٩٨ - ١١٣ ، والنصيحة الإيمانية ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الأنبياء والصالحين من اتباعهم، كلما خرَّ شهيد حملها تابع موحد جديد، ولا تزال هكذا حتى ينزل المسيح عليه السلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بالإسلام .
إذا فالجهاد شريعة ربانية، وسنة نبوية، لا خلاف في ذلك بين الملل الثلاث الصحيحة فقد ورد ذكر الجهاد ومجالد الكفار صريحاً في القرآن والتوراة، وجاء مفهوم الجهاد محرفاً في الإنجيل. ولكن القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أخبر أن عيسى عليه السلام سأل قومه النصر على الأعداء فنصره الحواريون كما أخبر الله تعالى عنه أنه قال: (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين^(١)) .

فالمعركة بين الإسلام والكفر مستمرة ولا تزال قائمة، ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أماني المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى في رد المسلمين عن الإسلام فقال: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق^(٢)) وقال - أيضاً -: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم^(٣)) كما أخبر سبحانه وتعالى عن استمرارية هذه الأمنية فقال: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا^(٤)) ثم أخبر سبحانه عن غاية هذه الأمنية في دخيلة أنفسهم فقال عز من قائل: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم^(٥)) .

والتأريخ يشهد لذلك ممثلاً في حروب المسلمين مع الفرس والتتار والروم ثم الحروب الصليبية ومن بعدها حملات استعمار القوى الغربية للدول الإسلامية في هذا العصر .
إذا هذه المسألة أو الشبهة تتكون من شطرين هما : -

الشرط الأول: من عاب الإسلام والمسلمين لأنهم حملوا راية الجهاد لإعلاء كلمة الله، والذي يعيب هذا الأمر لا يعيب الإسلام فحسب؛ بل يتناول على الحكيم في حكمه وعلى

(١) سورة الصف ، الآية ١٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٠٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢١٧ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

الخبير في خبره وأمره وشرعه، ويتهم الرسالات الإلهية لأنها كلها جاءت لإقرار هذه الشعيرة «الجهاد» .

والشطر الثاني : من عاب الإسلام لأنه انتشر بقوة السيف ، والذي يشير هذه الشبهة أحد رجلين: إما حاقد قد علم الحق فأراد أن يواريه - حسب زعمه - بما يثيره من شكوك وشبه. وإما جاهل لا يعرف كيف انتشر الإسلام؛ فهو إمعة سمع الحاقدون يقولون قولاً فقال مثلهم.

وقبل أن انتقل إلى الأدلة والبراهين التي قدمها هؤلاء المهتدون لتفنيد هذه الشبهة يحسن إيراد شواهد مختصرة من تشريعات الحرب التي وردت في التوراة والتشريعات التي وردت في القرآن أو السنة النبوية الشريفة : -

١ - جاء في سفر التثنية : (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالملك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وإما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريماً^(١)) إنها إبادة تامة تامة .

٢ - قارن ما سبق - ولا سواء - مع ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم^(٢)) . ومع ما جاء في السنة النبوية من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لقواده ورؤساء جيشه حيث كان يقول كما رواه مسلم في صحيحه: (إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً . ثم قال اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدأ. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ما أجابوك فاقبل

(١) التثنية ٢٠ : ١٠ - ١٨ ، وانظر لمزيد من تشريعات التوراة في إبادة الخصوم : تثنية ٧ : ١-٦ ، وصموئيل الأول ١٥ : ٣ ، وسفر القضاة ٥ : ٢٢ - ٣١ ، ويشوع ٦ : ٢١ ، ٢٤ ، ٨ : ٢٤ - ٢٩ ، و١٠ : ٢٢ .. إلخ ، والملوك الثاني ٥ : ١٦ .

(٢) سورة المتحنة ، الآية ٨ .

منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم... فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم^(١) .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن قتل النساء والصبيان^(٢) .
وبعد هذا الاستعراض لهذه التشريعات فقد آن أوان استعراض الأدلة التي قدمها هؤلاء المهتدون، وقد كانت على قسمين هما: -

القسم الأول: الأدلة على أن الجهاد شريعة ربانية وسنة نبوية: -

١ - جاهد إبراهيم عليه السلام أربعة من الملوك وأنقذ من أيديهم جميع البلاد التي استولوا عليها ، واسترد جميع الغنائم التي حازوها .

٢ - جاهد يوشع بن نون - خليفة موسى - عليه السلام واحداً وثلاثين ملكاً من ملوك الشام وقتلهم، ولم يترك في مدينة «عاني» نسمة ما .

٣ - أن داود عليه السلام غزا بلداً من بلاد الشام فلم يذر فيها رجلاً ولا امرأة إلا قتلهم وساق جميع الأنعام غنيمة له^(٣) .

٤ - أن موسى ويوشع عليهما السلام قد قتلا ألوفاً في حروبهم مع خصومهم، ويذكر المهتدي عبد الأحد داود هذه الحروب مقارناً لها بحروب محمد صلى الله عليه وسلم قائلاً: (وإنه لمن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أن كل الدم الذي أريق في معارك بدر وأحد والغزوات الأخرى التي قادها محمد شخصياً لم تزد في مجموعها عن واحد بالمائة من الدم الذي أراقه يوشع، ومع ذلك لم تقع ولم تسجل أية حادثة واحدة فيها قسوة أو ظلم على أحد من رسول الله، فلقد كان رؤوفاً نبيلاً شهماً ومتسامحاً^(٤) .

٥ - لئن نهى المسيح عليه السلام في بداية دعوته عن الحرب؛ فقد نسخ ذلك فيما بعد بقوله: (لبيع كل امرؤ منكم ثوبه وليشتر لنفسه سيفاً) وفي قوله: (لا تظنوا أنني جئت

(١) رواه مسلم في صحيحه ، في كتاب الجهاد والسير، حديث ٣ .

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب ١٤٨ .

(٣) انظر الدين والدولة ١٩٦ - ١٩٧ ، والنصيحة الإيمانية ١٢٨ وما بعدها، وصموئيل الثاني ١٢ : ٢٦ - ٣١ .

(٤) محمد في الكتاب المقدس ، ص ٢٦٢ ، وانظر البحث الصريح ، ورقة ٢٠ / ب .

لأزرع سلماً بل حرباً^(١) .

القسم الثاني : الأدلة على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف : -

١ - يرى كل من المهتدي الطبري والمتطبب والشيخ زيادة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلجأ للجهاد إلا بعد أن استبانته الحجة، وظهرت الآيات الدالة على صدقه، ثم قابل الكفار كل ذلك بالتكذيب والمكايرة والصد عن سبيل الله، إذ يقول المهتدي المتطبب: (وأما قولكم: إن محمداً صلى الله عليه وسلم جاء بالسيف دون الحجة والمعجزة؛ فهذا قول من لم يعرف الأخبار والسير، ولم يقف على ماتقدم من الآثار. فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يتيماً فقيراً إلى أن أكرمه الله عزوجل بالرسالة، فدعا الناس إلي الله ثلاثة عشر سنة، وهو في أول أمره كان وحده ثم في قل من أصحابه، يسعى بين أحياء العرب ويقول: قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فملكوا بها العرب، وتدين لكم العجم، فمنهم من يسخر به، ومنهم من لا يلتفت إليه، ومنهم من يمسك عنه؛ حتى أظهر الله تعالى الإسلام وقوي أمره وهاجر إلى المدينة، ثم أمر بالقتال بعد ظهور المعجزة، وقيام الحجة، ووضوح الدلالة، وما أشهر سيفاً إلا بعد الإنذار والإعذار؛ فمن خالف بعد ذلك وعاند قوتل حتى ظهر أمر الله وهم كارهون^(٢) .

٢ - لم يكن الجهاد والقتل هو الوسيلة الأولى التي استخدمها صلى الله عليه وسلم ضد الكفار؛ بل كان يدعوهم للإسلام ويجادلهم بالرفق واللين ثم يندبهم ويتوعدهم وبعد ذلك يعرض عليهم الجزية حقناً لدمائهم وحفظاً لأرواحهم؛ فإن رفضوا كل ذلك كان الجهاد والقتال لمن رفض الحق ووقف في سبيله^(٣) .

٣ - يرى المهتدي الطبري أنه لولا الجهاد لما استطاعت الدولة الإسلامية من حماية ثغورها وتوفير الأمن، وصيانة الأعراض والدماء والأموال، ويؤكد أن أي أمة تتخلى عن القيام بواجب الحماية والدفاع تنتقل من العز إلى الذل، ومن القوة إلى الضعف^(٤) .

٤ - ينفرد المهتدي عبد الأحد داود برأي مفاده: أنه رغم كثرة الرسل الذين أرسلهم الله

(١) انظر الدين والدولة ١٩٩ - ٢٠١ ، ومتى ٥ : ٤٠ ، ولوقا ٢٢: ٣٦ و ١٢ : ٥١ .

(٢) النصيحة الإيمانية ، ١٤١ ، وانظر الدين والدولة ١٠٨ - ١٠٩ ، والبحث الصريح ، ورقة ٢٠ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ٢٠ ، والدين والدولة ، ص ١٩٧ .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

لتزكية البشرية بالقول والموعظة الحسنة، ورغم طول المدة الزمنية التي أمهل الله البشرية فيها؛ إلا أنها لم تستجب لنداء الله، ولم تلب دعوة رسله... فحينئذ أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة؛ فتكالبت عليه أمم الأرض لإجهاض دعوته الخاتمة، والحيلولة بينها وبين الناس، فبعد ذلك أذن الله له بإعلان الحرب على هذه النفوس المريضة الظالمة وكان الهدف من جهاده النصر لا الانتقام، وهزيمة العدو لا إبادة، وباختصار إقامة دين الإسلام على الأرض^(١).

٥ - يرى المهتدي الهاشمي أن الحرب في الإسلام تختلف عن الحرب في الشرائع السابقة؛ وماذا كان إلا لأنها تجب لرد العدوان، ولتأديب من نكث العهد، ولحماية الدولة الإسلامية^(٢). وكما تختلف غايات الحرب في الإسلام فكذلك تختلف نتائجها عن نتائج الحروب في الملل السابقة إذ أن المسلمين يبيحون لأهل البلد المفتوح بقاؤهم على ملتهم ويعاملونهم معاملة حسنة، ويكفلون لهم من الحقوق كما يكفلون لسائر المسلمين، ويلزمونهم من الواجبات الدنيوية ما يلتزم به سائر المسلمين^(٣).

الشبهة التاسعة عشرة : ادعاهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نسب الشر إلى الله. لو لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم إلا إخباره أمته بقوله تعالى: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك^(٤)) وقوله تعالى: (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس ، ص ١٨٥ .

(٢) سبق الحديث في بداية هذه الفقرة أن الجهاد شرعة ربانية وسنة نبوية .

(٣) انظر الأديان في كفة الميزان ، ص ١٧٤ ، ولعله يقصد من قوله: ويلزمونهم من الواجبات. أي الواجبات الدنيوية لا الرجيات التعهدية .

(٤) سورة النساء ، الآية ٧٩ .

هو من عند أنفسكم^(١) .

وقد تصدى المهتدي الطبري لهذه الفرية وأورد عدداً من نصوص العهدين التي تنسب إلى اليهود والنصارى مانسبوه إلينا، منها ما جاء في سفر الخروج أن الله قال لموسى: (إني جاعل قلب فرعون قاسياً لئلا يخرجكم من أرض مصر^(٢)). وكذلك ما قاله بولس في رسالته إلى تيموثاوس: (إن البيت العظيم ليس يكون فيه أواني الذهب والفضة فقط؛ بل يكون فيه أواني الخشب والفخار، أيضاً منها للكرامة ومنها للهوان^(٣)) قال الطبري بعد هذا النص: (يعني الدنيا ومن فيها من سعيد وشقي^(٤)) .

الشبهة العشرون: ميله صلى الله عليه وسلم للملاذ الحسية .

يقتضي المنهج المتبع في إعداد هذا البحث استقصاء جميع الأدلة التي استدلت بها هؤلاء المهتدون، والحجج التي أقاموها، والبراهين التي نصبوها، والشبه والمفتريات التي فندوها ... ولولا هذا المنهج لما أوردت هذه الشبهة، وما ذاك إلا لأن القريب والبعيد والمسلم والكافر الذي اطلع على سيرته صلى الله عليه وسلم يعلم علم اليقين أن هذا الرسول كان أزهد خلق الله في متاع الدنيا وزخرفها، ولن استطرده في الاستدلال على هذه القضية^(٥)، ولكن لعل النماذج التالية تبين جانباً من زهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا بعامتها، فضلاً عن ميله للملاذها ومتاعها بخاصة، وهذه النماذج هي: -

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٦٥ . ولعرفة القول الحق في هذه المسألة أستشهد بقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: (لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم إضافة الشر وحده إلى الله؛ بل لا يذكر إلا على أحد ثلاثة وجوه: إما أن يدخل في عموم المخلوقات، فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم. وإما أن يضاف إلى السبب الفاعل. وإما أن يحذف فاعله.

فالأول كقوله تعالى: (الله خالق كل شيء) ونحو ذلك، ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي والمانع، والضرار والنافع ... ، وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن: (وأنا لا ندرى أشر أريد من في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً)، وإضافته إلى السبب كقوله تعالى: (من شر ما خلق) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد . تصويراً عن طبعة عام ١٣٩٨ هـ ، ج ٨ ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) الخروج ٤ : ٢٠ .

(٣) ٢ : ٢٠ .

(٤) الدين والدولة ، ص ٢٠٦ .

(٥) لم يكن من منهجي أن أبحث عن أدلة مساندة للأدلة التي يقدمها المهتدي للتدليل على قضية ما . ولكن رأيت أن الأدلة التي قدمها المهتدي الشيخ زيادة لتفنيد هذه الشبهة غير كافية؛ فأوردت هذه النماذج رغبة في مزيد من التفنيد.

١ - وصَّاه صلى الله عليه وسلم صيام النهار بصيام الليل، ويشهد لذلك مارواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر: (أن النبي صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناسُ فشقَّ عليهم فنهاهم، قالوا: إنك تواصل. قال: لست كهيئتكم؛ إني اظل أظلم وأطعم وأسقى^(١)). وهذا الرِّصال لا يفعله من تعلق قلبه في الدنيا ومتاعها؛ وإنما هو دأب من أعرض عن الدنيا وتعلق قلبه بما أعدَّه الله للمؤمنين في الدار الآخرة .

٢ - مارواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خبر دخوله على الرسول صلى الله عليه وسلم حين اعتزل نساءه وهو قوله: (حتى جئت رسول الله في مشربة له يرقى عليها بعجلة، وغلَّام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسود على رأس الدرجة، فقلت له: قل هذا عمر بن الخطاب. فأذن لي. قال عمر: فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجيله قرصاً مصبوباً، وعند رأسه أهبٌ معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه، فبكت؛ فقال: ما يبكيك؟. فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله!! . فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة^(٢)). هذا أثاث منزله، وجميع مدخراته وممتلكاته تبكي القلب، وتستدر الدمع، فأين الميل للملاذمة؟! إنها وأيم الله حياة من رغب عن الدنيا، وآثر الآخرة .

٣ - مارواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان يمر بأل النبي صلى الله عليه وسلم هلال ثم هلال - أي شهر ثم شهر - لا يوقد في شيء من بيوتهم النار، لا الخبز ولا الطبخ. فقالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟! قال: بالأسودين التمر والماء^(٣)). الله أكبر! هذا هو قوت الذي يوصف بأنه يميل للملاذمة الجسدية؟! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

هذه الشبهة أوردتها المهتدي الشيخ زيادة وفندتها بما يلي: -

(١) وهذا الإطعام والسقيا إنما هو طعام وشراب معنوي، وإلا لو كان طعاماً وشراباً حسيماً لما عدَّ ذلك صياماً، وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الصوم، باب ٢٠، ومسلم في كتاب الصيام، حديث ٥٥ .
(٢) انظر الحديث بتمامه في صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة التحريم، باب ٢، ومسلم كتاب الطلاق، حديث ٣٤ .

(٣) المسند ج٢، ص ٤٠٤، ٤٠٥ .

١ - هذه الملاذ التي تمتع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن من الملاذ المحرمة أو المذمومة؛ لأن الله خلقها لأجل التمتع بها وشكره عليها، فهذه الملاذ لم تخلق إلا للتمتع بها يدل لذلك الدليل العقلي فضلاً عن الدليل النقلى .

٢ - لو كانت هذه الملاذ الجسدية والمتع الدنيوية مذمومة لامتنع الأنبياء والصالحون من الاستمتاع بها، وقد ورد في الإنجيل أن بعض النصارى صنعوا ولائم كثيرة^(١) .
الشبهة الحادية والعشرون : التعدد .

التعدد شرعية إلهية أباحها الله وأمر بها أحكم الحاكمين في كتبه المنزلة؛ لحكم تجلّ عن الحصر، ومنافع يعجز عن إدراكها البشر، وهو سنة نبوية؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان من سنتهم التعدد؛ تحقيقاً لأمر الله، وتكثيراً لحزبه وجنده، واستجابة لنداء الفطرة .

هذه المسألة يثيرها كثير من النصارى في وجوه المسلمين، وإثارتهم لها نتيجة حتمية أوصلهم إليها دينهم المحرف؛ وذلك أن الأنبياء كان من سنتهم التعدد، فلما جاء بولس وهم بتحريف الديانة النصرانية ضمنّ بعض رسائله عبارات توحى بعدم شرعية التعدد - وإن كان في بعضها بعض العبارات التي توحى بجوازه - وتبعه النصارى هلى هذا وظنوا أن هذا الأمر هو الشرع الذي أنزله الله وجاءت به رسله، وهذا الظن هو الذي قادهم إلى هذا الاعتراض على المسلمين في تعديدهم لنسائهم .

وقد تصدى لهذه الفرية كل من المهتدي الشيخ زيادة والهاشمي^(٢) وقدموا عدداً من الأدلة، وهذه الأدلة هي :-

١ - أن إبراهيم عليه السلام وأبناؤه من بعده قد ورد عنهم أنهم تزوجوا من نساء كثيرات، وكذلك يعقوب وداود وسليمان عليهم السلام .

٢ - يفهم من قول بولس في رسالته إلى تيطس، وهو: (إن كان أحد بلا لوم يعمل امرأة

(١) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٩ ، والتكوين ٢١ : ٨ ، و ٢٩ : ٢٢ ، وإشعيا ٢٥ : ٦ ، ومتى ٢٣ : ٦ ، ومرقس ١٢ : ٣٩ .

(٢) ناقش المهتدي الشيخ زيادة هذه الشبهة على أنها موجهة للنبي صلى الله عليه وسلم، في حين ناقشها المهتدي الهاشمي باعتبار أنها موجهة إلى الإسلام، فرأيت أن أجمع أدلتهما في موضع واحد؛ لأن القضية واحدة وهي التعدد .

واحدة^(١)) وقوله في رسالته إلى تيموثاوس : (فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعلم امرأة واحدة^(٢)) - أن الأولى للأسقف أن ينتخب امرأة واحدة، ويظهر من ذلك أنه مباح لغير الأسقف الزواج من أكثر من امرأة وحدة .

٣ - أن هذا الأمر الذي عابه النصارى على رسولنا صلى الله عليه وسلم لم يكن ممنوعاً في بني جنسه أو في قبيلته حتى يتنزه عنه لأجل النبوة^(٣) .

٤ - يرى المهتدي الهاشمي أن التعدد علاج رباني ناجع لعدة ظروف تحتاجها طبيعة المجتمع .

٥ - أن علاقات الإنسان الدولية تحتم الحروب والمنازعات، وينتج عن هذه الحروب وفاة عدد كبير من الرجال، ويستشهد ببعض الإحصائيات التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية التي بينت أن عدد النساء أصبح أكثر من عدد الرجال في كثير من الدول.. وفي هذه الأحوال يصبح التعدد مطلباً للأمة حتى تستطيع أن تتجاوز الأزمة. وفي ختام تفنيده لهذه الشبهة قال:(والأسباب التي من أجلها أباح الإسلام تعدد الزوجات تجلّ عن الحصر)^(٤) الشبهة الثانية والعشرون : زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش امرأة زيد رضي الله عنه .

هذه الزوجة هي الوحيدة من بين نساته التي زوجها الله لتبنيه صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات، حتى إن صاحبته لتفاخر سائر أزواجه بقولها: (زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات^(٥)) ولو كان مبعث هذا الزواج الرغبة النفسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والميل الطبيعي المسبوق برؤية خاطفة... لما خصّ بهذه

(١) ٦:١ .

(٢) ٣:٢ .

(٣) انظر البحث الصريح ، ورقة ١٨ / أ. وفي الحقيقة أن هذا التسويغ غير كاف؛ لأن أمته صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لم تكن أمة ربانية فتكون تصرفاتها جائزة شرعاً، وإنما كانت أمة جاهلية تعبد الصنم، وتحكم الهوى، ولواحتج لهذا الأمر بأن الله أباحه له بقوله تعالى: (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك...إلى قوله : لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً) سورة الأحزاب ، الآية ٥٠ .وبأن الله أمره وأمر أمته بقوله: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) سورة النساء الآية ٣ ؛ لكان أجود وأقوم لحجته .

(٤) الأديان في كفة الميزان ، ص١٢١ ، وانظر ص ١١٩ - ١٢٢ منه .

(٥)رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب ٢٢ .

المزية، وهي أن يتولى الله سبحانه وتعالى تزويجه منها، ولم يتبوا هذا العقد أو هذا الزواج هذه المزية إلا لعظيم التبعة التي تحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه من المنافقين المناوئين للدعوة المغترين على الرسالة والرسول، وعظم المهمة التي سيواجه المجتمع لأجلها في مقارفة أمر لم يألفه ذلك المجتمع وهو زواجه من مطلقة ابنه بالتبني التي أراد الله إبطالها بهذا الزواج قال تعالى: (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً^(١)) .

وقد حكى هذه الشبهة المهتدي الشيخ زيادة ثم فندها من خلال الوجوه التالية : -

١ - لقد كان من عادة العرب أن يتزوجوا من مطلقات غيرهم .

٢ - كان الاعتقاد السائد في أمة العرب قبل نزول القرآن أنه يحرم على الرجل أن يتزوج مطلقة ابنه بالتبني فأمره الله بالزواج بها؛ حتى يكون ذلك شريعة لأمته من بعده، وإبطالاً لعادة جاهلية كانت متبعة في أمته .

٣ - أقرت شريعة التوراة الطلاق، كما أقرت الزواج من مطلقة^(٢) .

٤ - أن النصراني يزورون على عيسى أنه قال: (في البدء خلقهما الله ذكراً وأنثى^(٣)) ولو صح هذا عن عيسى عليه السلام لأصبح الزواج لازماً له عليه السلام ولسائر الرهبان الذين يتعبدون بالتبتل .

٥ - أنكم تتهمون الأنبياء عليهم السلام بأمور منافية للشريعة والجبلة، ولم يذكر في كتابكم تخطئتهم وحاشاهم مما افتريتموه عليهم^(٤) .

الشبهة الثالثة والعشرون : أن هذا القرآن قول بشر^(٥) .

عندما تعرض هذه الشبهة على العقل فإنه يستنتج عدداً من البراهين العقلية التي تفندها، وها أنذا أضع بين يديك بعض هذه البراهين على وجه الاختصار وهي: -

١ - أن الله سبحانه وتعالى تحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧ .

(٢) انظر تشنية ٢٤ : ١ - ٤ .

(٣) متى ١٩ : ٤ .

(٤) يريد ما ألصقه اليهود بلوط ويعقوب وداود صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وانظر لما سبق البحث الصريح ،

ورقة ١٨ - ١٩ .

(٥) انظر إفحام اليهود ، ص ١٤٦ ، والقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٤٥ .

أن يأتوا بعشر سور من مثله، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة ففجزوا مع أنه مكون من نفس الحروف التي يتحدثون بها، ولم تكن تنقصهم البلاغة والبيان .

٢ - أن هذا القرآن رغم عدد سورته الكثيرة، وآياته العديدة، ورغم ما اشتمل عليه من أحكام وأخبار وعقائد وحكم - إلا أنك لا تجد فيه آية تناقض أخرى، أو خبراً يكذب الآخر، أو حكماً يتعارض مع حكم آخر .

٣ - أنه مضى عليه منذ نزوله إلى الآن أكثر من أربعة عشر قرناً ولم يتطرق إليه النقص أو الزيادة، ولم يستطع البشر أن يحرفوا فيه حرفاً واحداً، ولو أحضرت مخطوطة لهذا الكتاب من أي بلد مهما كان زمان كتابتها ثم قارنتها بأي نسخة لهذا الكتاب؛ فإنك لن تجد فيه حرفاً واحداً مختلفاً عن موضعه .

٤ - اشتماله على أمور غيبية سابقة أخبر بها ولم يكن لدى العرب الذين نزل بلفظهم القرآن أي ذكر لها أو خبر عنها، وإخباره عن حوادث مستقبلية وقعت كما أخبر .

وبعد هذه البراهين العقلية يحسن الانتقال إلى الأدلة التي قدمتها هذه المجموعة المباركة ممن تعرض لهذا الزعم بالدراسة والمناقشة.

هذا الزعم حكاة كل من المهتدي السموأل وبوكاي. أما السموأل فقد اكتفى بقوله: (زعموا وأفرطوا في دعواهم إلى أن نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن إلى تأليف عبد الله بن سلام^(١)) أما المهتدي بوكاي فقد أورد عدداً من الأدلة التي تدحض هذا الزعم ويغلب عليها طابع المقارنة والاستقراء، وهذه الأدلة هي : -

١ - أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً ثم جاء بكتاب تفوق فيه على سائر بني جنسه إعجازاً وبلاغة وأدباً، وصرح فيه بحقائق علمية لم يكن في مقدور الإنسان في ذلك العصر مجرد التفكير فيها، ومع تعاقب السنين لم يستطع الإنسان أن يكتشف فيها أقل خطأ .

٢ - عقد بوكاي مقارنة بين القرآن الكريم وبين النتائج التي توصل إليها العلم الحديث فيما يتعلق بالخلق والفلك والحيوان والنبات والجنس الإنساني ... فتبين له أن القرآن الكريم لم يتضمن أي معلومات مخالفة لما توصل إليه العلم الحديث .

ثم عقد مقارنة بين التوراة والإنجيل وبين النتائج التي توصل إليها الإنسان في العصر

(١) إفتحام البهره، ص ١٤٦ .

الحديث في نفس الموضوعات السابقة – فتبين له أن هناك تبايناً واختلافاً بينهما، واستنتج من ذلك أن التوراة والإنجيل تدخلت فيهما اليد البشرية وأقحمت فيهما كثيراً من النصوص التي أدت إلى عدد من المخالفات والمغالطات العلمية في حين سلم القرآن الكريم من ذلك؛ لأنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن خلال هذه المقارنات فند الدعوى القائلة بأن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما اعتمد في تدوينه لهذا الكتاب على روايات التوراة والإنجيل، وبين أن اختلاف الروايات بينها يجعل من المستحيل أن يصدق هذا الزعم إذ يقول: (فإن الاتهام لا يتمتع بأي أساس كيف يمكن لإنسان منذ أربعة عشر قرناً تقريباً أن يصحح إلى هذا الحد الرواية الشائعة في ذلك العصر وذلك باستبعاد أخطاء علمية، وبالتصريح بمبادرته وحده بمعطيات أثبت العلم أخيراً صحتها في عصرنا!! هذا فرض لا يمكن الدفاع عنه. إن القرآن يعطي عن الخلق رواية تختلف تماماً عن رواية التوراة^(١)). هذا الزعم بالإضافة إلى أنه يفتقر إلى دليل يعتمد عليه. فما الذي يدعو محمداً صلى الله عليه وسلم إلى إدخال تصحيح في نقله لروايات التوراة يجعلها بعيدة عن أي انتقاد علمي .

٣ – إن كثيراً من الحقائق العلمية المرتبطة بالخلق التي تحدث عنها القرآن الكريم لم تكتشف دقائقها وأبعادها، ولم يتوصل إليها البشر إلا في العصر الحديث. فكيف يدعى أن محمداً صلى الله عليه وسلم تلقاها من البشر؟؟

٤ – يدعى بعض المفكرين الغربيين أن الحقائق العلمية التي اشتمل عليه القرآن ترجع إلى تقدم العلماء العرب، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد استلهم دراساتهم في القرآن. ولكن الحقائق المسلمة تؤكد أن الفترة التي استغرقها نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم كانت فيها المعارف العلمية تعيش فترة ركود منذ أزمنة بعيدة، وأن عصر الحضارة الإسلامية العلمية والازدهار العلمي الذي كان تابعا لها لم تظهر بوادره إلا بعد مرور قرن من الزمان على نهاية التنزيل الإلهي للقرآن الكريم .

٥ – تميز القرآن الكريم بميزة مهمة وهي ثراء الموضوعات التي تحدث عنها مثل الخلق وعلم الفلك وعالم الحيوان والنبات والجنس البشري^(٢)... وجميع المعلومات الواردة في هذا

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٧٣ .

(٢) لم يخضع المؤلف الآيات المتعلقة بالعقائد والأحكام لهذه المقارنة؛ لأنه يرى أنها لا تخضع لذلك .

الشأن تتفق مع ما توصلت إليه الاكتشافات العلمية والدراسات الحديثة في الوقت الراهن، ولو كان مؤلف هذا القرآن بشراً من أبناء القرن السابع الميلادي؛ لما استطاع أن يحقق هذا التوافق البديع^(١).

الشبهة الرابعة والعشرون : يعترض اليهود على المسلمين أنهم ينسبون إلى الله كتاباً ينقض بعضه بعضاً، إي ينسخ بعضه بعضاً .

هذا الاعتراض حكاه المهتدي السموأل وفنده تفصيلاً عجيباً لم أر من سبقه إليه، وقد عول في هذا التفنيذ على نصوص كتبهم ، وما تقتضيه أصولهم، وما يمارسونه من عباداتهم. وقد خلص من تفنيده لهذه الفرية بأن النسخ لازم لهم على أصولهم، ويقتضى كتبهم، ولا مخرج لهم إلا التسليم له والقبول به، وقد كانت مجادلته لهم في هذا الأمر كالتالي: -

١ - يقال لليهود: هل كان قبل التوراة شرع أم لا؟ فإن جحدوا كذبوا بما جاء به سفر التكوين من أن الله شرع لنوح عليه السلام القصاص في القتل حيث قال: (سافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه) وما جاء في سفر التكوين - أيضاً - مما شرعه الله لإبراهيم عليه السلام من الختان وغيره^(٢). وإن أقروا بأن ذلك شرع؛ فيقال لهم : هل التوراة جاءت بزيادة على تلك الشرائع أم لا؟ فإن لم تكن أتت التوراة بزيادة فقد صارت عبثاً ، ومادامت عبثاً فلا ينبغي أن تكون صادرة عن الله تعالى. فيلزم من ذلك أن التوراة ليست من كلام الله، وهذا كفر على حسب ملتكم، وإن كانت التوراة جاءت بزيادة فيتوجه إليهم السؤال التالي: هل في تلك الزيادة تحريم ما كان مباحاً؟ وإن أنكروا ذلك بطل قولهم بعدم النسخ من وجهين : -

الوجه الأول: أن التوراة حرمت الأعمال في يوم السبت بعد أن كانت مباحة، وهذا هو النسخ.

الوجه الثاني : أنه لا معنى للزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته، أو إباحة ما تقدم حضره.

وقد يحتجون علينا بأن الحكيم لا يحضر شيئاً ثم يبيحه؛ لأنه يكون كمن أمر بشئ وضده. وقد أجاب السموأل عن هذا الاحتجاج: بأن من أمر بشئ وضده في زمانين مختلفين

(١) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٤٥ - ١٥٠ ، ١٧٣ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) انظر سفر التكوين ٩ و ١٧ .

غير مناقض أوامره؛ وإنما يكون مناقضاً بينها لو كان الأمران في وقت واحد . ويرى اليهود أن النسخ المكروه هو إباحة المحضور، والتوراة حضرت أموراً كانت مباحة، ولم تأت بإباحة محضور. والحق أن من أحلّ ما حرمه الشارع مساو لمن حرم ما أحله الشارع؛ لأن كل منهما قد خالف الشارع، فإذا جاز أن تأتي التوراة بتحريم ما كان حلالاً على إبراهيم عليه السلام ومن قبله؛ فجائز أن تأتي شريعة أخرى تحلل ما كان محرماً في التوراة. ولا يغيب عن بالك أن المحضورات تنقسم إلى قسمين: قسم يكرهه الله لعينه فيحرمه في كل الأمانة وكل الشرائع، وقسم لا يكرهه الله لعينه فهذا يكون محرماً في بعض الأزمنة دون بعض، ويتوقف هذا التحريم على ما يصاحبه من ملاسبات .

٢ - إذا جاء رسول مؤيد بالمعجزات والآيات، وظهرت على يديه أعلام النبوة فجائز أن يأتي بشرريعة تنسخ من أحكام الشريعة السابقة سواء كان هذا النسخ بالتحليل أم بالتحريم، وسواء وافق العقول البشرية أم خالفها؛ لأن الأوامر الإلهية منزهة عن الوقوف عند مقتضى العقول البشرية، وإذا كانت هذه الأوامر أو الشرائع صادرة عن الله فما الذي يمنع أن يحرم ما كان حلالاً أو يبيح ما كان حراماً في الشريعة السابقة؟؟ .

٣ - لا زلتم أيها اليهود! تعتقدون أنكم على ملة موسى عليه السلام، وقد جاء فيها أن من مسّ عظماً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير نجساً نجاسة لا يطهره منها إلا رماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها، ولأنكم عدمتم رماد البقرة والإمام الهاروني؛ فقد جعلتم من مسّ عظماً أو حضر ميتاً عند موته - طاهراً يصلح للصلاة. وهذا هو النسخ، وإن لم تقروا بذلك فأنتم أنجاس إلى اليوم لعدم سبب الطهارة .

وإذا كنتم أنجاساً فلم تعتزلون الحائض؟ فإن قلتم: إن ذلك من أحكام التوراة. فيقال لكم: إن الغرض من ذلك هو الطهارة وأنتم أنجاس، بل نجاستكم أعظم من نجاسة الحائض، ولم تفرقون بين الحائض من ملتكم ومن غير ملتكم؟؟ وهذا التفريق لم يرد في التوراة؛ فهذا كله تقوّل على الله سبحانه أو نسخ منكم لما شرعه الله لكم .

٤ - يعتقد اليهود أن جميع ما في كتب فقهاءهم نقله الفقهاء عن الأخبار عن الثقات من السلف عن يوشع عن موسى عليه السلام عن الله تعالى. ولكن المتأمل في حالهم يجد أن هناك مسائل كثيرة وقع فيها الخلاف والاجتهاد. فيلزم على هذا الاختلاف في المسألة الواحدة أن يكون كل من خالف فيها فهو ينقل مذهبه نقلاً مسنداً إلى الله عز وجل. ويلزم

على ذلك شناعة لا مخرج لهم منها وهي: أنهم جعلوا الله سبحانه وتعالى قد أمر في تلك المسألة بشئٍ وخلافه، وهذا هو النسخ .

وإن قالوا: إن هذا الخلاف غير مستعمل الآن لأن الأولين كانوا بعد اختلافهم في المسألة يرجعون بها إلى أصل واحد. فيقال لهم: إن رجوعهم بعد الاختلاف إلى الاتفاق على مذهب واحد؛ إما لأن أحدهم رجع عما نقل، أو طعن في نقله. فيلزمه السقوط عن العدالة، وأما أن يكون الفقهاء قد اجتمعوا على نسخ أحد المذهبين، أو تكون رواية أحدهما ناسخة لرواية الآخر. وهذا هو النسخ .

٥ - نصت شريعة التوراة على تحريم الزيادة عليها حيث جاء فيها: (لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً^(١)) ولكن نجد أن اليهود قد زادوا في صلاتهم الدعاء التالي: (اللهم اضرب ببوق عظيم لعقتنا، واقبضنا جميعاً من أقطار الأرض إلى قدسك) وهذا الدعاء لم يرد عن موسى عليه السلام، بل أحدث في صلاتهم بعد موسى بدهر طويل.

وكذلك نجد أن اليهود سنوا لأنفسهم صيام أيام معينة كصيام يوم إحراق بيت المقدس، وصوم يوم حصاره، وصوم صلب هامان. ولم تكن هذه العبادات مما شرعه موسى عليه السلام لهم؛ بل زيدت لأسباب حدثت بعد رحيله. وهذه الزيادات في هذه العبادات نسخ للآية السابقة التي تحرم الزيادة على شريعة التوراة .

٦ - جاء في شريعة التوراة أن الله اختص من بني إسرائيل الأبقار؛ ليكونوا خواص في الخدمة. ولكن لما جاء موسى عليه السلام من ميقات ربه ومعاه الألواح ووجد القوم عاكفين على عبادة العجل، وقف بطرف القوم ونادى : من كان لله فليحضرني. فانضم إليه بنو ليوي ولم تنضم إليه البكور؛ فلما خذله البكور، ونصره أولاد ليوي قال الله له كما في التوراة: (وقد أخذت اللبوانيين عوضاً عن كل بكر في بني إسرائيل^(٢)) وهذا النص يدل على أن الله عزل الأبقار عن ولاية الاختصاص، وأخذ أولاد ليوي عوضاً عنهم . واليهود لا يقدرين على إنكار ذلك، وهذا يلزمهم القول بالنسخ .

٧ - جاء في التوراة المحرفة أن يهوذا بن يعقوب قد زنى بزوجة ابنه وهو لا يعلم أنها

(١) التثنية ٤ : ٢ .

(٢) الخروج ١٣ : ١٥ .

هي - وهذا من ظلمهم وافتراءهم - فلما علم بأنها قد حبلت من الزنا أفتى بإحراقها. وهذا يدل على أن شريعة ذلك الزمان أن يحرق الزاني. ثم جاء فيما بعد ذلك في التوراة نسخ هذا الحكم واستبداله بالرجم .

٨ - افترضت شريعة التوراة على اليهود تقديس يوم السبت، والراحة فيه وعدم المشقة، وقد تم هذا التشريع عليهم في أول إعطائهم المن في صحراء سيناء، ثم لما أنزل الله عليهم اللوحين وخالفوهما وعبدوا العجل؛ فرض الله عليهم صيام ذلك اليوم وقيام جميع نهاره . وإذا اتفق صوم هذا اليوم في يوم السبت فإنكم تؤدون فيه الصيام رغم ما فيه من المشقة، ورغم أن فرضية يوم السبت تحتم عليكم الراحة والدعة فيه. وهنا يتبين أن فرضية الصيام قد نسخت فرضية السبت^(١) .

الشبهة الخامسة والعشرون : وما يعيبونه على المسلمين تسميهم بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وهذه الشبهة كمثيلاتها من الشبه السابقة لا تستحق إثارتها والرد عليها؛ لتهافتها وسقوط لفظها ومدلولها. وماذا في تسمينا بأسماء الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه؟ والنفس مجبولة على التأسى بأعلام الهدى ومصابيح الدجى، والاعتداء بهديهم، واقتفاء أثرهم، ولم ننفرد نحن بهذا الأمر؛ فلا يزال اليهود والنصارى إلى يوم الناس هذا يتسمون ببعقوب وموسى وإلياس .

قال المهتدي الترجمان مفنداً هذه الشبهة : (كيف تنكرون علينا ذلك ونحن قد تسمينا بأسماء الأنبياء تبركاً بذلك؟ وهم من جنس بني آدم صلوات الله عليهم، وكيف لا تنكرون على أنفسكم حيث تسمون أسماء الملائكة جبريل وميكائيل وعزرائيل^(٢))

وفي ختام هذه الشبه يتبين أمور منها : -

١ - أن هذا الذي يعيبونه علينا قد جاء به إلينا رسول مُصَدِّقٌ فلا داعي للشك في خبره والاعتراض على أمره؛ لأنه لا يأمر من تلقاء نفسه، وإنما هو مبلغ عن ربه، وكل شريعة جاء بها ففي الشرائع السابقة ما يماثلها أو قريباً منها، بل إن شريعته تفوقت عليها؛ لأنها

(١) انظر لما تقدم إنعام اليهود ، ص ٨٦ - ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ .

(٢) تحفة الأريب ، ص ٢٥٤ . وعزرائيل ليس من أسماء الملائكة .

الشرعة الخاتمة .

٢ - هذه الشبه رغم تهافتها وتساقطها - تؤكد حقيقة قرآنية وردت في عدد من الآيات من مثل قوله تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً^(١)) وقوله: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون^(٢)) وقوله تعالى: (تشابهت قلوبهم^(٣)).

إذا فهم قوم بهت؛ إذ يثيرون شبهاً ليست حقيقية، فهم أول مقتنع أنها ليست كذلك؛ وإنما ليصدوا عن سبيل الله .

٣ - أن كثيراً من هذه الشبه لولا الأمانة العلمية، وما ألزمتُ به نفسي في هذا المنهج ما أوردتها؛ لأنها لا تستحق أن تسمى شبهاً .

٤ - مما يؤكد تكاذبها وتهافتها التناقض بينها ففي حين يعيب النصارى الأمية على محمد صلى الله عليه وسلم نجد من يقول : إنه استكتب التوراة والإنجيل أو تعلمهما^(٤).

٥ - أن هذه الشبه لا تستحق الاحتجاج بها والاعتماد عليها؛ لأن القائل بها أحد ثلاثة: إما عالم أن هذا الأمر الذي يعيبه على الإسلام موجود في الرسائل السابقة؛ فليس عيباً أن يجدد الإسلام ما اندرس من معالم الشرائع السابقة . وإما أنه يعلم أن هذا الأمر من صميم الإسلام؛ لأنه وجد في كتابه ما يؤكد ذلك مثل أميته صلى الله عليه وسلم وجهاده وصفته وصفة أمته وأصحابه ورسائله الخاتمة . وإما أن يكون غر ساقط لا في العبير ولا في النفي؛ إذ لا يعلم خبر الرسائل السابقة، ولا يعلم ما اشتمل عليه كتابه من الإخبار بهذا النبي الخاتم وشرعته الخاتمة... وهذا لا يستحق أن تضيع الأوقات وتسود الأوراق في الرد عليه .

(١) سورة النمل ، الآية ١٤ .

(٢) سورة الصف ، الآية ٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١١٨ .

(٤) قارن بين الشبهة ١٦ و الشبهة ٢٣ من هذه الشبه السابقة .

الفصل الرابع

أثرهم في دعوة غير المسلمين

شهد العالم منذ بزوغ الرسالة المحمدية تحولاً نحو الإسلام من أبناء الأمم الأخرى تتوجه مجموعة مباركة من رواد الفكر وطلاب العلم وقيادي تلك الأمم، وما يؤكد صدق هذا التحول قيام هذه المجموعة بممارسة الدعوة إلى الإسلام في أوساط أقوامها؛ رغبة في هدايتهم إلى النور، وإنقاذاً لهم من الظلمات، وهذه الممارسة من العسير احتوائها في وريقات يقدمها طالب علم؛ والسبب أنها لم تنل حظها من الرصد والتتبع على مدار التاريخ؛ لأنها – في العموم الغالب – لا تتجسد في أثر فكري محسوس يخلده الزمن وتتوارثه الأجيال – باستثناء التأليف – إذ تبرز هذه الممارسة من خلال الدعوة الشفهية، والمناظرة الجدلية، والرسائل الشخصية، إضافة إلى أنها تتم حسبة لله ابتغاء ثوابه مما يضي عليها نوعاً من الإسرار بها .

ويستطيع الباحث أن يستخرج من هذا التحول عدداً من الجوانب المضيئة لعل من أبرزها: البرهنة على عظمة هذا الدين، - الإسلام - وصدق هذا التوجه، وسلامته من الشك والريبة والدغل .

وهذا الاقبال المنقطع النظير على الإسلام يعدّ - بحق - رافداً من روافد انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة؛ لأنه يؤكد ضمناً أن الإسلام دين يجمع بين الدين والدنيا، وبين الروح والجسد، وبين العقل والفطرة، وبين العلم والعبادة إذ استقطب جميع أصحاب الاتجاهات العلمية والفكرية المختلفة ولم يضق بها ذرعاً؛ بل أفسح لها المجال تنفياً لظلاله، وتستنير بنوره، وفتح لهم آفاقاً جديدة، ولم يكن كالدyanات السابقة المحرفة التي لا تعتبر - في أحسن أحوالها - أن هناك تلازماً بين الدين والعلم، فكان إسلام هؤلاء الرواد داع لمن خلفهم إلى إعادة النظر في التراث الذي ورثوه، وفي هذا المنهج الذي سلكه هؤلاء القادة .

بل إن دور هؤلاء الرواد المهتمين في دعوة غير المسلم إلى الإسلام يكاد يكون أعظم من دور الداعي المسلم^(١) للأسباب التالية : -

(١) وذلك من جانب التأكيد على أن الإسلام إما هو امتداد للرسالات السابقة، وأن الديانة اليهودية والنصرانية لم تبق على هيئتها الأولى؛ بل دخلها التحريف والتعديل، وإلا فالداعي المسلم أرسخ علماً، وأكثر إحاطة وشمولاً، وأسلم من الوقوع في اللبس والخلط في بقية الجوانب الأخرى كالعقائد والعبادات .. وما ذاك إلا لأنه تردّد في هذه العلوم منذ نعومة أظفاره وتلقاها غضة كما وردت، فضلاً عن أنه سلم من تلقي العلم الفاسد والاعتقاد الكاسد على أيدي القساوسة والأخبار

١ - يتمتع الأقباط والرهبان لدى عامة اليهود والنصارى بمنزلة عظيمة لا توجد لدى غيرهم؛ والسبب في ذلك أنهم منحوا أنفسهم حق التشريع، وحق المغفرة وتكفير السيئات، ومرتبة القبول أو الطرد من حضيرة الدين... وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله عن هذه المرتبة فقال: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون^(١)) وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لو آمن بي عشرة من اليهود؛ لآمن بي اليهود^(٢)) قال ابن حجر: (فالمراد عشرة مختصة؛ وإلا فقد آمن به أكثر من عشرة^(٣)) . وفي قصة وفد نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم التي أخرجها البخاري في صحيحه ما يؤيد ذلك وهي: (جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعنا. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل! فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قال: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين^(٤)) . ويتبين من هذه القصة كيف قبلت أمتهم أن تدفع الجزية امتثالاً لما انتهى إليه رأي السيد والعاقب .

وفي إنجيل متى ما يؤيد هذه المزية لهؤلاء الأقباط والرهبان وهو قول المسيح عليه السلام لبطرس - كما يزعمون - : (وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحمله على الأرض يكون محلولاً في السموات^(٥)). وهذه المزية لهؤلاء الأقباط والرهبان التي تقدم بعض ما يؤكدتها تمنح لقولهم القبول، ولرايهم الإذعان؛ فإذا رأت منهم العامة الخروج من ملتهم ودعوتهم إلى الخروج منها والانصياع إلى الحق الذي وجدوه فحينئذ تكون الإستجابة أعظم والاتباع أسرع.

(١) سورة التوبة ، الآية ٣١ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار، باب ٥٢ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تأليف الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ج ٧ ، ص ٢٧٥ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي ، باب ٧٢ .

(٥) متى ١٦ : ١٨ - ١٩ .

٢ - أنهم اطلعوا على حقائق في كتبهم عن الإسلام وعن رسوله صلى الله عليه وسلم قد يجهلها كثير من الدعاة المسلمين .

٣ - مما يمنحهم قوة في التأثير على المدعويين ما يتمتعون به من إدراك للأساليب المؤثرة فيهم وإحاطة بكتبهم، ومعرفة باللغات التي دوّنت فيها... هذا إذا أخذ بعين الاعتبار أن كثيراً من عامة اليهود والنصارى لم يطلعوا على كتبهم ولا يعلمون ما تشتمل عليه؛ بل يكتفون بحفظ بعض العبارات التي يرددونها في صلاتهم، وبعض الأناشيد التي يترنمون بها في مناسباتهم الدينية، فإذا أقام المهتدي لهم الحجة من واقع كتبهم على صحة هذا الدين؛ فإذا العقول تقبل ما قاله، وإذا النفوس تسلم له مقاله .

٤ - من مقومات الحوار الهادف ضرب المثل، وإيراد القصة، وحكاية التجربة، نلمس ذلك واضحاً من الأمثال المضروبة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذلك اقتصاص القصص التي تورث العظة والعبرة: (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون^(١)) .

وعندما يتحدث المهتدي إلى بني قومه وأصحاب ملته السابقة، ويروي لهم رحلته نحو الإسلام، ويقص عليهم خبره، ويقيم لهم الأدلة على سلامة مسلكه... فإن ذلك يكون أوقع لدى السامع، وأبلغ في التأثير من الداعي المسلم ولادة ونشأة؛ لأن الشيطان سيجد المدخل إلى المدعو سهلاً ميسوراً إذ يوحى إليه أن هذا الداعي يريد أن يخرجك من ملتك إلى ملته، وأنه يرغب في تكثير حزبه وسواد أتباعه... ولن تجد هذه المسوغات طريقها إلى عقل المدعو إذا كان المتحدث إليه أحد المهتدين؛ لأنه يرى أن هذا المهتدي لو لم يجد في هذه الملة التي انتقل إليها خيراً لما كفر بملته السابقة وخرج منها .

٥ - أن الأدلة التي يقدمها إلى المدعويين تكون أبلغ وأوقع؛ بسبب أنه استضاء بنور الوحي، واهتدى بهدي السنة فأثمرت بيده سلاحاً ونوراً مضيئاً إليهما ما يعلمه من مقاتل دينه والثغرات التي اطلع عليها في سابق حياته قبل هدايته .

٦ - أن انتقالهم إلى الإسلام كان نتيجة بحث ومقارنة ودراسة متأنية غايتها معرفة الحق واتباعه، فكان إسلامهم يتم بعد قناعة تامة بجدوى الانتقال، ومعرفة أبعاده اللاحقة، وهذا مما يضيف على منهجهم سلامة في الطرح والمناقشة، وثراءً في الحجج والبراهين المقدمة .

٧ - أنهم أقدر في رد الشبهات التي يثيرها اليهود والنصارى؛ وما ذاك إلا لخبرتهم

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٦ .

الواسعة بدينهم وكتبهم المعتمدة، فيكون رد الشبه أسرع، وتفنيدها أبلغ؛ لأنه يعتمد في التفنيد على أصول المدعي وكتبه، وما من شك أن هذا المهتدي يكون أعظم إحاطة بها من هذا المفترى .

كما أن المدعي - لتمام يقينه بأن هذا المهتدي أعلم منه بكتابه، وأنه قد أسلم عن قناعة - فإنه ينتقل من إثارة الشبه ضد الإسلام إلى إثارة الشبه المتعلقة بالشخص نفسه، وهذه تفنيدها أيسر؛ لأن المهتدي أعلم بنفسه، ولأن واقعه يكذب هذا المدعي .

وما يعطي لهذا التحول أهمية بالغة ما نلمسه هنا وهناك من أوجه تكالب اليهود والنصارى على هؤلاء المهتدين؛ لغرض صدهم عن هذا القرار الذي اتخذوه، والحيلولة بينهم وبين الإسلام، ولولا قوة تأثيرهم على الأتباع والمدعويين لما انزعجت الأوساط الكنسية، ولما حاربتهم الكنيسة بشتى الوسائل والطرق التي تحول بينهم وبين دعوة غيرهم من اليهود والنصارى، فمن هذه الوسائل : -

١ - ما يمارسه المنافقون: من اليهود المنادين في الصف الإسلامي من التحريض على هؤلاء المهتدين، واستعداد السلاطين المسلمين عليهم، ويتضح ذلك جلياً في الكتاب الذي تلقاه المهتدي السموأل بعد إسلامه، وقد جاء في جوابه لهذا الكتاب: (فمن أين له أن تأخير الإذعان والإشهار لم يكن لتوخي وقت، أو لمحاذرة عدو؟... إلى أن قال: أما ما ختم به كلامه فذاك أمر مرفوع على الحقيقة، إلا أن الملوك والسلاطين جرت عادتهم أن يخصو كل واحد بما يروونه أهلاً؛ حراسة للمراتب من تطاول غير الأكفاء^(١) .

٢ - تأليف الكتب: عندما يهتدي المهتدي ويؤلف كتاباً أو أكثر مشتملاً على حكاية تجربته، ومقيماً الأدلة والبراهين على تهافت دينه السابق... فيقض مضاجعهم هذا الكتاب؛ لما يعلمون من عظيم أثره فيما بينهم^(٢)، فحينئذ ينبرى أحدهم للرد على ذلك الكتاب طمعاً في تفنيد ما فيه^(٣)، وأنى لهم ذلك؛ إذ الباطل أعجز من أن يزهد الحق (بل

(١) إفحام اليهود ، ص ١٨٧ - ١٨٩ .

(٢) سبق الحديث في المبحث المتعلق بالمهتدي التجار كيف أن النصارى دفعوا أموالاً عظيمة لصاحب المطبعة على أن لا ينشر كتاب هذا المهتدي «المنارات الساطعة»، انظر ص ١٧٥ من هذا البحث .

(٣) وخير مثال على ذلك كتاب: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث. تأليف سعيد بن مندسور بن كمنونة اليهودي، ويكاد يكون هذا الكتاب رداً على ما تضمنه كتاب إفحام اليهود.

نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق^(١) .

٣ - الرسائل الخاصة: من الوسائل التي يلجأون إليها لصد هذا المهتدي أو ذاك عن الإسلام كتابة الرسائل الخاصة التي تحمل السم الزعاف؛ إذ تجمع بين طياتها إثارة الشك والشبهة، وطرح السؤال الهازئ، وعرض التساؤلات المتعنتة، والتذكير بما فاته من مكانة علمية ومنزلة إجتماعية، والتخويف من العقبات التي أمامه، والتعريض بما سيجمده لدى قومه لو تراجع عن إسلامه^(٢) .

٤ - القتل: هؤلاء القوم لا يتورعون عن اتخاذ أي وسيلة تحقق لهم آمالهم، حتى لو كانت هذه الوسيلة القتل، فقد ذكر المهتدي مرجان أن شاباً قبظياً أسلم على يديه؛ فلما علمت الكنيسة بذلك قتلتته^(٣). وقد جاء في قصة ذلك الراهب النصراني مع المهتدي الترجمان أنه أشار عليه بالإسلام، وحذره من أن العامة إن علمت بإسلامه سيقتلونه^(٤) .

٥ - التضيق على المهتدي في مصدر رزقه: في محاولة يائسة منهم لإجباره عن التراجع عن الإسلام، وقد ثم هذا مع المهتدي إبراهيم خليل إذ عندما أراد أن يعلن إسلامه افتتح محلاً تجارياً؛ حتى يؤمن لنفسه لقمة عيش كريمة تعوضه عن الدخل الثابت الذي كان يتقاضاه عن عمله التنصيري، ولما علم النصارى بذلك تكالبوا عليه؛ حتى يكون عبرة لغيره، ويصور هذا المهتدي الموقف قائلاً: (تكتل أرباب البيوتات التجارية الكبيرة عن التعامل معي، ووجدت نفسي في عزلة عن النشاط التجاري، وبالتالي كان لهذا الموقف تأثير قوي على رغبة العيش، وتغلبت على هذه المشكلة بالاستعانة بما ادخرته من مال^(٥))

٦ - التضيق على المهتدي في عمله: وقد واجه المهتدي مرجان نوعاً من ذلك إذ يقول: (تعرضت لمحاولات عديدة للإعتداء على حياتي، ولكن الله سبحانه وتعالى سلمني منها، كما أثار رجال الدين النصارى البلبلة والشائعات حولي، وجرت محاولات الإيقاع والتأثير عليّ في العمل والوشاية ضدّي عند الرؤساء وغيرهم؛ مما أثر في عملي وفي اختياري

(١) سورة الأنبياء ، الآية ١٨ .

(٢) انظر ما يؤكد ذلك إفحام اليهود ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٣) مكاتبات خاصة بيني وبين هذا المهتدي .

(٤) انظر تحفة الأريب ، ص ٦٩ - ٧١ .

(٥) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، ص ٢٣ .

لبعض المواقع، وما زالت المؤمرات تلاحقني^(١) .

٧ - الإغراء : تلجأ الكنيسة أحياناً إلى التهريب كما تبين في الأوجه السابقة، كما تتخذ الترغيب مدخلاً إلى نفس المهتدي لعله يجدي أو يحقق مالم يحققه التهريب؛ ولكن هيهات أن يخرج الإيمان من القلب إذا دخله، وقد عرضت الكنيسة على المهتدي النجار أصنافاً من الإغراءات كالمال والمنصب؛ ولكنه آثر الدار الآخرة على الدنيا وزخرفها .

نماذج من دعوتهم

من الطبيعي أن تتنوع جهود هؤلاء المهتدين في دعوة غير المسلم إلى الإسلام؛ لأن الله سبحانه وتعالى كما قسم الأعمار والأرزاق وفاوت بينها لحكم لا نعلمها، فكذلك تتفاوت الهبات الفكرية البشرية فهذا مبدع في جدله، وذاك بارع في خطابته، وآخر متفنن في تأليفه، ورابع قد أوتي أسلوباً سلساً وأدلة مسددة... إلى آخر منن الله على البشر .
وهؤلاء المهتدون طرقتوا عدداً من الوسائل التي أمكوا فيها تحقيق بعض مآربهم في إنقاذ المدعويين من الظلمات إلى النور، فمن هذه الوسائل أو النماذج ما يأتي : -

١ - أن التحول من الملة السابقة إلى الإسلام يعتبر دعوة صامتة، بل هو دعوة في سكونة؛ إذ هو رفض للموروث السابق، وإعلان فعلي مباشر على أن الإسلام هو الدين الحق، ويزيد من قيمة هذا التحول إذا كان من قام به من عليبة القوم علماً أو عملاً؛ فيكون هذا الانتقال لفتة إلى العامة والاتباع، وموقظاً لهم من سباتهم الطويل، وداعياً لهم إلى إعادة النظر في المسلك والاتجاه .

٢ - الدعوة الشفهية: وسيلة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا تزال هذه الوسيلة من أنجح الوسائل التي يعبر من خلالها الداعي إلى قلوب المدعويين؛ لأنها تحمل فيض القلب، وحرارة المشاعر، وصدق اللهجة، ويلمس من خلالها المدعو روح الشفاق عليه، وإخلاص النصيحة له، كما يستطيع الداعي عبر هذه الوسيلة حكاية تجربته السابقة، واقتصاص خبره، والإشارة بما آل إليه أمره، والتنديد بما كان عليه في سابق أيامه. وقد تبين لي أن كلاً من المهتدي النجار وإبراهيم خليل ومرجان والهاشمي قد اعتمدوا

(١) مكاتبات خاصة بينه وبينني .

على هذه الوسيلة - كما اعتمدوا على غيرها - في دعوة غيرهم إلى الإسلام، حيث يقول إبراهيم خليل: (ولا زلت المجاهد الأمين لله ولرسوله الكريم، والداعي إلى الإسلام الخفيف لا سيما بين أهل الكتاب^(١)). ويقول المهتدي مرجان: (إن دعوتي ونشاطي قد أثر في كثير من غير المسلمين مما أدى إلى اعتناقهم الإسلام صراحة، ومنهم بعض أفراد عائلتي... وكثيرين في بلاد كثيرة... هذا فضلاً عن أن كتيبي قد ترجمت إلى لغات عديدة، واستفاد منها كثيرون من غير المسلمين في دول كثيرة أرسلوا إليّ بخطابات تؤكد اقتناعهم، وإن كان كثيرون - سواء من العرب أو من غيرهم من غير المسلمين - لا يعلنون صراحة الإسلام رغم اقتناعهم بعظمته ومحاسنه؛ وهذا يحدث بسبب ظروف عديدة^(٢)). وكذلك النجار قام بالدعوة في بلده^(٣).

٣ - تأليف الكتب: لعل الأثر الشاهد الباقي على جهود هذه المجموعة المباركة في مجال مجادلة الخصوم، وإفحام المعاندين، وإقامة الحجّة على المبطلين، ودعوة المدعوين، ونصب الشواهد والبراهين - هو الكتاب الذي خلفوه لمن بعدهم، فهو وثيقة الماضي وشاهد الحاضر، ودليل المستقبل، ضمنوه خالص النصح، وراجح الأدلة .

وقد كان لهؤلاء الرواد الذين تناولتهم هذه الدراسة المتواضعة النصيب الأوفر، فهاهي كتبهم عامرة بها دور الكتب ومكتبات طلب العلم، وإن الدارس لهذه الكتب سيتبين له أن الغرض الذي ألفت من أجله كان غرضاً سامياً وشريفاً وهو الدعوة إلى الله، يقول المهتدي الطبري موضعاً غرضه من تأليف كتابه: (فقد نخلت لكم نصحي، واعلموا أنني لم أرد بما كتبت تفاخراً ولا تكاثراً؛ بل ما عند الله الذي لا يخيب راجيه^(٤)). ويقول المهتدي السموأل: (والغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة: (أي كتاب إفحام اليهود) الرد على أهل اللجاج والعناد، وأن تُظهر ما يعتور كلمتهم من الفساد^(٥)). ويقول المهتدي الهاشمي عن هذا الغرض: (فكان من أئزم الواجبات التي أراها فرض عين أن أشكر المنعم الذي أنعم عليّ بنعمته الكبرى أن هداني للإيمان... وصدق إيمان المؤمن يتجلى في عمله، ومن أجل

(١) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ص ٢٥ .

(٢) مكاتبات خاصة بيني وبينه .

(٣) مقابلة خاصة . وانظر سر إسلامي، ص ١٠، ١٦ .

(٤) الدين والدولة، ص ٢٠٩، وانظر، ص ٣٥ منه .

(٥) إفحام اليهود، ص ٨٦، وانظر تحفة الأريب، ص ٥٤ - ٥٧ .

الأعمال التي يقوم بها المؤمن نشر رسالة الله عزوجل وتفنيد المزاعم التي يزعمها أعداء الله، وإظهار الحقائق التي طمست معالمها فغابت عن أهل الملل والنحل والأديان الأخرى.. إلى أن يقول عن كتابه: وكذلك وجدت أنه من أئزم المستلزمات أن يكون بين يدي المسلم الذي يريد أن يجلو غوامض ما آلت إليه هذه الملل والنحل على يدي كهنتها وقادتها... كتاب بقلم عبد من عباد الله آتاه الله هدى وعلماً هوّن عليه ترك دين آباه وأجداده، يشرح في الدوافع التي دفعته للإيمان، ويضمنه الأسباب التي زجت به في معركة فكرية عاتية اقتلعت من برائن الشرك والضلال فصيرته من رجل يضرر العداء للإسلام وأهل إلى مجاهد في سبيل الله ونصرة الإسلام، وحولته من واقف يلصق التهم الكاذبة إلى معتل المنابر في موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى التمسك بدينهم والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم^(١) .

٤ - المكاتبات الخاصة : تبين لي حرص هذه الفئة المباركة على هداية غيرهم للإسلام، والذي يؤكد هذا الحرص أنهم لم يتركوا سبيلاً - يرجون من خلاله هداية قومهم - إلا طرقوه، فقاموا بالدعوة الشفهية، وألفوا الكتب، وأقاموا المناظرات، وكتبوا المكاتبات الخاصة التي تجتمع مع الكتاب المؤلف في أمور وتفترق في أمور أخرى هي التي تميزها من مثل كونها لا تكون إلا بين من تربطهم ببعضهم البعض وشائج القرى وعلائق المودة، فتطبع هذه الرسائل بطابع الود... وقد حملت لنا آثار هؤلاء الهداة المهتمين نماذج من ذلك، إذ أرسل السموأل رسالة إلى أبيه قال عنها: (وكتبت كتاباً إلى أبي.. وأوضحت له في ذلك الكتاب عدة حجج وبراهين مما أعلم أنه لا ينكره، ولا يقدر على إبطاله^(٢)) وكذلك المهتمدي الشيخ زيادة كاتب أحد المدعوين في مصر إذ أرسل إليه ذلك المدعو خطاباً يحمل عدة تساؤلات، فكانت إجابته على هذه الأسئلة كتابه القيم «الأجوبة الجليلة»، وأورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه القيم «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» رسالة بعث بها المهتمدي الحسن بن أيوب إلى أخيه وأوضح له فيها عدداً من الأدلة والبراهين^(٣) .

٥ - المناظرة :ومن ضمن الوسائل التي لجأوا إليها لنشر الإسلام، وإلجام الخصوم، وقمع

(١) سر إسلامي ، ص ١٠ - ١١ ، وانظر ص ١٦ منه .

(٢) إفتحام اليهود ، ص ٧٣ .

(٣) انظر هذه الرسالة في الجواب الصحيح ، نشر مكتبة المدني ، ج ٢ ، ص ٣١٣ وما بعدها .

الباطل، وإظهار الحق، ومناظرة المنصرين - المناظرة، وقد عقدت مناظرة بين جماعة من المنصرين وجماعة من الدعاة الإسلاميين شارك فيها المهتمدي إبراهيم خليل، وانتهت هذه المناظرة بإسلام هؤلاء القساوسة، وإتماماً للفائدة فقد تولت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد طبع مداورات هذه المناظرة في كتاب هو: مناظرة بين الإسلام والنصرانية .

٦ - اتخاذ العلم وسيلة للدعوة: اتخذ الغرب الكافر العلم وسيلة للقضاء على الدين المحرف الذي رفض كل تجديد في المعارف العلمية سواء على مستوى الوسائل أم على مستوى النتائج، وفي هذه البيئة التي اتخذت العلم إلهاً كما تعبدت لغيره من سائر المعبودات كالمال والوطن والجنس - سخر بعض هؤلاء المهتمدون من أبناء تلك البلاد العلم وجعلوه شاهد إثبات على أن العلم الصحيح لا يتعارض مع الدين الصحيح، وأثبتوا من خلال العلم - أيضاً - تحريف الديانتين اليهودية والنصرانية، وسلامة الإسلام وكتابه من هذا التحريف .

الخاتمة

وتشتمل على التالي : –

أولاً : ماذا استهدفت تحقيقه في هذه الدراسة .

ثانياً : نتائج البحث .

ثالثاً : توصيات البحث .

رابعاً : بحوث مستقبلية مقترحة .

أولاً : ماذا استهدفت تحقيقه في هذه الدراسة : —

حاولتُ عبر هذه الدراسة المتواضعة التي تناولت نماذج من مسلمي أهل الكتاب وبيان شيء من آثارهم في الدفاع عن القضايا القرآنية — أن أستعرض حياتهم قبل الإسلام وبعده، وأتلمس من خلال الكتاب والمقابلة الدوافع التي استنهضت همهم نحو الإسلام، وأقف على العقبات التي واجهتهم عند إعلان إسلامهم وبعد دخولهم فيه، وأدرس مؤلفاتهم القيّمة التي خلّفوها لمن جاء بعدهم، مبيناً قيمتها العلمية، وموضحاً المآخذ عليها إن وجدت، ومستقصياً الأدلة والبراهين والحجج التي وردت فيها، ومتتبعاً أثرهم على من بعدهم من العلماء والدعاة، وأثرهم على الحركة العلمية في إثرائها بهذه المصنفات، وعلى الحركة الدعوية في إمدادها بالأدلة المسددة والبراهين الملزمة والحجج القاطعة، وفي إسعافها بنسف الشبه التي تعترض طريقها .

ثانياً : نتائج البحث : —

توصلت من خلال هذا البحث المتواضع إلى عدد من النتائج التي أسأل الله أن ينفع بها، وقسمتها إلى قسمين هما :—

القسم الأول: نتائج البحث المستنبطة من دراسة مؤلفاتهم، ولعل من أبرزها مايلي:—

- ١ — أثبت هؤلاء المهتدون أن أساس الرسالات الإلهية هو التوحيد .
- ٢ — أكدت هذه الجماعة المباركة أن التوراة والإنجيل المتداولة بأيدي اليهود والنصارى قد اشتملت على تعدٍ على مقام الألوهية، وتطاول على جلال الربوبية، ومحادة لله بوصفه بصفات لا تليق به. وكل هذا التطاول والتعدي لم تأت به الأنبياء والرسل، ولم ينقل عن أصحابهم؛ إنما هو من صنيع أصحاب الأهواء ومتبعي الشهوات .
- ٣ — أثبت هؤلاء سلامة مقام النبوة من كل ما ألصقه به أعداء الأنبياء وقتلة المرسلين من المغضوب عليهم والضالين، كما أثبتوا تنزيه المسيح عليه السلام أن يدعي لنفسه الانتساب لمقام الألوهية أو البنوة، ونقلوا أقوال حواربيه التي تثبت هذا التنزيه، وتؤكد بشريته

وعبوديته وسمو رسالته .

٤ - أثبت هؤلاء المهتدون - بما لا يدع مجالاً للشك - أن اليهودية والنصرانية لم تبق على الأصل الذي جاءت به الرسل، بل دخلها التحريف والتغيير والتبديل والعبث؛ ففقدت الكتب المنزلة، واستبدلت بغيرها مما استكتبه البشر، وحرفت العقائد عن وجهتها، وبدلت العبادات بغيرها، واجتالتهم الشياطين عن دينهم، كما أكدوا على أن من أسباب انحراف اليهودية والنصرانية عن مسارها الصحيح - تأثرها بالديانات الوثنية والفلسفات الإغريقية والرومانية .

٥ - أثبت هؤلاء المهتدون أن كلاً من ألوهية المسيح، وبنوته، وألوهية الروح القدس، والتثليث، والصلب والكفارة - التي تعتبر قطب الرحى في الديانة النصرانية - أنها دخيلة عليها من الأمم الوثنية التي جاورتها عبر تأريخها الطويل، ولم تكن هذه العقائد الباطلة واردة في رسالة المسيح عليه السلام، ولم ينقل عن الحوارين ما يؤيدها .

٦ - نصب هؤلاء المهتدون أكثر من ثلاثين دليلاً من أقوال المسيح عليه السلام تدل على عبوديته ونفيه الألوهية عن نفسه .

٧ - نقل هؤلاء المهتدون عن حواربي المسيح ومعاصره سبعة نصوص تؤكد بشرية المسيح وتنفي عنه الألوهية وتثبت له الرسالة .

٨ - أقام هؤلاء المهتدون ستة أدلة عقلية دالة على نفي ألوهية المسيح عليه السلام .

٩ - فند هؤلاء المهتدون ستة أدلة مما يستدل بها النصارى على ألوهية المسيح عليه السلام .

١٠ - أثبت هؤلاء بالنقول الموثقة أن كثيراً من النصارى القدماء والمحدثين يرفضون هذه العقيدة الباطلة .

١١ - نفى هؤلاء بنوة المسيح وبينوا سبب ضلال النصارى فيها .

١٢ - تتبع هؤلاء المهتدون الألفاظ التي يتشبه بها النصارى في إدعاء بنوة المسيح وفندوها وعددها سبعة ألفاظ .

١٣ - نقض هؤلاء المهتدون التثليث من خلال سبعة أوجه، وأثبتوا أن هذه العقيدة الباطلة مستمدة من الوثنية، كما نصبوا أربعة عشر دليلاً تنقض هذه العقيدة .

١٤ - نفى هؤلاء عقيدة الصلب عبر ثمانية عشر دليلاً ، وبينوا أن هذه العقيدة ترجع إلى

أصول وثنية موهلة في القدم .

١٥ - أثبت هؤلاء المهتدون - بما لا يدع مجالاً للشك - أن الأنبياء والمرسلين بشروا بنبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونقلوا أكثر من ست وتسعين بشارة من بشارات الأنبياء الواردة في التوراة والإنجيل .

١٦ - نصب المهتدي الطبري عشرة مقاييس معتبرة وجدها متوافرة ومجمعة للنبي صلى الله عليه وسلم لم يجتمع مثلها لأحد سواه، وأثبت أن من اجتمعت له تلك الخصال وجبت له النبوة.

١٧ - عقد المهتدي بوكاي مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم فيما يتعلق بالكون والإنسان والحيوان وخرج منها بالنتيجة التالية : إن كل مافي القرآن الكريم من حقائق ومعلومات عن هذه الأشياء السالفة الذكر فهو متفق مع ما توصل إليه العلم الحديث، ثم استنتج من ذلك أن هذا القرآن وحي إلهي لم يتدخل فيه البشر. وأن كل مافي التوراة والإنجيل مما يتعلق بهذه الأشياء فهو محرف عما يدل على صياغة بشرية وتدوين بشري لا يمت إلى الوحي بصلة .

١٨ - أثبت هؤلاء المهتدون ضياع التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وأن هذه التوراة المتداولة عمل بشري لا يمت إلى الوحي بصلة، كما بينوا تناقض أسفارها فيما بينها

١٩ - أكد هؤلاء المهتدون ضياع الإنجيل المنزل على المسيح عليه السلام، وأن هذه الأناجيل المتداولة لم تكتب في زمنه كما أنها لم تكتب في زمن الحواريين، وأثبتوا تحريفها باثنين وعشرين دليلاً .

٢٠ - أثبت هؤلاء المهتدون تناقض الأناجيل فيما بينها بتسع وعشرين تناقضاً .

٢١ - أثبت هؤلاء المهتدون تناقض التوراة مع الأناجيل .

٢٢ - أثبت هؤلاء المهتدون أن التوراة والإنجيل رغم ما أصابها من تحريف وتبديل فلا تزال بعض عباراتها - التي أعماهم الله عن تحريفها - شاهدة بالحق ناطقة بالصدق .

٢٣ - ذهب كثير من هؤلاء المهتدون إلى أن التوراة فقدت عام ٥٨٦ ق.م. وتبعهم على ذلك كثير من العلماء المسلمين المهتمين بهذا الفن. وبعد استقراء آيات القرآن الكريم والدراسة والتثبت تبين لي أن التوراة بقيت منها نسخة أو نسخاً - مما هو محفوظ في الصدور، أو مسطور في الأوراق - إلى زمن المسيح عليه السلام .

٢٤ - فَنَدَّ هؤلاء المهتدون أكثر من خمس وعشرين شبهة مما يثيره اليهود والنصارى في وجوه المسلمين، واعتمدوا في تفنيدهم على المنقول والمعقول .

٢٥ - أكد المهتدي السموأل أن النسخ - الذي تنكره اليهود - جائز عقلاً وواقع شرعاً، ووراد في الرسالات الإلهية، كما أنه وارد في التوراة، وقائم في واقع الأمة اليهودية .

٢٦ - أكد هؤلاء المهتدون أن الابن الذبيح لإبراهيم عليهما السلام هو «إسماعيل» وأنه هو المستحق لوارثته حكم وعهد أبيه .

٢٧ - تبين لي بعد الدراسة والمقارنة والمتابعة الأثر العظيم لهؤلاء المهتدين على علماء الأمة الإسلامية ودعاتها في مجال مقارنة الأديان؛ إذ نقلوا عنهم النقل الكثيرة، واستشهدوا واحتجوا بهم، وقابلوا بهم قومهم، ومما يؤكد عظم هذا الأثر إشادة العلماء الجهابذة بدورهم ومكانتهم وثقلهم العلمي .

٢٨ - يتبين لدارس مصنفات هذه الفئة المباركة عدداً من الجوانب المضئنة التي أشرقت بها مصنفاتهم، وأنارت الطريق لمن جاء بعدهم، ولعل من أهمها^(١) : -

الأول : لم يكن إسلامهم مجرد نزوة عاطفية، أو رحلة فكرية، أو جموحاً ذهنياً؛ بل كان منبثقاً عن دراسة واعية للإسلام، واطلاع شامل على منهجه، وقناعة راسخة بمبادئه، وقبول تام لشرائعه .

الثاني : الاستقلال الفكري الذي أبعدهم اللاحق عن تقليد السابق، ومكّن الجميع من الإبداع في التدليل والتعليل والتخلص من التبعية والتقليد، والخروج على الموروث البالي ونقده وبيان تهافته وتناقضه وتكاذبه .

الثالث : الحماس في الدعوة إلى الإسلام، والرغبة الصادقة في إنقاذ بني جلدتهم من الظلمات... يلحظ ذلك كل من وقف على آثارهم ونهل من معارفهم، ويؤكد هذا ذلك الخطاب الرقيق الموجه إلى المدعوين، والكلمات المشفقة، والألفاظ الحانية التي حفلت بها مؤلفاتهم .

الرابع : النية الحسنة الصادقة التي أثمرت هذا التحول نحو الإسلام، ومما يدعم القول

(١) سبقني فضيلة الدكتور محمد الشرقاوي في دراسته الرجيزة التي بعنوان «المهتدون إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى وكتاباتهم الجدلية» المطبوعة ضمن مقدمة كتاب النصيحة الإيمانية - إلى الإشارة إلى بعض هذه الأمور ، والتي سبقني بها هي ٧٠٦٠٥٠١ .

بهذا هذا الحماس المنقطع النظير في الدعوة إلى الإسلام، وهذا النقد الهادف البناء لليهودية والنصرانية كتباً وعقيدة ومسلماً .

ولو كان هذا التحول مدخولاً فيه، أو كان نتيجة لحالة نفسية معينة لما أبدعوا في مصنفاتهم ودفاعهم عن الإسلام، ونقدهم لدينهم السابق؛ لأن المتشكك والمنهزم نفسياً يتوارى عن الأنظار، ويحتاج إلى علاج يعيده إلى الصواب، وهؤلاء ألقوا وأبدعوا وجددوا، وأقاموا طريقاً مذكلاً لمن جاء بعدهم فهم رواد في هذا المسلك، ومنازل هدى يهتدي بها الساري في ظلمات الجهل والشرك .

الخامس : قوة الجدل، وبراعة الاستدلال، والاحتجاج بالمنقول والمعقول المؤيد بالنصوص التي ترجمها هؤلاء ترجمة ذاتية من اللغات القديمة التي دونت بها تلك الأسفار .

السادس : الريادة في المنهج الذي أسسوه في مجال مقارنة الأديان، فقد أقاموا منهجاً سديداً يجمع بين الاعتماد على المنقول والاحتفاء بالمعقول، والمحاكمة إلى الأصل المتبع والكتاب المعتمد والعبادة القائمة، والمقايسة والترجيح .

السابع : تميّز هؤلاء بسعة الثقافة، والمعرفة التامة باللغة العربية وبغيرها من اللغات التي دونت بها التوراة والإنجيل، والاطلاع على العلوم الأخرى كالرياضيات والطب والفلك... مما كان له أكبر الأثر في إثراء عقليتهم واعتمادها على الدليل، وهجرها لكل تقليد لا يورث إلا ضلالاً .

الثامن : تؤكد هذه المصنفات أن أصحابها كانوا متبحرين بدينهم السابق علماً وعملاً، ومن الدارسين للإسلام دراسة واعية متشبثة بما أمكنهم من توجيه النقد من موقع الخبير، وأعطى لأحكامهم وآرائهم الإصابة والتسديد .

٢٩ - هذه المصنفات رغم علو كعب أربابها، ورغم احاطتهم بدينهم السابق وكتبه المعتمدة، ورغم هذا الحماس المشكور في الدعوة إلى الإسلام، واستفراغ الوسع في الذب عن حياضه؛ إلا أن الدارس لهذه الكتب ينبغي أن يتعامل معها بحذر، إذ لا يخلو بعضها من تقصيرها، أو هفوة هناك، أو فهم خاطئ لبعض القضايا. وهذا كله لا ينقص من قدرها ولا يفض من شأنها .

القسم الثاني: نتائج البحث التي تم استنباطها من إسلام هؤلاء وإسلام غيرهم

ممن شملتهم هذه الدراسة : -

١ - فزع الأوساط اليهودية والنصرانية من تحول هذه الجموع إلى الإسلام، واتخاذ كافة السبل للحيلولة بينهم وبين الإسلام من الترغيب والترهيب، فإذا لم تفلح هذه المساعي لجأوا إلى تدابير أخرى تخفف وطأة هذا التحول على من خلفهم، وتحذروهم مما صنعوا، وتحاول القضاء على السبل التي تسببت في هذا التحول .

٢ - يواجه المهتدون إلى الإسلام عقبات كثيرة من بني قومهم بعد إسلامهم لعل من أبرزها الخوف على النفس، والتضييق على وسيلة الرزق، والمضايقة في الأعمال التي يتولونها، والشايبة ضدهم، وتأليب صدور أبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم عليهم .

٣ - أكد جمع غفير ممن شملتهم هذه الدراسة - من سائر المهتدين - أنهم كانوا يعيشون صراعاً نفسياً قاتلاً لم يخرجهم منه إلا الإسلام الذي يوفق بين الدين والدنيا وبين الروح والجسد وبين العلم والعبادة .

٤ - ذكر جماعة من سائر المهتدين أن غموض الديانة النصرانية ونفور العقل منها هو الذي دفعهم إلى هجرها والبحث عن البديل الواضح والصراط السوي .

٥ - يكاد يجمع كثير ممن شملتهم هذه الدراسة من سائر المهتدين على أمرين هما : -

الأول - عدم وجود النشر الكافي عن الإسلام باللغات التي يتكلمون بها .

الثاني : تشويه صورة الإسلام من خلال الكتاب ووسائل الإعلام المتواجدة في بلادهم التي تسيطر عليها حكومات البلاد الكافرة، إذ كل المعلومات التي تلقوها في مدارسهم عن الإسلام كانت أكاذيب ملفقة. وهذا يدعو الهيئات الإسلامية والدعاة إلى مضاعفة الجهود في نشر الكتب التي تتحدث عن الإسلام ، والمساهمة في محاولة تصحيح تصور الآخرين عن الإسلام .

٦ - تبين لي أن كثيراً ممن دخل في الإسلام دخل بعد بحث واطلاع ودراسة ومقارنة أدت بهم إلى اعتناق الإسلام، وهذا يدل على أمور منها : -

الأول : أن الإسلام له من الجاذبية ما يجعله ينتشر بنفسه إذا سلم من كثير من العقبات والحواجز .

الثاني : تقصير دعاة الأمة في الدعوة إلى الإسلام عبر الوسائل المشروعة المتاحة التي

يمكن الاستحواذ عليها مما يتيح لمريد الإسلام التعرف عليه دون اللجوء إلى المقارنة والمقايسة والبحث المرير .

٧ - من يطلع على سيرهؤلاء المهتمدين يلمس منهم فرحاً عظيماً وشكراً لله سبحانه وتعالى الذي هداهم إلى هذا الخير العظيم .

٨ - كثرة المنضوين تحت لواء الإسلام من النصارى، وقلة المهتمدين إليه من اليهود. ولعل مرد ذلك إلى قلة اليهود، وشعورهم بالانتساب إلى الشعب المختار كما يزعمون، وعدم السماح للنشء بمخالطة الآخرين؛ ولذلك يحرصون على العزلة، ويقيمون في أحياء خاصة بهم لا يساكنهم فيها غيرهم .

ثالثاً : توصيات البحث : -

أولاً : الاستعانة بالمبرزين منهم في عقد المناظرات والندوات مع أهل الكتاب التي يشاركون فيها إخوانهم من العلماء المسلمين؛ حتى يسددونهم فيما يتعلق بالتأصيل الإسلامي، ويكون دور هؤلاء المبرزين إقامة الحجج والبراهين استناداً على علمهم السابق؛ إذ هذا المسلك يؤتي أعظم الشمار إن شاء الله، وقد عقدت مناظرة من هذا القبيل - في الخرطوم عام ١٤٠١هـ - انتهت بإسلام المناظرين من أهل الكتاب .

ثانياً : ينبغي على المؤسسات الإعلامية الإسلامية أن تولي مؤلفات هذه الفئة المباركة - سواء السابق منها واللاحق - عناية فائقة من ناحية الإشادة بها والعرض عنها والدراسة لها على صفحاتها؛ لأن ذلك يرفع الروح المعنوية لهؤلاء المهتمدين، ويزيد اليقين بهذا الدين، ويفتح آفاقاً جديدة لمن لا يزالون يتخبطون في دياجير الظلام .

ثالثاً : على دور النشر وطلبة العلم من أصحاب هذا الاختصاص المساهمة في تحقيق ونشر مؤلفات هؤلاء المهتمدين، وإعادة نشر ما طواه النسيان أو كاد أن يفتقد، وخير مثال على ذلك أن كتاب « الإنجيل والصليب » طبع الطبعة الأولى عام ١٣٥١هـ ولم يطبع بعدها، وكذلك كتاب « المنارات الساطعة » الذي طبع الطبعة الأولى عام ١٣٦٩هـ ولم أعثر على

نسخة منه في أي مكتبة، ثم وجدته بعد بحث طويل وشاق لدى أحد الأخوة في مصر، وكثير من هذه المؤلفات توفي أصحابها فتوقفت مسيرة نشرها مرة ثانية .

رابعاً : ينبغي على المراكز الإسلامية والمحاكم الشرعية التي تستقبل هؤلاء المهتدين مراعاة الجوانب التالية : -

١ - تزويد المهتدي بالكتب التي تحقق له الفهم الكامل للإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقاً .

٢ - إقامة دورات نظرية وتطبيقية لهؤلاء المهتدين يشرح لهم من خلالها الإسلام .

٣ - تحصين المهتدي من العقائد المخالفة والأفكار الضالة التي ينتسب أهلها إلى الإسلام؛ حتى لا ينتقل من ضلال إلى ضلال .

٤ - التفريق بين سائر المهتدين وبين العلماء والمبرزين منهم؛ إذ ينبغي أن يلقى في روع هؤلاء العلماء المهتدين أن عليهم أن يتعلموا على العلماء المسلمين، وأن يبين لهم العلماء خطر التقول على الله وعظمة الافتراء عليه؛ فليس مجرد إعلائه للإسلام يخول له التحدث باسم الإسلام دعوة وتأليفاً وفتياً... وهو لم ترسخ قدمه بعد، ولم يتعمق في معرفة أبعاد هذا المنهج عقائداً وتأصيلاً وأحكاماً وشرائع .

كما ينبغي على المؤسسات الإعلامية التي تتعامل مع هؤلاء إبان إسلامهم أن تفرق بهم، وأن لا تحملهم مالا يطيقون، وأن تعرف القدر والإطار الذي ينبغي أن تستفيد منه. فليس من المعقول أنه عندما يشهر أحد المبرزين إسلامه يتوافد عليه مندوبي المؤسسات الإعلامية فينهالون عليه بالأسئلة، ويطلبون منه إعطاء رأيه في أجدى وسائل الدعوة، ويسألونه إيجاد الحلول لكثير من آلام الأمة الإسلامية. إنها معظلة تحتاج إلى من يصححها في رؤوس هؤلاء الإعلاميين^(١).

خامساً - موازنة من يحتاج إلى موازنة من هؤلاء من خلال توثيق صلته بالمراكز والهيئات الإسلامية، ومساعدته في إيجاد العمل الذي يغنيه عن الحاجة والعوز، وإيواء الخائف على نفسه، وأن تتكاتف معهم الهيئات والمراكز الإسلامية؛ حتى تساعد على اجتياز العقبات التي تواجههم إبان إسلامهم .

(١) انظر ما يؤكد ذلك المجلة العربية ، العدد ١٧٧ ، عام ١٤١٢ هـ ، ص ٩٢ ، ومجلة الفيصل ، العدد ١١١ ، عام

١٤٠٦ هـ ، ص ٣٨ .

سادساً - تأليف كتاب شامل يتحدث عن الإسلام، ويراعى عند تأليفه مخاطبة كافة العقليات الكافرة، وتتم ترجمته إلى جميع اللغات الممكنة .
سابعاً - ذكر كثير من أسلموا أن المعلومات الأولية التي تلقوها عن الإسلام كانت أكاذيب ملفقة عن الإسلام. فينبغي تكثيف نشر الكتاب الإسلامي عبر اللغات المختلفة.
ثامناً - الاستفادة من هذه التجارب الإيمانية عبر وسائل الإعلام المختلفة التي يمكن استخدامها لتحقيق أغراض الدعوة .

رابعاً : بحوث مستقبلية مقترحة : -

أولاً : إعادة تناول هذا الموضوع من جانب آخر ألا وهو كتابات الغربيين المعاصرين من أهل الكتاب وتحليلها واستنباط البراهين الملزمة للعقلية الغربية المعاصرة؛ لأن هذه المؤلفات أقدر في مخاطبة واقناع تلك العقلية بنفس الأساليب التي تقبلها، وبنفس البراهين التي تسلم لها. إذ يتسم هذا العصر بطابع الجدل والغزو الفكري أكثر من اعتماده على قوة السلاح، وفي إعادة بضاعتهم إليهم بعد إعادة صياغتها إلزام لهم ودلالة على الطريق السوي .

ثانياً : دراسة شهادات الذين أسلموا سواء من أهل الكتاب أم من غيرهم؛ لاستخلاص الأمور التالية منها : -

١ - استجلاء الأسباب التي تدعوهم إلى الدخول في الإسلام، لاستثمارها في مجال الدعوة .

٢ - معرفة كافة العقبات التي تواجههم بعد إسلامهم، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة التي تساعد على اجتيازها .

٣ - معرفة مدى النقص وجوانب القصور في فهمهم للإسلام حتى يمكن تلاقيها بمزيد من النشر.

٤ - معرفة الأساليب التي اتبعت معهم وكان لها أعظم الأثر عليهم؛ للاستفادة منها في تجديد أساليب الدعوة ووسائلها .

٥ - دراسة الجدوى من إقامة مؤسسة إسلامية عالمية تستقطب هؤلاء المهتمين وتوجههم الوجهة السليمة بدلاً من أن تستقطبهم الفرق الضالة .

٦ - استخراج الرواسب الفكرية التي لا تزال عالقة بأذهانهم عن أديانهم السابقة، ووضع الحلول السليمة لإزالتها .

ثالثاً : تخصيص دراسات خاصة مستقلة عن بعض الشخصيات التي تسلم فيالوقت الحاضر ويكون لها أثر فكري ملموس في بيئتها وفي غيرها، وقد يكون لدى هذا الفرد بعض التصورات الخاطئة عن الإسلام بسبب حداثة عهده بالإسلام، فتتناول هذه الدراسة بيان أثره، وتقييم دوره، ومناقشته ونقده إن تطلب الأمر ذلك .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى وسلم الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

الفهارس

- أولاً: الآيات القرآنية .
- ثانياً : الأحاديث النبوية .
- ثالثاً : المصادر والمراجع .
- رابعاً : الأعلام .
- خامساً : فهرس المواضيع ..

أولاً : فهرس الآيات القرآنية :

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه	البقرة	٢. ١	٧٩
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك	البقرة	٤	٢٥
فأتوا بسورة من مثله	البقرة	٢٣	٥٦١
ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم	البقرة	٢٩	٢٥٤
قالوا أئجعل فيها من يفسد فيها	البقرة	٣٠	٢٠٥
وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة	البقرة	٣١	٢٦٠
وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عد ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين	البقرة	٣٦	٢٣٦
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه	البقرة	٣٧	٣١٤
واركعوا مع الراكعين	البقرة	٣٩	٣٩
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله	البقرة	٦١	٥١٤
افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه	البقرة	٧٥	٤٢٨. ٤٣٦. ٢٧
فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله	البقرة	٧٩	٤٢٩. ٢٧
ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير	البقرة	١٠٥	٥٦٢
وذكر كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً	البقرة	١٠٩	٥٦٢
كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم	البقرة	١١٨	٥٧٩. ٥٣٨
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم	البقرة	١٢٠	٢٣٦
ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم	البقرة	١٢٩	٣٥٩. ٣٣٢. ٤٤
ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين	البقرة	١٣٢	٢٦٥. ١٦٣
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم	البقرة	١٣٦	٤٢٦
فسيكفيكم الله وهو السميع العليم	البقرة	١٣٧	٣٥٨
صبيحة الله ومن أحسن من الله صبيحة ونحن له عابدون	البقرة	١٣٨	٣٩٧
وكذلك جعلناكم أمة وسطاً	البقرة	١٤٣	٣٦٧. ٤
إن الذين يكتبون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس	البقرة	١٥٩	٤٩٤
والذين آمنوا أشد حبا لله	البقرة	١٦٥	٣٧٣
ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب	البقرة	١٧٧	٣٥٧
فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف	البقرة	١٧٨	٤٧
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان	البقرة	١٨٦	٣٢
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	البقرة	١٨٥	٤٦
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم	البقرة	١٩٠	٢٤٢
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	البقرة	١٩٣	٢٤٢
فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً	البقرة	٢٠٠	٢١٦

اسم السورة	رقم الآية	الصفحة	الآية
البقرة	٢١١	٥١٩	سل بني إسرائيل كم آتيناكم من آية بينة
البقرة	٢١٣	٣٧	فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق
البقرة	٢١٤	١٨٦	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
البقرة	٢١٧	٥٦٢	ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
البقرة	٢٤٨	٤٢٧	إن آية ملكه أن يأتكم الثابوت فيه سكينه من ركم
البقرة	٢٨٥	٥٥٨	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون
آل عمران	٣	٤٢٥. ٣٧٢. ٢٥	نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه
آل عمران	٤	٢٥	من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان
آل عمران	١٨	٥٥٥. ٢٦٦. ٣	شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم
آل عمران	١٩	٣٧٣	إن الدين عند الله الإسلام
آل عمران	٣٩	٣١٦	إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً
آل عمران	٥٩	١٧٩	إن مثل عيسى عن الله كمثل آدم
آل عمران	٦٤	٢	قل بأهل الكتاب تعاملوا إلى كلمة سواء
آل عمران	٦٧	٢٣٦	ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً
آل عمران	٦٨	٢٨٨	إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
آل عمران	٨١	٣٧٢. ٣٦١. ٣	وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
آل عمران	١٠٣	٥٠	واعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
آل عمران	١١٠	٣٧٣	كنتم خير أمة أخرجت للناس
آل عمران	١٣٤	٥٩	الذين يتفقون أموالهم في السراء والضراء
آل عمران	١٦٥	٥٦٧	أولاً أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها
آل عمران	١٧٠	٥١	ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
آل عمران	١٨١	٥٤	لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء
آل عمران	١٩١	٣٥١	الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
النساء	١	٢٤٣	يا أيها الناس اتقوا ركم الذي خلقكم من نفس واحدة
النساء	٣	٥٧١. ٢٤٣. ١٩٥	فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
النساء	٣٥	٥٤٤	وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله
النساء	٤١	٣٦٧. ٤	فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد
النساء	٤٦	٤٣٦. ٤٢٨	من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
النساء	٤٨	٥٨	إن الله لا يخفر أن يشرك به
النساء	٧٩	٥٦٧	وما أصابك من حسنة فمن نفسك
النساء	٨٢	٧٩. ٦٨. ١٦	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً
النساء	١١٨	٣١	لأنخذلن من عبادك نصيباً مفروضاً
النساء	١١٩	٣١	ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم

اسم السورة	رقم الآية	الصفحة	الآية
النساء	١٢٤	٥٣	ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
النساء	١٢٨	٥٤٤	وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً
النساء	١٣٦	٢٥	يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
النساء	١٦٣	٢٤	إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده
النساء	١٦٤	٢٤	ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك
النساء	١٦٥	٢٤	رسلاً مبشرين ومنذرين
النساء	١٧٢	٢١٦	لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله
النساء	١٧٤	١٣٢	يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
المائدة	٣	٣٧٣، ٣٣٢، ٥٦، ٣	حرمت عليكم الميتة والدم... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
المائدة	٨	٥١١، ٥٠٠، ١٣٩	ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى
المائدة	١٣	٤٣٦، ٢٧	يحرقون الكلم عن مواضعه ونسوا حضاً بما ذكروا به
المائدة	٣٨	٢٤٦	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
المائدة	٣٩	٢٤٦	فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه
المائدة	٤١	٤٢٨، ٤٣٦	ومن الذين هادوا سماعون للكذب... يحرقون الكلم من بعد مواضعه
المائدة	٤٣	٤٢٥	وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله
المائدة	٤٤	٤٢٧، ٤٢٥، ٢٧	إن أنزلنا التوراة... بها استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء
المائدة	٤٦	٤٤٥	وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة
المائدة	٤٧	٤٤٥	وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه
المائدة	٤٨	٢٣٣، ٢٥، ٣	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق.. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً
		٥٥٨، ٣٦١	
المائدة	٥٤	٣٧٣	يحبهم ويحبونه
المائدة	٦٦	٤٤٥	ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم
المائدة	٦٧	٣٥٨	والله يعصمك من الناس
المائدة	٧٥	٢٧٤	ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
المائدة	٩٠	٥٦	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان. المائدة
المائدة	١١٠	٤٢٨	وإذ علمتكم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل
المائدة	١١٦	٢٧٠	وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم
المائدة	١١٧	٢٧٠، ٢٠٥	ما قلت لهم إلا ما أمرتني به
الأنعام	٣٨	٢٤٢، ٤٣، ٢٦	ما فرطنا في الكتاب من شيء
الأنعام	٤٨	٦٦	فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الأنعام	٨٢	٦٦	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن
الأنعام	٧٤	٢١٦	وإذ قال إبراهيم لأبيه أزرأت اتخذ أصناماً آلهة
الأنعام	٨٣	٢١٦	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه

الآية	اسم السورة رقم الآية الصفحة
وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين	الأنعام ٨٥ ٢١٩. ١٩٤
وما قدروا الله حق قدره	الأنعام ٩١ ٢٧١
وهذا كتاب أنزلناه مبارك	الأنعام ٩٢ ٤
بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ	الأنعام ١٠١ ٥٤٦
لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار	الأنعام ١٠٣ ٢٨٢
وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأتس والجن	الأنعام ١١٢ ٢٣٥
ولتصفي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة	الأنعام ١١٣ ٢٣٥
الله أعلم حيث يجعل رسالته	الأنعام ١٢٤ ٤٤٠
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام	الأنعام ١٢٥ ١٣٠. ٢٩
وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه	الأنعام ١٥٣ ٥٦. ٤
وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد	الأعراف ٢٩ ٣٩
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	الأعراف ٥٩ ٣١
وما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخروجهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون	الأعراف ٨٢ ٥٧
قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة	الأعراف ١١٨ ١٩٨. ١٩٣
إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون	الأعراف ١٣٩ ١٩٨. ١٩٣
لن تراني	الأعراف ١٤٣ ٢٨٢
قال يا موسى إني اصطفتك على الناس	الأعراف ١٤٤ ٤٢٧
وكتبنا له في الألواح من كل شئ	الأعراف ١٤٥ ٤٢٧
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي . . ووضعت عنهم إصراعهم والأغلال التي كانت	الأعراف ١٥٧ ٤٢٨. ٣٦١. ٤٦
فانقص القصص لعلمهم يتفكرون	الأعراف ١٧٦ ٥٨٣
وأخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم	الأعراف ١٧٢ ٢٦٥. ٣٨. ٢٤
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها	الأعراف ١٨٠ ٣٥
فاقتلوا المشركين حيث وجدتمهم	التوبة ٥ ٢٤٢
حتى يعطوا الجزية عن يد وهو صاغرون	التوبة ٢٩ ٣٦٣
وقالت اليهود عزير ابن الله	التوبة ٣٠ ٣٢٣
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله	التوبة ٣١ ٥٨٢. ٣٤
ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضيئون وجوههم وأدهارهم	التوبة ٥٠ ٤٨
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم	التوبة ١٢٨ ٣٤٩
وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا	يونس ١٩ ٥١٩. ٢٣٧. ٢٠٤. ٣١
ولكل أمة رسول	يونس ٤٧ ٢٤٢
قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات	هود ١٣ ٥٦٠
يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره	هود ٥٠ ٢٦٥
يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره	هود ٦١ ٢٦٥

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
وامراته قائمة فضحكت فيشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب	هود	٧١	٥٤٩
يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره	هود	٨٤	٢٦٥
أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار	يوسف	٣٩	٢٦٩
أما أحدكما فيسقس ربه خيراً	يوسف	٤١	٢٦٩
وقال للذي ظن أنه ناج متهما	يوسف	٤٢	٢٦٩
وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	يوسف	١٠٣	٢٣٧
وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى	يوسف	١٠٩	٥٥٦
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم	الرعد	٢٨	٣٦١
والله يحكم لا معقب لحكمه	الرعد	٤١	٢١٩
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	الحجر	٩	٢٧
قال رب بما اغويتني لأزيتن لهم في الأرض	الحجر	٣٩	٤٦٨
إلا عبادك منهم المخلصين	الحجر	٤٠	٤٦٨، ١٩٢
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	الحجر	٤٢	٤٦٨
ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً	الحجر	٤٧	٥١
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين	الحجر	٩٤	٣٧٢
إنا كفيناك المستهزئين	الحجر	٩٥	٣٥٨
الذين تتوفاهم المائكة طيبين يقولون سلام عليكم	النحل	٣٢	٤٨
وأزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم	النحل	٤٤	٥١٩، ٢٥٥، ٤٣
يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس	النحل	٦٩	٢٥٤
وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء	النحل	٧٦	٣٣
ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء	النحل	٨٩	٤٣، ٢٦
إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون	النحل	٩٩	٤٦٨
سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى	الإسراء	١	٥٥٥، ٢١٦
إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم	الإسراء	٩	٢٤٢
وكان الإنسان عجولاً	الإسراء	١١	١٦
قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا يفتقروا إلى ذي العرش سبيلاً	الإسراء	٤٢	٣٠٧
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	الإسراء	٦٥	١٩٤
وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين	الإسراء	٨٢	٢٥٤
قل لئن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله	الإسراء	٨٨	٥٦١، ٥٣٩
قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك	الإسراء	١١٠	٣
فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً	الكهف	٦	٢٣٧
قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً	مریم	٣٠	٢٧٩
الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى	طه	٥٠	٢٥٩

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ظنكا	طه	١٢٤	٦٦
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق	الأنبياء	١٨	٥٨٤
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا	الأنبياء	٢٢	٣٠٧. ٢٦٦. ٣١
وأذن في الناس بالحج	الحج	٢٧	٣٥٣. ٣٩
هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا... ليكون الرسول شهيداً عليكم	الحج	٧٨	٣٦٧. ٢٣٦
يا قوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره	المؤمنون	٢٣	٢٦٥
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين	المؤمنون	١٢	٤٩
الله نور السموات والأرض	النور	٣٥	٣٦١
والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة	النور	٣٩	٦٧
أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج	النور	٤٠	٦٧
والله خلق كل دابة من ماء	النور	٤٥	٢٥٩
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض	النور	٥٥	٥٤٦. ٣٧٠
وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً	الفرقان	٥	٥٣٩
قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض	الفرقان	٦	٥٣٩
وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام	الفرقان	٢٠	٢٧٤
ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً	الفرقان	٣٣	٥٣٨
وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً	الفرقان	٥٤	٢٦٠
ويجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً	النمل	١٤	٥٧٨. ٥٦١
إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء	القصص	٥٦	٧٨
ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً	العنكبوت	٢٥	٥١
ولا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن	العنكبوت	٤٦	٦٤. ١٠٠. ٤. ٢
فطرت الله التي فطر الناس عليها	الروم	٣٠	٢١٧. ٣٨. ٣٢
وقرن في بيوتكن... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجز أهل البيت	الأحزاب	٣٣	٦٠. ٥٨
إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات	الأحزاب	٣٥	٦٠
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة	الأحزاب	٣٦	٥٥٧. ٢٤٨. ٢٣٤. ٢١٦
فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها	الأحزاب	٣٧	٥٧٢
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً	الأحزاب	٤٥	٤١٤
وداعياً إلى الله بإذنه	الأحزاب	٤٦	٤١٤
يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن	الأحزاب	٥٠	٥٧١
وإذا سألتموهن متاعاً	الأحزاب	٥٣	٦٠
يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين	الأحزاب	٥٩	٦٠
قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى	سبأ	٤٦	٤١
فإن الله يضل من يشاء... فلا تذهب نفسك عليهم حسرات	فاطر	٨	٢٣٧. ٢٩

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
وان من أمة إلا خلا فيها نذير	فاطر	٢٤	٢٥
هل جاء بالحق وصدق المرسلين	الصافات	٣٧	٣٧٢
قال يا أيها أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين	الصافات	١٠٢	٥٤٩
قال فبهزتك لأغوينهم أجمعين	ص	٨٢	٤٦٨
إلا عبادك منهم المخلصين	ص	٨٣	٤٨٣
أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه	الزمر	٢٢	١٣٠
ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سليماً لرجل	الزمر	٢٩	٣٣
الله خالق كل شيء	الزمر	٦٢	٥٦٨
حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب	غافر	٣-١	٥٤٠
ثم استوى إلى السماء وهي دخان	فصلت	١١	٢٥٤
إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة	فصلت	٣٠	٤٨
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه	فصلت	٤٢	٢٧
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	الشورى	١١	٢٤٠، ١٤١
شرح لكم من الدين ما وصى به نوحاً	الشورى	١٣	٣٩٤، ٢٤
وجزء سيئة سيئة مثلها	الشورى	٤٠	٥٩، ٤٧
وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان	الشورى	٥٢	٣٦١، ١٣٢
والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون	الزخرف	١٢	٢٥٩
فما اختلفوا إلا من بعد ما جاؤهم العلم بغياً بينهم	المجاثية	١٧	٢٣٧
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاؤهم هذا سحر مبين	الأحقاف	٧	٥١٩
قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به	الأحقاف	١٠	٥١٩، ١١
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن	محمد	١٥	٣٦٦
محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم	الفتح	٢٩	٣٤٩، ٣٣١
إن أكرمكم عند الله أتقاكم	الحجرات	١٣	٥٣
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون	الذاريات	٤٩	٢٥٨
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون	الذاريات	٥٢	٥٧
وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون	الذاريات	٥٦	٢٦٥
وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى	النجم	٤٠٣	٤١٩، ٢٥٥
وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى	النجم	٤٥	٢٥٨
ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب	الحديد	٢٢	٣٧
لكيلا تأسوا على ما فاتكم	الحديد	٢٣	٣٧
لا تعبدوا ما سوا من دونه بل اعبدوا الله	المجادلة	٢٢	٥٠٢، ٢١٧
ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان	الحشر	١٠	٥١
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله	الحشر	٢١	٧٩

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم	المتحنة	٤	٣٨٨
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين	المتحنة	٨	٥٦٤.١٠٤.٥٩
إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً	الصف	٤	٥
يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي	الصف	٦	٢٠٧.١٠٣.٤٥
			٤٣٠.٤٢٧.٣٨٩.٣٣٢
يريدون ليطفئوا نور الله بأقواهم	الصف	٨	٥٧٩.٤٢٣.٥٣٨
ليظهره على الدين كله	الصف	٩	١٦٣.٣٩.٣
كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله	الصف	١٤	٥٦٢.١٦٣
إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله	الجمعة	٩	٣٩
وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم	التغابن	١٤	٥٩
فاتقوا الله ما استطعتم	التغابن	١٦	٤٦
ومن يتق الله يجعل له مخرجاً	الطلاق	٢	٦٦
ليتفق ذو سعة من سعته	الطلاق	٧	٦٠
ألا يعلم من من خلق وهو اللطيف الخبير	الملك	١٤	٤٠
قل هو الذي جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة	الملك	٢٣	٥٤
وإنك لعلی خلق عظيم	القلم	٤	٤٤
وقد خلقكم أطواراً	نوح	١٤	٢٦١
قل أرحم ليّ أنه استمع نفر من الجن	الجن	١	١٨٣
يهدي إلى الرشـد فأمننا به ولن نـشرك بربنا أحداً	الجن	٢	١٨٣
وإنا لا ندری أشر أريد من في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً	الجن	١٠	٥٦٨
وثيابك فطهر	المدثر	٤	٥٨
إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عيس ويسر	المدثر	١٨-٢٢	٥٣٩
ثم أدهر واستكبر فقال إن هذا إلا قول البشر	المدثر	٢٣-٢٥	٥٣٩
فالملقىات ذكراً	المرسلات	٥	١٧٨
فلينظر الإنسان مـاخلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب	الطارق	٥ - ٧	٢٦٢
فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً	الشرح	٥ . ٦	٤٨
والعاديات ضيحاً . فالموريات قدحاً	العاديات	١ . ٢	٣٥٣
لكم دينكم ولي دين	الكافرون	٦	١٦٣
قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد	الإخلاص	٤١	٥٥٥

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحديث
٥٤٢	اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة
٦٢	إذا اقترب الزمان .. وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً
٥٣	أربع في أمتي من أمر الجاهلية
٢٤٤. ٦.	استوصوا بالنساء
٥٦٣	اغزوا باسم الله في سبيل الله
٣١	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
٢. ٦	أمك ثم أمك
٥٥٥. ٢٧١	أنا أولى الناس بعيسى
٦٣	إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً
٤٠٢	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي
٣٨٨	إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاريها
٥٨	إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين
٣٦٥	أنتم الفر المحجلون يوم القيامة
٥٣	إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه
٣٩٤	بعثت أنا والساعة هكذا
٦٣	بعثت لأتمم حسن الخلق
٨٠. ٦٢	تسموا باسمي.. ومن رأني في المنام فقد رأني
٥٠٢	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
٥١	حقت محبتي للمتحابين فيّ
٢٥٨	خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً
٢٦٠	خبرني بهن جبريل أنفاً... وأما الشبه في الولد
٤٧	دعوني ما تركتكم... فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
٥٤٢	الفطرة خمس

٥٨١	لأبعثنَ معكم رجلاً أميناً
٥٦٨	لست كهيتكم إني أظل اطعم واسقى
٢٨٦	لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
٥١	لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا...أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه
٤٢٦	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
٥٤٦	لا تقوم الساعة حتى يتقاتل المسلمون واليهود
٣٦٥	لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وير
٣٧.	لا يزال ناس من أمتي ظاهرين
٦.	لا يفرك مؤمن مؤمنة
٢٤٣	اللهم هذا قسمي فيما أملك
٥٨١. ٥١٨	لو آمن بي عشرة من اليهود
٤٢٩	ما تجدون في التوراة في شأن الرجم
٣٢٨	ما من الأنبياء نبي إلا اعطي ما مثله آمن عليه البشر
٥٨	ما منكم من رجل يقرب وضوءه
٣٨	ما من مولود إلا يولد على الفطرة
٦٣	ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن
٥٦٨	ما يبكيك...أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة
٥٨. ٤٨	من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد
٦	من لا يشكر الناس لا يشكر الله
١٦٤	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة
٢٦٠	نعم إذا رأت الماء
٦٠	نعم إنما النساء شقائق الرجال
٥٩	نعم صلي أمك
٢٠٧	وكان النبي يبعث في قومه خاصة
٣٦	يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني

ثالثاً: فهرس المصادر والراجع : -

الأول : القرآن الكريم وعلومه:-

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - تفسير القرآن العظيم، تأليف أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، نشر دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٣ هـ .
- ٣ - الجامع لأحكام القرآن ، تأليف محمد بن إبراهيم بن أحمد الأنصاري القرطبي، نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٧٨ هـ
- ٤ - في ظلال القرآن ، تأليف سيد قطب ، نشر دار الشروق ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٨ هـ .

الثاني : كتب السنة النبوية : -

- ٥ - سنن أبي داود ، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني ، مراجعة وتعليق محمد محيي الدين عيد الحميد ، نشر دار الفكر .
- ٦ - سنن الترمذي ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق عبد الوهاب عبد الطيف، نشر دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ .
- ٧ - سنن الدارمي، للإمام عبد الله بن الرحمن الدارمي، تحقيق عبد الله هاشم ، نشر حديث أكاديمي باكستان . ١٤٠٤ هـ
- ٨ - صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، نشر المكتبة الإسلامي ، تركيا ١٩٧٩ م.
- ٩ - صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٧٤ هـ .
- ١٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق العلامة عبد العزيز بن باز .
- ١١ - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، تأليف إسماعيل بن محمد العجلوني ، عني بطبعه أحمد الفلاش نشر مؤسسة الرسالة
- ١٢ - المسند ، تأليف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، نشر دار الفكر ، الطبعة الثانية

١٣٩٨هـ.

١٣- الموطأ ، تأليف الإمام مالك رحمه الله، نشر دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ .

الثالث: معارف إسلامية متنوعة :-

١٤- أحكام أهل الذمة ، تأليف شيخ الإسلام ابن القيم، تحقيق صبحي الصالح، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

١٥- إغاثة الهفان في مصائد الشيطان ، تأليف شيخ الإسلام ابن القيم ، تحقيق محمد عفيفي نشر المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

١٦- السيرة النبوية للإمام الذهبي، تحقيق حسام الدين المقدسي ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

١٧- شرح العقيدة الطحاوية ، تأليف علي بن أبي العز الحنفي ، حققها جماعة من العلماء نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٤هـ،

١٨- الطريق إلى جماعة المسلمين، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، إعداد حسين بن محسن جابر ، نشر دار الدعوة في الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ .

١٩- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، تصويراً عن طبعة ١٣٩٨هـ.

الرابع : كتب مقارنة الأديان:-

٢٠-الأجوبة الفاخرة ، تأليف أحمد بن إدريس المالكي القرافي ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ.

٢١-إظهار الحق، تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي ، نشر المكتبة العصرية بيروت، بعناية عبدالله بن إبراهيم الأنصاري .

٢٢- الإعلام بمافي دين النصرى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، تأليف الإمام محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق د. أحمد السقا ، نشر دار التراث

العربي ، القاهرة .

٢٣- الإنسان في ظل الأديان ، تأليف د. عمارة نجيب ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ .

٢٤ - بشارت الرشالة المحمدية ، تأليف محمد عزت الطهطاوي ، نشر مكتبة النور ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ .

٢٥- بين الإسلام والنصرانية ، وهو مقامع هامات الصليبان ، تأليف أبي عبيدة الخزرجي ، تحقيق د. محمد شامة ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

٢٦- تنقيح الأبحاث للعلل الثلاث ، تأليف سعيد بن منصور بن كمونة اليهودي ، تحقيق موسى برلمان ، طبع ونشر جامعة كاليفورنيا عام ١٩٦٧ م .

٢٧- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع ونشر مكتبة المدني .

٢٨- رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها ، تحقيق د. محمد الشرقاوي ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإشاد ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ .

٢٩- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، تأليف محمد طاهر التنير ، نشر مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

٣٠ - العهد القديم والعهد الجديد ، طبعة البروتستانت ، عام ١٩٧٠ م .

٣١- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، تأليف عبد المجيد الشرفي ، نشر الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٦ م .

٣١ - في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين ، تأليف محمد عزت الطهطاوي ، نشر مكتبة دار التراث ، القاهرة طبعة ١٣٩٩ هـ .

٣٢- في مقارنة الأديان ، تأليف د. محمد الشرقاوي ، نشر دار الهداية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٣٣ - في مقارنة الأديان بين النصرانية والإسلام ، تأليف محمد عزت الطهطاوي ، نشر مكتبة النور ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ .

٣٤- لا لجارودي ووثيقة إشبيلية ، تأليف سعيد عبد المقصود ظلام ، نشر دار المنار ، القاهرة ،

الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

- ٣٥- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن ، تأليف محمد عزت الطهطاوي ، نشر مكتبة النور ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .
- ٣٦- المختار في الرد على النصارى ، للجاحظ، تحقيق د. محمد الشرقاوي ، نشر دار الصحوة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .
- ٣٧- المسيا المنتظر ، تأليف د. أحمد السقا، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧ هـ .
- ٣٨- مقارنة الأديان ، تأليف د. أحمد شلبي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة، ١٩٨١ م .
- ٣٩- المناظرة الكبرى ، تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي ، تحقيق د. محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، نشر دار ابن تيمية ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ .
- ٤٠- نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الشك إلى اليقين ، تأليف فاضل صالح السامرائي، نشر مكتبة القدس، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨ هـ .
- ٤١- نهاية اليهود ، تأليف محمد عزت محمد عارف ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .
- ٤٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تأليف شيخ الإسلام ابن القيم ، تحقيق د. أحمد السقا، نشر دار الريان للتراث .
- ٤٣- يوحنا المعمدان بين النصرانية والإسلام ، تأليف د. أحمد السقا ، نشر دار التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .
- الخامس: مؤلفات المهتدين ممن شملتهم هذه الدراسة :-
- ٤٤- الأديان في كفة الميزان ، تأليف محمد فؤاد الهاشمي ، نشر دار الكتاب العربي ، القاهرة .
- ٤٥- الإسلام دين المستقبل ، تأليف روجيه جارودي، ترجمة عبد المجيد بارودي ، نشر دار الإيمان، بيروت .
- ٤٦- إفحام اليهود ، تأليف السموأل بن يحيى المغربي، تحقيق د. محمد الشرقاوي ، نشر

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ .

٤٧- الله واحد أم ثلاث ؟؟ ، تأليف محمد مجدي مرجان ، نشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى

٤٨- البحث الصريح في أي ما هو الدين الصريح ، تأليف الشيخ زيادة النصب رأسي (مخطوط) .

٤٩- تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، تأليف عبد الله بن عبد الله الترجمان ، تحقيق عمر الداعوق ، نشر دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

٥٠- خلاصة الترجيح ، اختصره محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبي الدمشقي ، نُشر في همامش إظهار الحق ، طبعة المطبعة العلمية عام ١٣١٥ هـ .

٥١- الدين والدولة ، تأليف علي بن رين الطبري ، تحقيق عادل نويهض ، نشر دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ .

٥٢- الرسالة السبعينية بإبطال الديانة اليهودية ، تأليف إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ، تحقيق عبد الوهاب طويلة ، نشر دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

٥٣- سر إسلامي ، تأليف محمد فؤاد الهاشمي ، نشر دار الحرية ، القاهرة .

٥٤- فردوس الحكمة ، تأليف علي بن رين الطبري ، تحقيق محمد زبير الصديقي ، طبعة مطبعة آفتاب بيرلين ، ١٩٢٨ م .

٥٥- فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، تأليف روجيه جارودي ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، نشر دار التراث ، القاهرة .

٥٦- في سبيل حوار الحضارات ، تأليف روجيه جارودي ، ترجمة د. عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨ م .

٥٧- الغفران بين الإسلام والمسيحية ، تأليف إبراهيم خليل أحمد ، نشر دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .

٥٨- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ،

- تأليف موريس بوكاي ، نشر دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٢ م .
- ٥٩- كيف أسلمت ، محاضرة ألقاها روجيه جارودي في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ضمن محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٤٠٦ هـ ، مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- ٦٠- ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة ، تأليف موريس بوكاي ، ترجمة ونشر مكتب التربية العربية لدول الخليج بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ .
- ٦١-محاضرات في مقارنة الأديان ، تأليف إبراهيم خليل أحمد ، نشر دار المنار ، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ .
- ٦٢- محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ، تأليف إبراهيم خليل أحمد ، نشر دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ .
- ٦٣- محمد في الكتاب المقدس ، تأليف عبد الأحد داود ، ترجمة فهمي شما ، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ .
- ٦٤- مختصر الأجوبة الجلية لدحض الدعوات النصرانية ، اختصره محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيبي، نُشر في هوامش إظهار الحق طبعة المطبعة العلمية ، عام ١٣١٥ هـ .
- ٦٥- مسالك النظر في نبوة سيد البشر - صلى الله عليه وسلم - تأليف سعيد بن الحسن الإسكندراني ، تحقيق د. محمد الشرقاوي، نشر مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٤١٠ هـ .
- ٦٦- المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، تأليف إبراهيم خليل أحمد ، نشر مكتبة الوعي العربي ، ١٩٦٤ م .
- ٦٧- مستقبل الإسلام في الغرب ، تأليف روجيه جارودي ، ترجمة رفيق المصري ، نشر دار العلم ، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .
- ٦٨- المسيح إنسان أم إله؟؟ ، تأليف محمد مجدي مرجان ، نشر مكتبة الحرمين ، الرياض ، الطبعة الثانية .
- ٦٩- ملف إسرائيل دراسة للصهيونية السياسية ، تأليف روجيه جارودي ، ترجمة د. مصطفى

- كامل فودة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٧٠- المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة ، تأليف محمد زكي الدين النجار ، نشر المؤلف نفسه ، عام ١٣٦٩ هـ .
- ٧١- المناظرة بين الإسلام والنصرانية ، وهو خلاصة الحوار الإسلامي النصراني الذي أقيم في الخرطوم ، ونُشر من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ .
- ٧٢- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، تأليف نصر بن يحيى المتطبب ، تحقيق د. محمد الشرقاوي ، نشر دار الصحوة، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ .
- ٧٣- وعود الإسلام ، تأليف روجيه جارودي ، ترجمة ذوقان قرقوط، نشر مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ هـ .
- السادس : دراسات عن هؤلاء المهتمين : —
- ٧٤- حوار مع الاستاذ رجاء جارودي ، أجرى الحوار سعد الدين عام ١٩٨٤ م ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .
- ٧٥- رجال ونساء أسلموا ، تأليف عرفات كامل العشي ، نشر دار القلم ، الكويت، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦ م .
- ٧٦- رحلتي من الكفر إلى الإيمان ، قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة، تأليف محمد يحيى ، نشر دار المختار الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ .
- ٧٧- روجيه غارودي ، تأليف سيرج بيرو تينو، ترجمة منى النجار ، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م .
- ٧٨- كيف ولماذا اعتنقوا الإسلام ، تأليف د. محمد إبراهيم الحسن ، ود. إبراهيم المعتاز ، نشر دار المريخ ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .
- ٧٩- لماذا أسلمنا ، مجموعة مقالات لعدد من المهتمين ، ترجمة مصطفى جبر، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ .
- ٨٠- لماذا أسلم هؤلاء ، تأليف أحمد حامد ، نشر مطبوعات الشعب، مصر ١٩٧٦ م .

٨١- لماذا أسلمت نصف قرن من البحث عن الحقيقة ، تأليف محمد عثمان الخشت، نشر
مكتبة القرآن ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ .

السابع : كتب عن التنصير :-

٨٢- الإرساليات التبشيرية ، تأليف د. عبد الجليل شلبي ، نشر منشأة المعارف الإسكندرية .

٨٣- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، تأليف مصطفى خالدي ، وعمر فروخ، نشر
المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٨٧ م .

٨٤ - ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، تأليف إبراهيم عكاشة ، نشر
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، ١٤٠٧ هـ .

الثامن : تأريخ البلدان :-

٨٥- تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تأليف أحمد بن أبي الضياف ،
تحقيق لجنة من كتاب الدولة ، نشر كتاب الدولة للشئون الثقافية
في الجمهورية التونسية .

٨٦- الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢-١٩٨١م،
تأليف د. زكريا سليمان بيومي، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ،
الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

٨٧- الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية ، تأليف أحمد الشماع، طبع في
مطبعة تونس عام ١٣٥٥ هـ .

٨٨- أزمة الحضارة الغربية ، تأليف عبد القادر طاش ، نشر كتاب المختار .

٨٩- أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، تأليف هاردلديتبرلي، وأ.ج.جرانت، ترجمة
محمد علي أبو درة ، ولويس اسكندر، نشر مؤسسة سجل
العرب .

٩٠- إيران ، تأليف محمود شاكر ، نشر مؤسسة الرسالة .

٩١- إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى ، تأليف فوزي شويل ، نشر مركز دراسات
الخليج العربي، في جامعة البصرة ، ١٩٨٥ م .

٩٢-البداية والنهاية ، تأليف أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، نشر دار الفكر، بيروت .

- ٩٣- التاريخ الإسلامي ، تأليف محمود شاعر ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .
- ٩٤- التاريخ الأوربي المعاصر ، تأليف د. جلال يحيى ، نشر المكتب الجامعي ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ م
- ٩٥- تاريخ الثورة الفرنسية ، تأليف البير سوبول ، ترجمة جورج كوسي ، نشر منشورات بحر المتوسط ، بيروت .
- ٩٦- تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، تأليف د. أحمد محمود الساداتي ، نشر مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٧ م .
- ٩٧- تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية ، تأليف أبي عبد الله بن إبراهيم الزركشي ، تحقيق محمد ماضور ، نشر المكتبة العتيقة ، تونس ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .
- ٩٨- تاريخ الرسل والملوك ، للإمام محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
- ٩٩- تاريخ العراق ، تأليف فاروق عمر فوزي ، نشر مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٨ م .
- ١٠٠- التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، تأليف عبد العزيز نوار ، وعبد المجيد نعنعي ، نشر دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٧٣ م .
- ١٠١- التيارات السياسية المعاصرة ، تأليف عبد الحميد البطريق ، نشر دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ١٩٧٤ م .
- ١٠٢- الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تأليف محمد بن محمد الأندلسي ، تحقيق محمد الهيلة ، نشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .
- ١٠٣- دراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، تأليف د. خليل مراد ، وجاسم الحسن ، نشر جامعة الموصل .
- ١٠٤- سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ، تأليف مصطفى الحاس ، وجبر يوسف ، نشر الهيئة العامة للكتاب في مصر ، ١٩٧٥ م .

- ١٠٥- صفحات من تاريخ تونس، تأليف محمد الخوجة، تحقيق حمادي الساحلي ، نشر دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .
- ١٠٦- العراق في التاريخ ، جماعة من المؤلفين ، طبع دار الحرية، ١٩٨١م .
- ١٠٧- الفتنة الطائفية في مصر جذورها وأسبابها ، تأليف جمال بدوي ، نشر المركز العربي للصحافة ، القاهرة .
- ١٠٨- المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية ، تأليف طارق البشري ، نشر الهيئة العامة للكتاب في مصر ، ١٩٨٠م .
- ١٠٩- مصر الحديثة بين الانتماء العقائدي والقومي ، تأليف د. زكريا سليمان بيومي، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
- ١١٠- مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ، تأليف سعيد عبد الفتاح عاشور ، نشر دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢م .
- ١١١- من الحرب والمجتمع في أوروبا ، تأليف برايد بوند، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبلي ، نشر دار المأمون للترجمة ، بغداد ، ١٩٨٨م .
- ١١٢- موسوعة التاريخ الإسلامي ، تأليف د. أحمد شلبي ، نشر مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

التاسع : كتب التراجم: —

- ١١٣-أبحاث الندوة العالمية لتأريخ العلم عندالعرب، المنعقد في جامعة حلب هـ ١٣٩٦/٣/١٢_ ، نشر معهد التراث العربي في جامعة حلب، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .
- ١١٤- إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تأليف علي بن يوسف الشيباني القفطي ، طبع مطبعة السعادة بمصر .
- ١١٥- أعلام العرب والمسلمين في الطب، تأليف علي بن عبد الله الدفاع ، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .
- ١١٦ - تاريخ الأدب العربي ، تأليف كارل بروكلمان، نقله إلى العربية د. يعقوب بك، ود. رمضان عبد التواب، نشر دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثالثة.

- ١١٧- تاريخ التراث العربي، تأليف فؤاد سزكين ، ترجمة د. محمود فهمي حجازي ، نشر
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ .
- ١١٨- تاريخ الحكماء للزوزوني ، نشر مكتبة المثنى ، بغداد .
- ١١٩- تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، تأليف قدري طوقان، نشر دار
الشروق ، بيروت .
- ١٢٠- تراجم المؤلفين التونسيين ، تأليف محمد حافظ، نشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،
الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ م .
- ١٢١- شجرة النور الزكية (التتمة) ، تأليف محمد مخلوف، نشر دار الكتاب الإسلامي ،
بيروت .
- ١٢٢- شذرات الذهب. تأليف عبد الحفي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، نشر
دار المسيرة ، بيروت ، عام ١٣٩٩ هـ .
- ١٢٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تأليف أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، نشر دار
الثقافة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .
- ١٢٤- الفهرست ، تأليف محمد بن أبي يعقوب بن إسحاق الوراق المعروف بابن النديم، تحقيق
رضا تجدد، طبعة طهران ، ١٣٩١ هـ .
- ١٢٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف حاجي خليفة ، طبع وكالة المعارف
الخلبية ، ١٣٦٠ هـ .
- ١٢٦- كنوز الأجداد ، تأليف محمد كرد علي ، نشر دار الفكر للطباعة بدمشق ، الطبعة
الثانية ١٤٠٤ هـ .
- ١٢٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تأليف أبي الحسن بن علي المسعودي ، نشر دار
الأندلس ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١ هـ .
- ١٢٨- معجم البلدان ، تأليف ياقوت الحموي ، نشر دار بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
- ١٢٩- معجم المؤلفين ، تأليف عمر رضا كحالة ، نشر دار إحياء التراث العربي .
- ١٣٠- موجز تاريخ الرياضيات، تأليف هاشم الطيار، ويحيى عبد سعيد، طبع جامعة الموصل.
- ١٣١- هدية العارفين ، تأليف إسماعيل باشا البغدادي ، نشر مكتبة الإسلامية طهران،
وكذلك طبعة مطبعة مكتبة المثنى ببغداد .

١٣٢- الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين الصفدي ، اعتناء بيرند راتكه، نشر دار النشر
فرانز شتاينر ، ١٣٩٩هـ .

١٣٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أبي العباس أحمد بن خلكان ، تحقيق
إحسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت .

العاشر : كتب في مناهج البحث : -

١٣٤- أصول البحث العلمي ومناهجه، تأليف د. أحمد بدر ، نشر وكالة المطبوعات،
الكويت، الطبعة السابعة، ١٩٨٤م .

١٣٥- دليل الباحث في العلوم السلوكية ، تأليف د. صالح بن حمد العساف ، نشر المؤلف
نفسه، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ .

١٣٦- مدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، تأليف د. صالح بن حمد العساف، نشر
المؤلف نفسه ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ .

الحادي عشر : المعاجم والفهارس : -

١٣٧ - الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية ، تأليف القس غسان خلف ، نشر
دار

النشر المعمدانية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١٣٨- فهرس الكتاب المقدس ، تأليف جورج بوست، نشر دار الثقافة ، القاهرة ، الطبعة
السادسة ١٩٩١م .

١٣٩- قاموس الكتاب المقدس ، تأليف لجنة من ذوي الاختصاص ، نشر دار الثقافة ،
القاهرة، الطبعة السابعة ، ١٩٩١م .

١٤٠- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، تأليف وترتيب جماعة من المستشرقين، نشر
د.أ.ي. ونسك، مكتبة بريل في ليدن، ١٩٣٦م .

١٤١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار
الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ .

الثاني عشر : الدوريات : -

١٤٢- مجلة الأزهر ، عدد ٢، عام ١٤٠٨هـ .

- ١٤٣- مجلة الإسلام المصرية ، عدد ٣٢ ، عام ١٣٥٨ هـ .
- ١٤٤- مجلة الأمة عدد ٢٩ . ٤٠ . ٦٤ . ٦٧ .
- ١٤٥- مجلة البحوث الإسلامية عدد ٢٣ .
- ١٤٦- مجلة حضارة الإسلام ، عدد ١ . ٢ . ١٣٩١ هـ .
- ١٤٧- مجلة الحوادث ، عدد ١٢٧٤ ، عام ١٩٨١ م .
- ١٤٨- جريدة عكاظ ، عدد ٨٨٤٦ .
- ١٤٩- مجلة الفيصل ، عدد ٩٩ . ١٠٧ . ١١١ . عام ١٤٠٦ هـ .
- ١٥٠- المجلة العربية ، عدد ٦ . ٥٤ . ٥٥ ، عام ١٤٠٢ هـ وعدد ١٧٧ ، عام ١٤١٢ هـ .
- ١٥١- مجلة المسلمون ، عدد ٢ . ١٢ . ١٦ . ٢٠ . ٣٨ . ٤٢ . ٤٣ .
- ١٥٢- مجلة منار الإسلام ، عدد ٦ . ٨ ، عام ١٤٠٨ هـ ، وعدد ٤ . ٨ ، عام ١٤٠٩ هـ .
- ١٥٣- مجلة النور ، عدد ٤٩ ، ٥١ ، عام ١٤٠٨ هـ .
- الثالث عشر : تقارير ولقاءات ومكاتبات : —
- ١٥٤- تقرير : تساؤل حول مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية، ضمن سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الثقافة والشئون الإسلامية في الكويت ، طبع على الآلة لآكاتبه .
- ١٥٥- تقرير : انفتاح الشيوعية على الأديان . ضمن سلسلة تقارير المعلومات الصادرة عن وزارة الثقافة والشئون الإسلامية في الكويت ، طبع على الآلة الكاتبة .
- ١٥٦- مكاتبات خاصة مع المهتدي محمد مجدي مرجان .
- ١٥٧- لقاء مع المهتدي إبراهيم خليل أحمد .

رابعاً : فهرس الأعلام

أولاً : أولي العزم عليهم السلام: -

إبراهيم عليه السلام : ١٦٣، ٤٤، ٣٦، ٢٥ :
١٨-١٩٨، ٢٣٢، ٢١٦، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٦٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤١،
٣٥٧، ٣٥٩، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٣٨، ٤٤١،
٤٤٣، ٤٧٦، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٤، ٥٢١، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٥١، ٥٥٣،
٥٥٩، ٥٦٤، ٥٦٩، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٩٢ .

عيسى عليه السلام : ٢٥، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٦٧، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٦،
١١٣، ١١٤، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٧، ١٤١، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١-
١٦٣، ١٧٦-١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٨-١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٩،
٢١٦، ٢١٧-٢١٩، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٨-٢٦٩، ٣٠٧، ٣١٣-
٣٢١، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢-٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٨،
٣٦٩، ٣٧٤، ٣٨٠-٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢-٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠٢-٤٠٧، ٤١٠-٤١٩،
٤٢١-٤٢٣، ٤٢٥-٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٤٣، ٤٤٥-٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٣-٤٦٣،
٤٦٥-٤٦٥، ٤٨٨، ٤٩٠-٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥٢،
٥٥٩، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٧١، ٥٩٠-٥٩٢ .

محمد صلى الله عليه وسلم : ٣، ٧، ٨، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤١-٤٦، ٤٨، ٤٩،
٥٣، ٥٨، ٦٦، ٧٨، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٦-٨٨، ٩١-٩٣، ٩٧، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨-١١٦،
١١٨، ١٢٢، ١٣١-١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٤-١٤٩، ١٥٤-١٥٦، ١٥٨،
١٦١-١٦٤، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٨-١٩١، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٢،
٢٠٦، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٢،
٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٣٢٧-٣٤٣، ٣٤٥-٣٦١،
٣٦٣-٣٧٢، ٣٧٤-٣٧٧، ٣٧٩-٣٨٧، ٣٩٠-٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٣-٤٠٩،
٤١٤، ٤١٦، ٤١٨-٤٢٦، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٤٤، ٤٧٥، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٨، ٥٠٠،
٥٠١، ٥١٨، ٥٢٠-٥٢٢، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٠-٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤١، ٥٤٥، ٥٤٦ .

.٥٩٢، ٥٨٧، ٥٨٢٥٨١، ٥٧٨، ٥٧٣-٥٦٣، ٥٦١-٥٥٩، ٥٥٧-٥٥٣، ٥٥١
موسى عليه السلام : ١٣، ٢٥، ٣٦، ٨٠، ٩٢، ٩٥، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٩، ١٩١،
٣٤١، ٣٣٩، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣١٥، ٢٩٧، ٢٩٠، ٢٨٦، ٢٨٢، ٢٦٣، ٢٥١، ٢٠١، ١٩٣
.٤٢٦، ٤٢٥، ٤٢٢، ٤١٦، ٤١١، ٣٩٩، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٧٩، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٢،
٤٩٤، ٤٧٥، ٤٧٢، ٤٤٦، ٤٤٥، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٦، ٤٣٣-٤٣١، ٤٢٩، ٤٢٧
.٥٧٦، ٥٧٥، ٥٧٤، ٥٦٧، ٥٦٤، ٥٥٩، ٥٥٧، ٥٥٦، ٥٥٣، ٥٤٨، ٥٤٧، ٥٤٢،
نوح عليه السلام : ٢٥، ٤٩، ١١٣، ٢٥٩، ٢٣٦، ٢٦٥، ٣٩٤، ٤٩٤، ٥٥٣، ٥٧٤
ثانياً : سائر الأعلام :

(أ)

آحاب ٣٤٦.

آدم ٢٤، ٣٨، ٤٥، ٥٣، ١٧٧، ١٧٦، ٢٣٦، ٢٥٨، ٢٧٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٧،
. ٢٩٩، ٣١٤-٣١٦، ٤٠٢، ٤٤٣، ٤٧٠، ٤٧٦، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٦١، ٥٧٧
المهتدي إبراهيم خليل أحمد ١٤، ٩٦، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٩
٤٣٢، ٤٣١، ٤٢١، ٤١٥، ٤٠٢، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٤٥، ٣٣٤، ٣١٩٣١٣، ٣٠٥، ٣٠٤
.٥٤٧، ٥٤٦، ٥٢٢، ٥٢١، ٤٧٦، ٤٧٥، ٤٦٠-٤٥٦، ٤٥٣-٤٥١، ٤٤٩، ٤٤٦،
. ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٨٤-٥٨٦، ٥٨٨

إبراهيم المعتاز ٢٠

أبي عبيدة الخزرجي ٩٢٥ .

أبي هريرة ٥٦٨

آبيهود ٤٨٩ .

ابن سيراخ ٤٣٥ .

أحمد بن أدرس القرافي ٥٢٢ .

أحمد حامد ٢٠ .

أحمد بن حنبل الشيباني ١٠١، ٥٦٨ .

أحمد بن خلكان ٩٨، ١٠٢ .

- أحمد ديدات ١٨٩ .
- أحمد السقا ١٦٢ . ٢١٥ . ٥٢٢ . ٥٣٢ .
- أحمد شلبي ٨٦ . ١٣٠ . ١٣١ . ١٦١ . ٣٠٥ . ٥٣١ .
- أحمد ابن تيمية ٢٢ . ٥١٩ . ٥٢١ . ٥٢٩ . ٥٣١ . ٥٦٧ . ٥٨٧ .
- أحمد بن عبد الله أبي العلاء المعري ١٢٠ .
- أحمد عبد الله طعيمة ١٧٨ .
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٩٠ . ٥٨١ .
- أحمد بن علي المقرئ ٩٠ .
- أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة ٨٨ . ٩٨ . ١١٩ .
- أحمد المستنصر الحفصي ١٢٦ . ١٢٨ . ١٣٣ . ١٣٧ .
- أخزيا ٤٨٨ .
- إدريس ٤٧٢ .
- أرسطو ١٦٤ .
- أرفكشاد ٤٨٩ .
- إرميا ٣٤٣ . ٣٧٢-٣٧٥ . ٤٣٧ . ٤٤١ . ٤٧٠ . ٥٥١-٥٥٣ . ٥٦١ .
- أستير ٤٣٥ .
- إسحاق عليه السلام ٣٣٤ . ٣٣٥ . ٣٣٧ . ٣٤١ . ٣٤٢ . ٣٧٤ . ٣٩٤ . ٤٠٧ . ٤٤٠ . ٥٢١ .
- ٥٤٥ . ٥٤٦-٥٤٨ . ٥٥٠-٥٥٢ .
- إسحاق بن إبراهيم البصري ٧٣ .
- المهتدي إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ١٤٢ .
- الإسكندر المقدوني ٣٧٤ . ٣٧٧ . ٣٧٨ . ٤٦٧ .
- أسماء بنت أبي بكر ٥٩ .
- إسماعيل عليه السلام ١٨٤ . ١٩٤ . ٣٣٠-٣٣٧ . ٣٤٠ . ٣٤٢ . ٣٤٤ . ٣٤٦ .
- ٣٤٧ . ٣٥١ . ٣٥٢ . ٣٥٤ . ٣٥٩ . ٣٦٩ . ٣٧١ . ٣٧٢ . ٣٧٤ . ٣٨٤ . ٣٨٨ . ٣٩٢ .
- ٣٩٤ . ٤٠٢ . ٤٠٧ . ٤٢٠ . ٤٢٢ . ٤٤٠ . ٥٢١ . ٥٤٦ . ٥٥٢ . ٥٩٢ .
- إسماعيل بن كثير ١٨٩ .

إسماعيل بن يحيى المزني ١٠١

إشعيا ٢٨٦، ٣١٤، ٣٥٢-٣٧٢، ٣٧٨، ٤٠١، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٧١، ٥٥٣-٥٥١، ٥٦١.

أشير بن يعقوب ٥٤٩ .

أغابوس ٥٥٥ .

أكرم ضياء العمري ٢٤٤ .

إلياس ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٤٧، ٤٠٠، ٤٧٢ .

ألياقيم ٤٨٩ .

إليسع ٢٩٠، ٤٧٢، ٥٥٣ .

أم سلمة ٢٦٠، ٥٦٨ .

أم سليم ٢٦٠ .

أمصيا ٤٨٨، أنانيا ٤٦٢ .

أندراوس ٥٥٩ .

أنس بن مالك ٣٧، ٢٦٠ .

أنور الجندي ٢٠ .

أنوش ٤٤١، ٤٤٢ .

أوريفين ٢٩٥ .

أوزوريس ٣١٣ .

(ب)

برنابا ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٩٣، ٣٩٣، ٤٤٩، ٥٥٥ .

بحيرا ٣٥٥ .

بختنصر ٣٧٦، ٣٧٧، ٤٢٩، ٤٣١ .

البشير الإبراهيمي ٢٢٧ .

بطرس ١٦٣، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٢١، ٣٩٨، ٤٤٠، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٦، ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٧٦ .

٤٧٨، ٥٨١ .

بلعام بن باعورا ٣٤٠ .

786

323 תרצה
161 171 תרצה
63 תרצה

(2)

733 תרצה
171 181 תרצה
151 תרצה
161 171 181 תרצה
783 תרצה
630 תרצה

(2)

111 תרצה
330 תרצה

(2)

171 תרצה
633 תרצה
381 תרצה

(2)

171 181 191 תרצה
111 תרצה

63 163 00 130 330 000 100 120 620

111 2 3 13 713 733 633 003 103-603 123-023 113 013

171 181 191 201 211 221 231 241 251 261 271 281 291 301

330 תרצה

באל

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 330 .

(5)

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

(6)

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

(7)

הנהגות 673 .

(8)

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

הנהגות 673 .

888' 623' 123' 523' 723' 263' 663' 100' 110' 230' 220' 220' 270
תעריף תשלום המס הכספי 11' 31' 08' 28' 28-77' 622' 222'
573' תשלום המס הכספי

תשלום 1000' 000'

תשלום המס הכספי 273'

תשלום המס הכספי 500'

163' 330' 600' 620'

תשלום המס הכספי 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222'
620' (תשלום המס הכספי) תשלום המס הכספי

תשלום 100'

תשלום המס הכספי 100'

032' 232' 102' 002' 072' 222' 222' 230' 230'

תשלום המס הכספי 31' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222'
תשלום המס הכספי 222'

תשלום המס הכספי 123' 222'

תשלום המס הכספי 222' 222' 222'

(2)

תשלום המס הכספי 222' 222' 222'

תשלום המס הכספי 222'

220-220' 270'

222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222'
תשלום המס הכספי 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222' 222'
222'

תשלום המס הכספי 222' 222' 222'

תשלום המס הכספי 222' 222' 222' 222' 222'

תה"ק 36

תה"ק 572

תה"ק 673

תה"ק 774

תה"ק 875

(7)

תה"ק 976

(8)

תה"ק 1077

תה"ק 1178

תה"ק 1279

תה"ק 1380

תה"ק 1481

תה"ק 1582

תה"ק 1683

תה"ק 1784

תה"ק 1885

תה"ק 1986

תה"ק 2087

תה"ק 2188

תה"ק 2289

תה"ק 2390

2491-2592 2693-2794 2895-2996 3097-3198 3299-3300 3401-3502 3603-3704 3805-3906 4007-4108 4209-4310

4411-4512 4613-4714 4815-4916 5017-5118 5219-5320 5421-5522 5623-5724 5825-5926 6027-6128 6229-6330

6431-6532 6633-6734 6835-6936 7037-7138 7239-7340 7441-7542 7643-7744 7845-7946 8047-8148 8249-8350

8451-8552 8653-8754 8855-8956 9057-9158 9259-9360 9461-9562 9663-9764 9865-9966 10067-10168 10269-10370

322

... 001

(2)

630

000

120 130

633 103 303-603 123 023 123 223 323 423-073 873 673

71 22 222 022 222 722 372 102 212 22 203 13 233-

71 22 222 022 222 722 372 102 212 22 203 13 233-

081

(1)

633

321

223 223

102

610

222

76 66 201 001

(1)

673

222 222 222 222 100 200

222 222

(2)

603

000

632

701

דג אא

בא-בבא' 3' 183' 100

אלא

אבא

אא

א

אלא

אלא

אא

אא

אלא

אלא

אא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אלא

אֲשֶׁר בְּיַד הַמֶּלֶךְ לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

- אֲשֶׁר בְּיַד הַמֶּלֶךְ לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

אֲשֶׁר בְּיַד הַמֶּלֶךְ לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

אֲשֶׁר בְּיַד הַמֶּלֶךְ לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

(5)

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

(6)

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַשְּׂמֹאלִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

וְעַל הַיָּד הַיְמָנִית לְשׁוֹמְרֵי הַבְּרִית

646

773 •

773 •

773 •

773 •

773 •

773 •

773 •

773 •

זכרון אברהם וישראל : פרק א	561
זכרון אברהם : פרק ב	361
לפנינו רבו וצדקתו : פרק ג	161

תורתו וזכרון

« זכרון אברהם וישראל : פרק א »	631
« זכרון אברהם וישראל : פרק ב »	
זכרון אברהם וישראל : פרק ג	731
זכרון אברהם וישראל : פרק ד	831
זכרון אברהם וישראל : פרק ה	831
זכרון אברהם וישראל : פרק ו	741
זכרון אברהם וישראל : פרק ז	641
זכרון אברהם וישראל : פרק ח	611
זכרון אברהם וישראל : פרק ט	511
זכרון אברהם וישראל : פרק י	311
זכרון אברהם וישראל : פרק יא	211
זכרון אברהם וישראל : פרק יב	111
זכרון אברהם וישראל : פרק יג	111
זכרון אברהם וישראל : פרק יד	111
זכרון אברהם וישראל : פרק טו	111
זכרון אברהם וישראל : פרק טז	111
זכרון אברהם וישראל : פרק יז	111
זכרון אברהם וישראל : פרק יח	111
זכרון אברהם וישראל : פרק יט	111
זכרון אברהם וישראל : פרק כ	111

לשׂוּבָה בְּיַד הַבַּיִת וְהַחֹמֶה : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	444
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	444
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	514
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	314
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	414
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	414
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	804
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	404
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	404
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	664
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	564
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	364
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	364
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	464
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	464
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	674
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	474
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	174
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	684
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	664
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	764
בְּיַד הַבַּיִת : מִשְׁפָּט הַבַּיִת	764

למשל	96A
למשל : המשל	96A
למשל : המשל	16A
למשל : המשל	16A
למשל : המשל	77A
למשל : המשל	77A
למשל : המשל	67A
למשל : המשל	67A
למשל : המשל	67A
למשל : המשל	88A
למשל : המשל	88A
למשל : המשל	18A
למשל : המשל	10A
למשל : המשל	83A
למשל : המשל	83A
למשל : המשל	23A
למשל : המשל	23A
למשל : המשל	13A
למשל : המשל	13A
למשל : המשל	22A
למשל : המשל	22A
למשל : המשל	12A
למשל : המשל	72A
למשל : המשל	82A

100 100 100	650
100 100	850
100 100 100	650
100 100 100	150
100 100 100	150
100 100 100	600
100 100 100	700
100 100 100	600
100 100 100	000
100 100 100	300
100 100 100	400
100 100	100
100 100	030
100 100	030
100 100	330
100 100	430
100 100	130
100 100	130
100 100	650
100 100	750
100 100 100 100	650
100 100 100 100 100	150
100 100 100 100 100 100	750
100 100	750
100 100 100 100 100 100	

לשון קודש	36
לשון קודש	38
לשון קודש	11
לשון קודש	60
לשון קודש	10
לשון קודש	00
לשון קודש	760
לשון קודש	260
לשון קודש	360
לשון קודש	60
לשון קודש	60
לשון קודש	60
לשון קודש	670
לשון קודש	680
לשון קודש	880
לשון קודש	380
לשון קודש	180
לשון קודש	080